

الحرب العالمية الثانية
(وجهة النظر السوفيتية)

أعداد
مجموعه من الباحثين السوفيت

تعريب
خيرى حماد

١٩٦٧

اهداءات ٢٠٠١

اللواء/ محمد ضياء الدين زهدي

القاهرة

الحرب العالمية الثانية (وجهة النظر السوفيتية)

أعداد
مجموعه من الباحثين السوفييت

تعريب
خيرى حماد

١٩٦٧

تقدمة العرب

ما أكثر ما صدر عن الحرب العالمية الثانية من كتب فى مختلف اللغات تناولت موضوعها من شتى الزوايا ومختلف الاتجاهات . وتمثلت هذه الكتب فى العروض التاريخية واليوميات والمذكرات، والكشف عن بعض الوقائع السرية والأحداث الخفية . واختلفت القيمة الموضوعية لهذه الكتب باختلاف مؤلفيها وواضعيها ، اذ أن الكثير منها لم تكن الا محاولات ظاهرة ومكشوفة ، للدفاع عن سياسات شخصية معينة ، أو وجهات نظر خاصة ، أو مواقف حكومية محددة . وبالرغم من هذه الحقيقة الصارخة ، فقد كانت لهذه الكتب أهميتها ، وكان لها رواجها ، لأنها تتناول أحداثا ، كان لها مساس مباشر بحياة مئات الملايين من الناس الذين عاشوا ، أو عانوا منها ، أو أصابتهم ويلاتها وكوارثها .

وكانت المكتبة العربية ومازالت مفتقرة الى كتاب يعرض وجهة النظر السوفياتية فى الحرب العالمية الثانية ، اذ أن جميع الكتب التى ترجمت الى العربية عن هذا الموضوع ، وبينها تلك التى قمت أنا بتعريبها تعرض وجهات نظر غربية مختلفة . منها الانجليزية والأمريكية والألمانية والفرنسية والاطالية ، وان كان بعضها ، قد تميز بالكثير فى الموضوعية والبحث الجاد . وكنت أشعر صادق الشعور أن هذا الموضوع ، لن يستوفى عند القارئ العربى ، اذا لم نزوده بكتاب يشرح وجهة النظر السوفياتية فى الحرب الأخيرة ، ويبين أحداثها ووقائعها ، كما كنت أحس أن الصورة الصادقة الصحيحة لن تكتمل ، الا اذا نقلنا الى العربية ، كتابا ، أو مجموعة من الكتب التى تتحدث عن الحرب العالمية الثانية ، بأقلام سوفياتية ، ومن وجهات نظر سوفياتية ، لا سيما وأن الكتب التى صدرت عن الحرب بأقلام الغربيين ، لم تعكس الدور الصحيح والعظيم ، الذى مثله الاتحاد السوفياتى وجيشه وشعبه فى الحرب العالمية الثانية وفى القضاء على القوى الفاشية التى تزعمتها ألمانيا الهتلرية .

ومن هذا المنطلق كان اقبالى على تعريب هذا الكتاب الضخم ، الذى أقدمه اليوم الى القارىء العربى ، اد أنه كان الكتاب الأول الذى صدر باللغة الانجليزية والذى يشرح وجهة النظر السوفياتية ، ويعرض الدور الضخم للاتحاد السوفياتى فى النصر على الفاشية ، وقد تكون هناك كتب كثيرة أخرى ، صدرت باللغة الروسية ، وقد تكون هذه الكتب أكثر أهمية من هذا الكتاب الذى نقدمه ، لكن جهلنا باللغة الروسية ، يشفع لنا فى عدم تعريبها ، ونقلها الى قارئنا العربى ، لنصحح له الكثير من الصور الخاطئة التى حملها عن الحرب العالمية الثانية ، نتيجة اطلاعه ، على الكتب الغربية وحدها .

وهكذا نبرز أهمية هذا الكتاب على صعيد الثقافة العربية . فهو أول كتاب يعكس وجهة النظر السوفياتية فى الحرب العالمية الثانية ، وهى وجهة نظر فى منتهى الأهمية ، لأنها تمثل الدور الضخم والعظيم ، الذى أداه الاتحاد السوفياتى فى كسب هذه الحرب ، وانقاذ الجنس البشرى من ويلاتها ، كما تعرض الصورة الصحيحة لهذا الدور الذى حاول المؤرخون الغربيون ، وكتاب اليوميات والمذكرات ، التقليل من قيمته ، انسجاما منهم مع اتجاهاتهم الايديولوجية ، ونزعاتهم البورجوازية المعادية للاشتراكية .

يعرض هذا الكتاب ، أول ما يعرض ، صورة الأسباب التى أدت الى الحرب العالمية الثانية ، وهى أسباب ، لا تخرج عن عاملين أساسيين أولهما التناقضات الضخمة التى تقوم بين الدول الامبريالية فى العالم اضطراعا منها على المصالح الاحتكارية . والاسواق الاستعمارية ، والموارد الأولية ، وثانيهما ، الرغبة العارمة ، لدى هذه الدول الامبريالية التى تمثل النظام الرأسمالى السائر فى طريق الانحلال والانهيار ، للقضاء على النظام الاشتراكى ، الذى يمثل الخطر الاكبر المهدد للاحتكارات العالمية ، وأهدافها الامبريالية ، ومطامعها التوسعية والاستعمارية . ولعل هذا يفسر لنا المساعى الحثيثة المحمومة التى قامت بها القوى الامبريالية العالمية ، لبعث القوة العسكرية الالمانية بعد الحرب العالمية الأولى ودعمها . وايصال الحزب النازى الى الحكم ، وذلك لاستخدام ألمانيا الفاشية وقوتها العسكرية فى محاربة الاتحاد السوفياتى الذى رأت فيه الامبريالية الخطر الأول الذى يهددها . لكن التناقضات الامبريالية ، بين ألمانيا الفاشية التى يرجع الفضل فى خلقها وتقويتها الى الاحتكارات الامريكىة والبريطانية والفرنسية ، وبين الدول الغربية ، مالبثت أن طفت على السطح ، ووجهت

العدوان الألماني الذي جاء نتيجة طبيعية لسياسات الغرب ، الى الدول الغربية نفسها .

وهنا يبرز المؤلف الدور الذي لعبته سياسة مونيخ في التمهيد للحرب العالمية الثانية . فقد اندفعت الدول الغربية وراء رغبتها المحمومة في عزل الاتحاد السوفياتي . وتهيئة الجو لشن الحرب الصليبية على الشيوعية ، وراحت تستخذى وتستكين أمام أطماع هتلر التوسعية ، وتساعده طائفة مختارة في ابتلاع تشكوسلوفاكيا لتكون موطئ القدم له ، في مخططاته للزحف باتجاه الشرق ، ومحاربة الاتحاد السوفيتي . وكانت سياساتها هذه ، التي اكسبت ألمانيا الكثير من مصادر القوة المادية والمعنوية ومن المواقع الاستراتيجية الهامة ، ومن الخامات والموارد المادية والطاقات الصناعية الهائلة ، تأمل في تسخير الهتلرية في تحقيق أهدافها في ضرب الدولة الاشتراكية الوحيدة في العالم . ولكن ألمانيا ، التي كانت قد شبت على الطوق الآن ، وبلغت شأوا بعيدا من القوة والجبروت لم تعد لترضى بأن تكون أداة مسخرة في يد الامبريالية الغربية ، اذ كانت لها أهدافها ومطامعها الخاصة بها ، وراحت تتجه بهجومها أول ما تتجه ، الى الدول الغربية ذات الفضل الكبير في الوصول بها الى تلك الدرجة من القوة .

وقد يطول بنا الحديث لو رحنا نعرض في هذه المقدمة ، جميع النواحي التي يبرزها هذا الكتاب الضخم ، نظرا لكثرة عددها ، وتعدد صورها ومضامينها ، ولكننا سنحاول قدر الامكان عرض بعضها ، ولاسيما تلك التي يختلف هذا الكتاب فيها عن غيره من المؤلفات الغربية التي وضعت عن تاريخ الحرب العظمى الأخيرة ، اذ أن هذه النواحي هي التي تميز هذا الكتاب الذي تقدمه الى المكتبة العربية .

يركز الكتاب أول ما يركز ، على الدور العظيم الذي مثله الاتحاد السوفياتي في الحرب الأخيرة ، مؤكدا أن الفضل الأكبر والأول في تحطيم القوة العسكرية الألمانية الرهيبة التي تمكنت من اجتياح القارة الأوروبية كلها والسيطرة عليها يعود الى الاتحاد السوفياتي ، وجيشه ، وشعبه والى نظامه الاشتراكي الذي مكنه من الصمود أمام التفوق الذي حققته ألمانيا في بداية الحرب في الانتاج ، وميادين الاعداد والتسليح . وهو هنا يرد على المؤلفات الغربية البورجوازية التي خرجت على حدود الموضوعية وحاولت التقليل من أهمية الدور العظيم الذي قام به الاتحاد السوفياتي في تحقيق النصر النهائي ، لا على ألمانيا فحسب ، بل وعلى اليابان أيضا .

وهو يعرض على سبيل المثال معركة ستالينجراد (فولجوجراد الحالية) ، عرضا عسكريا رائعا ، ويبين أن هذه المعركة التاريخية هي التي قلبت موازين الحرب وحولتها لمصلحة التحالف المناوئ للفاشية . فمنذ اللحظة التي منى بها الجيش الألماني بهزيمته التاريخية أمام هذه المدينة الجبارة ، والتي أفقدته مئات الألوف من القتلى والجرحى بالإضافة الى نحو من أربعمئة ألف وفعوا في أسر الجيش السوفياتي ، تحول سير الحرب لمصلحة الجيش الأحمر ، الذي انتقل من مواقع الدفاع الى مواقع الهجوم ، والتي دفعت وحداته ، في غد سريع مستمر . من حوض الفولجا الى قلب برلين . وهنا كان لابد للمؤلف من أن يبين أن محاولة بعض المؤرخين الغربيين ، المقارنة بين هذه المعركة ، وبين معركة العلمين في الصحراء الغربية ، انما تنبع من رغبة هؤلاء المؤرخين في التقليل من الدور العظيم الذي أداه الاتحاد السوفياتي في تحقيق النصر الحاسم على ألمانيا . وهو يستند في قوله هذا الى مقولات عسكرية تتعلق بالمقارنة بين القوى والأسلحة التي استخدمت في هاتين المعركتين ، وبين الآثار الاستراتيجية التي ترتبت على الفوز فيهما .

ولاشك في أن عرض المؤلف لمعركتي موسكو وليننجراد ، ولمعارك الدون والقفقاس ، والفسنولا ، وبودابست وبرلين ، لا يقل في شموله ، واستناده الى الحقائق العسكرية عن عرضه لمعركة ستالينجراد . فقد كانت هزيمة الألمان أمام موسكو في الشتاء الأول للحرب الألمانية - السوفياتية نقطة التحول في طوابع الحرب وظروفها ، اذ حطمت المخططات التي كانت القيادة العليا الألمانية قد وضعتها لانتهاء الحرب ضد الاتحاد السوفياتي في غضون بضعة أسابيع .

ويبرز المؤلف أيضا ، دور الشعب في هزيمة المحور لا في أوروبا وحدها ، بل وفي آسيا أيضا . فلولا المقاومة الجبارة التي أبدتها شعوب الاتحاد السوفياتي ، سواء في جبهات القتال ، أو في المؤخرة ، لما تمكن الجيش السوفياتي من تحقيق انتصاراته العظيمة ، بعد أن فقد جزءا كبيرا من أراضيه ومناطقه الصناعية وموارده الأولية . ولاشك في أن الأرقام والدراسات التي ساقها المؤلف عن تطور الانتاج الحربي السوفياتي ابان سنى الحرب ، تقيم الدليل على أن الجهد الجبار الذي بذله الشعب السوفياتي ، كان له الفضل الاكبر في تحقيق تلك الانتصارات .

وهنا يؤكد المؤلف دور الشعب في النضال الجبار الذي خاضته أوروبا ضد الاحتلال النازي ، والذي استنزف الكثير من قوى الألمان ، وأضعف

قدراتهم العسكرية فى جبهات القتال الفعلية . ولا يقف المؤلف فى حديثه هذا عند دور الانصار السوفيات وراء الخطوط الألمانية فى الجبهة الشرقية وانما يتعداه الى الحديث بكثير من الافاضة والاسهاب عن حركات المقاومة فى جميع البلاد الأوروبية المحتلة كفرنسا وايطاليا ويوجوسلافيا واليونان وبولنده وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا والمجر بل وحتى ألمانيا نفسها . وهو يؤكد أن هذه الحركات أدت خدمات تاريخية جليسة فى اضعاف قوة الالمان الحربية ، واستنزفت منها الكثير من الجهود التى كان فى امكان القيادة النازية أن توجهها الى ميادين القتال . لو لم تبادر الشعوب الى أداء دورها التاريخى فى معارك التحرر الوطنى .

ولا شك فى أن الكتاب يقدر بالغ التقدير ، الصراع الرهيب والعنيف ، الذى خاضه الشعب الصينى ، وجيش تحريره ضد الغزاة اليابانيين ، قبل الحرب العالمية الثانية وابانها . فلولا هذا الصراع الذى كلف الجيش اليابانى أكثر من مليون رجل ، والذى استنزف من قوى اليابان العسكرية الكثير ، لما كان من السهل تحقيق النصر السريع على الامبريالية اليابانية ، بعد هزيمة الهتلرية فى أوروبا ، وان كانت حتمية التاريخ ، ومنطق القوانين الموضوعية ، يحتمان هزيمة تلك الامبريالية فى النهاية .

ولعل أهم ما يتميز به هذا الكتاب ، كشفه عن الكثير من الاسرار والحفايا ، التى وقعت ابان الحرب العالمية ، وقبلها ، وفى أعقابها . فهو يحسر النقاب عن المناورات الامبريالية العالمية التى مكنت ألمانيا من شن عدوانها ومن السيطرة على الشطر الاكبر من أوروبا . وهو يكشف أيضا عن المخططات التى كانت الاحتكارات الغربية قد وضعتها لتجنب نشوب الحرب بين الدول الغربية وألمانيا ، ودفع هذه الى خوض الحرب ضد الاتحاد السوفياتى وحده ، رغبة منها فى اضعافهما معا ، وتحقيق هدفين عزيزين لها بضربة واحدة . لكن هذه المخططات ما لبثت أن فشلت بسبب اصطدامها بالتناقضات الامبريالية نفسها ، مما أدى الى اشتباك ألمانيا مع الدول الغربية فى حريها ، قبل أن تبادر الى محاربة الاتحاد السوفياتى .

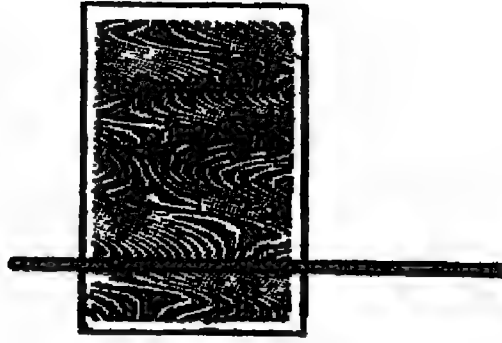
ولعل من أروع هذه الأسرار التى يحسر الكتاب النقاب عنها ، تلك الاتصالات السرية التى ظلت دائرة طيلة الحرب ، وحتى نهايتها ، بين القيادة النازية من ناحية ، وبين الدوائر الحاكمة فى بريطانيا والولايات المتحدة من الناحية الأخرى للحفاظ على القوة العسكرية الألمانية وتوجيهها

الى الشرق لمحاربة الاتحاد السوفياتى وكانت هذه الاتصالات تتم بطرق شتى ووسائل مختلفة . فبعضها يدور عن طريق سويسرا أو الفاتيكان أو مدريد أو لشبونة أو دبلن أو ستوكهولم من العواصم المحايدة والبعض الآخر ، عن طريق مبعوثين أو رسل ، أو وسطاء . من أمثال اللين دالاس والكونت برنادوت والكر دينال سبلمان ، والأمير هو هينلوهى وغيرهم . ولا شك فى أن هذه الاتصالات الحفية ، والهادفة الى انهاء الحرب بين ألمانيا والدول الغربية ، انما كانت ترمى الى توجيه القوة العسكرية الألمانية نحو الاتحاد السوفياتى لضربه والقضاء عليه ، بعد استنزاف تلك القوة الضاربة نفسها ، مما يخلى الجو العالمى للاحتكارات الغربية .

انه كتاب ضخم ، يعرض صوراً شتى ومختلفة ، من وجهة نظر سوفياتية . وقد دعم المؤلف صورة ، بالاستشهادات والارقام والوقائع التى تعزز الحقائق التى أوردها . ولاشك فى أن هذا الكتاب يكمل الحلقة المفقودة فى المكتبة العربية ، ويهيئ المجال ، بعد استيعاب وجهات النظر المختلفة فى الحرب العالمية الثانية ، لقيام مؤرخ عربى بعرض صورة تلك الحرب من وجهة نظر عربية ، تتوخى الموضوعية ، وتستند الى مختلف المصادر والكتب التى تعرض شتى وجهات النظر لشعوب العالم التى أكتوت بنيران تلك الحرب الضروس وعاشت ويلاتها .

القاهرة فى أول يناير سنة ١٩٦٧ .

خيرى حماد



مقدمات الحرب



المعدون وانصارهم

- ١ -

سكنت مدافع الحرب العالمية الأولى في الحادى عشر من نوفمبر من عام ١٩١٨ ، وتنفست شعوب أوروبا الصعداء . وراح كتاب البورجوازية يهللون فى طول العالم وعرضه ، متحدتين عن بدء حقبة تاريخية جديدة هى عهد السلام .

ولكن السلام لم يخيم على أوروبا . فقد استمرت الحرب الدامية التى شنتها القوى الامبريالية على الدولة السوفياتية الحديثة التى تخلت عن الرأسمالية ومضت فى طريق الاشتراكية ، عنيفة لا تتوقف . وأعلن ونستون تشرشل المتلهف على أداء الدور القيادى فى الحرب الصليبية ضد الاتحاد السوفياتى أن من الواجب وأد البلشفية منذ ولادتها . وراح الاستعماريون يخدمون بمنتهى الوحشية حركات التحرر الوطنى فى نقاط عدة فى مؤخرة المعسكر الاستعمارى الامبريالى الواسع .

وكان الربع الأول من القرن العشرين يشرف على نهايته عندما راح قادة أوروبا البورجوازية يعلنون فى مؤتمر لوكارنو (١) الذى عقد فى شهر

(١) عقد هذا المؤتمر فى عام ١٩٢٥ باشتراك بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا وبلجيكا فى مدينة لوكارنو السويسريه ، حيث عقدت سلسلة من المعاهدات كان القصد منها كما ذكر المؤتمر حفظ السلام والأمن فى أوروبا ، واستكمال النواقص فى ميثاق عصبة الأمم . وكانت هذه المعاهدات مساقا للضمانات المتبادلة بين الدول المشتركة فى المؤتمر .
(المغرب)

أكتوبر من عام ١٩٢٥ أنهم عثروا أخيراً على الحاجز بين سنوات الحرب ،
وسنوات السلام المقبلة . وكان هناك حاجز فعلاً ولكنه كان من طراز آخر .
فقد رمز الى نهاية حلقة واحدة من الحروب وبداية حلقة جديدة أخرى .
وأعد الساسة المتفاوضون فى لوكارنو المسرح لحروب جديدة ، هادفين
للمزيد من خلق الثروات الاحتكارية . فما كادت نيران الحريق الأول تطفأ
حتى شرعوا فى تخزين الوقود لاشعال حريق آخر أكبر واضخم .

ولم تكن الحرب العالمية الأولى قد تفجرت بصورة عرضية ، وإنما
كانت الثمرة الطبيعية للتناقضات العميقة للرأسمالية فى مرحلتها
الامبريالية وكانت انعكاساً لأزمة الرأسمالية العامة ، التى كان الانتصار
الذى حققته ثورة أكتوبر الاشتراكية العظيمة فى روسيا وانقسام العالم
الى نظامين اجتماعيين متعارضين ، هما النظام الرأسمالى والنظام الاشتراكى
أبرز تعبير عنها وأهمه . وقضت ثورة أكتوبر على الامبريالية فى سدس
العالم ليس الا . أما ما تبقى فقد ظل يعيش فى صورة دول امبريالية
ومستعمراتها وشبه مستعمراتها . وكان هناك جزء صغير من العالم ،
تحتلته بلاد حققت حريتها من العبودية الاستعمارية وسارت فى طريق
التنمية المستقلة .

ولما كانت الامبريالية قد ظلت على قيد الحياة فإن الدوافع الاقتصادية
للحروب الامبريالية ظلت موجودة أيضاً . ولم يكن فى وسع الحرب
العالمية الأولى أن تزيل التناقضات العميقة ، الكامنة فى النظام الامبريالى
والباعثة على الحرب . وكان كل مافعلته الحرب وذيولها تعميق هذه
التناقضات ، وخلق المزيد من العداءات والصراعات العنيفة . وهكذا
نشرت بذور الحروب الامبريالية الجديدة فى طول العالم وعرضه .

ولا شك فى أن التناقض بين الطبيعة الاجتماعية للانتاج ، وبين
الاستيلاء الرأسمالى الخاص عليه ، هو أعمق التناقضات الرأسمالية وأكثرها
أهمية وأشعقدها على الحل . فهو التناقض الذى يقوم فى جذور جميع
الأزمات الاقتصادية التى تهز العالم الرأسمالية من وقت الى آخر . وهو
يسقى جميع أوجه الحياة فى البلاد الرأسمالية التى تجف من الصراعات
الطبقية الحادة ولا ريب فى أن هذا التناقض وهو الأهم بين التناقضات
الأخرى ، هو الذى سيصل بالرأسمالية الى زوالها الحتمى .

ولقد حلت قوى الانتاج فى الرأسمالية الحديثة محل شبكات الملكية
الخاصة لوسائل الانتاج ، وأصبحت ناضجة لتقبل التحول الاشتراكى .
وبات الانتاج الاجتماعى يقتحم حدود البلاد الرأسمالية فرادى . وتمكن

من تثبيت مواقعه فى معظم أرجاء العالم البورجوازى . ولا شك فى أن نمو الرأسمالية ووصولها الى مرتبة النظام العالمى ، وانتشار التجزئة الدولية الرأسمالية للعمالة فى خدمة السوق العالمية ، هما اللذان يمثلان المزيد من النمو فى الطبيعة الاجتماعية للانتاج . ولكن هذه الطبيعة الاجتماعية للانتاج تحاط بشباك الاستيلاء الرأسمالى الخاص ، مما يخلق تناقضا يؤدى الى صراع حاد فى الحلبة العالمية .

وكانت البلاد البورجوازية المستغلة تشجع فى عهد الرأسمالية السابقة للاحتكار تنمية قوى الانتاج . أما الآن وفى عصر الامبريالية فقد أصبحت تمثل دور الكابح لمزيد من تقدم الانسان .

ويقول لينين . . تجد الرأسمالية الآن فى الدول القومية القديمة ، التى ما كان فى مكنتها بدون تشكيلها أن تطيح بالنظام الاقتصادى ، أقوى من أن تسيطر عليها . ولقد طورت الرأسمالية التركيز الى الحد الذى مكن الاتحادات النقابية المهنية (السنديكات) والشركات الاحتكارية وترايبطات أصحاب البلايين من الرأسماليين من السيطرة على فروع كاملة من الصناعة ، والى الحد الذى جعل الكرة الارضية كلها تغدو مقسمة « السادة الرأسماليين » اما على شكل مستعمرات ، أو على شكل تطويق البلاد الأخرى بألوف من حبال الاستغلال المالى . وأصبح السعى وراء الاحتكار ووراء السيطرة على البلاد لضمان الاستثمارات الرأسمالية وضمان تصدير المواد الأولية والحامات منها متفوقا على حرية التجارة والتنافس . وتحولت الرأسمالية من دور المحرر للشعوب الذى مثلته ضد الاقطاع ، الى دور المستعبد الأعظم للشعوب عن طريق الامبريالية (١) .

فالامبريالية فى حاجة فطرية الى تصدير الرساميل وغزو الاسواق لبيع السلع الفائضة فيها ، والى الاستيلاء على المستعمرات الجديدة ومصادر الحامات ، والى تحطيم المنافسين ونشردان السيطرة على العالم .

وتضطرع الدول الرأسمالية فيما بينها تنافسا منها على السيطرة على البلاد التى تقع فى قبضتها . وتسير هزم التجزئة للبلاد عبر كفاح مرير ، كما تعتمد على علاقات القوة القائمة فعلا . لكن هذه العلاقات دائمة التبدل اذ أن التباين الملحوظ بين بلاد وأخرى فى التطور الاقتصادى والسياسى من الخصائص البارزة للرأسمالية الحديثة . وهكذا تنشأ التناقضات على توزيع الأسواق ومناطق النفوذ من ناحية والتغير المستمر

(١) لينين -- حركات التحرر الوطنى فى الشرق - موسكو لعام ١٩٥٧ . ص ٩٨ .

فى علاقات القوة بين الدول الرأسمالية من الناحية الأخرى • وتنتهى هذه التناقضات عادة فى صورة الحروب •

وكتب لينين يقول : « ركزت الرأسمالية ثروات العالم كله فى أيدي بعض الدول ، وقسمت العالم فيما بينها • ولا يمكن لأى تقسيم جديد أن يقع ، أو أى اثراء جديد أن يحدث الا على حساب دول أخرى ، أى أن تكسب دولة على حساب دولة أخرى ، والقوة وحدها هى التى تحسم الأمر ، ومن هنا أصبحت الحرب بين نصور العالم المفترسة حتمية » (١) ونبتعت الحرب العالمية الأولى من الصراع بين مجموعة من الدول الرأسمالية تتزعمها ألمانيا ، تمكنت من السير قدما فى طريق تنميتها وتطويرها ، وأصبحت تطالب بموافع كانت بريطانيا وفرنسا قد سيطرتا عليها من قبل ، وبين هاتين الدولتين المتطلعيتين الى سحق منافساتهما الجدد ، بالرغم مما لحق بتطويرها من هبوط ، وخسرت ألمانيا الحرب ، وظلت ردحا من الزمن مهينة الجناح ، ولكن ألمانيا بالرغم مما لحق بها من هزيمة ، وبالرغم من تقييدها بأصفاد معاهدة فرساي القاسية ، ظلت فى طاقاتها أقوى من الدول التى انتصرت عليها وفى طليعتها بريطانيا وفرنسا • وكانت هاتان الدولتان تدركان وهما تتألمان ، أن نصرهما على ألمانيا لم يتحقق الا بفضل الجهد المشترك الذى بذله الحلف الذى يضم دولا عدة ، والذى اسهمت فيه روسيا بدور بارز • وليس ثمة من شك فى أن بريطانيا وفرنسا كانتا ستهزمان فى تلك الحرب ، لو أن روسيا لم تصمد فيها • ولم تحس الدولتان بالطمأنينة بالرغم من انتصارهما ، اذ أنهما كانتا على ثقة من أن ألمانيا ستبعث من جديد حتما كدولة رأسمالية من الطراز الأول •

وكان من الواضح فى مثل هذه الظروف ، أن تعمل بريطانيا وفرنسا كدولتين منتصرتين ، ومن موقع القوة ، على الحيلولة دون استعادة ألمانيا لقوتها الاقتصادية والعسكرية • ومع ذلك فقد سارتا فى طريق مختلف يتعارض مع مصالحهما الرأسمالية والقومية ، اذ قدما يد العون لاعادة بعث طاقات ألمانيا العسكرية • وتعود هذه السياسة الغربية التى بلغت ذروتها فى صفقة مونيخ مع ألمانيا هتلر وإيطاليا الفاشية الى عامى ١٩٢٤ و ١٩٢٥ •

وكانت الحكومات البورجوازية المختلفة قد حزمت أمرها على انزال أقصى الضرر بالاشتراكية • وكان هذا الهدف يحتل تفكيرها عندما كانت تضع الحلول الدولية وتصوغ سياساتها تجاه ألمانيا •

(١) لينين - فى كتابه عن بريطانيا • ص ٣٨٤ •

ولم يكن العالم الرأسمالى قد تخلى عن خطته لسحق الاشتراكية بقوة السلاح بعد هزيمة التدخل الاجنبى المسلح ضد الدولة السوفياتية الجديدة . وقضى الاحتكاريون من الأمريكان والانجليز والفرنسيين الليالى الطويلة وهم يبتكرون المغامرات العسكرية المعادية للاتحاد السوفياتى وعندما أحسوا بالحاجة الى القوة البشرية لتنفيذ مخططاتهم ، ركزوا أعينهم على ألمانيا . واستهوتهم ألمانيا الرجعية ، بما فيها من طاقات هائلة لصناعة الحرب ، وبقدرتها على تأليف جيوش ضخمة ، وبما لديها من تقاليد عسكرية ، وبما تتميز به طبقتها الحاكمة من وحشية وتعطش للدماء وميل الى ارهاب شعبها وشعوب البلاد التى تحتلها .

وراح واضعو السياسات فى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا يضعون خططهم ، خطوة اثر أخرى ، لاستخدام ألمانيا واليابان فى تحقيق أهدافهم . وكان دفع المانيا واليابان الى محاربة الاتحاد السوفياتى يمثل لهم ضرب عصفورين بحجر واحد ، وهو أن تقوم ألمانيا واليابان بإزالة الاتحاد السوفياتى من الوجود ، وأن تضعف المقاومة السوفياتية هاتين الدولتين اللتين تمثلان أقوى منافساتهم .

وكان الاحتكاريون الامريكيون هم الذين سرعوا فى تنفيذ هذا المشروع ، اذ كانوا ينظرون الى الاتحاد السوفياتى بعيون تملؤها الكراهية كما كانوا راغبين فى الخلاص من ألمانيا واليابان . وبالرغم من أن الصراعات بين الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا على مصالحها الامبريالية الخاصة ظلت فى حداثها المألوفة . الا أن الشكوك التى ساورت الجماعات الحاكمة فى بريطانيا وفرنسا من هذا المشروع ، هبطت بصورة متدرجة الى الأعماق . ولا شك فى أن التناقضات الامبريالية بين الولايات المتحدة وبريطانيا فى فترة بين الحربين ، ظلت هى الغالبة على العداءات التى تسود العالم الرأسمالى .

وشرع الامبرياليون الأمريكيون فى تنفيذ برنامجهم فى استخدام ألمانيا ضد الاتحاد السوفياتى عن طريق « مشروع داوس » (١) وهو

(١) الاسم الذى أطلق على المشروع الذى وضعته لجنة الخبراء التى كلف بالتحري عن الاوضاع الماله لالمانيا وتمرير المبالغ التى نستطيع ألمانيا دفعها كتعويضات حربية فى نهاية الحرب العالمية الاولى ، بعد أن أشرفت ألمانيا على الافلاس ، وأعلنت عجزها عن دفع هذه التعويضات . وقرر الحلفاء استجابة لمداء ألمانيا تأليف لجنة أولاهما لجه داوس المذكورة والثانية لجنة ماكنبا للتحري عن فرار رأس المال الألماني الى الخارج . وكانت اللجنة الاولى « برئاسة » داوس الامريكى وعضوية ممثلين عن بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وبلجيكا .

(المعرب)

المشروع الذى قضى ببعث الحياة فى صناعة ألمانيا الثقيلة ، وطاقاتها الحربية ، عن طريق القروض الأمريكية السخية .

ولكن حكام الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ، تجاهلوا كل التجاهل فى سعيهم لتنفيذ مشروعاتهم المعادى للاتحاد السوفياتى ، مصالح الامبرياليين الالمان واليابانيين . وكان الامبرياليون الالمان ، يحلمون كرجل واحد بالتأثر . فلم تكد الحرب العالمية الاولى تضع أوزارها ، حتى شرعوا فى الاعداد للحرب الثانية وذكر جوستاف كروب ، رجل الصناعات الحربية فى ألمانيا . أن بلاده لم تضع وقتا بعد توقيع معاهدة فرساي فى وضع الأسس العلمية المتينة للاستعداد ثانية للعمل من أجل القوات المسلحة الألمانية فى الساعة المحددة ، ودون اضاءة أى وقت أو خبرات سابقة ، (١) .

وكانت السياسة الألمانية التى صاغها جوستاف ستريسمان وزير خارجية ألمانيا فى تلك الأيام ، تهدف منذ عام ١٩٢٥ الى الافادة الى أقصى حدود الفائدة من الامكانيات التى تعرضها سياسات الغرب ، وتقوية مصالح ألمانيا الرأسمالية . وكانت هذه السياسة فى حد ذاتها سببا فى الصدام بين ألمانيا ومعيناتها من الدول القريبة .

وتم توزيع القوى فى العالم الغربى قبل أمد طويل من اندلاع نيران الحرب العالمية الثانية . فقد كانت هناك ألمانيا وايطاليا واليابان من الناحية الأولى تهدف الى إعادة تقسم العالم، ولذا فقد كانت المثيرة المباشرة للعدوان . وكانت هناك من الناحية الثانية ، الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا التى عملت حكوماتها كمعينات للعدوان الفاشى ، وكمثيرات للصراعات الدولية .

وبالرغم من وجود الخلافات الضخمة بين الخطط المختلفة لهذه الدول الامبريالية ، والتى كانت تشدها الى تشكيل معسكرين حربيين مختلفين ، الا أنها كانت على ضوء المنطق والتحليل الأخير معسكرا واحداً، هو المعسكر الامبريالى للرجعية والعدوان .

أما المعسكر الثانى وهو معسكر السلام والديمقراطية والاشتراكية . فقد كان ممثلاً فى الاتحاد السوفياتى وفى اصدقاء السلام والتقدم الاجتماعى فى الدول الرأسمالية الذين يؤيدون الاتحاد السوفياتى .

(١) من وثائق محاكمات نورمبرج العسكرية - ١٩٤٧ . المجلد ١ . ص ٢٨٨

وتصرف الاتحاد السوفياتى فى جهوده السلمية على أساس الافتراض بأن الحفاظ على السلام العالمى ممكن عن طريق العمل الموحد للشعوب والحكومات . وناشد الشعوب الأوروبية وحكامها أن تشترك فى عملية وقف التيار السائر فى طريق الحرب الجديدة .

- ٢ -

وظهرت تعقيدات خطيرة فى العالم الرأسمالى عندما تفجرت الازمة الاقتصادية العالمية فى عام ١٩٢٩ . وقد أضافت هذه الازمة التى لم يسبق لها مثيل فى حدتها وقوتها التخريبية الكثير من الحدة الى تناقضات الرأسمالية . وسارعت السير فى انهيار النظام الذى وضعته فرساي وواشنطن ، وفى التمهيد لاندلاع نيران الحرب العالمية الجديدة .

ولعل من أبرز مظاهر الحرب الماضية أنها لم تتخذ الصورة العالمية الشاملة منذ اندلاعها . فقد تطورت الى حرب عالمية فى الفترة بين عامى ١٩٣٩ و ١٩٤١ ، أى عندما أقحمت الدول الكبرى واحدة اثر الأخرى فيها . وقد سبقتها سلسلة من الحروب التى حدثت فى المدة التى انصرمت بين عامى ١٩٣١ و ١٩٣٩ .

وبالرغم من أن هذه الصراعات المسلحة كانت ذات طبيعة محلية الى حد ما ، الا أنها كلها كانت تشترك فى تكوين حلقات فى سلسلة واحدة .

وبدأت السلسلة بغزو اليابان لاقاليم الصين الشمالية الشرقية فى عام ١٩٣١ ، ثم سارت عبر الحرب الصينية - اليابانية بين عامى ١٩٣٧ و ١٩٤٥ ، الى أن انتهت باستسلام اليابان فى شهر ستمبر من عام ١٩٤٥ . وليس اغتصاب ايطاليا للحبشة فى عام ١٩٣٥ الا حلقة أخرى فى هذه السلسلة ، كما أن استسلام ايطاليا فى عام ١٩٤٣ يؤلف حلقة أخرى . وهناك صلة واضحة أيضا بين أحداث عام ١٩٣٦ عندما بدأ التدخل الايطالى - الألمانى فى أسبانيا وبين الاستسلام النهائى بلا قيد أو شرط ، لألمانيا فى عام ١٩٤٥ ، وهو الاستسلام الذى أنهى الحرب فى أوروبا .

وقد شمل الخط التاريخى للحروب الجديدة المدة المنصرمة بين عامى ١٩٣١ و ١٩٤٥ ، وان كانت العمليات العسكرية الواسعة على النطاق العالمى الشامل ، هى الجزء الذى تميزت به الأعوام بين ١٩٣٩ و ١٩٤٥ .

وكانت للحروب التي اندلعت فى المراحل المبكرة من هذه الفترة مظاهرها الخاصة ، وان ظلت هذه المظاهر نفسها بارزة وواضحة حتى بعد تحول الحرب الى صراع عالمى شامل . ولقد بدأت الدول الفاشية هذه الحروب كلها ، اذ انها كانت قد عقدت عزمها على سحق الطبقة العاملة ، وحركات التحرر الوطنى ، وعلى استبعاد الشعوب واعادة تقسيم العالم لمصلحتها . وحاربت الشعوب ببسالة دفاعا عن حريتها واستقلالها الوطنى ، وعن مصلحة الديمقراطية ضد الفئة الرجعية من القوى الامبريالية ، وهى الفئة الفاشية .

وكان هدف سياسة « عدم التدخل » أو « الحياد » التى اتبعتها حكومات الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا ، فى الواقع ، تشجيع العدوان ، وتشجيع الدول الفاشية على تحطيم حركات التحرر الوطنى والقوى الديمقراطية والثورية ولاسيما الاتحاد السوفياتى . وأدت هذه السياسة الى صراع مسلح بين فئتى الدول الامبريالية ، وذلك لأن ألمانيا وإيطاليا واليابان كانت تريد استغلال السياسة الغربية الى أقصى حدود الاستغلال ، فى سعيها لمهاجمة ممتلكات الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا . وكان الاحتكاريون الأمريكيون والبريطانيون والفرنسيون على استعداد لتقبل كل ذلك ، طالما انهم كانوا يفرقون أنفسهم فى أمل استخدام الدول الفاشية لتحقيق أهدافهم .

وراح هؤلاء الاحتكاريون ، والى حد ما ، يقدمون للمعتدين ، كل عون وتسهيلات ، بدلا من الحد من أعمالهم . وتنعكس هذه السياسة فى كثير من الوثائق الرسمية وشبه الرسمية التى حفظها لنا ذلك العهد . فعندما اجنحت اليابان الأجزاء الشمالية الشرقية من الصين والمسماة بمنشوريا فى عام ١٩٣١ ، وجد هربرت هوفر ، رئيس الجمهورية الأمريكية فى تلك الأيام ، أن من المناسب أن يشرح الأسباب التى دعت به الى الوقوف الى جانب اليابان بالرغم من أن غزوها كان مؤذيا للمصالح الأمريكية . فقد كتب فى مذكرة بعث بها الى وزراء حكومته ، أن الصراع يعتبر أولا ، خلافا بين الصين واليابان . وأضاف « أن الولايات المتحدة لم تعمل فى الماضى على حفظ السلام بين الدول الأخرى عن طريق القوة . . . ولو فرضنا ، أن اليابان تجرأت وقالت انها لم تعد قادرة على تحمل هذه المعاهدات ، وان عليها أن تبين أن الصين قد فشلت فى ضمان الاستقرار الذى نصت عليه هذه المعاهدات . فنصف المنطقة قد تبلى ، وأصبح متعاوننا مع روسيا . . . وسيعرض استقلالنا للخطر بوجود روسيا البلشفية الى شمالنا ، وباحتمال قيام صين بلشفية على جناحنا . أجل

لو قالت اليابان كل هذا، وأضافت أن على الدول الموقعة على ميثاق الدول التسع اما أن تعيد مشتركة معنا الأمن الى نصابه فى الصين ، أو أنها توافقنا على أن نقوم بذلك كعمل من أعمال الحفاظ على النفس... ولا يمكن لأمرىكا بالطبع أن تشترك فى مثل هذا الاقتراح ، ولكنها لا تستطيع فى الوقت نفسه أن تثير فى وجهه الكثير من المعارضة « (١) .

وكان الانقلاب الفاشى فى ألمانيا المعلم البارز فى الطريق الى الحرب العالمية الثانية . ومع ذلك فقد ظل حكام الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا بعيدين كل البعد عن التحول الى فكرة معارضة تطور ألمانيا باتجاه تحويلها الى قاعدة حربية . بل انهم على النقيض من ذلك كله عملوا كل ما فى وسعهم للاسراع فى هذا التحويل . فقد قدم الاحتكاريون البريطانيون والفرنسيون والأمريكيون الى عصابة هتلر كل عون مادي ومعنوى ، قبل اغتصاب النازيين للسلطات بأمد طويل ، وقد ضاعفوا من هذا العون عندما غدا هتلر مستشارا وفرض حكمه الارهابى المتوحش على العناصر التقدمية ، فى البلاد . وبين المؤرخون الأمريكيون أن « سياسة بريطانيا وأمريكا كانوا قد أجمعوا على وجوب تحول ألمانيا الى مركز السيادة على القارة الأوروبية ... فالاشتراكية الوطنية الألمانية هى الحصن المنيع الوحيد الواقى من الشيوعية » (٢) .

ولكن بالرغم من أن هتلر وصل الى الحكم بمساعدة الاحتكاريين الأمريكان والبريطان الفعالة ، الا أنه لم يكن يهدف بأى حال من الأحوال الى أن يجعل من ألمانيا مجرد أداة فى يد السياسة الانجلو - أمريكية . فقد كانت للامبريالية الألمانية أهدافها الخاصة بها . فهى تسعى الى إعادة تقسيم العالم كله . وهى تعمل على سحق التنافس الانجلو-أمريكى معها . وهى تسعى الى اقامة امبراطورية استعمارية عظيمة . انها تتطلع الى السيطرة العالمية . وكان البند الأكثر أهمية فى برنامج المغامرات العدوانية النازية غزو الاتحاد السوفياتى ، واستعباد شعوبه ، وتحطيم الدولة السوفياتية ، التى تمثل العقبة الأساسية فى طريق تحقيق سيطرتها الامبريالية على العالم .

وتعمد هتلر ألا يخفى نواياه وخطته المعادية للاتحاد السوفياتى .

(١) كتاب « أزمة منشوريا بين علمى ١٩٣١ و ١٩٣٢ » لسارة سميت - مطبعة جامعة كولومبيا - نيويورك ١٩٤٨ . ص ١٤٩ - ١٥٠ .

(٢) كتاب « الدبلوماسية الأمريكية فى ميدان العمل » لريشارد فار أولستين - مطبعة جامعة سانفورد - كليفرنيا ١٩٤٧ - ص ٣٩٩ .

فقد سجل في كتابه « كفاحي » الذي يعتبر برنامجا للحركة الفاشية الألمانية العبارات التالية ٠٠٠ « واذا كانت القضية موضوع أراض وتربة زراعية ، في أوروبا ، فان هذا لا يتحقق على نطاق واسع الا على حساب روسيا . وعلى الرايخ الثالث أن يسير من جديد على نفس الطريق الذي سار فيه من قبل فرسان التيوتون الأشداء » (١) .

وكان النازيون ينفعون مخططاتهم المعادية للسوفييات ، ليكسبوا ثقة الاحتكاريين الأمريكيين والانجليز ، وليحصلوا منهم على المزيد من المعونة . وراح هتلر يزهو في جلسة خاصة مع المقربين اليه بقوله ٠٠٠ « على ن اللعب الكرة مع الرأسمالية ، وأن أبقى على دول فرساي في صفى برفح الشعار المعادى للبشفية ، لأحملها على الاعتقاد بأن ألمانيا النازية، هي الحصن المنيع الأخير في وجه الطوفان الأحمر . وهذه هي الطريقة الوحيدة للخلاص من فترة الخطر ، ومن شروط فرساي ، والتمكن من إعادة التسليح » (٢) .

وحقق هتلر الغاية التي عمل لها . فقد سارعت حكومات الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا الى القيام بلعبة سياسية مأكرة . وتوقعت هذه الدول أن تمكر بألمانيا وأن تستخدمها في تحقيق أهدافها . وخيل اليها أن في وسعها الاحتيال على الدكتاتور الفاشى بمنتهى السهولة . ونقل الدبلوماسيون الألمان في الخارج الى حكومتهم في برلين أن الحكومات الغربية مقتنعة كل الاقتناع بأن ألمانيا ستحصر عدوانها في الشرق ، وستقبل العون الغربي . وراح القادة العسكريون الأمريكيين والانجليز يقدمون النصائح الودية الى هتلر ، ويشيرون عليه بالأسلوب الذي يجب أن يتبعه في عملياته الاغتصابية . وأوصى كبار القادة البريطانيين على سبيل المثال هتلر بأن يشرع في غزو تشيكوسلوفاكيا ، ثم يمضى منها لغزو النمسا فبولنده فالاتحاد السوفياتي (٣) .

وقد اعتمد برنامج هتلر للسيطرة على العالم على النظرية العنصرية الفاشية التي تكره الانسان، والتي تتصور اباداة الشعب الألماني «المختار» للشعوب الأخرى واستعبادها . وأعد الفاشيون الألمان خطة شاملة لاختضاع الشعوب السوفياتية ومحوها من الوجود . وكانوا يبشرون

(١) كفاحي - هتلر - مونيخ ١٩٤٥ . ص ١٥٤ .

(٢) كورت لوديك في كتابه «عرفت هتلر» - نيويورك ١٩٢٨ . ص ٤٦٨

(٣) كتاب « منجزات ملحق عسكري » للهر جيرفون شويبنبرج - مطبعة الرايخ

١٩٣٧ وستونجارت ١٩٤٩ .

أيضا بالكره العنصرى للشعب الفرنسى وغيره من شعوب أوربا الغربية وأمريكا .

وكان تأكيد النازيين من الناحية العسكرية على عنصرى المفاجأة والحركة ، لضمان سرعة الغزو والاحتلال . وكان هتلر يقول لقادته العسكريين : انه لو قدر له أن يهاجم العدو ، لما فعل كما يفعل موسوليني . فهو لن يعقد محادثات تستغرق شهورا طويلة ، ويقوم باستعدادات بطيئة ومتدرجة ، وانما سيتصرف كما تصرف دائما ، كالبرق الخاطف فى جنح الدجى (١) .

وكان الامبرياليون الألمان وخدامهم المخلصون من النازيين يعملون على استخدام الحونة الذين كان جهاز المخابرات الألمانية قد نشرهم فى البلاد الأخرى . وكان هتلر يعلق آمالا ضخمة عليهم ، اذ كان يتبجح دائما . . . « وسيكون لنا أصدقاء يقدمون لنا العون فى جميع بلاد العدو . وسنعرف طريقة الحصول على مثل هؤلاء الأصدقاء . أما أسلحتنا فستكون نشر الاضطراب الفكرى وتناقضات المشاعر ، والتخاذل والتردد » . وكان يفكر فى مخططاته عن حرب الصاعقة والطابور الخامس فيضيف بحماس قائلا . . . « وستفقد فرنسا وبولنده والنمسا وتشيكوسلوفاكيا كبار قادتها فى غضون دقائق قليلة . وتصبح هذه البلاد كلها أشبه بالجيش الذى لا هيئة أركان حرب لديه . وهكذا تتم ازالة جميع الزعماء السياسيين من الطريق ، ويعم الاضطراب الذى يفوق حدود التصور . ولكننى آكون منذ أمد طويل ، قد أقمت العلاقات مع أولئك الرجال الذين سيؤلفون الحكومات الجديدة من الطراز الذى يناسبنى » (٢) .

ورفع النازيون وهم يطبقون خطتهم الارهابية شسعار « الحرب الشاملة » . فلم تكن الحرب التى خططوا لها مجرد حرب للاستيلاء على العالم ، وانما كانت من النوع الذى لا يميز بين المقدمة والمؤخرة ، وبين الجيش والسكان المدنيين .

وبينما كانت ألمانيا تدفع بآلتها الحربية فى أقصى سرعتها ، كانت الدول الغربية لا تزال تعيش بسخف على أحلامها فى استخدام تلك البلاد فى تحقيق أهدافها . وكانت التناقضات الامبريالية ، تتفجر ولا شك ، بين الآونة والأخرى ، فتنفذ الى السطح ، فقد ذكرت الصحيفة البريطانية

(١) كتاب « آلة ألمانيا الحربية » لايڤن مولر - ١٩٣٦ ص ٣٠ .

(٢) كتاب « هتزر يتكلم » لهيرمان روشنيخ - لندن ١٩٤٢ . ص ١٧ - ١٩ .

المحافظة « ذى فورتنايتلى ريفو » على سبيل المثال منذ عام ١٩٣٣ ، وقد سيطر عليها القزح تقول : « أصبحت ألمانيا حتى فى هذه الأيام أقوى دولة فى أوربا من الناحية الاقتصادية . فهى نملك أحسن الصناعات معدات وأكثرها كفاية ، وهى على استعداد لاغراق العالم كله بالسلع الرخيصة . فهى منافس جاد وخطر اقتصادى لا على دول أوربا الوسطى وحدها ، وانما على جميع الدول الأوروبية دون استثناء ، ولا سيما على ممونتها الرئيسية ومنافستها الصناعية ، بريطانيا العظمى » (١) .

ولكن أصوات العقلاء من الناس ضاعت فى خضم أصوات «الكورال» المنظم التى تصدر عن العناصر الحاكمة فى أمربكا وبريطانيا والمنادية باقامة « العلاقات الطيبة » مع ألمانية هتلر .

ولا شك فى أنه لم يكن من حق الامبرياليين الألمان أن يشكوا من افتقار الاحتكارين الأمريكان والبريطانيين الى مشاعر العطف الانساني تجاههم . فقد اتسعت الوشائج المالية والاقتصادية بين الاحتكارين الألمان والامريكيين اتساعا كبيرا بعد الانقلاب الفاشى فى ألمانيا . وقد بذل الامبرياليون الأمريكان قصارى جهودهم لتقوية طاقات ألمانيا الفاشية العسكرية وبعث مؤسساتها الحربية العملاقة .

وكانت المصالح الأمريكية فى ألمانيا مشغولة فى انتاج الاسلحة الحربية والمعدات والمحركات . وكان هناك سيل دافق من الأسلحة والذخائر ينساب بسخاء من الولايات المتحدة الى ألمانيا . وحصلت الشركات الأمريكية على موافقة حكومتها على بيع النازيين اختراعاتها ، وترخيصاتها ، للسماح لهم بتصميم أحدث طرز الأسلحة ومحركات الطائرات والطائرات الحربية ، وأجهزة الاسلحة وصناعاتها . ووفرت هذه الشركات لألمانيا علاماتها التجارية وابتكاراتها لصناعة المطاط الصناعى ، والزيت الصناعى والمتفجرات الجديدة ، كما ساعدتها فى تنظيم انتاج الالومنيوم ، والمغنيسيوم ، والبريليوم ، وغير ذلك من المواد الاستراتيجية المهمة .

وبذل الاحتكاريون البريطانيون قصارى جهودهم لمجاراة أندادهم من الامريكيين . وكانت الخطوة الخطيرة والمهمة التى خطوها عقد اتفاق بحرى مع ألمانيا فى عام ١٩٣٥ . ولم يكن هذا الاتفاق الا خرقا ثنائيا لمعاهدة فرساي ، اذ سمح لألمانيا بتشبيد أسطول لها يضم عددا كبيرا

(١) مجلة « فورتنايتلى ريفو » عدد أول يناير عام ١٩٣٣ . ص ٤٦ و ٤٧ .

من الغواصات، ونص على أن تقدم بريطانيا لألمانيا كل عون مالى واقتصادى وعلمى وتقنى لتحقيق هذه الغاية . وقام الامبرياليون الفرنسيون أيضا بدورهم فى اعادة بناء طاقات ألمانيا العسكرية .

وقدمت الدوائر الحاكمة فى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا لألمانية هتلر ، بالاضافة الى المعونات المالية والاقتصادية . كل دعم سياسى ودبلوماسى . وكانت تهدف بعملها هذا قبل كل شئ الى عزل الاتحاد السوفياتى على المسرح الدولى .

وخان الامبرياليون الامريكان والانجليز والفرنسيون مصالح شعوبهم عندما أنفقوا بلايين الدولارات فى مساعدة الاحتكاريين الألمان على تغذية الهتلرية وتسليح الجيوش الفاشية . وكانوا هم الذين شجعوا المعتدين النازيين على المطالبة بالنمسا وتشيكوسلوفاكيا ، ليدفعوا بهم الى مقربة من الحدود السوفياتية ، وذلك بعد أن رفضوا جميع الاقتراحات التى تقدم بها الاتحاد السوفياتى لتأمين الرادع المشترك الذى يوقف الغزاة الفاشيين عند حدودهم .

ولم تقرر أية دولة بورجوازية حماية أمن الشعوب وسلامتها ضد الاعتداءات الفاشية المتصاعدة عن طريق اتباع سياسة ثابتة، وصارمة . ووقف الاتحاد السوفياتى وحيدا فى جهوده لشكم الفاشيين ورفع لواء السلام .

ولكن قوات الاتحاد السوفياتى وحده ، وهو الدولة الاشتراكية الوحيدة فى العالم آنذاك ، لم تكن كافية بالرغم من دعم أصدقاء السلام فى البلاد الأخرى لها ، لاحباط المخططات العسكرية التى وضعتها البلاد الامبريالية المعتدية . وكان فى الامكان تجنب الحرب لو أن حكومات بعض البلاد الرأسمالية وشعوبها ، اتحدت معا فى النضال من أجل السلام . واقترح الاتحاد السوفياتى اقامة جبهة متحدة تضم الشعوب والحكومات للحيلولة دون نشوب حرب عالمية جديدة . وكان هذا فى الواقع لباب الاقتراحات التى تقدم بها الاتحاد السوفياتى لاقامة نظام للأمن الجماعى فى أوروبا .

ولكن المعتدين ومعاونيهم على الشر ردوا على هذه الاقتراحات بكثير من الاستخفاف الذى لم يحاولوا اخفائه . وأعلنت حكومة هتلر بصورة رسمية أنها لا تقرر الفكرة ، وتعارض كل اتفاقات للعون المتبادل ضد الاعتداء . وكان هذا أمرا متوقعا بالطبع . فقد نبعت معارضتها للأمن الجماعى من

نياتها العدوانية . ولكن الولايات المتحدة وبريطانيا عارضتا أيضا وبصراحة ، فكرة الأمن الجماعى .

وقام السير جون سيمون وزير الدولة البريطانى للشئون الخارجية فى شهر مارس من عام ١٩٣٥ ، بزيارة هتلر فى برلين . وأثمرت المحادثات التى أجريها ، قيام جبهة ألمانية - انجليزية مشتركة ضد الأمن الجماعى . وقدم السير جون بعد عودته الى لندن تقريرا أعرب فيه عن رضاه عن آراء هتلر اذ قال : « أوضح الهر هتلر بصورة لا تقبل الشك أن ألمانيا ليست على استعداد لتوقيع ميثاق شرقى يربط ألمانيا بنص على العون المتبادل . وليست ألمانيا على استعداد بوجه خاص للاشتراك فى ميثاق للعون المتبادل مع روسيا . . . وراح الهر هتلر فى مناسبة أخرى يؤكد صعوبة تحديد المعتدى فى أى نزاع . وسئل هتلر عن رأيه فيما اذا قام الفرقاء الآخرون فى مثل هذا الميثاق المقترح بتوقيع اتفاق للعون المتبادل بينهم ، فرد بأنه يعتبر هذه الفكرة فى منتهى الخطورة » (١) .

وأرغم الضغط الألمانى - البريطانى - الأمريكى المشترك الدول الأوروبية واحدة اثر أخرى على رفض الاقتراحات السوفياتية للأمن الجماعى . ولكن الضغط الشعبى أجبر حكومتى فرنسا وتشيكوسلوفاكيا فى عام ١٩٣٥ على توقيع معاهدات للعون المتبادل مع الاتحاد السوفياتى . ولو أن هاتين الحكومتين اخلصتا فيما بعد لهذه الالتزامات ، لعملت هذه المعاهدات كحاجز أمام العدوان النازى . ولكن الحكومتين الفرنسية والتشييكوسلوفاكية لم تكونا مخلصتين منذ البداية للمعاهدات التى عقدتاها مع الاتحاد السوفياتى .

وبذل الاتحاد السوفياتى جهودا مضنية لاقتناع عصابة الأمم ، بأن تمثل دور الحارس الجماعى للسلام ، وأن تتخذ اجراءات فعالة ضد الاعتداء الفاشى الذى كان قد بدأ بالفعل . ولكن هذه الجهود ضاعت هباء أيضا . فقد كانت الحكومتان البريطانية والفرنسية اللتان تلعبان الدور الأول فى عصابة الأمم ، مشغولتين بتمهيد الطريق للعدوان بدلا من محاولة كبحه . وكان هذا هو السبب الذى دفع العصابة الى تجاهل الاقتراحات السوفياتية ، والى اظهار عجزها بصورة متعمدة . ووصمت العصابة نفسها طيلة الوقت بوصمة تشجيعها للعدوان ، وكانت هذه الحقيقة سببا فى موتها الحتمى . ولم يكن فى الامكان أيضا تحقيق وحدة الطبقة العاملة . فقد مزقت

(١) عدد صحيفة التايمز فى ١٠ ابريل ١٩٣٥ .

القيادات اليمينية فى الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية فى البلاد
الراسمالية ، الحركات العمالية ، ورفضت باصرار جميع العروض الشيوعية
لإقامة عمل مشترك ضد الفاشية والحرب . وقد وقع هذا فى وقت كان
العمال إبانهم يضجون باصرار مطالبين بالوحدة . وكانت المساعدات التى
قدمتها جماعات العمال لاسبانيا الجمهورية نموذجا للتضامن البروليتارى
العمالى على الصعيد العالمى . وحارب الوطنيون من أربع وخمسين دولة ،
منهم الشيوعيون والاشتراكيون والكاثوليك وأعضاء الأحزاب البورجوازية
الصغيرة والمستقلون جنبا الى جنب ضد القوى الفاشية فى ميادين
اسبانيا . وكانوا جميعا يعرفون أنهم بمحاربتهم للفاشية الإيطالية –
الألمانية إنما يدافعون عن بلادهم أيضا ، وعن شعوبهم ضد طغيان الغزو
الامبريالى .

وكان الشعب السوفياتى منسجما مع أهدافه السلمية وهو يقدم
الدعم لشعوب الحبشة واسبانيا والصين .

وترك نضال الاتحاد السوفياتى من أجل السلام ، أثرا دوليا
ضخما . ولكن هذه المحاولات من أجل السلام ، لم تحل دون أن يكون
الشعار الذى رفعتة القوات السوفياتية المسلحة والشعب السوفياتى
كله ، الاستعداد الحربى الكامل لدفع العدوان الامبريالى وصدّه .



صفحة مونيخ وذيولها

- ١ -

أقامت ألمانيا وإيطاليا ، انسجاماً منهما مع اصرارهما على مضاعفة أعمالهما العدوانية وتهيئة المسرح للحرب العالمية ، محور برلين - رومة الحربى فى الخامس والعشرين من أكتوبر من عام ١٩٣٦ .
• واتفقت الدولتان على خطة عمل مشتركة ضد الدول الأوربية .
ولم يمض شهر على ذلك حتى كانت ألمانيا توقع فى الخامس والعشرين من نوفمبر ميثاقاً عسكرياً مع اليابان ، انضمت اليه إيطاليا فى العام التالى .

وأطلق الفاشيون رغبة منهم فى اخفاء حقيقة أهدافهم فى السيطرة على العالم ، وفى الحفاظ على عطف العناصر الحاكمة فى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا على الحلف الذى عقده اسم ميثاق مكافحة الكومنترن .
ونص البيان الرسمى للمعاهدة على الزام الفرقاء « بمكافحة نشاطات الكومنترن » فى الداخل والخارج ، بينما نصت بنودها السرية على شن حرب مشتركة ضد الاتحاد السوفياتى .

وكانت لهذا الميثاق فاعليته بالرغم من عملية التغطية الغربية التى حملها وهى مكافحة الكومنترن ، فقد هيا للمعتدين الفاشيين الفرصة لتنفيذ خططهم الحربية ، واشعال نيران الحرب التى سملت بصورة متدرجة عددا من البلاد والمناطق فى الكرة الأرضية .

وحل عام ١٩٣٨ وهو آخر عام سبق نشوب الحرب فى أوروبا .
وكانت الحرب قد اندلعت فى مناطق واسعة . فقد كان الشعب الصينى

يقاوم ببسالة الغزو الامبريالى اليابانى . وكان العاملون فى اسبانيا يحاربون ببطولة العدوان الفاشى . لكن الجزء الأكبر من أوروبا كان لا يزال ينعم بالسلام ، ولم تكن الدول الكبرى قد « أمسكت بعد بخناق بعضها البعض » .

وأضاف عدم التساوى فى التطور الاقتصادى والسياسى والرأسمالى شيئا من الوقود الى المنافسات بين الدول الامبريالية . وكانت ألمانيا ، كما فعلت من قبل فى الحرب العالمية الأولى ، قد تقدمت اقتصاديا وأخذت تتحدى المصالح البريطانية والفرنسية فى العالم ، محققة الكثير من النجاح . وأخذ الخطر المهدد للولايات المتحدة ينمو بسرعة . وأصبحت ألمانيا متفوقة على جميع منافساتها فى أوروبا فى جميع الميادين الاقتصادية الهامة . واشتد الوضع خطورة ودقة بعد خريف عام ١٩٣٧ ، عندما اجتاحت أزمة اقتصادية جديدة كلا من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ، دون أن تصيب الدول المعتدية وهى ألمانيا وإيطاليا واليابان ، اذ كانت قد وضعت اقتصادها على قدم الاستعداد الحربى .

وتشرح الأرقام الرسمية التالية المأخوذة عن احصاءات الدول الأوروبية الرسمية الأوضاع الاقتصادية فى البلاد الرأسمالية فى أوروبا فى عام ١٩٣٧

الانتاج فى البلاد الرأسمالية فى عام ١٩٣٧

| السيارات بالآلاف | الالومنيوم بآلاف الاطنان | الصلب بملايين الاطنان | الحديد بملايين الاطنان | |
|---------------------|-----------------------------|--------------------------|---------------------------|----------|
| ٣٣١ | ١٢٧ر٦ | ١٩ر٤ | ١٦ر٠ | ألمانيا |
| ٥٠٤ | ١٩ر٣ | ١٣ر٢ | ٨ر٦ | بريطانيا |
| ٢٢٧ | ٣٤ر٥ | ٧ر٩ | ٧ر٩ | إيطاليا |
| ٧٢ | ٢٢ر٩ | ٢ر١ | ٨ر | فرنسا |

وتبين هذه الأرقام أن ألمانيا كانت متفوقة على بريطانيا وفرنسا فى انتاج الحديد والصلب والالومنيوم . وكان تفوقها فى الالومنيوم ، تلك المادة المهمة للغاية فى الأغراض الاستراتيجية عظيما جدا . وكانت الصادرات الألمانية قد تعدت صادرات فرنسا وأصبحت معادلة لصادرات بريطانيا . وأدت هذه الأسباب الاقتصادية الى الاسراع فى خطر الحرب .

وحاولت حكومات الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا الآن كما حاولت من قبل حل تناقضاتها الامبريالية مع ألمانيا عن طريق توجيهه اعتداءاتها الى الشرق ضد الاتحاد السوفياتي . ولكن هتلر كان بطيئا في تقبل هذا التقرب . وهكذا قررت هذه الحكومات أن تدفعه الى القيام بأعمال عدوانية جديدة ، ولذا فقد عقدت سلسلة من المحادثات في شهر نوفمبر من عام ١٩٣٧ ، شهدها ممثلون عن الدولتين الغربيتين وعن ألمانيا النازية .

وهكذا اجتمع اللورد هاليفاكس حامل أختام الملك آنذاك ، ووزير الخارجية لاحقا بهتلر في أوبر سالزبورج ، كما أجرى الوزراء الفرنسيون محادثات مع ويلزيك سفير ألمانيا في باريس ، واجتمع الدكتور بنيش التشيكوسلوفاكي الى ممثلي الجستابو . وأخيرا وليس آخرا ، اجتمع سبعة من كبار الصناعيين والسياسيين الأمريكيين وبينهم دوبونت وفاندنبرج وسلون وآخرون في سان فرانسيسكو في نوفمبر من عام ١٩٣٧ الى ممثلين نازيين هما البارون فون تيبيلسكير ش ، والبرون فون كيلينجر .

وكانت الديمقراطيات الغربية في جميع هذه المحادثات تطرى هتلر على معاملته الارهابية لأبرز رجال ألمانيا ، وتحمله على الزهو فخارا بأحاديث رجالها عن رسالة ألمانيا « كالحصن المنيع ضد البلشفية » . وكان ممثلوها يشيرون اشارات واسعة الى هتلر بأن في وسعه القيام بحملات عسكرية في الشرق ، ويشجعونه على الاسراع في الخطط التي وضعها لاحتلال النمسا وتشيكوسلوفاكيا وبولنده ليعزز امكاناته الحربية، وليستولى على رءوس جسور هامة تنفعه في اعتداءاته المقبلة . ومضى الاحتكاريون الأمريكيون الى أبعد من زملائهم الآخرين في اتفاقاتهم السرية .

واتخذ الفريقان في مؤتمر سان فرانسيسكو قرارا مشتركا يقضي بتعاون أمريكا وألمانيا في « تنظيم أسواق ضخمة في روسيا والصين » (١) . ولم يكن هذا القرار الا نقطة تفاوض في طريق اقتسام العالم بين الدولتين الامبرياليتين الكبيرين . ولكن الوضع الذي كان قائما في تلك الأيام، والذي تميز بحدة التناقضات الامبريالية ، حال دون تحقيق هذه المخططات .

وكان واضعو السياسة الأمريكية يهدفون الى زعامة كتلة مناهضة

(١) سجلات الكونجرس - ٢٠ أغسطس ١٩٤٢ . ص ١ - ٢٢٦٤ - ٢٢٦٦ .

من الدول الامبريالية للسوفييات ، على أن تكون ألمانيا الهتلرية فوتها الرئيسية . وكان هذا هو الهدف الذي توخته أمريكا من دعوتها في شهر يناير من عام ١٩٣٨ الى عقد مؤتمر الدول الخمس في واشنطن الذي يضم الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا . ونوحت حكومه الولايات المتحدة من هذا الاقتراح ، أن تتولى زمام المبادرة في موضوع الوصول الى اتفاق مع المعتدين الفاشيين . لكن هذا لم يرق للطبقة الحاكمة في بريطانيا ، اذ كانت لها خططها الخاصة والمماثلة في هذا الصدد أيضا . وهكذا لم يقدر لفكرة مؤتمر واشنطن أن تتحقق . ولكن العناصر الرئيسية في هذه الخطة سرعان ما تحولت الى واقع ، وان كان في صورة مغايرة الى حد ما ، في مؤتمر عقد في مونيخ .

وكانت ألمانيا الهتلرية نحس بسوء من الختسية من تنفيذ عزمها على اغتصاب النمسا . ولم يكن زعماءها جد واثقين من أن عملا عدوانيا من هذا الطراز الضخم يمكن أن يمر دون أن يلقى عقابا . وتضمنت خططهم لغزو النمسا ، والمعروفة باسم عملية « اوتو » ، نصوصا عسكرية تطبق في حالة اسراع الدول الأوروبية الى الرد . وعرف الساسة الامريكيون والبريطانيون بهذه المخاوف النازية فسارعوا الى تبديدها . وأوفد الرئيس الأمريكي السابق هربرت هوفر في مهمة الى أوروبا حيث اجتمع في برلين الى هتلر وجورنج ، واستعلم منهما عن نواياهما ، وأقرهما على خططهما العدوانية . وعندما عاد هوفر الى الولايات المتحدة أعلن أن ألمانيا أو غيرها من الدول الفاشية لا تريد الحرب مع الديمقراطيات الغربية، طالما أن هذه لن تحول أو تعرقل تقدم الفاشية الى الشرق .

وقام السير نيفيل هندرسون ، سفير بريطانيا في ألمانيا بزيارة هتلر أيضا . وقد أبلغ الفوهرر أن بريطانيا على استعداد لاطلاق يده في النمسا وتشيكوسلوفاكيا ودانزيج . وقال تشمبرلين رئيس الوزراء في مجلس العموم البريطاني أن على عصبة الأمم ألا تتخذ الشعوب الصغيرة والضعيفة فتحملها على الاعتقاد بأن في وسعها أن تحصل على ضمانات الأمن ضد العدوان (١) .

وأعلن رئيس وزراء بريطانيا في خطاب عام آخر أن ليس ثمة ما يمكن له أن يعين بلادا صغيرة اذا تعرضت للغزو ، الا اذا كان لها أصدقاء أقوياء على استعداد لتولى حمايتها ورعايتها (٢) . وأضاف أن النمسا مفتقرة الى مثل هؤلاء الأصدقاء .

(١) صحيفة التايمز عدد ٢٣ فبراير ١٩٣٨ .

(٢) « المناقشات البرلمانية - مجلس العموم » ٧ مارس ١٩٣٨ ص ١٥٦٥ .

واجتاحت القوات الألمانية فى الحادى عشر من مارس النمسا ، ولم يمض يومان حتى كانت ألمانيا قد ضمتها اليها كإقليم شرقى لها . ولم تتطوع أية بلاد رأسمالية بتقديم أى احتجاج رسمى على هذا العمل العدوانى . وسارعت بريطانيا وفرنسا الى الاعتراف بالانسلوس . وأغلقت الولايات المتحدة سفارتها فى فيينا واستعاضت عنها بقنصلية . وأجرى كوردل هل وزير خارجية أمريكا حديثا وديا مع ديكهوف سفير ألمانيا فى واشنطن . وأبلغ السفير حكومته فى برلين أنه « اتضح له من الأسئلة القليلة التى وجهها أن الوزير الأمريكى يفهم تمام الفهم عملنا» (١) وردت الاحتكاكات الأمريكية على احتلال النمسا بمنح ألمانيا عددا من الاجازات الصناعية المهمة من الناحية الاستراتيجية . ولم يقد الفاتيكان أيضا بأية حركة لمعارضة قيام ألمانيا الفاشية باغتصاب النمسا الكاثوليكية .

وساعد الحكام البورجوازيون فى بريطانيا وفرنسا ألمانيا بدعمهم لاغصابها النمسا على تثبيت مركزها فى أوروبا الوسطى ، وخافوا بذلك المصالح الوطنية لبلادهم . وهناك حقائق ووثائق لا عد لها ولا حصر تقيم الدليل على الفوائد الاستراتيجية الضخمة التى حققها النازيون من احتلالهم للنمسا .

ويكفى هنا أن نقبس ما قاله الجنرال يودل ، رئيس قسم العمليات فى مفر قيادة هتلر ، وذلك فى المحاضرة السرية التى ألقاها على الحكام النازيين فى نوفمبر من عام ١٩٤٣ . « لم يحقق الانسلوس مجرد هدف قومى قديم ، وإنما ترك آثاره فى تعزيز قوانا القتالية من ناحية وتحسين مواقعنا الاستراتيجية تحسينا كبيرا من الناحية الأخرى . فبينما كانت أراضي تشيكوسلوفاكيا تمثل حتى ذلك التاريخ اندفاعا بارزا يتوغل فى الأراضي الألمانية ، وحزاما ضيقا يتجه نحو فرنسا ويصلح كقاعدة جوية للحلفاء ولا سيما روسيا . أصبحت تشيكوسلوفاكيا نفسها الآن محاطة بةكلى كماشة . وبات وضعها الاستراتيجى سيئا ، بحيث بات من المحتوم سقوطها فريسة لأى هجوم عنيف من جانبنا قبل أن يكون فى امكان أية مساعدة جديدة من الغرب الوصول اليها » (٢) .

ولا شك فى أن الاستيلاء على النمسا ، قد سهل على النازيين الى حد

(١) وثائق عن سياسة ألمانيا الخارجية (١٩١٨ - ١٩٤٥) من سجلات وزارة الخارجية الألمانية السلسلة د (١٩٣٧ - ١٩٤٥) المجلد الاول (من نوراى الى ريبنتروب سبتمبر ١٩٣٧ الى سبتمبر ١٩٣٨) لندن ١٩٤٩ ص ٥٨٣ .
(٢) وثائق محاكمات نورمبرج - المجلد الرابع ص ٤١٩ .

كبير انباع سياسة عدوانية تجاه تشيكوسلوفاكيا ، اذا أصبحت مطوقة
بفكي الكماشة الألمانية من الشمال والجنوب . ومع ذلك فقد كان فى وسع
العون السوفياتى أن يحسن من أوضاع تشيكوسلوفاكيا الى حد كبير .
ولعل هذا هو السبب الذى دعا الدول الغربية الى تسليم تشيكوسلوفاكيا
الى هتلر دون صراع مسلح ، بعد استيلائه على النمسا .

وكانت النمسا مهمة أيضا من الناحية الاستراتيجية ، فقد كانت
قائمة فى قلب أوروبا ، وكانت تعمل كجسر يصل ألمانيا بايطاليا والمجر
ويوجوسلافيا والدول البلغانية الأخرى . ولا شك فى أن حركات الألمان
اللاحقة فى الأقسام الجنوبية الشرقية من أوروبا قد أفادت الى حد كبير من
هذه المزية العسكرية البعيدة المدى .

وأقتبس هنا ما قاله مؤرخان أمريكيان همسا هاينز وهوفمان عن
أثر الاستيلاء على النمسا (الانشلوس) على التطورات اللاحقة اذ قالوا . . .
» كان الانشلوس من الأحداث الأولى فى أهميتها فى تاريخ هذه السنوات
التي تميزت بالفوضى الدولية . فقد وضع ألمانيا فى مركز سمح لها
بأن تطوق جناح تشيكوسلوفاكيا ، وأن تجزئها عندما أصبح الوقت
مهيئا لذلك ، كما جعل ألمانيا على حدود دول البلقان ومكنها من أن تشدد
فى سياسة الزحف الى الشرق . ولا شك فى أن تحقيقها لهاتين الميزتين ،
قد أتاح للنازيين المجال اللازم من حرية العمل ، لمتابعة حرب الأعصاب
التي أظهروا فيها حتى ذلك التاريخ براعة ممتازة يضاف الى هذا أن
الانشلوس شد ايطاليا الى ألمانيا برباط ونيق لا ينفصم . فقد تبخرت
حرية موسوليني فى العمل ، وأصبح تحت رحمة هتلر . وأخيرا يجب
أن يقال : ان الانشلوس قد قلل من مكانة بريطانيا وفرنسا ومن
قوتها » (١)

ووجهت الحكومة السوفياتية تحذيرا فى الوقت المناسب من النتائج
الخطيرة التي أسفرت عن استيلاء ألمانيا هتلر على النمسا . وراحت على
النقيض من الحكومات البورجوازية تدين العدوان الألمانى بصورة علنية ،
وتناشد الدول المعنية القيام بعمل مشترك ضد الغزاة . فقد أذاع وزير
الخارجية السوفياتية على الصحافة مذكرة رسمية بعث بها الى جميع
الحكومات هذا نصها :

» تم ارتكاب العنف هذه المرة فى قلب أوروبا مما أدى الى خلق خطر

(١) كتاب «حذور الحرب العالمية الثانية وأسها» لجسروف هاينز وروس

هوفمان - مطبعة جامعة أوكسفورد - ١٩٤٣ ص ٤٢٨ .

واضح لا على الدول الاحدى عشرة التى تقع على حدود المعتدين فحسب ،
وانما على جميع البلاد الأوروبية أيضا بل وعلى بلدان العالم كله كذلك .
ويتجسد الخطر حتى الآن على السلامة الاقليمية للدول الصغيرة وعلى
استقلالها السياسى والاقتصادى والثقافى . لكن تعرضها للاستعباد
الحتمى ، سيمهد الطريق على أى حال لاشتداد الضغط ، ووقوع الهجوم
أيضا على الدول الكبرى » (١)

واقترحت الحكومة السوفياتية أن تسارع الدول الى بحب الموضوع
ضمن اطار عصبة الأمم أو خارجها ، لاتخاذ الإجراءات العملية المناسبة ،
وناشدت جميع الدول ولا سيما الكبيرة منها أن تجد طريقة « لانقاذ
السلام » بصورة جماعية (٢)

وسارعت وزارة الخارجية البريطانية الى تقديم ردها الذى وقع
موظف صغير من موظفى الوزارة . وتضمن هذا الرد أن الحكومة البريطانية،
ترى أن بحث موضوع اتخاذ اجراءات جماعية ضد العدوان غير وارد
اطلاقا اذ أن مثل هذه الاجراءات لا يمكن أن تترك أثرا نافعا على احتمال
السلام الأوروبى (٣)

ولم يكن الرد البريطانى مفاجئا على الاطلاق ، فالحكومة البريطانية
لم ترغب فى الاشتراك فى عمل جماعى ، لأنها كانت مصممة ، شابهة
فى ذلك شأن حكومتى الولايات المتحدة وفرنسا على تشجيع هتلر على
مواصلة اعتداءاته . وهكذا أصبح مصير تشيكوسلوفاكيا معلقا فى كفة
الأقدار .

- ٢ -

وراحت الجماعات الرجعية فى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا
تدفع هتلر الى متابعة سياسة العنف ، حتى قبل أن يتمكن من هضم
فريسته الأولى وهى النمسا . وأعلنت صحيفة الديلى اكسبريس ، أن
الانشلوس النمساوى لم يغير شيئا فى الوضع على الاطلاق . وأضافت
أن النمسا بلاد ألمانية ، حتى قبل مجيء هتلر الى الحكم . وقالت : ان على
بريطانيا أن تهتم بشئونها ، التى لا علاقة لها بتشيكوسلوفاكيا . وهكذا

(١) وثائق وزارة الخارجية السوفياتية - موسكو ١٩٤٨ . المجلد الاول - ص

١٠٤ .

(٢) نفس المصدر ص ١٠٥ .

(٣) نفس المصدر ص ١٠٦ .

قدمت الصحافة البريطانية تشيكوسلوفاكيا الى هتلر على طبق من الفضة . ولكن القول أسهل من العمل دائما ، فقد منلت سياسة الاتحاد السوفياتي المحبة للسلام ، والرأى العام الديمقراطي فى البلاد البورجوازية ، ووطنية الشعب التشيكوسلوفاكى ، عفبات منيعة فى طريق استيلاء هتلر على تشيكوسلوفاكيا . وكان هذا هو السبب الذى أدى الى استغراق الصراع على تشيكوسلوفاكيا عدة أشهر .

وخيل الى الامبرياليين الألمان فى بداية الأمر ، أن عليهم أن يفوموا بهجوم مسلح على تشيكوسلوفاكيا . وكتب هتلر فى أمر وجهه الى قيادته « صممت تصميمًا قاطعا على تحطيم تشيكوسلوفاكيا عن طريق العمل العسكرى فى المستقبل القريب » (١) وتم اعداد خطة للعمليات أطلق عليها اسم خطة « جرون » . وكان اغتيال السفير الألمانى فى براج ، المبرر الذى ستعتمد عليه ألمانيا فى مبادرتها الى الهجوم .

ولكن شعب تشيكوسلوفاكيا ، حزم أمره على الدفاع عن بلاده . وأعلن الاتحاد السوفياتى استعداداه لتقديم كل عون الى تشيكوسلوفاكيا تطبيقا لمعاهدة المساعدة المتبادلة ضد العدوان ، المعفودة بين البلدين . ولا شك فى أن هذا الاعلان نبط كثيرا من عزائم التصميم الألمانى على الهجوم . وكان احنمال نسوب صراع مسلح طويل الأمد ، لا يتفق مع رغبات النازيين أو حمانهم من العناصر الحاكمة فى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا . وكان هذا هو السبب الذى أدى الى العدول عن خطة « جرون » ، والى البحث بحثا مستفيضا عن حل « لا عسكرى » للمشكلة التشيكوسلوفاكية .

وانهمك الدبلوماسيون الأمريكيون والبريطانيون والفرنسيون فى هذا العمل . وقام سمنر ويلز وكيل وزارة الخارجية الأمريكية وبرنارد باروخ المالى الأمريكى المعروف برحلة الى أوروبا . وحاول الرجلان كل ما فى وسعهما للتأثير على الحكومة التشيكوسلوفاكية واقناعها بتلبية طلبات هتلر . وحذر ويلز الوزراء الفرنسيين من التورط فى حرب مع ألمانيا دفاعا عن تشيكوسلوفاكيا ، وأضاف ان الولايات المتحدة لن تساعد فرنسا فى مثل هذه الحالة بجندى واحد . أو بفرانك واحد . وأخذ سفراء أمريكا فى أوروبا وهم ويليام بوليت فى باريس وجوزيف كنيدي فى لندن وهيو ويلسون فى برلين ، يهيئون الجو لاستسلام تشيكوسلوفاكيا لطالب ألمانيا الهتلرية .

(١) محاكمات نورمبرج - المجلد الثالث - ص ٤٣ .

وأعدت الحكومتان البريطانية والفرنسية العدة لإيفاد بعثة الى براج « برياسة » اللورد رانسيومان الدبلوماسي البريطاني البارز المشايخ لهتلر . وخولت هذه البعثة أن تعد ما تراه من توصيات لحل مشكلة تشيكوسلوفاكيا . وسرعان ما أعلنت هذه التوصيات التي أصرت فيها بعثة رانسيومان على وجوب تسليم بلاد السوديت التشيكوسلوفاكية الى ألمانيا ، وعلى منع كل دعاية معادية لألمانيا في تشيكوسلوفاكيا ، وعلى أن تلغى تشيكوسلوفاكيا معاهدة المساعدة المتبادلة التي كانت قد عقدتها مع الاتحاد السوفياتي ، وأن تعقد اتفاقا اقتصاديا غير موات لها مع ألمانيا

واجتمع نيفيل تشمبرلين رئيس وزراء بريطانيا مرنين مع هتلر ، لبحث مقترحات بعثة رانسيومان ، وكان يتقدم بتنازلات واسعة في كل من المقيالتين . وسافر هيو ويلسون سفير أمريكا في برلين في تلك الأيام الى براج لافناع الحكومة التشيكية « بالرضوخ » الى ألمانيا . ووافقت حكومة الرئيس بنيش التشيكوسلوفاكية تحت ضغط أمريكا وبريطانيا وفرنسا الدبلوماسي على تسليم البلاد الى النازيين . ورفضت الأوساط البورجوازية الحاكمة في البلاد فكرة خوض كفاح شعبي تحرري ضد الغزاة النازيين . وضحت هذه الأوساط ، حرصا منها على مصالحها ، ببلادها وشعبها ، ورفضت عروض المساعدة التي قدمها الاتحاد السوفياتي مؤثرة ذل الاستسلام على قبولها . وكان هذا العمل خيانة وطنية من هذه الأوساط .

ولم يتردد الانحاد السوفياتي في أن يجهر بموقفه في الدفاع عن سيادة تشيكوسلوفاكيا الوطنية على بلادها . وراح يؤكد من جديد استعداداه لمساعدتها تنفيذا للمعاهدة التي عقدها معها . وكان نص المعاهدة ينطوي على تحفظ أصر بنيش على ادراجه في صلب المعاهدة عند توقيعها ، وهو يفضي بأن تظل هذه المعاهدة سارية المفعول في حالة وفاء فرنسا بالتزاماتها تجاه الاتحاد السوفياتي وتشيكوسلوفاكيا . وعندما اتضح ابان بلوغ الأزمة ذروة حدتها أن فرنسا غير عازمة على الوفاء بالتزاماتها ، راح الاتحاد السوفياتي يؤكد أنه لن يستغل هذا التحفظ ، للتراجع عن المساعدات التي وعد بتقديمها . وأعلن الاتحاد السوفياتي بصورة رسمية أنه على استعداد لتقديم العون العسكري الى تشيكوسلوفاكيا حتى ولو تخاذلت فرنسا ، أو رفضت رومانيا التي يحكمها بويار وبولنده بيك السماح للقوات السوفياتية بالمرور عبر أراضيها . لكن الحكومة السوفياتية اشترطت لتقديم هذه المساعدة

شرطا واحدا ليس الا ، وهو أن تطلب تشيكوسلوفاكيا نفسها هذه المساعدة من الاتحاد السوفياتي .

وحاول الامبرياليون اضعاف الأثر الذي خلفه هذا الموقف السوفياتي الصامد على أصدقاء السلام في العالم . وراح الرجعيون الامبرياليون يدفعون حكام اليابان الى القيام بعملية استفزاز ضخمة للاتحاد السوفياتي . وشرع العسكريون اليابانيون في صيف عام ١٩٣٨ في شن هجوم مسلح على الاراضي السوفياتية على مقربة من بحيرة هاسان . وكان الهدف من هذا الهجوم ، اختبار مدى استعداد القوات السوفياتية المسلحة واضعاف الجهود السوفياتية لنصرة تشيكوسلوفاكيا .

ولكن المغامرة اليابانية سرعان ما تحطمت ، فقد تمكنت القوات السوفياتية من تحطيم قوات اليابانيين الغازية ، وأجبرت الحكومة اليابانية على المطالبة بوقف اطلاق النار في حرب كانت هي التي أنارتها .

وكانت أزمة تشيكوسلوفاكيا قد بلغت ذروتها . وكان التخلي عنها ووضعها تحت رحمة هتلر ، قد أصبحا من الأمور المتوقعة في كل لحظة . ولكن الرأي العام العالمي لم يكن قد عرف هذه الخطة بعد ، وكان الاحتكاريون يخشون أشد الخشية من نتائج تنفيذها ، اذ كانوا يعرفون ، أن غضب الرأي العام سيكون عنيفا . يضاف الى هذا أن الاتفاق على الصفقة لم يكن قد تم بعد . فلم يكن هدف الاحتكاريين الاكتفاء بتسليم تشيكوسلوفاكيا الى هتلر ، وانما كانوا يريدون أن يبيعوا تشيكوسلوفاكيا اليه مقابل ثمن يريدونه . أجل ، كانت الحكومات الأمريكية والبريطانية والفرنسية تنشئ تعويضا على تخليها عن تشيكوسلوفاكيا ، وهو أن يعدها هتلر بالأل يقوم بأى عدوان في الغرب ، وأن يركز مخططاته على الشرق .

وأراد الامبرياليون الأمريكيين من جديد أن يتولوا الزعامة في عقد الصفقة الغربية مع هتلر . وكرس الرئيس روزفلت سلسلة من الرسائل لتحقيق هذه الغاية . ولكن بريطانيا كانت تود الاحتفاظ بزمam المبادرة في التعامل مع المانيا ، ولم تكن راغبة في التخلي عنه الى أية دولة أخرى . وهكذا تخلى البريطانيون والفرنسيون عن الولايات المتحدة ، ولم يشركوها في المحادثات التي أجروها مع هتلر في مونيخ .

وقامت الحكومتان البريطانية والفرنسية رغبة منهما في تحطيم أية معارضة شعبية للصفقة الاجرامية التي عقدتها مع هتلر ، بعملية سياسية واسعة النطاق ، لحمل شعبيهما على عدم الاهتمام بالصفقة ،

وذلك عن طريق تخويفهما بأن الحرب ستقع . فقد سبقت الاستعدادات العسكرية الواسعة النطاق في بريطانيا وفرنسا ، والتي شملت دعوة القوات الاحتياطية وتوزيع الأقنعة الواقية من الغازات على السكّاء وبناء الملاجئ الواقية من الغازات الجوية في المدن الكبرى ، واختبارات الإطفاء في حالة وقوع الغارات الجوية ، مؤتمر مونيخ . وكان الهدف من هذه الاستعدادات اقناع شعبي بريطانيا وفرنسا ، بأن من الخير الإذعان لمطالب هتلر في تشيكوسلوفاكيا ، خوفا من اندلاع نيران الحرب . لكن مثل هذا الاحتمال لم يكن قائما في ذلك الحين ، إذ إن ألمانيا نفسها لم تكن قد استعدت بعد لحوض حرب كبرى . وكانت رغبة كل الرغبة في تجنب الاشتباك في صراع مسلح .

- ٣ -

شهد مؤتمر مونيخ الذي عقد يومي ٢٩ و ٣٠ سبتمبر كل من سمبرلين وهاليفاكس عن بريطانيا وديلاييه وبونيه عن فرنسا ، وهتلر وريبنتروب عن ألمانيا ، وموسولينى وتشيانو عن إيطاليا . وذكر هتلر سامعيه في خطابه الافتتاحي أنه كان قد أعلن في خطاب آخر ألقاه في ستاد رياضي أن القوات الألمانية سمدخل تشيكوسلوفاكيا في وقت لا يجاوز الأول من أكتوبر . وقال : إن الهدف من المؤتمر ، تسوية مشكلة تشيكوسلوفاكيا دون اللجوء إلى القوة من أي فريق . ولم يكتثر بالقلق الذي بان على محياه ، وراح يطلب إلى المجنمين أن يقوموا بعمل فوري .

ولم تكن إشارة هتلر إلى الخطاب الذي ألقاه في الملعب الرياضي في السادس والعشرين من سبتمبر ، مجرد حادث عارض . فقد ذكر فيه أن ما تطلبه ألمانيا من تشيكوسلوفاكيا « هي آخر المطالب » التي ستتقدم بها بلاده . وأضاف أنه في حالة تحقيقها فسيتمجه بأنظاره إلى الشرق . وقال : إنه بعد تسوية مشكلة السوديت الألمان ، لن تكون لألمانيا أية مطالب اقليمية أخرى في أوروبا . ولكنه أوحى لسامعيه بأنه عني بكلمة « أوروبا » الجزء الغربي من القارة ليس إلا . وكانت تعليقات حكومات الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا على الخطاب الذي ألقاه في الملعب وقبل انعقاد المؤتمر ودية للغاية . وقد ظهر هذا الاتجاه من نغمة الخطاب الذي ألقاه تشمبرلين رئيس الوزراء في مجلس العموم في الثامن والعشرين من سبتمبر .

واستقبل المجتمعون في مونيخ اشارة هتلر الى خطاب الملعب استقبالا وديا أيضا . وأسرع تشمبرلين وموسوليني وديلايديه الى التسليم بما قاله ، وشكروه على صراحته ، وأفروه على ضرورة الاسراع في العمل الى أقصى حد ممكن . واعترف ديلايديه رئيس وزراء فرنسا بأنه وافق على الغزو الألماني لنشيكوسلوفاكيا ، دون استشارة الحكومة التشيكوسلوفاكية ، ومتجاهلا معاهدة التحالف المعقودة بين البلدين . زتحدث تشمبرلين مرات عدة ابان الجلسات وأوحى لسامعيه بأن الحكومة البريطانية تعتبر نسويه المسئلة التشيكوسلوفاكية خطوة في طريق التقارب الانجليزى - الألماني ، وأنها ستترك أثرها أيضا على التطور المقبل في السياسات الأوروبية .

وسرعان ما ناقش المجتمعون نص اتفاق مونيخ ووقعوا عليه . وقد « أعطى » الاتفاق من الناحية الشكلية لألمانيا الحق في ذلك الجزء من تشيكوسلوفاكيا الذى نقيم فيه الاقلية الألمانية ليس الا . ولكن نفل هذا الجزء الى الأراضى الألمانية عنى فى الواقع سيطرة ألمانيا على الحدود الطبيعية لتشيكوسلوفاكيا وعلى التحصينات الدائمة التى كانت تلك البلاد قد أقامتها فى ذلك الجزء . ونص الاتفاق أيضا على منع تشيكوسلوفاكيا من تدمير تلك التحصينات أو نقل المعدات الثقيلة الموجودة فيها الى أماكن أخرى . وأعرب الاتفاق عن تصوره امكان اجراء استفتاء عام فيما تبفى من تشيكوسلوفاكيا وعن ضرورة ارضاء المطالب الاقليمية لكل من بولنده والمجر فى البلاد . وأعلن الاتفاق أن تشيكوسلوفاكيا ستنال ضمانات دولية لحدودها الجديدة فى حالة قبولها لجميع هذه الشروط . وهكذا عمل اتفاق مونيخ فى الواقع على تحطيم الدولة التشيكوسلوفاكية وعلى تمهيد الطريق لاستيلاء ألمانيا وبولنده والمجر على الأرض التشيكوسلوفاكية كلها .

واستدعى الوفد التشيكى ، بعد انتهاء المؤتمر ، وخروج المؤتمرين من القاعة ، لاطلاعه على الاتفاق المعقود . وأعلن الناطق الفرنسى بمنتهى الحشونة والصراحة أن الحكم النهائى قد صدر وأن هذا الحكم لا يقبل التعديل أو الاستئناف . وهكذا تقرر مصير تشيكوسلوفاكيا .

واجتمع هتلر وتشمبرلين ثانية فى اليوم التالى ، وأصدرا بيانا مشتركا أعلنوا فيه أن بلاديهما لن تشتبكا فى حرب الواحدة منهما ضد الأخرى . وجرى البحث فى اصدار اعلان فرنسى - ألماني مماثل . ولكن التوقيع عليه لم يتم الا فى وقت لاحق أى فى السادس من ديسمبر من عام ١٩٣٨ .

وهكذا ظهر عنصران واضحا في صفقة مونيخ . أول هذين .
العنصرين أن الدول الغربية كانت تواقا لدفع العدوان الألماني باتجاه
الشرق ، وأنها قررت النخلي عن تشيكوسلوفاكيا وتسليمها لرحمة ألمانيا
كتعويض للأخيرة وعلى تعهدا بمحاربة الاتحاد السوفياتي بدلا من بريطانيا
وفرنسا . وأما العنصر الثاني فهو أن تشيكوسلوفاكيا ستستخدم
كمصدر لتعزيز طافات ألمانيا العسكرية .

وكتب أوتو آبيتز رئيس جواسيس هتلر في فرنسا والذي كان
يمهد الطريق لغزو النازيين للبلاد الغربية في يومياته : أن ألمانيا تعهدت
باحترام « الوضع القائم » على نهر الراين كتعويض على السماح لها بإطلاق
يدها في الشرق . (١)

وعم الفرح أوساط أمريكا الامبريالية للنتائج التي حفتها خيانة
مونيخ ، وبعث ويليام هدمسن رئيس شركة جنرال موتورز الأمريكية
ببرقية الى هتلر يهنئه فيها على النتيجة . وذكر كوردل هل وزير الخارجية
أن نتائجها مهدت السبيل « الى احساس عالمي بالراحة » . (٢) وبعث
ببرقيات التهئة الى كنيدي وبوليت وكار على الاعمال الناجحة التي قاموا
بها (٣) . ووصف سمنر ويلز وكيل وزارة الخارجية الأمريكية موقف
الدوائر الأمريكية الحاكمة على النحو التالي : « كانت المصالح المالية
والتجارية الكبرى في الديمقراطيات الغربية بما فيها الأمريكية ، تعتقد
في تلك السنوات التي سبقت الحرب اعتقادا جازما بأن نشوب الحرب بين
الاتحاد السوفياتي وألمانيا الهتلرية سيكون في مصلحتها . وكانت هذه
المصالح ترى ان روسيا ستتهزم ، وأن هزيمتها ستؤدي الى القضاء على
الشيوعية ، وأن ألمانيا ستضعف ضعفا شديدا من جراء الصراع ، بحيث
تنقضى سنوات عدة قبل أن تصبح قادرة على توجيه أى تهديد خطير لما
تبقى من العالم » (٤) .

وصورت صفقة مونيخ المعيبة الى الشعوب على أنها عمل عظيم من
أعمال الحفاظ على السلام . وتوقفت الاعدادات الحربية في بريطانيا
وفرنسا ، وراحت الصحف تمجد بناء السلام في مونيخ . ولكن لم يكن

(١) أوتو آسنر في كتابه « مشكلة اللحوم » - مطبعة جريسن - كولون ١٩٥١

ص ٩٤ .

(٢) مذكرات كوردل هل - نيويورك ١٩٤٨ . المجلد الاول . ص ٥٩٥ .

(٣) نفس المصدر ص ٥٩٦ .

(٤) سمنر ويلز في كتابه « وقت القرار » - نيويورك ولدن ١٩٤٥ ص ٣٢١ .

من المقدر لهذه الحيانة المعيبة أن تحفظ السلام ، وانما كانت مقدمة
لحرب عالمية جديدة .

ويقول المؤرخ الأمريكى هربرت فايس . . مكن اتفاق مونيخ هتلر
من تمزيق تشيكوسلوفاكيا ، كما جعل بولنדה والاتحاد السوفياتى
مكتشوفين للهجوم الألمانى « . (١) ويعترف المؤرخ الألمانى الغربى ميشيل
فرويد فى كتابه « تاريخ ألمانيا » أن « العالم بأسره هوى عندما اهتزت
أرض بوهيميا تحت أقدام الفرق الألمانية ، الزاحفة . وهوت القواعد التى
أقامتها معاهدات فرساي الى الحضيض . وأصبح الطريق الى الشرق
مفتوحا أمام الرايخ الألمانى » (٢)

وكان حكام الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا لا يزالون يأملون
فى استخدام ألمانيا فى تحقيق أهدافهم . ومثل اتفاق مونيخ ذروة
سياستهم فى تشجيع العدوان الفاشى . ولم يكن الشعب
التشييكوسلوفاكى فى هذه الصنفقة أكثر من نقد صالح للتداول .

واستنكرت الأحزاب الشيوعية فى جميع البلاد هذه الصنفقة ،
وأهابت بالشعوب أن تقاوم الخطر المتزايد باحتمال نشوب حرب عالمية .

وأتمت ألمانيا الهتلرية فى مارس من عام ١٩٣٩ احتلال ما تبقى من
تشيكوسلوفاكيا . وسارعت حكومات الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا
الى اقرار هذا العمل الجديد من أعمال العدوان النازى . وأعلن
تسمبرلين فى مجلس العموم البريطانى انه يرفض اعتبار الاستيلاء على
تشيكوسلوفاكيا عملا من أعمال العدوان . (٣)

وحسن الاستيلاء على تشيكوسلوفاكيا المركز الاستراتيجى لألمانيا
الهلترية وضاعف من طاقاتها الحربية . وتحدث جورنج مطولا فى هذا
الموضوع بعد شهر الى موسولينى فأكده له أن الاستيلاء على
تشيكوسلوفاكيا ، خلق جوا صالحا كل الصلاح للهجوم على بولنדה ثم
قال . . . « ولقد أظهر تسليح تشيكوسلوفاكيا على أى حال . خطورة هذه
البلاد ، حتى بعد اتفاق مونيخ ، فى حالة نشوب صراع جدى . وتحسن
وضع دولتى المحور لأسباب عدة ، منها انتقال طاقات تشيكوسلوفاكيا

(١) هربرت فايس فى كتابه « تشرشل وروزفلت وستالين - الحرب التى خاضوها
والسلام الذى نشدوه » لندن - ١٩٥٧ . ص ٤ .

(٢) ميشيل فرويد فى كتابه « تاريخ ألمانيا » - المطبعة التجارية - ١٩٦٠
ص ٦٢٣ .

(٣) التايمز اللندنية عدد ١٥ مارس ١٩٣٩ .

الانتاجية العظيمة الى ألمانيا وما تؤمنه من احتمالات اقتصادية ضخمة .
ولا شك في أن هذه الخطوة أسهمت الى حد كبير في تقوية مركز المحور
بالنسبة الى الدول الغربية . يضاف الى هذا ، أن ألمانيا لم تعد في حاجة
الى ابقاء فرقة واحدة على أهبة لحمايتها من تلك البلاد في حالة نشوب
حرب عظمى » (١)

وكانت الخطوات التي قام بها الاتحاد السوفياتي للدفاع عن
تشيكوسلوفاكيا ، هادفة الى تعزيز السلام العالمي وحماية الاستقلال
الوطني لجميع البلاد الأوروبية . وكان الاتحاد السوفياتي الدولة الوحيدة
التي رفضت الاعتراف باستيلاء ألمانيا على تشيكوسلوفاكيا . وبينت
الحكومة السوفياتية في المذكرة التي بعثت بها الى ألمانيا في الثامن عشر
من مارس من عام ١٩٣٩ ، أنها ترفض الاعتراف بوضع بوهيميا تحت
حماية الرايخ الألماني ، وبإدخال سلوفاكيا الى حد ما تحت سيطرة الرايخ
لأنها تعتبر ذلك منافيا للشرعية ، ومعارضاً مع مبدأ حق الشعوب في
تقرير مصيرها . ووصفت المذكرة قيام القوات الألمانية باحتلال
تشيكوسلوفاكيا ، بأنه عمل تعسفي من أعمال العنف والعدوان .
وأحدث الاستيلاء على النمسا وتشيكوسلوفاكيا تبدلات كثيرة في
علاقات القوة بين الدول الرأسمالية . وأصبح تفوق ألمانيا الهتلرية على
بريطانيا وفرنسا واضحا في جميع المجالات الاقتصادية الرئيسية .
ويظهر الجدول التالي المقتبس من الإحصاءات الصناعية الرسمية لمختلف
الدول هذه الحقيقة .

الانتاج في بلاد الرأسمالية الأوروبية في عام ١٩٣٩

| السيارات بالآلاف | الألومنيوم بالطن | الصلب بملايين الطن | الحديد بملايين الطن | |
|---------------------|---------------------|--------------------------|---------------------------|--------------------------------|
| ٤٢٠ | ٢٠٠ر٠٠ | ٢٣ر٢ | ٢٠ر١ | ألمانيا والنمسا وتشيكوسلوفاكيا |
| ٤٩٣ | ٢٥ر٠٠ | ١٣ر٨ | ٨ر٣ | بريطانيا |
| ٢٣٠ | ٥٠ر٠٠ | ٧ر٩ | ٧ر٤ | فرنسا |
| ٧٧ | ٣٤ر ٢ | ٢ر٣ | ١ر١ | إيطاليا |

(١) وثائق محاكمات لورمبرج - المجلد الثالث . ص ١٧٠ - ١٧١ .

وكان من الطبيعي بعد هذه التطورات أن تتزايد وبسرعة التناقضات الامبريالية بين ألمانيا وبين نظيراتها من الدول الغربية . ومع ذلك فقد حاولت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا حل هذه التناقضات على حساب الاتحاد السوفياتي ، وواصلت تبعا لذلك سياسة حث العدوان الفاشي وتشجيعه .

ولما كان سطر من القوات الألمانية والايطالية المسلحة لايزال مسمرا في أسبانيا حيث كان صراع التحرر ضد الفاشية لايزال ناسبا . فقد قررت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا مساعدة ألمانيا في انتهاء الحرب الأسبانية . وقام عملاء بريطاني والولايات المتحدة بتنظيم مؤامرة في مدريد ضد الحكومة الجمهورية الشرعية ، ولطعن الشعب الأسباني في ظهره ، ومساعدة فرانكو على اقامة حكمه الفاشي في البلاد كلها . وكان الطراد البريطاني ديفونشاير قد اشترك قبل مدة قصيرة ، في عملية قام بها العصاة ضد الحكومة الشرعية في جزيرة مينورقا .

واهتبلت ألمانيا الهتلرية فرصة هذه الاوضاع المواتية التي خلفتها هذه المعونات الغربية ، فراحت تستولى على منطقة كلايبدا في ليتوراليا كما قيدت رومانيا باتفاق اقتصادي لا متكافئ جعل من هذه الدولة تابعة لاقتصاد ألمانيا الحربى .

وقامت ايطاليا الفاشية في السادس من ابريل من عام ١٩٣٩ بغزو ألبانيا . ودافع الألبانيون بضراوة عن بلادهم ، ولم ينوقفوا عن المقاومة حتى بعد أن احتلت القوات الايطالية بلادهم كلها . وكان الاتحاد السوفياتي الدولة الوحيدة من جديد التي استنكرت العدوان ، والتي اعتبرته خطوة جديدة في طريق الحرب العالمية .

وضمت المانيا بعد اجتياحها تشيكوسلوفاكيا ، مقاطعتي بوهيميا ومورافيا الى بلادها ، وأقامت حكومة تابعة لها في سلوفاكيا . ولم تتضح أياما عدة نوايا ألمانيا بالنسبة الى الأجزاء الأوكرانية وراء جبال الكربات والتي كانت تؤلف جزءا من تشيكوسلوفاكيا . . وراحت الصحف الأمريكية والبريطانية والفرنسية الرجعية تحث هتلر على أن يضم أوكرانيا السوفياتية الى هذه الأجزاء ، محرضة اياه بذلك على شن الحرب على الاتحاد السوفياتي ، ومقدمة اليه الحافز على هذه الحرب .

وكتب ويليام بوليت سفير الولايات المتحدة في باريس في تلك الايام أن ألمانيا ستحاول عند ما يحين الوقت ، الاستيلاء على أوكرانيا التي تعتبر

أغنى بقاء الاتحاد السوفياتى فى انتاج القمح . ولا شك فى أن ألمانيا ستوسع خطوطها فى هذه العملية الى حد تعجز فيه عن تحمل الجهد الشاق الذى يفرضه هذا التوسع مما يؤدى الى انهيارها فى النهاية . وستحاول اليابان أيضا الاستيلاء بدورها على سيبيريا ، وتنهار هى الأخرى نتيجة عجزها عن تحمل الجهد الناشئ من هذا التوسع . ولكن فرنسا وانجلترا تحولان ، عن طريق التخلي عن روسيا لمصيرها ، الخطر الألمانى عن بلاديهما . (١)

وكشف المؤتمر النامن عشر للحزب الشيوعى السوفياتى عن مخططات دعاة الحرب . وأعرب عن تصميم الحزب والشعب على صد العدوان الألمانى . ونعفلت ألمانيا الهتلرية فى تلك الأيام فوعت ماعناه هذا الانذار ، وراحت نسلم الأجزاء الأوكرانية وراء الكربات الى المجر ، منخلة بذلك عن المبرر لقيام أى صراع مع الاتحاد السوفياتى ، ومثيرة بذلك شهية الفاشيين المجرين ، مما مهد الطريق الى قيام حلف أوثق عرى بين ألمانيا والمجر .

وكانت هيئة أركان الحرب الألمانية قد أكملت فى غضون ذلك خططها للهجوم على بولنده ، وهى الخطة التى عرفت باسم عملية « خريف وبيس » . وأقر هتلر فى الحادى عشر من ابريل من عام ١٩٣٩ هذه الخطة ، التى تمثلت فى القيام بهجوم مفاجئ يؤدى الى اباداة القوات البولندية المسلحة اباداة كاملة . وقال هتلر فى حديث له مع تشيانو : ان من الواجب تحطيم بولنده ، وجعلها عاجزة عن العمل لعدة سنوات . (٢) وكان لابد من استهلال عملية « خريف وبيس » ، لاحتياط أية محاولة لقيام عملية تعبئة عامة منظمة فى بولندا ، بهجوم مفاجئ بقوات تكون غالبيتها من النوع الآلى والمدرع ، وتكون متأهبة ، فى انتظار اشارة الانطلاق على مقربة من الحدود . وكان لابد من الاحتفاظ بالتفوق الأولى على حرس الحدود البولندى ، وبعنصر المفاجأة ، وهما أمران مؤكدان ، عن طريق الاسراع فى الاتيان بمجموعات أخرى من الجيش ، ومواجهة أى احتمال بزحف مضاد من الجيش البولندى . وكان على جميع الوحدات أن تحافظ على زمام المبادرة ضد العدو عن طريق العمل السريع ، والهجمات العنيفة . (٣)

(١) « المفكرة السرية لهارولد ايكس » - نيويورك ١٩٥٤ - المجلد الثانى

ص ٥١٩ .

(٢) وناق محاكمات نورمبرج - المجلد الثالث ص ٢٣٠ .

(٣) - بنفس المصدر المجلد الرابع ص ٤٢٦ .

وكان الهجوم على بولنده الذى مثل لحكام ألمانيا الهدف الفورى الأول لسياستهم العدوانية ، فى الواقع خطوة فى طريق الاستيلاء على العالم . وقرر هؤلاء الحكام أن يتبعوه بهجوم على الدول الغربية . وذكر أمر توجيهى صدر عن القيادة العليا الألمانية فى الحادى عشر من ابريل من عام ١٩٣٩ أن عداء الدول الديمقراطية الغربية هو الذى يقرر باستمرار الأهداف العظيمة المتوخاة من مواصلة العمل على تقوية القوات الألمانية المسلحة . وليست عملية خريف وبيس الا تكملة احتياطية لهذه الاعدادات ٠٠ (١) ويتضح لنا من هذا أن الهتلريين كانوا قد قرروا منذ شهر ابريل من عام ١٩٣٩ أن الهجوم على بولنده ليس الا « تكملة احتياطية » للحرب ضد الدول الغربية .

وكان الحلاف مستعرا منذ أمد طويل بين الدوائر الحاكمة فى ألمانيا ، حول تقرير المكان الذى توجه اليه الضربة الأولى فى الصراع من أجل السيطرة العالمية . وكان الرأسماليون الاحتكاريون والقيادة العسكريون متفقين فى رأى على أن الاتحاد السوفياتى يمثل العقبة الرئيسية فى طريق تحقيق « مشاريع » ألمانيا الطموحة فى الفتح والسيطرة . وكان من الطبيعى أن يجعل النازيون الألمان من الاتحاد السوفياتى . الدولة الاشتراكية الأولى فى العالم ، هدفا « لكرهم » الوحشى . ولكنهم كانوا يعرفون أن الحرب ضد الاتحاد السوفياتى ، ستفرض جزية ثقيلة على قواتهم المسلحة ، وعلى المؤخرة الألمانية . واعنفد معظم مخططي السياسة الألمانية والحالة هذه أن من الأفضل سحق خصومهم الضعفاء أولا فى المعسكر البورجوازى ، وبعد أن يضيفوا عن طريق فتوحاتهم فى الغرب قوة جديدة الى قوتهم ، يستديرون لمواجهة عدوهم الرئيسى ، وهو الاتحاد السوفياتى .

وكان تسلسل أعمال العدوان التى تنصورها الحكومة الألمانية يعتمد على قدرتها على تنظيم سلامة منطقة الروهر التى تمثل المحور الصناعى لألمانيا . فقد تحدث هتلر الى مؤتمر عسكري ضم كبار القادة المسئولين فقال ٠٠ « هناك الروهر الذى يمثل لنا كعب اخيل (٢) . ويعتمد سير

(١) - نفس المصدر ص ٤٢٤ .

(٢) اخيل ، نطل من أبطال اليونان الاسطوريين الذين حلداهم هومر فى الإلياذة ورددت الاساطير ان قوة اخيل كانت هائلة وان ضعفه كان مركزا فى كعب قدمه ، اذ قيل : ان أمه الآلهة ثيتيس ، أمسكت به من كعب قدمه ، عندما غطسه فى نهر ستيكس لتجعل منه بطلا لا يقهر . وكان كعب القدم الجزء الوحيد الذى لم يغطس ولم يكتسبه المناعة والقوة .

- العرب -

الحرب على امتلاكنا لهذه المنطقة • ولو تمكنت انجلترا وفرنسا من الاندفاع عبر بلجيكا وهولندا الى الروهر لتعرضنا الى خطر عظيم • ويمكن أن يؤدي مثل هذا التطور الى شل قدرة ألمانيا على المقاومة « (١) واعتبر الفادة العسكريون الالمان سياسة الترضية الغربية التي تجسدت في مونيخ ، علامة على ضعف الغرب ، وعاملا يساعدهم على تحقيق نصر سهل • وقد تعزز هذا الرأي بالقرار الذى أصدره هتلر بمهاجمة بولندا أولا ، ثم توجيه الضربة فى الغرب ، وهو قرار اتخذه بعد مؤتمر مونيخ، وكان نتيجة من نتائجه •

لكن التناقضات بين ألمانيا ومنافساتها من الدول الغربية ، وكذلك خططها العسكرية كانت تتأثر بتناقض أكبر يقوم بين ألمانيا الامبريالية والاتحاد السوفياتى • وكان الهتلريون يرون فى هزيمة أعدائهم فى الغرب ، دعوة مكشوفة للشروع فى هجوم على الاتحاد السوفياتى • وكان الهدف من هجومهم على بولندا أولا حرمان بريطانيا وفرنسا من حليفتهما الوحيدة فى أوروبا ، وتجنب احتمال الحرب معها فى حالة اتجاه هجومهم الى الغرب ، وثانيا الوصول الى الحدود السوفياتية ، على مفربة من بعض المراكز التى تعتبر من أهم مراكز البلاد • وأراد النازيون أن يقيموا الحنادق المنيعة على الحدود السوفياتية مسبقا ، وأن يبنوا رؤوس الجسور ونقاط الوتوب ، تمهيدا لهجومهم اللاحق على الاتحاد السوفياتى •

- ٤ -

لمست بريطانيا وفرنسا الخطر الذى انطوى عليه تحويل الأجزاء الاوكرانية وراء الكربات الى الجسر ، اذ عنى زوال الذريعة التى كان النازيون قد اقترحوا استعمالها كمبرر للهجوم على الاتحاد السوفياتى • يضاف الى هذا أن الألمان أعلنوا الغاءهم الاتفاق البحرى الذى كانوا قد عقدوه مع بريطانيا فى عام ١٩٣٥ وكذلك ميناق عدم الاعتداء الذى كانوا قد عقدوه مع بولندا فى عام ١٩٣٤ • ودفع كبار الساسة فى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا الى العمل • وكان لابد من اقناع هتلر بتغيير خطته التى اتضحت الآن ، وأن يتبنى خطة جديدة للعدوان على الاتحاد السوفياتى • وكان الامبرياليون الغربيون مصممين أشد التصميم على

(١) كتاب « المؤامرة النازية والعدوان » الذى أصدرته دائرة المدعى العام الأمريكى فى محاكمات نورمبرج - المجلد الثالث ص ٥٧٨ - واشنطن ١٩٤٦ • العرب

حل تناقضاتهم مع منافسيهم من الرأسماليين في ألمانيا واليابان ، ومع الاتحاد السوفياتي الاشتراكي عن طريق العمل على نشوب الحرب بين ألمانيا والاتحاد السوفياتي .

وبحثت لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكي في جلساتها التي عقدتها بين الخامس والعاشر من مايو عام ١٩٣٩ ، في الموقف الذي يتحتم على الولايات المتحدة اتخاذه تجاه احتمال نشوب حرب عالمية ، ومال معظم أعضاء اللجنة الى القول بأن الحرب العالمية ستؤمن للولايات المتحدة فوائد ضخمة . وأكد المتكلمون أن الحرب المتوقعة لن تفسد الاراضي الأمريكية . وذكر الأستاذ ستيلويل الحبر في الشئون الدولية أنه مهما كانت هناك متاعب للحرب في أوروبا وآسيا ، فإن الولايات المتحدة ستظل في نجوة من هذه المتاعب .

وجاءت المفاوضات بين أمريكا واليابان في أعقاب هذه المناقشة في لجنة العلاقات الخارجية ، وأسفرت هذه المفاوضات في الثالث والعشرين من مايو من عام ١٩٣٩ عن بروز فكرة الدعوة الى مؤتمر مماثل لمؤتمر مونيخ ، شريطة أن تشترك فيه هذه المرة كل من الولايات المتحدة واليابان (١) . وبذل الدبلوماسيون اليابانيون والأمريكيون الجهود الاولى المضنية طيلة الصيف لانجاح فكرة المؤتمر ، ولكن مخططي السياسة الأمريكية واصلوا الاهتمام بمشاكل أوروبا ، فأوفدوا اليها سياسيين من أبرز السياسة المؤيدين لهتلر وهما فاند نبرج وهاملتون فيشر ليطوفا بعواصم أوروبا الغربية بما فيها لندن . وذكر فيشر في مؤتمر صحفي أن الهدف من رحلته ، أن يمهد الجو « أثناء فترة المهادنة لعقد مؤتمر لوزراء خارجية ألمانيا وإيطاليا وفرنسا وبريطانيا ، يبحث فيه المجتمعون وسيلة للخروج من المازق الحرج » (٢) . وكانت هناك خطة للاعداد لصفقة جديدة كصفقة مونيخ ، لتسليم بولندا الى ألمانيا ، شريطة أن تعد هذه بالشروع في حرب عدوانية على الاتحاد السوفياتي .

وكانت اليابان قد اقترفت في غضون ذلك عملا جديدا من أعمال العدوان لمصلحة عصاباتنا الحاكمة ولمصلحة الحكام من ممثلي الرجعية الدولية . فقد هاجمت القوات اليابانية أراضي الاتحاد السوفياتي وجمهورية منغوليا الشعبية التي ترتبط بالاتحاد السوفياتي بتفاهم على العون

(١) « الشهادات أمام اللجنة المشتركة عن النحفات في الهجوم على بيرل.

هاربور » واشنطن ١٩٤٦ - الجزء ٢٠ الصفحة ٤١٢٢ .

(٢) النيويورك تايمز - ١٦ أغسطس ١٩٣٩ .

المتبادل . وكان الهجوم فى موقع هاخين جول ، وهو يهدف الى الاستيلاء على مغوليا ، والوصول الى الحدود السوفياتية عند منطقة بحيرة بيكال . واعتقد حكام اليابان أن هجوم هتلر على الاتحاد السوفياتى واقع لا محاله ، وكان هدفهم ، احتلال مواقع مواتية للوثوب على الشرق الأقصى السوفياتى وسيبيريا . وكان الاتجاه الحركى الذى هدف الى وصول اليابانيين الى منطقة بحيرة بيكال ، يعتبر فى خطة الحرب اليابانية كالاندفاع الرئيسى ، اذ يخلق تهديدا فوريا وسريعا للمواصلات بين الجزء الاوروبى من الاتحاد السوفاتى والشرق الأقصى .

وسر حكام الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا غاية السرور للهجوم اليابانى على جمهورية مغوليا الشعبية . واسنكملت الخطط الموضوعة لعقد مونينج جديدة فى أوربا بالخطط التى وضعت لمونينج أخرى فى آسا . وكان مخططو الحرب قد عنوا بتلك الدعوة الى مؤتمر فى المحيط الهادى ، مع دعوة شيانج كاي شيك رئيس حكومة الكومنتانج الصينية اليه .

ولكن فكرة عقد هذا المؤتمر منيت بالفشل ، اذ حطمتها التناقضات الامبريالية بين اليابان والولايات المتحدة . وتم الوصول الى صفقة جديدة « ومونينج أخرى » بين بريطانيا واليابان بدلا من ذلك المؤتمر . وتم التوقيع فى ٢٣ يوليو من عام ١٩٣٩ فى طوكيو على اتفاق أطلق عليه اسم اتفاق ارتيا - كريجى بالنسبة الى موقعيه وهما وزير خارجية اليابان والسفير البريطانى فى طوكيو . وتخلت بريطانيا بهذا الاتفاق عن الصين لليابان مقابل تأهب الأخيرة لشن حرب على الاتحاد السوفياتى . ونعهدت الحكومة البريطانية بالاعتراف بالوضع القائم فى الصين وبالتطلبات الخاصة للقوات اليابانية المسلحة العاملة فى تلك البلاد .

وأشار هاشيروارتيا ، وزير خارجية اليابان الى المحادثات الدائرة فى موسكو بين الاتحاد السوفياتى من ناحية وبريطانيا وفرنسا من الناحية الأخرى ، واستنكر المحاولات التى تقوم بها بريطانيا « لجر روسيا الى حلف عسكرى معها » . ورد السفير البريطانى كريجى بأن فكرة وجود حلف انجليزى - سوفياتى « لن يطبق بأى حال من الأحوال على الشرق الأقصى » (١) وقد جاء هذا القول فى الوقت الذى كانت فيه معركة هولخين جول مستعرة على أشدها ، وهى حقيقة تحسر النقاب عن المعنى الخفى الكامن وراء هذه التأكيدات .

(١) الوثائق الخاصة بالعلاقات الخارجيه للولايات المتحدة مع اليابان (١٩٣٩ -

١٩٤١) واشنطن ١٩٤٣ - المجلد الثانى . ص ٢ .

وهكذا نجد أن مؤيدي سياسة مونيخ قد تمكنوا فى الشرق الأقصى من تحقيق بعض النتائج من المحاولات التى قاموا بها لاشعال نيران الحرب ضد الاتحاد السوفياتى . لكن محاولاتهم فى أوروبا لدفع ألمانيا الفاشية الى الهجوم على الاتحاد السوفياتى لم تسر بنفس السرعة التى كان يأمل فيها سياسة بريطانيا وفرنسا . وقرروا على ضوء هذه الظروف الشروع فى مفاوضات مع الاتحاد السوفياتى . وقد اتخذ هذا القرار لتهدئة الرأى العام فى البلدين اذ كان ينادى بالتحالف مع تلك الدولة لكبح جماح العدوان الفاشى الأحمق المتزايد . يضاف الى هذا أن المحادثات هدفت الى اخافة هتلر من احتمال قيام تحالف انجليزى - فرنسى - سوفياتى ، ولتتفق بالتالى مع رغبتهم فى اظهار عزلة الاتحاد السوفياتى أمام أى عدوان فاشى . وكان الهدف بالطبع دفع ألمانيا الى شن الحرب على الاتحاد السوفياتى . وكانت بريطانيا وفرنسا تتوقعان أن تحملا الاتحاد السوفياتى أصفاد الالتزامات التى تورطها حتما وفى النهاية فى حرب ضد ألمانيا ، مع امتناعها فى الوقت نفسه عن اعطائها أية موائيق تؤكد عزمهما على مساعدتها . وكانتا تتوقعان أيضا أن تؤدى هذه الالتزامات الى ضمان عون الاتحاد السوفياتى لهما فى حالة تحرك الألمان باتجاه الغرب .

وهكذا لم تكن موافقة الانجليز والفرنسيين على التفاوض مع الاتحاد السوفياتى أكثر من مجرد حركة فى لعبة مزدوجة ، وإبراز لسياسة مونيخ فى ثوب جديد . وأمل الانجليز والفرنسيون عن طريق التلويح باحتمال اتفاقهم مع الحكومة السوفياتى فى اقناع الألمان بتوقيع اتفاق واسع المدى ، يضمن للاحتكارات البريطانية والفرنسية فى الأسواق العالمية عدم المساس بمصالحها ، كما يضمن مشروع الألمان فى الهجوم على الاتحاد السوفياتى .

وكان الاتحاد السوفياتى على النقيض من الدولتين الغربيتين مخلصا فى تطلعه الى اقامة جبهة متحدة من الحكومات والشعوب ضد العدوان الألمانى . وكان يرغب فى عقد اتفاق فعال مع بريطانيا وفرنسا يضمن سلامة أوروبا الوسطى والشرقية ويحدد شكل المساعدات الفورية والمتبادلة فى حالة وقوع العدوان ومداها .

وكانت السياسة السوفياتية جد واضحة لجميع أولئك الذين حملوا أنفسهم عناء البحث عن سير الأحداث . وكان الاتجاه البريطانى والفرنسى واضحا أيضا ، وضوحا كافيا . ويقول ميشيل فرويند بشئ من السخرية : ان الدول الغربية أرادت اكمال الحلقة ، بحيث يشن الاتحاد السوفياتى

الحرب على ألمانيا على أن يهبط عليها من طبقات الجو العليا ، اذ لا يسمح له بتوجيه جيوشه ضد ألمانيا عبر الأراضي البولندية ، وهى الطريق الوحيد التى لابد من اتباعها فى زحفه . وكان هذا هو السبب الذى أدى الى تعثر المفاوضات بين الدولتين الغربيتين وبين الاتحاد السوفياتى اذ كان لابد من تعثرها .

وأصرت الحكومة السوفياتية على أن يركز الاتفاق الثلاثى . على مبدأ التبادل والتعادل فى الالتزامات . لكن الاقتراحات الانجلو - فرنسية لم تنطو على أى حال ، على أى أثر من هذا المبدأ الأولى والهام والحيوى فى أية معاهدة متكافئة .

وسلكت الحكومتان البريطانية والفرنسية أثناء محادثتهما مع الاتحاد السوفياتى، سلوكا ذا وجهين كما كان واضحا . ولم تكن أفكارهما جادة فى الوصول الى اتفاق واسع المدى مع الاتحاد السوفياتى . وقد روى تشمبرلين هذه الحقيقة مرات عدة فى يومياته التى كتبها . فقد ذكر ان مفاوضات موسكو لم تكن تهدف الا الى الضغط على ألمانيا واقناعها بالتفاوض لعقد اتفاق جديد (١) . وأكدت هذه النقطة فى جميع التوجيهات التى صدرت الى الممثلين الدبلوماسيين والعسكريين من البريطانيين والفرنسيين الذين اشتركوا فى مفاوضات موسكو ، وتقول مذكرة سرية بعثت بها وزارة الخارجية البريطانية الى فرنسا فى الثانى والعشرين من مايو ما نصه : «قد يبدو من المرغوب فيه الوصول الى اتفاق يضمن مسارعة الاتحاد السوفياتى الى مساعدتنا فى حالة تعرضنا للهجوم فى الغرب ، لا بقصد ارغام ألمانيا على الحرب فى جبهتين فحسب ، بل ولسبب آخر ، وهو أن من الضرورى توريط الاتحاد السوفياتى فى الحرب فى حالة نشوبها » (٢) .

وذكر الدبلوماسيون البريطانيون والفرنسيون فى البداية أن معارضة ايستونيا ولاتفيا وليتوانيا تؤلف عقبة فى طريق الاتفاق مع الاتحاد السوفياتى . وسرعان ما أضافوا الى هذه الحجة، معارضة رومانيا وبولندا اللتين رفضتا قبول المساعدة السوفياتية ضد العدوان . وكتب جريجوار جافينكو وزير خارجية رومانيا فى تلك الأيام فى يومياته : « أن الحكومة

(١) كتاب «حياة نيفيل تشمبرلين» - لفيلنج - ص ٤٠٩ - ٤١٠ .

(٢) وثائق عن سياسة بريطانيا الخارجية (١٩١٩ - ١٩٣٩) - السلسلة الثالثة

اعداد اى . ال وورد واكيلر . المجلد الخامس - لندن ١٩٥٢ . ص ٦٤٦ .

البريطانية كانت مرغمة فعلا على أن تأخذ في عين اعتبارها معارضة بولندية ، وكذلك وإلى حد ما معارضة رومانيا » .

لكن جوهر القضية لم يكن في هذه الناحية وإنما كان كما كتب جافينكو فيما بعد في « مطالبة الدولتين الغربيتين بشيء آخر ، وهو أن ينضم الاتحاد السوفياتي إلى الضمانات التي كانتا قد « أعطتها » لبولندية ورومانيا (١) لكن مثل هذه الخطوة السوفياتية ستكون من جانب واحد ، إذ لم تقابلها التزامات مقابلة من جانب بريطانيا وفرنسا .

وكان الفاتيكان يقف أيضا موففا مؤيدا للسياسة الاستفزازية التي يتبعها البريطانيون والفرنسيون . وأيد البابا بيوس الثاني عشر إجراء محادثات جديدة بين الدولتين الغربيتين وألمانيا ، في شكل مونيخ جديدة ، وعلى حساب بولندية هذه المرة . وبعث في شهر يونيو من عام ١٩٣٩ ، رسالة خاصة إلى الرئيس البولندي ، حنه فيها على الاذعان لمطالب ألمانيا . ويقول أحد الباحثين : « وكان بيوس قلقا من احتمالات التفاوض في موسكو بين بريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفياتي لعقد ميثاق ٠٠٠ وكان الكرسي البابوي يخشى أن يؤدي التحالف المخطط له بين الاتحاد السوفياتي وبين الديمقراطيين الغربيتين ، إلى قيام السوفييات بلعب دور مهم في الدبلوماسية الأوروبية » (٢)

ولم تكن الحكومة السوفياتية بالطبع راغبة في قبول الدور الذي تريد منها الحكومتان البريطانية والفرنسية أن نمله . ولقد حددت صحيفة البرافدا في عددها الصادر في ٢٩ يوليو عام ١٩٣٩ ، وجهة نظرها تمام الحديد إذ قالت : « يتبين من كل هذا أن البريطانيين والفرنسيين لا يريدون معاهدة مع الاتحاد السوفياتي تستند إلى مبدأ المساواة والتبادل ، وذلك بالرغم من أنهم يقسمون الإيمان المغلظة في كل يوم على أنهم يؤيدون المساواة . وكل ما يريدونه هو الوصول إلى اتفاق يكون فيه الاتحاد السوفياتي العامل العادي الذي يحمل كل أعباء الالتزامات . وليس في مكنة أية دولة تحترم نفسها أن توافق على مثل هذا الطراز من الاتفاقات ، إلا إذا كانت تريد أن تكون لعبة في أيدي أولئك الناس الذين يريدون من الآخرين أن يعملوا لهم كل شيء . وليس

(١) جريحوار جافينكو - «الأيام الأخيرة لأوربا» - باريس ١٩٤٦ ، ص ١٧١ -

١٧٢ .

(٢) كميل سانفارا في كتابه «الفاتيكان والحرب» - نيويورك ١٩٥٤ . ص ١٧٠ -

١٧١ .

فى وسع الاتحاد السوفياتى الذى يعرف العالم كله قوته ، وسلطانه
وكرامته أن يعقد مثل هذه المعاهدة » .

ومع ذلك فقد واصل الاتحاد السوفياتى مدفوعا بحرصه على
السلام ، مفاوضاته مع بريطانيا وفرنسا ، آملا فى أن يغيرا موقفهما ،
حتى اليوم الذى وصلت فيه الحكومتان الغربيتان بالمحادثات الى طريق
مسدود .

ولا شك فى أن معرفة الحكومة السوفياتية بأن بريطانيا وألمانيا
كانت تواصلان طيلة الوقت محادثاتهما السرية التى كانت الحكومة
البريطانية تعلق عليها أهمية تفوق تلك التى تعلقها على مفاوضات موسكو،
قد تركت أثرا سيئا وملحوظا على الاجراءات التى كانت دائرة فى العاصمة
السوفياتية .

ولقد دارت المفاوضات السرية بين بريطانيا وألمانيا فى لندن فى
أشهر يونيو ويوليو وأغسطس من عام ١٩٣٩ . وكان يمثل بريطانيا
فيها روبرت هدرسون وزير تجارة ما وراء البحار وهيو ويلسون
مستشار نفيل تشمبرلين ومؤتمته الخاص . وأوفدت ألمانيا هيلموت
ووهلثات الحبير النازى فى الشئون التجارية والمبعوث فوق العادة .
وتركزت المحادثات فى سلسلة من الاتفاقات البارزة . فقد كان المطلوب
تحديد خط لمناطق النفوذ لبريطانيا وألمانيا بشكل ودى . وكان هذا
يعنى تقسيم العالم بينهما والتفاهم على الاستيلاء على الأسواق
الجديدة واستقلال الأسواق الراهنة ، وبينها أسواق روسيا والصين .
وعقد معاهدة عدم اعتداء بين إنجلترا وألمانيا . وكانت هذه المعاهدة
تعنى تخلى بريطانيا عن التزاماتها لبولندا . وهى الالتزامات التى
أخذتها على عاتقها قبل بضعة أشهر ليس الا . أى فى مارس من عام
١٩٣٩ ، عندما قدمت بريطانيا لبولندا ضمانات من جانب واحد ،
وفى ابريل من نفس العام عندما وقعت الدولتان معاهدة للعون المتبادل .
وتناولت المفاوضات الانجليزية - الألمانية أيضا المعونة الاقتصادية ،
والمالية التى ستقدمها بريطانيا الى ألمانيا الهتلرية ، والتى تشمل
تقديم قرض بقيمة ألف مليون من الجنيهات .

وكانت نغمة المحادثات مناوئة للسوفيات بصورة واضحة .
وذكر هربرت فون ديركسين . سفير ألمانيا انذاك فى بريطانيا ، فى
مذكراته . أن هدرسون أعد مخططات واسعة المدى لاجراءات عملية
انجليزية وألمانية مشتركة فى ثلاث مناطق وهى الامبراطورية البريطانية

والصين وروسيا . واكد «احتمال قيام المانيا بالاسهام في «نشاطات» اقتصادية واسعة في روسيا أيضا » (١) .

وهكذا أضاف هدسون شيئاً من الوقود الى الاطماع التوسعية النازية المركزة في السيطرة على الاقتصاد السوفياتى .

وأيد الزعماء اليمينيون لحزب العمال البريطانى سياسة التآمر مع النازيين . ودأرت محادثات سرية في أواخر شهر يوليو من عام ١٩٣٩ في لندن بين تيودور كوردت مستشار السفارة الالمانية وبين شارلز بوكستون الزعيم العمالى ، الذى أقر المخطط لتحديد مناطق النفوذ بين بريطانيا والمانيا . وقد أبلغ هذا الزعيم البريطانى ، كوردت الألمانى ، أنه في حالة وعد ألمانيا بعدم التدخل في شئون الامبراطورية البريطانية ، فان بريطانيا ستكون مستعدة لاحترام مصالح المانيا في أوربا الشرقية والجنوبية الشرقية ، وللتخلى عن الضمانات التى كانت قد تعهدت بها لبعض الدول ، ولاقناع فرنسا بنقض معاهدة العون المتبادل التى عقدتها مع الاتحاد السوفياتى ، ولقطع المفاوضات الدائرة في موسكو .

وكان هناك عدد آخر من الزعماء العماليين يؤيدون بوكستون تأييدا تاما . واقترح بيغن في مؤتمر لحزب العمال « صب موارد العالم الكبرى في مكان واحد ، واعطاء ألمانيا واليابان وإيطاليا « مكانا تحت الشمس » (٢) ، وكان هذا القول يعنى فى جوهره ، الاقتراح بتقسيم العالم على حساب أوربا الشرقية وعن طريق الحرب مع الاتحاد السوفياتى .

واجتمع ديركسين باللورد هاليفاكس وزير خارجية بريطانيا في شهر أغسطس من عام ١٩٣٩ ، الذى صرح بأنه تصور عالم ما بعد مونيخ ، على انه عالم تسيطر فيه ألمانيا على أوربا ، مع حقوق الافضلية في الأجزاء الجنوبية الشرقية من تلك القارة وتسيطر فيه بريطانيا على ممتلكاتها الامبراطورية وعلى الطرق البحرية الممتدة من أوربا الى المحيط الهادى والشرق الاقصى .

(١) هربرت فون ديركسين في كتابه «موسكو طوكيو ولندن . عشرون سنة من سياسة المانيا الخارجية» - لندن ١٩٥١ . ص ٢٣٨ .

(٢) مقال « بعد ساوثورت » لهارى بولت فى مجلة « لسور مونثلى » المجلد ٢١ - رقم ٧ . لعام ١٩٣٩ .

وكان من الواضح أن الشعبين البريطانى والفرنسى لن يقرأ مثل هذه الصفقات . فقد أكد جورج بونيه وزير خارجية فرنسا لويلجيك ، سفير ألمانيا فى باريس ، أن حكومته ستمنع عقد الاجتماعات العامة فى فرنسا ، وستعلق الحريات الديمقراطية ، وتعلن الحزب الشيوعى منظمة لا شرعية .

وبدلاً من أن تقوم الحكومتان البريطانية والفرنسية فعلاً ، بالحفاظ على السلام بالاشتراك مع الاتحاد السوفياتى ، راحنا توجهان العدوان الألمانى باتجاه الشرق . وكانت خطتهما لنخريب مفاوضاتهما مع الاتحاد السوفياتى قد وصعت مسبقاً ، إذ كانتا تأملان فى الوصول الى تفاهم مع ألمانيا . ولكن آمالهما تحطمت ، فقد كانت التناقضات الامبريالية الحادة التى تلتهم كل مرة بقوة متزايدة ، عندما يجرى البحث فى « مواضيع » التوزيع الاقليمى ، كبيرة الى حد أنها ألقت عقبة يصعب التغلب عليها .

وكان الامبرياليون الألمان يريدون استعادة المستعمرات التى كانت بريطانيا وفرنسا قد استولتا عليها منهم بعد الحرب العالمية الأولى . وكانوا يطمعون أيضاً فى ممتلكات جديدة . ولم يكن الامبرياليون البريطانيون والفرنسيون راغبين فى الوقت نفسه فى التخلي عن أى من ممتلكاتهم ، بما فيها تلك التى أخذوها من ألمانيا . واقترحوا عدداً كبيراً من الصفقات على حساب الدول الأخرى وممتلكاتها . فقد اقترحت بريطانيا فى احدى المراحل على سبيل المثال أن تقسم بريطانيا وألمانيا المستعمرات البرتغالية فى افريقيا . ولكن الحكام النازيين الألمان لم يكونوا ليرشوا برشوات صغيرة على حساب فريق ثالث ، فقد كانوا يطمعون فى مستعمرات بريطانيا وفرنسا وممتلكاتهما المستقلة .

وهكذا مثلت هذه التناقضات الامبريالية عقبة كأداء فى طريق الوصول الى اتفاق انجليزى - فرنسى مع ألمانيا الهتلرية .

- ٥ -

وضاعف رفض بريطانيا وفرنسا الوصول الى اتفاق مع الاتحاد السوفياتى ، حدة التوتر السياسى فى أوروبا . واقترب العالم من « شفير » كارثة عسكرية . وكان السؤال الوحيد الذى مازال ينتظر الرد ، تقرير

الجهة التي ستوجه إليها ألمانيا صربتها أولا - وكان الكثير يعتمد على أي توزع جديد للقوى في الحلبة العالمية .

وتحتم على الاتحاد السوفياتي أن يختار اختيارا ساقا . ففي وسعه أن يحاول من جديد الوصول إلى اتفاق مع بريطانيا وفرنسا ، وهو أمر يعرف مسبقا أنه سيفشل فيه ، أو يرضى بالعرض الألماني لعقد معاهدة عدم اعتداء . وكانت السياسة الاستفزازية للولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا كفيلة في الحالة الأولى بالزج بالاتحاد السوفياتي في حرب مبكرة وفي أوضاع دولية غير مواتية على الإطلاق . وكان الاتحاد السوفياتي سيتعرض حتما لهجوم ، إما من ألمانيا أو اليابان . وكان الصراع حول هولندي - جول يعتبر بمثابة انذار لما سيقع . وبالرغم من تحطيم المهاجمين اليابانيين هناك ، فقد رفضت اليابان الوصول إلى أية تسوية لأمع الاتحاد السوفياتي ، ولا مع جمهورية مغوليا الشعبية . وبدأ واضحا أنها كانت تنتظر المزيد من التطورات ، أملا منها في الهجوم على الاتحاد السوفياتي بالاتفاق مع ألمانيا . وكان الهجوم الألماني - الياباني على الاتحاد السوفياتي سيلقى حتما العون بطريق أو بآخر من الرجعيين في الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا . فلقد كان هذا المخطط على أي حال ، الذي وضعته الرجعية الامبريالية العالمية منذ مونيخ .

يضاف إلى هذا أن بريطانيا وفرنسا كانتا تعدان لحرب ضد الاتحاد السوفياتي . وكاننا تحشدان القوات الضخمة في الشرق الأوسط ، وتشددن من سياستهما المناوئة للسوفييات في شمال أوربا . ففي يونيو من عام ١٩٣٩ قام الجنرال وولتر كيرك ، القائد العام للقوات البريطانية في داخل الجزر البريطانية بزيارة فنلنده ، وشرب نخب رفضها قبول ما أسماه بالضمان السوفياتي . ووصل إلى فنلنده في أعقابها ، الاميرال بلونكيت الذي أعلن في خطاب ألفاه هناك . . . « وجهوا أفواه مدافعكم إلى كرونستادت » (١) .

وكان عقد معاهدة عدم اعتداء مع ألمانيا ، الشيء الوحيد الذي يستطيع الاتحاد السوفياتي أن يفعله . وكانت هذه المعاهدة تضمن له كسب بعض الوقت ، وإحباط اللعبة القذرة التي لعبتها حكومات الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا . وكان في حاجة ماسة إلى كسب الوقت ، إذ أتاح له فرصة جديدة لتعزيز دفاعه ، وتجنب إقصائه في حرب على جبهتين . وكانت هذه المعاهدة تحد من مخطط ألمانيا لمهاجمة الاتحاد

(١) اش . بي . ايليسون في كتابه « فنلنده تحارب » بوسطن ١٩٤٠ ص ٦٦٢ -

السوفيياتي ، اذ أن مثل هذا الهجوم سيكون خيانة ، وسيكشف ألمانيا كدولة معتدبة متعطشة للدماء ، تتنكر لجميع المعايير الدولية المعترف بها .

وكانت الاتهامات المناوئة للسوفييات والني انصبت على المعاهدة الألمانية - السوفيياتية ، تركز على الادعاء بأن الاتحاد السوفيياتي قد غير بعد التوقيع عليها سياسته الخارجية ، ورفض اجراءات الأمن الجماعي المناهضة لاعدوان الفاشي . لكنها اتهامات ظالمة وغير صحيحة . فالسياسة الخارجية السوفيياتية لم تتبدل على الاطلاق . وكان الهدف منها تمزيق الجبهة المناهضة للسوفييات التي أقيمت في مونيخ ، وهو أمر في مصلحة السلام قطعاً . ولقد حاولت الحكومة السوفيياتية أن تفعل ذلك عن طريق عقد اتفاق مناسب مع بريطانيا وفرنسا . ولم تقم الحكومة السوفيياتية بمعالجة القضية من الطرف الآخر ، أي عن طريق الاتفاق مع ألمانيا ، الا بعد أن قامت الحكومتان المذكورتان ، بتخريب النتيجة الطيبة المتوقعة للسياسة السوفيياتية .

أما بالنسبة الى الحكومة الألمانية ، فقد نبذ اقتراحها بعقد معاهدة عدم اعتداء بينها وبين الاتحاد السوفيياتي من رغبتها في تأجيل الصراع المسلح معه ، وهو صراع كان حكام الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا يعملون على الاسراع في انارته . واعتقد الامبرياليون الألمان أن بلادهم لم تغد بعد مستعدة لخوض الحرب ضد الاتحاد السوفيياتي ، اذ كان خوفهم من تلك الحرب يعادل رغبتهم فيها .

وتم التوقيع على معاهدة عدم الاعتداء بين ألمانيا والاتحاد السوفيياتي في موسكو في الثالث والعشرين من أغسطس من عام ١٩٣٩ .

وكان رد فعل الرجعية العالمية على المعاهدة الألمانية السوفيياتية عنيفا تمثل في حملات مسعورة على الاتحاد السوفيياتي اشترك فيها زعماء الجناح اليميني الاشتراكي . ولكن قد يكون من المناسب أن نتذكر ما قاله سمير ويلز ، الوكيل السابق لوزارة الخارجية الأمريكية حول الموضوع : « من المهم من وجهة النظر العملية أن نلاحظ أن هذه المعاهدة مكنت الحكومة السوفيياتية من تحقيق مزايا ثبتت قيمتها الضخمة لها بعد نحو من عامين عندما وقع أخيرا الهجوم الألماني عليها » (١) .

وكانت المعاهدة السوفيياتية - الألمانية سببا في احباط المخططات

(١) سمير ويلز - نفس المصدر - ص ٣٢٤ .

العدوانية التي وضعها الامبرياليون اليابانيون . وقدمت الحكومة اليابانية احتجاجا رسميا عليها الى ألمانيا ، ووصفتها بأنها عمل « يتناقض مع ميثاق مكافحة الكومنترن ، نصا وروحا » وساءت العلاقات بين ألمانيا واليابان وذكر كينسوكي هورنيوشي سفير اليابان في الولايات المتحدة لكوردل هل وزير خارجيتها أن اليابان « ستجد من الاهمية بمكان وجوب اتخاذ سياسة خارجية جديدة الى حد ما » (١) . واستفالت وزارة هيرانوما ، وجاء في البلاغ الرسمي الذي أصدرته الحكومة في هذا الصدد ما نصه : « نشأ وضع معقد وغير متوقع في أوروبا بعد التوقيع على الميثاق الألماني - السوفياتي . وقررت الحكومة اليابانية على ضوء هذه التبدلات وجوب النخلى عن سياستها السابقة . وبات من الضروري وضع سياسة جديدة تقوم على مبادئ جديدة » .

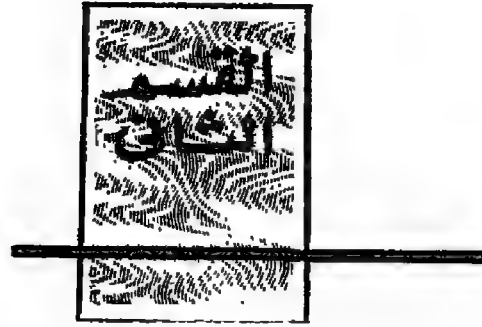
ووقع الاتحاد السوفياتي وجمهورية مغوليا الشعبية في الخامس عشر من سبتمبر اتفاقا مع اليابان أنهى المشكلة حول هولخين - جول .

وهكذا نرى أن معاهدة عدم الاعتداء الألمانية - السوفياتية تركت آثارا طيبة ، وقع بعضها بعد توقيعها مباشرة . ولكن يجب ألا نتجاهل المخططات الماكرة والمخادعة التي كان الزعماء النازيون يضعونها . فلم يكن النازيون يفسدون الاخلاص لهذه المعاهدة أمدا طويلا ، اذ كانوا في حاجة اليها لبعض الوقت الذي ظنوا أنفسهم فيه أنهم غير مستعدين لمحاربة الاتحاد السوفياتي .

وكان هذا هو السبب الذي دعا الشعب السوفياتي وقواته المسلحة الى عدم التراخي في الحرص وفي الاستعداد العسكري ، اذ لم يكن في وسع الاتحاد السوفياتي أن يعتمد على هذه المعاهدة .

(١) « الحرب والسلام - سياسة الولايات المتحدة الخارجية ١٩٢١ - ١٩٤١ -

وزارة الخارجية الامريكية ١٩٤٣ . ص ٤٨١ .



الحرب الزائفة

انزبار بولنده العسكري

الاتحاد السوفيتي يفلو على ألمانيا
طريق الزحف إلى الشرق

- ١ -

أضافت سياسة مونيخ الانجليزية - الفرنسية الهادفة الى تحويل الاندفاع الالماني الفاسى من الغرب الى الشرق باتجاه الاتحاد السوفياتى ، شيئاً من التصميم الى ما عقد عليه هتلر العزم من التروع فى الحرب بمهاجمة الدول الغربية .
ونصور البرنامج الامبريالى الالماني للسيطرة على العالم ، تحقيق النصر العسكري على بريطانيا وفرنسا . فقد ذكر هتلر فى خطاب ألقاه فى الثالث والعشرين من مايو من عام ١٩٣٩ ما نصه : « تمثل انجلترا ٠٠ العدو لنا ، وسيكون الصراع معها صراع حياة أو موت ٠٠ فانجلترا هى القوة المحرصة على ألمانيا » (١) . ولكن قادة هتلر العسكريين قرروا تسوية الحساب مع بولنده فى البداية .

وكانت مونيخ هى المسئولة أيضاً الى حد كبير عن قرار ألمانيا بمهاجمة تلك البلاد . فلقد ذكر هتلر لرفاقه : « أخذت بريطانيا وفرنسا على عاتقهما بعض الالتزامات ، ولكن أيا منهما ليست راغبة فى الوفاء بها ٠٠ ولقد رأينا تشمبرلين وديلايديه فى مونيخ وكانا كحشرتين شقيتين ، انهما لن يجروا على مهاجمتنا . ولو فرضنا أن الامور قد ساءت

(١) آى . دبليو . كوبر فى كتابه «محاكمات نورمبرج» - نيويورك ١٩٤٧ .

الى الحد الاقصى ، فان عملهما لن يتجاوز مجرد فرض الحصار علينا» (١) .

وأصدر هتلر فى الثانى والعشرين من أغسطس من عام ١٩٣٩ ، فى مؤتمر عسكري عقد فى اوبر سالزبورج ، أوامره الاخيرة بالهجوم على بولنده . وراح يقول للحاضرين : « سنواجهنا مهمة تحطيم بولنده ، وسيكون هدفنا ابادة القوات الحية لا مجرد الوصول الى خط معين . . وسأقدم سببا « دعاويا » للشروع فى الحرب ، ولا يهمنى ان صدقه الناس أو لم يصدقوه . ولن يسأل المنصر بعد نصره ، ان كان قد قال الحقيقة أولا . والتصر لا الحق هو الشئ المهم فى شن الحرب وخوضها» (٢) .

وكانت ألمانيا قد بدأت حملتها الدبلوماسية للهجوم على بولنده منذ ربيع عام ١٩٣٩ . وفى الثانى والعشرين من مارس طالب هتلر بولنده بأن تسلم اليه ميناء دانزيج ، وأن تقدم له ممرا ألمانيا خارج الاراضى الالمانية ، يمر عبر المر البولندى ، للوصول الى بروسيا الشرقية عن طريق السيارات والسكة الحديدية . وكان هذا الطلب بمثابة جس نبض ، فى وقت كانت فيه المحادثات البريطانية - الفرنسية - السوفياتية فى موسكو تطفى على الوضع الدولى العام .

وعندما أدرك الامبرياليون الالمان أن تشمبرلين وديلاييه ، مترددان فى عقد ميثاق للتعون المتبادل مع الاتحاد السوفياتى ، تزايدت جرأتهم ، وشرعت الصحافة الالمانية فى شن حملة دعائية قاسية على بولنده .

وأصدرت ألمانيا ليلة الثلاثين من أغسطس من عام ١٩٣٩ مذكرة عن موضوعى دانزيج والمر البولندى . وكانت هذه المذكرة معادلة لانذار نهائى ، وأصدرت الحكومة البولندية تعليماتها الى جوزيف ليبسكى ، سفيرها فى برلين بأن يتفاوض مع ألمانيا ، ولكنه لم يستطع الاتصال بأى من قادة الحكومة الالمانية . فقد رفضوا مقابلته ، وأعلنوا على الفور أن ألمانيا تنتظر وصول الممثلين البولنديين ، فاذا تأخروا عن المجئ ، عنى تأخرهم أن بولنده عازفة عن تسوية المشاكل الالمانية - البولندية بصورة سلمية .

وسرعان ما أتبعت هذه الخطوة بعملية استفزازية ، اذ جمع النازيون عددا من المجرمين من السجون الالمانية وألبسوا ملابس أفراد الجيش البولندى ، ثم صدر اليهم الأمر بأن يمثلوا دور هجوم زائف على مدينة

(١) وثائق عن العدوان على بولنده - المجلد الثانى - ص ١٣٣ .

(٢) محاكمات نورمبرج - المجلد الثالث من ص ٢٣٢ - ٢٣٣ .

جلوتيز الالمانية الواقعة على الحدود البولندية (١) . وكان هذا الهجوم الزائف هو «السبب الدعاوى» الذى ذكره هتلر فى حديثه فى الثانى والعشرين من أغسطس .

واندفعت الجيوش الالمانية تزحف على بولندة فى الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والاربعين من صباح اليوم الاول من سبتمبر من عام ١٩٣٩ . وأعلن هتلر فى البلاغ الذى وجهه الى جنوده : « تريد الحكومة البولندية أن تفرض علينا الحل الذى نريده بالقوة . . . ولم نعد بولندة على استعداد لإحترام حدود الرايخ . . . ولست أرى وسيلة لوضع حد نهائى لهذه الاعمال الجنونية من مقابلة القوة بالقوة منذ هذه اللحظة » (٢).

وكانت الآلة الحربية الالمانية قد تهيأت نهيؤا كافيا لهذه اللحظة ، واسنعدت لها . فقد اندفعت الى بولندة خمس وأربعون فرقة ألمانية من أحسن الفرق . بينها خمس من فرق الصاعقة وست من الفرق الآلية . وتقدمت عشر فرق أخرى لتمثل القوة الاحتياطية الاستراتيجية (٣) . وكانت هذه القوات البرية تنلقى الدعم من قوة جوية هائلة بزيد عدد طائراتها الحربية على الالفين .

ولم تكن بولندة عندما وقع الهجوم عليها ، قد أعلنت التعبئة العامة بعد ، وكانت تعتمد على قواتها العادية فى أيام السلم ، وهى قوات لاتعدو ثلاثين فرقة واننى عشر لواء من الفرسان وأربعمائة طائرة قديمة . وكان شطر كبير من الجيش البولندى يربط على حدود بولندة الشرقية . ولم تكن لبولندة حصون منيعة على حدودها الغربية ، وان كانت معظم صناعاتها تقع الى الغرب من وارسو ، فى المثلث الاستراتيجى الذى يقع على الحدود الالمانية - البولندية . وكان «الاتجاه الغربى» الذى اتخذته الطبقة الحاكمة فى بولندة ، والذى كان يتمثل فى معاملة الاتحاد السوفياتى، الجار الشرقى لبولندة معاملة عدائية ، قد ترك آثارا مفاجئة . وهكذا أصبحت الصناعة البولندية مكشوفة أمام الهجوم الالمانى .

وتمكنّت القوة الجوية الالمانية فى غضون أيام قليلة من إزالة القوة الجوية البولندية من الوجود ، وأنزلت الاضطراب والفوضى فى السكك

(١) دولر جورليتر فى كتابه «الحرب السريعة ١٩٣٩» مطبعة شتوتجارت

١٩٥١ . المجلد الاول . ص ٥١ .

(٢) محاكمات نورمبرج - المجلد الثالث . ص ٢٥٧ .

(٣) قام المؤرخ الالمانى فى كتابه « هذا الجيش - ١٩٣٩ - ١٩٤٥ » بالتثبت من

هذه الارقام - دارمستادت ١٩٥٦ .

الحديدية البولندية ، كما حالت دون أى توجيه للقوات البولندية .
وسار الهجوم الألماني تماما طبق الخطة المرسومة . واخترقت القوات
النازية فى السابع من سبتمبر الخطوط الدفاعية البولندية على الحدود ،
وسحقت القوات البولندية التى تحمى هذه الخطوط ، وأجبرت ماتبقى من
الجيش البولندى على التراجع فى فوزي واضطراب . وتوغلت الفرق
الألمانية فى بولندا من اتجاهات ثلاثة فى وقت واحد ، وهى بروسيا
الشرقية فى الشمال وألمانيا الشرقية فى الغرب وسلوفاكيا فى الجنوب .
وسارت هذه القوات منتشرة فى شكل مروحة ، وسرعان ما أحكمت الحصار
على القوات البولندية فى وارسو . وتمكنت إحدى فرق الألمان الصاعقة من
احتلال إحدى ضواحي وارسو فى الثامن من سبتمبر ، ولم يحل التاسع
عشر من سبتمبر حتى كانت القوات الألمانية تحتل جميع أرجاء بولندا
باستثناء بعض المناطق المعزولة . وهكذا تم سحق بولندا .

وتكمن أسباب الفاجعة التى حلت ببولندا فى طبيعة نظام الحكم
الذى كان قائما فيها ، اذ كان من الانظمة الفاشية المعادية للشعب . وكان
الشعب العامل فى المدن والارياف يعيش فى فقر مدقع ، كما كان أفراد
مستعبدين من الناحية السياسية لسيطرة لا محدودة للاقطاعيين
والرأسماليين من بولنديين وأجانب ، كما كانت الاقليات القومية فيها
كالاوكرانيين والروس البيض جد مضطهدة . ولم تكن هناك روابط تربط
الجيش الى الشعب ، فهو الحارس الامين لمصالح الطبقة الحاكمة . وكانت
السياسة الخارجية البولندية تتجه فى طريق تشجيع كل منسروح مناوىء
للسوفييات ، بل وفى طريق الرغبة العارمة فى الاسهام فى جميع هذه
« المشاريع » . ووصلت هذه السياسة الى حد خيانة مصالح بولندا
القومية ، وتجسدت فى صفقات اجرامية عقدت مع النازيين ومع المتفاوضين
فى مونيخ . وكان الكولونيل بيك المعروف بمشاعره المشايعة لهتلر ،
يهدف من سياسته الخارجية الى عزل الاتحاد السوفيياتى ، ولذا فقد رفض
يد التعاون التى مدها اليه فى أى عمل مشترك من أجل السلام .

وكتب ليون نوبل ، سفير فرنسا فى بولندا يقول : « كان بيك قد
قدم فى الواقع عونا قيما آنذاك لسياسة القوهر . وقد استمرت بين
الرجلين « الجهود المشتركة » أمدا ما . زكان الدبلوماسيون البولنديون
يؤيدون فى كل مناسبة مناورات الرايخ ضد عصبة الامم ، وضد الامن
الجماعى ومواثيق المعونة المتبادلة المتعددة الاطراف » (١) .

(١) كتاب ليون نوبل « الاعتداء الألماني على بولندا » باريس - ١٩٤٦ .

وكانت عزلة بولندة المفجعة فى هذه الايام القدرية الفاتلة من شهر سبتمبر نتيجة طبيعته لهذه السياسة . فقد كانت الحكومة البولندية تتجاهل المصالح القومية لشعبها . وكانت الزمرة الحاكمة منجحة من الناحية السياسية والخلقية ، وقد عرقت حتى أذنيها فى الرشوة والفساد والابتزاز . وكانت تتمسك بالحكم عن طريق النظام الارهابى المتوحش الذى يفرضه ، ولذا فقد فرت من البلاد بعد السلسلة الاولى من النكسات العسكرية ، وتركت الشعب البولندى والجيش يواجهان مصيرهما .

وألحقت خيانة الفرار التى ارتكبتها الحكومة البولندية والقيادة العليا للجيش الاضطراب فى صفوف القوات المسلحة والشعب . ولكن بعض الوحدات البولندية قاتلت بتأييد من السكان المدنيين ببطولة أصيلة، ولعل خير مل على ما نقول ، معركة كوتنو ورادوم . وظلت قلعة مودلين صامدة حتى الثلاثين من سبتمبر . كما ظلت وحدات الاسطول فى جدينيا وهى ميناء بولندة الوحيد تقاوم حتى الثانى من اكتوبر . وتمكن سكان وارسو بقيادة الشيوعيين والعمال التقدميين من تحطيم فرقة صاعقة ألمانية كانت قد نفذت الى العاصمة . وظلت وارسو تقاوم ببسالة بالرغم من تطويقها وتدمير معظم أجزائها حتى الثلاثين من سبتمبر .

وهكذا أظهر الشعب البولندى كل صبر وقدرة على المقاومة فى ظروف غير مواتية على الإطلاق .

وحرّم الامبرياليون الالمان شعب بولندة بعد احتلالها من جميع احياء الاسانية البدائية . ونهبوا كنوز حضارتها القومية . وكان هدفهم النهائى استئصال الفريق الفعال من الشعب البولندى . وأصدر هانز فرانك الذى عينه هتلر حاكما عاما لبولندة ، أمرا اجراميا بآبادة من تبقى من أفراد النواة القيادية فى البلاد، وآبادة كل من يوحى بأنه سيكون من هذه النواة من الاجيال الصاعدة فى المستقبل . ولم يكن راغباً فى اجهاد شرطته الألمانية ، فنصح أفرادها بعدم اعتقال « العناصر البولندية » فى معسكرات الاعتقال الألمانية لان ذلك « يخلق الكثير من المتاعب والاتصالات التى لا ضرورة لها مع عائلات المعتقلين » . وأصدر الحاكم أمره الى مساعديه وموظفيه بأن يقضوا عليهم فى البلاد ، و « بأسهل الطرق وأبسطها » . وقد عد الذين قتلهم النازيون فى بولندة أثناء عدوانهم بنحو من ستة ملايين .

وضمّت الاجزاء الغربية والشمالية من بولندة الى ألمانيا أما ماتبقى من البلاد فى الجنوب فقد أعلنت « حاكمية ألمانية عامة » قاعدتها كراكوف .

ولكن الألمان لم يستطيعوا تحطيم روح الشعب البولندي . ورد
الوطنيون البولنديون على كل هذه الاعمال الاجرامية بنظرات الزرابة
والكراهية . وقاوم الاهلون أوامر سلطات الاحتلال . وظهر الانصار في
غابات بولنده ومناطقها الجبلية .

- ٢ -

ترى كيف كان رد فعل حلفاء بولنده من الدول الغربية على الهجوم
الالمانى عليها ؟

لم تكن الولايات المتحدة حليفة رسمية لبولنده ، وان كان أثرها في
السياسات البولندية ملحوظا منذ أمد بعيد . وكانت الحكومة الامريكية
بوجه خاص هي المسئولة الى حد كبير عن رفض الحكومة البولندية
للاقتراحات السوفياتية المتعلقة بالامن الجماعى ، والتي قدمت عشية
نشوب الحرب . وكان مخططو السياسة الامريكية لا يخفون فرحهم ،
عندما يسمعون عبارة « الحرب » تتردد في أوروبا . ولقد تعرض الاقتصاد
الامريكى منذ عام ١٩٣٧ لأزمة اقتصادية خطيرة . وكان الاحتكاريون
الامريكان يرحبون بالحرب بوجه خاص ، لما تؤمنه لهم من فرص الاعمال .
ولم تكن الصحافة الامريكية تصطنع الاقوال ، عندما كانت تعلن أن نشوب
صراع عام في أوروبا سيترك آثارا مختلفة على الاقتصاد الامريكى . وأضافت
أن الصناعات التى تنتج السلع اللازمة للحرب ، ستكسب كسبا كبيرا
منها . وكان الشئ الوحيد الذى يقلق رجال الاعمال الامريكان ، هو معرفة
المدة التى ستستغرقها الحرب . وكتبت صحيفة نيويورك هيرالد تريبيون
تقول : ان الاقتصاديين يشعرون أن التجارة الامريكية ستتحمّل خسائر
كبيرة اذا اجتذب غصن الزيتون الدول الكبرى . وأضافت الصحيفة : ان
الاقتصاد الامريكى أخذ وكيف نفسه لظروف حرب طويلة .

وهكذا تدفقت الطلبات الحربية على الاقتصاد الامريكى ، فشرع فى
النهوض من كبوته . ووصف ويليام فوستر الزعيم المتوفى للحزب
السيوعى الامريكى ، الوضع فى تلك الايام بقوله : « أصيب النظام
الرأسمالى « الرائع » بالشلل . . ولم تشرع الصناعات الامريكية فى
الانتعاش نانية والعودة الى الحياة الا بعد ما تلقت من تغذية الطلبات
الحربية التى لا حد لها ، والتى ظهرت عندما أخذ الشعب القاتل للحرب
العالمية الثانية يظهر فى الافق فى عام ١٩٣٩ » (١)

(١) كتاب « المجر الكاذب للرأسمالية العالمية » لويليام فوسر - نيويورك ١٩٤٩

وكان هناك سبب بارز آخر للابتهاج الذي سيطر على الاحتكاريين الأمريكيين ، وهو اعتقادهم الجازم ، بأن في امكانهم أن يحافظوا في هذه الحرب كما حافظوا في الحرب العالمية الاولى على حيادهم المجزى، لينضموا الى الصراع في مراحله النهائية ، ولتكون بهم كلمتهم في القضايا الاخيرة من الحرب ، وفي ترتيبات الصلح . وتذكروا أن جميع « مشاريعهم » لم تنجح بعد الحرب الاولى ، ولكنهم أملوا في هذه المرة في تحقيق السيطرة على العالم . ولقد اتخذ جون فوستر دالاس هذا الخط في الخطاب الذي ألقاه في الثامن والعشرين من اكتوبر من عام ١٩٣٩ في اجتماع المجلس القومي لجمعية الشبان المسيحية(١) . وصدر عن الشيخ بوراه(٢) مثل هذا القول أيضا . كما أن آن أوهارا ماكورميك مراسلة صحيفة النيويورك تايمز كتبت تقول : « رتكفى كلمة واحدة من واشنطن، للميل بالميزان الى هذا الجانب أو ذاك » (٣)

وفي الثالث من سبتمبر من عام ١٩٣٩ ، أعلنت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بصورة رسمية أنها ستلتزم جانب الحياد .

وكان ثمة شيء واحد ليس الا يكفي «لوقف» هذا الاحساس الفرح الذي كان يطغى على الحكام الامبرياليين . فقد ضايفهم بصورة واضحة أن ألمانيا لم تشرع لتوها في الهجوم على الاتحاد السوفياتي . ولم تكن الصحف وحدها هي التي أعلنت هذا الضيق ، وانما تضمنت الحديث عنه أيضا تلك المنشورات التي ألقاها الطيارون الانجليز والفرنسيون على ألمانيا ، وحمل أحد هذه المنشورات عنوانا يقول : «لتسقط البلشفية» ، ومجد هتلر على أنه « فارس الحملة الصليبية ضد الشيوعية » . ومضى المنشور يقول : « ولم يبق اليوم من هذا الفارس الصليبي الا ذلك الرجل المتفاهم مع موسكو »(٤) . واتهم تشرشل هتلر بأنه خان قضية مكافحة البلشفية .

ولكن موقف الحكومتين البريطانية والفرنسية كان أكثر تعقيدا من موقف أمريكا ، وذلك لانهما كانتا ملتزمتين تجاه بولنده بالضمانات التي قدمتها لسلامتها ضد الخطر النازي . ولم يكن في وسعهما هذه المرة أن

(١) النيويورك تايمز عدد ٢٩ اكتوبر ١٩٣٩ .

(٢) نفس المصدر عدد ٢ ديسمبر ١٩٣٩ .

(٣) نفس المصدر عدد ٩ اكتوبر ١٩٣٩ .

(٤) توجد صور أصلية من هذه المنشورات في مجموعات الوثائق السوفياتية

(١٩٤١ - ١٩٤٥) . المجلد الاول - ص ٢١٥ .

تتنكرا لالتزاماتهما كما سبق « وفعلتا » مع تشيكوسلوفاكيا ، اذ أن
الرأى العام فى بلديهما ما كان ليغفر لهما ذلك .

يضاف الى هذا أن هاتين الحكومتين أدركتا الآن أن العدوان الهتلرى
على بولنده كان موجها ضد بلديهما . وأن الالمان سيستديرون غربا بعد
أن ينتهوا من موضوع بولنده . ومع ذلك فقد بذلتا قصارى جهدهما ،
بالاتفاق مع الحكومة الامريكية ، لارغام هتلر على الاتجاه شرقا ضد الاتحاد
السوفياتى .

وطلب الانجليز والفرنسيون من ألمانيا وقف عملياتها العسكرية
ضد بولنده ، وحملوا بطلبهم هذا ألمانيا على أن يفهم أنهم لن يضعوا أية
عراقيل فى طريق القوات الألمانية اذا أرادت عبور الاراضى البولندية
باتجاه الشرق .

واقترح موسولينى فى الثانى من سبتمبر عقد مؤتمر جديد من
طراز مونينخ لتسوية المشكلة البولندية ، كما تقدمت أسبانية فرانكو
باقتراح مماثل ، ولكن الحكومة النازية كانت قد حزمت أمرها الآن على
توجيه الضربة للدولتين الغربيتين وتجاهلت هذين الاقتراحين . وأجبر
رفض ألمانيا ، كلا من بريطانيا وفرنسا على اعلان الحرب فى الثالث من
سبتمبر . ولكن لم يكن فى نيتهما على الاطلاق أن تشن الحرب فى
الميدان . وكانتا تعتقدان أن مجرد إعلانهما الحرب كان لوقف هتلر عن
عدوانه .

وكان هذا هو السبب أيضا فى امتناع الدولتين الغربيتين عن
مساعدة بولنده ونقضهما لالتزاماتهما وموائيقهما . وكانتا تواصلان
التفرج على بولنده بمنتهى البرود وهى تتعرض للاجتياح النازى ،
وتجاهلتا النداءات الملحة التى وجهتها البعثة العسكرية البولندية فى
لندن .

وكانت المناورة الانجليزية - الفرنسية مأكرة ولكنها كانت مفعجة .
فلم تقم الدولتان بعد اعلانهما الحرب على النازيين بأى هجوم على ألمانيا
ولم تقوما بأية استعدادات عسكرية تستحق الذكر . وهكذا كانت حربهما
« حربا زائفة » تتميز بالافتقار الكامل الى أى نشاط عسكرى . وكان القصد
من الهدوء على الجبهة الغربية أن يتبين الفاشيون الالمان أن ليس ثمة
ما يدعوهم الى الخوف فى الغرب ، وأن أيديهم ستظل حرة لمهاجمة الاتحاد
السوفياتى .

وكانت «الحرب الزائفة» حربا بلا قتال . ولقد وصفها جان ايبار نيجاراي ، الفاشى الفرنسى بقوله : « كانت هنا قاذفات فى السماء لاتلقى أية قنابل ، وكانت هناك مدافع مزودة بجبال من القنابل لا تطلق نيرانها، وجيوش هائلة يواجه بعضها بعضا عن بعد ، ولا تبذل مجهودا فى أى قتال ، وشخصيات مهمة تفقد الى الخطوط الامامية ليرحب بها الجنود لابنيران المدافع بل بلوحات الترحيب ، وأحيانا بعزف النشيد الوطنى»(١)

ولم تقم القيادة الفرنسية بأكثر من ايماء رمزية تمثلت فى بعض الهجمات ذات الاهمية المحلية والمفتقرة الى الروح ، تحتل فيها وتدا أو وتدين على الحدود الالمانية ، دون أن تكون هناك مقاومة نازية ملحوظة . ولا تمضى فترة طويلة حتى ينسحب الجنود الفرنسيون من الاماكن التى احتلوها ، دون أن يكون ثمة ضغط ألماني ، ومكتفية بالتذرع بأنها تعود الى نكباتها الشتوية الحسنة الاعداد فى الخط الامامى الاصلى .

واقترنت العمليات الجوية البريطانية والفرنسية على الحركات الاستطلاعية وغارات القاء المنشورات التى تهاجم هتلر لأنه نقض عهوده . واشتركت القوة الجوية الالمانية فى بعض العمليات البحرية ، ولكنها لم تكن ذات فاعلية أيضا .

ولعل العمليات البحرية كانت الوحيدة التى دارت على نطاق واسع . وقد استهلكت بشكل لم يكن فى مصلحة البريطانيين على الإطلاق ، فقد أغرقت الغواصات الالمانية عددا من السفن التجارية البريطانية غير المسلحة وهى تغذ السير فى طريق العودة الى السواحل البريطانية بعد إعلان الحرب . واخترقت غواصة ألمانية هى (يو ٤٧) ميناء الاسطول الرئيسى فى سكايافلو وأغرقت البارجة البريطانية «رويال اوك» . وتمكنت غواصة ألمانية أخرى من اغراق حاملة الطائرات «كوريغيوس» فى قناة بريستول . وأصاب الالغام الالمانية الطرادين بلفاست وويلسون ، ولكنهما تمكنا من أن يجرا نفسيهما وأن يصلا الى الشواطئ البريطانية حيث تم اصلاهما . وقطعت دورية بحرية بريطانية فى جنوب المحيط الاطلسى طريق بارجة الجيب الالمانية جراف شبي التى كانت تغير على القوافل البريطانية وألحقت بها أضرارا بالغة ، وما لبث بحارتها أن أغرقوها ، تنفيذا للأوامر التى تلقوها من برلين .

ولم تحل نهاية عام ١٩٣٩ حتى كان مجموع الخسائر التى منيت بها

(١) فلوريون بونتي فى كتابه « طريق الشرف » - موسكو ١٩٥١ . ص ١١٢ .

القوات الفرنسية نحووا من ١٤٣٣ ضابطا وجنديا . أما الحملة البريطانية في فرنسا فلم تخسر أكثر من ثلاثة رجال (١) .

وكان البطء ملازما عملية تحويل الصناعات البريطانية الى الانتاج الحربى . وهبط الانتاج في فرنسا لان عددا كبيرا من العمال الفنيين كانوا قد جندوا في القوات المسلحة . وكانت عملية التعبئة تسير الى حد ما بصورة متأنية . وكانت الحكومة الفرنسية تأمل عن هذا الطريق في الكبح من جماح النشاط السياسى للطبقة العاملة . وبينما كانت الصناعات الحربية الفرنسية تجاهد لتلبية الطلبات المتواضعة للقوات المسلحة ، واصل الامبرياليون الفرنسيون الاتجار مع ألمانيا . وكانوا يشحنون خامات الحديد والآلات والادوات والمعدات الاخرى الى ألمانيا عن طريق بلجيكا ولكسمبورج . وكان رجال الاعمال الفرنسيون يضعون مصالحهم فوق كل شيء ، ويعتبرون الحرب مشروعا مربحا .

لكن الخيانة القومية التي ارتكبتها البورجوازية الفرنسية تمتلئت قبل كل شيء في الحقيقة الواقعة وهي أنها تمكنت بمساعدة زعماء الجناح اليميني من الاشتراكيين الديمقراطيين من تقويض الجبهة الشعبية التي كانت تمثل العمود الفقرى السياسى للمقاومة الفرنسية ، ودخلت فرنسا الحرب والفوضى نسودها ، والتجزئة الداخلية تمزقها . ولم تركز الحكومة الفرنسية جهودها ضد العسكريين الالمان الذين يمثلون الاعداء الاشداء للأمة الفرنسية ، وانما ركزت هذه الجهود في محاربة الشعب الفرنسى ، ولا سيما الحزب الشيوعى الفرنسى الذى يلقي الدعم من أكثر من مليون ونصف المليون من المقترعين . وأمسكت الحكومة الفرنسية بخناق الشيوعيين ، بينما كانت العناصر الموالية لهتلر وعلى رأسها ابيتز ودى برينون ، حرة في مواصلة نشاطاتها القذرة المعادية لفرنسا دون أى تدخل .

وذكر بونيه وزير خارجية فرنسا للسفير الالمانى فى باريس ، قبيل نشوب الحرب بأيام قليلة ، أن الحكومة ستؤجل الانتخابات ، وتمنع عقد الاجتماعات العامة ، وتوقف الدعايات الاجنبية ، « وتعيد الشيوعيين الفرنسيين الى عقولهم (٢) » . وكان من حق هتلر أن يطرب كثيرا لهذه الاقوال ، فقد كانت الحكومة الفرنسية تصطرع مع قوى الشعب الوطنية ،

(١) حى . ان . سى . فولر ... « الحرب العالمية الثانية » (١٩٣٩ - ١٩٤٥) -

لندن ١٩٤٨ . ص ٥٥ .

(٢) فلوريمون بونتي - نفس المصدر ص ١٢٢ .

وتهييء الجو « لاستسلام » فرنسا للنازيين . وكان الحزب الشيوعي الفرنسي هو الحزب السياسى الوحيد فى فرنسا . الذى أظهر عزمه على الدفاع عن البلاد وشعبها ضد الخطر الفاشى الالمانى المتوقع . فقد أعلن موريس توريز فى الخامس والعشرين من أغسطس من عام ١٩٣٩ مانصه: « ولكن اذا بدأ هتلر الحرب بالرغم من كل شىء ، فعليه أن يعرف أنه سيواجه شعبا فرنسيا متحدا ، تتقدمه صفوف الشيوعيين للدفاع عن سلامة الشعوب وحرقاتها واستقلالها » (١)

وردت السلطات الفرنسية بإجراءات صارمة وارهابية على هذا الموقف الوطنى ، الذى أعلنه الحزب الشيوعي . فقد أعلنت حكومة ديلايه فى السادس والعشرين من سبتمبر من عام ١٩٣٩ لا شرعية الحزب الشيوعي ، وأتبعته إعلانها هذا بسلسلة من القوانين الرجعية الموالية للفاشية ، كالغاء المجالس البلدية التى يرأسها الشيوعيون ، واعتقال النواب الشيوعيين ، وحرمان الشيوعيين عامة من كل حماية قانونية .

وهكذا أغلقت مكاتب الحزب الشيوعي وأقفلت صحفه ، ورفعت الحصانة البرلمانية عن النواب الشيوعيين . وأصدر الحكام الفرنسيون فى شهر ابريل من عام ١٩٤٠ قانونا يقضى بتوقيع عقوبة الاعدام على كل فرنسى يتهم بالدعاية للشيوعية ، وأصبحت جميع المنظمات الديمقراطية التى تعارض سياسة الحكومة فى خيانة الوطن ، منظمات غير مشروعة ، وزج بالناس الذين كانوا يدافعون عن الحقوق الوطنية تجاه الاجراءات الرجعية فى السجون ومعسكرات الاعتقال . وهكذا عزلت الحكومة الفرنسية فى الاشهر الستة الاولى من الحرب ٢٧٧٨ شيوعيا من مراكزهم فى البرلمان الفرنسى والمجالس البلدية ، كما أغلقت ١٦١ مجلة ونشرة و ٦٢٩ نقابة .

وكتب فلوريمون بونتي وهو من أبرز الشيوعيين الفرنسيين يقول: « لم يعد هناك فى فرنسا فى عام ١٩٣٩ أى حكم جمهورى أو ديمقراطى ، وانما كانت هناك ديكتاتورية رجعية ، وحكومة تعمل فى خدمة أعداء الشعب ، وتحطم كل الحريات التى حققتها أجيال الجمهوريين بعد صراعات عنيدة . ولم يعد هناك أى برلمان ، بل مجرد مجلس من الاجراء المستعدين لللق حذاء رجل فيشى العجوز الخرف ، ولتقديم خدمات التعاون والخيانة البشعة للوحش الهتلري(١) » .

(١) نفس المصدر ص ٣٦ - ٣٧ .

(٢) فلوريمون بونتي - نفس المصدر ص ٥٩ .

وبينما كانت الحكومة الفرنسية مشغولة بحملاتها المعادية للسوفييات واضطهادها للشيوخيين كانت ألمانيا قد أعدت هجوما واسع النطاق على فرنسا . ففي التاسع من أكتوبر من عام ١٩٣٩ أصدر هتلر توجيهه الذي ضمنه الأمر باتخاذ الاستعدادات للهجوم على فرنسا عن طريق لكسمبورج وبلجيكا وهولنده .

وكانت هيئة أركان الحرب الألمانية بقيادة ولهم كايتل قد أعدت خطة كاملة للعمليات العسكرية . وكان نطاق الحرب يتسع بصورة ضخمة ، اذ لم تمض بضعة أسابيع حتى كانت قد شملت معظم الدول الكبرى . وبالرغم من أن الفاشيين الألمان هم الذين أشعلوا نيران الحرب العالمية الثانية ، الا أنهم لم يكونوا أكثر من فصيلة متوحشة ومفترسة من الامبريالية العالمية التي تتحمل كنظام اجتماعي مسئولية موت العشرات من ملايين الناس في الحرب ، ومسئولية دموعهم ودمائهم ، وكذلك مسئولية مالحق بالثراء الحضارى والمادى الواسع الذى خلقه جهود الأجيال الكثيرة المتعاقبة من دمار كامل .

وظلت الحرب في فترتها الأولى أى بين سبتمبر من عام ١٩٣٩ ، وبين اليوم الذى هاجمت فيه ألمانيا الهتلرية الاتحاد السوفياتى ، صراعا بين معسكرين امبرياليين . فقد كان معسكر ألمانيا وايطاليا واليابان يواجهه معسكر بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة . وكان الصراع على الأسواق وخامات المعادن ومناطق الاستعمار والسيطرة العالمية هو السبب الأساسى فى هذا الصراع كما كان سببا فى الحرب العالمية الأولى . وقد نشبت الحرب كحرب امبريالية ، ولكن الخطر على الاستقلال الوطنى للشعوب والضغط الشعبى المناوئ للفاشية سرعان ما غيرا وبصورة متدرجة طبيعة الحرب ضد المانيا من صراع امبريالى الى صراع ضد الفاشية . وكان اشتراك الاتحاد السوفياتى فى الحرب بعد أن هاجمته ألمانيا الهتلرية العامل الرئيسى والأخير الذى حول الحرب العالمية الثانية الى حرب تحرير ضد الفاشية .

وكان هناك صراع بدأ بالاختمار فى المحيط الهادى بين الولايات المتحدة واليابان ، وذلك بالرغم من أن البلدين كانا لا يزالان ممتنعين عن الاشتراك فى العمل العسكرى المباشر .

ولم يمثل الاعلان الرسمى الذى صدر عن الحكومة الأمريكية والمتعلق بتقرير موقف الحياد فى أوربا ، حقيقة السياسة الأمريكية فى أية صورة من الصور . فقد انضم حكام الولايات المتحدة منذ البداية الى الصراع

من اجل السيطرة العالمية • ولما كانت الحكومة الأمريكية قد تبينت منذ البداية أن الاتحاد السوفياتي يمثل العقبة الرئيسية الكأداء في طريق هذه السيطرة ، فقد انضمت الى الحكومتين البريطانية والفرنسية في حملتهما لتشويه سمعته • وكانت الولايات المتحدة مشغولة في الوقت نفسه في انتاج سلاح « مطلق » اعتقدت أنه سيمكنها من الامساك بزمam المبادرة • فقد صدر مرسوم جمهوري خاص يقضى بانشاء لجنة للطاقة النووية ، قامت في أولى جلساتها في الواحد والعشرين من اكتوبر من عام ١٩٣٩ بمناقشة الفرص المتوافرة لتطوير الأسلحة الذرية ، ورصدت وزارة الحرب الأمريكية اعتمادات ضخمة لهذا المشروع وسرعان ما أصدر الرئيس الأمريكي أمره ببناء المصانع الذرية في اوك ريدج •

وكانت الأهداف التي توختها المانيا الهتلرية من الحرب لا تقل في وحشيتها واطماعها الامبريالية عن تلك التي توختها حكومات بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة • ولقد أدانت الأحزاب الشيوعية في جميع البلاد الحروب العدوانية •

وسيطر تناقض عميق الجذور في الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا بين رغبات شعوب هذه البلاد الثلاث وبين الأهداف الامبريالية لحكوماتها البورجوازية • وتنادى التقدميون فيها الى تعبئة جميع الموارد البشرية والمادية لصد العدوان ، بينما كانت الحكومات تتطلع الى عقد صفقات جديدة مع هتلر ضد الاتحاد السوفياتي • وكانت الجماهير تريد من حكوماتها عملا سريعا وعنيفا ، بينما كانت هذه الحكومات تسوف وتماطل • وأخيرا وليس آخرا ، قامت حكومات هذه البلاد باضطهاد الشيوعيين عندها ، بينما كان هؤلاء هم الذين يعون الاجراءات الواقعية الصحيحة للرد على الفاشية • وكان هذا هو التناقض الذي سيطر على المسرح العالمي في تلك الأيام ، موضعا طبيعة الحرب الزائفة •

- ٣ -

أوضح الغزو الألماني لبولنده ، وتقدم القوات النازية السريع ، أن الحكومة الهتلرية تنشد احتلال المواقع الصالحة على الحدود السوفياتية للاقيام بهجوم لاحق • ولم تكن هناك أية « ضمانات » بأن هتلر ، وقد أثملته انتصاراته في بولنده ، وتعرض لدفع الدول الغربية ، قد يؤجل هجومه على الاتحاد السوفياتي • ومثلت التطورات البولندية خطرا بالغيا على سلامة الاتحاد السوفياتي مما تطلب منه اجراء سريعا وحادا •

وقام الاتحاد السوفياتى فى شهر سبتمبر من عام ١٩٣٩ ببعض الاجراءات الوقائية اللازمة ، كدعوة الاحياطى فى بعض المناطق الى السلاح ، واعادة توزيع القوات ونشرها . ولكن هذه الاجراءات لم تكن كافية كما يبدو . فقد اتضح أنه لا بد من وقف الزحف الألمانى باتجاه الشرق . ولم يكن فى الامكان السماح للقوات الألمانية بالوصول الى الحدود السوفياتية ، كما لم يكن فى وسع الشعب السوفياتى أن يقف موقف اللامبالاة من مصير اخوانه المضطهدين من الأوكرانيين الغربيين والروس البيض فى بولنده ، والذين تخلى عنهم الحكام البولنديون ، وتركوهم لمصيرهم .

وكانت هذه هى الأسباب التى دعت الجيش السوفياتى وهو يواصل رسالته التحريرية الى الزحف على أوكرانيا الغربية والأجزاء الغربية من روسيا البيضاء ، حيث استقبله السكان بحماسة زائدة . وهكذا توقف الزحف الهتلرى باتجاه الشرق . واضطر هتلر الى اصدار الأمر الى قواته بالتوقف .

وجرت الانتخابات الديمقراطية فى شهر اكتوبر من عام ١٩٣٩ ، فى المناطق المحررة حديثا لاختيار المجالس الشعبية . وراحت هذه المجالس تنفذ ارادة الشعب ، وتعلن قبولها للسلطان السوفياتى ، وتطلب الى المجلس السوفياتى الأعلى ، أن يقبل روسيا البيضاء وأوكرانيا الغربيتين كجزء من أسرة الشعوب السوفياتية الشقيقة . واستجاب المجلس السوفياتى الى رغبة هذه المجالس وتم توحيد كل من هاتين المنطقتين مع روسيا البيضاء وأوكرانيا السوفيتيتين .

وأضاف غزو النازيين لبولنده أخطارا جديدة الى احتمالات الهجوم النازى على الاتحاد السوفياتى من سواحل البلطيق . ولم تكن جمهوريات البلطيق البورجوازية تملك الموارد الكافية لمقاومة هتلر ، كما أن الانتصارات التى حققتها القوات الألمانية فى بولنده ، قد حفزت العناصر الموالية لهتلر على الظهور فى هذه الجمهوريات . ومثل هناك الخطر فى أن تتحول هذه الجمهوريات الى دول تابعة لألمانيا وأن تصبح رؤوس جسور لأى غزو ألمانى للاتحاد السوفياتى وعرضت الحكومة السوفياتية ادراكا منها لهذا الخطر على حكومات هذه الدول البلطيقية ، عقد معاهدات للمساعدة المتبادلة معها .

واستقبلت شعوب هذه البلاد العروض السوفياتية بكثير من الترحيب ، وراحت حكوماتها تعلن موافقتها على الاقتراح . وكانت

ايستونيا الدولة الاولى التى وقعت على معاهدة من هذا النوع فى الثامن والعشرين من سبتمبر من عام ١٩٣٩ ، ثم تبعتها لاتفيا فى الخامس من اكتوبر ، فليتوانيا فى العاشر منه . وتعهد الاتحاد السوفياتى ، وهذه الجمهوريات بموجب هذه المعاهدات ، بتبادل المساعدات بما فيها العون العسكرى فى حالة تعرض أى منها للهجوم أو لخطر الهجوم من أية دولة أوربية كبرى . وأجرت ايستونيا ولاتفيا بعض القواعد للأسطول السوفياتى والقوة الجوية والمدفعية السوفياتية ، بينما حددت ليتوانيا بعض المناطق التى « يمكن » لقوات برية سوفياتية محددة أن ترابط فيها .

وأدت هذه المعاهدات الى تعزيز الدفاع عن الاتحاد السوفياتى وجمهوريات البلطيق ، وتمكن الاتحاد السوفياتى من تجنب خطر تحول هذه الدول الى رؤوس جسور امبريالية معادية للسوفيات . وهكذا تقدمت الخطوط الدفاعية السوفياتية باتجاه الغرب ، وحصل الأسطول السوفياتى على عدد من القواعد المهمة فى الأجزاء التى لا تتجمد مياهها من بحر البلطيق .

وتحتم على الاتحاد السوفياتى أن يدرس الآن موضوع سلامة حدوده مع فنلندة التى كان الامبرياليون الفاشيون الألمان من ناحية والامبرياليون الانجليز والفرنسيون من الناحية الأخرى ، يبذلون قصارى جهودهم ، لاقامة الاعدادات الحربية ضد الاتحاد السوفياتى فيها . وكانت فنلندة تعد قاعدة استراتيجية لمهاجمة لينينجراد وسكة حديد مورمانسك منها . وكان الفنلنديون قد أقاموا تحصينات دفاعية منيعة وقوية ودائمة أسموها بخط مانرهايم . وكانوا قد مدوا شبكات سككهم الحديدية وطرق سياراتهم فى نقاط كثيرة فى فنلندة الشرقية والجنوبية الى الحدود السوفياتية . وهكذا كانت سلامة لينينجراد التى لا تبعد أكثر من ٣٢ كيلومتراً عن الحدود الفنلندية معرضة للخطر .

وكان الرجعيون الفنلنديون يضعون الخطط الواسعة للهجوم ، وكانت مطامعهم تهدف الى احتلال الأراضى السوفياتية الممتدة من لينينجراد الى جبال الأورال . واتضحت الميول العسكرية فى موازنة الحكومة الفنلندية لعام ١٩٣٩ .

وشرعت الحكومة السوفياتية فى مفاوضات الفنلنديين فى الثانى عشر من اكتوبر من عام ١٩٣٩ . وسارت المحادثات ضمن اطار التدخل الأمريكى المباشر والذى لم يسبق له نظير من قبل . وقد اتضحت هذه الحقيقة طيلة المحادثات التى استهلّت بتعليمات أمريكية صدرت فى

هلسينكى الى الوفد الفنلندى المفاوض . وعندما انتقلت المفاوضات الى موسكو . راح الوفد الفنلندى يطلع السفارة الأمريكية على سيرها ، ويتلقى النصح والمشورة منها . وراح الرئيس الأمريكى يبعث ببرقية فى اليوم الذى بدأت فيه المفاوضات ، الى كل من الاتحاد السوفياتى وفنلنده ، يعرب فيها عن « أمله » بأن تصل المفاوضات الى « اتفاق » ينتقص من استقلال فنلنده وسيادتها . وأوضح المسيو كالينين ، رئيس مكتب « رئاسة » المجلس السوفياتى الأعلى فى رده على الرئيس روزفلت ، أن الحكومة السوفياتية التى أعلنت استقلال فنلنده فى عام ١٩١٧ لا تهدف الا الى تثبيت دعائم التعاون السوفياتى - الفنلندى فى قضايا الأمن المشترك . وكان تصرف ألمانيا الهتلرية مماثلا لتصرفات حكومات الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا . اذ طالب وزيرها المفاوض فى هلسينكى الحكومة الفنلندية برفض أى اتفاق مع الاتحاد السوفياتى (١) .

وعرض الاتحاد السوفياتى على فنلنده فى البداية ، عقد معاهدة للتعاون المتبادل ، وعندما رفض الحكام الفنلنديون قبول هذا العرض ، اقترحت الحكومة السوفياتية عليهم . دفع الحدود الفنلندية الى الشمال من برزخ كاريليا ، على أن تعوض عليهم بمساحات من كاريليا السوفياتية تربو على ضعفى المساحة التى اقترحت على فنلنده التنازل عنها . وأرادت الحكومة السوفياتية أيضا أن تستأجر قطاعا صغيرا من الأرض الفنلندية على مدخل خليج فنلنده ، لتجعل منه قاعدة بحرية . ولم تكن هذه الاقتراحات تنتقص بحال من الأحوال من استقلال فنلنده وسيادتها . ولكن الحكومة الفنلندية الرجعية سرعان ما أحبطت المفاوضات .

وآثر الرجعيون الفنلنديون بزعامه مانرهايم وتانر وريتى اتباع سياسة مناهضة للسوفيات تقوم على الاستفزاز . وسرعان ما حشدت قوات فنلندية كبيرة على الحدود السوفياتية ، قامت بقصف الوحدات السوفياتية القريبة من ليننجراد بمدافعها . ورفضت فنلنده التوقف عن استفزازاتها ، لسبب بسيط واحد ، وهو أنها كانت تتوقع العون من الخارج . ولقد أوضح مانرهايم فى مذكراته ، أنه كان على ثقة من تدخل الولايات المتحدة وبريطانيا الى جانب فنلنده . ودون عدد من كبار الساسة والصحفيين المطلعين هذه الحقيقة أيضا . وذكر عمانوئيل سيلر عضو الكونجرس الأمريكى فى خطاب له : « لقد دفعنا فنلنده الى هذا الموقف » (٢) . ولم يكن فى وسع دولة يقل تعداد سكانها عن « الأربعة

(١) وثائق وزارة الخارجية الألمانية - لندن ١٩٥٣ - السلسلة د ، المجلد ٥

ص ٦٢٩ .

(٢) سجلات الكونجرس - المجلد ٨٦ - الجزء ١٣ . ص ٥٢٢ - ٥٢٣ .

ملايين « أن تقوم بأى عمل ضد الاتحاد السوفياتى الذى كان يعد آنذاك ١٨٣ مليوناً ، الا اذا كانت قد لقيت التشجيع من بعض الدول الكبرى كبريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة .

وكانت الحرب الفنلندية قاسية على الاتحاد السوفياتى ، فقد كان مسرح العمليات لا يمكنه من القيام بمناورات ضخمة وحركات تطويقية واسعة ، بسبب وجود عدد كبير للغاية من البحيرات والغابات الكثيفة فى المنطقة .

وزادت المساعدات التى أغدقت على فنلندة من الخارج ، الأوضاع تعقيدا وسوءا . ولم تقتصر هذه المساعدات على الأسلحة والمعدات الحربية .

وأراد الامبرياليون فى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ، بعد أن أناروا الحرب السوفياتية - الفنلندية أن يحولوها الى حملة صليبية عامة ضد الاتحاد السوفياتى . وذكر بعض المؤرخين الامريكيين ان مثل هذه الحملة « لاحت فى الأفق كفرصة أناحتها العناية الالهية » (١) . وقرر الامبرياليون استخدام عصبة الأمم فى اثاره هذه الحملة .

وطلب الممثلون الانجليز والفرنسيون الذين كانوا يسيطرون على العصبة ، دعوة مجلسها الى اجتماع طارئ . وتقرر عقد الجمعية العامة فى الحادى عشر من ديسمبر .

ولكن تعذر جمع هذا العدد من الدول الاعضاء فى مثل هذا الوقت الفصير بسبب ظروف الحرب . وهكذا لم يحضر الاجتماع الا عدد من الدول الاعضاء . وتم فى اجتماع الجمعية العامة ، تغيير الصورة التى يتألف منها مجلس العصبة ، اذ انتخبت له ثلاث دول جديدة ، أعلن ممثلوها استعدادهم للتجاوب مع الحكومتين البريطانية والفرنسية عند الاقتراع . وكانت النتيجة الطبيعية لهذا العمل أن اضطر الاتحاد السوفياتى الى استدعاء ممثليه فى الجمعية العامة للعصبة ومجلسها .

وقرر المجلس فى الرابع عشر من ديسمبر اعتبار الاتحاد السوفياتى دولة « معنيدة » كما قرر طردها من عصبة الأمم . ولم تصوت الى جانب قرار الطرد الا سبع من مجموع خمس عشرة دولة هى أعضاء المجلس ، بينها ثلاث كانت قد انتخبت عمدا لعضوية المجلس لهذا الغرض وهو الاقتراع الى جانب الطرد .

(١) كتاب لانجر وجليسون - نفس المصدر - ص ٣٧٧ .

وعلقت وكالة تاس السوفياتية على هذا القرار قائلة : « قامت بريطانيا وفرنسا اللتان تعدان ٨٩ مليوناً من السكان تدعمهما بلجيكا وبوليفيا ومصر ، واتحاد جنوب افريقيا وجمهورية الدومنيكان ، وكلها تعد ٣٨ مليوناً من السكان ، بطرد الاتحاد السوفياتي الذي يعد ١٨٣ مليوناً من الناس » (١) .

وبالرغم من أن الولايات المتحدة لم تكن عضواً في عصبة الأمم ، إلا أن الدبلوماسيين الأمريكيين ، لعبوا دوراً بارزاً في المناورات التي أدت إلى « طرد » الاتحاد السوفياتي . ولا شك في أن جهود الولايات المتحدة هي التي ضمنت أن تؤدي بوليفيا وجمهورية الدومنيكان ما كان مطلوباً منهما أن تؤديا .

وهكذا فإن عصبة الأمم التي تسمت من تواطؤ المعتدين اليابانيين والايطاليين والألمان ، وتشجيعهم ، قضت على نفسها باستكمال دمارها عن طريق تأييدها العلني ودعمها للحرب التي أثارها الطبقة الفنلندية الحاكمة على الاتحاد السوفياتي . وهكذا حكمت على نفسها بالموت وأبرمت هذا الحكم . وعلقت الصحافة الأمريكية على هذا الاجراء ، فأعربت عن أسائها لأن عصبة الأمم قد ماتت . وذكرت أن هناك سبباً رهيباً يقيم في قصر العصبة الرائع في جنيف .

وكان طرد الاتحاد السوفياتي من عصبة الأمم مناورة ساعدت الرجعيين تحت ستار القرار على مضاعفة عونهم للفنلنديين ، وتعزيز جهودهم لتحويل الحرب العالمية الثانية إلى حرب صليبية ضد الاتحاد السوفياتي . ولم تخف الصحف الرجعية تمنياتها في أن تحول ألمانيا الهتلرية قواها الآن لمهاجمة الاتحاد السوفياتي ، وأن تؤدي الأحداث إلى تأليف جبهة متحدة ضد الاتحاد السوفياتي . وتحدث المعلق الأمريكي العسكري هانسون بلدوين عن المفاجآت المتوقعة من هتلر ، وأنه قد يهتبل الفرصة المتاحة له لمهاجمة الاتحاد السوفياتي .

وتزايد تدفق الأسلحة الأمريكية والبريطانية والفرنسية على فنلندة . ونألفت لجنة « برئاسة » هربرت هوفر لمساعدة فنلندة . وقدمت الحكومة الأمريكية قرضاً قدره عشرة ملايين دولار إلى فنلندة ، لتزودها عن طريقه بالأسلحة التي تحتاج إليها بأسعار زهيدة . وقدمت المصارف الأمريكية

(١) صحيفة ازفستيا عدد ١٦ ديسمبر ١٩٣٩ .

قروضا أخرى لفنلنده (١) . وهرع المتطوعون الى مراكز التطوع في الولايات المتحدة وغيرها من البلاد الرأسمالية تمهيدا لاجحارهم الى فنلنده .

وقامت مجموعة من زعماء حزب العمال البريطاني بالطواف في أرجاء فنلنده بتشجيع من تشمبرلين ، وقام أفرادها باغداق الوعود على الفنلنديين بالمزيد من العون ، وطالبوهم بمحاربة الاتحاد السوفياتي « حتى يتم تحقيق النصر » .

وسارعت بريطانيا وفرنسا الى استخدام قرار عصبة الأمم كوسيلة لاعداد العدة لعدوان مباشر على الاتحاد السوفياتي . ووضعت الخطط للقيام بالهجوم في الخامس عشر من مارس من عام ١٩٤٠ من اتجاهين في وقت واحد ، أحدهما من فنلنده والآخر من الشرق الأوسط باتجاه باكو . وحشدت القوات البريطانية والفرنسية في العراق وسوريا للقيام بهذا الهجوم . وأعد الجنرال جاملان تنفيذا لتعليمات الحكومة الفرنسية خطة مفصلة للعمليات شملت تركيا والعراق ورومانيا واليونان ويوجوسلافيا . وكتب الجنرال ، ويغان الذي تولى قيادة هذه الاستعدادات في المنطقة يقول «٠٠ « واني لأعتبر أن من الأهمية بمكان كبير « جدع » رغبة الاتحاد السوفياتي في فنلنده و في أي مكان آخر » (٢) .

وبدأت الاستعدادات للهجوم على الاتحاد السوفياتي من الشرق الأوسط منذ صيف عام ١٩٣٩ ، أي في نفس الوقت الذي كانت فيه بريطانيا وفرنسا لا تزالان تفاوضان الاتحاد السوفياتي . وهكذا وصل وبغان الى مقر قيادته في بيروت في الواحد والثلاثين من أغسطس من عام ١٩٣٩ .

وقامت الحكومتان البريطانية والفرنسية بتأليف قوة عسكرية خاصة لتقوم بالهجوم الشمالي على الاتحاد السوفياتي . وكان من المقرر أن تمر هذه الحملة عبر أراضي السويد والنرويج . وطلبت الحكومة البريطانية من هاتين الدولتين في مستهل شهر مارس من عام ١٩٤٠ ، السماح للقوات البريطانية والفرنسية بالمرور عبر أراضييهما .

(١) وثائق عن سياسة أمريكا الخارجية من يوليو ١٩٣٩ الى يونيو ١٩٤٠ - اعداد شيبارد جوتر و ديس مايرز - مؤسسة السلام العالي - بوسطن ١٩٤٠ - المجلد الثاني - ص ٣٩١ - ٣٩٢ .

(٢) الجنرال جاملان «الخدمة في الحرب» من سبتمبر ١٩٣٩ الى ١٩ مايو ١٩٤٠ المجلد الثالث - باريس ١٩٤٧ - ص ١٩٩٩ .

ووجهت الحكومة السوفياتية في شهر يناير مذكرتين الى حكومتى السويد والنرويج ، تشير فيهما الى أن سلوكهما يعتبر خرقا واضحا لحيادهما الذى أعلنتا عنه . وقد « يؤدى الى تعقيدات غير مرغوب فيها والى قلب العلاقات الدولية رأسا على عقب مع الاتحاد السوفياتى » (١) . ونشرت وزارة الخارجية السوفياتية نص هاتين المذكرتين وأكدت خطورة سلوك الحكومتين النرويجية والسويدية وأن هاتين الحكومتين لا تقاومان مقاومة فعالة الضغط الذى تتعرضان له من الدول التى تريد جرهما الى الحرب ضد الاتحاد السوفياتى « (٢) ، وقد أقنعت هذه التحذيرات الحكومتين السويدية والنرويجية بعدم الاستجابة الى مطالب بريطانيا وفرنسا بحرية المرور فى بلاديهما .

وتحدثت الصحف البريطانية والفرنسية المعروفة كثيرا عن الخطط المعدة للحرب ضد الاتحاد السوفياتى . فقد اقترحت صحيفة « الطان » الباريسية مثلا أن يبحر أسطول انجليزى - فرنسى مشترك أولا الى المحيط المتجمد الشمالى ، لفرض الحصار على مورمانسك . وعلى القوات البرية الانجليزية - الفرنسية بعد ذلك أن تنزل الى الأرض على مقربة من بتسامو ، وأن تعمل بالاشتراك مع القوات الفنلندية البحرية . . . ويجب أن يكون التدخل فى فنلنده مصحوبا فى الوقت نفسه بعملية هجومية قوية على جزء آخر من الأمبراطورية السوفياتية الضخمة . ويعتبر البحر الأسود المنطقة المثالية لعملية من هذا النوع ، لأن فى وسع أساطيل الحلفاء أن تدخله » (٣) .

وكانت الجماعات الأمريكية الحاكمة تزيد من تدخلها فى شئون البلاد الأوربية . وسرعان ما جاءت سلسلة جديدة من القروض لفنلنده فى أعقاب القروض السابقة . وأوفد سمتر ويلز وكيل وزارة الخارجية الأمريكية الى رومه وبرلين وباريس ولندن فى مهمة خاصة . وكان يحاول فى المحادثات التى أجراها مع قادة العسكريين المتحاربين ، وبتعليمات من حكومته ، التوفيق بينهما فى مشروع حملة مشتركة ضد الاتحاد السوفياتى (٤) . وأظهرت الحكومة الأمريكية . رغبتها فى تزعم حلف امبريالى جديد ، ولكن التناقضات الامبريالية العميقة الجذور ، التى مزقت الدول الغربية .

(١) ورائق وزارة الخارجية السوفياتية - المجلد الرابع - ص ٤٨٦ .

(٢) نفس المصدر ص ٤٨٧ .

(٣) صحيفة الطار عدد ١٠ يناير ١٩٤٠ .

(٤) كتاب أولريخ فون هاسيل « الرايخ المعير » - ١٩٣٨ - ١٩٤٤ ، زوريخ

١٩٤٦ . ص ١٣٦ .

وففت فى طريقها • وكان هناك تناقض بين أمريكا وبريطانيا بالاضافة الى التناقضات بين المعسكرين الامبرياليين • ولم تكن بريطانيا راغبة الآن فى اقامة أى حلف تلعب فيه الولايات المتحدة الدور الرئيسى ، تماما كما كان موقفها عند عقد صفقة مونيخ •

وعارضت حكومات بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة فى عقد الصلح بين فنلندة والاتحاد السوفياتى • وطلبت الحكومة الفنلندية فى الثامن والعشرين من ديسمبر من الولايات المتحدة التوسط لعقد الهدنة ، ولكن الرد الأمريكى استنكر الخطوة الفنلندية بل وفكرة الوصول الى نسوية عن طريق التفاوض (١) •

واخترقت القوات السوفياتية فى شهر فبراير من عام ١٩٤٠ ، خط مانرهايم الفنلندى • والتفت هذه القوات فى مطلع شهر آذار حول فيبورى، عبر خليج فنلندة الذى نسده الثلوج ، وطوقت المدينة ، ثم وصلت الى الساحل بينها وبين هلسينكى ، وراحت تزحف باتجاه العاصمة الفنلندية • ووجدت الحكومة الفنلندية نفسها مضطرة الى طلب الهدنة ، عن طريق السويد • وطلبت الحكومات الأمريكية والبريطانية والفرنسية من فنلندة مواصلة القتال • وراح نشرتل الذى وصل الى باريس كوزير للبحرية ، يشترك بأمر من حكومته مع ديلايديه ، رئيس وزراء فرنسا ، فى ابلاغ ممثل للحكومة الفنلندية بأن لا ضرورة لعقد الهدنة ، لأن الحلفاء أوشكوا على الشروع فى العمل ضد الاتحاد السوفياتى • وأضاف أن الحلفاء لن يطلبوا من السويد والنرويج هذه المرة حق المرور ، بل سيأمرونهما بأن نفعل ذلك (٢) • وأبلغ ديلايديه حكومة هيلسنكى أن بريطانيا وفرنسا تصران على وجوب رفضهما لاقتراحات الصلح السوفياتية ، وكتب رئيس وزراء فرنسا يقول : « وانى لأؤكد لكم من جديد ، أننا على استعداد لتقديم مساعدتنا فورا • ولقد باتت الطائرات على استعداد للاقلاع ، كما أصبحت قوات الحملة على اهبة » (٣) وأعلنت الحكومة الأمريكية أنه يسعدها أن نفعل لمساعدة فنلندة كل ما فى امكانها ، شريطة ألا تتدخل أو تتورط فعلا فى الحرب » (٤) •

(١) لانجر وجلسون - نفس المصدر • ص ٣٩٧

(٢) سياسة الترويج الخارجية بين ١٩٠٥ و ١٩٤٠ لى ماسينج - أوصلو -

١٩٥٣ • ص ٢١٤

(٣) كتاب «فنلندة والحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٤» لجون ودوينين

نيويورك ص ٧٨ •

(٤) لانجر وجليسون نفس المصدر ص ٤٠١ •

ودرس مجلس الحرب الفنلندي كل هذه البيانات في السابع من شهر مارس ، وقرر قبول شروط الصلح السوفياتية . وتم التوقيع في الثاني عشر من مارس من عام ١٩٤٠ على معاهدة الصلح بين البلدين . ولم يخف واضعو السياسة في أمريكا وبريطانيا وفرنسا امتعاضهم عندما وصلتهم هذه الأنباء ، فقد كتبت صحيفة « النيويورك هيرالد تريبيون » تقول : « أحدث نبأ التوقيع على اتفاق بين الاتحاد السوفياتي وفنلندة .. هزة عميقة في الدوائر الرسمية » (١) .

وتوفقت العمليات العسكرية . وتعهد الطرفان الموقعان على المعاهدة بالامتناع عن استخدام السلاح « ضد بعضهما » ، ومن الدخول في أية أحلاف أو تحالفات تكون موجهة ضد أى منهما . وتعهدت فنلندة ، كما سبق أن تعهدت في معاهدة الصلح لعام ١٩٢٠ ، بألا تقيم أية قاعدة للغواصات أو للقوات الجوية في مياه المحيط المتجمد الشمالي ، وألا تحتفظ هناك الا بسفن حربية ذات حمولة محددة . ودفعت الحدود الفنلندية الى الوراء ، فأصبحت على بعد ١٥٠ كيلو متراً من ليننجراد ، وتم تسليم خليج كاريليا مع ميناء فيبوري وخليجها والجزر الموجودة في هذا الخليج الى الاتحاد السوفياتي . وأصبحت الشواطئ الشمالية والغربية من بحيرة لادوجا أيضاً جزءاً من الاتحاد السوفياتي . وتم تأمين سلامة مورمانسك وسكة حديدها ، باسنيلاء الاتحاد السوفياتي على المنطقة الواقعة الى الشرق من ميركجارفى وبلدة كوولاجارفى والأجزاء الفنلندية السابقة في شبه جزيرتي ريباشى وسريدنى . وقامت فنلندة أخيراً بتأجير شبه جزيرة هانكاو ، والجزر القريبة منها للاتحاد السوفياتي لمدة ثلاثين عاماً ، كما أجرت الجزر والمياه القائمة في مدخل خليج فنلندة لتكون قاعدة بحرية سوفياتية .

وهكذا انتهت الحرب الفنلندية - السوفياتية . وأخذ خطر الهجوم الهتلري على الدولتين الغربيتين يزداد يوماً بعد آخر . ولكن هاتين الدولتين لم تحاولا تغيير سياستهما .

ويروى تشرشل في مذكراته أن طائرة عسكرية ألمانية اضطرت الى الهبوط في الأراضي البلجيكية في العاشر من يناير من عام ١٩٤٠ . واعتقل ضابط ألماني من هيئة أركان الحرب برتبة « رائد » على ظهر هذه الطائرة وصودرت منه الأوراق التي كان يحملها . وتضمنت هذه الأوراق خطة

(١) عدد النيويورك هيرالد تريبيون - ١٣ مارس ١٩٤٠ .

ألمانية فعلية وكاملة ، لغزو بلجيكا وهولنده وفرنسا (١) . ولكن هذه الحقيقة التي تعتبر حادثا نادرا في تاريخ الحروب ، لم تؤثر على موقف الحكام الغربيين وسلوكهم .

وتمكن أعداء ألمانيا أيضا من الحصول على معلومات مهمة من حليفتها إيطاليا التي كانت لا تزال تلعب لعبة مزدوجة . فقد أبلغ الكونت تشيانو وزير خارجية إيطاليا في الناني من يناير من عام ١٩٤٠ ، وبصورة سرية سفير بلجيكا في رومة ، كيرشوف دي دينترجيم ، أن ألمانيا تعد العدة لغزو بلجيكا (٢) .

ولكن زعماء بريطانيا وفرنسا لم يتحركوا بعد اتضاح هذه الحقائق . وظلت الصحف الرجعية في الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا مصرّة على أملها في أن « هنلر » قد يقرر الالتفات نحو الشرق والزحف بجيوشه على روسيا (٣) . ولم تتخل الحكومتان البريطانية والفرنسية عن الاعدادات التي كانتا تقومان بها ضد الاتحاد السوفياتي . وتبين المصادر الأمريكية أن الحلفاء « لم يكونوا ميالين الى العدول عن الخطط التي كانت تبدو مغرية لهم . وكل ما فعلوه هو أنهم عدلوا هذه الخطط لتتفق مع الوضع الجديد » (٤) .

وكتب الجنرال شارل ديغول في مذكراته يقول « . وكانت هناك بعض الجهات تتساءل عن طريقة ضرب روسيا . . . وهل يكون ذلك في قصف باكو أو في النزول في استمبول ، وذلك بدلا من تركيز تطلعاتها ومواردها على محاربة الرايخ » (٥) .

ولم يتخل القادة العسكريون البريطانيون عن خطتهم في قصف باكو من الجو الا في أواسط شهر يونيو من عام ١٩٤١ .

ولم تتبدل السياسة الأمريكية أيضا . فقد وصل الى برلين في ربيع

(١) وسسور شترنل- في مذكراته عن الحرب العالمية السابيه - المجلد الاول - لندن ١٩٤٩ - ص ٥٠١ يمكن العثور عليها في الجزء الاول من تعريب حري حماد لهذه المذكرات - طبعة بيروت - ١٩٦٢ .

(٢) المجلة التاريخية للحرب العالمية السابيه - اكتوبر ١٩٥٥ - العدد ٢٠ - باريس . ص ١٠ - ١١ .

(٣) نيويورك بابلوك عدد ٢٠ مايو ١٩٤٠ .

(٤) لانجر وجلبسون - نفس المصدر ص ٤٠٤ .

(٥) مذكرات ديغول - النلاء (١٩٤٠ - ١٩٤٢) - باريس ١٩٥٤ . ص ٢٦ -

الجزء الاول من المذكرات - تعريب حري حماد - طبعة بيروت ١٩٦٥ .

عام ١٩٤٠ ، ستالفورث المبعوث الخاص لوزارة الخارجية ، الأمريكية لمواصلة المحادثات التي كان سمنر ويلز قد شرع فيها . وذكر هذا المبعوث أنه جاء الى برلين ليضغط على كبار المسئولين الألمان لعقد الصلح مع الدول الغربية » (١) .

وما زالت الحكومات الامريكية والبريطانية والفرنسية والمؤرخون البورجوازيون الراسميون، يرفضون حتى هذه اللحظة فهم المدلول الحقيقي والموضوعي للأحداث . فليس ثمة من شك في أن سلوك الاتحاد السوفياتي ، كان منسجما تمام الانسجام مع المصالح الوطنية الأساسية للشعوب كلها . فقد أغلق الاتحاد السوفياتي الطريق في وجه القوات الألمانية باتجاه الشرق ، وأجبرها على الوقوف . ولو فهمت الدول الغربية مدلول هذا العمل ، ولقي التأييد من حكوماتها ، لكان في الامكان احباط الاعتداء النازي شرقا وغربا عن طريق جهد جماعي حتى في الأشهر الأولى من الحرب في أوروبا .

ولكن مثل هذا الجهد لم يكن ليناسب المخططات الموسوعة لشن حرب صليبية عالمية على الاتحاد السوفياتي ، وهي المخططات التي أعدها سياسة الغرب .

(١) اولريخ فون هاسيل - نفس المصدر - روريج - ١٩٤٧ - المجلد الثالث



مائة فرنسا

- ١ -

انقضت على الحرب في أوروبا حتى الآن سبعة أشهر . وكان في مكنة بريطانيا وفرنسا أن تفعلوا الكثير في غضون هذه المدة ، لتقوية خطوطهما الدفاعية ضد الغزو الألماني - الفاشي المرتقب في كل لحظة . ولكن حكاهما كانوا غارقين الى آذانهم في خلق المؤامرات ضد الاتحاد السوفياتي . ولم تكن الصناعات الحربية في هاتين الدولتين قد زادت من انتاجها ، بينما كان الكثير مما تنتجه من أسلحة ومواد حربية يصدر فورا الى فنلندة .

أما ألمانيا فقد استغلت هذه الفترة الى أقصى حدود الاستغلال . وخصص النازيون شتاء عام ١٩٣٩ - ١٩٤٠ لتدريب الاحتياطيين ، ونشكيل وحدات جديدة ، وتزويد الوحدات القائمة بالمعدات ، ولا سيما من الدبابات والطائرات . وتمكنوا من تشكيل « طوابير خامسة » في البلاد التي حزموا أمرهم على غزوها ، بينما كان ضباط أركانهم ، يصرفون ساعات الليالي الطويلة في اعداد خطط الغزو المقبلة وعملياتها .

وكانت هيئة أركان الحرب الألمانية قد عملت منذ شهر أغسطس من عام ١٩٣٨ ، في اعداد خطة حربية ضد فرنسا ، شملت غزو بلجيكا وهولنده ، وأطلقت عليها اسم « العملية الصفراء » . وأصدرت القيادة العليا الألمانية في التاسع من اكتوبر من عام ١٩٣٩ أوامرها باعداد العدة « لعمل هجومى على الجناح الشمالى من الجبهة الغربية ، يعبر منطقة لكسمبورج وبلجيكا وهولنده » . وذكر هذا الأمر أن الهجوم يجب أن

ينفذ في أسرع وقت ممكن وفي أقوى صورة ممكنة « (١) وذكر هتلر في الثالث والعشرين من نوفمبر من عام ١٩٣٩ ، في مؤتمر عسكري شهده كبار القادة النازيين العسكريين أن « خرق حياد بلجيكا وهولنده أمر غير مهم ، اذ لن يجروء أحد على توجيه أى سؤال ، بعد أن نكون قد حققنا الفوز » (٢) .

واقترح الاميرال ريدير قائد الأسطول الألماني الاستيلاء على النرويج والدانيمارك قبل الشروع في « العملية الصفراء » . وقال : ان هذين البلدين يقعان على الجناح الأيمن للجيش الألمانية ، وأنهما قد يلعبان دورا هاما في الحرب البحرية . وأضاف أن ألمانيا في حاجة أيضا الى خامات الحديد من اسكتدينافيا .

وقبل اقتراح ريدير على الفور . وسرعان ما تم وضع خطة جديدة ، أطلق عليها اسم « ألعاب فيسر » . وأصدرت القيادة العليا للقوات البرية الألمانية أوامرها بعبور الحدود الدانيماركية والنزول في أراضي النرويج في وقت واحد . ويقول الأمر الخاص بهذه العملية : ان من الواجب اتمامها في أسرع وقت ممكن ، وبأقصى قدر من القوة . وأضاف الأمر أن من الواجب القيام باجراءات مضادة فورا في حالة قيام العدو بالمبادرة في الهجوم في النرويج . وذكر الأمر أن من المهم كل الأهمية أن تكون التحركات الألمانية مفاجئة للبلدان الشمالية من ناحية وللعدو الغربي من الناحية الأخرى (٣) .

وبدأت عملية فيسر بوج في التاسع من ابريل من عام ١٩٤٠ ، اذ سرعت القوات الألمانية في غزو الدانيمارك . وقرر ملك الدانيمارك وحكومته عدم المقاومة ، وصدر الأمر الى القوات الدانيماركية بأن تلقى أسلحتها . وكانت الناقلات الألمانية في غضون ذلك قد أنزلت الجنود في الموانئ النرويجية الكبيرة . وقاوم النرويجيون مقاومة صلبة . وتمكنت البطاريات الساحلية في أوسلو من اغراق الطراد الألماني المدرع بلوخر وحمولته عشرة آلاف طن . ودار قتال عنيف في نقاط عدة على طول الساحل . ولكن عملاء هتلر في النرويج تمكنوا من شل مجهود الشعب الحربى .

(١) وثائق محاكمات نورمبرج - المجلد الثالث . ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .

(٢) نفس المصدر . ص ٧٩ .

(٣) كتاب «تاريخ الحرب العالمية الثانية» - كورت تيبيلسكيرش - بون ١٩٥٦

وكان الرائد (الميجور) فيدكون كريزلينج وزير حربية النروج الذى أصبح اسمه الآن مرادفا للخيانة ، كبير عملاء هتلر . وكان قد ساعد ألمانيا فى أن تملأ النروج بالجواسيس الذين وصلوا اليها متنكرين فى زى رجال الأعمال . وكان الجنرال فولكنهورست الذى تولى فيما بعد قياده القوات الألمانية فى النروج ، قد وصل الى أوصلو مسبقا متنكرا فى زى مدير مبيعات لاحدى المؤسسات .

وقامة الحكومة البريطانية بمحاولة لاحتباط خطة ألمانيا فى الاستيلاء على النروج ، اذ أنزلت قواتها فى الجزء الشمالى من البلاد ، ولكن المحاولة سرعان ما فشلت ، وأصبح الألمان يسيطرون سيطرة تامة على النروج . وكان ما حققه الألمان يعتبر كسبا رئيسيا فعليا . فقد تأمنت مؤخرة القوات الألمانية المسلحة وجناحها ، وأصبحت مواصلات ألمانيا مع النروج والسويد فى مأمن ، وسيطرت القوات البحرية والجوية الألمانية على قواعد جديدة يمكن استخدامها فى عملياتها ضد بريطانيا وفرنسا .

وكان غزو هنلر للدانيمارك والنروج دليلا جديدا على أن النازيين يتوخون السيطرة على العالم . وأوضح هذا الغزو ، استهانة النازيين الكاملة بحقوق الشعوب وبالقانون الدولى . وهكذا اتضح من جديد ، ما انطوت عليه سياسة مونيخ من سخف ضخم . وتهاوت جميع الآمال التى كانت معلقة على وعود هتلر ، بأن يجنب أوروبا الغربية عدوانه وحربه .

وتفجرت فى بريطانيا الأزمة السياسية التى كان فشل سياسة مونيخ قد أشعلها . واضطر تشمبرلين المدافع الأول عن هذه السياسة الى الاستقالة . وتألقت فى العاشر من شهر مايو حكومة جديدة « برئاسة » ونستون تشرشل . وكانت القوات الألمانية آنذاك قد اقتحمت حدود بلجيكا وهولنده ولكسمبورج . ومع ذلك فقد كتب تشرشل فى يومياته يقول : « لا أستطيع أن أخفى عن قارئ هذا السرد الصادق للأحداث ، اننى سعرت باحساس عميق من الراحة عندما مضيت الى فراشى فى الساعة الثالثة صباحا . فقد أصبحت أخيرا صاحب السلطة فى اصدار التوجيهات التى تشمل المسرح كله وبالرغم من اننى كنت أنتظر طلوع الصباح بفارغ الصبر ، الا أننى نمت نوما عميقا ، ولم أكن فى حاجة الى أية أحلام مبهجة . فالحقائق دائما خير من الأحلام » (١) .

(١) مذكرات تشرشل - نفس المصدر - المجلد الاول . ص ٦٦٧ .

لكن هذه الحقائق التي رأى تشرشل أنها تفضل الأحلام كانت قاتمة وقاسية وملطخة بالدم . فقد كان هناك احتمال كبير في أن يقوم النازيون بغزو بريطانيا .

وظهر خلاف شديد في فرنسا أيضا لتحديد المسؤولية عن سياسة مونيخ وهزيمة النروج . ونشب صراع بين رينو رئيس الوزراء ، وبين ديلايديه الذي ظل وزيرا للحربية ، بالرغم من أن كلا الرجلين مسئول مسئولية متساوية عن عار مونيخ . وواجهت الحكومة الفرنسية الهجوم الألماني في وضع يسوده الاضطراب الكامل .

ولقد بدأ الغزو الألماني لبلجيكا وهولنده ولكسمبورج في الساعة الخامسة والنصف من صباح العاشر من مايو ، ليعقبه اندفاع باتجاه فرنسا . وداس هتلر على جميع اتفاقات عدم الاعتداء التي كان قد وقعها بـقدميه . ولم تعد ألمانيا الألعبوبة التي كان الامبرياليون الأمريكيون والبريطانيون والفرنسيون قد تصوروها سهلة في أيديهم . واتضح التناقضات الامبريالية في أجلى صورها ، فقد أصبحت بريطانيا وفرنسا فريستين للسياسة الألمانية . وكانت الحكومتان البريطانية والفرنسية قد حطمتا عن طريق عزل الاتحاد السوفياتي الوحدة بين الشعوب المحبة للسلام ، وأصبحتا معزولتين في وجه الهجوم الألماني الفاشي العنيف .

وقدفت القيادة النازية بنحو من ٧٢ فرقة في الميدان ، واستبقت ٤٧ فرقة أخرى كقوة احتياطية . وكانت هناك سبع عشرة فرقة أخرى ترابط على خط سيجفريد . وهكذا واجهت الفرق الألمانية المائة والستة والثلاثون نحو من ١٣٣ فرقة للحلفاء منها ٩١ فرقة فرنسية وعشر فرق بريطانية و ٢٢ فرقة بلجيكية وتسع هولندية وفرقة بولندية (١) . وهكذا كانت القوة العددية متكافئة تقريبا . ولم تكن ألمانيا متفوقة للغاية في السلاح المدرع ، وانما كان تفوقها الملحوظ في القوة الجوية .

واعتمدت خطة العمليات الألمانية على عنصر المفاجأة ، وعلى عدم الاستعداد التفننى عند العدو وعلى سرعة الزحف . واستغلت الى أقصى حدود الاستغلال، التنسيق السيئ بين قوات الدول المختلفة التي تحارب ألمانيا .

وعهد الى مجموعة الجيوش (أ) التي يقودها الجنرال فون رونشتادت،

(١) تستند هذه الأرقام ومايتبعها على تلك المنقولة من وثائق هيئة أركان الحرب الألمانية وعلى الجزء الثانى من كتاب «الحرب» لمولر هيلراند - دارمشتاد - ١٩٥٦ .

بان نوجه الضربة الرئيسية فى منطقة الاردن ، عبر لكسمبورج ، وعلى الحدود الفرنسية - البلجيكية بين دينانت وسيدان . وكان من المقرر أن تواصل هذه المجموعة بعد ذلك هجومها باتجاه ساحل القناة الانجليزية ، لعزل القوات المحاربة فى بلجيكا وتدميرها . وهكذا اعتمدت الخطة الألمانية على اختراق الجبهة والقيام بحركة التفاف وتطويق الجناح الأيسر للعدو تم الظهور فى مؤخرة جناحه الأيمن .

وكانت هذه المجموعة تضم ٥٢ فرقة منها نسع من فرق الصاعقة . وتولى الجنرال فون كلايست قيادة الهجوم الرئيسى بقبضته المدرعة التى تضمنت خمسا من فرق الصاعقة ومنلها من الفرق الآلية .

وعهد الى مجموعة الجيوش (ب) بقيادة الجنرال فون بوك ، بأن نندفع الى هولنده وبلجيكا وأن تجبر أكبر عدد من قوات العدو على البقاء فى مواقعها . وتألقت هذه المجموعة من سبع وعشرين فرقة بينها ثلاث من فرق الصاعقة .

وتمكن جيوش بوك فى اليوم الأول من الهجوم ، أى فى العاشر من مايو ، من عبور نهر الماس وقناة البرت ، واحتلال مواقع ذات أهمية كبيرة فى حصون لبيج البلجيكية . وتقدمت قوات فرنسية كبيرة وقوات الحملة البريطانية لمواجهة القوات النازية فى هذه المنطقة . وكانت جيوش رونشتادت قد عبرت فى غضون ذلك لكسمبورج ، وهاجمت الجيش الفرنسى فى سيدان .

واستسلم الجيش الهولندى فى الحامس عشر من مايو . وسحق الألمان فى اليوم نفسه الجيش الفرنسى التاسع الذى يقوده الجنرال كوراب ، واخترقوا الجبهة على طول تسعين كيلومتر بين سيدان ونامور .

وتدفقت مجموعة الجنرال كلايست من الثغرة التى فتحتها القوات الألمانية وراحت تسابق الريح فى البداية باتجاه الجنوب الغربى نحو باريس . وأصيبت السلطات الفرنسية بما يشبه الجنون . وتحدث الجنرال جاملان القائد الأعلى للحلفاء فى جلسة خاصة عقدها مجلس الوزراء بحضور عدد من القادة العسكريين ورئيس مجلسى البرلمان الفرنسى . فأعلن أن ليس فى استطاعته أن يضمن عدم دخول القوات الألمانية باريس فى تلك الليلة أى فى السادس عشر من مايو .

وكانت فكرة الاستسلام قد بدأت تداعب مخيلة حكام فرنسا فى تلك اللحظة . واشترك فى الحكم عدد من الانهزاميين المكشوفين ودعاة

الاستسلام ، واحدا اثر آخر ، اذ دخل الوزارة جان ايبارنيجارى ولويس ماران فى العاشر من مايو ، ثم الماريشال فيليب بيتان الذى أصبح نائبا لرئيس الوزراء فى الثامن عشر من الشهر . وأقصى جاملان من القيادة وحل محله الجنرال ويغان . ورافقت هذا التغيير عملية تبدل أساسى فى المراكز الرئيسية فى الجيش الفرنسى . ولم يحل الرابع عشر من مايو حتى كانت الحكومة البريطانية قد باتت تتوقع اجلاء قواتها من شمال فرنسا ، فأصدرت أوامرها الى جميع أصحاب السفن فى بريطانيا . بأن يضعوا كل ما يملكونه من بواخر ومراكب وزوارق ، حتى من النوع الذى لا يزيد طوله على الثلاثين قدما تحت تصرف السلطات العسكرية .

وعرض الهجوم الألمانى باتجاه الجنوب الغربى ، مجموعة القوات الآلية الى الخطر والتهلكة . فقد اندفعت قوات كلايست القليلة العدد نسبيا عبر الثغرة الضيقة التى كانت قد فتحتها لنفسها وطهرتها ، بين جيوش معادية تعد نحو من مليون رجل فى الشمال ، ومليونى رجل فى الجنوب . وكان فى وسع هذه الجيوش لو تحركت نحو الداخل أن تحصر الثغرة الألمانية بين المطرقة والسندان . ولاريب فى أن هذا الوضع حمل كلايست على تغيير اتجاهه . فقد اتجهت فى السادس عشر من مايو ، قواته التى كانت قد وصلت الى لاوون باتجاه الشمال الغربى نحو ساحل القناة ، ووصلت الساحل فى الواحد والعشرين منه . وعلق الماريشال ايروين روميل فيما بعد على الوضع بقوله : « حققت عشر فرق من فرق الصاعقة الألمانية ، النصر فى حملة عام ١٩٤٠ على فرنسا . ولاريب فى أن هذا النصر تحقق بسبب ماتميزت به القيادة الانجليزية - الفرنسية من بخاذل وتراخ » (١) .

ودفعت القوات الألمانية الزاحفة على شكل « حدوة الحصان » أمامها ٤٩ فرقة للحلفاء باتجاه الساحل ، بينها ٢٢ فرقة بلجيكية وتسع فرق بريطانية وثمانى عشرة فرقة فرنسية . واستسلم الجيش البلجيكى تنفيذا لأوامر الملك ليوبولد فى الخامس والعشرين من مايو . وأخذ طرفا « الحدوة » ينطبقان « على بعضهما » بشكل ملحوظ ، فقد احتل الالمان فى الشرق أوستند وزيبروج ، كما احتلوا فى الغرب بولون وكاليه . وحشرت القوات البريطانية والفرنسية فى منطقة دنكرك وأصبحت مهددة بالافناء الكامل . وتحتم على قوات كلايست وجودريان المدرعة أن توجه الضربة النهائية .

(١) حملة الدفاع الوطنى لعام ١٩٥٤ .

لكن هذه الوثبة الأخيرة ألغيت فى الساعة الحادية عشرة ، أى قبل موعدها النهائى بفترة قصيرة . فقد أمر هتلر الذى قام بزيارة مقر قيادة رونشتادت فى شارليسفيل فى الرابع والعشرين من مايو ، كلايست بالتوقف عن الهجوم . وكان بهذا يشير الى رغبته فى التفاوض على الصلح مع بريطانيا بعد استسلام فرنسا . وكانت هذه المناورة جزءا من الاعدادات الدبلوماسية للحرب ضد الاتحاد السوفياتى .

وفال رونشتادت فى موعد لاحق : « لو كنت حرا فى تنفيذ ما أراه ، لما يمكن الانجليز من النجاة بمثل تلك السهولة من دنكرك . ولكن أوامر هتلر المباشرة كانت تقيد يدي . وبينما كان الانجليز يتدافعون الى البواخر الراسية أمام الشاطئ ، كنت عاجزا عن الحركة لا أقوم بأى عمل نافع . وأوصيت القيادة العليا باستخدام خمس فرق مدرعة من فرق الصاعقة الموجودة لدى فوراً ، وارسالها الى المدينة لتعطيم الانجليز المتراجعين فيها . ولكننى تلقيت تعليمات واضحة من الفوهرر ، تمنعنى من الهجوم بأى شكل من الأشكال . ومنعت منعاً باتاً ، من ارسال أى من قواتى الى نقطة يقل بعدها عن عشرة كيلومترات من دنكرك وهكذا ظللت أقف على بعد من المدينة ، أرقب الانجليز وهم يفرون ، بينما كانت دباباتى ووحدات مشاتى ممنوعة من الحركة » (١) .

وأصدرت الحكومة البريطانية أوامرها بإخلاء القوات من المدينة ، بعد أن اشتد الضغط عليها باتجاه البحر ، ولكنها اضطرت الى التخلي عن جميع أسلحتها ومعداتنا ، اذ لم تكن هناك وسائل متوافرة لنقلها . وهكذا تم انقاذ الشطر الأكبر من الرجال . وغنم النازيون غنائم ضخمة .

وتم قبل الثانى من يونيو ، نقل نحو من ٣٣٨ ألف جندى وضابط ، بينهم نحو من تسعين ألفاً من الفرنسيين عبر القناة .

وهكذا انتهت المرحلة الاولى من الهجوم النازى على فرنسا . وانقضت فترة بضعة أيام بين المرحلتين : الأولى والثانية . وكان فى الامكان استخدام هذه المهلة لتعزيز الدفاع عن فرنسا ، فقد كان فى امكان الشعب الفرنسى أن يقاوم الغزو الألمانى . وكان كل ما يحتاج اليه هذا الشعب هدفاً واضحاً ينهى الحرب « الزائفة » التى فرضت عليه . وكان على حكومته أن تحشده للدفاع عن بلاده . وقدم الحزب الشيوعى الفرنسى الى الحكومة برنامجاً لانقاذ البلاد يتلخص فى المطالب التالية ، وهى : تحويل الحرب الى حرب

(١) كتاب «الهزيمة فى الغرب» ليلتون شولمان - لندن - ١٩٤٧ ص ٤٢ - ٤٣ .

شعبية من أجل التحرر والاستقلال ، واطلاق سراح النواب الشيوعيين - وقادة الحزب الشيوعي ، وعشرات الألوف من العمال المحتجزين في السجون والمعتقلات ، واعتقال جميع العملاء الاجانب فورا ، وانزال أشد العقاب بهم ، وتشكيل جيش شعبي من المتطوعين ، وتسليم الأسلحة الى الشعب ، وتحويل باريس الى قلعة حصينة .

وكان الحزب الشيوعي ، الحزب الوحيد في فرنسا الذي أعد برنامجا من هذا الطراز . وقد أعرب هذا البرنامج عن ارادة البلاد التي كانت على استعداد للدفاع عن حريتها واستقلالها الوطني . ولكن الحكومة المؤلفة من الخونة والانهبامين وعملاء الألمان تجاهل هذا البرنامج .

وأحدثت المرحلة الأولى من الهجوم الألماني تبديلا ضخما في أوضاع القوى . فلم تعد نواجه الجيوش الألمانية التي لم تمن الا بخسائر طفيفة الا ٦٦ فرقة فرنسية .

وبدأت المرحلة الثانية من الهجوم في الخامس من يونيو . وفاتل الجنود الفرنسيون ببسالة دفاعا عن بلادهم . ولكن الخيانات في أوساط القمة ، وتراخي القادة العسكريين وتهاونهم ، ونقص الأسلحة والمعدات ، قلبت موازين المعركة ضدهم . وتمكن الألمان في التاسع من يونيو ، من اختراق الجبهة من جديد ، والاندفاع بسرعة باتجاه الغرب .

وكانت الحكومة الفرنسية قد أشركت في عضويتها في غضون ذلك عددا آخر من دعاة الاستسلام . وهجرت هذه الحكومة باريس في العاشر من يونيو ، هاربة الى تورز ، وأصبحت نواياها الانهزامية واضحة للعيان . وكانت إيطاليا الفاشية تتشهى منذ أمد طويل جزءا من الأرض الفرنسية وبعض مستعمراتها . وكان هذا التشهى أحد العوامل التي دفعتها الى الاشتراك في محور برلين - رومه الشرير . وقررت إيطاليا عندما نشبت الحرب في أوروبا أن تتخذ موقف التريث والانتظار . ولكن اندفاع الألمان في فرنسا جعل الحكام الإيطاليين أكثر ميلا الى الاشتراك في الحرب .

وكانت الصحف الإيطالية قد شرعت في تهيئة الرأي العام في البلاد للحرب ضد بريطانيا وفرنسا . وأخذت تتبجح مزهوة بالحديث عن قوة إيطاليا العسكرية . وكتبت صحيفة « تيفير » الإيطالية التي تصدر في رومه في العاشر من مايو تقول : « لن يكون البحر الادرياتي مسرحا للحرب بالنسبة الى أساطيل العدو ، اذ أن في الامكان اغلاقه بسهولة عند مضائق

تورنتو ، تماما كما يتم اغلاق القناة عند خليج كاليه أو بحر الشمال عند سكاجيراك ، أما بالنسبة الى البحار الايطاليه الأخرى الممتدة من حدود فرنسا عند ساحل ليجوريا حتى ليبيا ، وعلى مسافة ١٥٠٠ كيلو متر ، بحيث تضم كورسيكا وسردينيا وبانتيليريا وصقلية، فيمكن اغلاقها بنحو من ١٢١ غواصة ايطالية . ويعتبر خليج توسكانيا بحرا ايطاليا داخليا . وفي وسع الأسطول الايطالى أن يركز فيه وبمنتهى السهولة ست بوارج وتلاثة وبلانين طرادا و ١١٨ مدمرة و ٦٢ كاسنة للألغام للقيام بهجوم حاسم على العدو ، اذا حاول دخول هذا البحر . يضاف الى هذا أن هناك العديد من محطات الاسناد للقوة الجوية الايطالية القوية ، الأمانة فى مؤخرتها ، والتي تحميها تحصينات الألـب ، كما أن هناك ثمانية ملايين من الجنود الذين تستطيع ايطاليا أن تدفع بهم الى الميدان وقت الحرب » .

واعتقد الامبرياليون الايطاليون أن الكتلة الانجليزية - الفرنسية، قد أصبحت فى وضع يائس ، وتوقعوا أن يؤدى انهيار فرنسا الى نبدل أوضاع توازن القوى فى البحر الأبيض المتوسط . ودفعهم اعتقادهم هذا الى الدخول فى الحرب . واستهوتهم فكرة الحصول على غنم سهل وسريع . ولقد تحدث الكونت تشيانو وزير خارجية ايطاليا الى السفير التركى عشية اشتراك ايطاليا فى الحرب ، فقال : ان فرصة كهذه لا تلوح الا مرة كل خمسة آلاف عام ، وان ايطاليا لن تدعها تفلت هذه المرة . وأضاف تشيانو أن الحرب ستنتهى فى غضون أربعين يوما . ويتضح من هذا أن الامبرياليين الايطاليين كانوا على ثقة مطلقة من أن الحرب لن تستمر طويلا . ولقد أعلن موسوليني أن الحرب ستطول ستة أسابيع .

وكانت التبرجحات اللامعقولة للحكام الفاشيين الايطاليين ستارا يخفى العيوب « التقنية » فى الجيش الايطالى ، والروح المعنوية الخفيفة عند رجاله الذين لم يكونوا على استعداد على أى حال للتضحية بأرواحهم من أجل الفاشية . وكان حلفاء ايطاليا يقولون : « كانت القوات الايطالية المسلحة أداة عاجزة من جميع النواحي ، ولم تكن تعمل حتى تلك اللحظة الا كأداة « للبلف » السياسى » (١) .

ولكن اشتراك ايطاليا فى الحرب فى العاشر من يونيو أدى بصورة طبيعية الى مضاعفة متاعب فرنسا . وشن الجيش الايطالى هجوما على جبهة امتدت من الجبل الابيض (مونت بلانك) حتى البحر الابيض

(١) كورت تيهيلسكيرش - نفس المصدر - ص ٩٨ .

المتوسط . ولم يكن فى وسع فرنسا أن تزج فى المعركة ضد الجيش الايطالى المهاجم باثنتين وتلاين فرقة الا بجيش من القوات الالبية قوامه ست فرق .

وكان ثمة تعاهم بين الايطاليين والقيادة النازية ، على أن تصل قواتهم الى مدينة شامبرى فى جنوب شرق فرنسا ، وأن تتصل هناك بالقوات الألمانية . ولكن هذا اللقاء لم يتم على الاطلاق . فقد صمد الفرنسيون باصرار وعناد أمام عدوهم الذى يفوقهم فى العدد الى حد كبير . وعانى الايطاليون مشقة بالغة فى احتلال بلدة مينتون التى تعتبر من المصايف الفرنسية والواقعة على ساحل البحر الأبيض المتوسط .

وناقشت الحكومة الفرنسية التى رابطت فى قلعة تقع على بعد عشرة أميال من تورز آخر تطورات الوضع فى النانى عشر من يونيو . وفدم الجنرال ويغان القائد العام للقوات الفرنسية المسلحة تقريره الى الحكومة عن الوضع الحربى ، فوصفه بأنه وضع يائس ، وحت الحكومة على الاسراع فى الاستسلام ، محذرا من احتمال وقوع « نتائج اجتماعية خطيرة » ، فى حالة ابطائها فى الاستسلام . وذكر الجنرال أنه تلقى معلومات عن وقوع اضطرابات فى باريس ، وعن انتقال موريس توريز رئيس الحزب الشيوعى الفرنسى الى قصر الأليزيه .

وتحدث جورج مندل وزير الداخلية هاتفيا الى لانجيرون ، محافظ باريس ، فنفى مزاعم ويغان وأكد أن العاصمة هادئة للغاية .

ولكن تهديدات ويغان خلفت آثارها . فقد خشيت الحكومة أن تتطور الحرب الى مقاومة وطنية بقيادة عمال باريس والشيوعيين . ولذا قررت التخلي عن العاصمة دون أى قتال . رقررت الحكومة أيضا الاتصال بالحكومة البريطانية ومباحثتها فى موضوع استسلام فرنسا .

وأعلنت باريس فى اليوم التالى مدينة مفتوحة . وتم ابلاغ القيادة الألمانية بأن القوات الفرنسية لن تدافع عن العاصمة . وبررت الحكومة الفرنسية قرارها هذا « بعدم وجود أسباب استراتيجية تدعو الى الدفاع عن باريس » . وكان الجنرال دنتز ، المعروف بميوله الفاشية قائدا لحامية باريس . وقد صدرت اليه الأوامر باطلاق النار فورا على المواطنين والجنود الذين يحاولون تنظيم أية مقاومة .

ولاشك فى أن ادعاء الحكومة الفرنسية عدم وجود أية أهمية استراتيجية لباريس ، كان خيانة عظمى ضجت لها السماء . فقد كانت

العاصمة دائما ذات قيمة استراتيجية ضخمة ، وهذا ما أيدته أحداث الحرب الفرنسية - البروسية لعام ١٨٧٠ - ١٨٧١ ، وأحداث الحرب العالمية الأولى . فالمعروف أن العاصمة والمناطق القريبة منها تضم نحو من اثني عشر مليوناً من الناس ، منهم ثلاثة ملايين من العمال . والمعروف أيضا أنها مركز الصناعات الحربية والهندسية . يضاف الى هذا أنها النقطة التي تتلاقى فيها معظم خطوط المواصلات في فرنسا . وكان فريدريش اينجلز قد كتب منذ القرن التاسع عشر يقول : « لا يفوم مركز الجاذبية في فرنسا في وسطها أي على نهر اللوار على مقربة من أورليان ، وإنما يقوم في شمالها على نهر السين عند باريس . وقد أظهرت التجارب المتلاحقة أن فرنسا بأسرها تسقط اذا سقطت باريس . ولهذا فإن الأهمية العسكرية لتشكيلات الحدود الفرنسية تعتمد قبل كل شيء على تأمين الحماية اللازمة لباريس » (١) .

وأبلغت قيادة الحزب الشيوعي الحكومة الفرنسية أنها تعتبر التخلي عن باريس للغزاة الفاشيين خيانة ، واقترحت تشكيل جيش شعبي يتولى الدفاع عن العاصمة التي تعتبر عقل فرنسا وقلبها . (٢)

ولا شك في أن اعلان باريس مدينة مكشوفة كان بمثابة استهلال لاستسلام فرنسا . ولو قاومت العاصمة ، لهب الشعب الفرنسي عن بكرة أبيه يقاوم الغزاة الفاشيين . وأظهرت شجاعة الجنود الفرنسيين وبعض الضباط وبطولاتهم واخلاصهم ، أن في امكان الشعب الفرنسي أن يسد الطريق في وجه العدو . ولكن حكام فرنسا لم يكونوا راغبين في ذلك . وذكر مراسل صحفى أمريكى ، كان في باريس في تلك الأيام ، أن كبار الرأسماليين الفرنسيين كانوا يؤثرون رؤية باريس تحت حكم هتلر على أن تصبح تحت حكم جبهة شعبية . وأضاف أن هؤلاء الرأسماليين « كانوا يخافون النصر أكثر من خوفهم من الهزيمة » .

وتولى بوليت سفير الولايات المتحدة في فرنسا دور الوسيط في تسليم باريس الى النازيين الذين دخلوها في الرابع عشر من يونيو .

وكانت الحكومة الفرنسية تتفاوض في غضون ذلك في مدينة تورز مع زائريها من أعضاء الحكومة البريطانية كونستون تشرشل وهاليفاكس وبيهربروك

(١) فريدريش اينجلز «الو والراين» - شتوتجارت ١٩١٥ . ٣٥ .

(٢) فلوريمون . بوسى نفس المصدر ص ٣٤١ .

ووجدت الحكومة البريطانية الفرصة متاحة لها لاستغلال متاعب فرنسا . وكانت تسعى الى السيطرة على جميع مواردها ومستعمراتها وأسطولها ، وتحويل فرنسا الى مرتبة مقاطعة بريطانية . فقد قدمت بريطانيا الى الحكومة الفرنسية في السادس عشر من يونيو من عام ١٩٤٠ مشروع الوحدة بين فرنسا وبريطانيا .

وارتكز هذا المشروع على الفكرة القائلة بأن فرنسا قد انتهت كدولة عظمى . ولم تكن الحكومة البريطانية راغبة في التخلي عن وراثتها لفرنسا .

وكان بول رينو مؤيدا للاقتراح البريطاني . لكن معظم أعضاء الحكومة الفرنسية وفي طليعتهم بيتان ، كانوا يؤثرون التسليم للفاشيين الألمان . وكان الشعار الذي رفعوه « ان من الافضل لفرنسا أن تكون مقاطعة ألمانية على أن تصبح دومنيونا بريطانيا » (١) .

وانقسمت الحكومة الفرنسية الى فريقين ، أحدهما يرغب في تسليم البلاد الى الامبرياليين البريطانيين ، والآخر على استعداد لخدمة الفاشية الألمانية . ولم يكن هناك فريق ثالث يؤيد النصال من أجل حرية فرنسا واستقلالها . وكان هذا في حد ذاته دليلا صارخا على أن الطبقة الحاكمة في البلاد كانت قد غرقت في هاوية الخيانة الوطنية .

واقترعت الأغلبية الى جانب التسليم . واستقال رينو في اليوم التالي ، أى في السابع عشر من يونيو ، ليخلفه الماريشال فيليب بيتان ، الذى سارع الى اذاعة بيان على الشعب قال فيه : « ان على البلاد أن توقف القتال » وانه « طلب بالفعل من العدو ، أن يبين له اذا كان على استعداد لتوقيع الهدنة » . ولاشك في أن اذاعة بيتان هذه ، حطمت البقية الباقية من معنويات الجيش الفرنسى الذى كان لايزال يقاوم الغزاة الفاشيين .

- ٢ -

واجتمع هتلر وموسولينى في الثامن عشر من يونيو في مدينة مونيخ للبحث في شروط استسلام فرنسا ، وأظهر الاجتماع وجود خلافات خطيرة بين شريكى المحور . ومدت الحكومة الأمريكية أيضا يدها ، لتجنى ثمار الحرب الفرنسية - الألمانية . فقد تقدمت الى الحكومتين الألمانية

(١) تيلسكريرش - نفس المصدر - ص ٩٠ .

والإيطالية ، طالبة منهما إبلاغها بشروطهما لاستسلام فرنسا (١) . ورفض شريكا المحور الطلب الأمريكي ، فأضافا بذلك كثيرا من الوقود الى العداء القائم بينهما وبين الولايات المتحدة الأمريكية .

وسلم النازيون فى الواحد والعشرين من يونيو من عام ١٩٤٠ شروط الهدنة الى ممثل فرنسا ، فى احتفال خاص ، أعد النازيون مسرحه اعدادا مدروسا . فقد قدم ويلهلم كايتل الشروط الى الوفد العسكرى الفرنسى بحضور هتلر فى نفس عربة القطار التى سلم فيها المارشال فوش شروط الهدنة الى الوفد الألمانى فى النامن من نوفمبر من عام ١٩١٨ وقد وقفت العربة أيضا فى نفس المكان الذى كانت فيه فى عام ١٩١٨ على مقربة من غابة كومبيين .

ونصت شروط الهدنة التى قبلتها حكومة بيتان دون أى تحفظ ، على توقف القتال فورا ، وعلى أن تلقى جميع الجيوش الفرنسية أسلحتها دون قيد أو شرط . وأصبحت جميع القوات الفرنسية البرية والبحرية والجوية باستثناء تلك التى تتطلبها الحكومة الفرنسية للحفاظ على « الأمن » معرضة للتسريح الفورى . واحتفظت ألمانيا لنفسها بالحق فى الاستيلاء على كل مالى فرنسا من مدافع ودبابات وأسلحة مضادة للدبابات ، وطائرات حربية ومعدات للمشاة وجرارات وذخائر ، على أن تكون فى حالة طيبة . ونصت الشروط أيضا على أن تتسلم ألمانيا الحصون البرية والبحرية وأسلحتها ، ومخططاتها وجميع المعلومات المتعلقة بحقول الألغام والخطط الدفاعية البحرية .

ونصت الهدنة على أن تحتل القوات الألمانية جزءا كبيرا من فرنسا ، على أن تتولى هذه دفع نفقات الاحتلال . وقرر أن تمتد منطقة الاحتلال من خط يمتد من الشرق من جنيف الى دول فسالون فباريه الى مونيال فمولان فيورج ففيرسين ليصل الى نقطة تبعد عشرين كيلومترا الى الشرق من تورز ، ثم يتجه جنوبا فى خط مواز للسكة الحديدية الممتدة من انجوليم الى مونت دى مارسان فسان جان بيه دى بورت .

وقد عنى هذا أن تصبح جميع مناطق فرنسا الصناعية تحت الاحتلال الألمانى ، وأجل النازيون موضوع مطالبهم الإقليمية من فرنسا الى موعد لاحق ، واكتفوا الآن بضم الالزاس واللورين الى الرايخ . أما بالنسبة الى

(١) وثائق عن علاقات أمريكا الخارجية - المجلد الثانى - بوسطن ١٩٤٠ .

الصناعات الفرنسية فقد كانوا فى حاجة اليها للقيام بمغامراتهم العسكرية التى خططوا لها . وكان نحو من خمسة وستين فى المائة من مجموع صناعات فرنسا الآلية فى المنطقة المحتلة ، كما أمنت هذه المنطقة تزويد ألمانيا بنحو من ٩٨ فى المائة من مجموع انتاجها الذى كان قائما قبل الحرب من الحديد والصلب .

وفد يتساءل المرء ، لم لم يقم النازيون آنذاك باحتلال فرنسا كلها ، وهو ماعادوا فعلوه فيما بعد ؛ لكن الرد على هذا السؤال بسيط ، فقد أمل الألمان ، عن طريق اقامه حكومه فرنسيه خاضعة لهم ، فى الاحتفاظ بسيطرتهم على الأسطول الفرنسى والمستعمرات الفرنسيه ، اذ لو لم نقم مثل هذه الحكومة ، لفام أعداء ألمانيا الفاشية فوراً بالاستيلاء عليهما . ونصت المادة النامنة من اتفاق الهدنة على مايلى : « على الأسطول الحربى الفرنسى أن يتجمع فى نقاط يحددها الألمان والايطاليون ، ونكون تحت سيطرتهم . على أن يزعم سلاحه ، ويرسو فى مواقعه ، باستثناء تلك الوحدات ، التى يسمح للحكومة الفرنسية بالاحتفاظ بها لحماية المصالح الفرنسية فى مستعمراتها » (١) .

ولم يحدد أى موعد لانتهاء الهدنة . ولكن اتفاقها نص «على استمرار سربانها حتى عقد معاهدة الصلح . ومن حق الحكومة الألمانية أن تنهى هذا الاتفاق فى أى وقت تراه مناسباً ، وأن يسرى ذلك على التو ، اذا عجزت الحكومة الفرنسية عن الوفاء بالالتزامات التى فرضها الاتفاق » (٢) .

وبقرر أن يسرى مفعول جميع هذه الشروط بعد قبول فرنسا بشروط الهدنة الإيطالية .

ووقع الممثلون الفرنسيون فى الثانى والعشرين من يونيو اتفاق الهدنة مع ألمانيا ، طبقاً لهذه الشروط المهيئة .

وكان قادة إيطاليا الفاشية ، ينتظرون بفارغ الصبر ، حلول الساعة التى يستطيعون فيها التقدم بطلباتهم الى فرنسا . وكانت الصحف الايطالية كزميلتها الألمانية ، تطلب اتخاذ موقف القسوة فى التعامل مع فرنسا . وكنبت صحيفة تيفير فى الثالث والعشرين من يونيو نقول : « لا رحمة مع فرنسا . أو لم تفعل هي كل ما فى وسعها لتستحق أن نضرب رأسها بأحذيتنا ؟ عليها أن تظل راكعة على ركبتها قرونا طويلة » .

ومضى اتفاق الهدنة الإيطالية - الفرنسية فى شروطه خطوة أبعد من تلك التى وصل اليها الاتفاق الفرنسى - الالماني . فقد نص هذا الاتفاق على وجوب وقف اطلاق النار فى كافة مستعمرات فرنسا والبلاد الواقعة تحت انتدابها . وحدد الاتفاق وجود مناطق منزوعة السلاح تحتلها القوات الإيطالية ، ونقع على بعد خمسين كيلومتراً الى ماوراء الحظ الذى وصلت اليه الجيوش الإيطالية عند وقف اطلاق النار ، وعلى بعد ٢٥٠ كيلومتراً الى ما وراء حدود ليبيا فى كل من تونس والجزائر . وتعهدت فرنسا بنزع السلاح من سواحل الصومال الفرنسى ، وبإخلاء المواقع الفرنسية البحرية المحصنة فى طولون وبنزرت ووهران . وحصلت إيطاليا بموجب الاتفاق على الحق الكامل واللامشروط فى استخدام ميناء جيبوتى ومنشآته ، وفى استغلال الجزء الفرنسى من سكة حديد جيبوتى - أديس أبابا (١) .

ولم يتضمن اتفاق الهدنة ، شيئاً من مطالب إيطاليا الإقليمية فى فرنسا نفسها . فقد عارض هتلر ، فى مطالبة موسوليني بأن تسلمه فرنسا مقاطعة سافوى ونيس وكورسيكا وتونس . ولم يكن الامبرياليون الألمان ميالين على أى حال للسماح لإيطاليا بائبلاع هذه القطع الشهية . يضاف الى هذا أن الألمان كانوا فى حاجة الى حكومة دمية لهم فى فرنسا ، وكانت هذه الحاجة تفرض ارجاء أية تجزئة لفرنسا .

وكتب الكونت جاليازو تشيانو وزير خارجية إيطاليا حول هذا الموضوع فى يومياته يقول : « وجدت موسوليني ساخطاً . . . فالدوتشى انسان منطرف . وكان يؤنر المطالبة باحتلال الأرض الفرنسية كلها ، وتسليم الأسطول الفرنسى . ولكنه كان يعرف أن آراءه ليست الا ذات طابع استشارى فقط وأن هتلر لم يكن ميالاً الى العمل بموجبها » (١) .

وقبلت الحكومة الفرنسية شروط الهدنة الإيطالية ، ووقعت الاتفاق الخاص بها فى الرابع والعشرين من يونيو . وهكذا أصبحت الهدنة الألمانية سارية المفعول اعتباراً من اليوم النالى ، وتوقفت العمليات الحربية .

ومثلت شروط الهدنة اغتصاباً « مريعاً » لحقوق الشعب الفرنسى . فقد لحقت المهانة بفرنسا ، وديست حقوقها القومية بالأقدام . وتحتم على الشعب الفرنسى أن يتغاضى عن وجود الحكم النازى فى المناطق المحتلة من

(١) النيويورك تايمز - عدد ٢٦ يونيو ١٩٤٠ .

(٢) يوميات تشيانو (١٩٣٩ - ١٩٤٣) - أعداد هيو جيبسون - نيويورك ١٩٤٦

ألمانيا الى أجل غير مسمى ، وأن يدفع من عمله وعرقه نفقات هذا الاحتلال .
وتحتّم على أسرى الحرب الفرنسيين أن يظلّوا في ألمانيا ليعملوا لحساب
غزاتهم . وأصبحت الأسلحة الفرنسية غنيمة للعدو .

وكان ثمة ما هو أسوأ من هذا كله ، اذ لم تعكس شروط الهدنة جميع
الآثار المترتبة على وضع فرنسا . فقد تعهد بيتان بأن يقدم لألمانيا من
فرنسا ومستعمراتها ، المواد الغذائية والخامات والوقود . وكان على
الشعب الفرنسي أن يعاني آلام الجوع ، وشقاء البرد ، بينما تحمل
« القطارات » التي لا ينتهي عددها ، ثروة انبلاذ القومية الى ألمانيا .
وحصلت ألمانيا على الحق المطلق في استخدام المصانع الفرنسية في صناعة
المواد الحربية ، وتحتّم على العمال الفرنسيين أن يعززوا القوة العسكرية
لمستعبدتهم . ونقل الملايين من الفرنسيين الى ألمانيا ليعملوا بالسخرة في
مصانع ألمانيا الحربية .

وأدان القطاع التقدمي في الطبقة العاملة الألمانية شروط الهدنة ،
فقد أصدر الحزب الشيوعي الألماني الذي يعمل سرا ، القرار التالي في
مطلع شهر يوليو من عام ١٩٤٠ : « تستنكر الطبقة الألمانية العاملة
الاتفاق الذي أملى في كومبين ، ولن تقرّبه على الإطلاق . ويدرك العمال
الألمان أن هذا الاتفاق الذي فرض فرضا ، يحطم المصالح الحيوية للأمة
الفرنسية . وهم يعربون عن بضاعتهم الأخوى ، مع الطبقة العاملة
الفرنسية ، وبعنون تصميمهم على القنال معها جنبا الى جنب ضد شروط
كومبين التي تعتبر عملا معيبا وعنيفا ضد مصالح الأمة الفرنسية
العظيمة » (١) .

ولاشك في أن هذا الفرار يعتبر من أروخ الأمانة على التضامن العالمي
للطبقة العاملة .

وأصدر الحزب الشيوعي الإيطالي بيانا دمايلا جاء فيه . . « لا يريد
شعبنا أن يكون عبدا للبورجوازية الفاشية الإيطالية ولا نابعا للامبريالية
الأجنبية ، ولا سجانا أو ناجر رقيق للشعوب الأخرى . ان شعبنا لا يريد
أن يستعبد شعب فرنسا الشقيق . ونحن الشيوعيين نعلن أن الشعب
الإيطالي لا يعترف وإن يعترف على الإطلاق بشروط الهدنة المعيبة التي
فرضها الامبرياليون الألمان والإيطاليون على الشعب الفرنسي » (٢) .

(١) كتاب « الحرب ضد العاشية » أوتونير - برلي ١٩٥٥ . ص ١٧٥ .

(٢) ثلاثون سنة من وثائق الحزب الشيوعي الإيطالي - المجلد الثاني ١٩٥٤ .

ترى ما الأسباب التي أدت الى مأساة فرنسا القومية ؟ يفوم السبب الرئيسى فى سياسة الخداع التى اتبعتها الطبقات الحاكمة فى البلاد قبل الحرب وابانها . ولم يكن استسلام فرنسا الا النتيجة الطبيعية لسياسة مونيخ وللإجراءات المعادية للسوفيات التى اتبعتها حكاه فرنسا . فقد وجدت فرنسا نفسها بعد أن طورد الوطنيون من أبنائها ولوحقوا من الحكومة ، مجزأة على نفسها ، هجرها حلفاؤها وأصدقاؤها ، وتركت وحيدة لتواجه عدوها التعليدى . وليست مأساة فرنسا الا مأساة شعبها . فقد احتقر كبار رجال المال والأعمال فيها مصالحها القومية ، وكانوا يرحبون بأية صفقة يعقدونها مع هتلر طالما أنها تحقق لهم كسبا . ولم تتردد « المائتا عائلة » فى فرنسا لحظة واحدة فى خيانة البلاد ، أملا منها فى التمكن من كبح جماح شعبها . وأثرت هذه « العائلات » أن تسلم البلاد الى عدوها الامبريالى ، على أن تكل مصيرها الى شعبها .

وساعد الرأسماليون الفرنسيون ألمانيا الهنلرية فى استغلال الصناعة الفرنسية . وسيطر التعاون بين الصناعيين الفرنسيين وبين قوات الاحتلال فى الجزء المحتل من فرنسا . وكتب توماس كيرنان ، وهو أمريكى من كبار رجال الأعمال ، كان بقم فى فرنسا فى تلك الأيام : ان النازيين « كانوا أذكاء فى تحويل جميع المنطقة المحتلة الى مؤسسة تجارية وصناعية وزراعية واحدة تابعة لهم » (١) . وأضاف انهم أفلحوا فى ذلك ، « وتمكنوا من أن يحققوا ما كان رجال الاقتصاد يدعون استحالة قبل الحرب ، وهو أن يجعلوا الفتح العسكرى أمرا مربحا على الفور » (٢) .

واعتمد النازيون فى فرنسا غير المحتلة على مايلفونه من دعم من حكومة بيتان . واختار الماريشال بلدة فيشى الصغيرة التى يؤمها الناس فى الاجازات عاصمة لحكمه . وراح نواب البرلمان الفرنسى فى العاشر من يوليو من عام ١٩٤٠ ، وبعد أن اخرج جميع الشيوعيين والوطنيين من صفوفه ، ينفذون طائعين دور حفارى القبور للسيادة الفرنسية ، وبتخذون قرارا بالغاء الجمهورية الفرنسية . وأعلن قيام ديكتاتورية عسكرية « برئاسة » بيتان خلفا للنظام الجمهورى . ولم بطل الوقت كثيرا ببيتان حتى شرع فى تمثيل دوره ، فقد ألقى الخطاب التالى :

(١) كتاب « تقرير عن فرنسا » لتوماس كيرنان - لندن ١٩٤٢ . ص ١٥ .

(٢) نفس المصدر ص ٦٧ .

« أعلن أنا فيليب بيتان ، ماريشال فرنسا ، تطبيقا
للقانون الدستوري الصادر في العاشر من يوليو من عام
١٩٤٠ ، أنني قد تسلمت مهام رئيس الدولة الفرنسية . ولذا
أعلن إلغاء المادة الثانية من القانون الدستوري الصادر في ٢٥
فبراير من عام ١٨٧٥ » (١) .

وكان هذا الاعلان بمثابة إلغاء للدستور الفرنسي ولاءلان حقوق
الانسان .

وكان على ديكتاتورية فيشي الارهابية أن تحطم مقاومة الطبقة
العاملة . وأن تؤمن للفاشيين الألمان كل راحة ممكنة في المنطقة غير المحتلة
من فرنسا .

ووجدت البورجوازية الفرنسية نفسها متورطة في لعبة سياسية
دقيقة ومعقدة . فهي تعامر على انصار هتلر ، في نفس الوقت الذي تنشد
العون فيه من الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة وبريطانيا . وأوفدت
حكومة بيتان في شهر أكتوبر من عام ١٩٤٠ . ممثلها لوبس روجيه في
مهمة سرية لم يعرف بها الألمان الى لندن . وقام روجيه بزيارة كل من
ونستون تشرشل واللورد هاليفاكس والسير ريليام كادوجان . وأسفرت
هذه المحادثات عن اتفاق « جنتلمان » في الثامن والعشرين من أكتوبر
من عام ١٩٤٠ ، نص على أن تخفف بريطانيا من وطأة حصارها البحري
المفروض على فرنسا غير المحتلة ، وأن تؤجل اسبلاء دييجول على المستعمرات
الفرنسية التي مازالت على الولاء لحكومة فيشي ، وأن تخفف من غلواء
حملاتها « الدعاوبة » على حكومة بنان . ووعدت هذه بدورها ، بوقف
كل مساعدة لهتلر في حربه ضد بريطانيا ، وبالإبقاء على الأسطول
الفرنسي بعيدا عن متناول هتلر ، وبأن تفعل كذلك بالنسبة الى القواعد
الحربية في إفريقيا ، وألا تطالب عاجلا بالمستعمرات الخاضعة لدييجول .
« أن ننضم الى الحرب ضد ألمانيا في نفس اللحظة التي تصبح فيها بريطانيا
قادرة على انزال قوات كبيرة في فرنسا » (٢) .

وأوفد الرئيس روزفلت مستشاره الأمين الأميرال ليهي ليعمل سفيرا

(١) رافائيل ليكين في كتابه «حكم المحور في أوروبا المحتلة» . واشنطن ١٩٤٤ .
ص ٤٠٥ .

(٢) لويس روجيه . «الاتفاق السري بين فرنسا وبريطانيا في خريف عام ١٩٤٠»
جراسيت - باريس - ١٩٥٤ . ص ٣٠ - ٣١ .

له عند بيتان . وحفقت دبلوماسية ليهي توقيع اتفاق سرى فى السادس ولعشرين من فبراير من عام ١٩٤١ ، بين الجنرال ويغان ، والدبلوماسى الأمريكى روبرت ميرفى . ونص هذا الاتفاق على توفير التسهيلات الاقتصادية للولايات المتحدة فى المستعمرات الفرنسية فى افريقيا الشمالية . وتعهدت الولايات المتحدة من ناحيتها ، بتموين هذه المستعمرات وفرنسا غير المحتلة بالمواد الحربية ذات الأهمية الاستراتيجية وبالسلع المصنوعة والمواد الغذائية .

وقام الجنرال ديغول بعد تسليم فرنسا بإنشاء اللجنة الوطنية لحريير فرنسا فى لندن . ووقع المستر وونستون تشرشل فى السابع من يوليو من عام ١٩٤٠ ، اتفاقا يفضى بمسحه ، أى ديغول ، الحق فى تأليف قوة من المتطوعين الفرنسيين فى بريطانيا . ووعدت الحكومة البريطانية ديغول ، بتزويد قواته بكل ماتحتاج اليه من مواد حربية . وعين ديغول قائدا أعلى لهذه القوات . ولكن كان عليه أن يعمل تحت اشراف البريطانيين . وسمح له أيضا بتنسيق ادارة مدنية . ونعهدت الحكومة البريطانية بأن تدفع جميع تكاليف ادارته المدنية وقواته العسكرية . ولاسك فى أن هذا جعل حركة ديغول معتمدة على المجموعات القيادية الحاكمة فى بريطانيا .

وراحت الحكومة البريطانية تعمل لمصلحتها ، ونباية عن حركة ديغول ، فحاولت الاستيلاء على الأسطول الفرنسى المربط فى ميناء وهران فى الثالث من يوليو من عام ١٩٤٠ ، وعلى وحداته المربطة فى الاسكندرية بعد بضعة أيام من هذا التاريخ . واستسلمت بعض القطع البحرية الفرنسية للانجليز ، بينما رفض البعض الآخر الاستسلام ، فتعرضت لنيران البوارج البريطانية وغرق قسم منها . واشتركت الحكومة البريطانية وحركة ديغول فى شهر سبتمبر من عام ١٩٤٠ فى محاولة للاستيلاء على دكاك ، وهى قاعدة بحرية فرنسية مهمة على ساحل افريقيا الغربى ، وللإستيلاء على القطع البحرية الفرنسية الراسية فيها ، لكن المحاولة منيت بالفشل . وانضم عدد من المستعمرات الفرنسية الى حركة ديغول فيما بعد .

وكان الشعب الفرنسى الذى تبين خيانة الانهزاميين والخنوة له ، يناضل من أجل تحقيق استقلال وطنى أصيل لفرنسا . ووقف الحزب الشيوعى الفرنسى فى طليعة هذا النضال . وأصدرت اللجنة المركزية للحزب فى العاشر من يوليو من عام ١٩٤٠ بيانا وقعه موريس توريز

وجاك دوكلو ، جاء فيه : « ذقت فرنسا الهزيمة والاحتلال والاذلال .
وتريد فرنسا التي دمرتها الحرب أن تتحرر وتستقل . فلا يمكن «لشعب»
عظيم كشعبنا أن يصبح أمة من العبيد . ولا يمكن « لفرنسا » أن تتحول
فى أى يوم من الأيام الى صورة مستعمرة . ولن تدعن فرنسا بـماضيها
المجيد لحفنة من المجانين المستعدين لأداء جميع الخدمات . ولن يكون انقاذ
فرنسا على أيدي الجنرالات المنهزمين أو رجال الأعمال أو الساسة ذوى
الماضى الملوث . ولكن فرنسا تعلق آمالها فى التحرر الوطنى والاجتماعى
على شعبها . ولاشك فى أن الطبقة العاملة بحماستها وسخائها فى
التضحيات وثقتها وبسالتها هى التى تؤلف نواة الطليعة فى التحرر
والاستقلال وبعث فرنسا » (١) .

وناشد البيان شعب فرنسا النضال من أجل الحرية . ولم تصم آذان
الفرنسيين عن سماع هذا النداء النبيل . فقد أصغوا الى أصوات ضمائرهم
وشرفهم ، وجعلوا من هذا النداء برنامجا لعملهم .

(١) موريس توريز فى كتابه « أبناء الشعب » - باريس ١٩٦٠ - النشرة الاشتراكية



بعد استسلام فرنسا

- ١ -

وضع استسلام فرنسا بريطانيا في موقف عصيب . فقد أصبحت وحدها تواجه ألمانيا ، وبات لزاما عليها أن تخوض الحرب بمواردها الخاصة على النقيض من تقاليد طبقاتها الحاكمة القديمة . وكان من الواضح أن بريطانيا ستعجز عن مقاومة ألمانيا وحدها ، دون عون خارجي . وهكذا لجأ تشرشل وأفراد حكومته في مثل هذه الاوضاع الى كسب الوقت والابطاء في التطورات .

وكانت الورطة التي وجدت بريطانيا نفسها فيها نمرة منطقية لسياسة حكامها التي ساروا عليها عشية نشوب الحرب العالمية الثانية وفي أشهرها الأولى . ووصف هارولد ال . ايكس ، السياسي الأمريكي المعروف سياستها بقوله : « كانت بريطانيا لاتزال تأمل في أن تشتبك ألمانيا مع روسيا لتنجو هي بجلدها . وكانت قد أصبحت أسيرة المتاعب التي خلقتها وفقدت نتيجة ذلك ماكان لها من عطف واحترام في العالم عامة ، (١) .

وكان النازيون يتوقعون من البريطانيين أن يلقوا السلاح بعد انهيار فرنسا ، أو أن يطلبوا الصلح على الأقل . لكن مثل هذه الخطوات لم تكن متوقعة من بريطانيا على الاطلاق . ولذا شرعت القيادة الألمانية في دراسة خططها لغزو الجزر البريطانية . وتم اعداد خطة الغزو في وقت

(١) هارولد ايكس ... «اليوميات السرية لهارولد ايكس» المجلد الثاني -

سيمون وشوستر - نيويورك . ١٩٥٤ . ص ٧٠٥ .

قصير ، وأطلق عليها اسم عملية « أسد البحر » . واستكملت هذه الخطة بخطتين اسبائيتين - ألمانيتين ، أولاهما وتسمى ايزابييل للاستيلاء على جبل طارق ، وثانيتها وأسميت فيليكس ، للاستيلاء على البرتغال . وكان الوضع موافقاً لكل المواثيق من الناحية العسكرية للألمان . فقد غدت بريطانيا بعد دنكرك خالية من كل قوة دفاعية تقريباً . ولم تكن في البلاد أسلحة تكفي « لتحل » محل تلك التي تخلى عنها الجيش البريطاني المنسحب من شمال فرنسا . وكان الانتاج قد ضعف في غضون ذلك ، فلم يستطع الوفاء بمتطلبات الحروب . وكانت الميزة الوحيدة لبريطانيا ، وجود أسطولها القوي . وكانت ألمانيا تتوقع أن تسد البون بين أسطولها والأسطول البريطاني ، عن طريق التفوق الضخم في القوة الجوية والمدافع الساحلية البعيدة المرمى .

وانخذ النازيون لهم مواقع استراتيجية ممتازة على طول السواحل الشمالية والغربية لفرنسا . وكانت الطائرات الحربية الألمانية العاملة ضد بريطانيا تعتمد على مطارات ومدارج للهبوط على طول ساحل القناة . وتحولت الموانئ الفرنسية الى قواعد للغواصات والطائرات البحرية والبوارج المغيرة الألمانية العاملة ضد الملاحية البريطانية . ولم يكن تشرشل يحسن الظن كثيراً في قدرات بريطانيا الدفاعية ، ولذا فقد اعترف في جلسة مغلقة لمجلس العموم عقدت في ألتال والعشرين من ابريل من عام ١٩٤٢ ، انه « كان في امكان قوة غازية تضم نحواً من مائة وخمسين ألف رجل من المختارين أن تنزل الاضطراب في الجزر البريطانية ، لو وقع هذا الغزو في عام ١٩٤٠ » (١) ، أي بعد دنكرك .

وكان من المحتمل أن يظهر في بريطانيا كثيرون من أمثال بيتان . ولقد روى ديجول في مذكراته أن الاوساط الحسنة الاطلاع كانت « تتهاشم متناقلة اسماء الساسة والأساقفة والكتاب ورجال الأعمال المستعدين للتفاوض مع الألمان ليتولوا ادارة البلاد تحت اشرافهم » (٢) .

وأصدرت القيادة العليا الألمانية في السادس عشر من يوليو من عام ١٩٤٠ أمراً موجهاً رقم ١٦ ، وقعه هتلر . وهذا نصه : « لما كانت بريطانيا بالرغم من موقفها العسكري اليائس ، لم تبد حتى الآن رغبة في الوصول الى تفاهم . فقد قررت أن أسرع في الاستعداد لغزو انجلترا وأن أقوم

(١) الدبلي تلجراف المورنيخ لوست عدد ٢٨ يناير ١٩٤٦ .

(٢) مذكرات ديجول - النداء - ١٩٤٠ - ١٩٤٢ . ص ٨٧ .

بتنفيذه اذا اقتضى الأمر • وتملى علينا هذه العملية ، ضرورة ازالة بريطانيا العظمى كقاعدة تشن منها الحرب على ألمانيا ، واحتلال الجزيرة اذا تطلب الأمر » (١) وتصورت عملية أسد البحر غزوا ذا ثلاث شعوب ، تتبعه عمليات لاحقة فى بريطانيا نفسها •

وشرع النازيون تنفيذاً لهذا الأمر فى بناء أسطول للغزو وتم فى غضون شهر واحد حشد نحو من ١٦٨ ناقلة و ١٩١٠ قوارب و ٤١٩ زورق جر و ١٦٠٠ زورق بخارى على طول الشاطئ الشمالى لأوربا (٢) وأمر هتلر فى توجيهه الثانى رقم ١٧ الصادر فى الأول من أغسطس فى عام ١٩٤٠ ، بشن حرب جوية شاملة على بريطانيا ، كما طالب بعمليات بحرية واسعة ومتسدة أيضا • وكانت الخطة التى وضعت لاحتلال بريطانيا تهدف الى جعل البلاد مستعمرة ألمانية واستعباد أهلها ، وابداء جميع القادرين على المقاومة منهم • وتضمنت الخطة نقل ثروة البلاد منها • وتضمنت الخطة أيضا اجراءات تعسفية وتأديبية ، منها نقل شطر من سكان البلاد الى الخارج ، والتقليل من الباقين منهم بمختلف وسائل الابادة •

وكانت الزمرة الحاكمة فى ألمانيا وقيادتها العسكرية قد شرعتا فى غضون ذلك فى اعداد العدة لنقل استعدادات الهجوم الرئيسى من الغرب الى الشرق •

وكان انهيار فرنسا قد ضاعف الى حد كبير من طاقات ألمانيا الاقتصادية الحربية • وكانت الانتصارات السهلة التى حققتها ألمانيا قد ضاعفت من الثقة عند الحكام الألمان • وكانوا على يقين من أن فى وسعهم أن يمضغوا كل ما ينهشونه • وكانوا قد أجلوا خططهم الحربية ضد الاتحاد السوفياتى ، لكن هذه الخطط عادت الآن فاحتلت المكان الأول ، وان كان النازيون قد عرفوا ولا شك أن الاتحاد السوفياتى يملك موارد واسعة ومتزايدة باستمرار •

وكان وجود الاتحاد السوفياتى هو الذى أنقذ بريطانيا من الغزو الهتلرى • وكتب ويليام فوستر يقول : « ولقد أنقذ خوف هتلر من الجيش الأحمر ، بريطانيا من الهجوم النازى الفاتح » (١) •

(١) لويس سنايدر فى كتابه « الحرب - تاريخ مختصر ١٩٣٩ - ١٩٤٥ » - نيويورك جوليان ميسنر ١٩٦٠ ص ١٢٠ •

(٢) تيليسكيرش - نفس المصدر ص ٩٨ •

(٣) ويليام فوستر - نفس المصدر - ص ٢٣ •

وكان الاتحاد السوفياتى ، مدفوعا بتصميمه على تعزيز دفاعه ، قد حل فى غضون ذلك - وبصورة ناجحة - سلسلة من المشاكل الدولية الحيوية .

فبالرغم من معاهدات المساعدة المتبادلة التى كان الاتحاد السوفياتى قد عقدها مع لينوانيا ولاتفيا وايستونيا ، والننى كانت نافعة كل النفع للوضع الدولى ، فان الدول البلطيقية الثلاث التى يحكمها أنصار الفاشية من أمثال اناناس سميتونا وكارليس أولمانيس وباتس ، لم تتخل عن دسائسها المعادية للسوفيات .

وكانت هذه الدول البلطيقية الثلاث قد تعهدت فى هذه المعاهدات بأن تظل بعيدة عن أية أحلاف معادية للاتحاد السوفياتى . ولكنها سرعان ما تنكرت لتعهداتها هذا ببعثها لحلف البلطيق العسكرى المعادى للسوفيات .

وكانت الحرب بين الاتحاد السوفياتى وفنلندة ، قد انعشت الآمال لدى فاشيى البلطيق ، الذين كانوا يحلمون منذ أمد طويل بمنتوب حرب بين المانيا والاتحاد السوفياتى . وعقد حكام ايسستونيا ولاتفيا وليتوانيا فى ديسمبر من عام ١٩٣٩ ، ومارس من عام ١٩٤٠ مؤقرين سريين ضد الاتحاد السوفياتى . وشرعوا فى الوقت نفسه فى تحريض الرأى العام فى بلادهم ضده . وناشد أولمانيس رئيس دولة لاتفيا البورجوازية فى خطاب وجهه فى الاذاعة فى العاشر من فبراير من عام ١٩٤٠ ، جيش بلاده أن يتأهب لمواجهة « ساعة القرار الفاصلة » القريبة . وعقد أعضاء منظمة سولى الفاشية الليتوانية فى مارس مؤتمرا ، وجه اليه سميتونا رئيس ليتوانيا البورجوازية خطابا ، دعاهم فيه الى العمل لمجابهة الاتحاد السوفياتى . وكانت اشاراته الساخرة الى السلاف ، توحى بأنه يلقى الدعم من النازيين .

وتعرضت الوحدات العسكرية السوفياتية المرابطة فى ليتوانيا طبقا لنصوص معاهدة المعونة المتبادلة الى سلسلة من الاستفزازات . وكانت الحكومة الليتوانية تضطهد وتعتقل الليتوانيين الذين يتصلون بالجنود السوفييت .

ووجهت الحكومة السوفياتية بين الرابع عشر والسادس عشر من

يونيو مذكرات الى ليتوانيا ولاتفيا وايستونيا عددت فيها سلسلة المخالفات الكبيرة لمعاهدات المساعدة المتبادلة ، وضمنتها مطالب سديدة . ونص أحد هذه المطالب على حشد قوات سوفياتية كافية فى الدول البلطيقية الثلاث لتنفيذ نصوص معاهدات المساعدة المتبادلة . وقبلت هذه الدول الشروط السوفياتية ودخلت القوات السوفياتية بين الخامس عشر والسابع عشر من يونيو - أراضى جمهوريات البلطيق الثلاث .

وتقدمت الحكومة السوفياتية فى السادس والعشرين من يونيو من عام ١٩٤٠ بمطالب الى الحكومة الرومانية تتعلق ببسارابيا وبوكوفينا الشمالية . وأوضحت المذكرة السوفياتية التى تضمنت هذه المطالب أن « الوضع الدولى الراهن يتطلب الاسراع فى حل المشاكل المعلقة بين البلدين والمتخلفة من الماضى » (١) وكانت بسارابيا التى اغتصبها حكام رومانيا عن طريق الخيانة فى عام ١٩١٨ ، إحدى هذه القضايا الملحة المنذرة بالشر وكانت قضية إعادة بسارابيا الى الاتحاد السوفياتى مرتبطة « ارتباطا عضويا بقضية تسليم الاتحاد السوفياتى ذلك الجزء من بوكوفينا الذى ترتبط الجmhرة الغالبة من سكانه بأوكرانيا السوفياتية بروابط من التاريخ المشترك واللغة المشتركة والتكوين القومى المشترك » (٢) وكان سكان بوكوفينا قد افترعوا أيضا الى جانب الوحدة مع أوكرانيا السوفياتية منذ عام ١٩١٨ ، ولكن ارادتهم لم تتحقق بسبب التدخل المستمر من دول الحلفاء .

واضطرت الحكومة الرومانية الى التسليم بمطالب السوفيات العادلة وتم فى الثامن والعشرين من يونيو ، تحرير بسارابيا وبوكوفينا الشمالية من حكم رومانيا وضممت الى الاتحاد السوفياتى .

وكبح وجود القوات السوفياتية فى ايسستونيا ولاتفيا وليتوانيا جماح الحكام البورجوازيين الموالين للفاشية فى هذه البلاد الثلاث ، وأتاح فى الوقت نفسه الحرية لشعوب هذه البلاد للتعبير عن ارادتها . وراحت برلماناتها الثلاثة تعلن رغبتها فى سيادة الحكم السوفياتى وتطالب المجلس السوفياتى الأعلى بقبولها أعضاء فى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية . ووافق المجلس السوفياتى الأعلى فى مستهل شهر أغسطس من عام ١٩٤٠ على هذه الطلبات واصبحت الجمهوريات الثلاث جزءا من الاتحاد السوفياتى .

(١) وائى وزارة الخارجية السوفياتية - المجلد الرابع - ص ٥١٥ .

(٢) نفس المصدر .

وساد الاضطراب أوساط بريطانيا والولايات المتحدة من هذه التطورات النى وقعت فى الشرق • وراحت الدولتان تكيلان التهم للاتحاد السوفياتى • كما سارعتا الى اغتصاب جميع السفن التجارية التابعة لدول البلطيق والموجودة فى الموانى الانجليزية والأمريكية بحجة حماية مصالح شعوب البلطيق • وقامت الولايات المتحدة بتجميد أرصدة هذه الدول فى « البنوك » الأمريكية •

ومع ذلك ، يجب أن يقال يهنا بمنتهى الصدق والاخلاص (ان هذه الأحداث كانت تجرى وفقا لرغبات الشعوب وانسجاما مع مصالحها القومية والاجتماعية • وكان تقديم الخطوط الدفاعية السوفياتية الى الأمام باتجاه الغرب ، عاملا لابد منه فى النضال ضد العدوان الهتلري • وأقر ونستون تشرسل فى الرسالة التى بعث بها فى يوليو من عام ١٩٤١ الى الحكومة السوفياتية بتقديره الكامل « للمزايا الحربية الكاملة التى حققها الاتحاد السوفياتى عن طريق ارغام العدو على نشر قواته واشغال جزء من تلك النى كانت ترابط فى جبهات القتال الغربية الأمامية • مما أدى الى استنفاد سطر من قوة جهوده الأولى » (١) وساعدت الحركات السوفياتية أولا وأخيرا على انقاذ بريطانيا • فقد قرر النازيون على ضوء الاجراءات الدفاعية السوفياتية التخلي عن خططهم لغزو الجزر البريطانية • وكان الجنرال يودل قد قال فى عام ١٩٤٣ وهو يستعيد أحداث تلك الأيام • • • لم نجرؤ على القيام بعملية انزال فى بريطانيا وان كنا قد أعددنا خططها وبكامل تفاصيلها الدقيقة • ولم يكن أحد منا راغبا فى تحمل مسئولية السماح للقوات الألمانية المسلحة بأن تسفك دماءها فى الصراع ضد بريطانيا بينما كانت الحرب ضد الاتحاد السوفياتى لا تزال محتملة الوقوع » (٢) وهكذا كان الانحداد السوفياتى الذى حشدت ألمانيا جيوشها لمواجهة العامل الحاسم الذى حال بين ألمانيا الهتلرية وبين غزو بريطانيا •

وأظهرت الأحداث وسيرها من جديد أن الاتحاد السوفياتى كان دائما درعا من دروع السلام • وظلت سياسة بريطانيا على عدائها المألوف للاتحاد السوفياتى • وراح التقدميون البريطانيون بعارضون هذا الموقف الانتحارى اللاوطنى • فقد كتب برنارد شو يقول :-

(١) الرسائل المسادلة من رئيس وزراء الاتحاد السوفياتى ورئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية ورئيس وزراء بريطانيا أثناء الحرب الوطنية العظمى من عامى ١٩٤١ و ١٩٤٥ - المجلد الاول - موسكو ١٩٥٧ • ص ١٢ •

(٢) محاكمات نورمبرج •

« قضينا السنوات العشرين الأخيرة ونحن نكيل لروسيا وحكامها جميع أنواع الاتهامات والأكاذيب . وكان معظم حكامنا من الرأسماليين الذين لا يتمنون شيئا أكثر من الاتفاق مع ألمانيا على اقتسام الدول الرأسمالية لروسيا ، وابتادة السوفيات ، تماما كما فعل بسمارك عندما اتحد مع تيريز لابادة كوميون باريس في عام ١٨٧١ . ومن المستحيل بالنسبة الى الحكومة السوفياتية أن تثق بنا طالما أن لدينا حكومات من هذا الطراز . ولا شك في أن رئيس وزرائنا لسوء الحظ ، وهو الذي مول الجنرالات البيض في عام ١٩٢٠ ، هو أبرز أعداء روسيا في بريطانيا » (١) .

- ٣ -

وعندما قرر النازيون الهجوم على الاتحاد السوفياتي قبل غزو بريطانيا راح قادتهم يطيلون أمر اعدادات الغزو كتغطية لحقيقة نواياهم ولكن ظهر الآن هدف جديد لأعمالهم . فقد كانت هذه الاعدادات أولا ستارا يخفون به حقيقة خططهم في مهاجمة الاتحاد السوفياتي . ولقد ذكر الاميرال ريدر في محاكمات نورمبرج أن النازيين حققوا « أعظم عملية تعمية في تاريخ الحرب » (٢) وضاعفت الدعايات الرسمية البريطانية والأمريكية عملية التعمية هذه بما أطلقتته من صراخ عن معركة بريطانيا . وكان ونستون تشرشل ، يواصل اشعال هذه الأسطورة بتصميم . وراح يدعى أن غزو النازيين للجزر البريطانية قد تأجل بفضل تمكن السلاح الجوي الملكي البريطاني من احباط الهجوم الجوي الألماني على بريطانيا واحباط حركة الانزال التي تعتمد على هذا الهجوم . ولكن تشرشل عاد فاعترف صادقا في مذكراته أن هتلر رأى في مواصلة الهجوم الجوي على بريطانيا ستارا مناسبا وضروريا لتغطية ما كان يقوم به من حشد ضد روسيا » (٣) .

وكان الهدف الثاني من الغارات الألمانية على الجزر البريطانية ، بث الرعب في بريطانيا ، وتهيئة الجو لأي تفاهم مع الطبقة الحاكمة

(١) بايم اندتايد عدد ٢٩ يونيو ١٩٤٠ ص ٦٨٣ .

(٢) آر . دبليو . كوبر - نفس المصدر ص ٢٥٠ .

(٣) مذكرات ونستون تشرشل - نفس المجلد - المجلد الثالث ص ٢٧ . النسخة

العربية بعريب خيرى حماد .

البريطانية وكان الامبرياليون الألمان يأملون فى أن يتفق الاحتكاريون البريطانيون معهم فى حالة تقدمهم باقتراح يتضمن الزحف نحو الشرق لما فيه من نفع متبادل . وقام رودولف هس نائب هتلر فى قيادة الحزب النازى ، بزيارة قصيرة الى مدريد فى شهر يوليو من عام ١٩٤٠ سعيا وراء تحقيق هذا الهدف ، اذ تفاوض هناك مع السفير البريطانى ومع الدوق وندسور الذى بعث على الفور برسالة الى أخيه ملك انجلترا ، والى ونستون تشرشل ، داعيا اياهما الى قبول الصلح (١) .

ولكن الشعب البريطانى كان يرفض اجراء أية محادثات أو عقد أية صفقات مع ألمانيا الهتلرية .

وواصلت ألمانيا فى غضون ذلك حشد سفن النقل على ساحل القناة وكانت فى الوقت نفسه قد نقلت قواتها البرية الى الشرق أى الى بولنده حيث احتفظت بها عامدة على بعد من الحدود السوفياتية . وتم نقل مجموعة الجيوش التى يقودها فون بوك الى بوزنان فى نهاية شهر يوليو . ويقول نيبلسكيرش : ان هذه العملية كانت « الخطوة الأولى فى السير العام للأحداث التى هدفت الى حشد استراتيجى للقوى ضد الاتحاد السوفياتى يتم تنفيذه فى فترات متباعدة ، وبصورة لا تلفت النظر الى حد ما » (٢) وقامت ألمانيا أيضا بتشكيل فرق جديدة ، وأعدت خططها لعمليات حربية ضد الاتحاد السوفياتى .

وأصدرت القيادة العليا الألمانية فى التاسع من أغسطس أى عشية الغارة الألمانية الكبرى والأولى على بريطانيا أمرا موجها أطلقت عليه اسم عملية « أوفباوست » . وشملت هذه العملية مخططا لتطوير المؤخرة العسكرية للقوات الألمانية أى لاصلاح السكك الحديدية وطرق السيارات « والجسور » والثكنات العسكرية والمستشفيات والمطارات والمستودعات وهلم جرا .

وواصلت القوة الجوية الألمانية بين التاسع من أغسطس عام ١٩٤٠ والحادى عشر من مايو عام ١٩٤١ ، غاراتها على المدن البريطانية . وتعرضت مدن لندن وكوفنترى وبرمنجهام لقصف جوى « مريع » ومنى السكان المدنيون بخسائر فادحة فى الأرواح . وأسعلت الوحشية الفاشية نيران الحماسة فى الشعب البريطانى ، وقوت من تصميمه على القتال حتى

(١) « تاريخ الحرب السرى » لوفيرلى روت ، نيويورك - شارلز سكريبرنر وأولاده

١٩٤٥ - المجلد الاول ص ٦٣١ - ٣٢ .

(٢) تيلسكيرش - نفس المصدر . ص ١٧١ .

النهاية • وكان من المستحيل تحطيم معنويات رجل الشارع البريطاني اذ أظهر صلابة منقطعة النظر • ومنيت ألمانيا بنكسة شديدة من جراء عجزها عن بث الذعر في الشعب البريطاني ، وكان كل ما حققته هو تشديد عزائمه على مضاعفة المجهود الحربي • ولاشك في أن كره الشعب البريطاني للفاشية وتصميمه العنيد على الدفاع عن استقلاله ، واصراره الذي لا ينثنى على القتال ، كلها عوامل تركت آثارا حاسمة في التطورات اللاحقة •

وقامت ألمانيا بالاضافة الى غاراتها الجوية بفرض حصار بحري على الجزر البريطانية بغواصاتها وبوارجها المغيرة • وكانت لدى الألمان في البداية خمسة طرادات لأداء هذه المهمة ، ثم أضيف اليها طراد جيب هو الاميرال شير ، وبارجتان هما شارنهورست وجنيزناو • وتعزز الحصار في ربيع عام ١٩٤١ ، بطراد ثقيل جديد هو البرنس يوجين وبارجة ألمانية كبيرة هي بسمارك ، واحتملت الملاحه البريطانية التجارية خسائر فادحة ، منيت بها من الهجوم المشترك الذي كانت تقوم به الغواصات والبوارج المغيرة الألمانية ، وزعم النازيون أن غواصاتهم أغرقت ما حمولته أكثر من ثلاثة ملايين طن من السفن البريطانية ، وأن بوارجهم المغيرة أغرقت ما حمولته نحو من مليون طن ، وذلك بالتعاون مع القوة الجوية وذلك في المدة الواقعة بين يونيو من عام ١٩٤٠ وبونيو من العام التالي •

ولكن بريطانيا وجهت ضربات سقابلة عنيفة ، فقد تمكنت الطائرات البريطانية من حصر شارنهورست وجنيزناو في ميناء بربست الفرنسي ، كما قام الطراد البريطاني هود في الرابع والعشرين من مايو ، بانزال الأضرار الفادحة بالبارجة بسمارك قبل أن يقوم الأسطول الألماني باغراقه ولكن الاسطول البريطاني ما لبث أن أغرق في السابع والعشرين من مايو البارجة بسمارك على بعد اربعمئة ميل الى الغرب من بربست ، فمنى الأسطول الألماني بخسارة فادحة •

واستبد الفرع بالولايات المتحدة الأمريكية من احتمال هزيمة بريطانيا • وكان استسلامها يمثل تهديدا خطيرا للولايات المتحدة • وكان أشد مايفزع الحكومة الأمريكية ، القلق على مصير الاسطول البريطاني • وطلب الرئيس روزفلت تأكيدا من تشرشل بأن بريطانيا لن تسلم أسطولها الى العدو • وقد وجه الطلب الأمريكي الأول في هذا الصدد في شهر يوليو من عام ١٩٤٠ ولكن الاحتكاريين الامريكان كانوا جد متلهفين لجنى أكثر الأرباح من الوضع المواتي لهم •

وشرع حكام أمريكا فى تعزيز مواقعهم فى النصف الغربى من الكرة الارضية . وعقد مؤتمر لوزراء خارجية الجمهوريات الأمريكية فى مدينة هافانا بين الثانى والعشرين والثلاثين من يوليو من عام ١٩٤٠ ، مما سجل بداية مرحلة جديدة فى استبعاد الامبرياليين الأمريكيين لبلاد أمريكا اللاتينية . ونضمن جدول أعمال المؤتمر عدة مواضيع منها الحياد وحماية سلام النصف الغربى من العالم ، والتعاون الاقتصادى (١) . ولكن كان هناك هدف خفى وراء هذه المواضيع ، وهو فرض السيطرة الأمريكية على اقتصادات الجمهوريات الأمريكية وسياساتها الخارجية ، وقواتها المسلحة. ووضع نهاية للنفوذ البريطانى فى أمريكا اللاتينية . وتم التوقيع فى النامن عشر من أغسطس من عام ١٩٤٠ على اتفاق فى اوجدينسبرج فى نيويورك بين الولايات المتحدة وكندا ، حقق الامبرياليون الامريكيون عن طريقه السيطرة على جميع وسائل كندا الدفاعية .

وكان الافتقار الذى أحسنت به بريطانيا للسلاح بعد دنكرك، وسيلة مؤثرة ، استخدمتها الولايات المتحدة للضغط على بريطانيا . وعرضت الحكومة الأمريكية على بريطانيا تزويدها بكل ما تحتاج اليه من سلاح ، ولكنها ربطت بين هذا العرض وبين سلسلة من الطلبات الواسعة . فقد طلبت منها أن تزودها بأحدث اختراعاتها « التقنية » وبحوثها العلمية ، وبعض القواعد البحرية المهمة فى المحيط الأطلسى . وقبلت حكومة تشرشل هذه الطلبات وهى راغبة . وكتب مؤرخ يقول : « من العسير على المرء أن يدرك الذلة التى بانّت فى تسليم ونستون تشرشل للولايات المتحدة بما أرادته ، فى الوقت الذى كان يرفع ابهاميه مزهوا ، بأن فى وسع بريطانيا أن تصمد وحدها فى وجه ألمانيا » (٢) .

وسارعت الولايات المتحدة الى الافادة من الصفقة التى عقدتها مع بريطانيا ، فقد تسلمت منها بعض المواد الأولية ذات الأهمية الاستراتيجية وعددا من الاختراعات المهمة فى عالم الرادار وفى آلات الطائرات رقم ١٨٢٠ وغيرها (٣) . وانتقل آر . اش فولر ، عالم الطبيعة البريطانى الى الولايات المتحدة بأمر حكومته وقد حمل معه كل ما وصلت اليه البحوث

(١) وناثق عن سياسة أمريكا الخارجية المجلد الثانى - بوسطن - ١٩٤٠ .

ص ١٤٦ .

(٢) جورج ماريون فى كتابه « القواعد الامبراطورية - خريطة للموسع الأمريكى »

نيويورك ١٩٤٨ . ص ٧١ .

(٣) لانجر وجليسون - نفس المصدر ص ٢١٥ .

البريطانية والفرنسية فى عالم الذرة من معلومات • وقام عالم بريطانى آخر هو جورج باجيت طومسون ، بعد فترة أخرى ، بتسليم الولايات المتحدة ، خطة التجارب التى وضعها لقنبلة الأورانيوم ، وحسابات المفاعل الذرى لانتاج البلوتونيوم • وتسلمت الولايات المتحدة أيضا مسودة الخطة البريطانية لانشاء مصنع غازى لانتاج اليورانيوم - ٢٢٥ •

وتم تأجير القواعد البريطانية فى المحيط الأطلسى للولايات المتحدة بلا مقابل لمدة ٩٩ عاما ، وذلك بموجب اتفاق تم التوقيع عليه فى الثانى من سبتمبر من عام ١٩٤٠ • وهكذا فرضت الولايات المتحدة سيطرتها على عدد من القواعد البحرية والجوية ذات الأهمية الاستراتيجية • وتحول توازن القوى فى المحيط الأطلسى ، وبشكل ملحوظ الى جانب الولايات المتحدة •

وتسلمت الولايات المتحدة قواعد فى نيوفونلند وجزر برمودا والبهاما وجامايكا وسانتا لوشيا وترينيداد وانتيجوا وجيانا البريطانية • ولقد ذهلت الزعامة الأمريكية نفسها من هذا النجاح الذى حققته • فقد بعث الرئيس روزفلت برسالة الى الكونجرس قال فيها : « تفوق قيمة هذه المراكز الامامية بالنسبة لسلامة النصف الغربى من الكرة الارضية كل اعتبار وحساب • ولقد كانت بلادنا تتبين حاجتنا اليها منذ أمد بعيد ••• ولهذه الأسباب فقد اغتنمت هذه الفرصة الراهنة للحصول عليها » (١) •

ونص الاتفاق على ألا تقوم بريطانيا فى أية حالة من الأحوال بتسليم أسطولها الى العدو أو تخريبه ، وأن تبعث به ليعبر المحيط ، للدفاع عن الأجزاء الأخرى من الامبراطورية •

نرى ما الذى حصلت عليه بريطانيا مقابل ذلك ؟ كان كل ما حصلت عليه خمسين مدمرة وتعهدا غامضا من الولايات المتحدة بالدفاع عن الممتلكات البريطانية فى النصف الغربى من الكرة الارضية • وهكذا كان قادة الولايات المتحدة صادقين مع طبيعتهم ، فقد أعطوا بريطانيا خمسين مدمرة قديمة ، كانوا قد عقدوا العزم من قبل على إحالتها الى مستودعات « التوالف » • وما زال الباحثون البورجوازيون الأمريكان فرحين غاية الفرح لهذه المهارة التى أبدوها فى هذه الصفقة حتى يومنا هذا • فقد

(١) وثائق عن العلاقات الأمريكية الخارجية - المجلد الثالث - بوسطن ١٩٤١ -

كتب موريس ماتلوف وايدوين سنيل يفولان ٠٠٠ « استخدم الرئيس صلاحياته بصورة رائعة في عقد اتفاق مع البريطانيين لمقايضة خمسين مدمرة قديمة ، « بايجارة » طويلة الأجل للقواعد البريطانية في النصف الغربى من الكرة الأرضية » (١) . وتلقت بريطانيا بالإضافة الى ذلك وفى النصف الثانى من عام ١٩٤٠ نحو ٩٤٥ ألف بندقية و ٨٤ ألف مدفع رشاش وهلم جرا . وكانت هذه الشحنة مجزية للغاية للاحتكارات الأمريكية .

ودفعت بريطانيا ثمن هذه الأسلحة نقدا ، محملة عملتها عبئا ثقيلا، لاضطرارها الى تسديد القيمة من أرصدة ذهبها ومن استثماراتها فى الخارج .

ولم يحل عام ١٩٤١ ، حتى كان انفصل قد حل بأوضاع بريطانيا المالية الى حد كبير . ومع ذلك فقد ظلت الاحتكارات الأمريكية متلهفة على الاحتفاظ بهذا المنفذ المربح جدا لسلعها فى ظروف الحرب الخالية من التعرض للمنافسة عن طريق الأسواق البريطانية . يضاف الى هذا أن مخاوف الولايات المتحدة تضاعفت بعد سحق الألمان لفرنسا . وكانت واشنطن تريد من بريطانيا وغيرها من البلاد أن تقاوم . ولعل هذا هو السبب الذى دفع الحكومة الأمريكية الى ابتكار مشروع الاعارة والتأجير ، الذى مكن الرئيس الأمريكى من تقديم السلع والخدمات الى البلاد التى يعتبر الدفاع عنها « حيويا للدفاع عن الولايات المتحدة » . وقد أقر الكونجرس قانون الاعارة والتأجير ، ووقعه الرئيس فى الحادى عشر من مارس من عام ١٩٤١ ، ورصد الكونجرس كدفعة أولى لتمويل هذا المشروع سبعة آلاف مليون دولار .

وهكذا اتخذت الكتلة الانجلو - أمريكية شكلها النهائى فى النصف الثانى من عام ١٩٤٠ وفى مطلع عام ١٩٤١ . وتم التقارب بين بريطانيا والولايات المتحدة نتيجة الخطر المشترك الذى أخذتا تواجهانه من ألمانيا واليابان ، ونتيجة الرغبة المشتركة فى الخلاص من منافسة ألمانيا واليابان لهما فى الأسواق العالمية . ولكن مخططات الولايات المتحدة مضت الى أبعد من ذلك . فقد كانت راغبة فى إعادة تقسيم الأسواق ومناطق النفوذ لا بالنسبة الى ألمانيا واليابان وحدهما ، بل وبالنسبة الى بريطانيا أيضا .

(١) موريس ماتلوف وايدوين سنيل فى كتابهما « الجيش الأمريكى فى الحرب العالمية الثانية . التخطيط الاستراتيجى لحرب التحالف ١٩٤١ - ١٩٤٢ » - واشنطن ١٩٥٣ ص ٢١ .

وقد تحدثت دوروثى طومسون عن هذا الموضوع فى العمود الذى تكتبه فى صحيفة النيويورك هيرالد تريبيون، وقالت : انها تحلم باندماج العالم الانجلو - سكسونى كله ، اذ أن من الواضح لها أنه يمثل المجموعة التى ستكون متفوقة فى العالم . وأضافت : ان الولايات المتحدة ستكون قلب هذا العالم ، لأنها تضم أقوى قوة عسكرية وبحرية . ولأن فيها أعظم الصناعات والحبرات التقنية .

واتضح للعالم كله ، أن بريطانيا فقدت مكانتها الدولية ، وذلك كنتيجة طبيعية لسياسة مونينخ المفجعة التى اتبعتها . وكانت الولايات المتحدة هى التى استغلت هذا الوضع لمصلحتها ولضمان أكبر كسب لها، فقد اندفعت الى مكان القيادة فى الكتلة الانجلو - أمريكية ، بينما هبطت بريطانيا الى مركز لا تحسد عليه ، هو مركز « الشريك الأصغر » .

- ٤ -

أدت الحرب فى أوروبا الى مضاعفة النعقيدات فى المحيط الهادى بشكل متزايد . وكان الامبرياليون اليابانيون يمهدون الجو للصراع ، ويتلهفون لاستغلال الوضع لتحقيق «مشاريعهم» الهادفة الى التوسع ، تماما كما حدث فى الحرب العالمية الأولى . وعبرت صحيفة هوشى اليابانية اليومية عن آراء الطبقة الحاكمة فى اليابان ، فكتبت تقول فى عددها الصادر فى الثالث والعشرين من ديسمبر من عام ١٩٤٠ . . . « يمثل الصراع العسكرى فى أوروبا عونا الهيا لليابان . ولكن علينا ألا نخدع أنفسنا ونحملها على الاعتقاد بأن هذه الريح السماوية ستظل تهب علينا الى الابد . فأعمال اليابان وحدها ، هى التى ستقوى من شدة هذه الريح أو توقفها بصورة تامة » .

وراحت الصحيفة تقول بعد خمسة أيام من هذا المقال الأول : « تمثل هذه الحرب المفتاح الذى يفتح الطريق لاقامة نظام جديد فى آسيا الشرقية . وهو النظام الذى شرعنا فى وضعه . ولعل هذا هو السبب الذى يدعونا الى الابتغال بأن تتحول هذه الحرب الى حرب اذابة » .

وكانت هزيمة هولنده وفرنسا واستسلامهما ، قد تركا ممتلكاتهما الشاسعة فى المحيط الهادى كالهند الصينية واندونيسيا ، عرضة لحلول سيد جديد .

وكانت الهند الصينية دائما موضع اغراء للامبرياليين لما فيها من

موارد ضخمة من المطاط والفحم والحديد والقصدير والزنك والذهب والفضة وغيرها . لكن أهميتها الاستراتيجية ، كانت المغزى الأكبر لليابان فى تلك الآونة . وكانت موانئها البحرية التى تندفع بعيدا باتجاه الجنوب مصدر اغراء لم يكن فى وسع اليابان أن تقاومه . فقد كان فى إمكانها استخدام هذه الموانئ كقواعد للهجوم على الهند الصينية وبورما والملايو .

وعقدت اليابان فى الثالث والعشرين من سبتمبر من عام ١٩٤٠ اتفاقا مع حكومة فيشى يقضى بالسماح للقوات اليابانية بالنزول فى الهند الصينية . وقد تم هذا الاتفاق بمساعدة ألمانيا الهتلرية التى كانت تواقا لتعزيز علاقاتها مع حليفها اليابان . وهكذا وجد شعب الهند الصينية القابع فى ظلام العبودية الاستعمارية تحت حكم أصحاب المزارع من الفرنسيين ، نفسه يباع فى سوق النخاسة الى سيد جديد ، لا يقل فى حكمه الاستعماري بشاعة وابتزازا عن السيد القديم .

وكانت اليابان تلقى نظرات الاشتهااء أيضا على اندونيسيا وما فيها من زيت ومطاط ، ومعادن وفحم . وكانت اندونيسيا تمثل مركز نفاطع طرق ذا أهمية استراتيجية بالغة . وكان احتلال اليابان لها ، يمكنها من حرمان بريطانيا وفرنسا من مواطنى قدم فى منتهى الأهمية فى جنوب شرق آسيا ، وذلك لان أهمية سنغافورة ستتقلص بصورة طبيعية ، وتصبح ممتلكات بريطانيا الى الشرق منها مكشوفة . وكان احتلالها يمكنها من الاقتراب من أبواب بورما والهند ، ويضمن تطويق جزر الفلبين ، كما يعرض مستقبل استراليا ونيوزيلندا الى الخطر . ولعل هذه الأهمية الاستراتيجية لاندونيسيا هى التى دفعت بريطانيا وأمريكا الى معارضة أطماع اليابان فيها معارضة شديدة . وهكذا أخذ الوضع فى المحيط الهادى يستد توترا لحطة بعد أخرى .

وأصبح خطر نشوب الحرب بين اليابان والكتلة الانجلو - أمريكية يتزايد باستمرار . ولكن القوات الرئيسية للامبرياليين اليابانيين كانت لا تزال موزعة للوقوف أمام الاتحاد السوفياتى . وكان لا بد من مرور بعض الوقت قبل أن تتمكن اليابان من إعادة تجميع قواتها ، وتهيئة المسرح لتوجيه العدوان ضد الولايات المتحدة وبريطانيا . وهكذا كان الاتحاد السوفياتى فى الشرق الاقصى كما كان فى أوروبا العنبة الرئيسية فى طريق العدوان .

وكان العامل الثانى الذى يقف فى طريق اليابان ، هو حربها مع

الصين ، اذ أن هذه الحرب كانت تجمد جزءا كبيرا من قواتها . وقام حكام اليابان بخطوات سريعة لانتهاء تلك الحرب ، فقد أقاموا حكومة عميلة لهم فى الأجزاء المحتلة من الصين بزعامة الحائن وانج شينج وى . وكانوا يأملون فى أن تجتذب هذه الحكومة عددا من الاقطاعيين والرأسماليين الصينيين الذين أفزعته متاعب الحرب و «نشاطات» الجماهير بوجه خاص . وحاولت اليابان أيضا أن تجند مساعدة حلفائها فى انتهاء الحرب فى الصين ، فقد دعمت إيطاليا والمانيا عروض الصلح التى تقدمت بها اليابان الى حكومة الكومنتانج .

وأظهر نسيان كاي شيك بعض التذبذب فى موقفه مما أثار فزع الحكومة الأمريكية ، وراحت تنذر السفير الصينى فى واشنطن بأن أية مفاوضات مع اليابان لن تلقى تأييد الولايات المتحدة . وأضافت الحكومة الأمريكية فى انذارها أنها لن تقدم أية قروض الى الصين الا اذا تلقت « ضمانات » منها برفض العروض اليابانية . ولا شك فى أن الضغط الأمريكى مضافا الى التصميم الذى أظهره شعب الصين بقيادة الحزب الشيوعى على النضال ضد المعتدين اليابانيين قد أرغم كاي شيك على رفض العروض اليابانية .

ولكن حكام اليابان ماكانوا ليتخلوا عن خططهم فى البحار الجنوبية . فقد سارعوا الى تعبئة مواردهم الاقتصادية تعبئة كاملة، وفرضوا سيطرة الحكومة على الاقتصاد القومى للحد من استهلاك المواد الأولية ، والتقليل من الاستهلاك الشعبى . وقد أطلق على النظام الذى تضمن فرض هذه الاجراءات اسم « عملية البناء الاقتصادى الجديد » .

وأخذت اليابان تهيب نفسها لا لمحاربة الولايات المتحدة وبريطانيا وحدهما ، بل ومحاربة الاتحاد السوفياتى أيضا . ولكنها لم تجرؤ على مهاجمته بعد الدرس القاسى الذى تلقت منه فى بحيرة حاسان وهو لحين - جول ، قبل أن تهاجمه ألمانيا الهتلرية . ومع ذلك فقد واصلت استعداداتها بشكل محموم . وأعدت هيئة أركان الحرب اليابانية فى عام ١٩٤٠ خطة لمهاجمة الاتحاد السوفياتى ، تم اقرارها والتوقيع عليها .

وكانت الحركات العدوانية اليابانية توقفت مع الحركات المماثلة التى تعدها ألمانيا وإيطاليا . وأدى هذا التوقيت المشترك الى زيادة التقارب بين الدول المعتدية الثلاث .

وتم فى السابع والعشرين من سبتمبر عام ١٩٤٠ التوقيع فى

برلين على ميثاق ثلاثى ضم ألمانيا وإيطاليا واليابان . ونصت ديباجة الميثاق على أن الدول الثلاث « قررت أن تقف صفا واحدا ، وأن تتعاون معا بالنسبة الى الجهود التى تبذل والهادفة بوجه خاص الى اقامة نظام جديد فى آسيا الشرقية الكبرى ، وفى أرجاء أوروبا والحفاظ عليه » (١) .

وتلت هذه الديباجة نصوص الميثاق وهذا بعض ما جاء فيها . . .

١ - تعترف اليابان بقيادة ألمانيا وإيطاليا باقامة نظام جديد فى أوروبا ، وتحترم هذه القيادة .

٢ - تعترف ألمانيا وإيطاليا بقيادة اليابان باقامة نظام جديد فى شرق آسيا وتحترمان هذه القيادة .

٣ - تتفق ألمانيا وإيطاليا واليابان على التعاون وضم جهودها على ضوء الخطوط الوارد ذكرها فى البندين السابقين . وتتعهد الدول الثلاث أيضا بأن يساعد بعضها البعض سياسيا واقتصاديا وعسكريا اذا تعرضت أى منها لهجوم من دولة غير مشتركة حاليا فى الحرب الأوروبية أو فى النزاع الصينى - اليابانى .

٤ - تؤكد ألمانيا وإيطاليا واليابان أن الشروط الآتية الذكر لا تؤثر بحال من الأحوال على الوضع السياسى القائم حاليا بين أى من الدول المتعاقدة الثلاث وبين روسيا السوفياتية » (٢) .

وكان ميثاق برلين استطرادا لحلف مكافحة الكومنترن السابق . لكن الدول المتعاقدة الثلاث ، رغبت هذه المرة فى الكشف عن حقيقتها . ولم تتورع هذه الدول الآن عن اخفاء هدفها فى السيطرة على العالم ، ولم تتردد فى اعلان عزمها على تقاسمه نهائيا . فقد كانت أوروبا من حصة ألمانيا وإيطاليا ، بينما كانت آسيا من حصة اليابان . ومضت الدول الثلاث دون خجل أو حياء الى اعلان عزمها على اقامة « نظام جديد » ، لم يكن يعنى فى الواقع سوى فرض العبودية الاستعمارية على البلاد المحتلة .

وكان الاتحاد السوفياتى الهدف الرئيسى لميثاق برلين . ولم يكن نص البند الخامس ليخدع أحدا ويضلله عن رؤية الهدف الحقيقى . ولقد

(١) عدد التايمز اللندنية فى ٢٨ ستمبر ١٩٤٠ .

(٢) المصدر السابق نفسه .

كتب الأمير كونوي ، رئيس وزراء اليابان آنذاك فى مذكراته التى نشرت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أن ميثاق برلين كان « خطة لابرز الميثاق الثلاثى لمكافحة الكومنترن الذى كان قائما ، وتحويله الى حلف عسكرى ، يهدف بصورة رئيسية الى محاربة الاتحاد السوفياتى » (١) .

وقامت الدول الثلاث تنفيذا للالتزامات المتبادلة التى فرضها الميثاق بالتفاوض على وضع الخطط الحربية . وقام ريبنتروب فى شهر فبراير من عام ١٩٤١ ، بإبلاغ اليابان بالخطة الألمانية للهجوم على الاتحاد السوفياتى ، وهو الهجوم الذى سيضمن كما قال « تحقيق النصر الضخم لألمانيا ، ووضع نهاية للنظام السوفياتى » (٢) .

ولكن الاتحاد السوفياتى لم يكن الهدف الوحيد لميثاق برلين ، فقد استهدف هذا الميثاق بصورة مباشرة كلا من بريطانيا والولايات المتحدة . وجاء الميثاق يمثل ضربة جديدة موجهة الى الدوائر الحاكمة فى هذين البلدين ، والى المدافعين عن سياسة مونينخ . وأدى الميثاق الى تحذير الساسة فى الولايات المتحدة وبريطانيا . وذكر روزفلت فى خطاب اذاعى وجهه فى التاسع والعشرين من ديسمبر من عام ١٩٤٠ أن « الحصار الأمريكى لم تتعرض منذ أيام جيمستاون (٣) وبلايمون روك (٤) ، لمثل الخطر الذى تتعرض له الآن » (٥) . وقال سمنر ويلز ، وكيل وزارة الخارجية الأمريكية آنذاك : ان الولايات المتحدة « تواجه خطرا لا يقل فى خطورته عن جميع الأخطار التى واجهها الشعب الأمريكى طيلة قرن ونصف قرن من حياته المستقلة » (٦) .

(١) برافدا عدد ٢٠ فبراير ١٩٤٨ .

(٢) المصدر السابق نفسه .

(٣) اسم قرية أقامها المهاجرون الانجليز فى ولاية نيويورك الحالية فى عام ١٦٠٧ وقد واجهت المستعمرة الصغيرة كوارث كثيرة منذ انشائها ولكن أشدها كان فى عام ١٦٧٦ . أثناء ثورة نانايبيل بيكون ، اذ أحرقت البلدة بكاملها ، ولم تبق منها الا آثار قليلة ، كما كانت الضحايا فى الارواح كبيرة للغاية .

(٤) اسم بلدة فى ولاية مساشوسيت فى الولايات المتحدة ، وقد أقامها المهاجرون الانجليز من المنشقين على الكنيسة فى عام ١٦٢٠ . وأصبحت هذه البلدة تمثل رمزا من رموز الحرية فى الولايات المتحدة ، نظرا لما تعرض له المهاجرون من اضطهاد السلطات البريطانية الحاكمة فى تلك الايام .

(٥) مجلة «التوفيق الدولى» العدد ٣٦٧ لعام ١٩٤١ . ص ٦٧ .

(٦) فيليب جريفر فى كتابه «سجل الحرب - الربع الرابع» هتشنسون «وشركاء» -

للغرب

لندن ومليورن ص ٢٤٥ .

ودفع الوضع الجديد سياسة الولايات المتحدة الى نشدان المزيد من الروابط الوثيقة مع بريطانيا • وذكر الكولونيل فرانك نوكس وزير البحرية الأمريكية • أن الولايات المتحدة ستجد نفسها فى حالة عجز بريطانيا العظمى عن صد التيار، محاطة بالقراصنة الدوليين الذين يتحقق نصرهم الأعظم عن طريق تدمير الولايات المتحدة (١) • وتم اعداد الخطة الاستراتيجية الانجلو - أمريكية الأولى فى نوفمبر من عام ١٩٤٠ • وقد نصت هذه الخطة على أن الدفاع عن بريطانيا يعتبر أمرا حيويا للولايات المتحدة • ولذا فان هذه سنبذل قصارى جهدها للحيلولة دون هزيمة بريطانيا ، وانهيار الامبراطورية البريطانية (٢) •

وأسفرت المفاوضات التى دارت فى مستهل شهر أكتوبر من عام ١٩٤٠ بين كوردل هل وزير خارجية أمريكا ، وبين لوثيران سفير بريطانيا فى واشنطن ، وكبسى سفير استراليا فيها ، عن عقد اتفاق انجلو - أمريكى حول العمليات المشتركة فى المحيط الهادى • ونص هذا الاتفاق على سماح بريطانيا للولايات المتحدة باستخدام قاعدتها البحرية فى سنغافورة ، وموانئ استراليا ونيوزيلندة • ووعدت الولايات المتحدة بريطانيا بمساعدتها فى نفل قواتها من استراليا الى بورما والملايو ، وبحشد قوة بحرية أمريكية ضخمة فى المحيط الهادى • وفرر المتفاوضون فتح طريق للمواصلات الى الصين عبر بورما ، لمد الأولى بالنموينات العسكرية •

وكانت الحكومة البريطانية قد أغلقت فى شهر يوليو من عام ١٩٤٠ طريق بورما لمدة ثلاثة أشهر ، رغبة منها فى ترضية اليابان ، ولكنها عادت الآن ففتحته لمرور المساعدات الى الصين •

ولم يزل ميثاق برلين التناقضات الموجودة بين موقعيه • ففد ذكرت الصحف الألمانية أن ألمانيا لم تهزم فرنسا وهولندة لتعطى ثمار نصرها من مستعمرات هاتين الدولتين الى اليابانيين • وكان لا بد لألمانيا لتعزيز تحالفها مع اليابان من أن تساعدتها فى الاستيلاء على الهند الصينية قبل توقيع ميثاق برلين • ولكنها حملت اليابان على أن تفهم أن هذا الحل لمشكلة الهند الصينية ليس نهائيا • وكان الامبرياليون الألمان يطالبون بمستعمرات ألمانيا السابقة فى المحيط الهادى ، وهى التى كانت اليابان

(١) عدد التايمز فى ٧ أكتوبر ١٩٤٠ •

(٢) موريس متلوف وايروين سنيل - نفس المصدر •

قد حصلت عليها بعد الحرب العالمية الأولى . يضاف الى هذا أن الامبرياليين اليابانيين لم يكونوا عازمين على الاكتفاء بآسيا الشرقية في حالة تحقيق النصر .

وكان السبب الرئيسى فى التناقضات بين ألمانيا واليابان يكمن فى الحقيقة الواقعة وهى أن كلتا الدولتين كانت قد وضعت برامجها لتحقيق السيطرة على العالم . وكان هذا السبب كافيا لوقوع الاصطدام فيما بينهما فى النهاية . وكانت إيطاليا التى تحطمت آمالها فى فرنسا قد أخرست ، ولكن الامبرياليين الإيطاليين كانوا يتطلعون الى مكاسب فى جنوبى شرقى أوروبا .

- ٥ -

انتشرت الحرب بعد انضمام إيطاليا الى جانب ألمانيا ضد بريطانيا وفرنسا الى افريقيا والأجزاء الأخرى من حوض البحر الأبيض المتوسط . وكان الامبرياليون الإيطاليون يهدفون الى اقامة امبراطورية استعمارية كبيرة ، وخيل اليهم أن نجاحهم مضمون بعد ما بدا من ضعف من بريطانيا وفرنسا فى المجال العسكرى .

وقامت القوات الإيطالية باحتلال الصومال البريطانى ، وتقدمت داخل أراضي كينيا ، وتوغلت هذه القوات فى السودان فاحتلت كسلة وجابات وأصبحت تهدد الخرطوم عاصمة البلاد . وشن الإيطاليون فى شهر سبتمبر من عام ١٩٤٠ هجوما فى افريقيا الشمالية . وزحف المارينشال جرازيانى على رأس قواته فعبر الحدود الليبية الى مصر ، وتقدم حتى موقع سيدى برانى . ولكن هذا الهجوم سرعان ما توقف ، اذ لم يكن الجيش على استعداد بعد للتوغل فى الصحراء الغربية .

وبينما كانت القوات الإيطالية فى افريقيا تسنعد لعمليات جديدة ، راحت الحكومة الإيطالية ، وهى مفتقرة الى الاستعداد تشرع فى مغامرة جديدة ، هدفت منها الى أن تسبق ألمانيا الى العمل فى جنوب شرق أوروبا . فعندما حد هتلر من حرية موسوليني بالنسبة الى مطالب إيطاليا من فرنسا فى صيف عام ١٩٤٠ ، وضع الامبرياليون الإيطاليون خططهم لشن حرب خاصة بهم فى البلقان .

ففى الساعة الثانية من صباح الثامن والعشرين من اكتوبر من عام

١٩٤٠ قام الوزير الايطالى المفوض فى أثينا بزيارة وزارة الخارجية اليونانية ، حيث سلم الى وزيرها انذارا نهائيا . ويقال : ان الحكومة الايطالية طلبت من الحكومة اليونانية كضمان لحياد اليونان ولسلامة ايطاليا ، أن تسمح للقوات الايطالية بأن تحتل طيلة مدة الحرب الدائرة مع بريطانيا بعض النقاط الاستراتيجية على الأرض اليونانية (١) وحدد الانذار مدة ثلاث ساعات ليس الا للرد على هذه المطالب . ولم تكن هذه المهلة الا مجرد اجراء شكلى ، اذ أن القوات الايطالية كانت قد شرعت قبل انتهائها ، فى مهاجمة الاراضى اليونانية من ألبانيا التى يحتلها الايطاليون ويقول جودريان : ان هتلر قد بوغت عندما علم بأن حليفته شنت حربا على اليونان دون علمه وموافقته (٢) .

وكانت ايطاليا تتوقع من حكومة ميتكساس الفاشية أن تستسلم دون مقاومة . وكان هذا فى الواقع هو ما أراد ميتكساس أن يفعله ، وذلك على ضوء البيانات التى صدرت عن القادة العسكريين اليونانيين فى أوقات لاحقة . فقد ذكر الجنرال كاتسيموثوس على سبيل المثال . أن حكومة ميتكساس كانت قد أهملت تحصين حدود البلاد . وتلقت الأمر بالانسحاب الى نهر اراتوس فى تساليا . ولو أننى نفذت هذا الأمر فى حينه ، كنا قد خسرنا الحرب فورا . ولكن ارادة الجنود فى الميدان كانت أقوى من هذا الأمر (٣) .

ووجه الحزب الشيوعى اليونانى الذى كان زعماءه فى السجون ، نداء حارا الى الشعب ، يدعوه فيه الى مقاومة المعتدين الايطاليين . وفد جاء فى هذا النداء مايلى : « هاجمت الفاشية الموسولينية اليونان عدرا وبصورة معيبة من ظهرها ، وهى تهدف الى استعبادها واخضاعها . ونحن معتر اليونانيين نحارب اليوم من أجل حريتنا وشرفنا واسنفالنا الوطنى . وستكون المعركة شاقة وفظيعة ، ولكن على الأمة التى تريد العيش أن تقاوم ، مهما كانت الأخطار والتضحيات » (٤) .

وأجبرت المظاهرات الشعبية التى اجناحت البلاد ، الحكومة على السير مع ارادة الشعب كما أعرب عنها نداء الحزب الشيوعى . واشتبك

(١) التايمز عدد ٢٩ اكتوبر ١٩٤٠ .

(٢) هاينز جودريان . « اخطاء عسكرية » هايلدبرج ١٩٥١ . ص ١٢ .

(٣) دى شيفريه واى ماران « الديمقراطية أو الفاشية » اليونان - ١٩٤٦ .

ص ٩

(٤) شيفريه وماران « الديمقراطية أو الفاشية » اليونان ١٩٤٦ . ص ١٠ .

الجيش اليونانى مع الايطاليين الفاشيين • وأدت بسالته الى تطهير الأرض اليونانية من العدو والى نقل المعركة الى داخل ألبانيا التى كان الهجوم الايطالى قد بدأ منها ، وقدمت العصابات الألبانية مساعدتها الى الجنود اليونانيين • واضطر الايطاليون نتيجة ذلك الى الانسحاب من بعض المواقع الاستراتيجية الهامة فى ألبانيا كمدن ارجيرو كاسترو وكورتيزا وبورت ساندرافادرياتيكا •

وسارعت بريطانيا الى ائتيال الفرصة التى أتاحها لها كفاح شعب اليونان • وأعربت صحيفة الديلى هيرالد العمالية عن حقيقة نيات بريطانيا بقولها : « أتاح لنا ارغام اليونان على الدخول فى الحرب فرصا هامة للغاية • فقد سهل علينا ، اذا بادرنا الى الحركة السريعة ، نقطة وثوب نستطيع منها مهاجمة ايطاليا من أماكن قريبة » (١) •

وقامت القوات الجوية والبحرية البريطانية فى الصباح الباكر من اليوم الثالث عشر من نوفمبر من عام ١٩٤٠ بمهاجمة الأسطول الايطالى الرابض فى تارنتو • وأسفر الهجوم عن تعطيل ثلاث من البوارج الايطالية الست الراسية فى الميناء • وأصيب طرادان ايطاليان اصابات شديدة • وأدت هذه المعركة الى رجحان كفة القوة البحرية البريطانية فى البحر الأبيض المتوسط والى تمكن بريطانيا من شن هجوم ضخم فى افريقيا •

ولكن مقاومة الوطنيين اليونانيين والألبانيين ، هى التى قررت مصير الهجوم البريطانى ، بفضل ماخلقته من مشاكل لايطاليا • وباغت البريطانيون فى التاسع من ديسمبر من عام ١٩٤٠ الايطاليين بهجوم عام سنوه فى شمال افريقيا • واسنعات القوات البريطانية فى الحادى عشر من الشهر نفسه بلدة سيدى برانى ، ثم اجنازت الحدود الليبية لتستولى على برفة كلها ، بما فيها ميناء بنغازى بسرعة البرق : وسرعان ماقام البريطانيون بهجمات مماثلة على الحبشة والأريتريا والصوماليين وعلى القوات الايطالية فى السودان وكينيا • واستمر القتال أكثر من ستة أشهر تم فى غضونهما القضاء على آخر جندى ايطالى • ولم يحل صيف عام ١٩٤١ ، حتى كانت ايطاليا قد فقدت جميع مستعمراتها فى افريقيا الشرقية ، بما فيها الحبشة التى استولت عليها منذ بضع سنوات •

واستسلمت البقية الباقية من قوات الحملة الايطالية التى كان

(١) الديلى هيرالد عدد أول نوفمبر ١٩٤٠ •

يقودها الدوق أوستا نئاب الملك فى الحبشة فى العشرين من مايو من عام ١٩٤١ ، فى بلدة امبارالاجى الحبشية .

وكانت ألمانيا فى هذه الفترة الواقعة بين أكتوبر ١٩٤٠ ومارس من عام ١٩٤١ ، قد ضنت بمساعدتها على حليفتها . ويبدو أن هتلر أراد من إيطاليا أن تدفع ثمن عنادها . يضاف الى هذا أنه كان ينتظر الساعة التى يطلب فيها إيطاليا المهيضة الجناح ، العون منه ، ليقدمه وفق الشروط التى يراها . وكانت أطماع الامبرياليين الألمان فى جنوب شرقى أوروبا والشرق الأوسط ، غير محدودة . وكان الهتلريون يترقبون الساعة الموالية ليرسلوا قواتهم البرية عبر الأجزاء الجنوبية الشرقية من أوروبا وتركيا للاستيلاء على زيت العراق وايران ، والسيطرة على مصر وقناة السويس ، ثم الشروع فى الزحف النهائى على الهند .

- ٦ -

وكانت أوروبا الجنوبية السرفية تحل مكانة بارزة فى خطة الغزو الألمانى ، بطرا لأن هتلر كان قد قرر الهجوم على الاتحاد السوفيانى . وكان النازيون يأملون فى امنصاص المواد الأولية والأعذية والقوة البشرية من أوروبا الجنوبية الشرقية اسنعدادا لحملةهم المنووعة ، ولافامة رءوس جسور على طول الحدود السوفياتية الجنوبية الغربية . وكانت القيادة العليا الألمانية بوافة لضمان جناحها الأيمن فى الحرب المنووعة مع الاتحاد السوفيانى .

وكان رسل هتلر الدبلوماسيون يبدون نشاطا كبيرا فى جميع أرجاء أوروبا الجنوبية السرفية طيلة المدة التى انقضت بعد أغسطس من عام ١٩٤٠ . واستغلوا الى أقصى حدود الاستغلال التناقضات القائمة بين الدول البلقانية ، والمطامع الافليمية لحكامها . ولقد فامت الحكومة الألمانية رغبة منها فى اغراء المجر مثلا ، باستغلال السخط الذى كان يسود اقطاعيها ورأسمالييها على معاهدة تريانون التى كانت قد اقتطعت من المجر فى نهاية الحرب الأولى بعض الأراضى . ومنلت إيطاليا وألمانيا دور الوسيط بين المجر ورومانيا فى مؤتمر عقد فى فيينا . وأسفرت وساطة هذا المؤتمر عن عقد اتفاق فى الثلاثين من أغسطس من عام ١٩٤٠ ، تنازلت رومانيا بموجبيه عن جزء مهم من مقاطعة ترانسلفانيا ليسكنه نحو مليونين ونصف المليون من الناس . ووعد الألمان حكام رومانيا بالتعويض عليهم من الأراضى السوفياتية . وكان عملاء ألمانيا فى رومانيا قد عملوا فى غضون ذلك على

انتقال الحكم فى البلاد الى أشد دعاة الحرب ضد الاتحاد السوفياتى
غلوا ، وعلى رأسهم انطونيسكو . وراحت القوات الألمانية بموافقة هذا
الحاكم ، تدخل رومانيا فى السابع من أكتوبر من عام ١٩٤٠ .

وكانت بلغاريا ، حليفة ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى ، قد فقدت
بعض أراضيها التقليدية فى نهاية تلك الحرب ، اذ سلم القسم الجنوبى
من دبروجه الى رومانيا خلافا لكل عدل تاريخى . وقرر الألمان أن يفيدوا
من هذا الوضع . ووافقت رومانيا فى السابع من سبتمبر من عام ١٩٤٠
على إعادة جنوب دبروجه الى بلغاريا . وكان الاتحاد السوفياتى يؤيد
دائما عودة هذه المقاطعة الى بلغاريا ، ولكن الدعاية الألمانية فى تلك البلاد
عزت تسوية مشكلتها الى ألمانيا وحدها .

وأراد الاتحاد السوفياتى فى تلك المرحلة الحرجة فى تاريخ بلغاريا ،
أن يضمن استقلال تلك البلاد السلافية الشقيقة ضد السيطرة الامبريالية
الألمانية . وراح الاتحاد السوفياتى يحذر ألمانيا من العواقب الوخيمة المحتملة
لسياستها فى أوروبا الجنوبية الشرقية ، ورفض الاقتراحات التى قدمتها
ألمانيا للتفاوض على تقسيم تلك المنطقة الى مراقع نفوذ .

وعرض الاتحاد السوفياتى مرتين على الحكومة البلغارية أن توقع
معه معاهدة صداقة وعون متبادل ، ولكن هذه الحكومة رفضت العرضين
بضغط من الألمان . ونصحت البعثات الدبلوماسية البريطانية والأمريكية
فى صوفيا الحكومة البلغارية أيضا برفض العروض السوفياتية .

واجتمع بوريس ملك بلغاريا فى الثامن عشر من نوفمبر بهتلر وذكره
بأن « هناك دولة صديقة لألمانيا فى البلقان ، وأن عليها ألا تسخلى
عنها » (١) .

وكان هذا العمل خيانة وطنية صريحة من الملك ، اذ أنه أسلم مقاليد
الشعب البلغارى الى أيدي المعتدين الألمان .

وذكر جيورجى ديميتروف ، الزعيم الشيوعى البلغارى أن من «أهم
الأسباب الرئيسية التى أدت الى نزول الكوارث والهزائم الوطنية ببلغاريا
فى الحقب الأخيرة ، ترعرع الروح السوفينية عند البلغارين واعتناقهم
عقيدة السيطرة على البلقان والتحكم فى جيرانهم . وكانت هذه الروح
أرضا خصبة ترعرعت فيها الفاشية سنوات طويلة ، فى بلغاريا . وباع

(١) وقائع محاكمات نورمبرج .

(٢) وثائق السياسة الخارجية السوفياتية المجلد (٣) ١٩٤٧ . ص ٤٠ .

العملاء المان بزعامة الملك فرديناند والملك بوريسي بلغاريا الى الالمان ، وأحالوها الى أداة للامبريالية الألمانية ضد محررينا الروس ، وضد جيراننا في الغرب والجنوب » .

وبعد أن مهدت ألمانيا الجو لعقد محالفاتها مع الحكام الفاشيين في أوروبا الجنوبية الشرقية راحت تحيل الوعود الى أحلاف رسمية . وانضمت المجر الى ميثاق برلين في العشرين من نوفمبر من عام ١٩٤٠ ، وتلتها رومانيا في الثالث والعشرين ، وسلوفاكيا في الرابع والعشرين من الشهر نفسه .

ووقع صراع داخلي عنيف في بلغاريا . وتمررب الشعب عن تأييده للاتحاد السوفياتي . ولم يكن عدد عملاء هتلر الذين يرأسهم الملك بوريس كبيرا ، ولكنهم كانوا يحتلون قمة السلطان في البلاد . وخشيت الحكومة البلغارية من سخط الشعب ، فراحت تناشد الالمان أن يرسلوا قواتهم الى البلاد في أسرع وقت ممكن .

ووصل الجنود الالمان الى بلغاريا ، وهم منتكرون في صور السائحين ، لتضليل الشعب البلغاري . وراحوا في الثامن والعشرين من فبراير يحتلون المطارات ومحطات السكة الحديدية ومراكز الحدود ، ففتحوا الطريق بذلك أمام الفرق الألمانية . وانضمت بلغاريا في الأول من مارس من عام ١٩٤١ الى حلف برلين .

وجاء دور يوجوسلافيا الآن . وانضمت الحكومة اليوجوسلافية في الخامس والعشرين من مارس من عام ١٩٤١ الى الحلف العدواني . وأعلن ريبنتروب وزير خارجية هتلر أن « ألمانيا ستحترم سيادة يوجوسلافيا وسلامة أراضيها الاقليمية في جميع الأوقات » ، وأضاف أن « دولتي المحور لن توجهها أي طلب في غضون هذه الحرب الى يوجوسلافيا للسماح بنقل قواتهما أو بمرورها عبر أراضي الدولة اليوجوسلافية » (١) .

ولكن هذا البيان كان كاذبا من أوله الى آخره . فلم يكن لألمانيا أي هدف من توقيع هذه المعاهدة ، سوى حرمان يوجوسلافيا من استقلالها الوطني وسيادتها ، وتحويلها الى أداة طيعة في يدها .

وأثار انضمام يوجوسلافيا الى كتلة المعتدين موجة عاصفة من السخط الشعبي . وكان سلافيو يوجوسلافيا يعرفون على ضوء تجاربهم الماضية مايعنيه الحكم الأجنبي . ورفض اليوجوسلافيون عقد أية صفقات مع الامبرياليين الالمان الذين كانوا يمثلون الأعداء القدامى للسلاف .

(١) النيويورك تايمز - عدد ٢٦ مارس ١٩٤١ .

واستفالت الحكومة ، وقامت حكومة ملكية أخرى لم تبرم الاتفاق الذى سبق ليوجوسلافيا أن وقعته بالانضمام الى حلف برلين . ولكن هذه الحكومة لم تقم أيضا بإلغاء هذا الاتفاق ، وكل ما فعلته أنها رجت ألمانيا أن تحترم استقلال يوجوسلافيا ، مؤكدة فى الوقت نفسه استعدادها لملاقاة ألمانيا فى منتصف الطريق فى كافة القضايا الأخرى . وبعتت الحكومة اليوجوسلافية فى الثانى من ابريل بمذكرة الى الحكومة الألمانية أعربت فيها عن « أملها فى أن تحفظ لها استقلالها بأن ثمن نريده شريطة ألا تضحي بحريتها وكرامتها » (١) .

ولكن ألمانيا التى كانت قد أكملت استعداداتها للهجوم على الاتحاد السوفياتى ، محددة موعده فى الخامس عشر من مايو من عام ١٩٤١ ، صممت على اخضاع يوجوسلافيا لأرادنها . ولم يكن هتلر ليرضى بوجود دول عاصية عليه فى مؤخرة الجيوش الألمانية . وكان هذا هو الذى حدا بهتلر عندما نألت الحكومة اليوجوسلافية الجديدة فى السابع والعشرين من مارس من عام ١٩٤١ الى تأجيل موعد هجومه على الاتحاد السوفياتى ، والى اصدار أمره باحتلال يوجوسلافيا مع الهجوم على اليونان فى وقت واحد .

وراح هتلر يقول فى مؤتمر عسكري عقده فى مقر القيادة العليا الألمانية فى السابع والعشرين من مارس : « لم تعد يوجوسلافيا تمثل عاملا يمكن الركون اليه على ضوء عملية مارينسا القادمة وإبان تنفيذ خطة بارباروسا . وقد أصبح الوقت صالحا لصمان التأكد من حقيقة الوضع فى البلاد ومن موقفها تجاهنا على الصعيدين السياسى والعسكرى . . . ولذا فلا بد من تأجيل عملية بارباروسا لمدة أربعة أسابيع » (٢) .

وفد هدف هتلر الى محو القوات اليوجوسلافية المسلحة من الوجود والى تحطيم الدولة اليوجوسلافية . (٣)

وكان الألمان والايطاليون قد عقدوا فى أثناء ذلك صفقة جديدة . فقد منيت ايطاليا بخسائر فادحة . وراحت تطلب العون من ألمانيا . وفرضت ألمانيا شروطها . وهى أن يتولى الألمان القيادة ، وأن تدخل القوات

(١) عدد النيويورك تايمز فى ٣ ابريل ١٩٤١ .

(٢) وثائق عن الحرب العالمية الثانية - موسكو - المجلد رقم ٨ . ١٩٤٦ .

ص ٤٩ .

(٣) محاكمات نورمبرج المجلد الاول . ص ٣٦٢ .

الألمانية ايطاليا • واضطر موسوليني الى الاذعان • فقد أصبحت ألمانيا نفسها متورطة في البحر الأبيض المتوسط ، ومتلهفة لتغيير الوضع الذي لم يعد موافيا لخططها •

واستخدمت القيادة النازية مياه تونس الاقليمية التي وضعتها حكومة بيتان تحت تصرفها وذلك في ارسال عدة فرق ألمانية بقيادة رومل الى ليبيا في شهر مارس من عام ١٩٤١ • وأصبح رومل الآن قائدا عاما للقوات الايطالية في شمال افريقيا خلفا لجراسيانى الذي أقيـل من منصبه • وشرع رومل في الواحد والثلاثين من مارس من عام ١٩٤١ في الهجوم ، وسرعان ما سيطر على ليبيا كلها ، وان ظلت حامية طبرق الباسلة تقاوم بعناد واصرار وتحتفظ بالقلعة المنيعة • ولم يحل شهر يونيو حتى كانت قوات رومل قد وصلت الى نقطة تقع بين السلوم وسيدى برانى ، لتتوقف عندها ، نظرا لشرع هتلر في الهجوم على الاتحاد السوفياتى •

ولم يتخل الاتحاد السوفياتى عن جهوده دفاعا عن استقلال دول جنوب شرقى أوروبا التي كانت تتساقط تحت أقدام ألمانيا الفاشية • وعندما دخلت القوات الألمانية أراضى بلغاريا فى الثالث من مارس من عام ١٩٤١ • بعثت الحكومة السوفياتية بمذكرة الى الحكومة البلغارية تقول فيها : « انها لاتستطيع أن تشاطرهما الرأى بالنسبة الى هذا الموضوع وذلك لأن موقفها لن يؤدى الى تعزيز السلام • وستجد بلغاريا نفسها شاءت أم أبت وقد تورطت فى الحرب التى لابد من اتساعها » (١) • وهكذا أدان الاتحاد السوفياتى بمذكرته الخيانة التى اقترفها حكام بلغاريا • وأعرب عن عطف الشعب السوفياتى على عمال بلغاريا •

وراحت الحكومة السوفياتية تسلم الى المجر ، أعلام الثورة المجرية التى وقعت بين عامى ١٩١٨ و ١٩١٩ ، والتى كانت محفوظة فى المتاحف السوفياتية • وكتبت صحيفة الحزب الشيوعى المجرية فى مقال افتتاحى فى الرابع والعشرين من مارس من عام ١٩٤١ ما نصه : « قررت الدولة العظمى التى تقع الى الشرق من المجر أن تعيد الينا رايات كفاح المجر التحررى • وهكذا فان الحكومة السوفياتية نيابة عن الشعب السوفياتى ، تظهر عطفها على المأساة القومية للشعب المجرى • ولا شك فى أن إعادة هذه الأعلام تمثل حادثا تاريخيا هاما ، اذ تذكر الشعب المجرى بمعنى حرب التحرر » •

وعندما وجه الهتلريون اهتمامهم الى يوجوسلافيا ، لم تتوان الحكومة

(١) وثائق وزارة الخارجية السوفياتية • المجلد الرابع - ص ٥٤٥ •

السوفياتية عن اعلان عطفها على الشعب اليوجوسلافي الشقيق . وتم في الخامس من ابريل من عام ١٩٤١ ، وقبل ساعات قليلة من هجوم ألمانيا الغادر على يوجوسلافيا التوقيع في موسكو على معاهدة صداقة وعدم اعتداء بين البلدين .

وراحت الطائرات الألمانية الحربية تقصف بمنتهى الوحشية في صباح السادس من ابريل عاصمة يوجوسلافيا . وأدت هذه الغارات الى وقوع الألوف من الضحايا ، دون أن تكون ثمة مبررات عسكرية لها ، فقد كانت عملا من أعمال الارهاب الشرير .

وقامت ست وخمسون فرقة ألمانية كانت ترابط في النمسا والمجر وبلغاريا ، ومدعومة في القوات المجرية والايطالية بغزو يوجوسلافيا وكان في امكان الشعب اليوجوسلافي أن يصمد للعدوان الغادر مدة طويلة لولا النتائج المميتة التي تمخض عنها حكم البورجوازية الصربية . فلم تكن هناك أية استعدادات دفاعية ، وكان الجيش سييء التسليح . وكانت المشاكل الزراعية مفتقرة الى الحل ، كما كانت العناصر التقدمية الديمقراطية موضع الاضطهاد ، في الوقت الذي كانت فيه العناصر الحائنة طليقة تسرح وتمرح ، وتقوم بأعمالها القذرة . وقد أدى هذا كله الى انهيار عسكري سريع : وكان الجيش والشعب لايزالان يقاتلان عندما فرت الحكومة اليوجوسلافية من البلاد .

ولم يحل الثامن عشر من ابريل ، حتى كان النازيون قد احتلوا البلاد كلها . وأطبقت على يوجوسلافية أيام قاتمة . وكانت معاملة النازيين لشعوب يوجوسلافية في منتهى الوحشية . فقد شرعوا على الفور ينقبون في البلاد طولا وعرضا، بحثا عن الجنود والضباط والشبان اليوجوسلافيين، ليزجوا بهم في معسكرات الاعتقال . ولكن الألوف منهم تمكنوا من النجاة من مطاردة النازيين ، وانتقلوا الى الجبال والغابات ، يختبئون عن عيون قوات الاحتلال وينضمون بصورة متدرجة الى نضال الأنصار .

وراحت ألمانيا الهتلرية توزع الأسلاب بعد احتلال يوجوسلافيا ، فضمت مقاطعة سلوفينيا الواقعة في الشمال الى اراضي الرايخ ، وأقامت مملكة في كرواتيا جعلت عاصمتها في زغرب ، وتوجت عليها الدوق الايطالي سبوليتو . ولكن الملك الفاشي الجديد كسان يخشى الأنصار اليوجوسلافيين وآثر أن يبقى في ايطاليا ، ليتولى انتيى بافيليك ، أجير هتلر ، منذ عهد بعيد ادارة الدولة نيابة عنه . ووقعت ايطاليا مع كرواتيا

معاهدة ضمان وتعاون ، ضمنت وقوع الأخيرة تحت السيطرة الاستعمارية . ونالت إيطاليا بالإضافة الى ذلك جزءاً من ساحل ألمانيا ومقاطعة الجبل الأسود . ومنح الفاشيون البلغار الجزء الجنوبي من بوجوسلافيا والممتد حتى حدود ألبانيا . ونالت المجر مساحة شاسعة من الأرض عند منعطف الدانوب تضم مقاطعتي فويفودينا وباشكا . أما ماتبقى من البلاد فقد أُنْف دولة الصرب . . التي عهد هتلر « برئاستها » الى ميلان جورج نيديك وهو من اتباعه اليوجوسلاف منذ امد طويل .

وقصد هتلر من كرمه في توزيع أسلاب يوجوسلافيا . أن يظهر لأتباعه أن في وسعهم أن يثأروا شيئاً من فئات مائدة سيدهم . يضاف الى هذا أن النازيين لم يكونوا راغبين في تبديد قوتهم في النضال الطويل والشاق الذي يخوضه الوطنيون اليوجوسلاف من الأنصار ، تاركين المهمة الى أتباعهم من الايطاليين والمجريين والبلغار .

ورفع اليجيوم الألماني على يوجوسلافيا من السادس من أبريل في نفس الوقت الذي شرعت فيه الفواة الألمانية بمهاجمة اليونان . وقام حكام تلك البلاد وقادتها العسكريون أيضا بخيانة شعبهم . فقد استسلم عند ابيروس وبصورة مفاجئة جيش الجنرال جورج شولاكوجلو مع أنه كان مزودا بأسلحة تمكنه من مقاومة العزاذ امداً طويلاً . وقام هذا الجنرال فيما بعد بنرؤس حكومة من الدمى في أنينا . وانقض النازيون عبر الثغرة التي فتحتها الجنرال لهم . واضطرت قوات الحملة البريطانية في اليونان الى الانسحاب من البلاد دون قتال . وعندما حلت نهاية شهر ابريل . كانت بلاد اليونان كلها قد غدت تحت سيطرة هتلر .

وتم للامبرياليين الألمان السيطرة الآن على جميع أرجاء أوروبا الجنوبية الشرقية . ولكن الفوائد التي حققوها كانت أقل مما كانوا قد توقعوه . فقد تركز كره أهل البلاد على الغزاة ، مما أدى الى اشتباكهم في كفاح رهيب وطويل معهم . وأدت عمليات المقاومة المحلية الى التقليل من كميات المواد الغذائية والأولية التي كان النازيون يطمعون في الحصول عليها من هذه البلاد . وحصل السلاح الجوي الألماني على قواعد استراتيجية مهمة في جنوب اليونان . ولكن دولتي المحور ، عجزتا عن فرض تفوقهما في شرق البحر الأبيض المتوسط بسبب الخسائر الضخمة التي منى بها الأسطول الإيطالي .

وأرادت ألمانيا أن تدفع بقواعدها في البحر الأبيض المتوسط الى

الجنوب لتحمل مواصلاتها البحرية مع أوروبا الجنوبية الشرقية . وقرر هتلر الاستيلاء على جزيرة كريت . وكانت للعملية أهدافها النفسية الهامة ، إذ كان هتلر يهدف منها أن يبين لبريطانيا أن حاجز البحر لا يمكن أن يقف عقبة في طريق القوات الألمانية المسلحة . وكان يأمل في أن يؤدي الرعب الذي سينزل ببريطانيا إلى أن يتابع ساستها الطريق الذي سار عليه رجال مونيخ ، وأن يعملوا على طلب الصلح من ألمانيا .

وبدأ الهجوم على كريت في العشرين من مايو من عام ١٩٤١ . وتمكن المظليون الألمان من الاستيلاء على المطار الذي هبطت فيه على الفور الطائرات من ناقلات الجنود والمعدات الحربية . وتدفقت القطع البحرية الناقلة للجنود على موانئ الجزيرة فاحتلتها في غضون عشرة أيام .

وأرادت ألمانيا أن تضمن بعض نقاط الاسناد على الساحل المقابل لحوض البحر الأبيض المتوسط . وكان الجنرال الفاشي الفرنسي دينتز ، نائب بينان في سوريا ولبنان على استعداد للنعاين مع الألمان ، ولكن القوات البريطانية والديجولية هاجمته في النامن من يونيو وتمكنت من احتلال البلدان العربيين . وهكذا تحطمت الخطة التي وضعها الألمان للسيطرة على الشرق الأوسط .

وكان هناك سببان أديا إلى الفشل . أما أولهما فهو أن الخسائر البحرية الإيطالية كانت قد أضعفت قوى المحور في البحر الأبيض المتوسط . وأما السبب الثاني فهو أن الجماهير في المشرق العربي كانت معادية للغزاة النازيين وهكذا تمكن البريطانيون والديجوليون من تركيز الوضع والقضاء على دسائس عملاء المحور في المنطقة ، ومن تشديد قبضتهم على البلاد العربية .

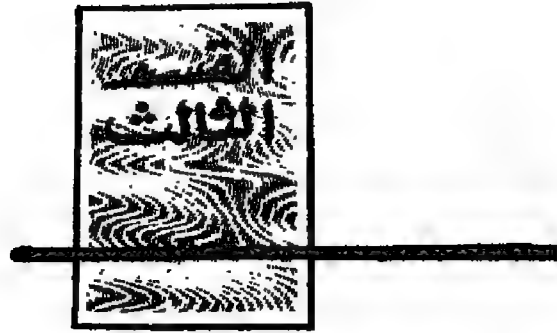
وهكذا تمكنت ألمانيا الهتلرية في المراحل الأولى من الحرب من السيطرة على القارة الأوروبية كلها ، باستثناء الاتحاد السوفياتي . وهكذا تساقطت الدول الأوروبية في يدى الغزاة النازيين واحدة اثر أخرى . ولم تحاول السلطات فى أى منها أن تقاوم الجحافل النازية مقاومة فعالة . وتمكن الألمان من أجبار هذه السلطات على الركوع على أقدامها أمامهم . واحتلت الجيوش النازية أوروبا تقريبا دون أن تخوض حربا فعلية .

وكان السبب الأساسى فى الكارثة كامنا فى العداء العميق فى البلاد الأوربية بين الجماعات الحاكمة وبين جماهير الشعب . وكانت الشعوب تود مقاومة الغزاة من صميم أفئدتها ، والحفاظ على استقلالها الوطنى ، وخوض كفاحات التحرر العادلة . ولكن الحكومات البورجوازية كانت تخشى شعوبها أكثر من خشيتها من المعتدين الألمان . ولم يكن يهمها أن تخوض الحرب ضد الفاشية دفاعا عن الحرية والديمقراطية . وكان كل ماتتوخاه أن تعقد الصفقات مع الفاشيين ضد جماهير الشعب وضد الحرية والديمقراطية . وكانت محاولة توجيه الزحف الألمانى الى الشرق ضد الاتحاد السوفياتى تؤلف جزءا من مخططاتها . وكانت ألمانيا الهتلرية تمثل للحكومات الامبريالية فى أوربا والولايات المتحدة ، حليفا طبقيا أكثر منها عدوا .

وهكذا كانت الحرب العالمية الثانية تجسيدا جديدا للأزمة العامة التى كان النظام الرأسمالى العالمى « يعانى » منها .

ولكن النصف الثانى من عام ١٩٤٠، أخذ يشهد وبصورة متدرجة، تحولا فى طبيعة الحرب . فقد رفع الوطنيون فى البلاد الأوربية المحتلة السلاح لمقاومة الفاتحين الفاشيين . وكان تصميم الجماهير فى بريطانيا والولايات المتحدة على صد الفاشية ينمو ويزداد يوما بعد آخر . وأخذ الضغط الشعبى على حكومتى هذين البلدين يشتد ساعة بعد ساعة.

وشرعت الجماعات الحاكمة فى الولايات المتحدة وبريطانيا فى تغيير موقفها أيضا . فقد وجدت نفسها تواجه خطرا متزايدا من المعتدين الفاشيين على مصالحها فى العالم ، وعلى استقلال بلادها الوطنى وكيانها الدولى ، ورأت نفسها مضطرة الى القتال بضراوة وعنف ضد التحالف الايطالى - الألمانى - اليابانى .



استرداد العدوان الفاشي

المرحلة الأولى من الحرب الوطنية العظمى

موازنة القوى

- ١ -

كان الامبراليون الالمان بتهيئون للحرب التى يتوخون من ورائها السيطرة على العالم منذ أمد بعيد . وقد استخدموا مواردهم الداخلية . ورعوس الأموال الامريكية التى قدمت لهم بسخاء ، لتعصير صناعتهم وزيادة انتاجهم . وبشرح الجدول اللاحق والمستمد من الوثائق الرسمية الالمانية نمو الاستثمارات الألمانية فى عهد هتلر .

الاستثمارات الالمانية الصناعية (بملايين الماركات)

| السنة | المجموع | السلع الانتاجية |
|-------|---------|-----------------|
| ١٩٣٣ | ٥٥٧ | ٣٠٩ |
| ١٩٣٤ | ١٠٦٠ | ٧٠٠ |
| ١٩٣٥ | ١٦٣٦ | ١٢٢١ |
| ١٩٣٦ | ٢١٥٩ | ١٦٣٧ |
| ١٩٣٧ | ٢٨٤٣ | ٢٢٠٨ |
| ١٩٣٨ | ٣٦٩١ | ٢٩٥٢ |
| ١٩٣٩ | ٤٤٣٢ | ٣٥٩٦ |

وبلغ انتاج الصناعات الهندسية الألمانية فى عام ١٩٣٨ أربعة أضعاف ما كان عليه فى عام ١٩٣٣ . وازداد انتاج المواد الاستراتيجية المهمة الأخرى بنسبة أكبر من هذه . فقد كان نحواً من تسعة عشر

الف طن في عام ١٩٣٢ ثم بلغ مائتي ألف طن في عام ١٩٣٩ (١) . وقد تفوقت ألمانيا في انتاج الالومنيوم على ما تنتجه الدول الرأسمالية الأوربية كلها مجتمعة . وأعانت الاحتكارات الامريكية رجال الصناعة الالمان في تنظيم صناعة واسعة للجازولين الصناعي والمطاط الصناعي . وارتفع انتاج الجازولين الى ١٥٠.٠٠٠ رطل في عام ١٩٣٨ ، واقترب بذلك من الهدف الذي تحدد بستة ملايين طن . وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية كانت ألمانيا تملك أكبر عدد من أدوات الآلات القاطعة للمعادن ، اذ بلغ مجموعها مليوناً وستمئة ألف (٢) .

وأعد الامبرياليون الالمان اقتصادهم لمواجهة متطلبات الحرب قبل نشوب الحرب بأمد طويل . فقد غدا انتاج الاسلحة والمواد الحربية سيره بخطى سريعة للغاية . وقد أعد خبراء الاقتصاد في ألمانيا الغربية جدولاً للانتاج الحربي الالماني في السنوات التي سبقت الحرب على النحو التالي :

الانتاج الحربي (بالنسبة المئوية) (٣)

| السنة | النسبة المئوية |
|-------|----------------|
| ١٩٣٣ | ١٠٠ |
| ١٩٣٤ | ١٠٠ |
| ١٩٣٥ | ٢٠٠ |
| ١٩٣٦ | ٣٠٠ |
| ١٩٣٧ | ٤٥٠ |
| ١٩٣٨ | ١٠٠٠ |
| ١٩٣٩ | ١٢٥٠ |
| ١٩٤٠ | ٢٢٠٠ |

ويتضح من هذه الأرقام أن الانتاج الحربي في ألمانيا تضاعف ٢٢ مرة بين عامي ١٩٣٣ و ١٩٤٠ .

وراح الامبرياليون الالمان بالاضافة الى ما حققوه من زيادة في الانتاج يكبدسون مخزونات هائلة من المواد الحربية . وبلغت هذه

(١) الصناعة الألمانية في الحرب (١٩٣٩ - ١٩٤٥) ص ١٨ .

(٢) نفس المصدر ص ٢٠ .

(٣) نفس المصدر ص ٢٠ .

المخزونات في نهاية عام ١٩٣٩ ، ما يحتاجون اليه لمدة عشرة اشهر من الرصاص ولمدة تتردد بين ١٣ و ١٨ شهرا من الصفيح والانتيموني والنيكل والموليبيدينوم الكروميوم والفانديوم والتونجستين والمنجنيز ولمدة ثلاثين شهرا من الكوبالت . (١)

وارتفعت طاقات ألمانيا الانتاجية وقوات العمالة المتوافرة لها ، والمواد الغذائية والاولية والمواد المعدنية والبتروولية التي تحتاج اليها ارتفاعا كبيرا بعد احتلالها لعدد من البلاد الرأسمالية في أوروبا . فقد استولت ألمانيا في هذه البلاد على ممتلكات تقدر قيمتها بتسعة آلاف مليون من الجنيهات (٢) وعلى ١٣٥ ألف طن من النحاس تكفيها سبعة أشهر ، وعلى كميات من النيكل تكفيها خمسة عشر شهرا . (٣) وأصبحت ثمان وثمانون فرقة ألمانية مزودة بالسيارات الفرنسية . (٤) ويظهر الجدول التالي طاقات ألمانيا الانتاجية عندما بدأت هجومها على الاتحاد السوفياتي .

طاقات ألمانيا الصناعية الحربية في عام ١٩٤١ (٥)

| الشرح | الوحدات | ألمانيا وحدها | ألمانيا مع البلاد المحتلة والتابعة |
|------------------|-----------------|---------------|------------------------------------|
| السكان | بالملايين | ٦٩ | ٢٩٠ |
| العمال الصناعيون | بالملايين | ١٠ | ٢٨ |
| الفحم | بملايين الأطنان | ٢٣٥ | ٤٠٠ |
| الزيت | بملايين الأطنان | ١٧ | ٧١٥ |
| الصلب | بملايين الأطنان | ٢٢ | ٤٥ |

ويقول هانز كيهلر الخبير الاقتصادي الألماني . . تبدلت صورة الوضع الاقتصادي الحربي في أكثر من ناحية من النواحي أثناء الحرب في الغرب . فقد تحسن وضع المواد الأولية تحسنا كبيرا . وكانت هولنده وبلجيكا وفرنسا والتروج قد حشدت كميات كبيرة للغاية في الاشهر السبعة الأولى من الحرب ولا سيما من المواد الأولية الاستراتيجية كالمعادن والزيت والمطاط والمواد الأولية للمنسوجات وما شابهها في موانئها ،

(١) الصناعة الألمانية في الحرب (١٩٣٥ - ١٩٤٥) . ص ١٨

(٢) الوثائق السوفياتية الرسمية (١٩٤٧) . ص ١٧٢

(٣) (٤٣) مويلر وهيلبراند - نفس المصدر . ص ١٠٥ .

(٥) الصناعة الألمانية في الحرب (١٩٣٥ - ١٩٤٥) .

وقد وقعت كلها غنيمة في أيدي الجيش الألماني . وكانت الصناعات في هذه البلاد كلها مزودة أيضا . تزويدا طيبا بالمواد الأولية ، وكان في وسعها أن تلبى طلبات الألمان دون الحاجة الى استيراد تموينات جديدة . وامتدت موارد صناعة الحديد والصلب أيضا اتساعا كبيرا ، وذلك لأن مناجم الفحم وخامات الحديد ، وأفران صهر الصلب في هولنده وبلجيكا وفرنسا وبولنده . وقعت فريسة هينة في أيدي الألمان ، ولم يصب بأذى . وكانت الطاقات الضخمة متوافرة في كل فروع الصناعة ... لضمان زيادة الانتاج . (١)

وراحت ألمانيا الهتلرية بعد احتلالها لفرنسا ، تنهل العمال من البلاد المحتلة والمستقلة ، للعمل في مصانعها . وزاد عدد العمال الأجانب في ألمانيا في عام ١٩٤٢ على « العشرة ملايين » تم عاد فارنغ الى ثلاثة عشر مليوناً في نهاية عام ١٩٤٤ . (٢)

وأصبحت ألمانيا بذلك من الناحية العسكرية أقوى دولة في العالم الرأسمالي .. وأنتجت ألمانيا في عام ١٩٤٠ نحو ٩٥٠٠ طائرة و ١٨٠٠ دبابة و ٤٠٠٠ مدفع و ٥٧١٠٠ مدفع رشاش و ١٤٠٠٠٠٠ بندقية (٣) . يضاف الى هذا أن مصانع فرنسا وتشيكوسلوفاكيا والنمسا وبلجيكا وهولنده والمجر ورومانيا وغيرها من البلاد المحتلة أخذت تصنع الاسلحة لألمانيا .

وبدأت ألمانيا تستعد لغزو الاتحاد السوفياتي في أعقاب استسلام فرنسا . وفي نفس اليوم الذي وضعت فيه الخطط الأصلية لغزو بريطانيا على الرف . وأعيد تجميع القوى الألمانية وتم توزيعها في فرق جديدة . وأصدرت القيادة العليا للقوات البرية الألمانية توجيهات بتاريخ السادس من سبتمبر من عام ١٩٤٠ تقضى بزيادة قوات الاحتلال في المناطق الشرقية في الأسابيع القليلة القادمة . وأضافت هذه التوجيهات بقول ... ويجب لاعتبارات تتعلق بالأمن ، ألا تخلق هذه التعزيزات أي انطباع في روسيا بأن ألمانيا تعد العدة لهجوم في الشرق (٤)

وأصدرت القيادة العليا الألمانية في الثامن عشر من ديسمبر من عام ١٩٤٠ الأمر الموجه رقم ٢١ وقد حمل الاسم الرمزي «عملية

(١) كتاب « التوازن بين الجانبين المحاربين » - هبورج ١٩٥٣ - ص ٢٧٥ .

(٢) وثائق الحكومة السوفياتية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) - المجلد الثاني ص ١١ .

(٣) وثائق الحكومة السوفياتية - (١٩٣٩ - ١٩٤٥) - ص ٧ .

(٤) التايمز اللندنية عدد ٥ ديسمبر ١٩٤٥ .

بربروسة « ٠ لا ١) وذكر هذا الامر ان على القوات المسلحة الالمانية أن تكون على أهبة لاحتمال سحق روسيا السوفياتية في حملة سريعة تسبق انتهاء الحرب ضد بريطانيا العظمى ٠ (٢) ولخصت الاهداف الاساسية للهجوم على الاتحاد السوفياتي على النحو التالي : « لابد من القضاء على الحشود السوفياتية في الأجزاء الغربية من روسيا بعمليات جريئة تقوم بها قوات الصاعقة باندفاعات عميقة . ويجب الحيلولة دون تراجع الجنود السوفيات العاملين الى داخل روسيا . . والهدف النهائي لهذه العملية هو ابقاء روسيا الآسيوية معزولة وراء خط يمتد من اركانجل الى الفولجا (٣)

وكان الامبرياليون الالمان يهدفون الى تحطيم الاتحاد السوفياتي تحطيمًا كاملاً . . . فقد تحدث هتلر الى قادته العسكريين في مؤتمر عقده وقال . . . لا يكفي أن نحطم الجيوش الروسية وأن نستولي على ليننجراد وموسكو والفقاس . فعلياً أن نمسح هذه البلاد من خريطة العالم وأن نقضى على شعبها (٤)

وحدد الأمر الموجه رقم ٢١ ، اتجاه العمليات . وكان لابد من توجيه الضربة الرئيسية الى الشمال من مستنقعات برييات . وستقوم بتوجيه هذه الضربة مجموعتان من الجيوش أولاهما في الشمال تندفع الى ليننجراد عبر دول البلطيق وثانيتهما في الجنوب . تعبر روسيا البيضاء ثم تتجه الى الشمال الشرقي . وخطط الالمان للاستيلاء على ليننجراد وكونسبتادت ، ثم الزحف باتجاه موسكو في هجوم ذي شعبتين ، أولاهما من الشمال والثانية من الغرب . . وكانت هناك خطة أخرى للاتجاه من جنوب مستنقعات برييات الى لوبلين في اتجاه كييف ونهر الدنيبر والجنوب . وكان على القوات الألمانية والرومانية في الجناح الجنوبي أن تؤمن التغطية للجناح النازي الشمالي .

(١) كان بربروسة أو ذو اللحية الحمراء ، الاسم الذي لقب به فردريك الاول امراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة (١١٢٣ - ١١٩٠) . ولقد مست حملاته العسكرية سلسلة من الهزائم الضخمة ، ومع ذلك فقد مجدت الشوفينية الألمانية اسمه وأحاطه بهالاب من الاساطير منها أن بربروسة قد احنق حيا في جبال بورينجيا وانه سنترك منفاه ليعود الى ألمانيا ويقودها في زحفها الى الشرق .

(٢) محاكمات نورمبرج .

(٣) نفس المصدر .

(٤) عدد الازفتيا بتاريخ ١١ ديسمبر ١٩٤٥ .

وكان على القيادة النازية أن تتولى زمام المبادرة منذ البداية . وكانت على ثقة من النصر بعد الانتصارات السهلة التي حققتها في أوروبا الغربية وتوقعت أن تسير عملياتها ضد الاتحاد السوفياتي وفق الخطة المرسومة تماما ولا شك في أن هذه التوقعات كانت مبنية على استهانتها بدور الجيش السوفياتي السلبي .

وكانت الاستعدادات النازية لمحاربة الاتحاد السوفياتي ضخمة وكاملة وتمت تعبئة القوات الألمانية المسلحة تعبئة تامة . وكانت قد مرت بتجارب عسكرية حديثة ، وزودت بأحدث أنواع الأسلحة . وحاولت أن تقوم بعمليات استطلاع كاملة للبلاد ، ولكنها فشلت في محاولتها ، اذ لم تنجح في إقامة شبكة قوية من العملاء في الاتحاد السوفياتي . كما نجحت في الدول الغربية . ومثلت اجراءات الحكومة السوفياتية عائقا فعالا حال دون تحقيق الخطط الألمانية ، ولا سيما اغلاق القنصليات الألمانية في عام ١٩٣٨ في مختلف المدن السوفياتية . ويروى على لسان الملحق العسكري النازي في موسكو أنه قال بعد اغلاقها : انه فقد آخر مصدر من المصادر التي كانت تزوده بالمعلومات (١) . ولكن الالمان شرعوا منذ أواخر عام ١٩٤٠ بعمليات تصوير جوى تقوم بها طائرات سريعة ، وقد تمكنت في الاسبوعين اللذين سبقا الهجوم من التوغل الى ما وراء مناطق الحدود في الاتحاد السوفياتي . (١)

واعتمدت خطة الالمان على القيام بهجمات أولية قوية ، تقوم بتحطيم القوات السوفياتية الرئيسية الموجودة في غرب الاتحاد السوفياتي ، وتؤمن لهتلر زمام المبادرة الاستراتيجية . وكانوا على ثقة من أن هذا الهجوم الكاسح ، سيخرج الجيش السوفياتي من الميدان بسرعة ، ويحطم الدولة الاشتراكية .

ولا شك في أن التصريحات المغتررة التي صدرت عن الزعماء النازيين تؤكد الثقة التي كانوا يحسون بها في نجاح خططهم المتهورة .

(١) لويس دي جونج - « الطابور الألماني الخامس في الحرب العالمية الثانية » شيكاغو ١٩٥٦ . ص ٢٢٥ .

(٢) لويس دي جونج . « الطابور الألماني الخامس في الحرب العالمية الثانية » شيكاغو ١٩٥٦ ص ٢٣٦ .

فقد ذكر هتلر في الخامس من ديسمبر من عام ١٩٤٠ في مؤتمر عقده للقادة العسكريين الألمان أنه يتوقع . . ان يمنى الجيش الروسى عندما تهاجمه القوات الالمانية بهزيمة أبشع من تلك التى منى بها الجيش الروسى في عام ١٩٤٠ (١)

وذكر ريبنتروب وزير خارجية ألمانيا في حديث له مع ماتسوكا وزير خارجية اليابان في السابع والعشرين من مارس من عام ١٩٤١ أن ألمانيا على ثقة من أن الحرب مع روسيا ستنتهى بالهزيمة النهائية للجيش الروسية وبانهيار نظامها السياسى . (٢) وكان الهتلريون يتوقعون تحقيق النصر قبل حلول الشتاء .

فلقد كتب هانز جودريان في مذكراته : « كانت القيادة العليا ، والقيادة العامة للقوات البرية على ثقة تامة من انهاء الحملة على روسيا قبل حلول الشتاء ، الى الحد الذى دفعها الى عدم تزويد الجنود بالملابس الشتوية الا بمعدل لباس واحد لكل جندي من خمسة جنود (٣) وراح القادة العسكريون الألمان ينحون باللاملة على هذا الاغراق في التفاؤل على هتلر . ويقول جودريان : « وأنا لا أستطيع تقبل الادعاء المنتشر من أن هتلر هو المسئول الوحيد عن افتقار الجيش في عام ١٩٤١ الى الملابس الشتوية (٤)

ولم يكن هتلر يتحدث عن نفسه فقط بل عن جميع قادته العسكريين عندما قال : « لن أقع في نفس الخطأ الذى وقع فيه نابوليون . فعندما أقرر الزحف على موسكو ، سأزحف في وقت مبكر ، لأصل اليها قبل حلول الشتاء (٥)

وكان الجنرال يودل ، قد تفاخر بزهو أمام مؤتمر عسكري عقد في برختسجادن قبيل الشروع في الهجوم على الاتحاد السوفياتى بأنه لن تنقضى ثلاثة أسابيع على الشروع في الهجوم ، حتى يكون ذلك البيت المبنى من الورق قد تهاوى . (٦)

(١) هيلمون جرينر « مؤتمرات قادة الجيش بين ١٩٢٩ و ١٩٤٣ » فيسبادن ١٩٥١

ص ٣٢٦ .

(٢) براغدا عدد ٢٠ فبراير ١٩٤٨ .

(٣) هاينز جودريان « مذكرات جندي » هايدلبرج ١٩٥١ . ص ١٣٧ .

(٤) هاينز جودريان - نفس المصدر ص ١٣٧ .

(٥) ديفرلى روت « التاريخ السرى للحرب » - المجلد الاول ، ص ٥٢٠ .

(٦) الوثائق السوفياتية - نفس المصدر ص ٥٤ .

وأدت الثقة التي أحست بها القيادة الألمانية من نجاح خططها الى إصدار أمر موجه ، عما يجب عمله لضمان السيطرة على العالم ، بعد احتلال الاتحاد السوفياتى . وقد نص هذا الأمر رقم (٣٢) والذي حمل عنوان « الاعداد للفترة التي تلى تحقق خطة ببروسية » على احتلال جبل طارق ، وعلى « الزحف بحملة آلية مدرعة عبر جبال القفقاس الى الخليج العربى واحتلال العراق وسوريا ومصر » (١) وتضمن الأمر نصا آخر بغزو الجزر البريطانية مع التأكيد على أن عامل الطقس وحده هو الذى يستطيع أن يؤدى تأجيل فى التنفيذ .

وكانت الحكومة الألمانية قد رفعت عدد أفراد قواتها المسلحة ، قبل الشروع فى الهجوم على الاتحاد السوفياتى الى (٧٢٣٤٠٠٠) ضابط وجندى . نضاف الى هذا أنها قامت بتدريب قوات احتياطية قادرة على الدخول فى المعركة وقدرت أن هذه الارقام كافية . إذ أنها لم تخسر فى القسم السابق من الحرب أكثر من ٩٣٧٣٦ رجلا . (٢)

وكانت لدى ألمانيا الآن نحو من ٢٢٤ فرقة منها ١٥٣ خصصت للهجوم على الاتحاد السوفياتى . وقد رصد من هذه القوات ١٢٩ فرقة للقيام بالعملية الاستراتيجية الأولى بينما استبقت القيادة العليا ٢٤ فرقة كاحتياط تحت تصرفها وتصرف قادة مجموعات الجيوش . ودفعت الدول التابعة لألمانيا الى الميدان أيضا ٣٧ فرقة منها ١٧ من فنلند و ١٨ من رومانيا وفرقتان من المجر . وهكذا تم حشد مائة وخمسين فرقة للهجوم على الاتحاد السوفياتى بعززها سلاح جوى يضم نحواً من خمسة آلاف طائرة حربية .

وحاولت القيادة الألمانية بكل ما لديها من طاقة أن تضمن عنصرى المفاجأة والمباغطة . وكانت الصحف الألمانية توالى نشر الأنباء عن الاستعدادات لغزو الجزر البريطانية . وكانت هناك تحركات مستمرة للقوات الألمانية فى الترويج وشمال فرنسا . وكان المفروض أن تؤدى هذه المناورات الى خلق الانطباع بأن هناك شيئاً يعد ضد بريطانيا ، ولقد بنى المارشال باولوس فيما بعد أن هذه الحركات الموجهة ضد بريطانيا كانت تهدف الى صرف انتباه روسيا عما يدبر لها . (٣) ولعل

(١) نفس المصدر ص ٥٣ .

(٢) مويلر هيلبراند - نفس المصدر المجلد الثانى ص ١٠٢ .

(٣) محاكمات نورمبرج - المجلد الاول . ص ٣٧٧ .

هذا هو السبب الذى دعا الحكومة الألمانية أيضا الى عدم ابلاغ قواتها
المرابطة على الحدود الشرقية بالهجوم القريب والمنتظر .

ولكن الصحف الألمانية كانت نهىء الجو بصورة متدرجة للعمل
المقبل ، عن طريق الاكثار من ادعاء حب ألمانيا للسلام ، ومن نشر الأنباء
الكاذبة عن الاستعدادات الحربية السوفياتية . وكان هدف هذه
الحملات الصحفية قبل كل شىء كسب عطف الدول القريبة وتأييدها .
وكان المعتدون النازيون جد متلهفين لاثبات أنفسهم بمظهر المدافعين عن
أوروبا ضد الغزو البلشفي . وكانت هناك بعض الصحف البريطانية
والأمريكية واليابانية قد وقعت في الشرك الذى نصبته الدعاية النازية
فراحت بنشر الأنباء الكاذبة عن الاستعدادات الروسية الحربية .

وكانت الدعاية الفاشية تفسد الجيش الألمانى . وراح النازيون
يلوحون للضباط والجنود بالمكاسب المادية التى سبغتمونها في الحرب
المقبلة وكثيرا ما أغرى العسكريون الألمان بالوعد المعسولة عن الأثاء
السهل والسريع . ولقد أعطت الصحافة النازية البيان التالى الصادر
عن هتلر ، الكثير من البروز « ستكون الأمة الألمانية وحدها ،
أمة المحاربين . أما الأمم الأخرى ، فستكون من الأرقاء الذين يعملون
لأثراء المحاربين التيونون » .

وكان هناك تخطيط مسبق للجرائم التى اقترفت ضد الشعب
السوفياتى فقد نصت الأوامر المتتالية على شكل السلوك الذى يجب
أن تتبعه القوات الألمانية . ففي الثالث عشر من مايو من عام ١٩٤١ ،
أصدرت الحكومة الألمانية مرسوما خاصا بعنوان « تطبيق القوانين
العسكرية في مناطق عملية بربروسة . مع منح الجنود صلاحيات
خاصة » . وقد أمر هذا المرسوم الجنود ألا يعرفوا الرحمة في معاملتهم
للسكان المدنيين وأن يطلقوا النار على كل من يشتبهون فيهم بأنهم من
رجال المقاومة . ومنع الأمر الجنود من محاكمة المشبوهين أو اعتقالهم
بل طلب اليهم أن يقتلوهم فورا وبدون تردد . وخطط الأمر لايقاع عمليات
التأديب الجماعية على السكان في مناطق بكاملها .

ولقد برىء الجنود والضباط الألمان ، بل الموظفون أيضا من المسئولية
عن الجرائم التى ارتكبت ضد السكان المدنيين ، حتى تلك التى تميزت
بالوحشية الصارخة . فلقد كانت الحكومة الألمانية تعرف اجرام هذا

الأمر الذى أصدرته وطلبت تنفيذه ، ولذا فقد أمرت بإحراق جميع النسخ
الصادرة منه (١) .

وذكر أحد كبار القادة الألمان ويدعى ايريك كوخ ، وهو الذى عينه
هتلر فيما بعد حاكما عاما لأوكرانيا المحتلة لجنوده : « أعدكم بشرفى
أن تكون لكم المصانع والأعمال التى نغنمها فى حربنا فى المناطق الشرقية .
وانى لعازم على الوفاء وفاء كاملا بهذا الوعد . وسأعين كلا منكم فى المنصب
الذى يريده ، وتبعا لمؤهلاته . ولن أطلب منه مالا أو حتى معرفة اسمه .
فأنا على ثقة من أننا سنكسب جميعنا مشروعات هائلة . ويجب أن تعود
غنائم الحرب إلينا أى إلى الجنود الذين يقاتلون وينتصرون » .

وسمح لجنود ألمانيا الفاشية بأن ينهبوا السكان المدنيين فى قرى
الاتحاد السوفياتى ومدنه ، وأن يفتصبوا نساءهم ، وأن يقتلوا من
يشاءون منهم . وهكذا كان القادة يشجعون جنودهم على الجريمة ولا
يمنعونها .

وخدع الجنود الألمان بوعود الدعاية الألمانية ، فقد استهواهم الطمع
فى الغنائم الكبيرة . وكانوا على ثقة من أن الحرب ضد الاتحاد السوفياتى
ستكون مجرد نزهة ، تحقق لهم غنائم لا عد لها ولا حصر .

ولكن هذه الآمال تبددت . وعهد إلى جورنج الذى كان يمثل
مصالح الاحتكار الرأسمالى الألمانى بأن يتولى الاشراف على الاقتصاد
السوفياتى . ووضع جورنج برنامجا للاستيلاء على كل شئ تحت ستار
ما أسماه بالكتاب الأخضر ، وذلك قبل الشروع فى الهجوم على الاتحاد
السوفياتى . وأصدر هتلر فى التاسع والعشرين من يونيو من عام ١٩٤١
مرسوما يعطى بموجبه جورنج الصلاحيات المطلقة فى « الافادة إلى الحد
الأقصى من المخزونات والموارد الصناعية لتطوير الاقتصاد » (٢) .

وتضمن كتاب جورنج الأخضر ، مخططا تفصيليا « لقيادته الاقتصادية
الشرقية » . وسرعان ما ملأ فروع هذه القيادة المتشعبة لعملاء الاحتكارات
الألمانية الضخمة . وكان على هؤلاء أن يتولوا « القيادة الاقتصادية » فى
المناطق المحتلة . وتجاهل كتاب جورنج الأخضر ، والتعليمات التكميلية

(١) أوبرى ديكسون واوتو هيلبرون «حروب العصابات الشيوعية» - لندن

١٩٥٩ . ص ١٠٣ .

(٢) محاكمات نورمبرج . المجلد الاول ص ٧٣٢ .

التي أصدرها ، المصالح الأولية والحيوية للسكان السوفيات وقضى عليهم بالمجاعة . وذكر الفريد روزنبرج في مؤتمر عقد في العشرين من يوليو من عام ١٩٤١ : «لنا ملزمين باطعام الشعب الروسى من موارد هذه الأرض الخصبة . ونحن نعرف أن الضرورة القصوى تتغلب على جميع المشاعر ، وعلى الروس أن يتوقعوا مواجهة سنوات عصيبة » (١)

وتم اعداد فرق خاصة من « الكوماندو » ومجموعة من التسهيلات مسبقا لضمان الإبادة الجماعية للسكان المدنيين . وأصدرت الحكومة الألمانية أوامرها الى القوات المسلحة وإلى السلطات فى الأراضى المحتلة . باتباع الأوامر الصارمة الصادرة عن هتلر . وتقول تلك الأوامر : « علينا أن نبعد السكان المدنيين ، لان هذه الإبادة تؤلف جزءا من رسالتنا فى الحفاظ على الشعب الالماني ، وعلينا أن نبتكر أساليب الإبادة ... ولما كنت أدفع بزهرة شباب الامة الالمانية الى جحيم الحرب ، وأسفك دماء الالمان الزكية والغالية دون تقريع من ضمير ، فان من حقى أن أقضى على الملايين من شعب أدنى من الشعب الالماني ، ويتزايد عدد أفرادهم كالهوام » (٢) .

وكان قد تقرر مسبقا أيضا قتل أسرى الحرب السوفيات قتلا جماعيا ولقد أقيمت دائرة لأسرى الحرب فى مقر القيادة العليا ، « برئاسة » الجنرال رينيكه . ووجه هذا الجنرال فى مارس من عام ١٩٤١ ، توجيهات سرية فى مؤتمر عقده ، عن طريقة معاملة أسرى الحرب فقال : ان من الواجب الإبقاء عليهم فى العراء ، وبدون غذاء ، وأن يبادوا بصورة جماعية . وعاد المارشال فون ريشناو ، فذكر فى أمر لاحق أن « ترويد المدنيين وأسرى الحرب بالغذاء تبديد لا ضرورة له » (٣) .

وكان النازيون يتطلعون الى استخدام العصابات الفاشية التى كانت القيادة الألمانية قد جمعت أفرادها مسبقا من الأوكرانيين ، والخونة من دول البلطيق . وكان هؤلاء يجمعون بسرعة من سائر أرجاء أوروبا المحتلة ، ومن المهاجرين الروس البيض ، ليدربوا فى مدارس الجاسوسية الالمانية ، وليوفدوا بسرعة للعمل ضد الشعب السوفياتى (٤) .

(١) نفس المصدر ص ٧١٩ - ٧٢٠ .

(٢) محاكمات نورمبرج - المجلد الاول . ص ٥١٨ .

(٣) نفس المصدر ص ٤٤٤ .

(٤) اف . اوميكشيه ... « أخطاء هيرل الاستراتيجية » - باريس ١٩٤٥ .

وأرادت ألمانيا أن تضمن اشراك جميع الدول التابعة لها فى الهجوم على الاتحاد السوفياتى . وبعد بدأت المفاوضات لتحقيق هذه الغاية قبل الهجوم بوقت طويل . وكان من اسهل اصاع ايطاليا الفاشية . فقد سر موسولينى وبطانه غاية السرور بالمشروع الهنلرى المعادى للسوفيات . وكان هناك أيضا تفاهم مع المجر منذ عام ١٩٣٨ . وفام هورتى ديكتاتور المجر الفاشى بزيارة هنلر عدة مرات ، ووعد ، بانضمام المجر الى الحرب ضد الاتحاد السوفياتى . وقابل الجنرال كارولى بارتا وزير دفاع المجر ، المارشال كاينل ، رئيس هيئة أركان حرب ألمانيا فى برلين فى ديسمبر من عام ١٩٤٠ . وقد حدد الرجلان القوات التى تستطيع المجر تقديمها الى ميدان المعركة ، كما اتفقا على شروط وضع الاراضى المجرية تحت تصرف ألمانيا كمنطقة تهيئة للهجوم على الاتحاد السوفياتى . وتقرر أن تنال المجر مقابل ذلك منطقة غاليسيا وسفوح الكربات حتى نهر الدنييستر . وأقامت هيئتا أركان ألمانيا والمجر ، قيادة ارتباط دائمة بين الجيشين . ووضعت الحكومة المجرية فى شهر مايو من عام ١٩٤١ ، تصميمها على الاستراك فى الحرب ضد الاتحاد السوفياتى فى الشكل الرسمى ، ووصفنه بأنه نمرة « سنوات طويلة من التعاون العسكرى الاختيارى مع ألمانيا » (١) .

وحضر الجنرال هينريش ، ممثل القيادة الفنلندية فى ديسمبر من عام ١٩٤٠ ، اجتماعا سريا لهيئة أركان الحرب الألمانية فى زوسين . وفدم الجنرال الى المجتمعين تقريراً عن الدروس التى وعها الجيش الفنلندى من حربه بين عامى ١٩٣٩ و ١٩٤٠ مع الاتحاد السوفياتى . واستكملت المحادثات انى بدأها هينريش فى النصف الثانى من شهر مايو من عام ١٩٤١ . وأدت فى الثانى والعشرين منه الى اتفاق حول توحيد العمليات العسكرية وتنسيقها . واتفق على تسمية الهجرم الذى سنفوم به فنلندة على الاتحاد السوفياتى واسهامها فى الحرب بوجه عام بعملية « الثعلب الازرق » التى ستكون مكملة لعملية بربروسة .

وعهد الى فنلندة بأن تساعد ألمانيا فى الاستيلاء على أسطول روسيا فى البلطيق عن طريق تدمير القناة التى تصل البلطيق بالبحر الابيض الشمالى ، وأن تعزل الاتحاد السوفياتى عن بحر بارينتس عن طريق هجوم

(١) من اعترافات الجنرال روزسيير روديجر من الجيش المحرى فى محاكمات نورمبرج - موسكو . المجلد الاول ص ٣٩٢ .

نشنه في اتجاه مورمانسك . ونقرر أن نسال فنلندة كتعويض كاريليا الشرقية باسثناء شبه جزيرة تولا التي لان يريدوا الاحتدريون الامان لانفسهم ، ومقاطعه ليننجراد . وأعد العاشيون الامان والفنلنديون حطة منسرة له بتحطيم ليننجراد وندميرها . ونقول ونيقه رسمية لهيئة الاركان العامة الامالية ماضه . . . » قرر القوهرر محو مدينه بطرسبورج من وجه الدنيا . ولن تكون نمة حاجة بعد هزيمه روسيا السوفياتيه الى وجود هذه المدينه الكبيرة المزدحمة بالسكان « (١) .

وبدأت المفاوضات مع رومانيا لاشراكها في الحرب ضد الاتحاد السوفياتي في شهر نوفمبر من عام ١٩٤٠ . فقد اسندعى ايون انطونيسكو ديكتاتور رومانيا القاشي الى برلين . وأوفدت بعثة عسكرية ألمانية خاصة « برناسة » الجنرال هانسين الى رومانيا لاعادة تنظيم جيشها . وفام انطونيسكو وهتلر في شهرى يناير ومايو من عام ١٩٤١ ببحث العمليات المستركة ضد الاتحاد السوفياتي . وروى انطونيسكو بعد انتهاء الحرب في عرضه للأحداث عن هذه الاجتماعات فقال : « قمنا باجراء التريبات النهائية للهجوم المشترك على الاتحاد السوفياتي . وقد ذكر لي هتلر : أنه قرر مهاجمة روسيا . وبين أنه بعد أن يتم اعداد العدة للهجوم ، سنشرع القوات في اندفاعها على طول حدود الاتحاد السوفياتي من البحر الاسود حتى بحر البلطيق . . . ولما كانت اقتراحات هتلر بالشروع في الهجوم تتفق مع مخططاتي العدوانية ، فقد وافقته عليها فورا ، وتعهدت بتهيئة العدد المطلوب من القوات الرومانية . ووعدته أيضا بزيادة مانقدمه الى الجيش الألماني عن شحنات الزيت والمنتجات الزراعية » (٢) .

ووعده هتلر انطونيسكو مقابل اشتراك رومانيا في الحرب باعطائها بيسارابيا، وبوكوفينا الشمالية، وغيرهما من الاراضى السوفياتية الواقعة الى الغرب من نهر الدنييبر .

وفاض هتلر بيتان فرنسا أيضا في احتمال اشتراك فرنسا في الحرب ضد الاتحاد السوفياتي . وكان قد تطرق في الرابع والعشرين من أكتوبر من عام ١٩٤٠ الى الموضوع عند اجتماعه ببيتان في بلدة مونتوار الفرنسية . واستدعى دارلان وزير خارجية بيتان الى برختسجادن في

(١) عدد البرافدا في ١٤ يناير ١٩٤٦ .

(٢) محاكمات نورمبرج - المجلد الاول . ص ٢٨٣ .

وكان حكام ألمانيا يعلقون أعظم الآمال على اليابانيين . وكانوا يريدون من اليابان أن تبدأ الهجوم على الاتحاد السوفياتي لان هذا يضمن لها اصابة عصفورين بحجر واحد ، وأولهما ، تغطية تنكرها الفاضح لالتزاماتها بموجب ميثاق عدم الاعتداء الذي عقده مع الاتحاد السوفياتي ، وثانيهما تحويل اهتمام روسيا وقواتها الى اتجاه آخر . وكان الهتلريون يطمعون في أن تتولى اليابان اضعاف الاتحاد السوفياتي ، وأن يتولى الاتحاد السوفياتي اضعاف اليابان ، اذ أن مثل هذه النتيجة تضعف من مطامع اليابان في السيطرة العالمية ، وتجعلها معتمدة على ألمانيا ، كما هو الوضع بالنسبة الى إيطاليا .

ولكن حكام اليابان تملصوا من مفاوضة ألمانيا حول هذا الموضوع . ولم يصل يوسوكي ماتسوكا ، وزير خارجية اليابان الى برلين الا في شهر مارس من عام ١٩٤١ . وقد أكد الوزير اخلاص اليابان لتحالفها مع ألمانيا ، وأكد أن بلاده « ستكرس كل جهودها وقواها لخدمة القضية المشتركة » (١) ولكن ماتسوكا رفض تحديد الموعد الذي ستهاجم فيه اليابان الاتحاد السوفياتي ، فأثار بذلك امتعاض هتلر . فقد كانت لبلاده أهدافها الامبريالية الخاصة ، ولذا فقد رفض الانصياع لأوامر ألمانيا ، اذ أنه رآها غير نافعة لبلاده .

وتطلع هتلر أيضا الى اشراك أعداء ألمانيا في الحملة الصليبية ضد الاتحاد السوفياتي . وكان الامبرياليون الألمان يأملون في استغلال التناقضات بين الدول الرأسمالية وبين الاتحاد السوفياتي من جديد ، وأن يفيد من المشاعر المعادية للسوفيات عند القوى الرجعية في بريطانيا وأمريكا . وكانوا جد تواقين الى عقد الصلح مع بريطانيا ، والحصول على دعم الجماعات الحاكمة في بريطانيا والولايات المتحدة لشن الحرب على الاتحاد السوفياتي بمساعدتها ، فاذا ماتمكنوا منه انكفئوا من جديد الى شن حملة عسكرية جديدة في الغرب ، على بريطانيا أولا وبعدها على الولايات المتحدة .

وأوفد النازيون رودولف هس نائب هتلر في زعامة الحزب النازي لتحقيق هذا المشروع . فقد استقل هس في العاشرة من شهر مايو من عام ١٩٤١ طائرة من طراز مسرز شميت ١١٠ ، من مطار أوجسبرج في ألمانيا ، ليهبط بها في بريطانيا .

(١) برافدا - عدد ٢٠ فبراير ١٩٤٨ .

وأوفدت الحكومة البريطانية لمفاوضته بعد اعتقاله ، الناطق الخاص بلسانها ايفون كيركباتريك . وقام عدد من كبار القادة السياسيين البريطانيين وفي مقدمتهم اللورد هاملتون واللورد سيمون واللورد بيفر بروك بزيارته في سجنه . ولكن هس ، لم يفض بمكنونات صدره الا الى اللورد سيمون المعروف بعطفه البالغ على الفاشية الألمانية (١) .

ولخص هس ، اقتراحات هتلر على النحو التالي : يعقد الصلح ، وتطلق يد ألمانيا حرة في أوروبا كما تطلق يد بريطانيا حرة في امبراطوريتها باستثناء ما ضمته اليها من مستعمرات ألمانيا السابقة التي يجب أن تعود الى الرايخ . وأعطيت الأولوية في الحديث الى موضوع الاتحاد السوفياتي « الذي سيقدم الرايخ اليه عددا من المطالب ، التي لا يمكن قبولها لا عن طريق التفاوض ولا عن طريق الحرب » . وسأل كيركباتريك هس عما اذا كان الرايخ يعتبر روسيا جزءا من أوروبا أو من آسيا فرد بقوله : « انها من آسيا » (٢) .

وقال هس : ان « هتلر يريد الوصول الى تفاهم متبادل ودائم مع بريطانيا العظمى ، يقوم على أساس عدم المساس بالامبراطورية البريطانية . وكانت عملية طراني وسيلة لاعطاء بريطانيا فرصة التفاوض دون المساس بكرامتها » .

وقال المبعوث النازي : انه سينقل رد بريطانيا الى ألمانيا بالطائرة . واقترح وسيلة أخرى ، وهي أن يقدم الى كيركباتريك رسالة يستطيع نقلها الى السفير الالماني في دبلن عاصمة ايرلنده .

وأثارت اقتراحات هس مناقشات عنيفة . ومال عدد من مخططي السياسة في بريطانيا والولايات المتحدة الى قبولها . لكن عددا آخر منهم ، اقترح رفضها ، اذ أن هذه الشروط التي تقدمت بها ألمانيا كانت تزيد في حدة التناقضات الامبريالية بدلا من تخفيفها . وكان قبولها سيضر بمصالح بريطانيا بشكل واضح ، اذ يضمن العون لاعتداءات هتلر في أوروبا وآسيا

(١) محاكمات نورمبرج - المجلد ١٥ ص ٢٧٩ - ٢٩٢ .

(٢) مكسيم موران «عمليات جس النبض لعقد الصلح في الحرب العالمية الثانية»

بالريس ١٩٤٩ . ص ١٠٤ .

دون الحصول على مقابل سوى تأكيد ما بيد بريطانيا . يضاف الى هذا أن ممتلكات بريطانيا ستتقلص ، وذلك لان ألمانيا تريد استعادة المستعمرات التي خسرتها بعد الحرب العالمية الاولى . وتمكن البعيدو النظر من سياسة بريطانيا والولايات المتحدة ، من رؤية حقيقة المخطط الهتلري . وأدركوا ان كل ما ينشده هتلر هو الصلح مؤقتا ، ليعود فيشن الحرب من جديد على بريطانيا والولايات المتحدة .

وفد يكون من الصحيح القول بأن موقف الطبقة العاملة البريطانية هو اندى مال باميزان الى جانب رفض أية صفقة مع ألمانيا . فقد أفرغت مهمة هس الشعب البريطانى ، وعقدت الاجتماعات الكثيرة فى طول البلاد وعرضها احتجاجا على أية مساومة مع الهنلريز . وبحنت القضية فى المؤتمر الذى عقده حزب العمال البريطانى فى الثالث من يونيو من عام ١٩٤١ . ورفض المؤتمر بأغلبية ساحقة أية فكرة للتفاوض على الصلح مع ألمانيا . وأعلن المؤتمر تصميم الشعب البريطانى وطبقته العاملة على مواصلة الحرب الى أن يتحقق النصر الكامل على الفاشية .

ومع ذلك فقد مضى كيركباتريك الى دبلن حيث اجتمع بعدد من عملاء ألمانيا(١) لكن رده على العروض الألمانية مازال سرا حتى يومنا هذا .

وكان الشعب البريطانى على أى حال ، معارضا معارضة شديدة وحازمة لأية مساومات مع ألمانيا الهلرية دما اضطر حكومته الى الاذعان لإرادته . وهكذا فشلت مهمة هس. ومنيت ألمانيا النازية بهزيمة سياسية كبرى . وكان هذا الحادث مقدمة لتطور نهائى فى طريق قيام حلف أعظم للأمم ضد الفاشية .

ولكن هتلر لم يقدر جميع العبر التى عنتها النكسة التى منى بها . فقد راح يقول مزهوا . . « وعندما يتم تنفيذ عملية بربروسة ، سيلتقط العالم أنفاسه ، ويصمت دون أى تعليق (٢) »

وقررت القيادة العليا الألمانية فى الثلاثين من ابريل من عام ١٩٤١ ، أن تبدأ عملية بربروسة فى الثانى والعشرين من يونيو (٣) . وقدم القاده العسكريون فى السادس من يونيو تقاريرهم الى هتلر فى دار المستشارية

(١) وناق الحكومة السوفياتية لعام ١٩٤٥ . ص ٢١٤ .

(٢) برافدا عدد ١٢ ديسمبر ١٩٤٥ .

(٣) محاكمات نورمبرج - المجلد الاول - ص ٣٩٧ .

فى برلين ، بأن الجيش بات على أهبة • وأصبح الغول الفاشى الرهيب على استعداد للهجوم •

- ٢ -

لم يكن فى وسع سياسة البلاد الرأسمالية ، بما فيها ألمانيا أن يقيموا حقيقة القوة السوفياتية ومواردها ، بقيما دقيقا •

ولعل السبب الرئيسى فى هذا العجز يكمن فى النظام الاشتراكى ، الاجتماعى والسياسى • فالنظام الاشتراكى يستند الى الملكية العامة لوسائل الانتاج ، ويحرم أى استغلال من الانسان لأخيه الانسان • وهو يركز الى الملكية الجماعية والعمل الجماعى ، وهما الأساس فى الوحدة الأصلية للشعب وفى نضامنه الكامل • فليست هناك أية عداوات طبقية فى المجتمع السوفياتى ، وذلك لان هذه العداوات تنبع من الملكية الخاصة لوسائل الانتاج •

ويؤدى الطراز الجماعى فى الملكية الى توحيد الشعب وتوثيق عراة ومضاعفة قوته • أما الطراز الرأسمالى فيفسخ الشعب ، ويحول دون قيام الوحدة الحقيقية ، ويدمر القوى الحقيقية فى البلاد ، ومن هنا يكون الطراز الجماعى قد أمن ميزاب ملموسة للنظام الاجتماعى السوفياتى يتفوق بها على النظام الرأسمالى •

ويمثل 'الحائف الوثيق العرى بين العمال والفلاحين الذين يعيش معهم المستغنون السوفيات ويعملون جنبا الى جنب ، مصدرا مهما من مصادر القوة للانحد السوفياتى • فالنظام الاجتماعى السوفياتى نظام شعبى حقا لأنه يستمد قوته من التأيد القوى للجماهير •

وفد صاغ النصر الذى حققته الاشتراكية فى الانحد السوفياتى الوحدة المذهبية والسياسية للبلاد كلها • فهذه الوحدة تنبع من المصالح الاقتصادية والسياسية المشتركة للشعب السوفياتى كله ، الذى يقف صفا واحدا وراء حزبه وحكومته •

والنظام السياسى السوفياتى كالنظام الاجتماعى ، نظام شعبى حقا ، وضعه الشعب الذى يدعمه دعما كاملا • ويؤمن النظام السياسى ، طبقا لارادة الشعب ، لكل بلاد الفرصة فى تنظيم حياتها بمحض ارادتها الحرة ، مع العناية بمظاهرها القومية الخاصة • يمكننا نتضح الديمقراطية

الطبيعية الاصلية فى النظام السياسى السوفياتى . فكل ما تضعه الحكومة السوفياتية نابع من اهتمامها الشديد بخير الشعب ، ومعبر عن مصالحه الاساسية . ويمارس المنتخبون شعبيا من الرجال والنساء السلطة السياسية فى البلاد ، مع اسهام الشعب بأسره فى تطور البلاد السياسى .

ويقوم الاساس الرئيسى فى وحدة القوميات المختلفة فى الدولة السوفياتية وتضامنها ، فى العلاقات الاشتراكية للانتاج فى البلاد . فالقوميات السوفياتية متحدة فى نظرتها المشتركة الى العالم ، وفى صداقاتها الوثيقة ، وفى الثقة المتبادلة والتعاون الاخوى بينها . ولقد أقام النظام السوفياتى الصداقة والأخوة بين جميع القوميات فى الاتحاد السوفياتى ، وأصبح يمثل الحل الجذرى الممكن للمشاكل القومية ، وهو مالا يمكن تحقيقه الا فى ظل النظام الاشتراكى .

ووحدت القوة السوفياتية بين قوميات البلاد وجعلتها تعيش كأسرة اشتراكية واحدة . وأصبحت الصداقات بين هذه القوميات ، قوة حافزة قوية ، تبعث النشاط فى الجماهير الكبيرة من الناس ، بل وفى أمم بأسرها ، محققة تبدلات تاريخية بعيدة النتائج . وكان النظام الاجتماعى والسياسى السوفياتى هو الحافز على تطوير الوطنية السوفياتية فى شكل سام وجديد ، كانت بدورها حافزا قويا فى تطوير المجتمع السوفياتى . وتجدد هذه الوطنية جذورها فى اخلاص الشعب العميق وحبه الشديد لبلاده السوفياتية ، وفى التشارك الاخوى بين جميع القوميات ، وفى استعدادها كلها ، لتقديم أقصى مالدتها من جهد وقوة ، لضمان تقدم البلاد وانتصار الاشتراكية . وهكذا توحد الوطنية السوفياتية جميع المواطنين فى الاتحاد السوفياتى . فهى تمثل تجمعا منسجما للتقاليد القومية لجميع الشعوب فى الاتحاد السوفياتى وللمصالح المشتركة لجميع العاملين فيه . وهكذا لا تنفصم الوطنية السوفياتية عن الدولية الاشتراكية التى تمثل مظهرها أصيلا من مظاهر الشعب السوفياتى .

وكان لا بد للقوى الدافعة فى المجتمع السوفياتى ولهذا النظام السياسى والاجتماعى المتبع فيه أن يؤكدوا وحدة المقدمة والمؤخرة فى حالة تعرض البلاد لاية حرب ، اذ أن هذه الوحدة هى عماد الانتصار على العدو .

وتمكن الشعب السوفياتى بقيادة حزبه من بناء قوة ضخمة ، فقد قاد الحزب الجماهير فى ثورة اكتوبر الاشتراكية العظيمة ، وأمن هزيمة قوى التدخل الاجنبى وأتباعها من الحرس الابيض . وتمكن الاتحاد

السوفيياتي بحزبه وعماله وفلاحيه ومثقفيه من تطوير المجتمع الاشتراكي، ومن تحويل البلاد الى قوة صناعية جبارة ، ومن بناء قوات مسلحة ضخمة وهائلة .

وهكذا كان الشعب السوفيياتي متفوقا تفوقا معنويا هائلا على أعدائه . وكان لينين قد تحدث عن هذا التفوق المعنوي فقال : « يعتمد النصر أولا وأخيرا في كل حرب على روح الجماهير التي تسفك دماؤها في ميادين القتال . ولا شك في أن الايمان بعدالة الحرب التي تخوضها ، واحساسك بضرورة التضحية بحياتك من أجل خير اخوانك ، يرفع من روح الجنود وتشجعهم على احتمال مشاق لا تحتمل . ولقد اعترف جنرالات الجيش القيصرى بأن جيشنا الاحمر تحمل من المشاق ما كان يعجز الجيش في ظل النظام القيصرى عن تحمله . ولا شك في ان ايضاح هذه الحقيقة يتمثل في الحقيقة الواقعة ، وهي أن كل عامل وفلاح ، يدخلان الجيش ، يعرفان مايقاتلان من أجله ، ويضحيان بدمهما عن وعى لضمان النصر للعدل والاشتراكية» (١) .

وكان الاتحاد السوفيياتي قد أحس بالخطر الذي يهدده من التطويق للأسمالى ، فراح يستعد في الفترة التي سبقت الحرب لصد أى عدوان وكان لابد من تطوير الصناعة الثقيلة الى أقصى حدود التطوير لتعزيز موارد البلاد الدفاعية والاقتصادية وتحسينها . وكان الحزب ينفذ توجيهات لينين الذي كان قد قال : ان من المتعذر الحفاظ على الاستقلال، اذا ظل النظام السوفيياتي بلا صناعة ثقيلة . وكان التصنيع الاشتراكي للبلاد قد أكد بوجه خاص على الصناعة الثقيلة ، التي تمثل العمود الفقرى لتقوية الجيش من الناحية التقنية ، ولتنظيم الصناعة والنقل والزراعة، عامة .

واندفع الحزب في طريق التصنيع الاشتراكي ، وجماعية الزراعة، والثورة الثقافية منفذا الخطة الخمسية التي سبقت نشوب الحرب . وتمكن الشعب السوفيياتي في غضون ثلاثة عشر عاما من تنمية الاساس التقنى والاقتصادى اللازم لتحقيق الحد الاقصى من تعزيز طاقات البلاد الدفاعية .

وتم بناء مراكز صناعية كبيرة تضم الفحم والحديد في الاورال وفي

(١) مؤلفات لينين - المجلد ٣١ . ص ١١٥

منطقة كوزنيتسك ، واقامة مركز للفحم فى بلاد القرغيز ، وحقول للزيت فى حوض الفولجا وفى بشكيريا ، ومصانع معدنية غير حديدية فى قزاخستان . وكانت الصناعات الرئيسية السوفياتية المهمة تنتج فى عام ١٩٤٠ اتنى عشر ضعف ما كانت تنتجه المصانع قبل الثورة ، وكانت الصناعات الهندسية السوفياتية تنتج خمسين ضعف ما كانت تنتجه فى عام ١٩١٣ (١) .

ويظهر الجدول اللاحق موارد الاتحاد السوفياتى عند نشوب الحرب

الانتاج الصناعى فى الاتحاد السوفياتى (٢) (بملايين الأطنان)

| ١٩٤٠ | ١٩١٣ | |
|------|------|--------|
| ١٤٩ | ٤٢ | الحديد |
| ١٨٣ | ٤٢ | الصلب |
| ١٦٥٩ | ٢٩١ | الفحم |
| ٣١١ | ٩٢ | الزيت |

وكانت طاقات الاتحاد السوفياتى الاقتصادية التى تمثل الحجر الاساسى للدفاع عن البلاد ، على أى حال ، أقل بكثير من طاقات ألمانيا الهتلرية ، التى كان فى وسعها أن تعتمد على موارد البلاد التى احتلتها ونذا خيل لأعداء الاتحاد السوفياتى أن الميزان فى الصراع الاقتصادى الحربى سينحول الى مصلحة ألمانيا . ولكنهم بنوا استنتاجهم هذا على العوامل المادية والتفنية ، وتجاهلوا العوامل المعنوية ، وروح الشعب اقوية الذى بخلق عمله الموارد الاقتصادية .

وكانت الحكومة السوفياتية شديدة العناية بتطوير القوات العسكرية المسلحة . ولم يكن فى وسعها أن تنسى التطويق الرأسمالى للبلاد ، وما تتعرض له من خطر الهجوم الامبريالى . وهكذا ظلت القوات المسلحة السوفياتية سائرة فى طريق التحسن والتقوية بصورة مستمرة .

وكان أفراد هذه القوات يتمتعون بمعنويات ممتازة ، ويتميزون

(١) الاقتصاد القومى للاتحاد السوفياتى - الاحصاءات الرسميه - موسكو

١٩٥٧ . ص ٤٥ .

١٢ نفس المصدر ص ٥٥ .

بارادة لاتنتنى على تحقيق النصر وعلى مواجهة متاعب الحرب ، مع الاخلاص
المتناهى للشعب ، ولمثل الاشتراكية السامية .

وكانت المصانع قد أنتجت قبيل الحرب أنواعا ممتازة من الاسلحة.
ولا سيما من الدبابات والمدافع والطائرات . ولم تكن هذه الاسلحة بأى
حال من الاحوال أقل جودة من الاسلحة الالمانية ، بل كانت نفوقها من
نواح عدة . ولكن الاتحاد السوفياتى ، لم يكن عندما نشبت الحرب قد
أنتج بعد مقادير كافية منها لتسليح الجيش كله .

وكان الاتحاد السوفياتى يحظى بتأييد الطبقة العاملة فى الخارج ،
وكانت هذه الحفيفة تمثل عاملا فى منتهى الاهمية . وقد حققت الدولة
السوفياتية الكثير من القوة عن طريق هذا التأييد منذ قيامها ، وسهل لها
ما حققت من انتصارات على أعدائها . وكانت السياسة المحبة للسلام التى
اتبعتها الاتحاد السوفياتى قبل الحرب ، والجهد المضني الذى بذلها
لتحقيق السلام والامن الدوليين والعمل المشترك ضد العدوان الفاشى ،
قد عزز ثقة الشعب العامل فى كل مكان بالاتحاد السوفياتى .

وكان للسمعة الخلقية الرفيعة التى تمتعت بها السياسة الخارجية
السوفياتية ، أثر موات على الصعيد الدولى فى الصراع ضد العدو . ولقد
اعترف تشرشل نفسه « بأن الانحداد السوفياتى لم ينقض قط معاهدة
ارتبط بها ، أو النزما قبل به » (١)

وكانت السياسة الخارجية السوفياتية فى الفترة التى سبقت
الهجوم الالمانى قد تركزت على حماية البلاد من أى هجوم قد يقع عليها من
حلفاء هتلر المحتملين من أمثال تركيا واليابان .

وتبودلت المذكرات فى شهر مارس من عام ١٩٤١ ، بين الاتحاد
السوفياتى وتركيا ، وردت تركيا على البيان السوفياتى بأن فى وسع
تركيا فى حالة تعرضها لأى هجوم أن تعتمد على تفهم الاتحاد السوفياتى
الكامل وحياده المطلق ، وذكرت فى البيان الذى أصدرته « ان فى وسع
الاتحاد السوفياتى اذا وجد نفسه فى عين الوضع أن يعتمد على تفهم تركيا
الكامل وحيادها المطلق (٢) »

وكان هذا البيان كسبا للاتحاد السوفياتى ، وان كانت تركيا قد

(١) كتاب «رسائل تشرشل السرية» المجلد الاول ص ٩٠ .

(٢) وثائق الحكومة السوفياتية . المجلد الرابع . ص ٥٤٧ .

خرقت أثناء الحرب ، وبصورة منظمة ، التزاماتها بأن تظل على الحياد .
وطالت المفاوضات التي دارت بين الاتحاد السوفياتى واليابان لعقد
معاهدة حياد متبادل ، واستغرقت أكثر من بضعة أشهر . فقد كانت
العناصر المتطرفة والشرسة فى الحكومة اليابانية وفى القيادة العسكرية،
نظرا لارتباطاتها الوثيقة مع ألمانيا الهتلرية تقاوم الفكرة مقاومة شديدة .
وكان هناك أيضا ، الضغط الأمريكى ، وذلك لان مجموعات الاحتكارات
الامريكية كانت راغبة فى تردى العلاقات بين اليابان والاتحاد السوفياتى .
ولقد أعلن الشيخ فاندنبرج على سبيل المثال ، « أن على أمريكا أن تفرض
الحصار البحرى على اليابان فورا ، اذا وقعت هذه معاهدة عدم اعتداء مع
الاتحاد السوفياتى » (١) .

ووافقت اليابان على توقيع المعاهدة بعد الرحلة التي قام بها ماتسوكا
الى برلين فى شهر مارس من عام ١٩٤١ . وقد أرادت من هذه المعاهدة أن
تكون الوسيلة لمقاومة ضغط هتلر ، الذى كان يحث اليابان على مهاجمة
الاتحاد السوفياتى لان ألمانيا لا تستطيع أن تكون المبادرة الى الهجوم
بسبب وجود ميثاق عدم الاعتداء الالماني - السوفياتى . وكان النازيون
قد وقعوا على هذه المعاهدة دون علم اليابان أو مشاورتها ، وهما هى .
اليابان تريد الآن أن تسدد دين ألمانيا عليها بنفس العملة ، ولم تعمل على
نيل موافقتها على المعاهدة الجديدة المقترحة . وكانت الحكومة اليابانية
ترى أن هذه المعاهدة « ستعطى » لها الفرصة لاختيار أصلح وقت لمهاجمة
الاتحاد السوفياتى ، وكانت تتوقع أن تحمل المعاهدة ، الحكومة
السوفياتية على تخفيض قواتها المسلحة فى الشرق الاقصى ، وبذلك تزيد
من امكانات قيام اليابان بهجوم مسلح على المنطقة .

أما الاتحاد السوفياتى ، فكان على التقيض من ذلك جد مخلص فى
تحقيق السلام فى الشرق الاقصى . وكان القصد من المعاهدة عنده أن
تحول دون تعرضه لهجوم فى وقت واحد من ألمانيا واليابان . وكانت
التطورات التالية ستعتمد على سير الاحداث من ناحية وعلى قدرة الاتحاد
السوفياتى على مقاومة ألمانيا الهتلرية من الناحية الاخرى . ولكن الاتحاد
السوفياتى لم يخدع فى أية لحظة من اللحظات ، ولم تنطل عليه النوايا
الشريرة التي يبيتها حكام اليابان .

(١) مجلة «امراسيا» عدد ديسمبر ١٩٤٠ . ص ٤٤٨ .

وتم التوقيع على المعاهدة السوفياتية اليابانية في الثالث عشر من
ابريل من عام ١٩٤١ ، وقد تضمنت بعض نصوصها ...

« المادة الاولى : يتعهد الفريقان المتعاقدان بالحفاظ على العلاقات
الودية والصديقة ، كما يتعهد الواحد منهما باحترام سلامة أراضي الفريق
الآخر وعدم الاعتداء عليها » .

« المادة الثانية : واذا تعرض أى من الفريقين المتعاقدين لأى عمل
عسكرى من جانب فريق ثالث ، سواء أكان دولة أو أكثر ، فان الفريق
الثانى سيقف موقف الحياد طيلة الصراع المذكور (١) » .

وحددت المادة الثالثة مدة المعاهدة بخمس سنوات من تاريخ ابرامها .
وألحقت المعاهدة باعلان تعهد الاتحاد السوفياتى بموجبه باحترام السلامة
الاقليمية لمنشوريا وحدودها ، كما تعهدت اليابان تعهدا مماثلا بالنسبة الى
جمهورية مغوليا الشعبية . وتم تبادل الرسائل أيضا بين الدولتين ،
وتعهدت اليابان بانهاء الامتيازات الممنوحة لها فى شمال سخالين فى
غضون ستة شهور .

ومنلت المعاهدة السوفياتية - اليابانية قبلة نزلت بساحة ألمانيا .
وأمر وينبتروب سفير ألمانيا فى طوكيو ، بأن يطلب ايضاح ايضاحا من
الحكومة اليابانية . وأثار وزير خارجية ألمانيا موضوع التصريح الذى كان
قد صدر عن ماتسوكا فى برلين والذى ذكر فيه أن « ليس فى امكان أى
رئيس وزراء أو وزير خارجية لليابان أن يحمل اليابان على اتخاذ موقف
الحياد فى حالة نشوب صراع بين ألمانيا والاتحاد السوفياتى ، وأن اليابان ستجد
نفسها بصورة طبيعية مرغمة فى مثل هذه الحالة على مهاجمة روسيا الى
جانب ألمانيا ، وأن ليس فى امكان أى معاهدة حياد أن تحول دون
ذلك (٢) » . وردت الحكومة اليابانية فطمأنت ألمانيا بأنها لن تتراجع عن
أية التزامات سبق لها أن تعهدت بها للدول الاعضاء فى الكتلة الفاشية .

وكانت الحكومة السوفياتية قد أصبحت على علم بالاجراءات
العسكرية التى اتخذتها ألمانيا ، وكانت تعرف ما وقع من توزيع للقوات
الالمانية فى بولندة ورومانيا وفنلندة ، وأخذت طائرات التجسس الالمانية
تنتهك حدود الاتحاد السوفياتى ، بصورة متزايدة ، وأبلغت الحكومة

(١) وثائق الحكومة السوفياتية - المجلد الرابع - ص ٥٥٠ .

(٢) براغدا عدد ٢٠ فبراير ١٩٤٨ .

الامريكية الاتحاد السوفياتي في شهر يناير من عام ١٩٤١ ، أن نمة هجوما محتملا من جانب ألمانيا عليه ، وتلقى الاتحاد السوفياتي تحذيرا مماثلا من الحكومة البريطانية في التاسع عشر من ابريل من عام ١٩٤١ . ولكن ستالين أساء فهم هذه الحقائق كلها ، وما شابها من حقائق ، واعتبر أن الانباء التي تصله عن نوايا ألمانيا العدوانية على الاتحاد السوفياتي تهدف الى الاستفزاز ، وتتوخى تعقيد العلاقات بين الدولتين ، ودفعهما الى الاشتباك في صراع مسلح .

وقرر ستالين أن ليس ثمة حاجة لاصدار الامر الى الجيش ولا سيما الى وحداته في الغرب بأن تتأهب للقتال . ولم يتضح الاوضاع الاستراتيجية للماريشال تيموشنكو ، وزير الدفاع السوفياتي في تلك الأيام ولا للماريشال جوكوف رئيس هيئة أركان الحرب ، ولذا فلم يستخدما صلاحيتهما في القيام بإجراءات عاجلة وواضحة لتعبئة القوات السوفياتية المسلحة ووضعها على قدم التأهب والاستعداد .

وما كان لحكم ستالين الخاطيء أن يترك تلك الآثار السيئة التي تركها لو أن مبدأ لينين في القيادة الجماعية كان مطبقا في تلك الأيام . ولكن ستالين كان قد خرج على مبادئ لينين في الادارة وفي معايير الحياة الحزبية . وكان ينصرف وحيدا بمختلف قضايا الحكم الهامة ، وفي زعامة الحزب والنوجيه العسكري ، ولم يكن ليأبه بآراء الأعضاء الآخرين في لجنة الحزب المركزية أو من الساسة والقادة العسكريين .

وعندما وقع الهجوم الألماني ، لم تكن الحدود السوفياتية الجديدة محصنة تحصينا منيعا . ومستعدة للدفاع . ولم تكن قد اكتملت بعد عملية إعادة تنظيم الجيش السوفياتي ، ووضعها على أسس عصرية وتقنية كاملة . وكانت الأسلحة الجديدة قد بدأت في الطلوع من المصانع ، ولم يكن الجنود والضباط قد دربوا بعد على استعمالها . وكانت القوات السوفياتية قد فقدت في العمليات التطهيرية التي لا مبرر لها والتي وقعت في عامي ١٩٣٧ و ١٩٣٨ عددا من خيرة قادتها العسكريين . ولم يكن السبان الذين تولوا القيادات قد مروا بتجارب كافية أو توافرت لهم المعرفة العسكرية اللازمة . وكان عدد من القادة الذين تمت ترقيتهم قبيل الحرب بوقت قصير ، لم يصبحوا بعد مؤهلين لقيادة القوات في الأجواء المعقدة التي تفرضها الحروب العصرية .

وكانت هناك أخطاء كبيرة أخرى في عمليات توجيه أفراد القوات

المسلحة قبل الحرب . وكانت الثقة الخطرة بالنصر السهل قد انتشرت بينهم . ولم تقم القيادة بأى اجراء لمكافحة هذه المغالاة فى الثقة والطمأنينة وفى التقليل من أخطار الحرب ، ونظرة الزرارية الى قوة العدو . ولم تكن هناك أية دراسات صحيحة لتجارب الحرب . ولتأثير الدعاية الفاشية على جنود الجيوش المعادية . ولم تكن الصناعات الحربية قد كيفت بعد بصورة كافية لتضمن الانتاج الضخم من الأسلحة الحديثة وبأقصى السرعة .

وكان الاتحاد السوفياتى يؤكد سياسة التعايش السلمى ، ولا يرغب فى مهاجمة أحد . ولذا فلم تكن قواته قد عبثت ووزعت مسبقا استعدادا للحرب . وعندما برزت الحاجة الى اتخاذ اجراءات الطوارئ لمواجهة الهجوم الالماني المحتمل ، كان تقييم ستالين الخاطيء للوضع السياسى والعسكرى سببا فى اعاقا الاستعداد اللازم عند الجيش والشعب لمقاومة العدوان الالماني الفاشى .

ولكن بالرغم من جميع هذه الاخطاء ، فان سياسة الحزب فى الفترة التى سبقت الحرب كانت قد هيات الجو على الصعيدين الدولى والداخلى لتحقيق النصر النهائى على المانيا الفاشية واليابان الامبريالية .

وقد تم الاعداد للنصر السوفياتى عن طريق « النشاطات » الخلاقة للحزب والشعب ، كما تحقق النصر عن طريق قيادة الحزب الحكيمة وتصميمه وعن طريق وحدة الشعب . وكان هذا النصر نصرا لسياسة لينين ، التى هدفت الى بناء الاشتراكية فى الاتحاد السوفياتى وتدعيم استقلال البلاد وطاقاتها الدفاعية ، وتطوير قوات الشعب الخلاقة .

وخلق انتصار الاشتراكية فى الاتحاد السوفياتى ، الموارد الاقتصادية والخلقية والعسكرية التى ضمننت التفوق النهائى للقوات المسلحة السوفياتية على قوى الدول الفاشية .



الهجوم النازي

هاجمت ألمانيا الفاشية في الساعة الثالثة والنصف من صباح الثاني والعشرين من يونيو - ودون أى إعلان للحرب . أو أى تقديم لاية مطالب - الاتحاد السوفياتى على طول حدوده الممتدة من البحر الأسود الى بحر البلطيق . وأعلنت الحكومة الألمانية رغبة منها فى تضليل الرأى العام أن هجومها كان وقائيا إذ أن البلشفية السوفياتية « كانت تمثل خطرا عسكريا يهدد أوروبا » . لكن ما قاله هتلر فى ذلك اليوم بالذات حسر النقاب عن حقيقة أهدافه فقد أعلن فى البيان الذى وجهه الى ألمانيا : « قررت أن أكل من جديد الى جنودنا مصرير الرايخ الالماني ومصرير شعبنا » (١) .

وما زالت أسطورة الحرب «الوقائية» التى ابتكرها الامبرياليون الالمان لتضليل الرأى العام حية حتى اليوم عند من تبقى من النازيين وعند الفئات الرجعية فى إنجلترا وأمريكا (٢) . ومع ذلك فقد اعترف فريتشه كبير الدعاة الفاشيين فى محاكمات نورمبرج ، بأن ألمانيا لم تكن محقة على الاطلاق فى اتهام الاتحاد السوفياتى باعداد العدة لمهاجمتها (٣)

(١) حريخوار جافينكو « مقدمة الى الحملة الروسية » - فريدريك مولر - لندن ١٩٤٥ . ص ٢١١ .

(٢) راجع كتاب تشارلز بيرد عن « سياسة أمريكا الخارجية فى مجال الخلق ١٩٣٢ - ١٩٤٠ » نيوهافن - ١٩٤٦ .

(٣) محاكمات نورمبرج - المجلد الثانى - ص ٤٥٤ .

وكتب الاستاذ جيرهارد ريتز المؤرخ الالماني الغربى فى صحيفة «شتوتجارت زايتونج» وفى عددها الصادر فى ٢٢ يونيو ١٩٥١ يقول : «لقد حان الوقت للتخلّى عن الاسطورة النازية القائلة بأن الحرب ضد روسيا كانت وقائية وانها تمثل حركة دفاعية ضد هجوم روسى متوقع ... فلم تكن تلك الحرب دفاعا عن أوروبا وانما كانت بقصد اغتصاب السيطرة على القارة كلها » .

وكان الهجوم غادرا وخثونا . فقد نقضت ألمانيا معاهدة عدم الاعتداء التى كانت قد وقعتها مع الاتحاد السوفياتى فى الثالث والعشرين من أغسطس عام ١٩٣٩ ، والتى كانت سارية المفعول لمدة عشر سنوات . ولم يكن الهجوم الذى قام به حلفاء ألمانيا بالاشتراك معها ، كإيطاليا ورومانيا والمجر وفنلنده وسلوفاكيا أقل غدرا وخيانة . فقد سبق لإيطاليا أن وقعت معاهدة صداقة وميثاق حياء وعدم اعتداء مع الاتحاد السوفياتى فى عام ١٩٣٨ ، وكانت فنلنده قد تعهدت بعدم مهاجمة الاتحاد السوفياتى فى معاهدة الصلح التى وقعتها معه فى عام ١٩٤٠ .

وبالرغم من أن اسبانيا والبرتغال وتركيا والسويد واليابان قد أعلنت حيادها ، الا أنها فى الواقع ساعدت ألمانيا بمختلف السبل والوسائل فقد أوفدت أسبانية فرانتكوفرقتها الزرقاء للاشتراك فى الحرب ضد الاتحاد السوفياتى ، كما زودت البرتغال ألمانيا بالاعذية ومادة التونجستين . وارتفعت نسبة الصادرات البرتغالية الى ألمانيا فى عام ١٩٤٣ الى ٧٥٠ فى المائة عما كانت عليه فى عام ١٩٣٩ . وحشدت اليابان قواتها على طول الحدود السوفياتية الشرقية ، مما أجبر الاتحاد السوفياتى على الاحتفاظ بأربعين فرقة فى الشرق لمواجهةها .

وتنكرت تركيا لميثاق مونترو الذى عقد فى عام ١٩٣٦ ، والذى يقضى بمنع السفن الحربية للدول المتحاربة من دخول البحر الاسود ، وسمحت للسفن الالمانية والايطالية بعبور المضائق . وحشدت الحكومة التركية قواتها على الحدود التركية - السوفياتية ، كما زودت ألمانيا بالمواد الحربية الاستراتيجية والمنتجات الفذائية . وأبرمت تركيا فى الرابع والعشرين من يونيو عام ١٩٤١ ، معاهدة الصداقة وعدم الاعتداء التى كانت قد وقعتها مع ألمانيا ، والتى عنت فى جوهرها ، ميثاق تحالف . ومثلت هذه المعاهدة دورا مهما للخطة العسكرية الالمانية ضد الاتحاد السوفياتى ، إذ امنت التغطية اللازمة للجناح الالمانى الايمن وكان سلوك تركيا مناقضا لالتزاماتها المنصوص عليها فى المعاهدة التركية - السوفياتية لعام ١٩٢٥ .

وقامت السويد بتزويد ألمانيا بخامات الحديد والمعادن الأخرى ،
وسمحت للقوات الألمانية بعبور أراضيها ، وأقامت لهم المستشفيات في
بلادها ، كما انضم «المتطوعون» السويديون إلى القوات المحاربة للاتحاد
السوفياتي .

وبالرغم من أن الحكومة البلغارية كانت حليفة لألمانيا الفاشية
إلا أنها لم تجرؤ على إرسال الجنود البلغار إلى الجبهة الألمانية -
السوفياتية ، وذلك بسبب معارضة الجيش والشعب لمثل هذا الاتجاه
وكان الشيوعيون البلغار قد نقلوا إلى الجيش والشعب صورة واضحة
عن الأهداف الإجرامية للخطط المتهورة التي تبناها الفاشيون البلغار ،
ومع ذلك فقد سمحت الحكومة البلغارية لألمانيا باستغلال موارد البلاد
واستخدام موانئها الواقعة على البحر الأسود ، فقدمت بذلك مساعدة
كبيرة إلى الألمان .

وكانت ألمانيا قد أبلغت الفاتيكان مسبقا بعزمها على مهاجمة
الاتحاد السوفياتي ، فأمر هذا رجال الدين في جميع البلاد بشن حملة
ضد السوفيات ودعوة الناس إلى تقديم المساعدة الفعلية للنازيين .
وعقد الفاتيكان مع ألمانيا الهتلرية اتفاقا ، يقضى بالسماح لممثلي الفاتيكان
بدخول الاتحاد السوفياتي في أعقاب الجيش الألماني ، لنشر المذهب
الكاثوليكي ، ومساعدة الفزاة النازيين على استعباد الشعوب السوفياتية
والقيام بعمليات التجسس والتخريب لحساب الألمان (١) .

وبالرغم من التناقضات الإمبريالية الحادة التي أدت إلى الحرب
بين المعسكرين الرأسماليين ، فقد قام الاحتكاريون الأمريكيون مدفعين
بلهفتهم على تحقيق المكاسب وكرههم للاتحاد السوفياتي ، بتزويد
ألمانيا بالتموينات عن طريق حكومة فيشي (٢) وعن طريق أسبانيا والبرتغال
وسويسرة . وكانت المصانع الألمانية التي يملكها الأمريكيون تنتج الأسلحة
والدبابات والطائرات والسيارات والعتاد للجيش الألمانية . وظلت
الاتفاقات الاحتكارية الأمريكية - الألمانية ، سارية المفعول طيلة الحرب .
وكان الاحتكاريون الأمريكيون والألمان يجتمعون في سويسرا بين الفينة
والفينة في مصرف التسويات الدولية لاقتسام الأرباح (١) .

(١) كتاب «الكنيسة الكاثوليكية ضد القرن العشرين» تأليف أفرو مانهاتن .

لندن ١٩٤٧ .

(٢) بندار كيتيت في كتاب «المعضلة الفرنسية - الأمريكية - مغامرة دبلوماسية»

باريس - سيلف ١٩٤٨ .

(٣) «عبر التاريخ الألماني» لالبرت نوردن - برلين ١٩٤٧ - ص ١٩٣ .

وبعثت حكومة بيتان التي احتفظت بعلاقاتها مع ألمانيا والولايات المتحدة الى الجبهة السوفياتية - الألمانية بتشكيلة عسكرية من المجرمين وقطاع الطرق ، بعد ان البستهم الملابس العسكرية الألمانية الفاشية ، وأطلقت عليهم اسم « لواء المتطوعين الفرنسيين » . وأبلغ بيتان ، في السابع والعشرين من يونيو من عام ١٩٤١ ، الاميرال ويليام دانييل ليهي ، سفير أمريكا في ليشي ، ان الالمان سيحتلون مناطق الحدود في روسيا ، ليخلقوا فيها دويلات عازلة مستقلة صغيرة . وأضاف ان مثل هذا العمل سيؤدي في النهاية الى انهيار الحكم القائم ، والقضاء على خطر الشيوعية (١) . وأقره الاميرال ليهي على رأيه . وليس من الغريب أن يتشابه تفكير بيتان وليهي في هذا الموضع ، فقد سبق للدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة أن وضعت المخططات لتجزئة الاتحاد السوفياتي واستعباد شعوبه ، منذ اللحظة التي وجدت فيها الدولة السوفياتية .

وكانت الرجعية العالمية الامبريالية التي مثل فاشيو ألمانيا وإيطاليا واليابان قوتها الضاربة الرئيسية تواقفة الى ازالة الاشتراكية من الوجود عن طريق حرب تشن على الاتحاد السوفياتي .

أما الامبرياليون الالمان فكانوا يرون في الحرب التي شنوها على الاتحاد السوفياتي مفتاحا يوصلهم الى هدفهم في السيطرة على العالم ، وكانوا يكرهون الاتحاد السوفياتي لانهم يعتبرونه العقبة الرئيسية في طريق تحقيق هدفهم .

وكانت الحرب الألمانية ضد الاتحاد السوفياتي رجعية وامبريالية وعدوانية وظالمة . وقد أكسبتها أهدافها ، هذه الطبيعة . فقد استهدفت ألمانيا الهتلرية تحطيم النظام الاجتماعي والسياسي السوفياتي ، والاستيلاء على الارض وثروة البلاد ، واعادة حكم الاقطاعيين والراسماليين والفناء الدولة السوفياتية ، وازالة الثقافة السوفياتية .

وخلق الهجوم الهتلري الفادر وضعا غريبا للغاية . وكان على الاتحاد السوفياتي يصطرع مع عدو متوحش وماكر يملك طاقات حربية واسعة .

وتمكن الهجوم الالمانى من اخذ الجيش السوفياتي على غرة ، بسبب الخطأ في تقدير ستالين للوضع السياسي والعسكري في صيف عام ١٩٤١

(١) دبلو لانجر «اللعبة الامريكية في فيشي» - باريس - بلون ١٩٤٨ - ص ١٧٢ .

ولما كان العدو قد ضمن التفوق الهائل في العدة والعدد على الجيش السوفياتي في عدد من النقاط المهمة فإنه تمكن من الاندفاع بقوة على القوات السوفياتية على طول الحدود . ولم تتمكن قوات الحدود السوفياتية في بعض النقاط حتى من العمل على ابطاء زحف العدو ، فكيف يوقفه . وقد حال هذا دون التمكن من اتمام عمليات التعبئة العامة في مناطق الحدود ، وانزل شيئا من الفوضى بحركات الجنود الذين دفعوا بسرعة من مناطق المؤخرة الى مناطق الحدود . ومنيت قوات الحدود بخسائر فادحة وثقيلة في الرجال والمعدات . وادى هذا الى رجحان كفة العدو بدرجة كبيرة . واصيبت القوة الجوية السوفياتية بضربة قاصمة وقاسية ايضا . فقد شرع السلاح الجوي الالماني في غاراته على المطارات وكانت ندرة الطائرات السوفياتية الجديدة سببا في تفوق النازيين الجوي .

وهكذا ضمن العدو لنفسه زمام المبادرة الاستراتيجية ، على طول الجبهة ، وتمكن من التوغل عميقا في الارض السوفياتية . وتمكنت المجموعات الهجومية النازية التي تضم فرق الصاعقة المدرعة والفرق الآلية من تحطيم المقاومة السوفياتية عند الحدود والتوغل بسرعة في الاراض السوفياتية باتجاه الشرق .

ومنيت القوات السوفياتية بخسائر فادحة وارغمت على التراجع . وقامت وحدات العدو المتحركة بتعزيز من السلاح الجوي المتفوق ، بالالتفاف حول أجنحة التشكيلات السوفياتية والتوغل بعيدا في المؤخرة وكان الجيش السوفياتي نتيجة العجز عن الافلات من الاشتباك مع العدو السريع التقدم ، يضطر كثيرا الى القتال في ظروف غير مواتية للغاية ، والوقوع في مصيدة العدو وتطويقاته . وتمكن الالماني في العشرين يوما الاولى من القتال ، من التوغل مسافات تتردد بين «الاربعمائة والسثمائة» كيلومتر ، في جميع الاتجاهات الحربية الرئيسية . وكان معدل التقدم اليومي يتردد بين الثلاثين والاربعين كيلومتراً ، ويصل في بعض الايام الى مابين « الخمسين والستين » كيلو متراً . واحتل النازيون مدينة مينسك في التاسع من يوليو . وقاومت القوات السوفياتية بعناد واصرار . بالرغم من الاوضاع القاسية التي كان افرادها «يعانون منها» . وكانوا يوالون الهجمات المضادة ويوجهون ضربات مقابلة عنيفة ، ومنى العدو بخسائر ثقيلة في الرجال والمعدات . واذا شئنا التلخيص في الحديث قلنا : ان الجيش الروسي أرغم على أن يخوض معركة دفاعية عنيفة . في الوقت الذي كان يتقهقر فيه الى الوراء بعيدا داخل البلاد .

وانتشرت القيادة الالمانية طربا وفرحا . وراح الجنرال هولدر رئيس هيئة اركان حرت القوات البرية يتبجح زاهيا بقوله : « قد لا يكون من المبالغة القول بأن تحقيق النصر في الحملة على روسيا قد تم في غضون اسبوعين » (١) .

واعتقد ضباط الاركان الالمان انه لم يعد في وسع القيادة السوفياتية أن تقيم خطا دفاعيا مستمرا ، ولا حتى في القطاعات البالغة الاعمية . وقرأ هتلر التقارير التي كانت تصل اليه من الجبهة السوفياتية الالمانية فتوقع أن تسقط المراكز السوفياتية الحيوية في يديه في غضون بضعة أيام . وأصدر الامر في الثامن من يوليو من عام ١٩٤١ . بذلك موسكو وليننجراد كاملا . « لاننا لانريد أن نطعم سكانهما أثناء الشتاء » (٢) وأصدر كايتل أمرا توجيهيا مماثلا قال فيه : « من حق الجنود بل من واجبهم أن يستخدموا في هذا الصراع أبة وسائل لامحدودة ، حتى ضد النساء والأطفال . . . ولا يمكن اعتبار أى المانى مشترك في القتال ، مسئولا عن أى عمل من أعمال العنف لا من الناحية الانضباطية ولا من الناحية القضائية » (٣) ولاشك في أن العنف كان طابع كل خطوة خطاها الالمان في تقدمهم داخل الارض السوفياتية .

ولكن هتلر لم يكن وحيدا في تفكيره ، بأن الحرب ضد الاتحاد السوفياتي ستنتهى في غضون أسابيع ، اذ شاركه في هذا الرأى الكثيرون من الزعماء السياسيين في البلاد البورجوازية الأخرى . وكان ونستون تشرشل ، أول هؤلاء ، اذ لم يخف هذه الحقيقة بل ذكرها في مذكراته . ولكنه نسب الرأى الى مستشاريه العسكريين فقد قال : « وكان الرأى السائد لدى معظم المسئولين العسكريين أن الجيش الروسى سيهزم عاجلا ، ويحطم الى حد كبير » (٤) . لكن هذه النسبة ليست بالشئ المهم ، اذ أن تشرشل تحدث في التعليمات التي وجهها الى مساعديه فى يومى ٦ يوليو و ١٩ منه عن احتمال « الانهيار الروسى » (٥) .

ويقول جاكوبسون الألمانى الغربى الذى أرخ الحرب ، أن هتلر

(١) برافدا - عدد ٧ ديسمبر ١٩٥٦ .

(٢) نفس العدد .

(٣) « عمليات تخريب السواسيكا » للورد راسل اوف ليفربول ، لندن ١٩٥٤

ص ١٣٠ .

(٤) مذكرات تشرشل - نفس المصدر - الجزء الثالث ص ٣٥٠ .

(٥) نفس المصدر ص ٣٥٥ .

كان على ثقة مطلقة من أن في استطاعته أن يهزم الاتحاد السوفياتى في حرب صاعقة . ولم يكن الوحيد الذى ظن هذا الظن أيضا ، اذ شاركه فيه عدد من كبار القادة العسكريين لا فى المانيا وحدها بل وفي الولايات المتحدة وبريطانيا أيضا . وكان وزير الحربية الأمريكية ورئيس أركان الحرب يتوقعان أن تنتهى الحملة فى مدة أدناها شهر واحد وأقصاها ثلاثة شهور « (١) . وكان هذا الاعتقاد ناشئا عن الانتصارات المذهلة التى حققتها القوات الألمانية قبل صيف عام ١٩٤١ ، والتى تابعها العالم بقلق وحيرة من ناحية ، وعن المغالاة فى التضليل من قدرة الجيش السوفياتى على المقاومة من الناحية الأخرى (٢) .

ولاشك فى أن الخبراء العسكريين الأمريكان والبريطانيين ، كاخوانهم من الخبراء العسكريين الألمان ، كانوا يحملون صورة مشوهة عن حقيقة قوة الاتحاد السوفياتى .

ولكن اليابانيين كانوا أحسن معرفة من الآخرين ، فقد سبق لهم أن ذاقوا وطأة السلاح السوفياتى فى حاسان وهولحين - جول . ويقول المؤرخون البريطانيون الثلاثة ، جونز وبورنون وبيرن : ان « اليابانيين كانوا قد حاربوا الروس فى شانجو فينج ونومونهان . وكانوا قد منوا فى الأخيرة بهزيمة قاسية . وقد دفعهم هذا الى الاحساس بكثير من التهيب والاجلال للقوات المسلحة السوفياتية ، ولذا فقد آثروا الانتظار والترقب ، بدلا من أن يغرقوا فى الحرب الى جانب الألمان » (١) . ومع هذا ، راحت الحكومة اليابانية ، تقوم باعدادات ضخمة وجادة لشن الحرب على الاتحاد السوفياتى .

وكانت المباغطة فى الهجوم قد مكنت ألمانيا من الامساك بزمام المبادرة ، وتحقيق مكاسب حربية رئيسية فى الشطر الأول من الحرب . وكانت العمليات الحربية قد بدأت بالفعل فى الجبهة الشرقية ، عندما أبلغ فريديش شولنبرج ، السفير الالمانى فى موسكو ، بعد نحو من

(١) روبرت شيروود فى كتابه « روزفلت وهوبكنز - تاريخ دقيق » - نيويورك ١٩٤٨ - هاربر واخوانه . ص ٣٠٣ - ٣٠٤ .

(٢) اش . اى جاكوبسون فى كتابه « الحرب العالمية الثانية تاريخا ووثائق - دارمشتادت ١٩٥٩ ، ص ٤٧١ - ٤٧٢ .

(٣) اف . جى . جوفز هيوبورتون وبى . آى . بيرن فى كتابه « عرض للشئون الدولية - ١٩٣٩ - ١٩٤٦ - الشرق الاقصى ١٩٤٢ - ١٩٤٦ » - لندن مطبعة جامعة اكسفورد ١٩٥٥ . ص ١٠٣ .

ساعتين الحكومة السوفياتية ، أن ألمانيا قررت شن الحرب على الاتحاد السوفياتي بسبب حشده الجيوش على حدود ألمانيا الشرقية . وقد اختلق الامبرياليون الألمان هذا الادعاء ، ليغطوا به خيانتهم ، وليحولوها الى عمل من أعمال الدفاع عن النفس . وردت الحكومة السوفياتية بأن « الحكومة الألمانية لم تتقدم حتى اللحظة الأخيرة بأية شكاوى في هذا الصدد الى الحكومة السوفياتية ، وأن ألمانيا هاجمت الاتحاد السوفياتي بالرغم من موقفه السلمى ، وانها والحالة هذه تعتبر هي المعتدية » (١) .

- ٢ -

أعلنت الحكومة السوفياتية للشعب السوفياتي ظهر الثاني والعشرين من يونيو، أن الحرب قد وقعت . وناشد الحزب ومعه الحكومة، الشعب بأن يقاوم المعتدين الفاشيين ، وأعربا « عن اعتقادهما الراسخ ، بأن جميع سكان البلاد من عمال وفلاحين ومثقفين ، ومن رجال ونساء ، سيؤدون واجبهم بوعى وتصميم ، ويقومون بعملهم على احسن وجه » (٢) .

وهكذا واجه الشعب السوفياتي مهمة عظيمة ، وهي حماية الوطن الاشتراكي وشرفه واستقلاله ، وهزيمة الدول الفاشية ، وتحرير الدول الأوروبية بما فيها ألمانيا من سيطرة الفاشية وتحقيق الحرية لها جميعا في اختيار النظام السياسى والاجتماعى والاقتصادى الذى يتفق مع رغباتها وارادتها . وهكذا حدد الاتحاد السوفياتي أهدافه من الحرب التى أقحم فيها ، وكانت هذه الأهداف هى التى أضفت على الحرب طابعها المميز . ومثلت الحرب الوطنية العظيمة للاتحاد السوفياتي حربا تحررية عادلة ضد الفاشية . أجل أصبحت حربا للاشتراكية الظافرة ضد الغزو الفاشى الامبريالى .

واشتبكت شعوب الاتحاد السوفياتي في حرب ضروس مع القوة الهجومية الرئيسية للرجعية المحاربة . وكانت تحارب مدافعة عن الحضارة العالمية والتقدم الاجتماعى ، لحماية القاعدة الدولية للتطور الاجتماعى وارساء قواعدها .

ولو نحينا جميع الاعتبارات الأخرى جانبا ، فان الوقفة البطولية

(١) السياسة الخارجية السوفياتية . المجلد الاول ص ٧٥ .

(٢) السياسة الخارجية السوفياتية - المجلد الاول - ص ٧٦ .

التي وقفتها الشعوب السوفياتية ، مثلت واجبا وطنيا وقوميا للطبقة العاملة في الاتحاد السوفياتي ، وللجماعات العاملة في البلاد الاخرى كلها . ووضع الحزب الخط الاستراتيجي الذي يتفق مع الوضع ، اذ راح يعبئ الجماهير ، ويخلق الأوضاع التي تضمن هزيمة العدو . ولم تكن مصالح الشعب السوفياتي لتنفصل عن مصالح الشعوب الاخرى في العالم كله .

ومثل اشتراك الاتحاد السوفياتي في الحرب ضد الدول الفاشية . أهمية تاريخية كبرى ، اذ كان عاملا حاسما في تحويل الحرب العالمية الثانية من صراع امبريالي الى حرب تحرر ضد الفاشية .

ويقول ويليام فوسنر : « لو لم يشترك الاتحاد السوفياتي في الحرب ، لما كان في امكان الامبريالية الامريكية والبريطانية ، التي أصابتها عدوى الفاشية ، والتي كانت على استعداد دائم لمساومة هتلر أن تخوض حربا شاملة ونهائية ضد الفاشية » (١)

وهكذا عكس اشتراك الاتحاد السوفياتي في الحرب ، صورة مغايرة تماما ، للوضع السياسي والعسكري . ولم يكن في وسع أية دولة أخرى أن تكبح جماح الآلة العسكرية الالمانية .

وراحت شعوب البلاد التي يحتلها النازيون ، أو تلك التي تواجه خطر الاحتلال النازي ، تتطلع بكثير من الأمل ، الى الجهد البطولي الذي يبذله الشعب السوفياتي وقواته المسلحة . وكانت ترى أن الاتحاد السوفياتي يمثل القوة الوحيدة القادرة على وقف الجيوش الفاشية وهزمها ، انقاذ البشرية كلها من طاعون ذوى القمصان البنية .

واتخذت الاجراءات السريعة الكاملة لتعبئة قوى الشعب السوفياتي ، وتمكينها من صد العدو . وراح الحزب ينفذ توصيات لينين بوجوب خلق التلاحم الكامل بين جميع قوى الشعب في حالة وقوع الحرب . وكان لينين قد قال : « اذا تطورت الأمور الى مرحلة الحرب ، فان على كافة الطاقات أن تخدم أغراض الحرب وأهدافها . وعلى الحياة الداخلية للبلاد أن تعبأ لخدمة هذه الأغراض ، اذ أن أي تردد في هذا المجال ، أمر لا يمكن السماح به » (٢) .

(١) ويليام فوسنر في كتابه « مختصر التاريخ السياسي للفسادة الامريكية » -

الناشرون الدوليون - نيويورك ١٩٥١ . ص ٣٩ .

(٢) مؤلفات لينين - رقم ٣١ . ص ١١٢ .

وأنشئت لجنة رسمية للدفاع ، عهد إليها بتولى ادارة الشئون السياسية والعسكرية والاقتصادية فى البلاد وخصصت اللجنة المركزية للحزب ، خيرة رجالها لتصرف الشئون العسكرية .

وأصدرت اللجنة المركزية فى التاسع والعشرين من يونيو من عام ١٩٤١ ، قرارا شاملا عن واجبات الحزب والشعب فى الحرب . وبين القرار كافة المظاهر الرئيسية للحرب التى فرضت على الاتحاد السوفياتى ، كما وضع خطة محددة لتنظيم النصر . ومثل هذا القرار وثيقة سياسية تاريخية خطيرة ، وحدت قوى البلاد كلها ، ووجهت جميع مواردها للمجهود الحربى .

وتولى الحزب دور التنظيم والتوجيه فى الصراع ضد الغزاة الفاشيين . وراح يركز جهود الشعب السوفياتى كلها على الهدف الواحد ، كما حشد جميع القوى والموارد لمحاربة العدو . وأظهر الحزب من حديد فى التغلب على العقبات الكأداء التى كانت تقف فى طريق النصر ، أنه منظمة نضالية ، محكمة الحلقات .

وظل الوضع شاقا على طول الجبهة شهورا . ولكن بالرغم من أن قوات العدو واصلت تغلغلها فى الاراضى السوفياتية ، الا أن الهدف الاستراتيجى المباشر لعملية بروبرسة ، وهه ابادة الشطر الأكبر من الجيش السوفياتى فى هجوم صاعق الى الغرب من خط الدنيبير الغربى ، على مقربة من الحدود ، لم يتحقق ، بل فشل فشلا ذريعا . ولا شك فى أن هذا الفشل كان بمثابة نذير سريع ، بأن الخطط الاستراتيجية للقادة الفاشيين الألمان قامت على أساس خاطئ .

وهكذا فشل الألمان فى تحقيق أحد الأهداف الرئيسية التى توختها الخطة . فقد كانوا يتوقعون التمكن من تحطيم روح الشعب السوفياتى وجيشه . ولكن أملهم لم يتحقق .

واستخدمت القيادة السوفياتية صورا مختلفة الأشكال للقتال فى معارك دفاعية شاقة ، وهى صد الهجمات المعادية ، والقيام بهجمات مضادة فى بعض قطاعات الجبهة ، واحباط خطط العدو الاستراتيجية . وتمهيد الطريق للشروع فى الهجوم العام المضاد فى النهاية .

وهكذا أحبطت شجاعة الشعب والجيش السوفياتى وتصميمهما المخطط الألمانى . واعترف الماريشال فون كلايست فيما بعد ، أن الجيش السوفياتى كان يضم منذ البداية محاربين من الدرجة الأولى كانوا

يقاتلون بضراوة ، وبقدرة عجيبة على الاحتمال (١). وذكر تيبلسكيرش أن صلابة الجنود السوفيات كانت أمرا غير متوقع . ولقد كتب يقول : « وهكذا واجهنا عدوا عزيزته من الصلب . . ولم يكن الوضع كما تصورناه في البداية ، مجرد بيت من « الكرتون » يتهاوى أمام ضرباتنا السريعة (٢) وذكر الحبير العسكري البريطاني فولر ، أن « الأمور لم تسر كما كان يهوى الألمان ، وكما سارت في بولندة وفرنسا . فبالرغم من أن الهجوم الصاعق ، كان يسير في الظاهر سيرا ناجحا لا يتصوره انسان . الا أن أى هلع لم يسد ، وبالفراقة ، الجبهة الروسية أو المناطق الواقعة وراءها (٣) .

وكانت قوات حرس الحدود السوفيات هي البادئة بالاشتباك مع العدو ، ثم تلتها القوات المراقبة في مناطق الحدود . ولم تكن هذه القوات قد أعدت للمعركة عندما وقع الهجوم ، ولذا ، فقد أخذت على غرة . ومع ذلك فقد عرف الغزاة على الفور ، أنهم أساءوا تقدير روح الجندي السوفياتي . وشجاعته وبطولته . فقد ظهرت القوة المعنوية الهائلة للشعب السوفياتي ، ووطنيته الملهمة منذ اللحظة الأولى التي بدأت فيها الحرب .

فقد صمدت وحدات وحاميات وفصائل كثيرة ، مدة طويلة بعد أن كانت قوات العدو قد تجاوزتها بمسافات طويلة باتجاه الشرق مخلقة «ياها وراءها . فقد صمدت وحدة الحدود الثالثة عشة التابعة لفصيل فلاديمير فولين ، بقيادة الملازم لوباتين . أحد عشر يوما بالرغم من تطويق العدو الكامل لها . وظلت حامية موقع بريست تقاتل باصرار وعزيمة أكثر من ثلاثين يوما . ومازالت كتابات اندفاعيين ، واضحة جلية على جدران الموقع . وتقول إحدى هذه الكتابات : « كنا خمسة ، سيدوف وجروتوف وبوجوليوف وميخائيلوف وسيليفانوف . وقد وقع الهجوم علينا في الساعة الثالثة والربع من صباح الثاني والعشرين من يونيو من عام ١٩٤١ . سنموت ولن نتراجع » . وتقول كتابة أخرى : « سأموت ولكن لن استسلم . الوداع يا وطني العزيز . ٢٠ يوليو ١٩٤١ » (٤).

(١) ليدل هارت «القادة العسكريون الألمان يتكلمون» نيويورك ١٩٤٨ ، ص ٢٢٠ .

(٢) تيبلسكيرش - نفس المصدر . ص ١٨٦ .

(٣) فولر نفس المصدر ص ١٠٦ .

(٤) وثائق الحكومة السوفياتية ١٩٦١ . ص ١٩ .

وصمدت المتاريس القائمة الى الشمال من بلدة سوكال ، والتي
تؤلف جزءا من الخطوط الدفاعية لفرقة المشاة المائة والرابعة والعشرين
التابعة للجيش الخامس ، في وجه هجمات معادية جارفة وقوية عدة
أسابيع .

وقاتل الطيارون السوفييات في المعارك الجوية بشجاعة فائقة
ونادرة . وحقق الملازم الثانى الطيار دى . فى . ٠٠ كوكوريف ، التابع
للأسراب الجوية المقاتلة رقم (١٢٤) التابعة للفرقة الجوية التاسعة أول
عملية اصطدام جوى في تاريخ الحرب في الساعات المبكرة من صباح النانى
والعشرين من يونيو من عام ١٩٤١ . عندما حطم ذيل طائرة المانية من
طراز مسرز شميت بمحرك طائرة ، ثم هبط سالما في احد الحقول . وم
لبث الملازم الثانى جى بوتيلين أن أنزل بعد ساعة واحدة ضربة مماثلة
بطائرة من طراز يونكرز ٨٨ . وقام الملازم الأول الطيار ايفانوف قائد
السرب المقاتل السادس والأربعين بتحطيم طائرة معادية ثالثة في نفس
النهار ووجه النقيب الطيار جاستيلا ، في السادس والعشرين من يونيو
طائرته التي كانت فد اشتعلت فيها النيران ، ليهوى بها فوق رتل من
الدبابات والشاحنات الألمانية فعطل عدة عشرات منها نتيجة انفجار
طائرته .

وبالرغم من المقاومة السوفياتية البطولية . فقد تمكن العدو من
مواصلة الزحف ، وان كان شئ من البطء قد لحق به . وكان الجهد
السوفيياتى الرئيسى فى هذه المرحلة موجها الى وقف زحف العدو ، واقامة
جبهة استراتيجية متواصلة . وتم وقف الآلة الحربية الألمانية الهائلة فى
صيف ذلك العام وخريفه فى عدد من النقاط ، ولكن الجيش الفاشى ، كان
يتمكن فى كل مرة ، بعد وقفة يعيد فيها تنظيم صفوفه وتجديد قواته ،
من اختراق الخطوط السوفياتية ، ومواصلة الزحف شرقا . ولا شك
فى أن الحسائر التي منى بها الجيش السوفيياتى فى الأيام الأولى من
الحرب ، وافتقاره الى القوات الاحتياطية الكاملة ، كانا من العوامل التي
أحبطت كل الجهود لتثبيت الجبهة .

ولا شك فى أن عنصر المباغته فى الهجوم ، قد حال دون وجود
أية تعبئة منظمة للقوة البشرية والموارد المادية ، وحرم الاتحاد السوفيياتى
من قوة ضخمة .

وكانت المناطق التي احتلها العدو حتى نوفمبر من عام ١٩٤١ .
تمثل للاتحاد السوفيياتى ، بالنسبة لاحصاءات قبل الحرب أربعين

فى المائة من سكان البلاد (١) و ٤١ فى المائة من سككها الحديدية و ٣٨ فى المائة من ماشيتها و ٦٠ فى المائة من مجموع خنازيرها . وكانت هذه المناطق تنتج ٥٨ فى المائة من صلب البلاد ، و ٦٠ فى المائة من الألومنيوم و ٨٤ فى المائة من السكر ، كما كانت تنتج ٣٨ فى المائة من محصول الحبوب و ٦٣ فى المائة من القمح و ٦٨ فى المائة من الحديد .

وارتبك تحويل الاقتصاد السوفياتى الى مستوى الحرب من جراء ، نقل شطر مهم من صناعة البلاد الى الشرق . من المناطق التى غزاها العدو . وتم فى الأشهر الثلاثة الأولى نقل ١٣٦٠ مصنعا كبيرا . منها ٤٥٥ نقلت الى الاورال و ٢١٠ الى مناطق سيبيريا الغربية ، و ٢٥٠ الى آسيا الوسطى وقزاقستان . (٢) وعهد الى شفيرنيك بأن ينولى « رئاسة » اللجنة التى أشرفت على عملية النقل . ولم تكن المصانع التى تم نقلها الى مواقعها الجديدة ، قد باشرت بعد العمل . وهبط انتاج الاتحاد السوفياتى الصناعى بنسبة النصف بين شهرى يونيو ونوفمبر من عام ١٩٤١ ، كما هبط انتاج المعادن الحديدية بنسبة سبعين فى المائة ، وانتاج المعادن الأخرى بنسبة ٩٨ فى المائة ، والمحاور ذات الكرات بنسبة ٩٥ فى المائة (٣) .

وكان اصلاح الوضع يتطلب جهودا هائلة حقا . وبدأ الخط البيانى للانتاج فى الارتفاع فى ديسمبر من عام ١٩٤١ ، ولم يحل شهر مارس عام ١٩٤٢ ، حتى كان الانتاج الحربى فى المناطق الشرقية معادلا لمستويات ما قبل الحرب فى البلاد كلها (٤) .

ولا شك فى أن هذه النتيجة منلت نصرا اقتصاديا ضخما ، فقد حققت الجهود البطولية التى بذلتها الطبقة العاملة ، والمستويات التقنية الرفيعة التى وصلت اليها الصناعة السوفياتية ، المعجزات .

ويقول جى . دبليو . فونجتر . الباحث الغربى الألمانى : « لاشك فى أن نجاح السوفيات فى ظل تلك الظروف العصيبة الشاقة ، فى نقل الصناعة . وفى انتاج عدد كبير من الطائرات فى وقت قصير للغاية ، يعتبر من الانجازات التقنية العظيمة فى تاريخ الحرب العالمية الثانية .

(١) نشره الاحصاء السوفياتية الرسمية - ص ١٤٢ .

(٢) نفس المصدر ص ٤١ .

(٣) نفس المصدر ص ٤٣ .

(٤) نفس المصدر ص ٤٦ .

ويبدو أن من المناسب الآن أن نبرز كل الإبراز هذا الانجاز الهائل المحير للعقول ، (١) .

وأخذت المقاومة السوفياتية تشتد يوما بعد آخر . وأخذت الرسائل الصحفية الفاشية المزهوة من الجبهة ، تختلط في كل يوم مع الأنباء عن المتاعب المتزايدة . فقد ذكرت صحيفة الفولكشاير بيوبا ختر ، اللسان الرسمي الناطق للحزب النازي في الرابع من يوليو من عام ١٩٤١ أن « ليس ثمة من شك في أن العدو السوفياتي يمثل أكثر الأعداء الذين واجهتهم ألمانيا صلابة واصرارا وعنادا . ولكن الهتلريين كانوا يحاولون إخفاء ما يعانونه من مصاعب ، وكانوا يبلغون حلفاءهم أن الأمور تسير سيرا مرضيا . وعند ما راحت الحكومة اليابانية التي استبد بها القلق . تسأل برين عن حقيقة الأوضاع في الجبهة . رد كايكل وريبنتروب أن سبب البطء في الزحف الألماني يعود الى الطول البالغ لخطوط المواصلات، والى تأخر قوات المؤخرة وهذا هو الذي جعل تقدم الجيش الألماني متأخرا ثلاثة أسابيع عن المواعيد المقررة في الخطة (٢) .

ولكن ما حاول الهتلريون إخفائه ، كان واضحا للجميع . فقد ذكرت صحيفة اربيتارين السويدية في شهر يوليو من عام ١٩٤١ « أن الألمان تعثروا بعدو أكثر صلابة ، وخطورة مما كانوا يتوقعون . وقد بلغت خسائر الألمان في الرجال والدبابات والطائرات حدا عاليا للغاية (٣)

- ٣ -

أشعل اشتراك الاتحاد السوفياتي في الحرب العالمية الثانية ، حركات المقاومة للغزاة النازيين في القارة الأوروبية كلها . وهرع التقدميون في العالم يشدون أزر الاتحاد السوفياتي . وبث الجهد الحربي السوفياتي البطولي عزيمة جديدة في الشعوب التي احتاحت ألمانيا الهتلرية بلادها .

وكانت حركات المقاومة للنازيين قد بدأت في البلاد المحتلة ، قبل تورط هتلر في حربه ضد الاتحاد السوفياتي ، لكن هذه الحركات اكتسبت غدا جديدا في سيرها بعد هذا التورط .

(١) « قصة الحرب الجوية » لجررنج فرختر - يون - مطبعة اثياوم ١٩٥٤ .

ص ١٩٢ .

(٢) عدد النيوتاييز - موسكو . رقم ١٨ . ص ١٩٤٧ .

(٣) عدد صحيفة بولشفيك - موسكو - رقم ١٥ . ١٩٤١ .

وكتب موريس توريز يقول : « أشعل العدوان الهتلري على الاتحاد السوفياتي المقاومة في بلادنا ، ولاسيما بعد أن تحولت هذه المقاومة الى عمل مسلح منظم . وأدرك الوطنيون أن توازنا جديدا في القوى ، قد طرأ الآن على الصورة ، وأن النصر أصبح مؤكداً للأنصار الذين يدافعون عن حريات الشعوب واستقلالها . وكان عدد كبير من الفرنسيين ، حتى من أولئك المعادين لقوات الاحتلال ، حتى تلك اللحظة ، يشكون في قوتهم ، ويشكون في قدرة فرنسا على التحرر . ولكن هؤلاء الوطنيين شرعوا بعد الثاني والعشرين من يونيو من عام ١٩٤١ ، يحدثون أنفسهم بقولهم . « لسنا وحدنا ، ففى وسعنا وقد أصبح الاتحاد السوفياتي حليفاً لنا أن نحقق حريتنا وأن نتنصر » (١) .

ولا شك في أن الدعم الذى لقيه المجهود الحربى السوفياتي الباسل من الأحزاب الشيوعية في الخارج ، كان متفقاً مع المصالح القومية الحيوية للشعوب في نضالها ضد العبودية الفاشية من أجل الحرية والاستقلال .

ومثل الدعم الذى لقيه الاتحاد السوفياتي من الجماهير ولا سيما من الطبقة العاملة في البلاد الرأسمالية ، عملاً من أعمال الوحدة العمالية العالمية .

وكانت الأحزاب الشيوعية هي التي تزعمت حركات النضال الشعبي ضد الفاشية في جميع البلاد . وازداد نفوذ الشيوعيين لأنهم أبدوا بسالة وتفانيا في الحرب ضد الفاشية .

وأصدرت الأحزاب الشيوعية بيانات عن مهاجمة ألمانيا الهتلرية للاتحاد السوفياتي . وتضمنت هذه البيانات برامج النضال الشعبي الشامل لتحقيق الهزيمة المبكرة للغزاة الفاشيين ، على ضوء واقع كل بلاد على حدة .

وكانت هذه البيانات في البلاد التي يحتلها النازيون في أوروبا الشرقية : والجنوبية الشرقية ، تدعو الجماهير الى مقاومة المحتلين ، وتنظيم حروب العصابات واعداد العدة للثورات المسلحة . فقد وجه الحزب الشيوعى البلغارى في الثاني والعشرين من يونيو نداء الى الجماهير ، ثم اتخذ في الرابع والعشرين منه قراراً ، بالاعداد لثورة مسلحة . وأقام الشيوعيون البلغار أولى مجموعات الأنصار في شهر يونيو من عام ١٩٤١ ، واتخذ

(١) موريس توريز - نفس المصدر ص ١٤٨ .

الحزب التشيكوسلوفاكي قرارا مماثلا ، ومهد الطريق لاقامة لجنة ثورية وطنية للمقاومة تم تأسيسها في براج في شهر سبتمبر من عام ١٩٤١ .

وانتشرت أعمال التخريب في تشيكوسلوفاكيا . وهبطت الطاقة الانتاجية للعمالة في المصانع التشيكية التي تنتج للألمان بنسبة أربعين في المائة . وكانت جماعات التخريب تنسف المصانع ومحطات القوة الكهربائية وتحرق المستودعات ، وتخرّب الآلات ، وتنتج أسلحة وأدوات فاسدة وتالفة . وتم تعطيل عدد من الآلات في مصانع شكودا وكذلك عطلت محطة توليد للكهرباء في مصانع قنابل المدفعية في هرينبيس . وقامت اضرابات قادها الشيوعيون في عدد من أكبر المصانع . وأضرّب عمال شكودا في مصانع هراديك كرآلوفى ، كما أضرّب عمال مصانع وولتر للطائرات ، ومصانع كولبين - دانيك الحربية ، ومصانع رينجهوفين للسيارات في براج ومصانع الصلب في كلادنو وكثير غيرها . وظهرت أولى وحدات الأنصار في ذلك الصيف في سلوفاكيا الشقية وفي بعض أرجاء بوهيميا .

وأصدر المكتب السياسى للحزب الشيوعى اليوجوسلافى فى الثانى والعشرين من يونيو نداء الى الشعب اليوجوسلافى ، يدعو فيه الى المقاومة المسلحة للاحتلال النازى . وتم تأسيس مقر قيادة للأنصار فى بلجراد فى الثانى والعشرين من يونيو . وشرعت قوات الانصار فى يوليو ، فى الاشتباك مع قوات الاحتلال ، ومع القوات المحلية العميلة ، وخاضت معها عددا من الاشتباكات والمعارك .

وأطلق الأنصار اليوجوسلاف طلقاتهم الأولى فى السابع من يوليو من عام ١٩٤١ فى بلاد الصرب وفى الثالث عشر منه فى الجبل الأسود ، وفى السابع والعشرين منه فى بلاد الكروات والبوسنة والهرسك . وسرعان ما انتهت حرب الأنصار فى جميع أرجاء يوجوسلافيا .

وعقد مؤتمر سرى للجماعات الشيوعية فى الثامن من نوفمبر من عام ١٩٤١ فى مدينة تيرانا عاصمة ألبانيا التى يحتلها العدو . وقد أعرب المؤتمر فى قراراته عن ايمانه المطلق بهزيمة الفاشية ، وتم تأسيس الحزب الشيوعى كمنظمة تمثل وحدة الطبقة العاملة الألبانية . ولم يضع الحزب الجديد وقتا فى اعداد العدة لعمليات الأنصار الواسعة النطاق ضد قوات الاحتلال .

وأصدر العمال الشيوعيون المختفون فى ألمانيا نشرات سرية أوضحوا فيها المعنى الحقيقى للأحداث . وتقول احصاءات الجستابو أن عددا «يتراوح»

بين ٦٢ و ٥١٩ نشرة غير مشروعة كانت تصدر في ألمانيا بين شهري يناير ومايو من عام ١٩٤١ . وارتفع عدد المطبوعات السرية في شهر يوليو أى بعد شهر من هجوم هتلر على الاتحاد السوفياتى الى ٣٧٩٧ و مطبوعة . واحتفظ هذا الرقم بوضعه في شهري أغسطس وسبتمبر . ولكنه ارتفع في شهر أكتوبر الى ١٠٢٢٧ (١) .

وأصدر الحزب الشيوعى الألمانى فى السادس من أكتوبر من عام ١٩٤١ نداء الى الشعب الألمانى والى القوات الألمانية المسلحة والعمال والفلاحين وجميع العاملين . وانطوى النداء على تحليل شامل للوضع توصل فيه الى الاستنتاجات التكهنية التالية : « اقترف هتلر بهجومه الغادر والحائث لعهوده على الاتحاد السوفياتى فى الثانى والعشرين من يونيو ، جريمة خطيرة ضد الشعب الألمانى ، ستؤدى بألمانيا الى كارثة قومية كبرى » (٢) .

وأصدر الحزبان الشيوعيان فى الولايات المتحدة وبريطانيا نداءين الى شعبى هذين البلدين وحكومتيهما ، ناشدا فيه الدولتين أن تنضموا الى الاتحاد السوفياتى فى كفاحه ضد ألمانيا الهتلرية . وأعلن الحزبان فى بيانيهما أن القضية السوفياتية هى قضية جميع العاملين فى العالم بل وقضية السلام والاشتراكية . وقال الحزب الشيوعى البريطانى فى بيانه : « علينا أن نقيم جبهة قوية مشتركة ومتحدة مع شعب الدولة الاشتراكية الأولى فى العالم » .

ودعا الحزب الشيوعى فى الولايات المتحدة الى « التعاون المطلق مع الاتحاد السوفياتى ، وتأييده تأييدا كاملا فى نضاله ضد الهتلرية » (٣)

وراحت الأحزاب الشيوعية فى البلاد الأوروبية الغربية المحتلة من النازيين تطلع الجماهير عندها على طبيعة الهجوم الألمانى على الاتحاد السوفياتى وأهدافه . وأعلن الحزب الشيوعى الفرنسى فى نداء خاص وجهه فى الثانى والعشرين من يونيو من عام ١٩٤١ ، أن الشعب الفرنسى لن يحارب الاتحاد السوفياتى مهما كانت الأحوال .

وتم تنظيم أول وحدة من العصابات الفرنسية فى ابريل من عام

(١) أوتو وينزر فى كتابه « الكفاح السرى ضد العاشبة والحرب » ص ١٩٢ .

(٢) نفس المصدر ص ١٨٦ .

(٣) صحفه الديلى ووركر - نيويورك عدد ٢٣ يونيو ١٩٤١ .

١٩٤١ ، فى مقاطعة « فيين العليا » ، أى قبل الهجوم الألمانى على الاتحاد السوفياتى • وقام الشيوعيون الفرنسيون بعد الثانى والعشرين من يونيو من عام ١٩٤١ • بإنشاء عدد من وحدات العصابات فى عدد من المقاطعات الفرنسية • وعهد بالقيادة الى لجنة وطنية حربية تم تأليفها فى شهر سبتمبر من عام ١٩٤١ ، بقرار صدر عن الحزب الشيوعى الفرنسى •

وقام الوطنيون الفرنسيون فى غضون الأيام السبعة الأولى من الهجوم الألمانى على الاتحاد السوفياتى بنسف عدد من « قطارات » الجنود الألمان فى منطقة باريس • وتم اشعال النار فى مستودع ضخمة للبترول فى مدينة طولوز ، كما تم نسف مصنع حربي فى وينجلز • وأقيمت فى الرابع عشر من يوليو من عام ١٩٤١ ، بمناسبة سقوط الباستيل ، مظاهرات ضخمة معادية للألمان فى مدينة باريس •

وراح المتظاهرون ينشدون المارسلير ويهتفون بحياة الاتحاد السوفياتى • وقتل الوطنيون فى باريس وفى وضع النهار عددا من الضباط الألمان • وقام عمال المناجم فى منطقة خلبج كاليه فى شهر يوليو من عام ١٩٤١ بتنظيم عدد من وحدات العصابات كما الفت وحدات أخرى فى الازاس وفى غيرها من المناطق الفرنسية •

ووقعت فى بلجيكا الواقعة تحت الاحتلال الألمانى فى عامى ١٩٤١ و ١٩٤٢ ، نحو من ١٦٥٧ حادثة من حوادث التخريب المعادية للألمان منها ٢٤٦ حادثة نسف « للقطارات » والسكك الحديدية (١) • وقتل أكثر من خمسمائة صبَّاط وجندى ألمانى فى شوارع أمستردام بين عامى ١٩٤١ و ١٩٤٥ •

وكانت الجهود الحربية البطولية التى بذلها الاتحاد السوفياتى ، خير معين للصين فى حربها ضد الامبريالية اليابانية • فقد أدى اشتراك الاتحاد السوفياتى فى الحرب ضد ألمانيا الى تغير الوضع فى الشرق الأقصى ، والى تحول التيار لمصلحة الشعوب المحبة للحرية وفى طليعتها شعب الصين • وأصدر الحزب الشيوعى الصينى فى السابع من يوليو من عام ١٩٤١ ، بيانا حدد فيه أهداف حرب التحرير الوطنية ضد اليابان على ضوء الوضع الجديد • وطالب البيان باقامة حلف قوى ضد الفاشية يضم الاتحاد السوفياتى والصين وبريطانيا والولايات المتحدة •

(١) وولتر جورليتز - « الحرب السرية » - الجزء الثانى ص ٦٨ - ٦٩ •

وطالب الحزب بقطع العلاقات بين الصين من ناحية وبين ألمانيا وإيطاليا من الناحية الأخرى . وحدد البرنامج الجديد للعمليات الفعالة ضد اليابان فقال : « ان الشعب السوفيياتي في حربه المقدسة ضد العدوان الفاشي ، لا يدافع عن بلاده فحسب ، بل وعن جميع البلاد التي تقاتل من أجل التحرر من الاستعباد الفاشي » .

ولكن - الكومنتانج وحكومة تشيان كاي شيك ، رفضتا هذا البيان الذي أصدره الحزب الشيوعي الصيني والذي أصبح يمثل شعار النضال لشعب الصين . وعندما غادر الدبلوماسيون الفاشيون الصين ، أقامت لهم حكومة الكومنتانج حفلة وداعية . وأعلن هويينج شين ، وزير حربية الصين في المأدبة باسم حكومة تشيان كاي شيك أن حكومته واثقة من أن ألمانيا واليابان ستنتصران في الحرب العالمية الثانية وأن الاتحاد السوفيياتي وبريطانيا والولايات المتحدة ، ستخسر الحرب .

وكان نضال الأحزاب الشيوعية التي تدعمها الجماهير عاملا حاسما ، في ظهور حلف معاد للفاشية . فقد تألفت جبهة متحدة للأمم التي تحارب الغزاة الفاشيين ، وذلك بعد نشوب الحرب الوطنية العظمى .

ومع ذلك فقد ظلت حركات التحرير في البلاد الأوروبية المحتلة ، حركات متفرقة ، تقوم بها جماعات صغيرة العدد ، الى أن تمت هزيمة الألمان أمام موسكو . ومثلت هذه الهزيمة بداية مرحلة في النضال التحرري الذي انتشر كاللهيب بصورة مندرجة في أوروبا كلها .

- ٤ -

وصاغت الأهداف الحربية للاتحاد السوفيياتي ، الأهداف التي حددها لسياسته الخارجية في أيام الحرب . وكانت الغاية تأكيد الأوضاع الدولية المواتية جدا لتحقيق النصر السريع . وكان لابد من احباط المخططات الامبريالية لشن حرب صليبية ضد الاتحاد السوفيياتي ، واحباط الخطط الرامية لعزله على الصعيد الدولي . وكان لابد من اقامة حلف قوى معاد للفاشية ، ومن اضعاف المعسكر المعادي ، عن طريق تمزيق قواته .

وكانت الجماعات الحاكمة في الولايات المتحدة وبريطانيا تود من ألمانيا الهتلرية واليابان الامبريالية أن تستنزفا قوى الاتحاد السوفيياتي .

وكانت تريد سحق الحركات الثورية والديموقراطية فى أوروبا وحركات التحرر الوطنى فى الشرق . وكان لابد من احباط هذه المخططات . وكان على السياسة الخارجية السوفياتية فى أيام الحرب أخيرا وليس آخرا أن تشرع فى اعداد نظام ديمقراطى لعالم مابعد الحرب .

ويمكن القول على سبيل الايجاز بأن الهدف الأساسى للسياسة الخارجية السوفياتية ، كان اقامة حلف قوى مناوئ للفاشية ، وتحطيم المخططات الرامية لشن حرب صليبية على الاتحاد السوفياتى .

وكانت القيادة الألمانية الفاشية تعتقد كما اعتقد الساسة فى الولايات المتحدة وبريطانيا « باستحالة » قيام حلف ماوئ للفاشية بين الدول ذات الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية المتعارضة .

وأصدرت وزارة الخارجية الأمريكية عشية هجوم هتلر على الاتحاد السوفياتى أى فى الواحد والعشرين من يونيو من عام ١٩٤١ ، مذكرة جاء فيها . . . « علينا ألا نتقدم بأية وعود مسبقة ، ومحددة ، وألا نرتبط بأية التزامات تجاه سياستنا المقبلة نحو الاتحاد السوفياتى » (١) . وكان هناك رفض لأية فكرة عن تحالف معاد للفاشية ، يتخطى هذه الصورة الشكلية الغامضة . وبينت وزارة الخارجية الأمريكية أن الولايات المتحدة ستقتصر فى اجراءاتها فى حالة وقوع هجوم نازى على الاتحاد السوفياتى على رفى القيود التى فرضتها على التصدير الى الاتحاد السوفياتى ، شريطة ألا تؤثر على الشحنات الأخرى من البلاد أو على احتياجات الولايات المتحدة الداخلية .

ولم يتخل الامبرياليون عن آمالهم فى تقويم الأمور على حساب آلتحاد السوفياتى ، حتى بعد تعرضه لهجوم ألمانيا ، وان كان قد اتضح أن جيوش هتلر تمثل خطرا مميتا على حرية جميع الدول الأخرى واستقلالها ، طالما أن ألمانيا الهتلرية قد أخضعت احدى عشرة دولة أوروبية بينها فرنسا التى كان جيشها يعتبر فى السابق أقوى جيش فى أوروبا . وكان خطر الهزيمة النهائية معلقا فوق رأس بريطانيا . لكن هؤلاء الذين كانوا يعتقدون « باستحالة » التحالف ، والذين تجاهلوا قوانين التاريخ الموضوعية أو لم يفهموها ، منوا بخيبة أمل كبرى . فقد كان عمل التاريخ أقوى من رغبات الأفراد من القادة .

ولقد كانت هناك أولا تناقضات امبريالية أدت الى الحرب بين الدول

(١) لانجر وجيبسون - نفس المصدر ص ٥٢١ .

الرأسمالية الرئيسية • واضطر حكام الولايات المتحدة وبريطانيا الى التحالف مع الاتحاد السوفياتى ، اذ لم يكن فى وسعهم دون هذا التحالف أن يكسبوا الحرب ضد ألمانيا ، عدوتهم ومنافستهم • واعترف كتاب « سياسة المملكة المتحدة الخارجية والاستراتيجية والاقتصادية » الذى أصدرته الجمعية الملكية البريطانية للشئون الدولية فى عام ١٩٥٠ ، بأن ألمانيا كانت على وشك أن تهزم المملكة المتحدة أثناء الحرب العالمية الثانية وان لم يكن فى وسعها أن تستخدم الا شطرا من قواتها ضدها • ويقول الكتاب : ان من المشكوك فيه أن يقال بأنه كان فى وسع بريطانيا أن تصمد حتى بمساعدة جامعة الشعوب البريطانية والولايات المتحدة ، لو لم يشترك الاتحاد السوفياتى فى الحرب • ويقول تقرير رسمى عن الحرب كان قد أعده الجنرال جورج مارشال : ان المواقف البطولية للشعبين البريطانى والسوفياتى هى التى أنقذت الولايات المتحدة الأمريكية من امتداد الحرب الى أراضيها « (١) • ونشك فى أن الحسابات الدقيقة هى التى أرغمت حكام بريطانيا والولايات المتحدة على الدخول فى حلف مع الاتحاد السوفياتى •

وكان الامبرياليون البريطانيون والأمريكان قد ادعوا منذ عهد طويل أن التعاون بين البلاد الرأسمالية من ناحية ، وبين الاتحاد السوفياتى من الناحية الأخرى كان مستحيلا • لكن الحقائق أثبتت عكس هذا الادعاء ، فقد اتضح أن التعاون ممكن ، وأن خصومه هم الذين وجدوا أنفسهم مرغمين على النضال من أجل تحقيقه •

وكان كفاح الجماهير ، العامل الموضوعى الآخر الذى دعا الى تعزيز التحالف ضد الفاشية • وكانت غالبية الشعبين البريطانى والأمريكى الطاغية ميالة أشد الميل الى الاتحاد السوفياتى • وكانت هذه الغالبية تطالب بأن توحد بريطانيا والولايات المتحدة جهودهما مع الاتحاد السوفياتى لتحقيق النجاح فى مواصلة الحرب ضد ألمانيا الهتلرية •

وكانت الحكومة السوفياتية فى مساعيها لدعم التحالف المناهض للفاشية تعمل بوحى من تعليمات لينين التى تقول : « لا يمكن هزم العدو الفائق القوة الا ببذل أقصى حد من الجهد ، ودون تقاعس أو تردد ، وبصورة وافية ، ودقيقة وواعية وبارعة ، مع استخدام كل تصدع مهما كان صغيرا فى جبهة العدو ، واستغلال أى تضارب للمصالح بين الجماعات البورجوازية

(١) تقارير مارشال وارنولد وكينج من الحرب - نيويورك ١٩٤٧ • ص ١٤٩

فى مختلف البلاد ٠٠٠ ومع الافلدة من كل فرصة مهما صغرت ، لكسب أكبر عدد من الحلفاء ، حتى ولو كان هؤلاء الحلفاء ، من الطراز المؤقت والمتذبذب وغير المستقر والموثوق . ولاشك فى أن من يعجزون عن فهم هذه الحقائق ، لا يفهمون التطبيق الماركسى ، ولا تطبيق الاشتراكية العلمية الحديثة بوجه عام » (١) .

وأقنعت الأوضاع السائدة ، حكومتى الولايات المتحدة وبريطانيا بالوقوف فى صف واحد مع الاتحاد السوفياتى . وقد صدرت بيانات من هذا الطراز من جانب تشرشل نيابة عن الحكومة البريطانية فى الثانى والعشرين من يونيو من عام ١٩٤١ ، ومن جانب روزفلت نيابة عن الحكومة الأمريكية فى الرابع والعشرين منه .

وكانت غاية حكام الولايات المتحدة وبريطانيا ، استخدام الاتحاد السوفياتى لضعاف ألمانيا ، ورؤية الاتحاد السوفياتى وقد أضعفته ألمانيا بدورها . ولقد بدأ تشرشل الخطاب الذى وجهه عن طريق الاذاعة الى الشعب البريطانى بقوله : « لم يكن هناك من هو أشد خصومة منى للشيوعية طيلة الخمسة والعشرين عاما الماضية . ولن أراجع هنا عن أى قول سبق أن صدر عنى فى هذا الصدد » (٢) .

ومع ذلك فقد اعترف تشرشل بأن الجهد الحربى السوفياتى ضد الجيش الألمانى الفاشى ، يمثل جانبا فى منتهى الأهمية لمستقبل بريطانيا . وراح تشرشل يقول ٠٠ « ولذا فإن الخطر الذى تتعرض له روسيا ، هو عين الخطر الذى نتعرض له نحن ، وتعرض له الولايات المتحدة أيضا ، كما أن قضية الروسى الذى يدافع عن بيته ومزرعته ، هى قضية الأحرار من الأفراد والشعوب فى كل جزء من الكرة الأرضية » (٣) .

ونشر البيان الذى أصدره روزفلت فى الولايات المتحدة فى وقت واحد مع مقابلة صحفية جرت مع هارى ترومان ، عضو مجلس الشيوخ ، والذى أصبح فيما بعد نائبا لرئيس الجمهورية الأمريكية فرئيسا لها ، وقد قال هذا فى منتهى الوضوح ٠٠ « علينا أن نساعد روسيا اذا رأينا أن المانيا هى المنتصرة ، وأن نساعد ألمانيا اذا رأينا أن روسيا هى المنتصرة ، وبذلك تخسر الدولتان أكبر عدد من الناس » (٤) .

(١) مختارات من مؤلفات لينين - المجلد الثانى - القسم الثانى - ص ٢٩٦ .

(٢) تشرشل نفس المصدر - الجزء الثالث . ص ٣٣١ - ٣٣٢ .

(٣) نفس المصدر . ص ٣٣٣ .

(٤) النيويورك تايمز عدد ٢٤ يونيو ١٩٤١ .

وتحدث الممثل الشخصي للرئيس الأمريكى فى الفاتيكان ، مايرون تيلور • الى البابا بيوس الثانى عشر ، فأبلغه أن الحكومة الأمريكية عازمة عزما أكيد على تقديم كل عون عملى ممكن الى الاتحاد السوفياتى للحيلولة دون « تمكن المانيا النازية من السيطرة على الشعب السوفياتى وضمان ما تحتاج اليه من القمح والزيت والموارد الأخرى التى تمكنها من المضى فى العدوان » (١) •

وذكر روزفلت فى رسالة وجهها الى البابا فى الثالث من سبتمبر من عام ١٩٤١ أن الولايات المتحدة تؤيد الاتحاد السوفياتى ضد ألمانيا الهتلرية ، لأن النظام السوفياتى « أقل خطرا » على سلامة الولايات المتحدة من الفاشية الألمانية • وذكرت الرسالة أن الدعاية الشيوعية هى السلاح الوحيد الذى يستخدمه الاتحاد السوفياتى خارج حدود بلاده ، بينما راحت ألمانيا تستخدم كل شكل من أشكال العدوان العسكرى خارج حدودها لضمان السيطرة على العالم بقوة السدح وقوة الدعاية » (٢) •

وكانت الحرب ضد ألمانيا حربا عادلة ، وحرب تحرير ، ولا سيما بعد أن جر الاتحاد السوفياتى اليها • وألفت هذه الصورة شطرا من التحالف المعادى للفاشية ، وهو التحالف الذى سارعت الحكومة السوفياتية الى تحويله الى قوة ملموسة وفعالة •

وعمل الاتحاد السوفياتى طيلة الوقت الذى انقضى فى الحرب الوطنية العظمى ، على دعم التحالف ضد الفاشية ونصرته • واقترحت الحكومة السوفياتية فى مطلع شهر يوليو من عام ١٩٤١ ، وعن طريق السفير البريطانى فى موسكو ، عقد معاهدة بريطانية - سوفياتية ضد العدو المشترك • وقبلت الحكومة البريطانية هذا العرض الذى انتهى فى صورة « اتفاق للعمل المشترك فى الحرب ضد ألمانيا » ، وقد تم التوقيع عليه فى الثامن عشر من يوليو من عام ١٩٤١ • وألزم الاتفاق الفريقين المتعاقدين بتقديم كل عون ومساعدة مهما كانت صورتها ، فى شكل متبادل فى الحرب الراهنة ضد ألمانيا الهتلرية • وتعهد الفريقان المتعاقدان أيضا بعدم التفاوض على أية هدنة أو صلح أو التوقيع على أى منهما الا بموافقة الفريقين (٣) •

(١) «المراسلات أيام الحرب بين الرئيس روزفلت والبابا بيوس الثانى عشر »

— نيويورك ١٩٤٧ ص ٥٧ •

(٢) المراسلات أيام الحرب • نفس المصدر • ص ٦١ — ٦٢ •

(٣) السياسة الخارجية السوفياتية — نفس المصدر — المجلد الاول • ص ٧٧ •

ومثلت هذه المعاهدة الخطوة الفعالة الأولى فى طريق إقامة حلف ضد هتلر ، ومهدت السبيل لإقامة علاقات التحالف الودية بين الاتحاد السوفياتى من ناحية وبين بريطانيا ودول الامبراطورية البريطانية من الناحية الأخرى . وأوضحت المعاهدة أن الفريقين المتعاقدين ، مصممان على تطوير علاقات التحالف بينهما ، لمصلحتهما معا .

ولما كانت المعاهدة كأداة لم تحدد طرائق المساعدة المتبادلة ووسائلها ، فقد استمرت المفاوضات بين البلدين . وكان موضوع الجبهة الثانية ، أهم بند على جدول الأعمال فى هذه المفاوضات . وكانت المتاعب التى يتحملها الاتحاد السوفياتى ستخف حتما والى حد كبير ، لو أن الجبهة الثانية قد فتحت فورا ودون أى تأخير ، اذ أن فتحها كان كفيلا بتحويل شطر من قوات ألمانيا المسلحة الى ناحية أخرى .

وذكر رئيس وزراء الاتحاد السوفياتى فى رسالة بعث بها الى تشرشل فى الثامن عشر من يوليو من عام ١٩٤١ ما نصه : « لا شك فى أن فتح جبهة ثانية فى شمال فرنسا ، سيجعل من المتعذر على هتلر أن يغزو بريطانيا ، بالإضافة الى ما سيؤدى اليه من تحويل شطر من قواته من الشرق لمواجهة هذا الخطر . ولا شك فى أن فتح هذه الجبهة سيلقى التأييد الشعبى من الجيش البريطانى ومن سكان الأجزاء الجنوبية من انجلترا . وأنا لا أنكر المصاعب التى ستواجهها بريطانيا فى فتح مثل هذه الجبهة ، ولكن بالرغم من هذه المصاعب ، فمن الضرورى فتحها لا لمصلحة قضيتنا المشتركة وحدها ، بل ولمصلحة بريطانيا الخاصة أيضا ، (١) .

وكانت الفرصة مواتية لفتح الجبهة الثانية . فقد دفعت ألمانيا الهتلرية بالشطر الأكبر من قواتها المسلحة الى الاتحاد السوفياتى ، وأصبحت أوروبا الغربية خالية من القوات تقريبا . وكان الجيش البريطانى قد أفاق من نكسته فى دنكرك وتم تسليحه من جديد ، وأصبح كثير العدد . ويعترف تشرشل (٢) بأن الحكومة السوفياتية قد أعربت عن استعدادها لمساعدة بريطانيا فى فتح الجبهة الثانية ، بتزويدها بثلاثة فيالق أو أربعة .

ولكن تشرشل كان يريد أن يرى الاتحاد السوفياتى يضعف ، وتستنزف قواه . وراح يرفض الاقتراحات السوفياتية على الفور .

(١) مراسلات الحرب - المجلد الأول - موسكو - ص ١٢ .

(٢) تشرشل - نفس المصدر - المجلد الثالث - ص ٣٣٩ - ٣٤٠ .

وبالرغم من أنه قال : « انه يبحث بحثا جديا عن الوسائل الفعالة الأخرى لضرب العدو المشترك » . وان بريطانيا ستعمل كل ما فى وسعها من جهد معقول وفعال لمساعدة الاتحاد السوفياتى . الا أن هذه الوعود كانت غامضة ومفتقرة الى التصديق .

وكان رئيس وزراء بريطانيا لا ينفك عن اغداق الاطراء والثناء على الجيش السوفياتى والشعب السوفياتى . وكتب يقول : « هناك اعجاب عام بما يبدیه جنود الاتحاد السوفياتى وشعبه من بسالة وصلابة » (١) ولا شك فى أن هذا القول كان صحيحا ، ولكنه كان يفتقر الى الصدق لصدوره عن تشرشل ، لا سيما وأنه كتب فى مذكراته يقول : « انه كان يحاول سد الفراغ عن طريق المجاملات » (٢) . وقد اتضح ما عناء بتعبير « المجاملات » اذ حاول تفسيره بقوله : « لا يكلفك شيئا ، ان أردت قتل انسان أن تكون كيسا ومهذبا معه » .

وسعت الحكومة السوفياتية بكل ما وسعها من جهد الى التغلب على معارضة بريطانيا ، وراح رئيس وزراء الاتحاد السوفياتى ، يقول فى رسالة بعث بها الى رئيس وزراء بريطانيا فى الثالث من سبتمبر من عام ١٩٤١ : ان الجبهة الثانية ضرورة أساسية ، لاجباط المخطط الألمانى فى الانتصار على أعداء ألمانيا واحدا اثر آخر . وأثار فى هذه الرسالة أيضا موضوع تزويد الاتحاد السوفياتى بالمواد الأولية ذات الأهمية الاستراتيجية والطائرات والدبابات .

ووافقت الحكومة البريطانية على مساعدة الاتحاد السوفياتى ، بالمواد الحربية ، ولم يكن هذا الطراز من المساعدة يضاهى بالطبع مع ما كان يعنيه فتح الجبهة الثانية فى ذلك الوقت . ولكن هذه المساعدات كانت ستخفف الى حد ما من متاعب الاتحاد السوفياتى ، ولكن الحكومة البريطانية أخذت تسوف وتماطل ، محاولة تسوية القضية بالاشتراك مع الولايات المتحدة .

وكانت الحكومة الأمريكية راغبة فى تزويد الاتحاد السوفياتى بالذخائر والأسلحة ، ولكنها أرادت من الاتحاد السوفياتى أن يقبل المساعدات على أساس الشروط التى تضعها هى . وهكذا كان ثمة ابطاء فى تقديم المساعدات من جانب الولايات المتحدة أيضا .

وأوفدت الحكومتان البريطانية والأمريكية ، هارى هوبكنز المستشار

(١) تشرشل - نفس المصدر - المجلد الثالث - ص ٣٤٥ .

(٢) نفس المصدر ص ٥٤٣ .

الموثوق للرئيس روزفلت الى موسكو للبحث مع حكومتها فى شحن المعدات اليه . وقد زوده الرئيس الأمريكى برسالة جاء فيها : « أطلب اليكم أن تولوا المستر هوبكنز كل الثقة التى تولونها لى ، لو أنكم كنتم تتحدثون الى مباشرة » (١) . وكان هوبكنز قد أجرى حديثا خاصا فى لندن مع تشرشل ، وهو فى طريقه الى موسكو التى وصلها فى نهاية شهر يوليو من عام ١٩٤٢ (٢) .

وأعلن هارى هوبكنز عند وصوله الى موسكو أن الحكومتين البريطانية والأمريكية على استعداد لارسال المواد الحربية الى الاتحاد السوفياتى . ولكنه تحفظ فقال : « ان القرارات المتعلقة بمشاكل التمسوين الطويلة الأجل ، لا يمكن صدورها ، الا اذا عرفت الولايات المتحدة معرفة تامة حقيقة الوضع الحربى فى روسيا وطراز أسلحتها الحربية واعدادها ونوعيتها ، وعرفت أيضا ما لديها من المواد الخام والطاقات الصناعية » (٣) .

ويتضح من هذا أن الحكومة الأمريكية اشترطت لتقديم التموينات الحربية للاتحاد السوفياتى أن تتلقى معلومات كاملة عن الوضع الحربى فى الجبهة السوفياتية وعن طاقات الاتحاد السوفياتى الحربية . وهكذا ظلت القضية معلقة .

ومع ذلك فقد وقع تحول واضح نحو الأفضل فى العلاقات السوفياتية - الأمريكية . فقد تبادلت الحكومتان فى الثانى من أغسطس من عام ١٩٤١ . المذكرات حول المعونة الاقتصادية الأمريكية للاتحاد السوفياتى . وذكرت الحكومة السوفياتية أن كم التموينات الحربية وسرعة تسليمها يجب أن « يتقرا على ضوء ضخامة العمليات العسكرية التى يشتبك فيها الاتحاد السوفياتى ، وضوء المقاومة المسلحة التى يبديها للمعندين » (٤) .

ولكن بالرغم من جميع هذه الوعود ، فان الحكومتين الأمريكية والبريطانية تفعلا الا القليل لمساعدة الاتحاد السوفياتى فى شهر العصيبة والقيلية والأولى من الحرب . وحتى فى السنوات التالية من الحرب ، لم تكن المساعدات البريطانية والأمريكية للاتحاد السوفياتى

(١) شيروود فى كتابه « روزفلت وهوبكنز » ص ٣٢٢ .

(٢) اش . وای . مورتون فى كتابه « اجماع الاطلسى » - ميثوين وشركاه - لندن ١٩٤٣ . ص ١١ .

(٣) شيروود - نفس المصدر ص ٣٤١ .

(٤) السياسة الخارجية السوفياتية - المجلد الأول . ص ٨٤ .

متعادلة ولو الى حد قليل مع المساعدة التي كان الاتحاد السوفياتي يقدمها اليهما عن طريق اشغال الشطر الأكبر من قوات ألمانيا الفاشية . وكانت الجبهة الألمانية - السوفياتية المسرح الرئيسي للعمليات طيلة الحرب العالمية الثانية .

وأقامت الحكومة السوفياتية بعد بضعة أسابيع من الغزو الألماني علاقات دبلوماسية مع حكومات تشيكوسلوفاكيا وبولندا وبلجيكا والنرويج اللاجئة الى لندن . وعبرت هذه الخطوة عن تصميم الاتحاد السوفياتي على اعادة السيادة للبلاد التي احتلتها ألمانيا ، ورغبة الشعب السوفياتي في دعم حركات التحرر في البلاد الأوروبية المحتلة . وكانت السياسة السوفياتية في هذا الصدد أيضا ، تختلف اختلافا جذريا عن سياسة بريطانيا وأمريكا اللتين واصلتا اعتبار الدول الأوروبية الصغيرة عملة صالحة للتداول في اللعبة الامبريالية .

وكانت الحكومتان البريطانية والأمريكية لا تقران ولمدة طويلة ، باعادة الوضع الدولي لتشيكوسلوفاكيا ، وكانتا تصران على أن اغتصاب ألمانيا الهتلرية لها كان عملا مشروعا . ولم تكن بريطانيا التي وقعت على اتفاق مونيخ رغبة في أن تسرع في الغاء هذا الاتفاق . ورفضت الحكومة البريطانية في البداية السماح للدكتور بنيش بتأليف حكومة لتشيكوسلوفاكيا في الخارج بالرغم من ميوله البريطانية ، وظلت ترفض الاعتراف بالحكومة التشيكية حتى بعد تأليفها في التاسع من يوليو من عام ١٩٤٠ . وعندما وجدت نفسها مضطرة في النهاية الى الاعتراف بهذه الحكومة ، قدمت لها اعترافا مشروطا بأنها حكومة مؤقتة ، وأنها لا تستطيع أن تلزم نفسها مسبقا بدعم أية حدود قد توضع في المستقبل لدول أواسط أوروبا . وكان واضحا من هذا الاشتراط ، أن بريطانيا كانت رغبة في ترك موضوع اتفاق مونيخ معلقا ، وألا تلزم نفسها باعادة الحدود التشيكوسلوفاكية الى ما كانت عليه قبل هذا الاتفاق .

وعندما تقدمت الحكومة السوفياتية الى الحكومة التشيكوسلوفاكية بعرضها المتضمن الاعتراف الرسمي بها ، قررت الحكومة البريطانية أن تخطو خطوة جديدة ، وأن تعلن اعترافها بالامشروط بهذه الحكومة . وقد هدفت بريطانيا بهذه الخطوة ، الى التقليل من الاثر الضخم الذي كان لابد للموقف السوفياتي من أن يخلقه على الشعب التشيكوسلوفاكي . وبينما كانت الحكومة البريطانية تفكر في التحفظات التي ستضمنها اعترافها هذا ، كان الاتحاد السوفياتي ، يوقع اتفاقا مع تشيكوسلوفاكيا في الثامن عشر من يوليو من عام ١٩٤٢ .

ولم تمض ساعات على هذا الاتفاق ، حتى كان أنطوني ايدن يسلم رسالة الى جان مازاريك ، وزير خارجية حكومة تشيكوسلوفاكيا الالاجئة يعلن فيها اعتراف حكومته بها اعترافا شرعيا . وبالرغم من أن موقف الاتحاد السوفياتى هو الذى أرغمها على اصدار هذا الاعلان . فانها ، أى الحكومة البريطانية ، أكدت من جديد ، أن وجهة نظرها تجاه قضايا الحدود لم تتغير (١) . ولا شك فى أن هذا يعنى أن الطبقة الحاكمة فى بريطانيا ظلت مخلصه لصفقة مونيخ . وعندما أقرت بريطانيا أخيرا فى الخامس من أغسطس من عام ١٩٤٢ . أن سلوك ألمانيا قد أدى الى انتهاك اتفاق مونيخ ، راح أنطوني ايدن يضمن مذكراته فى هذا الصدد القول ان الحدود التشيكية لن تقرر الا فى نهاية الحرب . وهكذا رفضت الحكومة البريطانية من جديد الاعتراف بحدود تشيكوسلوفاكيا السابقة لصفقة مونيخ .

وكان موقف بريطانيا يختلف اختلافا جذريا مع وجهة النظر السوفياتية . واعترف بنيش بأن السياسة السوفياتية كانت ثابتة دائما ، وأنها لم تتوان مطلقا عن دعم المصالح القومية الأساسية للشعب التشيكوسلوفاكى وراح يكتب فى مذكراته ويقول : «وجه الاتحاد السوفياتى الذى عارض باصرار منذ البداية اتفاق مونيخ وأحداث الخامس عشر من مارس من عام ١٩٣٩ (اغتصاب الألمان لتشيكوسلوفاكيا) ، ضربة قاضية فى هذه الساعة الخطيرة لذلك الاتفاق وجميع نتائجه وآثاره ، عن طريق اعترافه بجمهورية تشيكوسلوفاكيا على النحو الذى كانت فيه قبل مونيخ ، دون أية تحفظات أو شروط .

ونص الاتفاق السوفياتى - التشيكوسلوفاكى الذى تم التوقيع عليه فى الثامن عشر من يوليو من عام ١٩٤١ ، على العون والمساعدة المتبادلين فى الحرب ضد ألمانيا الهتلرية ، وعلى اقامة وحدات عسكرية تشيكوسلوفاكية على الأرض السوفياتية .

وبدأت المفاوضات فى الخامس من يوليو من عام ١٩٤١ ، بين الاتحاد السوفياتى وبين الحكومة البولندية المهجرة الى لندن ، وكانت صيغة المعاهدة مناسبة لعواطف الشعب البولندى ، فقد راحت هذه الحكومة تصوغ كلماتها لتتفق مع عواطف الشعب ، فتستنكر النظام السياسى الذى كان قائما قبل شهر سبتمبر ، وترفع الشعارات الديمقراطية ، وتحاول عن طريقها الاحتفاظ بالسيطرة السياسية للطبقة البورجوازية داخل

(١) ار . اش . بروس لوكهارت فى كتابه « جاء يوم الحساب » الكتاب الثانى - لندن -
يونان ١٩٤٧ . ص ١١٩ - ١٢٠ .

البلاد . وقد أخفت هذه التعمية الديمقراطية وشعارات النضال ضد الاحتلال ، النوايا الحقيقية لحكومة سيكورسكى ، ولكن هذه الطبيعة الحقيقية ما لبثت أن اتضحت . عندما راحت هذه الحكومة تطالب بدعم من بريطانيا وأوكرانيا الغربية ، وبغربي روسيا البيضاء . وراحت حكومة المهاجرين البولنديين الرجعية ، تحديا منها للمصالح الوطنية للشعب البولندى الذى كان يثن تحت نير الاحتلال النازى ، تعارض عقد اتفاق بولندى - سوفياتى . وتم التوقيع على المعاهدة أخيرا فى الثلاثين من يوليو من عام ١٩٤١ ، وان تركت مسألة الحدود معلقة الى موعد لاحق . ونصت ديباجة الاتفاق على ما يلى :

« تقرر حكومة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية بأن المعاهدة السوفياتية - الألمانية لعام ١٩٣٩ ، حول التبدلات الإقليمية فى بولنده قد فقدت مفعولها . وتعلن الحكومة البولندية أنها ليست ملزمة بأى اتفاق مع أى فريق آخر ، قد يكون موجها ضد اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية » (١) .

ونصت البنود المتبقية من الاتفاق على العون المتبادل فى الحرب ضد ألمانيا ، وفى إقامة جيش بولندى على الأرض السوفياتية . وتطورت العلاقات بين الشعبين السوفياتى والبولندى ، تطورا حسنا اذ أنهما كانا يخوضان صراعا مشتركا ضد العدو المشترك . ومع ذلك فقد تحدثت حكومة بولندا اللاجئة الى لندن ، ارادة شعبها ، وتنكرت لاتفاقها مع الاتحاد السوفياتى ، فقد كانت لها مصالحها الأنانية ومخططاتها الامبريالية ، ولذا ظلت تشترك فى الدسائس ضد الاتحاد السوفياتى . وكانت الجماعات الرجعية التى أيدت فى السابق خطط الكولونيل بيك وزير خارجية بولنده المعادية للاتحاد السوفياتى هى التى تضع الآن سياسة الحكومة البولندية اللاجئة الى لندن . وأخذت هذه الحكومة تعمل ضد المصالح الحقيقية للشعب البولندى فى مختلف النواحي ، وتشن حملة تطالب فيها بالملكية التفليدية لأراضى أوكرانيا وروسيا البيضاء ، فى نفس الوقت الذى كان فيه الاتحاد السوفياتى يبذل كل ما لديه من جهد لوقف زحف العدو .

وتسع هذا الموقف العدائى لحكومة الجنرال سيكورسكى بتعيين الجنرال اندرس ، المعروف بنواياه السيئة تجاه الاتحاد السوفياتى ، قائدا

(١) السياسة الخارجية السوفياتية - نفس المصدر . المجلد الأول ص ٨١ .

للجيش البولندي في الاتحاد السوفياتي . وبينما كان الجنرال يلقي كل عون مادي من الشعب السوفياتي في تأليف وحدات جيشه . كان هذا ، لا يأبه كثيرا بمحاربة الألمان ، وإنما يركز اهتمامه على استخدام قواته في تحقيق أهدافه الانتهازية المغامرة . وكان تأليف الجيش البولندي يتم في أواسط نهر الفولجا . ولقد تحدث اندرس الى بطانته قائلا : « سرني اختيار هذا المكان ، لأن المنطقة بعيدة بعدا كافيا عن الجبهة ، بحيث لا تعرقل العمليات الحربية تدريب قواتنا . وعندما ينهار الجيش الأحمر تحت وطأة الهجوم الألماني الذي لا بد من حدوثه في غضون بضعة شهور ، فسنشق طريقنا على سواحل بحر قزوين الى ايران ، حيث يكون في استطاعتنا أن نفعل ما نشاء ، بوصفنا القوة المسلحة الوحيدة في المنطقة » .

وتبادلت الحكومة السوفياتية في السابع والعشرين من سبتمبر من عام ١٩٤١ ، المذكرات مع لجنة التحرر الوطني الفرنسية . وكان الاتحاد السوفياتي سباقا لكل من بريطانيا والولايات المتحدة في الاعراب عن استعدادة « لتقديم كل مساعدة وعون ممكنين للفرنسيين الأحرار في الصراع المشترك ضد ألمانيا الهتلرية وحليفاتها » (١) .

وتعهد الاتحاد السوفياتي بأن يضمن « استعادة فرنسا الكاملة لاستقلالها وعظمتها » . بعد تحقيق النصر المشترك على العدو الواحد ، (٢) وكان هذا هو الاعتراف الأول الصادق بحركة الفرنسيين الأحرار ، وممثلا للحلف ضد الفاشيين .

وهكذا عمل الاتحاد السوفيا بدعمه جهود الشعب لاقامة تحالف مناهض للفاشية ، على توسيع علاقاته الخارجية ، وتعزيز مركزه الدولي . وكان هذا الثمرة الطبيعية للنضال الذي خاضه الاتحاد السوفياتي سنوات طويلة لحشد القوى التقدمية كلها في الكفاح المشترك ضد الفاشية .

- ٥ -

وكانت ايران قد احتلت الآن مكانة استراتيجية مهمة للغاية في الكفاح ضد الفاشية ، وفي موضوع التعاون بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وبريطانيا . وكانت خطوط المواصلات الحيوية تعبر تلك البلاد الشرقية التي تملك أيضا المواد الاستراتيجية المهمة كالزيت ، بالإضافة الى جوارها للمناطق المهمة في المؤخرة السوفياتية .

(١) السياسة الخارجية السوفياتية - المجلد الأول ص ٩٩ .

(٢) نفس المصدر .

وكانت ألمانيا الهتلرية قد أقامت علاقات وثيقة للغاية مع الجهات الحاكمة في إيران ، واحتفظت بشبكة واسعة من العملاء في تلك البلاد . وأخذت بعد نشوب الحرب تشحن المواد الأولية والأغذية من إيران الى ألمانيا . وكان النازيون يعتبرون إيران منطقة تجمع جديدة في حربهم ضد الاتحاد السوفياتي . وأصبحت إيران تمثل خطرا بالغاً على المصالح السوفياتية ومصالح بريطانيا وبقية الدول المشتركة في الحلف ضد هتلر . وراحت الحكومة السوفياتية تحذر إيران ثلاث مرات أى في السادس والعشرين من يونيو والتاسع عشر من يوليو والسادس عشر من أغسطس من النتائج المحتملة لسياستها . ولكن الحكومة الإيرانية تجاهلت النصيحة السوفياتية .

وبعثت الحكومة السوفياتية في الخامس والعشرين من أغسطس . بمذكرة جديدة الى إيران ، سردت فيها الحقائق التاريخية للعلاقات السوفياتية - الإيرانية التي تمثل موقف الاتحاد السوفياتي الودي منها . وراحت الحكومة السوفياتية تذكر إيران بمذكراتها السالفة الثلاث ، التي تجاهلتها الحكومة الإيرانية . وأضافت المذكرة أن العملاء الألمان في إيران « يتنكرون لالتزاماتهم الأولية باحترام سيادة إيران ، ويحولون أراضيها الى مسرح للعمليات للقيام بهجوم مسلح على الاتحاد السوفياتي » . وبينت المذكرة السوفياتية انه نظرا لخطورة الوضع وما ينطوي عليه من أخطار فان الحكومة السوفياتية تجد أن من حقها ، بل أنها ملزمة بموجب المادة السادسة من المعاهدة السوفياتية - الإيرانية لعام ١٩٢١ ، بالعمل ، دفاعاً عن نفسها ، وكان بين الاجراءات الدفاعية التي اتخذتها ، دخول القوات السوفياتية الى أراضي إيران في السادس والعشرين من أغسطس من عام ١٩٤١ .

ودخلت القوات البريطانية في الوقت نفسه القطاع الجنوبي من إيران . وتم الاجراء الإيراني بالاشتراك بين الحكومتين السوفياتية والبريطانية . ولكن ما كان يفكر فيه الحكام البريطانيون هو تعزيز مراكزهم في الشرق الأوسط ، واستغلال الوضع الخطير في الجبهة الألمانية - السوفياتية ، لاقتناع السوفيات بسحب قواتهم من إيران ، ليسيطر عليها البريطانيون وحدهم .

وتم تنظيم العلاقات بين بريطانيا والاتحاد السوفياتي من ناحية وإيران من الناحية الأخرى ، في معاهدة ثلاثية تم التوقيع عليها في التاسع والعشرين من يناير من عام ١٩٤٢ . وتعهدت فيها بريطانيا والاتحاد

انسوفيائى ، باحترام استقلال ايران السياسى وسيادتها وسلامة اراضيها ، وبالدفاع عنها ضد العدوان ، وبالانسحاب من اراضيها فى وقت لا يتعدى انقضاء ستة أشهر على توقف العمليات الحربية بين دول الحلفاء ، وألمانيا وحليفاتها . وتعهدت ايران من جانبها بالتعاون مع دول الحلفاء ، ومنحها الحق المطلق فى استعمال جميع طرق مواصلاتها وحمايتها والمحافظة عليها ، وبمساعدة هذه الدول فى الحصول على المؤن وتجنيد اليد العاملة .

وترك دخول القوات البريطانية والسوفيائيه الى ايران ، وتوقيع المعاهدة الثلاثية أثرا دوليا ضخما . فقد تقلمت أظافر عملاء هتلر فى ايران ، وزال الخطر الجديد الذى يهدد بالحرب فى الشرق الأوسط . وانضمت ايران الى جبهة النضال ضد الفاشية عن طريق اسهامها فى تقديم التسهيلات الى الحلفاء . وأظهر العمل الانجليزى - السوفيائى ، الذى مثل أول عمل مشترك بين هاتين الدولتين ، أن فكرة التحالف ضد الفاشية فكرة عملية .

وكان الاتحاد السوفيائى اخلاصا منه لالتزاماته الدولية حريصا كل الحرص على الوفاء ببنود المعاهدة الايرانية ، وقد أعان ايران كل الاعانه ولا سيما من ناحية تزويدها بالمواد الغذائية .

وقيد الامبرياليون الأمريكان ايران بمعاهدة لا متكافئة ، منحت البعثة الاقتصادية الأمريكية الخاصة التى يرأسها الدكتور ميلزبو ، ممثل الاحتكارات الأمريكية ، امتيازات اقتصادية لا محدودة تقريبا . وعين ميلزبو فى عام ١٩٤٣ مديرا للشئون المالية فى ايران . وتولت الولايات المتحدة الاشراف على اقتصاد البلاد ، وشئونها المالية وجهاز الحكم فىا ، هادفة الى تحويل ايران الى شبه مستعمرة أمريكية . ولكن المعارضة الشعبية تمكنت فى فبراير من عام ١٩٤٥ ، من اخراج بعثة ميلزبو من البلاد .

ومع ذلك فقد استمرت اللهفة على السيطرة على موارد ايران الاقتصادية . وتمكنت الولايات المتحدة بعد طرد النفوذ البريطانى من السيطرة على شطر مهم من انتاج الزيت فى ايران .

- ٦ -

وعبأت الاهداف المتوازنة للحرب الوطنية العظمى جميع الامم المحبة للسلام فى العالم ، وراء الاتحاد السوفيائى ، الذى مثل دور

الحرب العالمية الثانية - ١٩٣

القوة الرئيسية الضاربة للتحالف المعادي للهيترية تمثيلا صادقا، والذي دلت عليه الجهود التي بذلها . وراحت الجماهير تطالب الآن بقيام تحالف فعال بين حكومتى بريطانيا والولايات المتحدة من ناحية وبين الاتحاد السوفياتى من الناحية الأخرى .

وقرر البريطانيون والأمريكان بحث الأوضاع السياسية والعسكرية والوصول الى خطة عمل مشتركة . وكان من الأفضل أن تتم مناقشة هذه القضايا بصورة مشتركة بين الدول الثلاث . ولكن الحكومتين البريطانية والأمريكية آثرتا عقد مؤتمرات متفرقة وثنائية .

وعقد مؤتمر انجليزى - أمريكى فى ظل ستار كثيف من السرية على ظهر بارجة حربية عند قاعدة أرجنتيا البحرية فى نيوفونلند . وقد عالج المؤتمر ثلاث قضايا ، وهى الوضع فى المحيط الهادى ، وطرق مساعدة الاتحاد السوفياتى ووسائل هذه المساعدة ، وأهداف الحرب لكل من بريطانيا والولايات المتحدة .

واتفقت الدولتان بالنسبة الى موضوع المحيط الهادى ، أن تقوما . . بعمل متواز فى تحذير اليابان من أية حركات عدوانية جديدة (١) وكان هدف الولايات المتحدة من ذلك . حل تناقضاتها مع اليابان على حساب الاتحاد السوفياتى والصين .

ونقل هارى هوبكنز الى المؤتمرين نتائج رحلته الى موسكو فتقرر إرسال المعدات الحربية الى الاتحاد السوفياتى .

وبعث الرئيس الأمريكى ورئيس وزراء بريطانيا فى الخامس عشر من أغسطس من عام ١٩٤١ ، برسالة مشتركة الى رئيس الحكومة السوفياتية يقترحان فيها عقد مؤتمر فى موسكو للبحث فى موضوع الشنات المتبادلة من المواد الأولية والتموينات الحربية . ووافقت الحكومة السوفياتية على عقد الاجتماع .

وظلت الحكومتان البريطانية والأمريكية صامتين أكثر من سنتين منذ نشوب الحرب بالنسبة الى أهدافها . ولم يكن فى وسع الجماعات الاحتكارية الحاكمة فى هذين البلدين أن تتحدث الى الشعوب عن أهدافها الامبريالية ، ولذا فلم تكن فى عجلة من أمرها لاصدار أية بيانات عامة خشية أن تلزمها هذه البيانات بقيود لا تريدها . ولكن لم يعد فى

(١) « الحرب والسلام - سياسة الولايات المتحدة الخارجية ١٩٣٩ - ١٩٤١ » - وزارة الخارجية الأمريكية - واشنطن ١٩٤٣ - ص ١٢٩ .

وسعها بعد أن أعلن الاتحاد السوفياتي أهدافه التحررية العظمى أن تظل صامته مدة أطول .

وحسرت المناقشات الانجليزية - الأمريكية حول الأهداف الحربية النقاب عن وجود تناقضات امبريالية حادة بين الدولتين . فقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية راغبة في وضع نصوص تضمن للرأسمال الأمريكي ، المجال الحر للعمل في الممتلكات البريطانية . وكانت تأمل في أن تؤدي هذه النصوص في النهاية الى إعادة تقسيم الامبراطورية البريطانية . ولكن تشرشل عارض هذه الاقتراحات وقال : ان «بريطانيا لا تنوى أن تفقد ولو للحظة واحدة مركزها الممتاز في ممتلكات التاج البريطاني ، (١) وتم حل المشكلة عن الطريق تسوية تنطوي على التوفيق . وتضمن الاعلان الانجليزي - الأمريكي عن أهداف الحلفاء الحربية ، المطالب التوسعية الأمريكية السابقة عن « حرية البحار » « والفرص المتكافئة » ، وما اشبه ذلك ، وقد غطيت على أي حال ستار الاقتراحات السابقة وغطيت مصالح الامبرياليين البريطانيين تحت ستار التحفظ باحترام « الالتزامات القائمة » التي تعنى الابقاء على حقوق بريطانيا في امبراطوريتها سليمة لا تمس .

وتم التوقيع على الاعلان الانجليزي - الأمريكي الذي أسمى « بشرعة الأطلسي » في الرابع عشر من أغسطس من عام ١٩٤١ . وقد أرغم التيار الجارف لحركة التحرر العالمي الحكومتين البريطانية والأمريكية على اصدار وعود ديمقراطية لم يكن في نيتهما احترامها على الإطلاق ، وانما كان هدفها اخفاء الأهداف الامبريالية .

وقد أعلنت « شرعة الأطلسي » أن الحكومتين البريطانية والأمريكية لا تنشدان أي توسع اقليمي . وأنهما ترغبان في ألا تريا أية تبدلات اقليمية لا تتفق مع رغبات الشعوب المعنية المعبر عنها بحرية ، وأنهما تحترمان حق الشعوب كلها في احترام شكل الحكم الذي ترغب في العيش في ظله ، وأنهما ستحاولان الاستزادة من الفرص المتكافئة في حرية التجارة ، وهلم جرا ... لكن الصياغة التي وضع فيها كل مبدأ من هذه المبادئ ، ترك مجالا واسعا للمناورة .

فقد نص المبدأ الثالث من الميثاق مثلا على تعهد في منتهى الأهمية، وهو تسهيل استعادة الأمم كلها لحقوقها السيادية وحكمها الذاتي .

(١) ايليوت روزفلت - « كما رآها » نيويورك ١٩٤٦ ، ص ٣٦ .

ولكن هذا المبدأ نص على أى حال ، على أن تنحصر هذه الاستعادة في الدول التي كانت قد حرمت فقط ، وعن طريق العوة ، هذه الحقوق . وتعرض هذا التحفظ فيما بعد لمزيد من التمدد . فقد عرفت الولايات المتحدة وبريطانيا أعمال الحرمان ، بالأعمال العدوانية التي قامت بها الدلر الفاشية ، مما أدى الى استثناء شعوب المستعمرات في هذا النص . وكان هذا على الأقل ، هو التفسير الذى قدمه ونستون تشرشل لهذا المبدأ عند عودته في البرلمان ، فقد أعلن في الجلسة التي عقدها البرلمان البريطانى في التاسع من سبتمبر من عام ١٩٤١ ، « اننا كنا نفكر قبل كل شيء في اجتماع الأطلسي في إعادة السيادة والحكم الذاتى والحياة القومية للدول والأمم الأوروبية التي ترزح الآن تحت نير الحكم النازي » (١) .

وراح المستر تشرشل يوضح فيما بعد هذه النقطة . إذ قال : « يجب على أن أوضح لكم نقطة في منتهى الأهمية ، خشية أن يكون ثمة أى لبس أو غموض في أى مكان . فانا لم أصبح الوزير الأول للملك لأشرف على عملية تصفية الامبراطورية البريطانية » (٢) .

ولم تشر شرعة الأطلسي بعبارة واحدة على الإطلاق الى الحاجة . الى تعبئة جميع القوى في النضال ضد العدو .

وأعلنت الحكومة السوفياتية في الرابع والعشرين في سبتمبر من عام ١٩٤١ ، تعليقا على المبادئ الديمقراطية التي تضمنتها شرعة الأطلسي ، انها تقر ماجاء فيها من مبادئ أساسية ، وان كانت تعتبر تطبيقها العملى ملزما «بتكييف نفسه مع الظروف والمتطلبات والخصائص التاريخية لبعض البلاد» . وأكد البيان السوفياتى الحاجة الى «تخطيم العدوان الهتلري ، والقضاء على النير النازي لتحقيق التحرر السريع لجميع الشعوب التي تئن في ظل طغيان الوحوش النازيين » (٣) .

وتقدم الاتحاد السوفياتى ببرنامج لتأليف الحلف المعادى للفاشية . وانطوت المبادئ الأساسية للبرنامج على ازالة التفردية العنصرية ، والمساواة بين الأمم ، والحفاظ على سلامتها الإقليمية ، وتحرير الشعوب المستعبدة ، واسعادة حقوقها السيادية المغتصبة ، وحق كل شعب في تنظيم حياته على النحو الذى يراه ، وتقديم المعونة

(١) عدد التايمز في ١٠ سبتمبر ١٩٤١ .

(٢) عدد التايمز في ١١ نوفمبر ١٩٤٢ .

(٣) السياسة الخارجية السوفياتية - المجلد الأول - ص ٩٨ .

الاقتصادية للشعوب من ضحايا العدوان، وإعادة الحريات الديمقراطية، وتحطيم النظام الهتلري .

وتبرز قوة هذا البرنامج وأهميته في تفوقه المعنوي ، وفي قوة الاتحاد السوفياتي بوصفه العضو المهم في التحالف ضد الهتلرية . وأعرب البرنامج عن المصالح والتطلعات الأساسية للقطاع التقدمي في الجنس البشري ، ولذا فقد حظي بتأييد جميع الشعوب المحبة للحرية .

وأدى مؤتمر موسكو لذي عقد بين التاسع والعشرين من سبتمبر والاول من أكتوبر من عام ١٩٤١ ، باشتراك الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وبريطانيا الى اقامة التحالف المعادي للفاشية . ومثل افريل هاريمان المالى الأمريكى المعروف الولايات المتحدة في هذا المؤتمر، بينما تمثلت بريطانيا في شخص اللورد بيغزبروك ملك الصحافة الرجعية الانجليزية .

وطلبت الولايات المتحدة من الاتحاد السوفياتي في هذا المؤتمر منحها بعض القواعد الجوية وغيرها في سيبيريا (١) . وأظهر الأمريكيون اهتماما لا ضرورة له بمصير أسطول بحر البلطيق ، وطلبوا من الاتحاد السوفياتي اغراقه (٢) . وأخيرا وليس آخرا حاول الممثلان البريطاني والأمريكي إثارة موضوع الشروط « الخاصة » التي ستقدم « المعونة » بموجبها الى الاتحاد السوفياتي .

وواجهت هذه المحاولات التي تناقضت مع مبادئ الحلف المناهض للفاشية معارضة صلبة من الاتحاد السوفياتي . فقد اعتبر الاتحاد السوفياتي شحنات التموين شكلا من أشكال التعاون الاقتصادي المتبادل بين أعضاء الحلف المناوئ للفاشية . وانتصرت وجهة نظره في النهاية .

وتم حل القضايا المحددة ، بعد جهد بالغ . وكان تشرشل قد

(١) شيرود - « روزفلت وهوبكنز » . ص ٣٨٦ .

(٢) قدم السفير البريطاني في موسكو في الثاني عشر من سبتمبر من عام ١٩٤١ . المذكرة التالية الى الحكومة السوفياتية : « اذا وجدت الحكومة السوفياتية نفسها مضطرة الى تدمير قطمها البحرية المراقبة في ليننجراد ، لمنع وقوعها في أيدي العدو ، فن حكومة جلالته تقر بعد الحرب ، بأية طلبات تقدمها الحكومة السوفياتية للحصول على تعويضات معينة من حكومة جلالته ، عن هذه القطع البحرية المدمرة » . مراسلات الحرب - المجلد الأول . ص ٢٤ .

خول وفده البريطاني الوعد بشحنات صغيرة ليس الا للاتحاد السوفياتي على أن ترسل في نهاية عام ١٩٤٢ . ونصت تعليماته لوفده على « أن مهمته لن تكون في تقديم المعونة في وضع الخطط لمساعدة روسيا فحسب ، بل وفي التأكد من أننا لن نفرط في العملية ، ولو حدث ووجد الوفد نفسه متأثرا بالجو السوفياتي ، فان موقفى هنا سيكون صلبا للغاية » (١) .

وهكذا ، أجريت التحفيضات في الطلبات السوفياتية بالرغم من تواضعها الشديد اذا قورنت بموارد بريطانيا والولايات المتحدة الضخمة . فلقد طلب الاتحاد السوفياتي على سبيل المثال ثلاثين ألف طن من الألومنيوم ، على أن تشحن له قبل أول أكتوبر من عام ١٩٤١ ، ولكنه وعد بخمسة آلاف طن ليس الا « عندما تستكمل الاجراءات اللازمة للشحن ، وبألفى طن في الشهر الواحد بعد ذلك » . وحاول الوفدان البريطاني والأمريكي قبل تقديم هذا الوعد أن يجعلوا عملية الشحن مشروطة بتقديم الاتحاد السوفياتي المعلومات السرية الواسعة التي يريدانها .

ولكن الولايات المتحدة وبريطانيا كانتا مع ذلك راغبتين في أن يدفعوا الاتحاد السوفياتي الى مقاومة ألمانيا الهتلرية ، ولذا تخلتا عن مطالبهما التي لا مبرر لها وتوصلتا الى تفاهم مع الاتحاد السوفياتي حول الشحنات المتبادلة للسنة التالية . وتمت تسوية مشاكل النقل أيضا . ووقعت الوثائق المتعلقة بهذه الاتفاقات في الأول من أكتوبر من عام ١٩٤١ ، أى قبل المؤتمر .

وابلغت الحكومة الأمريكية الاتحاد السوفياتي في الثاني من نوفمبر من عام ١٩٤١ ، انها قررت تمديد قانون الاعارة والتأجير بحيث يشمل الاتحاد السوفياتي ، وعرضت عليه اعتمادا أريا بألف مليون دولار

وقام الاتحاد السوفياتي بالرغم من أوضاعه العسكرية والاقتصادية العصيبة بشحن المواد الأولية الى بريطانيا والولايات المتحدة مما ساعدهما في زيادة انتاجهما الحربى . أما الحكومتان البريطانية والأمريكية فلم تنفذا الاتفاقات تماما طبقا للبرنامج المقرر . وأوضح تقرير رسمى أمريكى . أن ثمانين فى المائة فقط من الشحنات تم ارسالها الى الاتحاد السوفياتي في الفترة الأولى التي نصت عليها الاتفاقات (٢) . واعترف

(١) تشرشل - نفس المصدر - المجلد الثالث - ص ٤١٠ ، ٤١١ .

(٢) ادوارد ستيسوس - « سلاح الاعارة والتأجير لتحقيق النصر - نيويورك دار مكيلان

للنشر ١٩٤٤ - ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

كثيرون من الموظفين البريطانيين والأمريكان بأن شحن التموينات الحربية من بلاديهما الى الاتحاد السوفياتى فى عامى ١٩٤١ - ١٩٤٢ ، كان يسير ببطء يثير اليأس والذهول (١) .

وقال المؤرخان الأمريكان لانجر وجليسون : أن « الشحنات الأمريكية الى روسيا السوفياتية ظلت تافهة للغاية ... ولم تتجاوز قيمتها فى المدة التى انتهت فى الأول من اكتوبر اكثر من تسعة وعشرين مليون دولار » . واعترف المؤرخان انه لم يكن فى وسع الولايات المتحدة على ضوء هذا المقياس ، أن تسهم اسهاما ملحوظا فى الدفاع عن الاتحاد السوفياتى ، او فى تحقيق النصر فى الجبهة الشرقية « (٢) » .

ولكن بالرغم من تافهة هذه الشحنات الانجلو - أمريكية ، فقد كان الاتحاد السوفياتى فى حاجة ماسة اليها . اذ انه كان يستنفد جميع موارده فى حربه ضد المانيا .

ومع هذا فقد حل مؤتمر موسكو جميع القضايا التى كانت مطروحة على جدول أعماله ، وظهر ان التعاون بين الدول الاعضاء فى الحلف المعادى للفاشية ممكن وعملى . وهكذا فشل مخطط هتلر فى ضرب أعدائه واحدا اثر آخر .

وقامت الحكومة السوفياتية بعد انتهاء المؤتمر ، بمبادرة فى منتهى الأهمية . فقد اقترحت على الحكومة البريطانية فى الثامن من نوفمبر من عام ١٩٤١ ، توضيح العلاقات المتبادلة بين البلدين ، والوصول الى تفاهم حول أهداف الحرب ، وتنظيم عهد السلام الذى يلي الحرب . واقترحت الحكومة السوفياتية ايضا عقد معاهدة للمساعدة العسكرية المتبادلة فى أوربا . وبينت الحكومة السوفياتية فى مذكرتها أيضا أن المبررات التى تقدمها بريطانيا لتجنب اعلان الحرب على بعض الدول التابعة لألمانيا ، كفنلده والمجر ورومانيا خاطئة .

وهكذا فى الوقت الذى كان الاتحاد السوفياتى يسعى فيه صادقا ومخلصا لتنمية العلاقات بين الحلفاء وتوطيدها ، كانت الجماعات الحاكمة فى الولايات المتحدة وبريطانيا ، ترفض التخلي عن سياستها ذات الوجهين ، والتى اتبعتها فى الفترة التى سبقت الحرب فقد واصلت السرية للوصول الى حلف جديد مع هتلر .

(١) جون دين فى كتاب « الحلف الغريب - قصة جهودنا للتعاون أثناء الحرب مع روسيا » -

نيويورك ١٩٥٠ ص ٨٩ .

(٢) لانجر وجليسون « الحرب غير المعلنة » ص ٥٦٠ .

وبينما كان اللورد بيفربروك فى طريقه الى موسكو لحضور مؤتمرها . كان ولده ايتكين بيفربروك ، الضابط فى الجيش البريطانى ، والذى أصبح فيما بعد نائبا فى مجلس العموم يتفاوض سرا فى لشبونة بالنيابة عن الحكومة البريطانية فى الثالث عشر من سبتمبر من عام ١٩٤١ مع جوستاف فون كوفر ، الفاشى المجرى نيابة عن الحكومة المجرية . وقد بحث بيفر بروك وكوفر فى احتمال عقد صلح منفرد بين بريطانيا وألمانيا الهتلرية . (١)

ولكن التناقضات الامبريالية التى كانت قد تارت بين بريطانيا وألمانيا ، كانت لا تزال قائمة . وادى التطور المنطقى والحتمى للأحداث الى مزيد من التطور فى العلاقات الحليفة بين الاتحاد السوفياتى وبريطانيا والولايات المتحدة . واخذ التحالف المعادى لهتلر والذى يضم الدول والحكومات يتحول ببطء الى واقع فى الشئون السياسية والعسكرية الدولية .

- ٧ -

كانت هناك مجموعة من الدول المعتدية تراسها ألمانيا الهتلرية تقاوم الحلف الحر المعادى للفاشية . وقد نبتت هذه الكتلة على تربة امبريالية صافية ، ومثلت حلفا للفاتحين الذين يحفزهم تلهف مشترك على النهب والعدوان . وكان الضغط المباشر الذى تفرضه ألمانيا على حليفاتها فى أوروبا عاملا بارزا فى العلاقات التى سادت هذا الارتباط العدوانى .

وكانت ألمانيا عندما شرعت فى هجومها الفادر على الاتحاد السوفياتى ، قد أصبحت مهيمنة على عدد من الدول الأوروبية . وكانت القوات الألمانية ترابط فى هذه الدول ، وكان رجال الجستابو ، والحرس النازى ، يحكمون هذه البلاد بقبضة من حديد ، اذ لم تكن هذه الدول الحليفة لهتلر ، تحتفظ بأكثر من صورة زائفة من صور الاستقلال . ولقد كانت الكلمة الأخيرة دائما للسلطات الألمانية .

ولا شك فى أن العون العسكرى الذى تلقته الامبريالية الألمانية من حليفاتها ، أثر تأثيرا واضحا على توازن القوى ، منذ اللحظة الأولى التى بدأت فيها الحرب بين ألمانيا والاتحاد السوفياتى .

(١) كتاب « مزيفو التاريخ » - موسكو ١٩٥١ - ص ١٠٠ .

وكانت ألمانيا قد أغدقت الوعود المغرية والمفرطة على حليفاتها لتجعل منها الوقود الصالح لحربها . وتم في اجتماع عقد في مقر قيادة هتلر في السادس عشر من يوليو عام ١٩٤١ . تقسيم الأراضي السوفياتية ، فقد قرر المجتمعون أن تضم ألمانيا إليها شبه جزيرة القرم ، والمناطق المجاورة لها ، وأوكرانيا ، ودول البلطيق وغابات بياليستوك وشبه جزيرة كولا . وتقرر أن تكون الأراضي الواقعة على ضفتي وادي الفولجا مستعمرة ألمانية ، وأن يكون القفقاس وحقول باكو قاعدة عسكرية ألمانية . ووعدت رومانيا ببسارابيا وأوديا والمناطق السوفياتية الواقعة الى الغرب من نهر الدنييستر ، كما وعدت فنلندة بلتيننجراد ومنطقتها ، وبالجزة الشرقي في كاريليا ، والمجر بغاليسيا وسفوح جبال الكربات .

وكان السير المشترك للدول المؤلفة للكتلة الهتلرية في الحرب يرتكز الى أهداف مشتركة في السلب والنهب . ولكن هذه الوحدة لم تستطع ازالة التناقضات التي كانت تسود هذه الكتلة . فلقد كانت الدول التابعة ساخطة على وضعها الثانوى . وكانت النعمة قد أخذت في التزايد في ايطاليا . وكان الامبرياليون الايطاليون ، يحلمون منذ حقب طويلة في السيطرة على الكون كله . وها هم يجدون الآن أن على ايطاليا أن تستعيض عما وعدهم موسوليني به من « دور تاريخي للامبراطورية الايطالية العظيمة » ، بالدور القذر الذي يمثله أى خادم من خدم هتلر . وأغلق عدد كبير من المصانع الأبواب ، بسبب النقص في المواد الأولية والوقود . اللذين يشحنان لايطاليا من ألمانيا . ولعل أسوأ ما في الأمر ، أن رجال الصناعة الألمان أخذوا يبتاعون المصانع الايطالية بأثمان زهيدة ، وينقلونها الى بلادهم .

ونشب صراع خفى وراء الكواليس بين الدول التابعة لألمانيا حول ما تقدمه من وقود لأتون الحرب المشتعلة . وكانت كل دولة منها تريد أن تقلل من اسهامها الى الحد الأدنى ، لتحفظ بقواتها المسلحة ، ولتستخدمها فيما بعد في اشتباكات لاحقة مع الدول التابعة الأخرى ، اثناء الصراع على اقتسام الغنائم . وسرعان ما تحولت المنازعات الاقليمية بصورة متدرجة الى صراعات حادة ، كشأن الصراع الذي نشب بين رومانيا والمجر .

ولكن جميع هذه الدول المتحالفة ، ظلت في الفترة الأولى التي كانت ألمانيا تحقق فيها انتصاراتها ، فرحة ومنتشية . تتوقع الحصول هي اكبر الاسلاب والغنائم .

وظلت الحكومتان ، الأمريكية والبريطانية ، بعد أن كانتا قد ساعدتا فنلندا في حربها السابقة مع الاتحاد السوفياتي ١٩٣٩ - ١٩٤٠ ، متلهفتين على المحافظة على علاقاتهما الودية مع هذه الدولة الحليفة لألمانيا الفاشية . ومضى وزير الخارجية الأمريكية ، كوردل هل . الى حد تهنة الوزير الفنلندي المفوض في واشنطن في الثالث من اكتوبر ، على احتلال بلاده لمناطق كاريليا السوفياتية (١) .

وراحت الحكومة السوفياتية بعد توقيع الاتفاق الانجليزى السوفياتي للعمل المشترك في الحرب ضد ألمانيا ، تصر على أن تعلن بريطانيا الحرب على حلفاء ألمانيا الهتلرية الذين اسهموا في الهجوم على الاتحاد السوفياتي . وحاول تشرشل الذي كان يدعم الرجعيين الفنلنديين ، مقاومة هذا الطلب ، ولكنه سرعان ما تبين انه في موقف لا يحسد عليه ، وراحت الحكومة البريطانية تعلن الحرب على فنلنده والمجر ورومانيا .

ولكن تشرشل بعث في التاسع والعشرين من نوفمبر من عام ١٩٤١ ، أى قبيل اعلان الحرب على فنلنده ، رسالة خاصة الى مانرهايم ، القائد الأعلى للجيش الفنلندي عن طريق شونيفيلد ، الوزير الأمريكى المفوض في فنلندا . ولقد اعرب تشرشل في رسالته هذه عن أسفه العميق ، لأن بريطانيا ستجد نفسها مضطرة ، وفاء منها لالتزاماتها تجاه حليفاتها روسيا ، الى اعلان الحرب على فنلنده فى غضون بضعة أيام . و اضاف تشرشل في رسالته أن مما يحزن اصدقاء فنلنده الكثيرين في بريطانيا ، أن تحاكم فنلنده جنبا الى جنب مع النازيين المجرمين عند هزيمتهم . وذكر تشرشل أن ذكرياته عن الحرب الأخيرة ، ومراسلاته مع مانرهايم ، هى التى دفعته الى ارسال هذه الرسالة الشخصية والخاصة (١) . ورد مانرهايم على الرسالة قائلا : بأنه « يقدر كل التقدير هذه الإيماء الودية من رئيس وزراء بريطانيا » (٢) .

وأعلنت بريطانيا في السادس من ديسمبر من عام ١٩٤١ ، الحرب رسميا على الدول الحليفة لهتلر .

وكانت الحكومة اليابانية بعد هجوم هتلر على الاتحاد السوفياتي ، قد أبلغت الحكومة السوفياتية في مذكرة رسمية عزمها على التمسك

(١) جون وورين في كتاب « فنلنده والحرب العالمية الثانية - ١٩٣٩ - ١٩٤٤ » - شركة

رونالد بريس - نيويورك ١٩٤٨ ص ١٣٦ .

(٢) صحيفة هيلسينجين سانومان الفنلندية - عدد ١٤ ديسمبر ١٩٤٥ .

٣) نفس المصدر .

بالمعاهدة السوفياتية - اليابانية ، والتزام جانب الحياد . ولكنها ابلغت المانيا في اليوم نفسه انها ستساعد المجهود الحربى الالماني ضد الاتحاد السوفياتى من الطرف الشرقى الاقصى للمحور الفاشى ، وأن اعلانها الحياد ، توخى تضليل الاتحاد السوفياتى .

وكتبت صحيفة كوكوين اليابانية في الثانى من يوليو من عام ١٩٤١ . تقول : ان الحرب بين المانيا والاتحاد السوفياتى ، لم تكن مجرد حرب عادية بين هاتين الدولتين ، وانما تعتبر اجراء حاسما بالنسبة لمستقبل آسيا الشرقية ، وجزءا من حرب دول المحور ضد الدول الديمقراطية .

ولكن موقف اليابان لم يرض ألمانيا ، التى كانت قد تبينت آنذاك قوة المقاومة السوفياتية ، وكانت تتلطف على مساعدة اليابان لها ضد الاتحاد السوفياتى . وراح ريبنتروب يبرق الى طوكيو فى الاول من يوليو ، مؤكدا أن ميثاق برلين يفرض على الحكومة اليابانية الهجوم على الاتحاد السوفياتى فورا . وكانت القيادة العليا اليابانية قد أعدت مسبقا بمعونة هيئة أركان الحرب الألمانية ، خطة الهجوم التى أطلقت عليها الاسم الرمزي « كانتوكين » .

ودرست برقية ريبنتروب فى مؤتمر على أعلى المستويات « برئاسة » الامبراطور هيرو هيتو نفسه فى الثانى من يوليو من عام ١٩٤١ . وقد قرر المؤتمر أن على اليابان أن تهاجم الاتحاد السوفياتى فعلا ، ولكن بعد أن تكون المانيا قد حققت انتصارات حاسمة على الجبهة الألمانية السوفياتية ، لاجبار الاتحاد السوفياتى على نقل قواته المرابطة فى الشرق الاقصى الى اوربا . وجاء فى نص القرار مايلى : « على الامبراطورية اليابانية بالرغم من محافظتها على روح المحور . الا تدخل لفترة ما فى الحرب الألمانية - السوفياتية . ولكن يجب المضى على أى حال فى الاستعدادات ، لشن الحرب على الاتحاد السوفياتى . واذا سارت الحرب الألمانية السوفياتية سيرا مرضيا بالنسبة الى الامبراطورية فان مشكلة الضربة الشمالية ستقرر عن طريق القوة المسلحة »

وكان هذا دليلا جديدا ، على التناقضات الألمانية اليابانية الامبريالية القائمة . وكانت اليابان على النقيض من ألمانيا متلهفة على تحميل أعباء الحرب الرئيسية لحليفها ، مع الإبقاء على قواتها سليمة الى اقصى حد ممكن . وكتبت مجموعة من المؤرخين البريطانيين تقول . . لم تكن المانيا راغبة فعلا فى رؤية اليابان منتصرة فى آسيا ، وكانت

اليابان تخشى مما قد تسعى ألمانيا التي غدت مهيمنة على أوروبا إلى تحقيقه في الشرق الأقصى . (١)

وقام اليابانيون بتعزيز قواتهم على طول الحدود السوفياتية في منشوريا وكوريا ، وراحوا يعبثون وحدات جديدة في صيف عام ١٩٤١ . وقامت في الوقت نفسه مجموعات سرية ، وبأمر من الامبراطور هيروهيتو . بحشد أسلحة الجرائم للقيام بعمليات إبادة جماعية في منشوريا .

ولم تكن لأهداف الامبرياليين اليابانيين العدوانية أية حدود . وأرى أن نقطف العبارة التالية التي وردت في العدد التاسع من يوليو عام ١٩٤١ ، من صحيفة نيبون اليومية اليابانية : « يجب أن يسير الخط الامامي للدفاع الياباني ابتداء من بحر كارا في الشمال فـجبال الأورال إلى بحر قزوين والقفقاس وجبال كردستان حتى الخليج العربي ، ليعبر المملكة العربية السعودية ويصل إلى عدن في الجنوب . ولا شك في أن هذا الخط الدفاعي مهم أهمية مطلقة لمجال التعاون المشترك لبلاد شرق آسيا العظمى » .

وبالرغم من أن اليابان لم تشترك في الحرب ضد الاتحاد السوفياتي ، إلا أنها قدمت لألمانيا الهتلرية كل عون ممكن ومساعدة . واعترف ريبنتروب بهذه الحقيقة في برقية بعث بها إلى طوكيو في الخامس عشر من مايو من عام ١٩٤٢ ، قال فيها ان حشد القوات اليابانية على الحدود السوفياتية - المنشورية ، كان هونا كبيرا لألمانيا « اذ أجبر روسيا على أي حال على الإبقاء على قواتها في سيبيريا الشرقية لمواجهة أي نزاع روسي ياباني محتمل » (٢) وكانت الحكومة اليابانية تزود الألمان بمعلومات مخابراتها على الأوضاع الاقتصادية والسياسية والعسكرية في الاتحاد السوفياتي ، عن طريق ممثليها العسكريين والدبلوماسيين . وخول ريبنتروب في برقيته المشار إليها سفير ألمانيا في طوكيو أن يشكر وزارة الخارجية اليابانية ، على تقديمها تقريراً برقياً إلى ألمانيا عن رسائل السفير الياباني في موسكو ...

(١) جونز ، بورتون وبين ٠٠٠ « عرض للشئون الدولية ١٩٣٩ - ١٩٤٦ . الشرق الأقصى

١٩٤٢ - ١٩٤٦ ، ص ٦٠٣

(٢) عدد برافدا في ٢٠ فبراير ١٩٤٨ .

ولا شك في أن من المفيد جدا أن نحصل باستمرار على مثل هذه التقارير من روسيا « (١)

وحاولت اليابان أيضا فرض الحصار البحري على الموانئ السوفياتية في الشرق الأقصى ، وكانت تقوم ببعض أعمال القرصنة أيضا ضد البواخر السوفياتية . ولعل أسوأ ما في الأمر . هو أنها طلبت من الحكومة السوفياتية أن تتوقف عن شحن البضائع الى الاتحاد السوفياتي عن طريق فلاديفوستوك . وردت الحكومة السوفياتية على ذلك قائلة بأنها « لا تستطيع الا أن تعتبر أية محاولة لعرقلة سير العلاقات التجارية العادية بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية عبر الموانئ السوفياتية في الشرق الأقصى عملا عدائيا موجها اليها » (١) .

وكانت ألمانيا الفاشية جد مدركة للحقيقة الواقعة ، وهي أن الكتلة التي أقامتها ، كانت مفتقرة الى الاستقرار ولذا ، فقد سعت بكل ما في وسعها لتقوية أواصرها . ولعل هذا الهدف هو الذي دعا حكومة ألمانيا الى العمل على تجديد ميثاق مكافحة الشيوعية الذي وقع في عام ١٩٣٦ ، لمدة خمس سنوات أخرى . وقد تم هذا التجديد في الخامس والعشرين من نوفمبر من عام ١٩٤١ . وهكذا حاولت القيادة السياسية الألمانية أن تستعمل من جديد هدف مكافحة الشيوعية في حلفها لتحطم عن طريقه التحالف المكافح للفاشية الذي كان يسير في طريق التعزيز ، ولبعث الحيوية في الكتلة الفاشية والاسراع في موعد الهجوم الياباني على الاتحاد السوفياتي .

وقد وقعت على ميثاق مكافحة الشيوعية كل من ألمانيا وإيطاليا والمجر وإسبانيا وفنلندة وكرواتيا والدينمارك ورومانيا وسلوفاكيا وبلغاريا ، كما وقعت عليه اليابان والحكومات التابعة لها كمنشوريا وحكومة وانج شينج وي في الصين المحتلة . وكان من الواضح أن هذا الميثاق ، يمثل كتلة عسكرية عدوانية تنشُد السيطرة على العالم .

ولكن لم يكن في وسع أي ميثاق قديم أو جديد أن يدعم الحلف بين ألمانيا وإيطاليا واليابان . فقد كان التفسيح في هذا الحلف أمرا محتوما تفرضه التناقضات الامبريالية العميقة و لا سيما بين ألمانيا

(١) نفس المصدر .

(٢) السياسة الخارجية السوفياتية - المجلد الاول . ص ٩٣ .

واليابان ، وبين الاولى وايطاليا . وكان الصراع يحتدم بين هذه الدول حول اسهام كل منها في حمل اعباء الحرب ، وحول حصتها في الغنائم عند النصر .

ولا شك في أن افتقار الكتلة الى الاستقرار نشأ عن أهدافها . فقد كانت هذه الأهداف جائرة ، ومنطوية على الرغبة في النهب ، وهادفة الى الاضرار بجميع دول العالم .

وكانت الشعوب تكره كتلة هتلر ، ولذا فقد وجد المعتدون أنفسهم معزولين ، وأخذت هذه العزلة تزداد يوما بعد آخر .

وأخذت الموارد السياسية والمعنوية لدول المحور تنضب بصورة متدرجه ، فقد بدأ الضعف يسرى فيها .

وتحطمت آمال النازيين في تعزيز المحور ، بالنصر الذي حققه السوفييات في معركة موسكو .



معركة موسكو

- ١ -

اتضح منذ شهر أغسطس من عام ١٩٤١ ، أن القيادة الألمانية اساءت تقدير الطاقة السوفياتية على المقاومة . ومن المحتمل أن تكون العمليات الألمانية قد بدت ناجحة في مظهرها ، الا أن نتائجها لم تكن حاسمة على الاطلاق . وأخذ القادة العسكريون الالمان يعترفون أنهم « لم يحققوا التدمير السريع لجميع قوات العدو المحاربة ، ولم يسحقوا روح القتال عند الجيش السوفياتي » (١) .

وكان الالمان قد توقعوا التمكن من تحقيق اندفاع سريع داخل الأراضي السوفياتية . ولكن خططهم ما لبثت أن انهارت . وتوقف الزحف النازي المرة تلو المرة ووجه الجيش السوفياتي الى الجيوش الالمانية ضربات مقابلة موجعة . وأخذ احتمال اضطرار ألمانيا الى مواجهة حرب الشتاء ، وهو ما كانت القيادة الألمانية تسعى للحؤول دونه ، يتسع يوما بعد آخر .

واضطرت القوات الالمانية في القطاع الأوسط . في مستهل شهر سبتمبر وبعد معركة سمولينسك ، الى وقف هجومها في هذا الجزء من الجبهة .

وكانت ليننجراد تمثل الهدف الرئيسي في الجناح الشمالي من الجبهة وقال الالمان في شهر يوليو ، بأرلى محاولاتهم لاحتلال المدينة ، ولكن

(١) موازنة القوى في الحرب - ص ٥٣ .

المحاولة ما لبثت أن أحبطت ، نتيجة المقاومة العنيدة من حامية المدينة وأحبطت المحاولة الفاشية الثانية لاحتلالها في شهر أغسطس من انعام نفسه .

وشنت القوات النازية في مستهل شهر سبتمبر هجوما عاما آخر على المدينة مهد له القصف المدفعي المتواصل ، والغارات الجوية المتكررة .

ووصف شاهد عيان هذا الهجوم فقال : « خيم الظلام على البيوت والشوارع والجسور والناس ، بعد أن كانت ألسنة اللهب تسطح قبل لحظات وارتفعت سحب كثيفة من الدخان الأسود الى السماء ببطء ، وقد ملأت الجو برائحة حادة نفاذة . وقامت فرق الاطفاء ، وجماعات الدفاع المدني وألوف العمال . باخماد الحرائق بالرغم مما لحق بها من اجهاد بعد يوم عمل كامل . وأخضعت جهودها الحرائق المشتعلة ، وبدأت النيران تخمد بصورة متدرجة . ولكن السنة اللهب طلب تنطلق من مستودعات باداييف ، التي تخزن فيها المواد الغذائية ، واستمر الحريق فيها أكثر من خمس ساعات » (١) وتمكنت القوات السوفياتية التي لقيت الدعم الكامل من سكان المدينة من صد الهجوم النازي .

وهكذا فشل النازيون في احتلال ليننجراد ، وان كانوا قد فرضوا عليها الحصار من البر . وبدأ الدفاع البطولي الذي دام أكثر من تسعمائة يوم . وصمد أهل المدينة الأبطال ، ورجال الجيش السوفياتي ، ومن ورائهم الشعب السوفياتي كله ، للمحنة برجولة عظيمة ، وهم يتحدثون المجاعات والمتاعب التي يفرضها الحصار الشديد ، ويتحدون الغارات الجوية والقصف المدفعي .

وظلت آلة الحرب النازية الهائلة تهدر في الجنوب . وتمكنت القوات من مشاة البحرية السوفياتية الصغيرة ، بدعمها أسطول البحر الأسود ، وأهل المنطقة من وقف زحف ثمانى عشرة فرقة للعدو مدة طويلة بين العاشر من أغسطس والسادس عشر من أكتوبر من عام ١٩٤١ ، في معركة أوديسا . واحتل الألمان في وقت متأخر من شهر سبتمبر مدينة كييف ، وعبروا نهر الدينيبير ، وفتحوا ثغرة عميقة تسللوا منها الى أوكرانيا ليظهروا عند مداخل شبه جزيرة القرم . وأزاح هذا التطور الستار عن الدفاع السوفياتي البطولي عن شبه الجزيرة .

ولكن بالرغم من أعمال البطولة والشجاعة النادرة التي أظهرها

(١) وثائق الحكومة السوفياتية ١٩٥٨ - ص ٢٥ .

الجيش السوفياتي ، فقد حقق الألمان مكاسب أولية في زحفهم باتجاه الجنوب ، وتوغلهم الى مسافات عميقة داخل الأراضي السوفياتية . وحاولت القيادة الألمانية استغلال هذه المكاسب في القيام بهجوم على موسكو ، وقد أملت في سحق المقاومة السوفياتية وكسب الحرب قبل حلول الشتاء .

وكانت القيادة العليا للقوات البرية الألمانية قد وضعت مخطط الهجوم على موسكو كجزء من خطة الحرب العامة . وكتب يودل ، الذي كان من أشد دعاة هذا المخطط حماسة في العاشر من أغسطس يقول : « لاشك في أن جميع الاحتمالات العملية المغرية من مجموعات الجيوش القريبة ترند الى الوراء ، عندما تقارن بالهدف الأساسي ، وهو إبادة القوات المعادية القوية التي تواجه مجموعة الجيوش الألمانية في الوسط ، واحتلال موسكو » (١) .

وكان قادة ألمانيا السياسيون والعسكريون يدركون ما لموسكو من أهمية عظيمة . فهي عاصمة الاتحاد السوفياتي أولا ، ورافعة راية الأمم كلها في النضال من أجل التحرر . وهي - تمثل أمل الشعب ومقر فخره واعتزازه . وكانت صناعات موسكو ذات أهمية كبرى بالنسبة الى الاقتصاد السوفياتي ، كما أنها مركز مهم من مراكز المواصلات ، ومقر رئيسي للحضارة السوفياتية . وكان الجنرالات الألمان يقدرّون هذه العوامل كلها ، ويؤمنون بأن سقوط موسكو ، سيترك أثرا حاسما في نتيجة الحرب .

وراح الألمان يعيدون تجميع قواتهم ، بعد أن قرروا مهاجمة موسكو وتم حشد الشطر الأكبر من مجموعة جيوش الوسط التي تضم أكثر من ثمانين فرقة منها ٢٣ فرقة مدرعة وآلية ، أمام العاصمة السوفياتية . وتآلف الاسناد الجوي من القوة الجوية النازية الثانية التي كانت تضم أكثر من ألف طائرة . ولم يكن في وسع القيادة السوفياتية أن تحشد أكثر من نصف هذه القوة عدة وعددا ، وذلك لأن الحسائر التي منى بها الجيش السوفياتي في صيف عام ١٩٤١ ، كانت قد أضعفته الى حد كبير . وقررت القيادة النازية تطويق موسكو من الشمال والجنوب عن طريق سلسلة من الهجمات المدرعة والآلية القوية عبر كاليتين وتولا ، بينما تتقدم قوات المشاة على طول الجبهة من الغرب .

ولم يشك القادة النازيون لحظة واحدة ، في أن هجوم موسكو سيكفل بالنجاح . وراح هتلر يوجه خطابا عندما بدأ الهجوم في الثاني

(١) دي . مندلسون . . . « وثائق نورمبرج » . ص ٤٠ .

من أكتوبر من عام ١٩٤١ قال فيه : « لاحت أخيرا الفرصة لتوجيه ضربة نهائية وقاصمة ، تقضى على العدو قبل حلول الشتاء . وقد تمت جميع الاعدادات التى فى وسع البشر أن يقوموا بها ، وهى تسير هذه المرة ، وفق خطة واضحة ، وخطوة خطوة ، لنرغم الخصم عن طريق المناورة ، على أن يحشر نفسه فى بقعة نستطيع أن نوجه اليه فيها الضربة القاضية . وهكذا تبدأ اليوم المعركة الكبرى النهائية والحاسمة فى هذه السنة » .

وأصدر قائد الانشاءات فى الجيش الألمانى فى العاشر من أكتوبر ، تعليماته المتعلقة بالثكنات والأبنية التى يجب استخدامها فى موسكو والأماكن المحيطة بها لايواء الجيش الألمانى . وأصدر جوبلز ، وزير الدعاية النازية أوامره الى جميع صحف برلين ، بأن تترك أماكن خالية فى صفحاتها فى ١٢ أكتوبر ، لنشر « أخبار اللحظة الأخيرة » عن سقوط موسكو .

وأعد القادة العسكريون النازيون خطة لازالة المدينة وتهديمها . وقال هتلر فى مؤتمر عقده فى مقر قيادة مجموعة جيوش الوسط : « لابد من تطويق المدينة ، ومنع أى جندي سوفياتى ، أو أى مدنى رجلا كان أو امرأة أو طفلا من مغادرتها ، ويجب احباط أية محاولة من هذا النوع بالقوة وقد اتخذت الاستعدادات لاغراق موسكو وضواحيها بالمياه عن طريق منشآت ضخمة . وسيقوم مكان موسكو الراهنة الآن بحر واسع من الماء يخفى عاصمة الشعب الروسى الى الأبد عن عيون العالم « المتمدن » (١) .

وحقق التقدم الألمانى نجاحا كبيرا فى البداية . وأخذ الوضع يسوء ساعة بعد ساعة . وأصبحت موسكو مهددة بهجوم مباشر من العدو . واستولت دبابات العدو ووحداته المدرعة فى الشمال على كالينين ، كما استولت فى الجنوب على أوريل ، وزحفت على تولا .

وكان الجنود الألمان يقاتلون بضراوة بالرغم من فداحة الخسائر التى منوا بها ، ولكن الجنود السوفيات صمدوا باصرار عجيب . وسجل التاريخ البطولة الرائعة لثمانية وعشرين جنديا من الكتيبة ١٠٧٧ التابعة للفرقة ٣١٦ المشهورة التى يقودها الجنرال باتفيلون . فلم يتخاذل هؤلاء الجنود أمام خمسين دبابة ألمانية فى دوبروسيكيفو وحطموا ثمانى عشرة دبابة منها ، وصمدوا فى مركزهم . وتمكنت قوة تضم ٢٢ من القناصة بقيادة

(١) فى بيان فورشلابريندورف - مؤتمرات هتلر مع ضباطه - مطبعة يوروبا زوريخ ١٩٤٦ .

المسلازم الثانى فريستون والمفوض السياسى بافلوف ، فى قرية ستروكوفو الى الشمال من طريق فولوكولامسك الرئيسية من الصمود أمام عشرين دبابة ألمانية وفوج من المشاة يوما كاملا . وفى وسع الانسان أن يروى هنا عشرات القصص عن بسالة المدافعين عن موسكو وبطولاتهم .

وأعلنت لجنة الدفاع السوفيتية فى التاسع عشر من أكتوبر من عام ١٩٤١ ، حالة الطوارئ فى موسكو ، وضواحيها . وتم اجلاء معظم المصانع والدوائر الحكومية عن العاصمة ، وان ظلت فيها لجنة الدفاع ، ومقر القيادة العليا للجيش السوفيتية .

وتم وقف الزحف الألمانى فى الشطر الأخير من أكتوبر على بعد نحو من مائة كيلومتر الى الغرب من موسكو ، وفى منطقة تولا ، بعد قتال عنيف ، وحال الجنود السوفيات دون تمكين العدو من نشر خطوطه بصورة مستقيمة ، كما طوقوا أجنحة مجموعة جيوش الوسط ، وأرغموا الألمان على استنزاف الكثير من قواهم فى أعمال الدفاع عن أنفسهم . وهكذا تم كسب الوقت الثمين لتعزيز الدفاع عن موسكو ، وحشد القوات الاحتياطية الاستراتيجية فى ضواحيها .

ولا شك فى أن الصمود فى وجه الهجوم الألمانى العنيف ، نطلب بسالة فائقة ، وبراعة كبيرة فى القتال ، وعزيمة صادقة على الصمود . وهكذا صمدت القوات السوفياتية فى أماكنها ، وراح سكان موسكو . بحفرون الخنادق للدفاع عنها ، وخرج أكثر من نصف مليون من أهلها ، يعملون فى اقامة التحصينات الدفاعية عنها وعن ضواحيها . وتم تشكيل احدى عشرة فرقة من المتطوعين وسبعة وثمانين فوجا محاربا . ونشط الأنصار فى مؤخرة القوات الألمانية الزاحفة على موسكو . وأخذت أكثر من أربعين مجموعة من الأنصار ومن المنظمات الحزبية السرية تعمل فى ضواحي موسكو التى احتلها العدو .

وقاد وحدات الأنصار الأولى عدد من رجال الحزب من أمثال بوماشكوف وبودرنيكوف وياكوفينكوف وكوروتكوف ، ومن رؤساء مجالس السوفيات المحلية من أمثال كوفباك وكورنييف وغيرهما ، ومن البلاشفة من المحاربين القدماء ، ومن رجال الحرب الأهلية من أمثال كوكزينيوك وكورزولينكوف ، ومن رؤساء التعاونيات الزراعية ومديرى المصانع ، وأعضاء الحزب ومنظمات الشباب والوطنيين . وأظهر قسطنطين زاسلونوف المهندس فى السكك الحديدية براعة فائقة فى قيادة الحركات

السرية التي قام بها لواء أورشا من الانصار • وأدى زيبولوف الذي كان قد فقد كلتا يديه ، دورا بارعا في أعمال الاستطلاع للأنصار • ورفضت زوباكوزموديميا نسكايا ، عضوة ، منظمة الشباب التي لا يتجاوز عمرها الثامنة عشرة ، والخضوع لمعذبيها من « الفاشيين » عندما اعتقلوها ، ومات مئة مجيدة ، وانتشرت حركات الأنصار في جميع ضواحي موسكو ، وغيرها من المناطق التي احتلها النازيون مؤقتا ، وكانت دليلا صادقا لا ينقض على الطبيعة الشعبية للحرب الوطنية العظمى •

وتولت لجنة الحزب في موسكو عملية تعبئة سكان العاصمة وتجنيدهم • ويقول النداء الذي وجهته : « ان موسكو في خطر ، ولكننا سنحارب بضراوة واصرار وتصميم ، والى آخر نقطة من دمائنا • وعلى كل فرد منكم مهما كان المنصب الذي يشغله ، والعمل الذي يؤديه ، أن يعتبر نفسه جنديا في الجيش المدافع عن موسكو ضد الغزاة الفاشيين • وعلى كل من يعملون في بناء التحصينات أن يعرفوا أن عملهم يعزز الدفاع عن عاصمتنا • وعلى جميع الذين يعملون في المصانع أن يدركوا أن عملهم اسهام في الدفاع عن وطننا وعاصمتنا • وعلى جنود الجيش الأحمر ، ورجال الأفواج المحاربة أن يعرفوا أن الأمة سلمتهم السلاح للدفاع عن بلادنا وشعبها حتى النفس الأخير » (١) •

وتحطم الهجوم النازي الأول على موسكو ، وتكسرت موجات الحقد الألماني على دروع المقاومة السوفياتية • وكتب الجنرال هاينز جودريان الذي كان يقود المجموعة الألمانية المدرعة الثانية في السادس من نوفمبر يقول : « ان العذاب يواجه جنودنا ، والكارثة تواجه قضيتنا لأن عدونا يكسب الوقت ، ولأننا بتنا بالرغم من جميع خططنا نواجه الاحتمالات الحتمية لحرب الشتاء • • وهانحن • • نرى أن الفرصة الرائعة في توجيه ضربة قوية الى العدو ، تضيع من أيدينا ، ولست أدري ان كانت ستتاح لنا فرصة أخرى في المستقبل » (٢) • واستبد الفزع بالقيادة النازية • وذكر هتلر لتشيانوف في الخامس والعشرين من أكتوبر أنه « لو كان يعرف ما يخبئه القدر ، لما شرع في الحرب ضد الاتحاد السوفياتي على الاطلاق » (٣) •

وقرر الألمان وقد استبد بهم اليأس أن يشرعوا في هجوم جديد على موسكو •

(١) صحيفة الكوميونست - العدد ١٧ لعام ١٩٥٦ ص ٣٤
(٢) هاينز جودريان « ذكريات حندی » ص ٢٢٣ •
(٣) « أوراق تشانوف الدبلوماسية » - لندن ١٩٤٨ - ص ٤٥٥ •

ويروى تيبلسكيرش أن قائد مجموعة جيوش الوسط ، كان مؤيدا أشد التأييد لفكرة مواصلة الهجوم على موسكو . وكان يأمل في كسر المقاومة السوفياتية . ولم تكن القيادة العليا للقوات البرية ، رغبة في العدول أيضا عن القيام بمحاولة أخيرة (٤) .

ووقعت معارك عنيفة في البر والجو . وبعث الألمان طيارهم الذين تدربوا على المعارك الجوية في أوروبا الغربية ، للاغارة على موسكو .

ووقعت الغارة الجوية الاولى على العاصمة ، مساء الواحد والعشرين من يوليو من عام ١٩٤١ . وسرعان ما أتبعته بغارات كثيرة أخرى في أوقات متفاوتة . وأخذت هذه الغارات تزداد عددا مع اتساع الهجوم البري النازي ، ولكن المدافع السوفياتية المضادة للطائرات في موسكو كانت جد فعالة . وتمكنت المدينة في الفترة الواقعة بين يوليو وديسمبر من عام ١٩٤١ ، من صد ١٣٢ غارة جوية ومن اسقاط ١٠٣٥ طائرة نازية .

واستبد الخوف بالقيادة الألمانية من اقتراب الشتاء ، فشرعت في هجومها العام الثاني على موسكو في السادس عشر من نوفمبر . وقد ذكر الامر الذي أصدرته القيادة العليا للجيش الألماني مبررات هذا الهجوم على النحو التالي : « بالنظر الى أهمية الأحداث الوشيكة الوقوع ، ولا سيما حلول الشتاء وافتقار الجيش الى المواد الكافية لمواجهته ، فأننى آمر بالاستيلاء على العاصمة موسكو ، مهما كان الثمن ، وفي أسرع وقت ممكن » .

وحشدت القيادة الألمانية هذه المرة احدى وخمسين فرقة منها ٢١ فرقة آلية ومدرعة ، للهجوم على موسكو على جبهة تمتد من بحر موسكو الى ييفريمون . واستخدمت بقية مجموعة جيوش الوسط ، كغطاء لجناحي قوة الهجوم . وتمكن الألمان في معارك مستمرة آناء الليل وأطراف النهار استغرقت عشرين يوما من التقدم مسافة « تراوحت » بين ثمانين وتسعين كيلومترا ، ودفعوا الجيش السوفياتي في شمال موسكو الى قناة موسكافا - الفولجا ، والى كرازنايا بوليانا وكريونو ، وفي جنوبها الى كاشيرا . ووصلت القوات الفاشية الأنبية في بعض النقاط الى مسافة « تتراوح » بين خمسة وعشرين وثلاثين كيلومترا من العاصمة نفسها . ووقع ثقل الضربة الانية على القوات السوفياتية التي يقودها الجنرالان روكوسوفسكى وجوفوروف .

(٤) تيبلسكيرش « تاريخ الحرب العالمية الثانية » ص ٢٠٠ .

ولكن الهجوم ، استنزف موارد ألمانيا . ومنى الألمان بخسائر هائلة فى الرجال والمعدات . ولم يبق لدى الألمان أية قوات احتياطية ، وكان عليهم بالرغم من حالتهم السيئة أن يحافظوا على جبهة طولها ١٢٠٠ كيلومتر ، وليس لجناحيها أى غطاء تقريبا .

- ٢ -

أخذت القيادة السوفياتية تعد العدة ، منذ اقتررب شهر نوفمبر من نهايته ، لشن هجوم مضاد فى منطقة موسكو .

وقررت القيادة العليا أن توجه ضربتها الى جناحى العدو فى شمال العاصمة وجنوبها ، وأن تكملها بزحف فى اتجاه الغرب . وكان على الجناح الأيمن لجبهة كالينين بقيادة الجنرال كونييف ، أن يشترك فى الهجوم على الجناح الشمالى لمجموعة جيوش الوسط الألمانية ، وأن يعمل جنبا الى جنب مع الجناح الأيمن للجبهة الغربية . وكان على الجبهة الجنوبية الغربية التى يقودها المارشال تيموشنكو . أن تقوم بهجوم على جناحها الأيمن وأن تساعد بذلك قوات الجبهة الغربية فى تحطيم الجناح الأيمن لمجموعة جيوش الوسط الألمانية . وتولى الجنرال جوكوف قيادة العملية كلها .

وكان الجيش السوفياتى مفتقرا الى الاسلحة والعتاد والوقود والمواد الأخرى ، وكانت عملية نقل المصانع من المناطق التى تم اخلاؤها الى المؤخرة . دائرة على قدم وساق ، وكان الاقتصاد القومى قد تحول الى الانتاج الحربى ، ولم يكن من اليسر ولا من الممكن ، تعويض الخسائر السابقة التى منى بها الاتحاد السوفياتى فى عملية التراجع الأولى . ولا شك فى أن الافتقار الى السلاح ضاعف من صعوبة انتزاع زمام المبادرة الاستراتيجية من الألمان .

وقررت القيادة السوفياتية الافادة من الاجهاد الذى بدا واضحا على العدو ، ومن افتقاره الى القوات الاحتياطية التكتيكية والعملية . ولا شك فى أن عزيمة الجنود السوفيات والقوات الاحتياطية الكبيرة التى استخدمت الآن « كانا » عاملين حاسمين فى الهجوم المضاد .

وشهد القادة العسكريون الألمان أن الهجوم السوفياتى المضاد أخذهم على حين غرة . وكتب تيبلسكيرش يقول : « ان الجيش الألمانى الذى كان قد أصيب بالاجهاد واستنزف كل قواه ، لم يكن على استعداد

لا من الناحية المعنوية ولا من الناحية المادية لخوض حرب حركة في الشتاء ، ولذا فقد بوقت بالهجوم السوفياتي المضاد . وكان اثر الضربة الروسية ومدى الهجوم المضاد كبيرين الى الحد الذي ادى الى اهتزاز الجبهة على مسافات بعيدة ، وكساد يؤدي الى كارثة تامة » (١)

وكانت الجيوش التي تؤلف الجناح الايسر لجبهة كالينين هي البادئة بالهجوم . ولكن ما لبثت القوات الرئيسية في الجبهة الغربية ان حذت حذوها في اليوم الثاني ، ليعقبها هجوم الجناح الايمن للجبهة الجنوبية الغربية . وحطم الهجوم المضاد الخطوط الدفاعية الطويلة على الجناحين : الشمالي والجنوبي لمجموعات الجيوش الألمانية ، وخلق وضعاً يهدد بتطويق الجيوش الألمانية كلها ، مما أجبر العدو على الانسحاب بسرعة .

وأدت الضربة المضادة في موسكو ، والضربات المضادة في تيفين وروستوف الى قيام هجوم سوفياتي عام ، يستهدف الوسط . وكانت السرعة الكبرى في هذا الهجوم باتجاه الغرب . وتمكنت القوات السوفياتية بعد أن حطمت مقاومة العدو اليائسة من التقدم مسافة أربع مائة كيلو متر تقريبا في بعض النقاط وأنزلت هزيمة ساحقة بمجموعة جيوش الوسط النازية . وتخلّى العدو عن كميات كبيرة من دروعه ومدافعه مخلفا اياها في ميدان القتال ، كما منى بخسائر فادحة في الرجال واقترب الجيش السوفياتي من فيليكين لوكي ، وفيليز ، وبييلي ، وريجيف ، وجاتسك وفيازما .

ويقول تيبلسكيرش باكيا : « لقد سل سيف الانتقام من غمده » (٢) . وخلفت هزيمة الألمان في موسكو آثارا تاريخية ضخمة . وقاتل الجيش السوفياتي بشجاعة أسطورية ليقب على العدو أوضاعه . وحسر هجومه الاستراتيجي المضاد النقب عن المزايا الرائعة التي يتحلّى بها وجاله ، وعن براعة ضباطه . وكانت الاعدادات للهجوم المضاد كاملة وفعالة للغاية . ولقد برعت القيادة العليا في أن تجعل الاندفاع القوى باتجاه الغرب مصحوبا بضربات في نقاط أخرى ، مع التنسيق الكامل لجهودها في جميع أنحاء الجبهة . وكانت المعنويات السوفياتية عالية للغاية . وظهر الجندي السوفياتي منتهى الصلابة والبسالة . وظهرت في معركة موسكو أولى تشكيلات الحرس السوفياتي .

(١) تيبلسكيرش « تاريخ الحرب العالمية الثانية » ص ٢٠١ .

(٢) نفس المصدر - ص ٧٩ .

وهكذا فشل الهجوم الالماني الصاعق ، وحطم الجيش السوفياتي الاسطورة القائلة بأن الجيش الفاشي الالماني لا يقهر أبدا . ورأى القادة العسكريون البريطانيون والأمريكيون ، الذين كانوا يجلون دائما العبقرية العسكرية الالمانية ، وكانوا أول المصدقين دائما للاسطورة ، كيف نبخرت الآن وتحولت الى هباء . وانهارت المخططات الرجعية الامريكية والبريطانية ، المعادية للسوفيات . وتلقت حركات التحرر الوطني للشعوب المستعبدة تشجيعا جديدا .

واثرت هزيمة الالمان امام موسكو تأثيرا ملحوظا على السير التالي لأحداث الحرب . وكتب تيلسكيرش يقول : « تركت نتائج حملة الشتاء آثارا مفعجة على السير المقبل للحرب » . (١) وكتب تشرشل يقول : « حطمت المقاومة السوفياتية قوة الجيوش الالمانية » (٢)

وحاولت القيادة الالمانية اخفاء الاسباب الحقيقية للهزيمة ، واسدال ستار كثيف على مداها . وقد عزت أسباب الفشل ، الى ضراوة الشتاء التي أعاققت التقدم . وكانت مواتية ، كما زعمت ، للجيش الاحمر . لكن هذه الحرافة لم تلق أذنا صاغية تتقبلها حتى لدى حلفاء ألمانيا . فلقد كتب شيانو وزير خارجية إيطاليا يقول : « أقنعت شرور الحرب ، ولا سيما الأخيرة فيها ، هتلر بأن روسيا ، التي تمثل محيطا واسعا من الأرض ، مازالت تخفى الكثير من المفاجآت » (٣) .

وبالرغم من كل هذا فمازال الكتاب المعادون للاتحاد السوفياتي يميلون الى تحميل قسوة الشتاء الروسي ، مسأولية هزيمة الالمان في معركة موسكو . ولنضرب على سبيل المثال ما قاله القائد الأمريكي الجنرال عمر برادلى ، القائد السابق للعمليات فى أوروبا ورئيس هيئة اركان الحرب الأمريكية بعد عام ١٩٤٩ فى كتابه . . « قصة جندي » . . وشل الشتاء الروسى القاسى بصورة مفاجئة حركة الجيوش الالمانية خارج ابواب موسكو ، بعد ان كانت قاب قوسين أو أدنى من تحقيق النصر » (٤) .

ولا شك فى أن الإشارة الى شتاء روسيا القاسى ، مفتقرة الى الصحة والى القدرة على الاقناع . ولا شك فى أن حقيقة عدم استعداد

(١) تيلسكيرش - نفس المصدر - ص ٢٠٦ .

(٢) مذكرات تشرشل . الجزء الثالث ص ٣٥٢ .

(٣) يوميات شيانو (١٩٣٩ - ١٩٤٣) - ص ٤٢٦ .

(٤) عمر برادلى . . « قصة جندي » - نيويورك ١٩٥١ . ص ١٨٦ .

القوات الألمانية وعجزها عن دراسة العوامل التي يمكن أن تبرز في حالة الحرب مع الاتحاد السوفياتي .

ولم يعرف الألمان كيف يوقفون النتائج الحتمية لهزيمة موسكو عند حدها . ويتحدث أرفيد فريد بورج ، المؤرخ البورجوازي ، عن ردود فعل الهزيمة النازية أمام موسكو في برلين فيقول : « واستبد القلق بالناس . وتذكر المتشائمون حرب نابوليون في روسيا ، وأشدت الاقبال على جميع الكتب التي تحدثت عن « جيش نابوليون الأعظم » . وراح قراء الغيب يشغلون أنفسهم بالحديث عن مصير نابوليون ، وراجت عمليات استطلاع النجوم » (١) .

وانتقل القلق الى القادة العسكريين الألمان ، الذين كانوا حتى تلك اللحظة على اتم وفاق واتفاق مع هتلر في جميع مخططاته . وحاول الكثيرون منهم بعد انتهاء الحرب الانتقام من مخططي الاستراتيجية الامبريالية الفاشية ، عن طريق توجيه اللوم كله في الهزيمة الى هتلر الذي اتهموه بتجاهل آرائهم . لكن هذه الاتهامات ليست صحيحة . فقد انترك القادة العسكريون الألمان مع هتلر في وضع مخططات الحرب العالمية الثانية وادارة دفتها .

وقام هتلر بعد هزيمة موسكو . باجراءات التعديل في المناصب القيادية . ويقول فولر . مؤرخ الحرب البريطاني عن معركة موسكو : « تركت المعركة آثارا مفاجئة كان أهمها تلك التي حلت بالجيش الألماني وقياداته . ولم يستطع الجيش الألماني بعد الكارثة أن يستعيد الحيوية التي فقدتها ، ولم يعد يمثل في نظر العالم . الجيش الذي لا يغلب . أما القادة ، فقد تمت تصفيتهم الى حد كبير . ولم تشهد ألمانيا عملية تصفية للجنرالات كهذه العملية منذ معركة المارن في الحرب العالمية الأولى » (٢) .

وأقر مجلس الرايشستاغ في السابع والعشرين من أبريل من عام ١٩٤٢ قانونا يقضى باعطاء هتلر الصلاحيات المطلقة في طرد أي موظف من منصبه (٣) .

وضاعفت نتيجة معركة موسكو من حدة التناقضات ضمن المعسكر الفاشي ولا سيما بين اليابان وألمانيا ، وبين الأخيرة وإيطاليا ، وبين

(١) أفيد فريد بورج « وراء الستار الفولاذي » - لندن ١٩٤٤ . ص ٦٠ - ٦١ .

(٢) فولر - « الحرب العالمية الثانية » ص ١٢٦ .

(٣) يوميات جوبلر - لندن ١٩٤٨ . ص ١٤١ .

النازيين والدول التابعة لهم . وادت هزيمة الألمان امام موسكو ، الى تجنب تركيا التورط في الهجوم الذي كانت تعتزم شنه على الاتحاد السوفياتى فى عام ١٩٤١ . وأجلت اليابان تنفيذ خططها لمحاربة الاتحاد السوفياتى حتى عام ١٩٤٢ . وكانت القيادة اليابانية قد مالت الى هذا التأجيل ، حتى منذ بداية الهجوم الألمانى على موسكو . فقد أبلغ أوت ، سفير ألمانيا فى طوكيو ، حكومته فى برلين فى الرابع من أكتوبر من عام ١٩٤١ ، أنه لا يتوقع أن تشرع اليابان فى هجومها العسكرى على ألقوات السوفياتية فى الشرق الأقصى ، وألتى كانت لا تزال محتفظة بقوتها ، قبل حلول الربيع . وأضاف أوت : أن الصلابة التى أظهرها الاتحاد السوفياتى فى حربه ضد ألمانيا ، تدعونى الى الاعتقاد . بأن أى هجوم يابانى لو وقع فى أغسطس او سبتمبر . كان سيفشل فى فتح الطريق الى سيبيريا فى هذا العام » (١) .

وابلغت اليابان حكومة برلين رسميا فى السابع عشر من نوفمبر من عام ١٩٤١ ، أنها قررت تأجيل هجومها على الاتحاد السوفياتى حتى عام ١٩٤٢ . وهكذا حطم النصر السوفياتى فى موسكو مخططات الرجعية العالمية التى كانت تتوقع تحطيم الاتحاد السوفياتى أو اضعافه بتوجيه ضربات اليه فى وقت واحد من الشرق والغرب على السواء .

وارتفعت مكانة الاتحاد السوفياتى فى العالم كله . وراأت الشعوب المحبة للحرية أن هناك احتمالا واقعا بانتهاء المانيا . ومثلت المقاومة البطولية للشعب السوفياتى المثل الملهم للوطنيين فى جميع البلاد ، واستفزتهم على النضال ضد النظام الفاشى الجديد .

ولم يكن النظام الجديد الانظاما قديما للاستعباد الامبريالى الاستعمارى . وكان الشئ « الجديد » الذى أدخله الامبرياليون الألمان ابان الحرب ، تطبيقه على الدول الأوربية ، والجمع الرهيب بين الاستعباد الاستعمارى وبين الابادة الفعلية لخطر من سكان البلاد التى يتم احتلالها . وكان من الطبيعى أن يحمل هذا النظام الجديد لنشره ، شعار مكافحة الشيوعية ، وذلك لأن الشيوعيين هم الذين حاربوا باستمرار من أجل حرية بلادهم واستقلالها الوطنى من الطفيان الامبريالى . ولقد ذكر رئيس وزراء بلغاريا الرجعى فيلو ، والذى عمل الكثير لمساعدة هتلر فى جرائمه أن « تدمير الشيوعية هو الشرط المهم والاساس لاقامة نظام جديد فى أوربا » (١) .

١ - د. ال. افدا فى ٢٠ فبراير ١٨٩٤ .

(٢) فيلو - بودجان - « البلغاريون يحاربون » - صوفيا ١٩٤٢ . ص ٢٧ .

وكان المدافعون عن الامبريالية في الولايات المتحدة وبريطانيا ميالين دائما الى « النظام الجديد » ، سواء ابان الحرب او بعدها . ويقول ارنولد توينبي المؤرخ البريطانى : ان من الواجب دراسة « تجربة » هتلر في اقامة دولة عالمية تقوم على القوة المسلحة . وحث على ضرورة اقامة « نظام جديد » انجلو - سكسونى فى اوربا وبقية انحاء العالم .

وقد اعتمدت اقامة النظام الجديد فى البلاد التى احتلها النازيون على اعمدة من قوات الاحتلال الالمانية وعلى الجهاز الارهابى للنازيين ، وعلى العملاء الكويزلنجيين فى هذه البلاد كلها .

وكان معظم الخونة من افراد طبقة الملاك من كبار البورجوازيين والاقطاعيين وموظفى الحكومة الرجعيين والضباط الماكيين وقطاع من زعماء الجناح اليميني فى الاحزاب الاشتراكية . اما النضال ضد الخونة ، والمتعاونين ، فقد تولى قيادته افراد الطبقة العاملة ، الذين عملوا جنبا الى جنب مع الفلاحين والمثقفين والعناصر الوطنية من البورجوازية الصفرى والمتوسطة . وادى هذا بصورة متدرجة الى حلف ضم القوى الطبقية واصبح المميز للثورات الشعبية الديمقراطية ضد الاقطاع والامبريالية .

وقادت الاحزاب الشيوعية والعمالية النضال من اجل التحرر فى البلاد المحتلة ، اذ انها على النقيض من الاحزاب الاخرى صمدت لويلات الحرب ومتاعبها ، وبرهنت على قدرتها على أن تكون احزابا تضم الوطنيين الصادقين وانصار الحرية والديمقراطية والاستقلال الوطنى .

وفتح النصر السوفياتى فى معركة موسكو صفحة جديدة فى حركات التحرر لدى الشعوب الاوربية . وظهرت جماعات الانصار الحسنة التنظيم والوثيقة العرى ، واخذت تقوم بعملياتها طبقا لمخططات مدروسة وفعالة .

وتم انشاء « جبهة الوطن » فى بلغاريا فى مستهل عام ١٩٤٢ ، بقيادة الشيوعيين . وتبنت الجبهة برنامجا ، لتحرير البلاد من النازيين ومن الديكتاتورية الملكية الفاشية . ودعت الجبهة الى انضمام بلغاريا الى الحلف المعادى لهتلر ، والى اقامة نظام حكم ديمقراطى شعبى .

واقام الوطنيون فى اليونان بمبادرة من الشيوعيين جبهة التحرر

الوطني التي راح جهازها العسكري (ايلاس) المسمى بجيش تحرير الشعب اليوناني يشن حرب العصابات على الغزاة الالمان .

وتم تأسيس حزب العمال البولندي في شهر يناير من عام ١٩٤٢ . وناشدت لجنة الحزب المركزية الشعب ان يوحد صفوفه في جبهة وطنية لخلق بولنده الحرة والمستقلة . ومضى النداء الذي أصدرته اللجنة يقول : « ليس في وسع أحد أن يحطم الأمة التي أنجبت للعالم كوبرنيكس وميكويكز وشوبان وماريا سكلودفسكا . وليس في مكنة أحد أن يسيطر على أمة خاضت المعارك على جميع الميادين من أجل حرية الأمم ، وكتبت بدماء أبنائها شعارها على راياتها القائل : « من أجل حريتكم وحریتنا » .

وشرع الحرس الشعبي الذي قام حزب العمال بتنظيمه في بولنده في أعمال حروب الأنصار ضد المعتدين الفاشيين الالمان . وذكر بوليسلاف بيروت في كتابه عن « ثورة بولنده » أن « حزب العمال البولندي هو الطليعة النضالية المنظمة للطبقة العاملة ، والقوة الرائدة للشعب في فترة مظلمة من فترات تاريخه . وكان هذا الحزب هو أول حزب شن نضالا عنيفا ضد الاحتلال النازي » .

وقد بدأ الأنصار البولنديون عملياتهم الحربية على مقربة من رادوم في مقاطعتي كييلسي ولوبلين . وكان هؤلاء الأنصار يعملون في لوبلين وخارجها مع الأنصار السوفييات ، وقد اتخذت عملياتهم طابعا واسع النطاق وكثير الفاعلية وخاض الحرس الشعبي في عامي ١٩٤٢ و ١٩٤٣ نحو من ٢٧٣ معركة مع النازيين . ونسف أفراد ١٢٧ قطارا للجنود ، ودمروا ٣٦ محطة للسكك الحديدية .

وغذت حركة الأنصار سيرها أيضا في تشيكوسلوفاكيا . وكانت هناك قوة كبيرة من الأنصار تحمل اسم لواء « جان زيزكا » ، تعمل في منطقة مورافسكا اوسترافا . ونظم الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي حملة معادية للحرب في أواسط الجيش السلوفاكي، الذي أراد النازيون استخدامه في الحرب ضد الاتحاد السوفيياتي . وسرعان ما برزت حركات العصيان في الأفواج السلوفاكية. اذ رفض الجنود السلوفاكيون محاربة الجيش السوفيياتي ، واخذوا يفرون تباعا للالتحاق بوحدات الأنصار .

ونشب صراع مسلح في المنطقة الأوكرانية الواقعة الى ما وراء الكربات . وظهرت الوحدة الأولى من وحدات الأنصار حول أوزغورود

في وقت متأخر من عام ١٩٤١ . وكانت هذه الوحدة تضم العمال في بعض مناجم الملح المحلية . ولم يحل صيف عام ١٩٤٢ . حتى كان عدد الانتصار هنا قد تجاوز « العشرة آلاف » .

واتسع نطاق حركة الانتصار في البانيا في مستهل عام ١٩٤٢ . وسرعان ما تألفت في تلك البلاد الصغيرة أربعون وحدة من الانتصار ضمت أكثر من عشرة آلاف محارب .

وتطورت حركة الانتصار في يوغوسلافيا بصورة متدرجة الى أن تحولت الى ثورة مسلحة . وكانت حرب التحرر الوطني في البلاد طرازا من طرز الثورة البلشفية الشعبية . فقد ظهرت جبهة تحرر موحدة . واجتمع ممثلو الشعب اليوجوسلافي في يومي ٢٦ و ٢٧ نوفمبر من عام ١٩٤٢ في مدينة بيهاك الكرواتية المحررة، وأقاموا مجلس التحرر الوطني المعادي للفاشية ليكون أول برلمان ليوجوسلافيا الجديدة .

ولا شك في أن حركات المقاومة في أوروبا مثلت عوناً كبيراً للاتحاد السوفياتي ، إذ أنها أشغلت أكثر من ستمائة ألف جندي ألماني في بلاد البلقان وحدها (١) .

وكان الاتحاد السوفياتي يوالى ارسال المعونات ورسائل التشجيع الى محاربي حركات المقاومة ، بينما كانت الجهات الحاكمة في الولايات المتحدة وبريطانيا تتعاون من الناحية الثانية مع الحكومات اللاجئة المعادية للشعب . وكان أمل هذه الجهات أن تسيطر على النقاط المهمة في أوروبا التي كان الفاشيون يسيطرون عليها آنذاك . وأن تحقق سيطرتها عن طريق ما ستلقاه من معونة الزمر الرجعية الحاكمة المحتشدة في لندن وغيرها .

وراحت الولايات المتحدة تنشط عمليات ما أسمته بمكتب الخدمات الاستراتيجية الذي أقامت مقره في أوروبا وفي مدينة برن السويسرية ، للقيام بأعمال التجسس والتخريب ضد الشعوب المحبة للحرية . وكان على رأس هذا المكتب اللعين ، دالاس ، شقيق جون فوستر دالاس ، وقد أنفق المكتب أيام الحرب مبالغ ضخمة من المال ، ووزع كميات كبيرة من الأسلحة ، للعمل ضد حركات المقاومة .

وكانت للبريطانيين الامبرياليين منظمات مماثلة . وبالرغم من تظاهر المخابرات البريطانية والأمريكية بالعمل معا ضد حركات التحرر الوطني،

(١) جور لستيز - الحرب العالمية الثانية - الجزء الثاني - ص ٦٣ .

الا أنها كانت تصطرع سرا فى سبيل فرض السيطرة على أوروبا بعد الحرب .

وكانت هناك شعبة خاصة فى مكتب الخدمات الاستراتيجية الأمريكى تتولى القيام بعمليات التخريب ضد الحركات العمالية . وتم انشاء دائرة مماثلة فى بريطانيا بالتعاون مع بعض قادة حزب العمال البريطانى .

وقد توخت مراكز التجسس الأمريكية والبريطانية ، العاملة ضد حركات التحرر الوطنى ، تحقيق الأهداف التالية :

١ - الافادة من ظروف الحرب ، لنشر العملاء والجواسيس فى المنظمات الأوروبية المعادية للفاشية ، ولا سيما فى الأحزاب الشيوعية . والاتحادات العمالية ، والجيهاث الوطنية ، وشل « نشاطاتها » .

٢ - اخماد الحركات الشعبية بمختلف السبل الممكنة ، حتى ولو كان فيها استخدام الصراع المسلح بالتعاون مع النازيين ، وتأليف الوحدات المسلحة للقيام بهذا الهدف من بقايا القوات المسلحة فى البلاد المعنية .

٣ - ضمان اقامة أنظمة حكم رجعية موالية لأمريكا وبريطانيا فى البلاد الأوروبية بما فيها ألمانيا بعد تحررها من هتلر وذلك عن طريق العملاء ، والتدخل العسكرى المباشر .

٤ - تنظيم جمع المعلومات عن الاتحاد السوفياتى وجيشه ، وعن الحركات الديمقراطية والعمالية فى البلاد الأوروبية .

واستخدمت الحكومات المهاجرة المختلفة فى تحقيق هذه الأهداف . ونشب صراع عنيف بين الولايات المتحدة وبريطانيا تسابقا منهما على التأثير على هذه الحكومات . وتمكنت الولايات المتحدة بصورة متدرجة من ازالة بريطانيا من طريقها ، وأن ظلت هناك بضع حكومات مهاجرة ، تؤثر لعدة سنوات لاحقة بريطانيا على منافستها .

ولجأت الولايات المتحدة وبريطانيا والحكومات المهاجرة المختلفة الى شتى الأساليب والصور لمكافحة حركات التحرر . وقد تحقق الكثير عن طريق الخونة والتعاون مع الجستابو .

وتم انشاء منظمات خاصة تتولى القيام بأعمال التجسس على الوطنيين وتسليمهم الى سلطات الاحتلال النازية . وكانت الولايات المتحدة

وبريطانيا تتوليان وبسعاء تزويد هذه المنظمات من أمنال لواء المخابرات في بولنده ووحدة محاربى بالي في البانيا و فرق الشيتينكس بقيادة ميخائيلوفيتش في يوجوسلافيا وغيرها بالعملاء والمال والسلاح . وقامت أجهزة المخابرات البريطانية والأمريكية بإنشاء وحدات خاصة مهمتها إبادة الوطنيين ، ومهاجمة وحدات الأنصار في مؤخرتها . وهكذا تم اغتيال عدد من خيرة الناس في البلاد المحتلة الذين حملوا السلاح دفاعا عن حرية بلادهم واستقلالها . وكان رجال الحكومات المهاجرة وعملاؤها، يكرهون شعوبهم أكثر من كراهيتهم لمضطهديهم الفاشيين ، الذين كانت تشدهم اليهم أواصر من الاحساس بالتضامن الطبقي .

وتحولت قوات ميخائيلوفيتش في يوجوسلافيا بصورة متدرجة الى أن غدت تؤلف شطرا من قوات الاحتلال . ومع ذلك فقد ظلت حكومة يوجوسلافيا المهاجرة ، تطلق عليها اسم الجيش الداخلى اليوجوسلافى ، بينما ظل ملك يوجوسلافيا في لندن يحمل اسم قائدها الأعلى .

وهكذا ظهرت جبهة متحدة في جميع البلاد التى يحتلها النازيون ، تضم قوات الاحتلال ، والفئات الرجعية المحلية ، وممثلى الحكومات المهاجرة من الرجعيين ، والتروتسكيين ، وغيرهم من الخونة ومن اجراء وكالات التجسس البريطانية والأمريكية الامبريالية ، لمحاربة حركات التحرر الوطنى .

وكان الاتحاد السوفياتى الدولة الوحيدة التى ساعدت قوى التحرر الوطنى وأيدتها . وظلت السياسة السوفياتية كما كانت دائما منسجمة مع تطلعات الشعوب ومع مواقف التقدميين فى الخارج . وكان العون الذى قدمه الاتحاد السوفياتى والجهات التقدمية الأخرى لحركات التحرر فى البلاد المحتلة ، وسيلة فعالة فى اضعاف مؤخرة هتلر ، وحرمان المانيا من استخدام قواتها الاحتياطية ، وتحرير الشعوب من النير النازى ، وحشدها فى النضال ضد الغزاة .

وهكذا لم تتعرض الجيوش الألمانية الفاشية من الخارج فحسب، للقوة المضاربة السوفياتية ، بل وتعرضت من الداخل أيضا للقوة المضاربة من القوات المسلحة الوطنية فى البلاد المحتلة . ولا شك فى أن دعم حركات التحرر مال الى تقوية قيادة الطلائع العمالية للنضال ضد قوات الاحتلال والمتعاونين ، مما مهد الطريق الى التحرر الكامل بعد الحرب .

وانعكست معاملة السوفيات لحركات التحرر فى البلاد المحتلة فى

خطب قادة الحكومة والحزب ، وفي سلسلة من الوثائق . وكانت إحدى هذه الوثائق ، الرسالة التي وجهها وزير الخارجية السوفياتي في الثامن عشر من ديسمبر من عام ١٩٤٢ الى الشعب البولندي في عيد استقلاله . فقد أعربت الرسالة عن التأييد المعنوي الكامل للوطنيين الألبان والحركات المقاومة في البلاد الأخرى ، وقالت : « يعطف الاتحاد السوفياتي عطفًا كاملاً على هذا النضال الباسل الذي يخوضه الوطنيون الألبانيون من أجل التحرر ضد الغزاة الإيطاليين ، ولا يعترف بأية مطالب للامبريالية الإيطالية في الأراضي الألبانية ، ويود أن يرى ألبانياً متحررة من نير الغزاة الفاشيين وقد استعادت استقلالها . . . » وتقرير نظام الحكم في المستقبل في ألبانيا ، أمر داخلي محض يخص ألبانيا وحدها ، ويجب أن يقرره الشعب الألباني نفسه » (١) .

وقد أرغم هذا البيان الحكومتين الأمريكية والبريطانية اللتين أبلغتا محتوياته مسبقاً ، على أن توضحا موقفهما . وراح انطوني ايدن وزير خارجية بريطانيا يعرب عن عطفه على الشعب الألباني ، دون أن يقول شيئاً عن نضاله التحرري وعن موقف بريطانيا منه (٢) . أما بيان كوردل هل ، وزير خارجية الولايات المتحدة ، فقد وضع في صيغة مغايرة ، إذ قال : إن الجهود التي تبذلها وحدات الأنصار المختلفة والعاملة في البانيا ضد العدو المشترك تثير الإعجاب والتقدير (٣) .

وكانت الإشارة الى وحدات الأنصار المختلفة والعاملة في ألبانيا مفضوذة ومنعمدة . وكانت الحكومة الأمريكية تعنى بها عصابات « مقاتلي بالي » التي ألّفها الامبرياليون والتي كانت تعمل في الواقع ضد الشعب الألباني . وقد عنى البيان الأمريكي بين ما عناه تشجيع القوات المعادية للشعب في ألبانيا ، والتي كانت تساعد في الواقع الغزاة الألمان والفاشيين .

ووقع الاتحاد السوفياتي في شهر ديسمبر من عام ١٩٤١ ، وثيقة صداقة وتعاون متبادل مع الحكومة البولندية . وتعهد الاتحاد السوفياتي بأن يبدي الصداقة الوطيدة للشعب البولندي ، الشقيق في ساعات محنته . وعادت الحكومة السوفياتية في شهر يونيو من عام ١٩٤٢ ، فأكدت رغبتها في أن ترى « فرنسا محررة وقادرة من جديد على أن تحتل في أوروبا بل وفي العالم ، المكانة كدولة ديمقراطية عظمى ومعادية للهتلرية » (١) .

(١) السياسة الخارجية السوفاسية - المجلد الاول . ص ١٩٢ .

(٢) عدد ترافدا في ١٨ ديسمبر ١٩٤٢ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) السياسة الخارجية السوفياتية - المجلد الاول . ص ١٧٧ .

وهكذا عززت السياسة الخارجية السوفياتية بالاشتراك مع الانتصارات العسكرية السوفياتية الصداقة المخلصة والاحترام اللذين كان العاملون في جميع البلاد يحملونهما الى الاتحاد السوفياتي .

- ٣ -

كان الهدف الأول للسياسة الخارجية السوفياتية تثبيت دعائم الحلف ضد الفاشية . وقد تعزز هذا الهدف بمصالح النضال ضد الفاشية والرغبة في الاسراع في انهيار الدول المعتدية .

وقام انطوني ايدن في شهر ديسمبر من عام ١٩٤١ بزيارة موسكو، حيث بحث مع المسئولين فيها ، موضوع الجبهة ، واجراءات الصلح بعد الحرب ، والمعاهدة الانجليزية - السوفياتية .

وعزز الجهد السوفياتي الرائع ، والهزيمة التي منى بها الألمان في موسكو التحالف المضاد للفاشية . وفي الأول من يناير من عام ١٩٤٢ ، أصدرت ست وعشرون دولة بينها الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وبريطانيا والصين بيانا تعهدت فيه باستخدام جميع مواردها ضد البلاد الفاشية ، وبألا توقع أية هدنة أو صلح منفرد مع دول العدو . ومع ذلك فقد ظل الاتحاد السوفياتي وحده يتحمل أعباء الحرب وحدتها .

وسجل النصر السوفياتي في موسكو تبديلا جذريا في طوالع الحرب . ولو أنه حيل بين ألمانيا وبين المناورة بما لديها من قوات استراتيجية احتياطية ، كما ناورت بحرية ، لتولدت نقطة التحول في الحرب في تلك اللحظة . فلقد كان من الضروري فتح جبهة ثانية في أوروبا تتمثل في نزول القوات الانجلو - أمريكية في غربها للشروع في هجوم على ألمانيا لضمان التعاون الاستراتيجي مع الجيش السوفياتي .

وكانت الجماهير في الولايات المتحدة وبريطانيا ، ادراكا منها للضرورة الماسة للجبهة الثانية . تصخب مطالبة بفتحها . وكتب هاري بوليت زعيم الحزب الشيوعي البريطاني يقول : « أثارت مقاومة الشعب السوفياتي حركة تضامن جماهيري ذات طابع بارز وملحوظ . وقد اتخذ هذا التضامن صورة من النشاط لم يسبق لها أن وجدت من قبل في بريطانيا » (١) .

ولا شك في ان الهجوم السوفياتي الناجح في شتاء ١٩٤١ - ١٩٤٢ ،

(١) هاري بوليت - « الحزب الشيوعي والنضال من أجل الوحدة » المجلة العمالية الشهرية - العدد الاول لعام ١٩٤٢ . ص ١٥ .

خلق وضعاً مواتياً كل المواثاة لفتح الجبهة الثانية في أوروبا في عام ١٩٤٢ . وكانت حركة المقاومة الفرنسية قد اتسعت الى حد كبير ، مما أُلّف عاملاً مواتياً آخر لفتح الجبهة الثانية . وكان في وسع الوطنيين الفرنسيين أن يسهلوا عملية نزول القوات الانجليزية - الأمريكية في فرنسا ، وأن يساعدوا في القتال . ولكن حكام الولايات المتحدة وبريطانيا ظلوا يعارضون فتح الجبهة . ويقول هيرمان روشنينج الصحفي الألماني الغربي : ان هدف بريطانيا والولايات المتحدة من الحرب العالمية الثانية كان استنزاف قوى روسيا لجعلها عاجزة لعدة حقبة قادمة « (٢) ورفضت القيادة الأمريكية والبريطانية التعاون مع الأنصار الأوربيين ، وكانوا يقولون : ان العون من وحدات الأنصار أمر مرفوض لأن «حركات المقاومة تولد روح العصيان وتبذر بذور الحرب الأهلية في المستقبل » (٢) .

واقترحت الحكومة السوفياتية في ابريل من عام ١٩٤٢ رغبة منها في تدعيم التحالف الانجليزي السوفياتي - الأمريكي ، وفي تقرير قضية العمليات المتفق عليها ضد العدو ، وأخيراً وليس آخراً في عقد معاهدة إنجليزية - سوفياتية ، كان البريطانيون يسوفون فيها ، أن يقوم وزير خارجيتها بزيارة لندن . ورحبت الحكومة البريطانية بالاقترح ، وتقرر أن تمتد الزيارة الى واشنطن أيضاً . وتركزت مفاوضات مايو في عام ١٩٤٢ ، في موضوع فتح الجبهة الثانية في أوروبا في ذلك العام نفسه . وأصابته الفكرة عقدة لا تحل . ومضت الحكومتان : البريطانية والأمريكية بعيداً في محاولة تبرير التأجيل . وكانت هناك فكرة توجههما ، وهي أن هناك خطراً في وجود حليف قوى ، وأن تقوية ذلك الحليف ليس في مصلحتهما ، وأن من الواجب ، في حالة تزايد قوته اتخاذ الاجراءات اللازمة لضعافه . وكتب رالف اينجرسول ، الصحفي الأمريكي يقول : « وكانت الفائدة ماثلة في الحقيقة الواقعة ، وهي أنه كلما طال أمد الحرب ، بات الروس أكثر ضعفاً في نهايتها » (٣) .

وتم الاتفاق في ابريل من عام ١٩٤٢ بين هاري هوبكينز والجنرال مارشال نيابة عن الولايات المتحدة وبين ممثلي الحكومة البريطانية وقيادتها العسكرية على الامتناع عن غزو شمال فرنسا ، الا اذا أصبح الوضع

(١) هيرمان روشنينج في كتابه « امتازال السلام ممكناً » ؟ هابديلبرج ١٩٥٣ . ص ٩٤ . ٩٥ .

(٢) ليدل هارث - الدفاع عن أوروبا ص ٦٥ .

(٣) رالف اينجرسول في كتابه « سرى للغاية » نيويورك ١٩٤٦ . ص ٦٧ .

يائسا في الجبهة الشرقية ، أو بات الوضع خطيرا بالنسبة للألمان في أوروبا الغربية (٤) .

وسرعان ما تأكد هذا الاتفاق برسائل برقية تبودلت بين تشرشل وروزفلت ، اذ أكدا ضرورة الإبقاء على قواتهما المسلحة كاحتياطي للحرب . وتحدث الرئيس روزفلت الى مساعديه عن هذا الموضوع فشبه قوات بريطانيا والولايات المتحدة باللاعبين الاحتياطين في مباراة لكرة القدم وقال : « وقبل أن تمضى اللعبة قدما ، ويصبح فريقنا الأصلي مجهدا ، فلن نتحرك ، اذ في وسعنا بعد ذلك أن نتدخل ، ونحن في راحة كاملة لنكسب الجولة الأخيرة » (١) .

وأبلغ القادة الانجليز والأمريكان الاتحاد السوفياتي ، بأن قواتهم ليست كافية بعد لفتح جبهة ثانية . ولكنهم وعدوا جازمين بأن يفتحوها في أوروبا في عام ١٩٤٢ . وقد عززت الدولتان هذا الوعد بالتأكيدات القاطعة . وراحت الحكومة البريطانية تسلم الى الحكومة السوفياتية مذكرة في العاشر من يونيو من عام ١٩٤٢ تقول فيها : ان أكثر من مليون جندي بريطاني وأمريكي سينزلون في أوروبا . وأكدت المذكرة أن كل شيء يعتمد على الأوضاع العامة ، ولكن « اذا ثبت أن النزول معقول وسليم كاجراء ، فأننا لن نتردد في تنفيذ خططنا » (٢) .

وتم التوقيع في لندن في السادس والعشرين من مايو من عام ١٩٤٢ على معاهدة التحالف الانجليزية السوفياتية ضد ألمانيا الهتلرية وشريكاتها في أوروبا وعلى اتفاق التعاون والعون المتبادل بعد الحرب . وكانت هذه المعاهدة ثمرة الجهود السوفياتية المخلصة لدعم الحلف المعادي لهتلر ، وأقامة علاقات صداقة دائمة بين شعبي بريطانيا والاتحاد السوفياتي . وقد انسجمت هذه المعاهدة مع المصالح الحيوية للبلدين ووضعت بعد ضم المعاهدة الفرنسية - السوفياتية اللاحقة اليها أسس الأمن في أوروبا . ولا شك في أن هذه المعاهدة مثلت نصرا جديدا للسياسة السوفياتية في التعاون الدولي .

وتضمنت المعاهدة الانجليزية - السوفياتية جزئين ، اشتمل أولهما على الالتزامات المتبادلة مدة الحرب ، وهى تقضى بتقديم المساعدات

(٤) هنرى ستيمسون وماكيجور بوندى في كتابيهما « الخدمة الفعلية في أوقات الحرب

والسلم » - نيويورك هاربر ١٩٤٨ ص ٤١٨ - ٤١٩ و ٤٢٣ .

(١) ايليوت روزفلت - نفس المصدر . ص ٥٥ .

(٢) تشرشل - الحرب العالمية الثانية - المجلد الرابع - لندن ١٩٥١ ص ٣٠٥ .

العسكرية وغيرها ، ومختلف صور الدعم ، والامتناع عن أية مفاوضات منفردة ، وعدم توقيع أية هدنة أو معاهدة صلح مع العدو . وتضمن الجزء الثانى من المعاهدة ، التزامات وعهودا لمنع تكرار العدوان ، ولضمان المساعدة المتبادلة بعد الحرب ضد العدوان ولمدة عشرين عاما . وكان تصور المعاهدة مجسداً فى الاجراءات المشتركة لمواجهة أى عدوان المائى جديد ، وتبادل المساعدة بما فيها العون العسكرى فى حالة تجديد العدوان . وتعهد الطرفان أيضا بالامتناع عن أية مكاسب اقليمية ، أو التدخل فى الشئون الداخلية للبلاد الاخرى ، أو تشكيل الاحلاف أو المحالفات التى تستهدف أيا من الطرفين الموقعين على المعاهدة . وكان هناك تعهد أيضا بتبادل المعرفة الاقتصادية .

ومع ذلك فقد أصرت الحكومة البريطانية على التحفظ ، باعتبار الالتزامات التى تعهد بها الفريقان المتعاقدان ، وعن طريق الاتفاق المتبادل ، لا لزوم لها بعد اقامة منظمة للأمم المتحدة . وعندما قامت الامم المتحدة بعد انتهاء الحرب ، استغل ارنست بيغن ، وزير خارجية بريطانيا هذا التحفظ ، فتراجع عن الالتزامات البريطانية وتنكر للشرط القائم وهو وجود الاتفاق المتبادل . وراح بيغن يعلن تحلل بريطانيا من جميع التزاماتها ، باستثناء تلك التى ينص عليها ميثاق الامم المتحدة .

وتم التوقيع فى واشنطن فى الحادى عشر من يونيو من عام ١٩٤٢ على اتفاق سوفياتى - أمريكى يقوم على اساس العون المتبادل فى مواصلة الحرب ضد العدوان ، وتضمن الاتفاق النص على العلاقات الاقتصادية والمالية بين الفريقين المتعاقدين على أساس الشحانات المتبادلة من السلع ، وقد عنى أن المواد التى نص عليها قانون الاعارة والتأجير الأمريكى ، ستسحقن الى الاتحاد السوفياتى أيضا . وكان نص الاتفاق مشابها لنص الاتفاق الأمريكى - البريطانى الذى تم التوقيع عليه فى الثالث والعشرين من فبراير من عام ١٩٤٢ . وبالرغم من هذا التشابه فى الصياغة ، فقد كان هناك فرق شاسع بين الاتفاقيين . فقد مثل نظام الاعارة والتأجير بالنسبة الى الجهات الحاكمة فى أمريكا ، أداة للتوسع ، ووسيلة للاستعباد الاقتصادى والسياسى ، وجهازا لاكتساب القواعد العسكرية الاستراتيجية فى البلاد الأجنبية . ولم يكن فى الامكان تطبيق هذه الأهداف على العلاقات الأمريكية - السوفياتية ، وذلك لأن الحكومة السوفياتية أحبطت جميع الحركات التوسعية التى يقوم بها الاحتكاريون الأمريكان ، وحرصت أشد الحرص على استقلال البلاد الوطنى وحقوقها السيادية .

ولكن توقيع الاتفاق السوفياتى - الأمريكى ، مثل على أى حال نصرا مؤكدا آخر للسياسة الخارجية السوفياتية ، فقد وجه ضربة قاصمة للقوى المفرطة فى رجوعيتها فى الولايات المتحدة . والتي كانت تعارض فى تسليم اية شحنات للاتحاد السوفياتى ، وكان بمثابة اعتراف من الولايات المتحدة ، بأن الجبهة السوفياتية - الألمانية تمثل المسرح الحاسم للحرب .

وهكذا تحقق الحلف المناوىء لهتلر ، واتخذ شكله النهائى بفضل الجهود السوفياتية التى لا تكل ولا تمل . ووجه ضربة جديدة الى الدبلوماسية النازية ، كما أحبط دسائس القوى الرجعية فى بريطانيا والولايات المتحدة .

واضطرت الدوائر الحاكمة فى بريطانيا وأمريكا أخيرا الى الترحيب بالحلف المعادى للهتلرية . فقد عرفت أن هذا التحالف وحده ، هو الذى يضمن لها النصر على ألمانيا واليابان اللتين تمثلان المنافستين الرئيسيتين لها ، والساعتين للوصول الى السيطرة العالمية . واعتقدت هذه الدوائر أن هذا الحلف يمكنها من الاحتفاظ بمواقعها فى أوروبا وخارجها ، وارادت أن تستغل الجهد الحربى السوفياتى البطولى ، لتعزيز نفوذها فى العالم ، وتوسيع مجالات سياساتها التوسعية .

لكن هذا الحلف المعادى للفاشية ، مثل أهمية عظمى للاتحاد السوفياتى وجميع القوى الديمقراطية التقدمية ، اذ كان بمثابة خطوة فعالة فى طريق الاسراع فى تحقيق النصر .

وعنى الحلف بفشل الخطط الامبريالية التى كانت تهدف الى عزل الاتحاد السوفياتى على الصعيد الدولى . فبدلا من أن يعزل ، تولى الاتحاد السوفياتى مركزا قياديا فى الكتلة القوية المعادية للفاشية ، وكان الحلف سببا فى امتداد علاقاته الدولية وتوسعها . وهكذا فرضت العزلة على الصعيد الدولى على المعتدين الفاشيين .

ومثل الحلف صدمة للمتطرفين البريطانيين والأمريكيين ، اذ ضاق مجال التناور أمام القوى الرجعية الامبريالية . ولم يعد فى وسع أعداء الاتحاد السوفياتى من رجال الحكم فى الولايات المتحدة وبريطانيا ، أن يعملوا جهرا وعلاية . وتحققت الفرصة للجماهير ولا سيما من الطبقات العاملة ، للتعبير عن تأييدها للاتحاد السوفياتى ، ولدراسة التجربة السوفياتية وانجازاتها . وساعد الحلف المعادى للفاشية ، الطبقة

انعاملة في بريطانيا وأمريكا على أن تفرض نفوذا مباشرا على سياسة هاتين الحكومتين في القضايا الداخلية والخارجية على حد سواء . وتوسعت العلاقات الدبلوماسية بين الحكومة السوفياتية والحكومات الرأسمالية من أعضاء الحلف . وتمت الاتصالات الودية بين المنظمات السوفياتية العامة وبين الطبقة العاملة والاتحادات العمالية في الاتحاد السوفياتي وبين المنظمات الديمقراطية الأخرى في الخارج .

وحققت الحركة الجماهيرية الداعية لوحدة الطبقة العاملة تقريبا بين المؤتمر العام للاتحادات العمالية البريطانية وبين الاتحادات العمالية السوفياتية وتم في شهر أكتوبر من عام ١٩٤١ ، وتلبية لاقتراح المجلس النقابي المركزي في الاتحاد السوفياتي ، تأليف لجنة نقابية انجليزية - سوفياتية مشتركة، هدفها تنسيق جهود الاتحادات العمالية في بريطانيا والاتحاد السوفياتي لتحقيق النصر على ألمانيا الهتلرية ، ودعم حركات التحرر في البلاد المحتلة .

وناضل العمال في الولايات المتحدة وبريطانيا بمنتهمى العزم والتصميم ، للحصول على الحريات الديمقراطية في هذين البلدين . واجبر هذا النضال حكومتى بريطانيا وأمريكا على تقييد « نشاطات » المنظمات الفاشية المحلية في البلدين .

ولا شك في أن الحلف المعادى للفاشية ، مثل الدليل الحى على أن فى امكان البلاد ذات النظم الاجتماعية المختلفة أن تتعاون لما فيه نفعها المشترك . وهكذا عرضت السياسة الخارجية السوفياتية التى تتلقى توجيهها من نظرية لينين فى امكان التعاون الدولى بين البلاد ذات النظم الاقتصادية والاجتماعية المختلفة ، على محك التجربة الفعلية الناجحة فى أجواء الحرب القاتمة . وكان الحلف المعادى للهتلرية ، تحالفا طوعيا يرتكز على مبدأ التكافؤ والمساواة فى الحقوق والاحترام المتبادل .

فسوب الحرب في المحيط الهادى

- ١ -

يعود ظهور التناقضات الامبريالية في المحيط الهادى الى العصر الأول للامبريالية . واستمرت هذه التناقضات في طريق النمو والتطور والحدة . ولا سيما بين اليابان والولايات المتحدة اللتين كانتا تتنازعان على السيطرة على المحيط الهادى .

وكان لينين قد كتب يقول : « اننا نشهد الآن نزاعا ناميا يكاد يتحول الى صدام بين أمريكا واليابان ، اذ أن هناك صراعا خفيا يقوم بين اليابان وأمريكا منذ سنوات طويلة من أجل السيطرة على المحيط الهادى والاستيلاء على شواطئه . ولا شك في أن التاريخ الدبلوماسى والاقتصادى والتجارى للمحيط الهادى وشواطئه ، حافل بالاشارات الواضحة الى تزايد هذا الصراع . والى أن الحرب ستصبح حتمية بين أمريكا واليابان » (١) .

ولقد خلق التنافس بين المصالح العدوانية لليابان الامبريالية وبين مصالح الولايات المتحدة وبريطانيا الامبريالية في الشرق الأقصى . وضعا ظل يهدد دائما بنشوب الحرب في المحيط الهادى .

ولكن بالرغم من هذه التناقضات الامبريالية العميقة . فقد قامت الجهات الحاكمة في الولايات المتحدة وبريطانيا بمساعدة العدوان اليابانى في الشرق الأقصى وتشجيعه ، وهنا تمثل الغرابة ، التى تبدو في الظاهر

(١) لينين - مؤلفاته - الجزء ٣١ - ص ٤٣٥ .

وكأنها سر من الأسرار . لكن التفسير واضح ، وهو أن هذه الجهات الحاكمة ، كانت تأمل في توجيه اليابان لمحاربة الاتحاد السوفياتي والقوى الديمقراطية في الصين .

واستغل اليابانيون بدورهم ، هذا الوضع الى أقصى حدود الاستغلال ، وراحوا يفزون منشوريا ، ويجتاحون في عام ١٩٣٧ . أجزاء أخرى من الصين ، مهددين بذلك المراكز التي كان يحتلها منافسهم من الامبرياليين في بريطانيا والولايات المتحدة . ومع ذلك فلم تفقد الحكومتان البريطانية والأمريكية الأمل بأن يتجه العدوان الياباني في النهاية الوجهة التي تريد انها .

ولقد ذكر البروفسور تريت الأستاذ في جامعة ستانفورد الأمريكية عن العدوان الياباني على الصين ، أن على الدول الكبرى ، بأن تشعر نحو اليابان بشيء من الاعتراف بالجميل . وذكر الناشر الأمريكي المشهور هيرست في عام ١٩٣٥ . أن من الضروري بالنسبة الى اليابان كقوة تفرض التوازن في الشرق الأقصى ، أن تسيطر على الصين .

ويتضح من هذا أن حكام بريطانيا ، وحكام الولايات المتحدة بوجه خاص ، لم يظهروا رغبة منهم في دفع العدوان الياباني باتجاه الاتحاد السوفياتي ، مجرد تسامح مع اليابان على سلوكها وتصرفاتها ، بل اعتقدوا أن هذا السلوك نافع لهم . ولقد ذكر الجنرال دوجلاس ماك آرثر ، القائد الأعلى للقوات الأمريكية في جزر الفلبين ، أن الفرصة كانت متاحة لليابان بعد غزو هتلر لهولنده ، وهزمه لفرنسا للاتجاه جنوبا ، واحتلال مستعمراتها في الشرق الأقصى . وأضاف الجنرال ، أن اليابان لو اتجهت جنوبا آنذاك لحققت نصرا سهلا (١) .

ولكن التحليل الموضوعي ، يبين الأسباب التي دعت اليابان الى عدم مهاجمة خصومها من الامبرياليين آنذاك أي في عام ١٩٤٠ وفي مقدمتهم بريطانيا والولايات المتحدة . فقد وجدت اليابان يديها مفلولتين . نتيجة السياسة السلمية السوفياتية ونتيجة القوة الدفاعية والاقتصادية السوفياتية . ولم يكن أمامها مناص من تأجيل خططها العدوانية ، الى أن تكون ألمانيا قد هاجمت الاتحاد السوفياتي .

وكان هناك سبب آخر ، جعل اليابان عاجزة عن المبادرة الى الغزو

(١) هاليت ايبند في كتابه « حواجز المحيط الهادي » - نيويورك ١٩٤٢ . ص ١٨٢ .

وهو المقاومة البطولية التى أبدتها شعب الصين والتى أرغمت اليابان ، على تحويل جزء كبير من قواتها لمواجهتها • وكان تشيان كاي شيك ، أجير الامبريالية الامريكية يدرك هذه الحقيقة تمام الادراك • وكان على استعداد للتسليم لليابان ، لو أن تسليمه هذا يضمن توجيه العدوان اليابانى ضد الاتحاد السوفياتى • ولم يكن هجومه الفادر بثمانين ألفا من جنود الكومنتانج على جيش التحرير الشعبى الرابع فى يناير من عام ١٩٤١ ، الا خطوة فى هذا الاتجاه (١) ولكن هذا العمل الفادر ، أثار موجة طاغية من السخط الشعبى ، مما أحبط مخطط تشيان كاي شيك ، لاثمهيد الطريق أمام التسليم •

وبدأت المفاوضات غير الرسمية بين اليابان والولايات المتحدة لازالة التناقضات الأساسية بينهما فى المحيط الهادى ، فى شهر يناير من عام ١٩٤١ وقد مثل اليابان فى هذه المفاوضات الكولونيل كينجورو هاشيموتو • زعيم جمعية التنين الأسود الفاشية ، والذي تحدث طويلا مع كبار المسئولين فى وزارة الخارجية الأمريكية ولم تكن هذه المحادثات الا تمهيدا دبلوماسيا للمفاوضات اللاحقة التى جرت على مستوى عال والتى بدأت فى شهر مارس من عام ١٩٤١ •

وكانت الحكومة الأمريكية عندما بدأت هذه المفاوضات على علم بالهجوم الالمانى المتوقع ، وقد مثل اليابان فيها هذه المرة الأميرال نومورا السفير اليابانى فى واشنطن بينما مثل الولايات المتحدة فيها المستر كوردل هل وزير خارجية أمريكا وأحيطت المفاوضات بجو كثيف من السرية ، وكانت الولايات المتحدة فيها متلهفة على تقويم علاقاتها مع اليابان بأقصى سرعة ممكنة ، لتمهد الجو لليابان للهجوم على الاتحاد السوفياتى • وقد حسر الحزب الشيوعى الأمريكى عن هذا المخطط ، فى سلسلة من المقالات التى نشرتها صحيفة الديلى ووركر (٢) •

وقدمت الحكومة الأمريكية فى شهر ابريل من عام ١٩٤١ ، مجموعة من الاقتراحات المحددة الى اليابان فى شكل مسودة اتفاق يابانى - أمريكى وتركزت هذه الاقتراحات على أن تسحب اليابان قواتها من الصين ، وان تتخلى عن فكرة ضم الصين الى أراضيها وتلتزم بسياسة « الباب المفتوح »

(١) كان جيش التحرير الشعبى الصينى يتألف من جيشين ، هما الجيش الثامن والجيش الرابع •

(٢) الديلى ووركر - نيويورك - الاول من مارس من عام ١٩٤١

فيها • ووعدت الحكومة الامريكية مقابل ذلك بالموافقة على التوحيد بين نظامى حكم تشيان كاي شيك دوانج شينج واى ، كما وعدت بالاعتراف بمنشوريا • ولم يكن هذا الوعد فى الواقع ، الا مجرد اقتراح لتجزئة الصين ، دون اللجوء الى السلاح •

وأرادت اليابان رغبة منها فى تحسين موقفها فى المساومات ، استغلال الأطماع المناهضة للسوفييات وللديمقراطية عند الجهات الحاكمة فى الولايات المتحدة • ولعل هذا هو السبب الذى دعاها الى تسمية اقتراحاتها المضادة باقتراحات وضع سياسة مشتركة لمناهضة الشيوعيه وذكرت اليابان فى هذه الاقتراحات ، أنها على استعداد لعقد معاهدة مع الولايات المتحدة ، شريطة منحها الحق اللامقيد فى الوصول الى المواد الأولية الاستراتيجية فى جنوب غربى المحيط الهادى ، وحصولها على مساعدات اقتصادية أمريكية واسعة ، وموافقة الولايات المتحدة على « حياد » الفلبين ، واعترافها بمنشوريا • وأخيرا وقف مساعداتها لتشيان كاي شيك •

وكانت اليابان تعتمد على المشاعر المعادية للسوفييات عند حكام الولايات المتحدة فى رغبتها فى استكمال فتحها للصين • وكانت تأمل فى أن تؤدى المساعدات الاقتصادية الأمريكية الى اعانتها فى توسيع طاقاتها الاقتصادية العسكرية التى كانت ترمى فى النهاية الى استخدامهما ضد الولايات المتحدة نفسها • وكانت اليابان من ناحيتها على استعداد «للتعهد» بعدم القيام بأى هجوم مسلح فى جنوب شرق آسيا أو جنوب المحيط الهادى ، وأن تنقل قواتها من جنوب الهند الصينية الى شمالها •

وتسلمت الحكومة الأمريكية هذه الاقتراحات اليابانية فى الثانى عشر من مايو ، وراح كوردل هل ، وزير الخارجية الأمريكية يعلم السفير اليابانى أن هذه المقترحات مقبولة مبدئيا شريطة ادخال « بعض التعديلات عليها » كالنص على عدم وجود أى احتكار لليابان فى الصين ، وعلى عدم فرض أية قيود على مصالح الدول الأخرى فى تلك البلاد • ولم يشر الرد الأمريكى مطلقا الى موضوع سحب القوات اليابانية من الأراضى الصينية • وهكذا وافقت الحكومة الامريكية ، وهى يائسة ، على الإبقاء على قوات الاحتلال اليابانية فى الأرض الصينية لمقارعة حركة التحرر الوطنى فيها • وأوما « هل » للسفير اليابانى ، بأن الولايات المتحدة على استعداد لاجراء مفاوضات سرية مع كاي شيك لتحقيق هذا الهدف •

ولم تكن هذه المفاوضات فى الواقع الا « مونيخ » جديدة فى الشرق

الأقصى ، وقد برزت تفاصيلها أثناء الصراع الامبريالى بين الولايات المتحدة واليابان . وكانت الجماعات الحاكمة فى بلاد الدولتين لتتشاحن وتتصادم بصورة رهيبه ، مستخدمة وسائل التهديد والتشهير والابتزاز .

وتبين الشيوعيون الصينيون خطوة هذه المساومات ، وراحوا يحذرون الشعب الصينى من نتائجها . ويقول بيان أصدرته اللجنة المركزية فى شهر مايو من عام ١٩٤١ : ان « اليابان والولايات المتحدة وتشيان كاي شيك ، يضعون الآن خطة غادرة بعقد مصالحة فى الشرق الاقصى شبيهة بصفقة « مونيخ » وتكون وسيلة لاقامة تفاهم توفيقى بين اليابان والولايات المتحدة على حساب الصين ، هدفه الصراع المشترك ضد الشيوعيين والاتحاد السوفياتى وعلينا أن نكشف عن هذا المخطط ، وأن نحارب منفذيه .

وأوضح البيان أن الشعب الصينى لن يقر أية صفقة يابانية - أمريكية على حساب الصين ، وأنه سيواصل مقاومة الاعداءات الامبريالية .

وسلمت الحكومة الامريكية فى الواحد والعشرين من يونيو من عام ١٩٤٦ ، أى عشية هجوم هتلر على الاتحاد السوفياتى ، الى اليابان ردها الرسمى على اقتراحاتها . وتحدث الرد عن معارضة الولايات المتحدة لمطالب اليابان فى الحصول على الامتيازات الاقتصادية فى الصين وفى بلاد جنوب شرق آسيا . وأشار بصورة تفتقر الى الحماسة الى ضرورة سحب القوات اليابانية من الصين فى موعد لاحق ، وأضاف أن أمريكا راغبة فى الاسهام فى وضع شروط الصلح بين اليابان والصين ، وان كانت لا ترى أن هذه الشروط ستكون نهائية . وترك الرد الباب مفتوحا لاجراء محادثات لاحقة « عن السياسة المشتركة لمقارعة الشيوعية » وعن بقاء القوات اليابانية فى الصين والاعتراف بمنشوريا (١) .

وبالرغم من أن الدولتين ، قدمتا بعض التنازلات المتبادلة ، الا أن التناقضات الامبريالية بينهما كانت قوية وعميقة الى الحد الذى لم يكن فى الامكان معه الوصول الى تسوية نهائية .

وقال الرئيس الأمريكى روزفلت فى بيان شفوى أفضى به الى السفير اليابانى فى واشنطن فى السابع عشر من أغسطس : ان الحكومة الأمريكية

(١) « الأوراق الخاصة بالعلاقات الخارجية بين الولايات المتحدة واليابان ١٩٣١ - ١٩٤١ » المجلد الثانى - واشنطن ١٩٤٣ . ص ٥٥٦ - ٥٥٧ .

ستجد نفسها مضطرة الى اتخاذ أية خطوات تجدها ضرورية فى حالة قيام الحكومة اليابانية بخطوات أخرى فى طريق متابعتها لسياساتها وبرامجها فى السيطرة العسكرية عن طريق استعمال القوة مع البلاد المجاورة لها ، أو التهديد باستعمالها » (١) .

وواجهت الصفقة اليابانية - الأمريكية المقترحة مقاومة متزايدة من الشعب الأمريكى ، الذى طالب حكومته باتخاذ اجراءات حازمة ضد العدوان الفاشى وروح السيطرة العسكرية . يضاف الى هذا أن التطورات فى الجبهة السوفياتية - الألمانية حالت دون عقد هذه الصفقة أيضا . فمقد تبينت اليابان قوة الاتحاد السوفياتى فى الشرق الأقصى ، ولم تكن راغبة فى أن تقدم لألمانيا عوناً عسكرياً مباشراً ، لأن ذلك يضاعف من قوتها ، ولذا قرر الامبرياليون اليابانيون مهاجمة ممتلكات الولايات المتحدة وبريطانيا ومراكزها الامامية فى الشرق الاقصى .

وكان حكام اليابان قد حزموا أمرهم ، على اخراج منافسيهم من المحيط الهادى وجنوب شرق آسيا ، للسيطرة عليهما . وكانوا يأملون فى الاستيلاء على ما فى تلك المناطق من ثروات هائلة ، لمضاعفة طاقاتهم الاقتصادية والعسكرية ، تحسباً منهم للحرب التى سيخوضونها ضد الاتحاد السوفياتى . وكانوا يظنون أن مشاغل بريطانيا والولايات المتحدة فى الحرب ضد ألمانيا ، ستحول بينهما وبين الجدية فى مقاومة العدوان اليابانى ، وكانوا يظنون أيضا أن الجهات الحكومية فى الولايات المتحدة وبريطانيا ، ستوافق فى موعد لاحق على عقد صفقة مع اليابان ، تحت تأثير المشاعر التى تسودها فى معاداة الاتحاد السوفياتى .

وتبنت الحكومة اليابانية فى جلسة عقدتها على أرفع المستويات وبحضور الامبراطور نفسه فى السادس من سبتمبر برنامجاً للغزو أطلقت عليه اسم « المبادئ الأساسية للسياسة القومية الامبراطورية » . ونصت المادة الثالثة من هذا البرنامج على مايلى : « اذا لم يظهر هناك أى أمل فى قبول مطالبنا قبل أواسط أكتوبر ، فلا بد من الشروع فى الحرب دون ابطاء ضد أمريكا وانجلترا وهولندا » (٢) .

واتخذ القرار النهائى بمهاجمة الولايات المتحدة وبريطانيا فى مؤتمر

(١) نفس المصدر - المجلد الثانى ، واشنطن ١٩٤٣ . ص ٥٥٦ - ٥٥٧ .

(٢) الاوراق المتعلقة بالعلاقات الخارجية بين الولايات المتحدة واليابان (١٩٣١ - ١٩٤١) .

المجلد الثانى - واشنطن ١٩٤٣ . ص ٥٥٦ - ٥٥٧ .

لاحق عقد في الخامس من نوفمبر من عام ١٩٤١ . ولقد صيغ هذا القرار على النحو التالي : ١ - تبدأ العمليات الحربية في مستهل شهر ديسمبر ، وعلى الجيش والأسطول أن يكمل استعدادتهما للحرب قبل هذا الموعد ٢ - يجب أن تستمر المفاوضات مع الولايات المتحدة طبقا للخطة المرسومة . ٣ - يجب زيادة التعاون مع ألمانيا وإيطاليا ٤ - يجب إقامة علاقات عسكرية سرية مع سيام (تايلاند) ، قبيل الشروع في العمليات الحربية (١) .

وهكذا يصور قرار الخامس من نوفمبر استمرار المفاوضات مع الولايات المتحدة طبقا لخطة جديدة . وكان القصد من هذه المفاوضات ، اشغال الحكومة الأمريكية وتهدة مخاوفها ، وصرف انتباهها ، وإيهامها بأن الهجوم الياباني غير متوقع لكي يحقق عنصر المفاجأة . وأوفدت الحكومة اليابانية رغبة منها في أن تضيف شيئا من الأهمية على هذه المفاوضات أحد رجالها الدبلوماسيين المدعو سابورو كيروزو ، ليساعد نومورا في الولايات المتحدة . وقد غادر كيروزو هذا طوكيو في الخامس من نوفمبر وهو نفس اليوم الذي قرر فيه حكام اليابان مهاجمة الولايات المتحدة وبريطانيا في المحيط الهادي .

وأصدرت القيادة العليا اليابانية أوامرها الى « القيادات البحرية » والعسكرية الخاصة ، للامضى الى مراكزها وقواعدها المتعددة ، والاستعداد للشروع في الهجوم » (٢) وتلقى القائد الياباني البحري الأعلى أمرا يقول : ان « الحرب مع الولايات المتحدة وبريطانيا واليابان أصبحت حتمية » . وأرسلت الأوامر المختومة الى مختلف القادة البحريين « تحدد لهم المواقع المتعددة التي سيهاجمونها ، ولا سيما في بيرل هاربور والفلبين وهو نكونج ، كما حددت لهم تواريخ الهجوم » (٣) .

ودكر مقال افتتاحي في صحيفة « منشوريا ديلي نيوز » الناطقة بلسان جيش كوانترنج في السادس من نوفمبر ، أن المرحلة الراهنة في العلاقات اليابانية الأمريكية تذكرنا بالأسبوع الأخير من المفاوضات الروسية - اليابانية التي سبقت حرب عام ١٩٠٤ .

وقدمت الحكومة اليابانية في العشرين من نوفمبر من عام ١٩٤١ .

(١) نفس المصدر المجلد الثاني ص ١٦٢ .

(٢) فريدريك مور - « مع قادة اليابان » - نيويورك ١٩٤١ . ص ٢٥٧ .

(٣) نفس المصدر ص ٢٥٧ - ٢٥٨ .

مقترحاتها الجديدة الى الولايات المتحدة عن طريق كيروزو ونومورا . وقد نصت هذه الاقتراحات على أن ليس من حق الولايات المتحدة أن تتدخل في العلاقات اليابانية الصينية وأن عليها أن تسمح باشتراك اليابان والولايات المتحدة ، باستخدام المواد الأولية في اندونيسيا وسيلعها . وظالبت المقترحات باستئناف العلاقات التجارية بين اليابان وأمريكا وأن تحصل اليابان على ما تحتاج اليه من زيت من الولايات المتحدة . وتنص الاقتراحات أيضا على أن يتعهد الفريقان بعدم الاعتداء في جنوب شرق آسيا وجنوب المحيط الهادى . وذكرت الاقتراحات أن الحكومة اليابانية على استعداد لسحب قواتها من الهند الصينية بعد أن يتم « فرض صلح عادل على منطقة المحيط الهادى » ، والى أن يتم هذا الصلح ، فان اليابان ستسحب قواتها من جنوب الهند الصينية الى شمالها (١) .

ولكن الحكومة الامريكية ، بعد أن نشبت الحرب بين ألمانيا والاتحاد السوفياتى لم تعد راغبة فى دفع مثل هذا الثمن الباهظ الى المعتدين اليابانيين ، مقابل ميولهم المعادية للسوفيات . وقدمت الحكومة الأمريكية فى السادس والعشرين من نوفمبر من عام ١٩٤١ ، خطتها الى اليابان الرامية الى تقرير « حل شامل للقضايا المختلف عليها » . وقد تألفت هذه الخطة من شقين : أولهما وضع اعلان مشترك عن المبادئ الأساسية للسياستين : الأمريكية واليابانية فى المحيط الهادى . وتضمن الشق الثانى اقتراحات محددة حول عقد ميثاق عدم اعتداء متعدد الأطراف ، وحول سحب القوات اليابانية من الصين والهند الصينية ، والاعتراف بنظام تشيان كاي شيك كالحكومة الشرعية الوحيدة فى الصين ، وعقد اتفاق تجارى على أساس الدولة المفضلة ، ووضع نظام مستقر لتحويل الدولار الأمريكى والين اليابانى (٢) .

وتبين الحكام اليابانيون من هذه الاقتراحات الامريكية ، أن ليس لدى الحكومة الأمريكية أية معلومات عن نوايا اليابان الحربية . وكان رأى العام اليابانى قد تكيف بصورة متدرجة لفكرة الحرب . وأعلن رئيس وزراء اليابان توجو فى مقال نشره فى التاسع والعشرين من نوفمبر أن « من الواجب تطهير شرق آسيا بعملية انتقامية » . (٣) وأثار

(١) اليابان المعاصرة - طوكيو - المجلد التاسع - العدد الأول - يناير ١٩٤٢ .

(٢) الدبلوماسية الأمريكية فى الشرق الأقصى - ١٩٤٢ - ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .

(٣) حوزيف حرو فى كتابه « عشر سنوات فى اليابان » - نيويورك ١٩٤٤ . ص ٤٨٣ -

المقال كثيرا من القلق فى الولايات المتحدة ، ولكن الاميرال نومورا سارع الى التصريح فى مؤتمر صحفى عقده فى واشنطن فى الثانى من ديسمبر بأنه لا يعتقد أن هناك من يريد الحرب .

وتلقت القوة البحرية اليابانية العاملة التى عهد اليها بالقيام بعملية بيرل هاربور ، الأوامر فى الخامس والعشرين من نوفمبر ، بالإبحار ، وقد تضمنت هذه الأوامر تعليمات محددة ، بأن تبخر سرا الى مياه جزر الهوايا ، وأن توجه ضربة قاضية الى الأسطول الأمريكى فيها فى نفس اللحظة التى تعلن فيها الحرب ، وكان على هذه الوحدات بعد اتمام الغارة ، أن تنسحب من مياه الهوايا وأن تعود الى اليابان .

وقررت الحكومة اليابانية فى الأول من عام ١٩٤١ ، الشروع فى الحرب فى مستهل الشهر نفسه . وتلقى الأسطول اليابانى فى اليوم التالى أوامره بمهاجمة « بيرل هاربور » فى الموعد المحدد .

وكان فى الامكان اكتشاف ما فى الحطة اليابانية من تعمية ، فقد تمكنت المخابرات الأمريكية فى شهر أكتوبر من عام ١٩٤١ من الوصول الى مفتاح « الرموز » فى الرسائل اليابانية السرية ، وكان الكثير من هذه الرسائل يشير اشارات عامة الى الهجوم المتوقع .

وتقول رسالة بعثت بها حكومة طوكيو الى سفيرها فى برلين : « أبلغ هتلر ورينتروب بصورة سرية للغاية ، أن هناك خطرا بالغاً من احتمال اندلاع نيران الحرب فجأة بين الدولتين الانجلو - سكسونيتين وبين اليابان وأن هذه الحرب قد تقع بصورة أسرع مما يحلم به أى انسان » (١) . وتلقت الحكومتان الألمانية والايطالية هذه المعلومات من سفيرى اليابان فى برلين ورومة ، وسارعتا الى فهم الغاية المقصودة منها . وكتب الكونت شيانو وزير خارجية ايطاليا فى يومياته يقول : « هناك حركة مذهلة من جانب اليابان » (٢) .

وبينت الرسائل اللاسلكية اليابانية التى التقطتها المخابرات الأمريكية ، الموعد التقريبي الذى تحدد للهجوم . وكانت بين هذه الرسائل رسالة موجهة فى الثانى والعشرين من نوفمبر الى كيروزو ونومورا فى

(١) « شهادات أمام اللجنة المشتركة حول التحقيق فى الهجوم على بيرل هاربور » - ١٩٤٦ القسم ١٦ . ص ٢٣٩٠ .

(٢) يوميات شتبانو ١٩٣٩ - ١٩٤٣ . ص ٤١٤ .

واشنطن ، تحدد نهاية نوفمبر ، « كالموعد الاخير الذى لا يمكن تغييره مطلقا ، والذى ستقع بعده الاحداث بصورة أوتوماتيكية » (١) . والتقطت المخابرات الأمريكية فى الثالث من ديسمبر أمرا موجها الى السفارة اليابانية فى واشنطن باتلاف جميع وثائقها السرية ، ولا سيما رموز الرسائل . وفرض ضباط المخابرات رقابة صارمة على أبنية السفارة ، واكتشفوا أن موظفيها أخذوا فى احراق الأوراق فى الحديقة الخلفية للسفارة . والتقطت رسالة لاسلكية أخرى فى السادس من ديسمبر تؤكد ضرورة تسليم البيان الرسمى اليابانى الى الولايات المتحدة فى الساعة الواحدة بعد الظهر (وقت واشنطن) من اليوم السابع من ديسمبر . وكان فى امكان هذا التحديد للساعة أن يؤمن لزعماء الولايات المتحدة مادة للتفكير الطويل فى الموضوع .

واعترف كوردل هل فيما بعد أنه « كان دائما يهتم أشد الاهتمام بمحتويات هذه الرسائل التى يتم التقاطها » (٢) .

وقال الوزير الأمريكى . . . « وكانت جميع المعلومات التى تلقيناها فى هذه الفترة ، توضح أن اليابان تعتزم الهجوم علينا » (٣) . وأضاف هنرى ستمسون ، وزير حربية الولايات المتحدة قائلا « وكنا جميعا نتساءل عن المكان الذى ستقع فيه الضربة » (٤) .

ولكن الحكومة الأمريكية كانت تعرف هذا المكان أيضا . وفى السابع والعشرين من يناير من عام ١٩٤١ . كان جوزيف جرو ، سفير الولايات المتحدة فى طوكيو ، قد أبلغ حكومته بصورة سرية « أن هناك كثيرا من الأقاويل فى المدينة ، تتحدث عن أن اليابان تضع خططها للقيام بهجوم كبير مفاجئ على بيرل هاربور » (٥) . وتلقت الحكومة الأمريكية أيضا معلومات تشير الى أن المخابرات الألمانية واليابانية كانت تجمع المعلومات عن بيرل هاربور . وقام « الصيادون » اليابانيون بزيارة جزر الهوايا .

(١) شهادات أمام اللجنة المشتركة حول التحقق فى الهجوم على بيرل هاربور « القسم ١١ ص ٥٣٩٨ .

(٢) « القسم ١١ ص ٥٣٧٣ .

(٣) نفس المصدر ص ٥٣٩٧ .

(٤) نفس المصدر ص ٥٤٢٧ .

(٥) جوزيف جرو - نفس المصدر ص ٣٦٨ .

حيث التقطوا الصور الفوتوجرافية ، وقاسوا أعماق المياه ، وسجلوا بعض المعلومات المهمة الأخرى .

وقدم ضابطان أمريكيان كبيران فى التاسع من ابريل والرابع عشر منه من عام ١٩٤١ ، تقريرين من جزر الهوايا الى الجنرال مارشال ، يتضمنان تحليلين دقيقين للغاية ، عن الخطة اليابانية المحتملة للهجوم على بيرل هاربور ونتائجه المتوقعة .

ولكن جميع هذه التحذيرات لقيت أذنا صماء . فقد أعمت حكام الولايات المتحدة ، الرغبة فى وضع الخطط المعادية للاتحاد السوفياتى ، حتى انهم ظلموا يحلمون بأن تقوم اليابان بمهاجمته . وظل الاحتكاريون الأمريكيون يرقصون انتظارا لحركة المعتدين اليابانيين . وقدم المالى الأمريكى برنارد باروخ فى الثلاثين من نوفمبر من عام ١٩٤١ قرضا بألف مليون دولار لليابان ، وكان هذا القرض بمثابة محاولة يائسة من الامبرياليين الأمريكان لعقد صفقة مع اليابانيين فى اللحظة الأخيرة ، أى فى الوقت الذى كانت فيه الوحدات البحرية اليابانية ، تمخر عباب المحيط متجهة الى بيرل هاربور .

وكانت القوات المسلحة الامريكية تعمل طبقا لخطة عمليات تم اقرارها فى الواحد والعشرين من يوليو من عام ١٩٤١ ، وكانت تستند الى الافتراض بأن ايلابان ستهاجم الاتحاد السوفياتى . (١) وذكر تقرير جهاز المخابرات الأمريكى فى التاسع والعشرين من نوفمبر من عام ١٩٤١ ان الاتحاد السوفياتى هو الهدف المتوقع الوحيد لهجوم اليابان فى غضون الشهور الثلاثة القادمة ، وان اليابان مخلصه فى سعيها للوصول الى تفاهم مع الولايات المتحدة وبريطانيا . (٢) وقد يكون صحيحا أن وزارتى الحرب والبحرية قد أصدرتا فى السادس عشر من أكتوبر تحذيرا الى القيادة الأمريكية فى المحيط الهادى ، الا أن هذا التحذير قال بأن احتمال الحرب بين اليابان والاتحاد السوفياتى هو الأرجح، وان كان من المحتمل أن دتبادر اليابان الى مهاجمة الولايات المتحدة بريطانيا . وأدى هذا التحذير الى اتخاذ الاجراءات الاحتياطية التى كانت الحاميات الأمريكية فى المحيط الهادى قد اتخذتها فى السابق .

(١) « الشهادات أمام اللجنة المشتركة للتحقيق فى الهجوم على بيرل هاربور » القسم ١٤ .

ص ٢٥٦٨ - ٢٦٠١ .

(٢) نفس المصدر ص ١٣٦٨ - ١٣٧٣ .

وهكذا حفرت الولايات المتحدة قبرها بيدها . ويعترف المؤرخون الأمريكيون بأن « أنباء الهجوم على بيرل هاربور جاءت كصدمة عنيفة . . ولم تأت هذه الانباء مفاجأة للشعب الأمريكي في مجموعه ، اذ عرف بالهجوم بعد وقوعه فحسب ، وانما جاء مفاجأة أيضا لقادة هذا الشعب » (١) .

ويقول الكاتب الأمريكي ، جى . دبليو ، وارنيك ، وهو محقق في رأيه : « أن سياسات الترضية الطويلة التي اتبعتها بريطانيا وأمريكا مع اليابان ، هي التفسير الفعلي لحالة عدم الاستعداد العسكري والنفسى التي سادت الدول الغربية » . (٢) وكانت عبارة « الترضية » تستخدم على نطاق واسع في تلك الايام ، ليكني بها عن سياسة مونيخ .

- ٢ -

وطلب كيروزو ونومورا ، في السابع من ديسمبر من عام ١٩٤١ ، مقابلة كورول هل في الساعة الواحدة بعد الظهر . وقد استقبلهما الورير الأمريكي في الساعة الثانية والثلاث ، أى بعد نصف ساعة من سماعه بأنباء الهجوم الياباني على بيرل هاربور . وقد سلمه المبعوثان اليابانيان مذكرة ، رفضت فيها الحكومة اليابانية الاقتراحات الأمريكية التي قدمت في السادس والعشرين من نوفمبر . ونصت الفقرة الأخيرة من المذكرة على مايلي : «تأسف الحكومة اليابانية لأنها تجد نفسها مضطرة في هذه المذكرة الى ابلاغ الحكومة الامريكية ، بأنها نظرا لموقف هذه الحكومة ،لاتجد أن من الممكن الوصول الى اتفاق عن طريق أية مفاوضات مقبلة » (٣)

ولم تتضمن المذكرة أى اعلان للحرب ، وان كان الهجوم المسلح، قد وقع قبل تسليمها الى الحكومة الامريكية .

وشن اليابانيون اعتداءاتهم في مجموعة من النقاط في آن واحد . ففي الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والأربعين (وقت واشنطن) من صباح السابع من ديسمبر استولت اليابان على المنطقة الدولية غي شنجهاى ، وبدأ اليابانيون في الساعة الحادية عشرة والدقيقة الأربعين في قصف التحصينات البريطانية في شمال الملايو بنيران مدافعهم ، كما

(١) موريس مابلوف وايدوين سنيل في كتاب « التخطيط الاستراتيجي لحرب التحالف

١٩٤١ - ١٩٤٢ واشنطن - ١٩٥٣ ص ٨٠ .

(٢) مجلة « سيفيك أفيرز » عدد ديسمبر ١٩٤٢ ص ٤٣٣ .

(٣) جوزيف جرو - نفس المصدر ص ٤٩٣ .

بدءوا عمليات النزول فى الملايو فى الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة • وشرعوا بعد ساعة واحدة بهجوم عبر أراضى سيام الجنوبية على حدود الملايو • وهاجم الأسطول اليابانى فى الساعة الواحدة والدقيقة العشرين بيرل هاربور •

وصدر فى الثامن من ديسمبر مرسوم امبراطورى فى اليابان يعلن الحرب على الولايات المتحدة وبريطانيا •

وكان القصد من حشد الأسطول الأمريكى فى بيرل هاربور ارغام اليابان على أن تكون أكثر لينا أثناء المفاوضات الأمريكية - اليابانية • ولكن هذا الحشد بدلا من أن يرهب اليابانيين ، مثل فرصة من السماء لليابان ، لتعطل بضربة واحدة ، الأسطول الأمريكى فى المحيط الهادى كله •

وكانت القيادة اليابانية تعتقد أن عليها أن تدمر القوة الرئيسية فى الأسطولين : البريطانى والأمريكى ، قبل أن يكون فى امكانها الاستيلاء على المناطق الجنوبية الغربية فى المحيط الهادى ، وغيرها من الممتلكات •

وكانت القيادة الأمريكية قد نسيت احتمال قيام اليابان بهجوم مباغت ، كما تجاهلت ما فى قاعدة بيرل هاربور البحرية من عيوب • وكانت هذه القاعدة ضحلة ومكتظة بالسفن الحربية ، ولذا فقد مثلت خطرا كبيرا على القوة البحرية الضخمة الموجودة فيها • ولم يكن عرضها يزيد على خمسمائة متر كما أن عمقها لا يتجاوز الاثنى عشر مترا • وكان منفذها الوحيد يمر عبر شعاب مرجانية • ولذا فقد كان من السهل ان يتحول الميناء فيها الى مصيدة سهلة • وكانت البوارج تمخر فيها متلاصقة نظرا لضيق المساحة فيها ، وقد ضمت عند وقوع الهجوم ستين سفينة حربية منها ثمانى بوارج ، مع أربع وعشرين سفينة حربية اضافية أخرى •

وكان الأسطول اليابانى الذى وكلت اليه مهمة مهاجمة القاعدة يتألف من ست حاملات للطائرات ، وبارجتين ، وطرادين ثقيلين وطراد خفيف وتسع مدمرات ، وقد أبحر من ميناء هيتوكابو فى أرخبيل الكوريل فى الساعة السادسة من صباح السادس والعشرين من نوفمبر • وقد وصل الى نقطة تبعد مائتى ميل الى الشمال من اوهاو ، حيث بات فى

وسعه ، أن يبعث بطائراته لتتولى الهجوم فى الساعة السادسة من صباح
الأحد فى الثامن من ديسمبر . (١)

وكان هناك نحو من ٣٦٠ طائرة على ظهر حاملات الطائرات اليابانية .
وانطلقت هذه الطائرات لمهاجمة القطع البحرية الأمريكية والمطارات فى
جزر الهوايا فى الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والخمسين . وسجلت
الموجة الأولى من الطائرات ، اصابات مباشرة بالطوربيدات والتناابل ،
فى جميع البوارج الأمريكية . واشتركت فى الهجوم اثنتا عشرة غواصة
يابانية تحمل خمس منها غواصات صغيرة يديرها رجالان ليس الا . ولم
تحقق الغواصات بنوعيتها أى نجاح يذكر ، وان كانت واحدة منها قد
تمكنت من التسلل الى الميناء والاشتراك فى الهجوم . (٢)

وأسفر الهجوم اليابانى على بيرل هاربور ، والذي أخذ القنات
الأمريكية المسلحة كلها على غرة ، عن هزيمة لا مثيل لها فى تاريخ البحرية
فقد تمكن اليابانيون فى غضون ١١٠ دقائق من اغراق خمس بوارج ،
وأصابوا ثلاثا أخرى بأضرار بالغة . وخسرت أمريكا فى المعركة تسع
عشرة سفينة حربية ، والشطر الأكبر من قوتها الجوية المراقبة فى جر
الهوايا . وكانت خسائر الأمريكيين فى الرجال والمعدات رهيبة للغاية .
أما الخسائر اليابانية فكانت طفيفة نسبيا اذ لم تتجاوز ٢٩ طائرة وست
غواصات منها خمس من الغواصات الصغيرة المسماة بغواصات «البعوضة» .

وكانت نتيجة الغارة على بيرل هاربور ، مفاجئة لليابانيين أيضا
ولعل هذا يفسر لنا السبب الذى دفع اليابان الى عدم استغلالها الى أقصى
حدود الاستغلال فورا . فلقد كانت الخطة اليابانية تقوم على أساس
« توجيه ضربة ثم الانسحاب بسرعة » . وأطاع نائب الأدميرال فاجومو ،
الذى قاد العملية ، نص الخطة وانسحب فورا باتجاه الشمال الغربى .
ولو أنه طارد بقايا الأسطول الأمريكى التى كانت تسرع فى انسحابها
باتجاه الشرق ، لمنى الأسطول الأمريكى بخسائر أكبر . وكان من رأى
الدوائر العسكرية الأمريكية ، ومعها الجنرال جورج مارشال ، أن اليابانيين

(١) يرجع الخلاف بين هذا التاريخ وهو ٨ ديسمبر والتاريخ السابق الذى ذكرناه وهو
٧ ديسمبر الى وجود خط التوقيت الدولى الذى يمر فى غرب المحيط الهادى والذي
ينتهى فيه تغير الساعة الى يوم كامل .

(٢) فريدريك شيرمان « القيادة المحاربة - حاملات الطائرات الأمريكية فى حرب المحيط
الهادى » نيويورك ١٩٥٠ ص ٢٨ .

ارتكبوا اكبر خطيئة بتغافلهم عن الفرصة التى أتحت لهم باحتلال بيرل هاربور .

ومثلت الأيام الأولى من الحرب فى المحيط الهادى أيضا ، فواجه للبريطانيين . فقد خرج الأسطول البريطانى فى المحيط الهادى المؤلف من بارجتين وأربع مدمرات من قاعدة سنغافورة فى الثامن من ديسمبر لمهاجمة بعض السفن اليابانية التى جاءت الأنباء تقول : انها تنزل القوات اليابانية ، فى شمال الملايو . وحددت الغواصات اليابانية موقع الأسطول البريطانى ، فأبرقت على الفور الى سايجون . وهاجمت زوارق الطوربيد اليابانية ، والقاذفات فى صباح العاشر من ديسمبر وحدات الأسطول فأغرقت البارجتين البريطانيتين .

وشجعت الخسائر البحرية التى منيت بها بريطانيا والولايات المتحدة اليابان على المضى فى خطتها ، اذ بدأ المسرح مهياً لاحتلال بحار الجنوب كلها .

وأقامت الأيام الخمسة الأولى من الحرب فى مسرح المحيط الهادى الدليل ، على أن البوارج والطرادات الثقيلة ، لم تعد صالحة للحرب البحرية العصرية ، نظرا لضعفها أمام الهجوم من الجو . وقد اعترف القادة البحريون البريطانيون والأمريكان بهذه الحقيقة . ويقول الاميرال فريدريك شيرمان ، قائد الأسطول الأمريكى الخامس فى تلك الأيام : ان الخطط البحرية التى وضعت قبيل الهجوم اليابانى كانت « تركز على أن البوارج هى السلاح الأول فى البحر ، ولكن هذه الخطط سرعان ما انهارت وأصبحت مجرد أساطير كقصص « جريم » الخرافية . فقد بات القسم الأكبر من العمود الفقري للأسطول فى مقر البحر فى بيرل هاربور ، لا حول فيه ولا طول . وهكذا اهتز الاطمئنان الذى كان يحس به قادة الأسطول ، من أسسه » (١) .

ووسع الهجوم اليابانى على الولايات المتحدة ، حدود ميادين الحرب، وضاعف من عدد الدول المشتركة فيها . ففي الثامن من ديسمبر من عام ١٩٤١ ، أعلنت الولايات المتحدة وبريطانيا الحرب على اليابان . وأعلنت الولايات المتحدة فى الحادى عشر من ديسمبر الحرب على ألمانيا وإيطاليا . فقابلتها بالمثل . وأعلنت بلغاريا وسلوفاكيا وكرواتيا الحرب على بريطانيا

(١) فريدريك شيرمان - نفس المصدر - ص ٦٩ .

والولايات المتحدة ، كما أعلنت المجر ورومانيا الحرب على الولايات المتحدة ، بعد أن كانتا قد أعلنتها على بريطانيا في السابق . وأعلنت حكومة منشوريا العملية الحرب أيضا على الدولتين الغربيتين .

ووقعت دول المحور في الحادى عشر من ديسمبر ، وهو يوم اعلان ألمانيا وإيطاليا الحرب على الولايات المتحدة ، اتفاقا عسكريا جديدا اعتبر مكملا لميثاق برلين السابق . وقد نص الميثاق الجديد على أن تواصل ألمانيا وإيطاليا واليابان الحرب على بريطانيا والولايات المتحدة بصورة مشتركة ، وبمختلف الوسائل المتوافرة لها حتى نهاية الحرب . وتعهدت الدول الثلاث بالألا توقع أية هدنة أو صلح ، دون موافقة الدول الثلاث واشترائها . ونصت المادة الثالثة من الميثاق « على أن تتعاون إيطاليا وألمانيا واليابان بعد انتهاء الحرب الراهنة وتحقيق النصر ، طبقا لروح الميثاق الثلاثي الذى وقع فى السابع والعشرين من سبتمبر من عام ١٩٤٠ على اقامة نظام عادل جديد فى العالم ، والمحافظة عليه » . وهكذا تبين أن الدول الفاشية الثلاث لم تعد تخفى أهدافها النهائية فى الاستيلاء على العالم كله واستعباده .

وأعلنت استراليا ونيوزيلنده وكندا ، واتحاد جنوب أفريقيا . وكوستاريكا ونيكاراجوا والسلفادور وهندوراس وهايتى وجمهورية الدومينيكان ، وكوبا ، وبناما وجواتيمالا ، والهند الحرب على الدول الفاشية كلها . وسرعان ما حذت حذوها فرنسا الحرة وهولنده وبولنده والحبشة وبلجيكا . وأعلنت الصين التى هاجمتها اليابان فى عام ١٩٣٧ ، وبعد أربع سنوات ونصف السنة من الحرب غير المعلنة الدموية والكثيرة التضحيات ، الحرب على اليابان فى التاسع من ديسمبر من عام ١٩٤١ .

- ٣ -

مثلت المرحلة الأولى من الحرب فى المحيط الهادى والتى انتهت فى شهر مايو من عام ١٩٤٢ ، نصرا كبيرا للسلاح اليابانى . وحقق اليابانيون مكاسب وقتية ، فقد استولوا على مناطق واسعة وغنية فى المحيط الهادى ، بقوات صغيرة نسبيا . وراحت القوات المسلحة للولايات المتحدة وبريطانيا ، والممتلكات البريطانية المستقلة وهولنده ، تسلم الى اليابانيين نقطة استراتيجية مهمة بعد أخرى . واستسلمت حامية سنغافورة التى كانت تضم نحو من مائة ألف مقاتل مزودين بأحدث الاسلحة ، دون قتال ، مع

أنه كان فى امكانها أن تقاوم عدة أشهر على الأقل . ومثل هذا الاستسلام
نكسة مؤلمة ومخزية للغاية . ووصف الصحفيان الأمريكان ثيودور وايت
دانالى جاكوبى ، الحرب فى البحار الجنوبية بأنها كانت صورة « للخزى
والعار والبلادة » (١) .

ووطد اليابانيون فى خمسة أشهر أو ستة أقدامهم فى الهند
الصينية وسيام ، واستولوا على الملايو وسنغافورة ، واحتلوا الجزر
الرئيسية فى أندونيسيا وجزءا من غينيا الجديدة وبورما والفلبين وهونج
كونج . واحتل اليابانيون أيضا جزر جوام وويك وبريطانيا الجديدة
وسليمان وغيرها فى المحيط الهادى ، وغزوا مقاطعة يونان الواقعة فى جنوب
الصين عن طريق برما . وهكذا أصبح اليابانيون يسيطرون على مساحات
من الأراضى تضم ٣٨٠.٠٠٠ كيلومتر مربع و ١٥٠ مليوناً من السكان
بالإضافة الى ما سبق لهم احتلاله فى الصين نفسها .

وضاعفت الانتصارات التى حققتها اليابان فى المحيط الهادى من
تناقضاتها الامبريالية مع ألمانيا . فقد كانت كل منهما تعمل لحسابها فى
نضالهما المشترك للسيطرة على العالم . وتم الوصول الى حل وسط مؤقت
عن طريق التوفيق . فقد وقعت ألمانيا وايطاليا واليابان فى الثامن عشر
من يناير من عام ١٩٤٢ ، ميثاقا عسكريا فى برلين نص على تقسيم العالم
الى منطقتين : غربية وتكون لألمانيا الهتلرية وايطاليا ، وشرقية وتكون
لاليابان .

وكان اشتراك أمريكا فى الحرب ، ثمرة تناقضات امبريالية دولية
حادة للغاية . فلقد حزمت الامبريالية الأمريكية أمرها لا على احباط
مساعى ألمانيا واليابان لتحقيق السيطرة على العالم فحسب ، بل وعلى
تحقيق مخططاتها الخاصة فى تولى « زعامة العالم » .

واستثمر الامبرياليون الأمريكيون موضوع اشتراك بعض الدول
الأمريكية اللاتينية فى الحرب ، اذ « حزموا أمرهم على تشديد قبضتهم
اقتصادية وسياسية وعسكرية على أمريكا اللاتينية ، بدلا من أن يقاوموا
سياسة الحياد الموالية للفاشية التى اتبعتها بعض الحكومات الرجعية فى
أمريكا اللاتينية » (٢) . فقد وأصلت الحكومة الأمريكية تقديم كل معونة

(١) ثيودور وايت ودانالى جاكوبى فى كتاب « الرعد يخرج من الصين » نيويورك ١٩٤٦ .

(٢) فيتوريو كودفيل فى كتابه « سيطرة الولايات المتحدة الاستعمارية على أمريكا اللاتينية »

- بونيس ايرس - ١٩٤٧ . ص ١٢ .

ممكنة للزمر الرجعية المؤيدة للفاشية . وكانت ثمرة هذه السياسة ، أن حلف الدول الأمريكية ، كان أقل اهتماما بمحاربة الفاشية ، منه بمحاربة العناصر التقدمية ، وحركات التحرر الوطني في أمريكا اللاتينية .

وفرضت الولايات المتحدة في مؤتمر ريودي جانيرو الذي عقد بين الخامس عشر من يناير من عام ١٩٤٢ والثامن والعشرين منه معاهدة على الدول الأمريكية اللاتينية وعدت فيها بمساعدة هذه الدول في إقامة قواعد بحرية وجوية . واتخذت الدول المشتركة في المؤتمر قرارا يحث بعضها البعض على الاسراع في انتاج المواد الأولية الاستراتيجية والمنتجات الزراعية والسلع المصنوعة وتبادلها . ومضت الولايات المتحدة خطوة أخرى ، فقد أقنعت ست عشرة دولة أمريكية برفع الحواجز التجارية والجمركية بينها (١) .

ومثل مؤتمر ريودي جانيرو مرحلة جديدة في فرض سيطرة امبريالي الولايات المتحدة على دول أمريكا اللاتينية ، ومرحلة جديدة أخرى في التصفية المتدرجة للمنافسة البريطانية لأمريكا في ذلك الجزء من العالم .

ومثل تورط أمريكا في الحرب مصدرا جديدا لاثراء الاحتكارات فقد ارتفع الانتاج الصناعي الأمريكي بسرعة صاروخية كما يظهر من الجدول التالي :

الانتاج الصناعي الأمريكي (١٠٠٪ في عام ١٩٣٩) (١)

| | | | | | | |
|------|------|------|------|------|------|------|
| ١٩٣٩ | ١٩٤٠ | ١٩٤١ | ١٩٤٢ | ١٩٤٣ | ١٩٤٤ | ١٩٤٥ |
| ١٠٠ | ١١٥ | ١٤٩ | ١٨٣ | ٢١٩ | ٢١٦ | ١٨٦ |

وسار تركيز رءوس الأموال في الصناعة جنبا الى جنب وبنفس السرعة مع التزايد في الانتاج . وكانت الصناعة الانتاجية في الولايات المتحدة تستخدم في عام ١٩٣٩ نحو ١٣ من المائة من قوة العمالة في المصانع التي يضم كل منها اكثر من عشرة آلاف عامل . وارتفعت هذه

(١) أهداف الولايات المتحدة في الحرب والسلام . ص ٥٨٣ - ٥٨٤ .
(٢) و (٣) التركيز الاقتصادي والحرب العالمية الثانية - تقرير اتحاد المصانع الحربية الصغيرة - واشنطن ١٩٤٦ . ص ٣١٣ - ٣١٩ .

النسبة في عام ١٩٤٤ الى ٣٠٤ في المائة . ومثلت المصانع التي تردد عدد عمال الواحد منها بين الف وعشرة آلاف ، والتي سيطرت عليها الاحتكارات الصناعية الكبرى ، نحو ٥٢٨ في المائة من قوة العمالة المستخدمة في الصناعة الانتاجية كلها .

التركيز في الصناعة الأمريكية الانتاجية (٢)

| مجموع قوة العمالة | | | | عدد المصانع | | عدد العمال |
|-------------------|------|----------|-------|-------------|---------|-----------------|
| بالنسبة المئوية | | بالألوان | | | | |
| ١٩٤٤ | ١٩٣٩ | ١٩٤٤ | ١٩٣٩ | ١٩٤٤ | ١٩٣٩ | |
| ١٨,٩ | ٢٥,٨ | ٣,١٣٨ | ٢,٧٨٧ | ١٩٧,٦٣٨ | ١٨٧,٤٧٧ | ٩٩ - ١ |
| ١٩,٣ | ٢٥,٨ | ٣,٢٢٥ | ٢,٧٨٢ | ١٥,٩٣٨ | ١٤,٠٠٠ | ٤٩٩ - ١٠٠ |
| ٣١,٤ | ٥٣,٣ | ٥٢٤,٨ | ٣,٨١١ | ٤,٤٦١ | ٢,٣٧٤ | ٩,٩٩٩ - ٥٠٠ |
| ٣٠,٤ | ١٣,١ | ٥,٠٨٣ | ١,٤٢٠ | ٣٤٤ | ٤٩ | ١٠ آلاف فما فوق |

وقد ضاعفت الاحتكارات الصناعية الى درجة كبيرة من دخولها في أيام الحرب ، عن طريق مضاعفاتها لاستغلال العمال . وكان توزيع « الطلبات العسكرية » يتم مع مراعاة نفع الاحتكارات الكبرى . ويقول هارولد ايكس وزير داخلية الولايات المتحدة في تلك الايام ، وعضو لجنة الدفاع : « اللجنة كانت تبذل قصارى جهدها لضمان النفع لأصدقائها من كبار رجال الأعمال » (١) وكانت هذه الطلبات توزع على عدد من كبار الصناعيين « يتراوح » بين المائة والمائة والخمسين (٢) .

(١) هارولد ايكس في كتابه « يوميات سرية » المجلد الثالث - نيويورك ١٩٥٤ - سيمون وشوستر . ص ٤٣٤ .

(٢) دونالد نيلسون في كتابه « ترسانة الديمقراطية » - نيويورك ١٩٩٦ . ص ٢٧٦ .

وركزت ألمانيا الفاشية قواتها على الجبهة السوفياتية . ومكنت هذه الحقيقة الولايات المتحدة وبريطانيا من ارسال قوات برية وبحرية وجوية كبيرة الى مسرح المحيط الهادى ، وكان تطلع اليابان الى مهاجمة الاتحاد السوفياتى سببا فى تحويل شطر من قواتها المسلحة من مسرح المحيط الهادى ، مما أثر على توازن القوى فى المنطقة . وهكذا مكن الصمود السوفياتى العنيد فى مسرح الحرب الرئيسى الولايات المتحدة وبريطانيا من تعزيز قواتهما فى المحيط الهادى .

ووقعت معركة بحرية كبرى فى شهر مايو من عام ١٩٤٢ فى بحر كورال (المرجان) بين استراليا وجزر سليمان ، والهيبريدز الجديدة . وعلق الفريقان المتحاربان ، أى الولايات المتحدة واليابان ، الاهمية الكبرى فى هذه المعركة على القوة الجوية . ولم تطلق البوارج الكبيرة فى الأسطولين المتحاربين طلقه واحدة . وبالرغم من تعادل الخسائر ، فقد أضطر الأسطول اليابانى الى التراجع .

ومنيت اليابان بنكسة جديدة فى معركة ثانية نشبت على مقربة من جزيرة ميدواى فى شهر يونيو من عام ١٩٤٢ . فقد خسرت اليابان أربع حاملات للطائرات ، وطرادا وعددا من الطائرات . وأقامت معركة ميدواى الدليل على أن ميزان الحرب أخذ يتجه ضد اليابان .

وبالرغم من ظهور التفوق البريطانى - الأمريكى فى المحيط الهادى، فان مخططى السياسة الغربية ، لم يقوموا بأى هجوم واسع النطاق على العدو . واقتصر عمل القوات الأمريكية والبريطانية بالرغم من تفوقها الواضح ، ولأكثر من عامين على الاشتباكات البحرية الثانوية ، وعلى بعض الاشتباكات البرية التافهة كتلك التى وقعت فى جزر سليمان وجزيرة غينيا الجديدة .

يعود السبب فى الأخطاء العسكرية التى وقع فيها الأمريكيون والبريطانيون والهولنديون فى المحيط الهادى ، وفى فشلهم فى ذلك المسرح من مسارح الحرب الى السياسات الاستعمارية والعنصرية التى كانت تتبعها حكوماتهم الثلاث ، فقد حالت هذه السياسات دون تمكنهم من الحصول على معونة أهالى البلاد فى الصراع ضد التوسع اليابانى . وكان الحكام الأمريكيون والبريطانيون يخشون من السماح للجماهير بمساعدتهم ضد المعتدين اليابانيين ، وذلك لانهم كانوا يخافون من أن تؤدى هذه المساعدات الى تشجيع حركات التحرر الوطنى . فلقد رفضت الولايات المتحدة على سبيل المثال ، الاقتراح الذى تقدم به الحزب الشيوعى فى الفلبين لاقامة جبهة مقاومة وطنية موحدة .

وكان الحكام البريطانيون والأمريكان والهولنديون فى هذه المستعمرات ، صادقين مع طبيعتهم الاستعمارية حتى فى أوقات الحرب ، اذ ظلوا يقفون بعيدا وفى معزل عن الجماهير ، بل وفى جبهة مضادة لهذه الجماهير .

ولكن المعارك التى كانت مستعرة فى الجبهة السوفياتية ، دفعت حركات التحرر الوطنى فى المحيط الهادى الى الأمام ، بالرغم من معارضة المستعمرين . وهكذا حملت الشعوب السلاح ، ضد العدوان الفاشى ، برضى المستعمرين أو رغما عنهم ، وضد « النظام الجديد » الذى تبنته اليابان .

ولم تحل نهاية شهر مارس من عام ١٩٤٢ ، حتى كانت هناك منظمة جماهيرية قد تألفت فى الفلبين باسم جيش الشعب المعادى لليابان (هوكبالاهاب) ، وشرعت فى العمل ضد الغزاة . وتم فى السنة نفسها تأليف جيش شعبى فى الملايو ، وراح الجيش الوطنى لعصبة حرية الشعب المعادى للفاشية فى بورما ، يحارب الغزاة حربا لا هوادة فيها . وظهرت بوادر حركات وطنية فى أندونيسيا والهند الصينية وكوريا . وهب شعب الهند كله يحارب دفاعا عن حريته .

ولم يكن عداء الحكام الأمريكيين والبريطانيين للنضال التحررى فى

المحيط الهادى أقل عنفا من عدائهم لحركات المقاومة فى أوربا . وكان هؤلاء الحكام الامبرياليون يخشون أن يؤدى هذا النضال الى استثارة الوعي الوطنى عند الشعوب الشرقية . وكانوا يخشون أن يتطور النضال اثناء الحرب ضد المعتدين اليابانيين فى نهايتها الى نضال ضد الطغيان الاستعمارى كله .

وكان البريطانيون والأمريكيون يستخدمون وعلى نطاق واسع البورجوازية الوسيطة والوثيقة الاتصال بالاستعماريين لمناهضة حركات التحرر الوطنى . وراحوا يعقدون صفقات جديدة وعدائية للشعب مع هؤلاء الوسطاء .

واشتد تمسك المستعمرين البريطانيين بمواقعهم فى الهند . وكانوا يؤثرون سقوط هذه المواقع فى أيدي اليابانيين على السماح لحركة التحرر الوطنى فى الهند بالنمو والتطور . وكانوا يعلمون أنه مهما ساءت الأوضاع ، فإن احتلال اليابان للهند سيكون مؤقتا ، وأنه سيعمل على سحق حركة التحرر فى البلاد . وهكذا فقد أثر الامبرياليون الهزيمة على خسارة البلاد بصورة كاملة .

وكانت سياسة بريطانيا الاقتصادية فى الهند ، موجهة من الناحية الاخرى ، بالرغبة الساعرة لدى الامبرياليين فى الاحتفاظ بسيطرتهم على تلك البلاد . وكان البريطانيون ينظرون بكثير من القلق الى احتمال نمو الصناعة الثقيلة فى الهند ، ولذا فقد أفرطوا فى محاولاتهم الحد من نموها ، ولا سيما فى فروعها المهمة للغاية ، وذلك للحيلولة دون تمكين الهنود من اقامة أساس اقتصادى لاستقلالهم الوطنى . ولكن ظروف الحرب كانت تتطلب وبإصرار الافادة من موارد الهند وطاقاتها الانتاجية . وهكذا زاد الانتاج ، وأن كانت الزيادة فى شكل غريب . فلقد كانت الهند تنتج مثلاً هياكل السيارات دون محركاتها ، كما كانت تنتج لبريطانيا هياكل دباباتها دون آلاتها ، وأجسام الطائرات دون محركاتها .

وألهب سلوك الصناعيين البريطانيين الذين رفضوا تغيير طريقتهم فى الحياة ابان الحرب مشاعر الجماهير الهندية .

وحاولت الحكومة البريطانية فى شهر مارس من عام ١٩٤٢ الحد من اتساع حركة التحرر الوطنى فى الهند ، عن طريق سلسلة من التنازلات التافهة . ووصلت الى الهند بعثة خاصة لتقدم الى أحزابها الرئيسيه ومنظماتها عدة اقتراحات منها اعطاء الهند مركز الممتلكات المستقلة

(الدومنيون) ، والسماح لبعض أقسامها بتأليف دومنيونات منفصلة .
وطلبت البعثة مقابل ذلك أن تظل جميع السلطات والصلاحيات في هذه
الفترة في يد نائب الملك البريطاني .

وكان القصد من هذه الحركة تخريب حركة التحرر الوطني ، وتجزئة
الشعب الهندي واضعافه . واستنكر الحزب الشيوعي الهندي وغيره من
المنظمات الديمقراطية هذا المخطط ، كما احتج عليه حزب المؤتمر الهندي
الذي يمثل البورجوازية الوطنية في البلاد . وقال الزعيم الهندي جواهر
لال نهرو . وهو محق في قوله : « ان التفكير بتقسيم الهند في هذه المرحلة
يتعارض مع السير الراهن للتطور التاريخي والاقتصادي الحديث » (١)

ولكن العصبية الاسلامية التي مثلت الاقطاعيين والبورجوازيين كانت
مؤيدة للتقسيم . واقترحت أن يكون الدين هو القاعدة التي يعتمد عليها
في تخطيط الحدود. ونبع اقتراح العصبية من الصراع الطائفي الذي كان
المستعمرون البريطانيون قد زرعوا بذوره بين مختلف الطوائف الدينية
في البلاد .

ورد حزب المؤتمر الهندي بزعامة غاندي ونهرو على هذه الاقتراحات
باقامة حكم وطني هندي ، يعبىء قوى الأمة كلها ضد المعتدين ، ويضمن
تعاون الهند الفعال ضمن اطار الحلف المناوئ للفاشية .

ورفضت بريطانيا اقتراحات حزب المؤتمر . ورد الحزب في الثامن
عشر من يوليو من عام ١٩٤٢ ، على هذا الرفض بنداء وجهه الى شعب
الهند ، للقيام بحملة جماهيرية « لتحطيم الحكم البريطاني في الهند » .
وسارعت السلطات البريطانية الى اضطهاد زعماء المؤتمر ، فأعتقلت في
التاسع من أغسطس من عام ١٩٤٢ ، كلا من غاندي ونهرو وغيرهما .

ووضع الحزب الشيوعي الهندي كغيره من احزاب شرق آسيا ،
برنامجا واضحا ومستقرا للتحرر الوطني ، وقد جعل هدفه الأساسي ،
طرد المعتدين اليابانيين . وحث الحزب على تأليف جبهة وطنية منحددة
لمقاومة الفاشية ، واقامة حكم وطني كامل بزعامة قادة حركة التحرر
الوطني لمضاعفة قدرة البلاد على مقاومة الفاشية .

وراحت الحكومة البريطانية بدلا من محاربة الفاشيين ، ترسل
القوات الى الهند لاضمار حركة التحرر الوطني . وهكذا احتشدت في الهند

(١) جواهر لال نهرو في كتابه « اكتشاف الهند » - نيويورك ١٩٤٦ . ص ٤٦٤ .

قوات فاقت في عددها كل قوات سبق لها أن وجدت في البلاد طيلة الحكم البريطاني .

وكان الامبرياليون الأمريكيون ينظرون الى الهند أيضا نظرات الاشتهااء . وأعلنت واشنطن ، وضع خطط لمساعدة الهند ، سارع البريطانيون والتقدميون الهنود الى مقاومتها ، وذلك لأن هؤلاء التقدميين لم يكونوا يرغبون في حلول دولة استعمارية محل أخرى في السيطرة عليهم ، وكانوا يعملون من أجل تحرير البلاد الكامل من كل حكم استعماري .

ولكن رءوس الأموال الأمريكية تمكنت من تثبيت مواقعها الاقتصادية في الهند . وهكذا عملت السياسات الاستعمارية في مجموعها على اضعاف القوى التي تقاوم العدوان الياباني . وأنزل العملاء الامبرياليون أضرارا مماثلة وكبيرة بالبلاد الشرقية الأخرى ، حيث لم يتركوا فرصة الا واهتبلوها ، لطعن حركة التحرر الوطني في ظهرها . ولا شك في أن هذه هي السياسة التي اتبعتها حكومة تشيان كاي شيك في الصين .

وبينما كانت القوات الانجليزية والأمريكية وقوات كاي شيك تترنح تحت ضربات اليابانيين في عامي ١٩٤١ و ١٩٤٢ ، صمد جيش التحرير الشعبي في الصين ضد الغزاة اليابانيين وتحداهم . وراح كاي شيك يعلن في عام ١٩٤٢ ، خوفا من هذه المقاومة الجماهيرية ، أن الحرب في المحيط الهادى لاتهم الصين . وجاء هذا الاعلان نجدة لليابانيين ، اذ انتقل أكثر من ثلاثين جنرالا من جنرالات جيش كاي شيك مع جنودهم الى صفوف العدو في عامي ١٩٤١ و ١٩٤٢ . ويقول مؤرخو الحرب اليابانيون : « ان قوات الكومنتانج ظلت تستسلم طيلة الوقت ، وان قيادتها كانت تحاول توجيه الجيش الياباني ضد المناطق المحررة وجيش التحرير الشعبي » (١)

وواجهت قوات جيش التحرير الشعبي في الصين ، من القوات اليابانية أعدادا تفوق تلك القوات التي واجهت جيوش بريطانيا وأمريكا وكاي شيك . وكان عليها أن تحارب نحو من ستين في المائة من قوات الجيش الياباني العاملة في الصين و ٩٥ في المائة من قوات الدول العميلة لليابان (٢) . وبلغت الخسائر التي أنزلها جيش التحرير الشعبي في القوات اليابانية أضعاف خسائرها أمام قوات كاي شيك بل وأمام

(١) « تاريخ الحرب في المحيط الهادى » لطوكييزى شيموشا - طوكيو الجزء الرابع -

ص ٥٣ .

(٢) نفس المصدر .

الجيش البريطاني والامريكية ، ولو فرضنا أن نسبة خسائر اليابانيين في الصين في عام ١٩٣٧ كانت مائة في المائة ، فان نسبة الخسائر التي أنزلها بهم جيش التحرير الشعبى الثامن في عام ١٩٤٢ كانت ٢١٤ في المائة ، بينما كانت تلك التي منوا بها من قوات كاي شيك ٣٢ في المائة .

ولا شك في أن الشعب الصينى البطل بقيادة الحزب الشيوعى أسهم اسهاما ضخما في الجهد الحربى المشترك ضد العدوان اليابانى .

ودعمت الحكومتان البريطانية والامريكية زمرة الخيانة بقيادة تشيان كاي شيك ، وراحتا تمدان قواته بالسلاح والموارد الاحتياطية لمقاتلة الفوق الديمقراطية فى الصين . وراحت الحكومة الامريكية رغبة منها فى التأكد من سلوك كاي شيك اللاديمقراطى ، وفى منعه من عقد أية صفقة مع اليابانيين ، توفد الى الصين ، بعثة عسكرية خاصة بقيادة الجنرال جوزيف ستيلويل ، الذى عين رئيسا لهيئة أركان حرب قوات الكومنتانج المسلحة فى العاشر من مارس من عام ١٩٤٢ .

ولكن السياسة الخارجية الرشيدة التى اتبعها الاتحاد السوفياتى مكنته من تجنب مواجهة الهجومين الالمانى واليابانى فى وقت واحد ، أو الحرب على جبهتين . ومع ذلك فان الشعب السوفياتى لم يخف فى أية لحظة من لحظات الحرب كرهه للعسكريين اليابانيين ، الذين أشعلوا نيران الحرب فى المحيط الهادى . وكانت الصحافة السوفياتية لا تنفك عن الاشارة الى روح المغامرة الخطرة عند حكام اليابان ، وعن التنبؤ بهزيمة اليابان النهائية .

ويصف مزيفو التاريخ من الأمريكان والانجليز ، الذين يحاولون التقليل من أهمية الدور الحاسم الذى لعبه الاتحاد السوفياتى فى تحقيق النصر ، العمليات الحربية على مسرح المحيط الهادى ، « بالحرب الخاصة فى هذا المحيط » ، زاعمين أنها كانت منفصلة عن الجبهة الالمانية السوفياتية . وهم ينكرون أيضا الاسهام العظيم من جانب الشعب الصينى فى هزيمة اليابان عن طريق الاستمرار فى مقاومة الغزو اليابانى .

ولكن العمليات الحربية فى المحيط الهادى ، ظلت على أى حال ثانوية ، ضمن الاطار الشامل للحرب العالمية الثانية . فلقد ظلت الجبهة الالمانية - السوفياتية المسرح الرئيسى الذى تتقرر فيه نتيجة الحرب ومستقبل الامم كلها . ولا شك فى ان الجهد الحربى السوفياتى ترك

اثرا حاسما فى سير الاحداث فى المحيط الهادى ايضا . فقد قررت هزيمة المانيا التى تمثل الطرف الرئيسى فى الكتلة الفاشية مصر اليابان ..

وكانت اليابان الامبريالية تعلق جميع خططها فى الغزو على هزيمة الاتحاد السوفياتى . ولكن توقعاتها سرعان ما تحطمت ، اذ أنها لم تقدر قوة الاتحاد السوفياتى حق قدرها ، لا سيما وأن هذه القوة سرعان ما برهنت على قدرتها على تحطيم ألمانيا ، وعلى اخراج جيش الكوانتونج فى عام ١٩٤٥ من الحرب بعد هزيمه ، وبعد أن كان يمثل القوة المحاربة القوية الى جانب اليابان .

وتحتل التطورات التى وقعت فى الجبهة السوفياتية – الألمانية بعد شهر يونيو من عام ١٩٤١ ، منزلة التفوق على سائر التطورات الدولية والعسكرية ، اذ أنها كانت تمثل المسرح الحاسم فى الحرب العالمية الثانية، وقد واجه الشعب السوفياتى وقواته المسلحة فى المراحل الاولى من الحرب الوطنية العظمى تحديا لم يكن فى وسع أية دولة رأسمالية أن تواجهه، وهو وقف الآلة الألمانية الحربية الهادرة عند حدها ، بعد أن كانت قد اجتاحت القارة الاوروبية كلها تقريبا .

واستمرت الفترة الاولى من الحرب الوطنية العظمى حتى الثامن عشر من نوفمبر من عام ١٩٤٢ . ولكن الاتحاد السوفياتى تمكن فى هذه الفترة من احباط المخطط الألمانى الفاشى لشن حرب الصاعقة ، ومن تهيئة الوسائل الكفيلة فى الميدان وفى المؤخرة ، لقلب الاوضاع رأسا على عقب بالنسبة الى المعتدين النازيين . وهكذا واجه الشعب السوفياتى البطل هذا التحدى بكفاية وقدرة على التغلب على كافة المتاعب .



انقطاع السيار

الرجوع السوقي المضياد

نصر القرلجا

- ١ -

عندما حل صيف عام ١٩٤٢ ، كانت هناك قوات احتياطية كبيرة لا تزال تحت تصرف ألمانيا النازية ، وكان في وسعها أن تناور بها كما تشاء ، نظرا لعدم فتح جبهة ثانية في أوروبا . ولم يكن قد تحقق بعد أى تبدل جذري في توازن القوى في الجبهة الألمانية - السوفياتية . وكانت النكسات العسكرية التي منيت بها القوات السوفياتية في شهور الحرب الأولى ، والتي أدت الى خسارة في الاراضى والى اضعاف الطاقات الاقتصادية والعسكرية السوفياتية الى حد كبير ، قد تركت آثارا ملموسة الآن .

وكانت القيادة الألمانية قد شرعت في وضع مخطط لعملياتها لصيف عام ١٩٤٢ ، منذ نهاية شهر نوفمبر من عام ١٩٤١ ، أى بعد فشل الهجوم على موسكو .

وقد ارتكزت الحطة الجديدة الى مفهوم جديد ، فقد جعلت خطة بربروسا السابقة من الهجوم على موسكو في عام ١٩٤١ ، جزءا من جهد استراتيجي خاطف ، يهدف الى تمكين الجيش الألماني من حرم القوات السوفياتية الرئيسية ، والاستيلاء على المراكز الحيوية في البلاد وتحقيق نصر سريع . ولقد أدى انهيار هذه الحطة الى حمل القيادة الألمانية على تغيير خطتها الاستراتيجية كلها .

وبنيت الحطة الجديدة على أساس الافتراض بأن الاستيلاء على المناطق

الاقتصادية المهمة فى جنوب البلاد سيضعف الاتحاد السوفياتى ويقوى
ألمانيا الى الحد الذى يقرر نتيجة الحرب .

وكان النقص فى الزيت والمواد الغذائية قد تضاعف الى حد «مريع»
فى ألمانيا النازية فى نهاية عام ١٩٤١ ، مما أرغم القيادة الألمانية على
تبني الخطة الجديدة .

واعتمدت هذه القيادة على استنزاف موارد الاتحاد السوفياتى
الاقتصادية والعسكرية ، وتوقعت استئناف الهجوم على موسكو والاستيلاء
على العاصمة السوفياتية فى الوقت الذى تختاره فيما بعد . وكان هذا
هو التفسير لاستبقاء قوات نازية ضخمة فى قطاع موسكو .

وتم تحديد الخطة الاستراتيجية لحملة الصيف فى مؤتمر عقد فى
مقر القيادة العامة للقوات الألمانية فى التاسع عشر من نوفمبر من عام
١٩٤١ . وأقر هذا المعنى فى الخامس من ابريل من عام ١٩٤٢ ، الأمر
الموجه رقم ٤١ ، الذى حدد المهمات الأساسية لحملة صيف عام ١٩٤٢ .
وكان على القوات الألمانية أن تبديد ما تبقى من قوات سوفياتية ، وأن
تستولى على الكثير من المراكز العسكرية والاقتصادية الألمانية فى أسرع
وقت ممكن . واقترح الامر حشد كل القوات المتوافرة للعملية المهمة فى
الجنوب ، لتحطيم قوات العدو عبر الدانوب ، واحتلال حقول الزيت فى
القفقاس وخطوط المواصلات المهمة (١) .

وشرح هتلر فى خطاب ألقاه فى التاسع من سبتمبر من عام ١٩٤٢ ،
بكثير من التفصيل الامر الموجه رقم ٤١ ، وأوضح المفهوم الذى قامت عليه
الخطة الجديدة وقال : « كان جل ما هدفنا اليه ، أولا ، الاستيلاء على ما تبقى
لدى العدو من مناطق انتاج الحبوب الرئيسية ، وثانيا الاستيلاء على ما تبقى
لديه من مناجم الفحم الذى نستطيع تحويله الى فحم الكوك ، وثالثا ،
الاقتراب من حقوله البترولية ، للاستيلاء عليها ، أو لعزلها على الأقل عن
الأجزاء الأخرى من البلاد ، ورابعا ، توسيع الهجوم ، وقطع الفولجا الذى
يؤلف المعبر المائى الرئيسى والوحيد الباقى لدى العدو » (٢) .

ولا شك فى أن الخطة النازية لحملة الصيف ، حسرت النقاب عن
طبيعة النهب فى الأهداف الألمانية فى الاتحاد السوفياتى بصورة أوضح
مما كانت عليه فى الماضى . فقد تحدث جوبلز بمنتهى الصراحة وقال :

(١) كتاب (العشل فى ستالينجراد » لهانز دوير - دار منشآت ١٩٥٥ . ص ٩٢٠

(٢) برافدا عدد ٢٢ نوفمبر ١٩٤٦ .

« انها ليست حربا من أجل الاستيلاء على عرش أو صولجان ، وانما هي حرب من أجل القمح والخبز ، ومن أجل توفير مائدة شهية طافحة بالطعام ، وتوفير وجبات الغداء والعشاء . » انها حرب من أجل المواد الأولية والمطاط والصلب ، وخامات الحديد . »

واهتمبت ألمانيا فرصة عدم فتح جبهة جديدة في أوروبا وحشدت قوات ضخمة على الجبهة السوفياتية - الألمانية . ولم نحل نهاية شهر يونيو من عام ١٩٤٢ ، حتى كانت ألمانيا قد حشدت ٢٣٧ فرقة منها ١٨٤ من الفرق الألمانية . وظلت فرق العدو في تزايد وارتفاع طيلة صيف عام ١٩٤٢ وخريفه ، حتى وصلت أخيرا الى ٢٦٦ فرقة منها ١٩٣ فرقة ألمانية . ولكن لم يعد في وسع ألمانيا أن نسن هجوما عاما على طول الجبهة الألمانية السوفياتية كما فعلت في عام ١٩٤١ ، بل وجدت نفسها مضطرة الى حصر هجوماتها في القطاع الجنوبي ليس الا .

واستعدت خمسة جيوش ألمانية ومعها جيش روماني وآخر ايطالي ونالت مجرى ، ألقت كلها مجموعة جيوش الجنوب ، لبدء الهجوم . وقسمت هذه القوات الى مجهوعين أولهما المجموعة (ب) وكان عليها أن تتقدم في شمال المجموعة (أ) الى نهر الدون في قطاع فوزونيخ - نوفايا - كالتيغا ، لتتجه بعد ذلك جنوبا بين الدون والفولجا الى ستالينجراد التي باتت تسمى الآن فولجوجراد . وكان على المجموعة (أ) أن تتقدم جنوبا الى حوض الدون الأدنى ، بينما يقوم سطر منها بغزو القفقاس .

ويتضح من هذا أن القيادة الألمانية خططت للاستيلاء على مناطق القمح والصناعة الرئيسية في الجنوب السوفياتي ، ولقطع ممر الفولجا المائي ، وتهيئة الجو لغزو القفقاس . وكان على المجموعة (ب) بعد وصولها الى الفولجا أن تتولى تغطية الجناح الشمالي للقوات التي تغزو القفقاس ومؤخرتها .

وكانت لهجوم الجنوب دوافعه السياسية الخاصة أيضا . فقد كان هتلر أولا ، متلهفا على جر تركيا الى الحرب الى جانبه ، ملوحا للزمرة الحاكمة في تركيا ، بأمل « اللقاء » في جنوب الاتحاد السوفياتي . وكان هذا الامل مغريا للجهات الحاكمة في تركيا ، اذ كانت تتعلق ببرنامج طموح ، لتحقيق الوحدة الاقليمية للشعوب التركية . وكانت المجلة التركية « بوزكورت » قد نشرت في شهر يوليو من عام ١٩٤١ ، « خريطة » تبين أن دعاة القومية التركية كانوا يطمعون في الاستيلاء على نصف الاتحاد السوفياتي تقريبا .

وراح فون باين السفير الألماني في أنقرة ، يفاوض السياسة الأتراك
تصدد الهجوم الألماني في جنوب الاتحاد السوفياتي . وقال شكري سراج
أوغلو ، رئيس وزراء تركيا : « انه جد متلهف لرؤية تحطيم روسيا »
وأضاف السياسي التركي قائلا : « لا شك في أن تحطيم روسيا يعتبر
أعظم انجاز للفوهرر ، وهو انجاز لا يتحقق متيل له مرة في كل قرن . .
فألمانيا وحدها هي القادرة على حل المشكلة الروسية ، ولا تحل هذه
المشكلة الا بقتل نصف الشعب الروسى » (١) .

وراح فون باين ، يبلغ رئيس جمهورية تركيا عصمت اين اونو ،
بأن الهجوم الألماني على القفقاس أصبح وشيك الوقوع ، وأكد أن « ألمانيا
ستقدر لتركيا تمام التقدير ، أى حشد تقوم به لقواتها على الحدود
السوفياتية - التركية » (٢) . وكانت تركيا جد راغبة في مساعدة
ألمانيا ، فحشدت ستا وعشرين فرقة على الحدود السوفياتية . لكن الهجوم
السوفياتي المضاد على نهر الفولجا ، أحبط المخطط التركي ، وخيب لتركيا
آمالها .

وكانت اليابان التى ضاعفت من مواردها العسكرية والاقتصادية ،
بما استولت عليه من بلاد البحار الجنوبية ، هي الدولة النانية التى تهيأت
لشن الحرب على الاتحاد السوفياتي فى صيف عام ١٩٤٢ . وكانت
الصحافة اليابانية لا تنفك عن الصراخ بأن « الشرق الأقصى السوفياتي » ،
يمت عن « طريق الحق » الى الامبراطورية اليابانية ، ويجب أن يقوم حاكم
يابانى عام ، بإدارة أقاليمه . ووضعت هيئة أركان الحرب اليابانية خطة
جديدة ، قررت فيها أن تبدأ الحرب ضد الاتحاد السوفياتي بهجوم ،
مباغت يمثل ضربة فى الظهر ، وذلك بالنسبة الى وجود المعاهدة
السوفياتية - اليابانية . وهكذا تأهب الجيش اليابانى فى منشوريا
وكوريا من جديد ، كما فعل فى صيف عام ١٩٤١ ، لحوض القتال ، وكانت
الحكومة اليابانية تنتظر سقوط فو لجوجراد (ستالينجراد) لتشرع فى
هجومها على الاتحاد السوفياتي . ولكن الدفاع البطولى عن مدينة الفولجا ،
ما لبث أن أرغم العسكريين اليابانيين على تأجيل موعد الهجوم .

وكانت نتيجة معركة الفولجا متناهية فى الأهمية بالنسبة لنتيجة
الحرب العالمية الثانية كلها . ولكن حتى فى تلك اللحظات الحرجة ، كانت

(١) وثائق الحكومة السوفياتية ١٩٤٦ - المجلد الثانى ص ٩٦

(٢) نفس المصدر ص ٥٨ .

الحكومتان : الأمريكية والبريطانية قد تراجعتا عن وعودهما بفتح الجبهة الثانية فى أوربا الغربية فى عام ١٩٩٢ ، بالرغم من الحاف الجماهير فى بلديهما فى المطالبة بفتحها .

وبينما كان الاتحاد السوفياتى مشتبكا فى حرب واحدة ومنفردة مع ألمانيا الهتلرية والدول التابعة لها ، كانت الحكومتان البريطانية والأمريكية لا تزالان تحتفظان بالشطر الأكبر من قواتهما فى الأطراف الجانبية من الحرب .

ولقد تحدث عدد من القادة السياسيين والعسكريين فى الولايات المتحدة وبريطانيا ، بمنهى الصراحة عن الأسباب الحقيقية للأساليب التسوية التى اتبعتها حكومتا البلدين فى موضوع فتح الجبهة الثانية . وذكر ليدل هارت المؤرخ العسكرى البريطانى فى كتاب أصدره فى عام ١٩٤١ ، أن عبر التاريخ البريطانى السابق ، تدفع بريطانيا الى توفير عدوها ، اذ أنه سيكون حليفها فى الغد ، والى اضعاف حليفها ، اذ أنه سيكون عدوها فى المستقبل (١) . وكانت البيانات من هذا الطراز تهدف فى الواقع الى تهيئة الرأى العام البريطانى لعقد اتفاقات ضد السوفيات فى المستقبل بين الحكام البريطانيين ومن يتبقى من العسكريين الألمان .

وذكر أرنولد مساعد النائب العام فى وزارة العدل الأمريكية، فى الثالث من يونيو من عام ١٩٤٢ . أن الاحتكارين الأمريكان كانوا يضعون خططهم لعقد حلف عسكرى مع ألمانيا . وقال : « ان مجموعة صغيرة من رجال الاعمال الأمريكيين الذين يملكون أطرافا فى هذه الحلقات الدولية ، ما زالوا يفكرون فى أن الحرب ليست الا استراحة مؤقتة لأعمالهم من عناء منافسة ألمانية القوية . وهم يتوقعون أن يبدءوا لعبتهم من جديد بعد انتهاء الحرب . ولعل من الغرب أن هؤلاء القادة الاحتكارين مازالوا يتحدثون ويفكرون وكأن الحرب ستنتهى فى حالة تجمد ، وأن عليهم والحالة هذه أن يكونوا على استعداد لمواصلة علاقاتهم مع ألمانيا القوية بعد الحرب » (٢) .

وكان المسئولون فى الدولتين الغربيتين يبتكرون الحجج لتبرير البطء فى فتح الجبهة الثانية ، رغبة منهم فى تضليل الرأى العام . وكانوا يكثرون من الحديث عن الأسطورة النازية عن جدار الأطلسى وعن أن هذا

(١) ليدل هارت فى كتابه « طريقه كسب الحروب - استراتيجية الطريق اللامباشر »
فاير - لندن .

(٢) عدد النبوايمز رقم ٩ . موسكو ١٩٤٨ . ص ٩

الجدار كما يزعمون ، كان يسد طريقهم الى القارة الأوروبية . وكان القادة السياسيون والعسكريون فى الولايات المتحدة وبريطانيا يتظاهرون بالاقتناع بوجود جدار الاطلسى . ولقد تحدث ايزنهاور الذى كان آنذاك قائدا أعلى للحلفاء فى افريقيا وأوروبا فقال : « انه ليس من المنتظر تحقيق النجاح فى مهاجمة الساحل المنيع لأوروبا الغربية » . ومضى الجنرال يقول : « وكان الكيرون يرون أن مهاجمة هذا الطراز من التحصينات الدفاعية ، جنون وحماقة ، بل انتحار عسكرى » (١) .

وأضاف ايزنهاور : أن من الواجب « ظهور بوادر واضحة ومحددة عن انهيار المعنويات الألمانية قبل أن يصبح فى الامكان فتح الجبهة الثانية » (٢) . وقد اتفق هذا القول مع رأى تشرشل فى أن الجبهة الثانية تصبح مستحبة عندما يغدو فى قدرة القوات البريطانية والأمريكية أن تواصل الزحف الظافر بنجاح من القناة الى برلين دون أن تتعرض لأكثر من بضعة طلقات من رصاص القناصة » (٣) .

وكانت الحكومتان البريطانية والأمريكية راغبتين فى أن ينهى الاتحاد السوفياتى الحرب مع ألمانيا . وأن تجلسا فى نهايتها الى مائدة الصلح وقد اعترفتا بأنهما أقامتا جيوشا ضخمة ولكنها عاطلة العمل وأقر تشرشل فى مجلس العموم أن هناك أعدادا كبيرة من الجنود مازالت دون عمل فى الجبهات المختلفة ٠٠٠ (٤) وكان المسئولون يقولون للشعب البريطانى : ان خطر غزو الجزر البريطانية لم يختف بعد . وقد صدر مثل هذا القول عن تشرشل فى شهرى ابريل ويونيو من عام ١٩٤٢ (٥)

وأكد تشرشل الفكرة بأن ليس فى وسع أحد أن يطمئن الى أن ألمانيا ستعجز عن كسر روسيا ، أو عن دفعها الى ما وراء جبال الأورال (٦) وكان فى وسع الانسان على ضوء هذه التطورات أن يتوقع من بريطانيا والولايات المتحدة ، حليفتى الاتحاد السوفياتى ، أن تمدا له يد العون والمساعدة . ولكن شيئا من هذا لم يحدث قط . فلقد كان تشرشل

(١) دوايت ايزنهاور فى كتابه « حملة صليبية فى أوروبا » - نيويورك ١٨٩٤ - ص ٤٥ - ٥٦ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) شيروود - نفس المصدر - ص ٧٦٧ .

(٤) ونستون تشرشل .. « نهاية البداية » بوسطن ١٩٤٣ . ص ١٧٢ .

(٥) ونستون تشرشل .. « الحرب العالمية الثانية » - المجلد الرابع . ص ٤٤٧ .

(٦) نفس المصدر ص ٢٤١ .

يتحدث مبتهجا عن حالة حليفه ، بدلا من أن يعرب عن قلقه لهذه الحالة .
وكان الساسة القصار النظر فى الولايات المتحدة وبريطانيا يتعاملون عن-
الحقيقة الواقعة ، وهى أن الخطر على الاتحاد السوفياتى يمثل خطرا على-
هاتين الدولتين أيضا .

وكتب ادوارد ستيتينوس ، المسئول فى أيام الحرب عن تنفيذ قانون-
الاعارة والتأجير بعد انتهاء الحرب بقول : « على الشعب الأمريكى أن يتذكر
أنه كان على شفا الكارثة فى عام ١٩٤٢ . فلو أن الاتحاد السوفياتى
عجز عن الصمود فى جبهته ، لأصبح الألمان فى وضع يمكنهم من احتلال
بريطانيا العظمى ، ولبات فى وسعهم أيضا أن يجتاحوا افريقيا ، وأن
يقيموا موطىء قدم لهم فى أمريكا اللاتينية » (١) .

وكان زعماء حزب العمال على اتفاق تام مع تشرشل فى موضوع
الجبهة الثانية . وكان تعليق اتلى وبيفن على مطالبة الجماهير فى بريطانيا
بفتح الجبهة الثانية فى وقت مبكر ، بأن الحكومة تعرف ما تفعله ، وأن
عليها أن تجعل الطلبات المقترحة الى المسئولية ، تؤثر على قراراتها
العسكرية .

وكان الحزب الشيوعى البريطانى ، الحزب السياسى الوحيد الذى
عمل جادا من أجل فتح جبهة نانية . وأصدر الشيوعيون عددا من
البيانات الرسمية التى استنكروا فيها المحاولات التخريبية لعرقلة فتح
الجبهة النانية ، وحثوا الحكومة البريطانية على الوفاء بالتزاماتها .

وكان تشرشل يعمل عامدا على ارجاء حل مشكلة الجبهة الثانية ،
ويكرس نفسه لبذل الجهود فى مسرح المحيط الهادى . وكان زعماء
الولايات المتحدة ميالين الى السير على منواله . وكانت هيئة أركان الحرب
الأمريكية ، تصر فى كل مرة يثار فيها موضوع الحرب ضد اليابان ، على
ضرورة اشتراك الاتحاد السوفياتى فيها . وكان كل ما تنشره هذه
الهيئة أن ترى الاتحاد السوفياتى يضعف اليابان . واليابان تضعف
الاتحاد السوفياتى . وكانت تهدف أيضا الى الحصول على موطىء قدم لها
فى شرق سيبيريا ، وفى الشرق الأقصى السوفياتى . وتقول مذكرة قدمتها
شعبة العمليات فى هيئة أركان الحرب الأمريكية فى الخامس والعشرين
من مارس أن « روسيا جدتواقة الى تجنب خوض الحرب فى سيبيريا
الغربية ، مع أن هذه المنطقة هى التى تهمنا للغاية » (٢)

(١) ادوارد ستيتينوس فى كتابه « روزفلت والروس » - نيويورك ١٩٩٩ . ص ٧

(٢) ماثولوف وسنيل - نفس المصدر ص ١٥٦ .

وكانت الحكومة الأمريكية تشاطر كبار قادتها العسكريين الرغبة ،
فى الحصول على قواعد جوية فى سيبيريا السوفياتية ، لتستخدمها كموطئ ،
قدم لها فى المنطقة ، ولتثير الصراع المسلح بين اليابان والاتحاد
السوفياتى .

وأصر الرئيس الأمريكى ، على ضرورة تمركز وحدات كبيرة من
القوة الجوية الامريكية فى الشرق الأقصى السوفياتى وسيبيريا ، وطلب
موافقة الحكومة السوفياتية على ايفاد بعثة عسكرية أمريكية بقيادة الجنرال
عمر برادلى لتفقد المنشآت العسكرية السوفياتية فى الشرق الأقصى ، وعلى
السماح للجنرال جورج مارشال بزيارة موسكو لاجراء محادثات شاملة
حول القضايا المتعلقة بسيبيريا .

وأبلغ رئيس وزراء الاتحاد السوفياتى ، الرئيس الأمريكى فى
الثالث عشر من يناير من عام ١٩٤٣ أن الاتحاد السوفياتى ليس فى حاجة
الى وحدات جوية أمريكية ، وانما الى طائرات بلا طيارين ، اذ أن لديه
عددا كافيا منهم . وأكد أن بلاده تطلب « المساعدة فى الطائرات لا فى
الشرق الأقصى حيث لا يخوض الاتحاد السوفياتى حربا هناك ، بل على
الجهة الألمانية - السوفياتية ، حيث الحاجة ماسة الى الطائرات » . وأعربت
رسالة الرئيس السوفياتى عن دهشته من الاقتراح الأمريكى بإيفاد الجنرال
برادلى للتفتيش على الأهداف العسكرية الروسية فى الشرق الأقصى وغيره
من المناطق فى الاتحاد السوفياتى . وأضافت الرسالة أن من الضروري
أن يوضح للرئيس الأمريكى بأن الروس وحدهم هم الذين يستطيعون
التفتيش على الأهداف العسكرية السوفياتية ، كما أن الأمريكان وحدهم ،
هم الذين يفتشون على الأهداف العسكرية الأمريكية . وقالت الرسالة :
« وهذه نقطة يجب أن تكون واضحة كل الوضوح » (١) .

وهكذا رفض الاتحاد السوفياتى المطالب الأمريكية التى تسترت
وراء الرغبة المزعومة فى « مساعدة » الاتحاد السوفياتى .

وقام البريطانيون والامريكيون بدلا من فتح الجبهة الثانية فى صيف
عام ١٩٤٢ ، بسلسلة من غارات الفدائيين المزعومة على طول الساحل
الفرنسى . وكان القصد من هذه الغارات ، افهام الألمان ألا يتوقعوا انزال
قوات كبيرة فى أوروبا الغربية . يضاف الى هذا أن فشل هذه الغارات التى
تقوم بها قوات تافهة ، كان يهدف الى « اقامة الدليل » على استحالة فتح

(١) مراسلات .. المجلد السابى ص ٥٠ .

الجبهة الثانية دون التعرض الى هزيمة محققة . ولعل هذا هو السبب الذى دفع اذاعة لندن الى القول قبل نزول قوات الحلفاء فى ديب فى التاسع عشر من أغسطس من عام ١٩٥٤ ، بأن العملية محدودة الأهداف . وكان هدف الاذاعة من الناحية الشكلية ، عدم دفع الوطنيين الفرنسيين الى القيام بعمليات مبتسرة ومستعجلة . لكن هدفها كان فى الواقع ، اعطاء الألمان الفرصة لاتخاذ احتياطاتهم لصد عملية الانزال التى تقوم بها قوة من الكنديين . وبالرغم من أن الصباط والجنود الذين اشتركوا فى العملية ، قاتلوا بضراوة وبسالة ، الا أن الحكومة البريطانية ، باذاعتها ، كانت قد قضت عليهم بالموت سلفا .

وليس من الغريب والحالة هذه ألا يشك معظم الناس فى بريطانيا والولايات المتحدة ، بأن الجبهة الثانية ستفتح فى أى يوم . ويقول كاتب بريطاني : « وكان معظم الضباط الذين يعملون فى وضع خطط الغزو يعترفون بما يساورهم من مخاوف دائمة ، من أن تكون المخططات التى يضعونها مجرد عملية « بلف » كبرى ، ومن شك فى أننا لن نحاول قط غزو أوروبا الغربية . وهكذا ففى الامكان أن تغفر لعامة الناس شكوكهم فى الموضوع » (١) .

ويزعم المؤرخون الرسميون فى بريطانيا والولايات المتحدة ، أن هاتين الدولتين ، عوضتا على الاتحاد السوفياتى عن تقصيرهما فى فتح الجبهة الثانية فى صيف عام ١٩٤٢ ، باعداق المساعدات عليه . ويقول جى . اف . سى . فولر على سبيل المثال أن « الوضع الاقتصادى فى روسيا فى خريف عام ١٩٤٢ كان يائسا ، وأنه لولا المساعدات المستمرة التى كانت تتدفق من بريطانيا وأمريكا على ميناء اركانجل السوفياتى ، لكان من المشكوك فيه أن يتمكن الروس من تحويل الوضع الرهيب الذى وضع هتلر جيوشهم فيه لمصلحتهم » (٢) . لكن هذا القول غير صحيح على الاطلاق ، فلم يكن هناك أى تدفق للمساعدات الأمريكية البريطانية .

ولنقتطف هنا ما قاله المؤرخ دى . اف . فليمنج . فقد ذكر « أن سير المساعدات بموجب مشروع الاعارة والتأجير كان ضعيفا » . ففى عام ١٩٤١ كانت المساعدات رمزية ومعنوية . ولم تكن المساعدات التى أرسلت الى روسيا فى عام ١٩٤٢ كبيرة » (٣) واعترف ادوارد ستيتينوس

(١) جون دالبايش فى كتابه « وصفا خطط الجبهة الثانية » لندن ١٩٤٥ . ص ١٠

(٢) جى . اف . سى . فولر فى كتابه « الحرب العالمية الثانية » ص ١٦٨ .

(٣) دى . اف . فليمنج فى كتابه « الحرب الباردة وجزورها » المجلد الاول - دابلد

داى - نيويورك . ص ١٤٠ .

مدير ادارة الاعارة والتأجير الأمريكية بأن « حجم المعدات الحربية التي أرسلناها ، لم يكن كبيرا فى مجموعه » (١) ويقول ماكينيس أيضا : ان حجم المساعدات الغربية للاتحاد السوفياتى فى أيام معركة ستالينجراد كان صغيرا للغاية . وأضاف ، أن « نوعية هذه المواد الحربية كانت عادة دون مستوى المعدات الحربية الروسية المستخدمة فى خط القتال الأول » (٢) .

يضاف الى هذا أن حكومتى الولايات المتحدة وبريطانيا حاولتا استخدام هذه المعدات ، ووقف ارسالها مؤقتا فى فترات الحرب الحرجة ، كوسيلة للضغط على الاتحاد السوفياتى . وكان قادة هاتين الحكومتين يبرزون الابطاء فى التسليم فى البداية ، بافتقارهم الى سفن النقل بحجة استخدامها فى الاعداد للغزو المرتقب فى شمال افريقيا . وتعتمد هؤلاء فى وقت لاحق ، أن تتعرض القافلة الناقلة للشحنات الى ميناء اركانجل لهجوم الألمان ، ليستخدموا هذا الهجوم كمبرر لوقف ارسال الشحنات الى الاتحاد السوفياتى .

وكانت هذه القافلة هى « بى كيو - ١٧ » التى ضمت ٣٤ سفينة نقل ، وأبحرت من ايسلنده فى السابع والعشرين من يونيو من عام ١٩٤٢ ، بحراسة ست مدمرات ، وسفينتين من الحاملات للمدافع المضادة للطائرات ، وغواصتين واحدى عشرة سفينة حربية صغيرة . وكانت قوة الاسناد تتألف من طرادين بريطانيين وآخرين أمريكيين ومن ثلاث مدمرات . وكانت هناك تسع غواصات بريطانية وغواصتان سوفياتيتان على مقربة من ساحل النرويج الشمالى ، وذلك بالاضافة الى قوة التغطية التى تضم بارجتين وحاملة للطائرات وثلاثة طرادات وسربا من المدمرات . وكانت هذه السفن الحربية كافية لضمان عبور القافلة فى بحار كان الأسطول السوفياتى فيها قادرا على الحد من حركة الألمان .

وبينما كانت القافلة فى طريقها فى وسط البحر فى الرابع من يوليو ، تلقت سفن الحراسة والاسناد والتغطية ، الأوامر من لندن بالعودة الى الغرب . ووجهت النصيحة الى القافلة « بالتفرق والانجاء فرادى الى الموانئ السوفياتية » . ولقد أصدرت الاميرالية البريطانية هذا الأمر بالرغم من معرفتها بأن القيادة الألمانية كانت على علم بخط سير

(١) ادوارد ستيننبوس « الاعارة والتأجير كسلاح للنصر » - نيويورك - مكملان ١٩٤٤ . ص ٢١٠ .

(٢) ايندجار ماكينيس « الحرب - السنة الرابعة » - أوكسفورد ١٩٤٤ . ص ٩٠ .

القافلة . وهكذا تعرضت القافلة عن عمد لهجوم الطائرات وزوارق
الطوربيد الألمانية . ويسجل تشرشل في مذكراته اعترافا بارزا اذ
يقول : « تركت القضية عند هذا الحد من ناحيتين » (١) ولم يكن البحارة
البريطانيون على علم بالتخطيط الذى دبر وراء ظهورهم ، وأظهروا شجاعة
فائقة فى محاولتهم مساعدة الشعب السوفيائى فى ساعة محنته تلك .

وتعرضت القافلة (بى - كيو ١٧) للهجوم ، وتم اغراق ٢٣ سفينة
من مجموع سفنها الأربع والتلاتين . وقد أتاح هذا للسلطات البريطانية
والأمريكية المبرر المعقول لتخفيض شحنات التموينات للاتحاد السوفيائى .
وراحت الحكومة البريطانية فى السابع عشر من يونيو ، تعلم الاتحاد
السوفيائى رسميا أنها ستوقف عمليات الشحن اليه ، واعترف تشرشل
فى مذكراته بأن الاتحاد السوفيائى قد حرم شحنات المواد الحربية فى
وقت كان فى أمس الحاجة اليها .

وأبلغت الحكومة السوفياتية تشرشل رأيها فى وقف التموينات
عن طريق الموانئ الشمالية ، ووصفت المبررات البريطانية بأنها غير
مقبولة ، ثم قالت : « ولو توافرت الثقة وحسن النية والاستعداد للوفاء
بالالتزامات ، لكان فى الامكان ايصال الشحنات بانتظام مع انزال أكبر
الخسائر بالامان . ولا شك أن أمر الاميرالية البريطانية الى القافلة
بى كيو ١٧ ، بالتخلي عن سفن النقل والعودة الى بريطانيا ، وأمرها الى
سفن النقل بالتفرق والاتجاه فرادى الى الموانئ السوفياتية دون حراسة ،
شئ أثار دهشة خبراءنا ، الذين عجزوا عن تفسيره » (٢) .

وأضافت الرسالة : أن الحكومة السوفياتية لا تستطيع الرضى
بتأجيل فتح الجبهة النانية فى أوروبا الى عام ١٩٤٣ .

وكان من المقرر أن يتجه جيش الحكومة البولندية المهاجرة الذى تم
تأليفه على الأرض السوفياتية الى الخطوط الأمامية بموجب الاتفاق
السوفيائى - البولندى .

وكان معظم رجاله تواقين أشد التوق للاشتباك مع النازيين ، ولكن
الجنرال اندرس ، القائد العام لهذا الجيش ، كان قد حزم أمره على
مخططات أخرى .

وذكرت صحيفة بولندية مهاجرة ، كانت تصدر فى لندن فى تلك

(١) ونستون تشرشل « الحرب العالمية الثانية » - المجلد الرابع - ص ٢٣٨ .

(٢) المراسلات ٠٠ المجلد الاول . ص ٥٦ .

الايام ، فى شهر مايو من عام ١٩٤٢ : « ان الجيش الالماني والروسي ، سيفقدان فى أغسطس أو سبتمبر من هذا العام كل حول لهما ، فسيحطم الواحد منهما الآخر ، وستحل الفرصة المناسبة للدولتين الانجلو - سكسونيتين لتوجيه الضربة » (١) وهكذا تم نقل جيش اندرس ، ومعركة الفولجا مستمرة على أشدها الى الشرق الأوسط .

وكانت الحكومة التشيكوسلوفاكية المهاجرة تواقة ايضا لسحب وحداتها التى تم تشكيلها على الأرض السوفياتية الى الشرق الأوسط . ولكن محاولاتها لتحقيق هذا الهدف منيت بالفشل . فقد طلب رجال هذه الوحدات من الحكومة السوفياتية ان تبعث بهم الى الجبهة لمقاتلة الهتلريين . ولبت الحكومة السوفياتية طلبهم ، واشتبكوا فى شهر مارس من عام ١٩٤٣ ، مع القوات النازية على الجبهة السوفياتية على مقربة من قرية سوكولوفو الى الجنوب من خاركوف .

- ٢ -

لم تكن المانيا الهتلرية الدولة الوحيدة الطامعة فى الزيت السوفياتى . فلقد كانت عيون الامبرياليين الامريكان والبريطانيين تتطلع اليه ايضا ولذا حاولوا الافادة من المتاعب التى عاناها الاتحاد السوفياتى لتحقيق أطماعهم ووضعت الحكومتان : البريطانية والامريكية برنامجا أطلق عليه اسم « البرنامج المخملى » ، لارسال قواتهما من الشرق الأوسط الى القفقاس ، كما كانت الواحدة منهما تواقة الى ان تسبق الاخرى فى تحقيق أطماعها . ولم يكن هذا الطراز من السباق الا مظهرا جديدا من مظاهر التناقضات الامبريالية .

وطار تشرشل فى شهر اغسطس من عام ١٩٤٢ الى موسكو ، ليبلغ الحكومة السوفياتية الانباء المزعجة بأن الولايات المتحدة وبريطانيا ترفضان الوفاء بالتزاماتهما بفتح الجبهة الثانية فى عام ١٩٤٢ . ودون تشرشل وهو فى الطائرة الاقوال التالية فى يومياته : « وكنت افكر بمهمتى فى هذه الدولة البلشفية التى كنت قد جاهدت فى الماضى لخنقها عند ولادتها .. ترى ما الذى يجب على ان ا قوله لهم الان ؟ ولقد لحص الجنرال ويفل المعروف بميوله الادبية الموضوع كله فى قصيدة نظمها ، ضمت عدة أبيات وكان البيت الاخير منها : « ليست

(١) تريبيونا وولوسكى - اول سبتمبر ١٩٤٦ .

هناك جبهة ثانية في عام ١٩٤٢ « (١) . وإذا ما حكمنا على الأمور على ضوء هذه الفكرة ، نرى أن تشرشل اعتبر سياسته بتخريب موضوع الجبهة الثانية امتدادا لسياسته الأولى في معاداة الاتحاد السوفياتي .

وشهد مؤتمر موسكو ، رجال الدولة السوفياتية ، ورئيس وزراء بريطانيا ، والسفير الأمريكي في العاصمة السوفياتية . ودارت في الوقت نفسه مفاوضات بين أركان حرب الدول الثلاث .

وابلغ رئيس وزراء بريطانيا ، بتأييد من الممثل الأمريكي ، الحكومة السوفياتية رسميا ، ان الجبهة الثانية لن تفتح في عام ١٩٤٢ ، وأن من المقرر فتحها في عام ١٩٤٣ . وسلم الممثلون السوفيات تشرشل مذكرة جاء فيها : « يمثل رفض الحكومة البريطانية فتح الجبهة الثانية في أوروبا في عام ١٩٤٢ ، ضربة قاتلة توجه الى الرأي العام السوفياتي الذي كان قد ركز آماله على فتح هذه الجبهة ، كما يعقد موقف الجيش الأحمر في الجبهة ويضر بخطط القيادة السوفياتية العليا . ولا شك في ان المتاعب التي سيواجهها الاتحاد السوفياتي نتيجة رفض فتح الجبهة الثانية في عام ١٩٤٢ . ستضعف من موقف بريطانيا العسكري ، ومواقف الدول الحليفة الأخرى » (٢) .

وأعربت المذكرة السوفياتية عن شكها في أن الجبهة الثانية ستفتح في عام ١٩٤٣ . ووجهت الحكومة السوفياتية في الثلاثين من يناير من عام ١٩٤٣ ، تساؤلات الى الحكومتين : البريطانية والأمريكية عن الاستعدادات التي اتخذت لفتح الجبهة الثانية ، وعما اذا كانت ستفتح فعلا في عام ١٩٤٣ . ولم تتلق الحكومة السوفياتية أي رد على تساؤلاتها . وان كانت الحكومة السوفياتية قد اصدرت تأكيدات من جانبها « بأن القوات المسلحة السوفياتية ستعمل كل ما في وسعها ، لمواصلة الهجوم على المانيا وحلفائها ، على الجبهة الألمانية السوفياتية » (٣) ، وهو تعهد يشهد العالم كله انها وفته ونفذته باخلاص .

وخيل الى تشرشل أن في وسعه أن يستغل الاجهاد الهائل الذي لحق بالاتحاد السوفياتي ابان معركة الفولجا . وراح يطلب موافقة

(١) ونستون تشرشل - الحرب العالمية الثانية - المجلد الرابع ص ٤٧٥ .

(٢) المراسلات .. المجلد الاول ص ٦١ .

(٣) مراسلات .. المجلد الاول ص ٨٩ .

الاتحاد السوفياتى على ان تحتل القوات البريطانية بلاد القفقاس السوفياتيه. ولكنه سرعان ما أدرك أن ليس فى استطاعته تحقيق بغيته. واتضح له أيضا ، انه سيمنى هو وزملاؤه الأمريكيون بخيبة أمل شديدة . فقد كان أملهم متركزا فى ان يصاب الاتحاد السوفياتى بالاجهاد من الحرب . لكنه لم ير الآن بادرة تشير الى ذلك . وكان العكس أقرب الى الصحة . وأحسن تشرشل بالرعب من هذه الحقيقة ، ولذا فقد بادر اثر عودته الى بريطانيا فى شهر اكتوبر من عام ١٩٤٢ الى اصدار مذكرة سرية يدعو فيها الى اقامة تحالف عسكرى واسع ضد الاتحاد السوفياتى (١) .

وبينما كانت معركة الفولجا فى أوجها . كان السفير البريطانى فى مدريد صمويل هور يشرع فى محادثات سرية مع سوما السفير اليابانى فى العاصمة الاسبانية . وقال السفير البريطانى لزميله : ان بريطانيا على استعداد ، للاعتراف بمكاسب اليابان فى شمال الصين . ولكنها تريد من اليابان أن تعيد اليها سنغافورة وجميع اجزاء الملايو . وكانت عروض الصلح البريطانية ، كعروض الصلح الأمريكية ، وان اختلفت فى مادتها ، تستهدف نفس الغاية وهى الاسراع فى نشوب الحرب بين اليابان والاتحاد السوفياتى .

وحاولت الولايات المتحدة أيضا الانتفاع من الوضع العسير على الجبهة السوفياتية - الالمانية . وعندما سمعت واشنطن باقتراح تشرشل بارسال قوات بريطانية الى القفقاس ، راحت تعزز هذا الطلب ، وتصر على اشراك قوة أمريكية فى المشروع . ولم يكن هذا هو كل ما فعلته الولايات المتحدة . فقد عرضت حكومتها على الاتحاد السوفياتى اقامة قواعد عسكرية أمريكية فى المراكز السوفياتية ذات الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية ، كالقفقاس وساحل المحيط الهادى ، وكامشاتكا . ووجهت طلبا جديدا آخر وهو أن تقيم قواعد جوية أمريكية فى سيبيريا . وبعث الجنرال هنرى اش ارنولد ، قائد القوات الجوية التابعة للجيش الأمريكى الى ايزنهاور يقول : « ليس فى وسعنا أن ندع الأمور عند هذا الحد ، بل علينا أن نزيد من التسهيلات المتوافرة لنا بأسرع وقت ممكن . وعلينا أيضا أن نضع يدنا على هذه التسهيلات ، بحيث اذا تطلبت الاوضاع العالمية استخدامها ، فلن تكون هناك أية مناقشات جديدة فى الموضوع » (٢) .

(١) ونسنون تشرشل - الحرب العالمية الثانية - المجلد الرابع - ص ٤٧٥ .

(٢) ماثولف وسنل - نفس المصدر - ص ٤٣١ .

ورفض الاتحاد السوفياتى ، فثارت الدوائر الأمريكية الحاكمة
لنفسها بعرقلة موضوع تسليم شحنات المواد اللازمة للاتحاد السوفياتى،
فى الوقت الذى كانت فيه معركة الفولجا ناشبة على أشدها .

وبالرغم من هذا الموقف السوفياتى الصلب ، فقد أصرت
الحكومتان : البريطانية والأمريكية على خططهما لاحتلال القفقاس .
السوفياتية . وبعث تشرشل فى الثامن والعشرين من سبتمبر من عام
١٩٤٢ ، بمذكرة الى القيادة الانجليزية - الأمريكية المشتركة ، يطلب
اليها فيها الا تفلت الفرصة المتاحة لها فى القفقاس . ولكنه كان يخشى
من احتمال انهيار الهجوم الالماني فى عام ١٩٤٢ (١) . وبنيت المذكرة
ابضا أن قافلة سفن التموين بى كيو ١٩ ، المتجهة الى الاتحاد
السوفياتى ، قد ألقيت ، ولكنه يرى أن الاتحاد السوفياتى يجب ألا
يعرف ذلك على الاطلاق . وبعث روزفلت فى الخامس من اكتوبر من
عام ١٩٤٢ برسالة الى تشرشل يقره فيها على مخططاته لغزو القفقاس ،
ويوافقه على عدم ابلاغ الاتحاد السوفياتى بتوقف القافلة عن الابحار (٢)

وكان القتال يدور على أشده فى غضون ذلك على الجبهة السوفياتية
- الألمانية . فلقد شرع الألمان فى هجومهم فى ٢٨ يونيو من عام ١٩٤٢ .
وفشلت المحاولة الألمانية فى سحق الجناح السوفياتى الأيسر الى
الجنوب من اوريل . ولكن الجيش السوفياتى اضطر الى التراجع عبر
الدون ، والى خوض معارك تعويقية فعالة ضد قوات نازية متفوقة .
واضطر الألمان فى السادس من يوليو الى التوقف على مقربة من فورونيج
نتيجة الهجمات المضادة من الشمال على جناح القوات الزاحفة . وهكذا
أحبطت الخطة الألمانية الأولى . وانتقل محور القتال الى الجنوب عند
قطاع الفولجا . وأقامت القيادة العليا السوفياتية فى الثانى عشر من
يوليو جبهة الفولجا وعهدت بقيادتها الى الجنرال يريمينكو ، ومعه نيكييتا
خروشوف كعضو فى المجلس العسكرى .

وبدأ العمل الافتتاحى فى معركة الفولجا على نهر شير فى السابع
عشر من يوليو . وظل الجيش السوفياتى لمدة أربعة شهور رهيبة ، أى حتى
الثامن عشر من نوفمبر من عام ١٩٤٢ ، صامدا فى مواقعه ، يدافع دفاعا
عنيفا .

(١) ونستون تشرشل - الحرب العالمية الثانية - المجلد الرابع ص ٥١٤ .

(٢) نفس المصدر ص ٥١٦ .

وأطبق جيشان ألمانيان هما السادس والرابع المدرع على مدينة فولجو جراد . ولكن القوات السوفياتية تمكنت من صد العدو المتفوق ووقفه عن التقدم .

وأدى الضباط والجنود معجزات بطولية . ولنضرب على ذلك بضعة أمثلة من ألوف الفصص التي وقعت في هذه المعركة . فلقد تحطمت مائة دبابة ألمانية في التاسع من أغسطس عندما قام الجيش السوفياتي الرابع والستون بهجوم مضاد . وتمكن أربعة جنود من فرقة الحرس الثالثة والثلاثين التابعة للجيش الثاني والستين بقيادة عريف يدعى بولوتوف ، كانوا يحملون مدفعين مضادين للدبابات من مواجهة ثلاثين دبابة ألمانية ، فحطموا خمس عشرة منها في يوم واحد . وتمكن ستة عشر جنديا من فرقة مشاة الحرس الأربعين بقيادة الملازم الثاني كوشيتكوف ، في قطاع ثان من صد خمس هجمات متتالية قامت بها سرية من النازيين تدعمها اثنتا عشرة دبابة في السادس عشر من أغسطس . وعندما نفذت الذخيرة من الأحياء الباقين من الجنود السوفيات هاجموا الدبابات المعادية بالقنابل اليدوية في أيديهم ونسفوا ستا منها .

وشنت القيادة الألمانية في الخامس والعشرين من يوليو هجوما تطبيقا ل خطة ايديلوييس الشريرة ، في الجنوب ، وهي تهدف الى احتلال القفقاس . وتمكنت القوات الألمانية من اختراق الجبهة والوصول الى منطقة كوبان وشمال القفقاس . واضطرت القوات السوفياتية الرئيسية في شمال جبهة القفقاس الى الانسحاب الى سفوح سلسلة جبال القفقاس الرئيسية . وكانت المقاومة السوفياتية على نهر الفولجا عنيدة وصلبة ، فاضطرت القيادة الألمانية الى ارجاع الجيش المدرع الرابع من قطاع القفقاس لمهاجمة مدينة الفولجا . مما أضعف القوات الألمانية في شمال القفقاس . وظل القتال العنيف مستمرا هناك حتى شهر ديسمبر من عام ١٩٤٢ ، عندما تمكنت القوات السوفياتية أخيرا من وقف زحف العدو .

ويزعم القادة العسكريون الألمان أن الافتقار الشديد الى الزيت ، كان سببا في فشلهم في قطاع القفقاس . ويقول الماريشال فون كلايست ، قائد مجموعة الجيوش (أ) : « لقد نفذ مالدينا من الزيت ، واضطررنا الى التوقف . فقد كان تمويننا بالوقود غير كاف » .

ويقول تيبلسكيرش الشيء نفسه فقد كتب يقول : « كانت مشاكل التموين هي التي حالت وبين احتلال ممرات القفقاس » (١) .

لكن جميع هذه الادعاءات تتعارض مع الحقائق . فلقد كان السبب الحقيقي - فى فشل الألمان ، تزايد المقاومة السوفياتية من ناحية وتهور القادة العسكريين الألمان من الناحية الأخرى . وبالرغم من محاولات كلايست المتكررة الادعاء بأن نقص التموينات كان السبب فى هزيمة الألمان ، فإنه اضطر أخيرا الى القول . . « ومع ذلك فقد كان فى وسعنا أن نصل الى هدفنا ، لولا ، أن قواتي كانت تخسر الوحدة اثر الأخرى ، اذ تنقل لدعم الهجوم على ستالينجراد . وقد أهمل هتلر هدفه الأساسى فى سبيل تحقيق هدف ثانوى . ولكنه فى النهاية لم يستطع تحقيق أى من الهدفين » .

واضطرت القوات السوفياتية فى الواحد والعشرين من أغسطس ، وتحت ضغط شديد ، الى الانسحاب من الحلقة الخارجية للخطوط الدفاعية فى المدينة الى الحلقة الداخلية . وبعث السلاح الجوى الالماني فى الثالث والعشرين من أغسطس بمئات الطائرات لقصف المدينة الوادعة وسكانها المدنيين . ووصف الماريشال يريمنكو هذا الهجوم الغادر فى أحد كتبه فقال : « بدت الارض فى ستالينجراد وفد امتلأت بالأشواك وتحولت الى قمام أسود . وبدا وكأن عاصفة مربعة هبت على المدينة ، فرفعنها فى الهواء ثم قذفت بحطام بيوتها الى الساحات والشوارع . وأصبح الهواء ساخنا ولاذعا ومرا ، وبات من العسير على المرء أن يتنفس . وكانت جلبة القنابل من النوع الذى لا يوصف . وكانت تقرر طبيلات الآذان بنشاز مرعب يضم مختلف الأصوات . وكان أزيز القنابل المتساقطة يختلط بأصوات الانفجارات ، كما تمتزج أصوات انهيار البيوت بقرقة الحرائق . وكنا نسمع فى هذه الجلبة من الأصوات ، أنات الجرحى ، وشهقات الموتى ، وبكاء الأطفال وعويلهم ؛ ونحيب النسوة . وكانت قلوبنا تتقطر حزنا واشفاقا على هؤلاء الضحايا للوحشية الفاسية . ولم يكن فى وسع العقل أن يتحمل ألم التفكير بأنه كان من المستحيل منع هذه الآلام من النزول بمئات الألوف من السكان الآمنين ولا سيما من الاطفال » .

وتحول القتال فى الثالث عشر من سبتمبر الى داخل المدينة ، وراح هتلر يتسرع باعلان سقوطها . ولكن اعلانه كان سابقا للوان . فالمدينة الصابرة لم تستسلم . وظلت طيلة خريف وشتاء ١٩٤٢ - ١٩٤٣ ، محور

(١) تيبلسكيرش - نفس المصدر . ص ٢٤٦ .

جميع العمليات العسكرية في الجبهة الألمانية - السوفياتية . فلقد كانت المدينة مركزا هاما للصناعة والمواصلات ، وكانت القيادة الألمانية متلهفة على احتلالها لقطع نهر الفولجا ، وتهيئة الجو للاستيلاء على القفقاس والاحتفاظ به .

وأُسغلت المعركة الضارية التي نشبت عند الجناح الجنوبي للجبهة الألمانية - السوفياتية قوات العدو الرئيسية ، كما أشغلت مدينة الفولجا بدورها الشطر الأكبر من قوات العدو العاملة في الجبهة . وأحسست القيادة الألمانية بالقلق على سلامة جناح المجموعة الألمانية المحاربة في القفقاس ومؤخرتها ، فراحت تبعث الى قطاع فولجوجراد بالجيش الألماني الرابع المدرع وبالجيشين الرومانيين الثالث والرابع وبالجيش الإيطالي النامن . وهكذا أضعفت القيادة الألمانية مجموعة القفقاس التي أصبحت عاجزة عن مواصلة اندفاعها . وأحبط الدفاع السوفياتي البطولي على نهر الفولجا الخطط الألمانية للاستيلاء على حقول الزيت في القفقاس .

وبذلت القيادة السوفياتية قصارى جهدها للصمود في فولجوجراد مع المحافظة على مواقعها على جناحي القوات الألمانية المهاجمة للمدينة . وكان لابد من الاحتفاظ برؤوس الجسور الواقعة على الضفة اليمنى من نهر الدون وبالمخفض الواقع بين البحيرات الى الجنوب من فولجوجراد مهما كان الزمن . وبدأت القيادة السوفياتية منذ أواسط سبتمبر بحشد قوات ضخمة الى الشمال الغربي والجنوب من فولجوجراد .

ولقد دافع الجيش السوفياتي عن فولجوجراد في ظروف عصيبة للغاية . وكتب الجنرال شويكوف الذي كان يتولى قيادة أحد الجيوش المدافعة عن المدينة يقول : « على المرء عندما يتحدث عن الدفاع عن المدينة ، أن يصف مسرح المعركة ، اذ أن هذا المسرح جعل موقف جيشي في غاية الصعوبة . فالمدينة تمتد نحواً من أربعين كيلو مترا من الشمال الى الجنوب، بينما لا يزيد عرضها على « الثلاثة كيلومترات » . وتكتظ السهوب الواقعة حول المدينة بالأخاديد والممرات التي تمتد من الغرب الى الشرق لتصل الى ضفة الفولجا ، ولتقسم المدينة الى عدد من المناطق . ولم يكن الحاجز المائي الضخم - الفولجا - القائم في مؤخرة جيشي ، مجرد عقبة تحول دون وصول التموينات الى ، بل كان يحول أيضا بيني وبين تحريك الرجال والأسلحة . وكان لابد من القيام بذلك أثناء الليل ، وفي المساحة الضيقة التي تسير على طول الضفة اليمنى من النهر . وكان العدو يسيطر على التلال المشرفة ، وبالتالي على مساحات من الارض تمتد عشرات الكيلومترات،

فأرضاً على المنطقة كلها نيراناً شديدة من الأرض والسماء • وعلينا أن نذكر أن العدو كان قد اندفع إلى الفولجا في المراحل المبكرة من المعركة وأصبح يهدد جناحيننا • ولا ريب في أن هذه الصورة تبين كيف كان من العسير على المدافعين عن المدينة أن يوقفوا التيار الزاحف •

ولم يزد عمق الخطوط الدفاعية في وقت ما على « السبع مائة متر » • ولكن الجيش السوفياتي صمد للهجوم ، ووجه ضربة ساحقة إلى القوات الألمانية • وأتاح هذا الصمود للقيادة السوفياتية الفرصة لأعداد العدة للهجوم الذي حمل القوات السوفياتية من الفولجا إلى برلين ونهر الألب •

وأوقف الصمود السوفياتي القوى ، الزحف الألماني على نهر الفولجا وفي القفقاس • ودفع العدو ثمننا غالياً لمغامرته من الرجال والمعدات • يضاف إلى هذا أن عامل الزمن لم يكن في مصلحة النازيين • واهتبلت القيادة السوفياتية الفرصة للتعبئة وأعداد القوات الاحتياطية القوية •

ونالت بعض فرق المشاة السوفياتية أثناء معركة الفولجا ، لقب فرق الحرس السوفياتية • ولم يحل ربيع عام ١٩٤٣ ، حتى كانت هناك أكثر من ثلثمائة وحدة من الحرس في الجيش السوفياتي •

وكان العالم يتابع معركة الفولجا العظيمة بأنفاس متقطعة لاهتة • واتضح لكل إنسان مع مرور الأشهر أن مصير الحرب كلها متعلق « على نتيجة هذه المعركة » • وكتبت صحيفة « صوت الشعب » التي تصدر في بيروت في شهر أكتوبر من عام ١٩٤٢ تقول : « لا تفترس مدافع ستالينجراد أرواح الألمان الذين يهاجمونها فحسب ، وإنما تهز أسوار برلين هذا أيضاً • ويصر هتلر على أسنانه بكثير من الجنون والعصبية • وأخذت الرجفة بجورنيج المدمن على المخدرات • ويكاد قلب جوبلز القمى يسقط من صدره • وهو يصرخ بجنون ، ماذا يديه إلى السماء ، راجياً أن يكون الروس برفضهم الاستسلام ، يلعبون مجرد لعبة • وتصل أصدااء انفجارات المدافع إلى باريس لأول مرة فرنسا فتغلي الدماء في عروق الفرنسيين • اذ تذكرهم بمدافعهم التي كانت حتى أمس تهدور في فالمي وفردان ، والتي ستهدر في الغد في مؤخرة العدو الذي يدنس بأقدامه تربة فرنسا • وترجع أرجاء العالم كله أصدااء ستالينجراد ، فتناقلها شونج كينج ونيويورك ولندن والعلمين • ولكن نفس المدافع هناك تحترق خجلاً وعاراً لأنها صامتة ••• وتوحى مدينة الفولجا ، بنهاية هتلر العاجلة ، فقد أصبحت مقبرة لقوى الفاشية الرهيبة والمرعبة » •

ومثل الدفاع الظافر عن المدينة ضربة ساحقة لخطط الرجعية فى طول العالم وعرضه ، اذ قبر الهجوم المضاد جميع خططهم . وثبت خطأ التكهّنات التى صدرت عن الخبراء العسكريين البورجوازيين الذين ادعوا أن الاتحاد السوفياتى عاجز عن القيام بعمليات هجومية واسعة النطاق فى عام ١٩٤٢ - ١٩٤٣ .

وهكذا تمكن الاتحاد السوفياتى الذى وقف وحيدا فى حربه مع ألمانيا الهتلرية ، فى مستهل عام ١٩٤٣ من قلب موازين الحرب ، ومهد السبيل للنصر على المعتدين الفاشيين .

ويعود انفضال فى هزيمة الألمان على نهر الفولجا الى عبقرية القيادة السوفياتية العامة وبراعتها ، والى نبوغ هيئة أركان الحرب والمجالس العسكرية فى الجبهات . وتمكنت القيادة السوفياتية عن طريق المناورة البارعة من أن تحشد سرا قوات كبيرة فى المناطق التى اختارتها ، مع التوفير الصارم فى اعدادهم فى الجبهات الأخرى .

وشن الجيش السوفياتى فى التاسع عشر من نوفمبر من عام ١٩٤٢ هجومه المقابل . وروى الجنرال يودل فى محاكمات نورمبرج قائلا : « كنا لا نعلم شيئا على الاطلاق عن حشد القوات الروسية الضخمة على الأجنحة الخارجية لجيشنا السادس على نهر الدون . ولم تكن لدينا فكرة على الاطلاق عن قوة الروس فى هذا القطاع . فلم يكن هناك شيء يسترعى الأنظار ، وفجأة رأينا ضربة توجه إلينا هناك على قدر كبير من القوة والأهمية » .

ولم يكن قادة بريطانيا والولايات المتحدة يتوقعون هذا الهجوم السوفياتى أيضا . وكانوا يعتمدون على الرسائل التى يبعث بها الأميرال ستاندلى السفير الأمريكى فى موسكو ، الذى أبلغ حكومته فى واشنطن فى شهر نوفمبر من عام ١٩٤٢ أنه « يعتقد أن الجيش الروسى سيوقف فى الشتاء زحف الألمان فى النقاط التى وصلوا إليها حتى تلك اللحظة » (١) .

وكان توقيت الهجوم السوفياتى رائعا . فقد تقدمت كماشتان تتألف كل منهما من عدة شععب ، لخرق الجناحين الألمانين . وتلاقت القوات الزاحفة من الشمال الغربى ومن جبهة فولجوجراد فى الثالث والعشرين من نوفمبر عند بلدة سوفيتسكى ، فأتمت بذلك تطويق قوات

(١) ويليام ليهى . . فى كتابه « كنت هناك » نيويورك ١٩٥٠ . ص ١٢٤ .

ألمانية كبيرة • وسقطت في الشرك عشرون فرقة ألمانية وفرقتان رومانيتان، ويبلغ تعداد جنودها كلها نحواً من (٣٣٠) ألف ضابط وجندي • وتمكنت القوات السوفياتية في الهجوم الذي شنته بين ١٩ و ٣٠ من نوفمبر من إقامة حلقة تطويقية خارجية قوية ، ومن أسر خمس فرق للعدو وتدمير سبع فرق أخرى •

وأحبطت القوات السوفياتية في المرحلة الثانية ، جميع المحاولات التي قام بها الألمان لانقاذ الجيوش النازية من الطوق ، وتمكنت من وقف الزحف الذي قامت به مجموعة جيوش الدون بقيادة المارشال مانشتاين ، وصدها الى الوراء ، بعد أن كانت قد اخترقت الطوق الخارجي للحصار من منطقة كوتيلنيكوفو - تورموزين • وراحت الجيوش السوفياتية في جبهات الجنوب الغربي وفولجوجراد وفورونيغ ، تكس العدو أمامها ، وتتحرك باتجاه الغرب ، موسعة حلقة التطويق الخارجية مسافة تتردد بين ١٧٠ و ٢٥٠ كيلو مترا • وكانت قوات جبهة الدون تواصل في غصون ذلك وباستمرار ضغطها على القوات الألمانية المحاصرة ، لتضعها في جيب شرع في التقلص •

وقدمت القيادة السوفياتية في الثامن من يناير من عام ١٩٤٣ ، انذاراً نهائياً الى القوات الألمانية المحصورة ، فرفض الألمان التسليم • وأصدرت القيادة العليا الألمانية أوامرها الى جنودها بالبقاء في أماكنهم • واضطر القادة العسكريون في الجبهة لتنفيذ هذه الأوامر الى فرض اجراءات انضباطية صارمة • ونفذ حكم الاعدام في أكثر من ثلثمائة وأربعة وستين رجلاً • (١)

وسرعت جيوش جبهة الدون الروسية في العاشر من يناير من عام ١٩٤٣ في عملية تنظيف الجيب الألماني المحاصر • وتمت العملية في الثاني من فبراير ، وانتهت خطة ايقاع الجيوش النازية في حوض الفولجا في الشرك الى نصر رائع • وتقول وثيقة سوفياتية رسمية : « وهكذا تقرر مصير ٣٢٠ ألفاً من الجنود الألمان الأسداء ، اما بالموت أو بالسراويل • ولبست ألمانيا الهتلرية أثواب الحداد ، بينما أشرقت شمس النصر رائعة على القوات المسلحة السوفياتية » •

ويقول جورليتز ، المؤرخ الألماني البورجوازي المعاصر : « كانت هذه أشد هزيمة منى بها الجيش الألماني في تاريخه كله » •

« (١) جورليتز في كتابه « الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥ » الجزء الاول • ص ٤١١ •

وتطور الهجوم المضاد فى جبهة فولجوجراد ، الى هجوم عام على طول الجبهة الممتدة من ليننجراد الى بحر آزوف . وتقدم الجيش السوفياتى فى أربعة أشهر وعشرين يوما مسافات تتردد بين ٦٠٠ و ٧٠٠ كيلو متر فى بعض النقاط باتجاه الغرب ، وحرر الكثير من المناطق ذات الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية . وزال الخطر الذى كان يهدد الفولجا والقفقاس . وبلغت خسائر العدو نحو ١١٢ فرقة . ورفع الجيش السوفياتى فى شهر يناير من عام ١٩٤٣ الحصار عن مدينة ليننجراد ، وعاد سير السكك الحديدية على طول الضفة الجنوبية لبحيرة لادوجا .

وجسدت نتيجة معركة فولجوجراد الدليل الواضح على قوة البلاد الاشتراكية وحيويتها . وأظهرت هذه النتيجة ما يتمتع به الجيش السوفياتى من قوة وما يمثل فيه من سلاح ومعدات حديثة ، ومن قيادات مجربة ، ومعنويات رائعة . وحسرت المعركة النقاب عن تفوق السوفيات فى فن الحرب على ألمانيا الهتلرية ، كما عززت الى حد ضخم مكانة الاتحاد السوفياتى على الصعيدين الدولى والعسكرى . واستقبل التقدميون فى العالم كله ، النصر السوفياتى فى معركة فولجوجراد ، على أنه عمل لم يسبق له مثيل فى تاريخ الشجاعة والاخلاص للواجب .

ومثلت هزيمة الالمان عند الفولجا نقطة تحول فى الحرب العالمية الثانية ، وأوحت بأن الدمار مصير النازية ، وأن النصر نصيب الحلف المعادى للعاشية .

ولاشك فى أن كارثة فولجوجراد مثلت الضعف الأصيل الكامن فى الحكم الهتلرى . وكتب المؤرخ الايطالى الشيوعى روبرتو باتاجليا : « ان النصر السوفياتى فى فولجوجراد ، مثل نقطة الذروة ... لا من الناحية العسكرية فحسب بل ومن الناحية النفسية أيضا » (١) .

ويتبارى ساسة الدول البورجوازية ومؤرخوها فى التقليل من أهمية النصر السوفياتى التاريخى . فهم اما يتجاهلون هذا النصر والحديث عن معركة الفولجا ، أو يشيرون اليه بصورة عارضة ، مظهرين اعتزازهم بعمليات حربية ذات قيمة ثانوية بالنسبة الى نصر فولجوجراد . وحاول الجنرال جورج مارشال ، رئيس هيئة أركان الحرب الامريكية فى تقرير قدمه الى الرئيس روزفلت المساواة بين فولجوجراد والعلمين .

(١) روبرتو باتا جليا فى كتابه « قصة المقاومة الايطالية » - ايناندى ايديتورى ١٩٥٣ . ص ٦٩ .

وكتب الجنرال مارشال يقول : « لقد انتهت أزمة الحرب عند ستالينجراد والعلمين » (!) ولم تمنعه من هذه المعادلة ، الحقيقة الواقعة ، وهي أن معركة العلمين ، لم تشغل الا شطرا ضئيلا من قوات العدو ، وأنها وقعت على بعد كبير من مسارح الحرب الرئيسية في الصحراء ، وأنها لم تؤثر ، ولم يكن في وسعها أن تؤثر على السير العام للحرب .

وقد يكون صحيحا أن هناك بعض المؤرخين الغربيين الذين لا يحاولون تشويه الحقائق ، والذين يظهرون الكثير من عدم التحيز . فلقده اعترف كورت فون تيبلسكيرش مثلا ، بصورة واضحة بأن هزيمة الفولجا هي التي غيرت مجرى الحرب ثم قال : « بالرغم من أن التطورات التي وقعت في شمال افريقيا قد أبرزت في الصورة الحربية أكثر من معركة ستالينجراد ، الا أن كارثة ستالينجراد ، هي التي هزت جيش ألمانيا رشعها الى درجة كبرى » (٢) .

وهو يوالى الحديث في كتابه ، وفي أكثر من مكان عما يسميه « بكارثة ستالينجراد » .

ويصف ايلز يويرث رايمونت الخبير العسكري الأمريكي البارز (معركة الفولجا « بنقطة التحول » في الحرب العالمية الثانية ، ويؤكد ان الجيش السوفياتي فاز فيها دون عون من الولايات المتحدة وبريطانيا . ويقول الجنرال الهتلري هاينز جودريان ، في مجموعة من المقالات نشرها ليدل هارت ، ان « ستالينجراد مثلت نقطة التحول في الحملة الروسية ، فقد ظلت الجبهة تتراجع في تشنجات ، تفصل بينها فترات ، ولكن بصورة لا انقطاع فيها » (٣) .

وأثارت هزيمة الفولجا ، أزمة عاصفة في المعسكر الفاشي . وبكت ألمانيا أشد البكاء لهزيمتها . وحاولت الدعاية النازية تعزية الألمان بالقول بأن فولجوجراد بعيدة كل البعد عن برلين . ولكن أخذ يتضح لمعظم الناس في ألمانيا ، أن بلادهم قد خسرت الحرب ضد الاتحاد السوفياتي . ورغم الاضطراب صفوف الزمرة المحيطة بهتلر . ويقول جودريان على سبيل

(١) « تقارير مارشال وارنولد وكيبيج عن الحرب » - فيلادلفيا ونيويورك ١٩٤٧ ص ١٤٩

(٢) تيبلسكيرش - نفس المصدر . ص ٢٦٨ .

(٣) « الجيش السوفياتي » - اعداد ليدل هارت . لندن - ويدنفلد وينكولسون ١٩٥٦

ص ١٣١ .

المثال : ان الجنرال يودل ، أصيب بما يشبه الانهيار ، وأقصى من منصبه (١) .

وقررت القيادة النازية بعد انتهاء معركة الفولجا ، أى فى السابع من فبراير من عام ١٩٤٣ ، المضى فى الحرب ، وعلان التعبئة العامة الشاملة ، أى بدعوة جميع الألمان الذكور الذين لا يقومون بأى عمل فنى فى الصناعات الحربية الى حمل السلاح . وتم تجنيد عدد كبير من العمال الفنيين أيضا . وتم اعداد الخطة لتشن حرب مقاومة سرية نازية فى حالة خسارة الحرب .

واستعاض النازيون عن النقص فى اليد العاملة بجمع ملايين العمال الاجانب لاعمال السخرة فى الصناعة والزراعة الالمانيتين . وضم هؤلاء كثيرين من الشبان الذين نقلوا بالقوة من المناطق المحتلة فى الاتحاد السوفياتى ، الى ألمانيا . وكان بينهم أيضا عدد كبير من أسرى الجيش السوفياتى من ضباط وجنود ، وقعوا فى الاسر لاصابهم بجراح أو نرضهم . وتعرض عشرات الألوف من المواطنين السوفيات لأنواع التعذيب الذى وصل حدود الموت فى معسكرات الاعتقال النازية ، كما تم القضاء على ألوف أخرى فى « مصانع الموت » النازية . ولكن الألمان فشلوا ، بالرغم من كل هذه الوسائل التى استخدموها من تعذيب وقتل ، وعمل الزامى ومجاعة ، فى تحطيم معنويات الوطنيين السوفيات ، فقد واصلوا كفاحهم ضد الفاشية فى مؤخرة العدو وعلى أرضه .

وأدى نضال الوطنيين السوفيات داخل الامبراطورية النازية الى إلحاق الأذى من الحسائر فى الارواح ، وكان يشن هذا النضال رجال عصوا القانون النازى ، وأضعفهم بطوع المستعمر ، والعمل الشاق ، وعانوا الكثير من الآلام وراء أسلاك معسكرات الاعتقال الشائكة ، وفى معسكرات العمال الشرقيين ، وكان الذين يتميزون بالشجاعة والصلابة ، والذين يحتملون محن ستعباد الهتلرى المخيف ، هم الذين يرفضون الاستسلام . ويحشرون وراءهم ألوف المناضلين للكفاح ضد الفاشية . وقد تأثر النضال البطولى الذى خاضه الشعب السوفياتى داخل الامبراطورية النازية ، بروح الدولية ، الاشتراكية . مختلطا بالمتطلبات الوطنية لأعداء الفاشية من الألمان ، ومع حركات التحرر التى يخوضها جميع الأجانب المستعبدين من الرايخ الثالث .

(١) كتاب جودريان - نفس المصدر السابق . ص ٢٨٨ .

وقد أشعل النضال التحررى للشعب السوفياتى داخل الامبراطورية النازية ، وفى البلاد التى يحتلها النازيون قوات كبيرة معادية ، وحال بينها وبين تعزيز الجبهة ، الألمانية السوفياتية وغيرها من الجبهات . وقد دفع هذا النضال أفراد العصاة النازية الى العيش فى خوف دائم ، وأثر باستمرار على الوضع السياسى فى ألمانيا ، وكان له أثر ملحوظ فى الهزيمة النهائية للفاشية وفى انتصار القوى المحبة للسلام .

وكان النازيون يعيشون فى رعب دائم من الأعمال الجماعية التى يقوم بها العمال الأجانب . وكانت القيادة الهتلرية العامة ، وقيادة الجستابو قد أعدتا خطة ، جاهزة أطلقتا عليها اسم « فولكيرز » للقيام بالعمليات العسكرية اللازمة لآخماد أية ثورة ممكنة قد يقوم بها أسرى الحرب ، والعمال الأجانب . وكان لابد من الاحتفاظ فى ألمانيا بقوة كبيرة لمواجهة هذا الوضع الطارىء ، وكانت هذه القوة تعامل من يقع فى أيديها من أعضاء الحركات السرية دون أية رحمة أو اشفاق .

ولم يكن النازيون يخشون العمال الأجانب فحسب ، بل والشعب الألمانى أيضا ، ولا سيما بعد هزيمة الفولجا ، التى استنارت الجماعات الشيوعية السرية فى ألمانيا ودفعتها الى العمل .

وواصلت الجماعات الشيوعية العمل السرى فى ألمانيا طيلة أيام الحرب . وكانت هناك جماعة يتزعمها انطون سيفكو وفرانز جاكوب وبيرنهارد باشتلين . وقد تألفت فى برلين فى عام ١٩٤٢ ، وأقامت اتصالات لها فى أكثر من ثلاثين مشروعا صناعيا . وكانت الجماعة الشيوعية التى يقودها جورج شومان ناشطة فى سكسونيا بينما كانت جماعة تيودور نيوباور نشيطة فى ثورينجيا . وكانت لجميع هذه التنظيمات السرية شبكات منتشرة لا تضم أعضاء الحزب الشيوعى فحسب ، بل وتضم الاشتراكيين الديمقراطيين أيضا ، والرجال اللاهزبيين وجنود الجيش الألمانى الداخلى . وأقامت هذه التنظيمات اتصالات مع ضباط الوحدات المقاتلة فى الجبهة وجنودها ، وأقامت روابط لها مع أسرى الحرب السوفيات ومع العمال الأجانب فى ألمانيا .

وأقام الشيوعيون الألمان فى جنوب البلاد منظمة سرية كبرى ، أطلقوا عليها اسم جبهة الشعب الألمانى المعادية للفاشية ، وكانت تعمل جنبا الى جنب ، مع الأسرى السوفيات الذين تضمهم تنظيماتهم الخاصة بهم والمسماه بالروابط الاخوية لاسرى الحرب . وكتب وولتر اولبريخت ، السكرتير الاول للجنة المركزية لحزب الوحدة الاشتراكية فى ألمانيا ، معلقا

على التعاون الوثيق بين هذين التنظيمين ، فقال : ان تنظيمات أسرى الحرب الروس ظهرت بسرعة فى جميع معسكرات الاعتقال فى جنوب ألمانيا وفى أكثر من عشرين معسكرا من معسكرات العمال الشرقيين ، ولم تحل نهاية عام ١٩٤٣ ، حتى كان هذان التنظيمان قد وصلا ذروة النشاط ، وألف الضباط السوفييات تنظيما للمقاومة شمل ألمانيا الجنوبية كلها من كارلسروه الى فيينا . وضمت عضويته عدة آلاف من الأعضاء نظموا فى وحدات عسكرية ، كان بعضها مسلحا ، ولكن استعداداتهم البأسلة سرعان ما تكتسفت ، وذلك لأن الشرطة الألمانية ، نمكنت من التسلل الى هذه التنظيمات » (١)

وكان الشيوعيون ينادون بالاطاحة بهتلر عن طريق ثورة شعبية ، ويعملون بنشاط ضد الحرب ، مطالبين بسلام ديمقراطى فورى ، وينظمون عمليات التخريب فى المصانع التى تنتج المواد الحربية ، ويوزعون المنشورات المعادية للفاشية .

وقام الألمان المناوئون للفاشية فى الثانى عشر من يوليو من عام ١٩٤٣ بتأليف لجنة فى موسكو أسموها اللجنة الوطنية لألمانيا الحرة . وقد قام بتأليفها الشيوعيون الألمان والضباط والجنود الذين أخذوا أسرى فى فولجوجراد . وأصدرت اللجنة نداء الى الجنود الألمان وأفراد الشعب الألمانى حللت فيه الوضع فى الجبهة الألمانية - السوفيياتية وفى داخل ألمانيا وناشد النداء جميع الوطنيين الألمان . أن يشنوا نضالا تحرريا على الحكم الفاشى ، وأن يعملوا على إقامة ألمانيا الحرة . وسرعان ما تألف اتحاد للضباط الألمان ، أقر برنامج حركة ألمانيا الحرة وانضم اليها .

- ٣ -

اتضح ظهور الأزمة فى المعسكر الفاشى فى الحقيقة الواقعة ، وهى أن النازيين أخذوا يفكرون فى العثور على طريقة لانتهاء الحرب . وكانوا يعلقون آمالهم على عقد صفقة مع الدوائر الحاكمة فى بريطانيا والولايات المتحدة . وظهرت هذه الاتجاهات نفسها أيضا فى هاتين الدولتين . فقد فزع الامبرياليون من النصر الذى تحقق فى جبهة الفولجا ، اذ أنه قضى على أحلامهم فى الاتحاد السوفيياتى . وليس من المدهش والحالة هذه اذا كان المؤرخون الأمريكون يقرون بأن النصر فى معركة الفولجا هو الذى نشر بذور الحرب الباردة . فهناك المؤرخ دبليو . دبليو . روستو الذى يقول :

(١) مجلة نوفى مير - موسكو - العدد الثامن ١٩٥٧ . ص ٢٠١ .

« ان الحرب الباردة تعود فى تاريخ بدايتها ، تقريبا الى مستهل عام ١٩٤٣ »
وان كان يقع اللوم فيها مع الافتقار الى الدليل على الاتحاد السوفياتى (١) .
وعندما تضاعفت الانتصارات السوفياتية ، راحت الحكومتان
البريطانية والامريكية تقومان بسلسلة من المحاولات ، لعقد صفقة مناوئة
للسوفيات مع ألمانيا الهتلرية . وكانت الفئات الرجعية فى هذين البلدين
قد بذلت قصارى جهدها طيلة أيام الحرب ، لتحطيم التعاون فى الجبهة
المناوئة للفاشية ، وإطالة أمد الحرب ، واستنزاف قوى الاتحاد السوفياتى ،
وانقاذ المعتدين النازيين من الهزيمة الكاملة .

ولم يباطأ الامبرياليون الألمان فى ادراك ما ينطوى عليه هذا الوضع .
فراحوا يوسعون محادثاتهم السرية مع الحكومتين البريطانية والامريكية .
بعد معركة الفولجا . وراحوا يعرضون عليهما الصلح ليضاعفوا من حربهم
ضد الاتحاد السوفياتى . وكان الامبرياليون البريطانيون والامريكيون على
استعداد لاجراء هذه المحادثات السرية مع النازيين ، ناقضين بذلك
التزاماتهم التعاهدية تجاه الاتحاد السوفياتى .

واستخدم الهتلريون حكومة فرانكو فى أسبانيا ، والسويد .
وسويسره ، كوسطاء ، وهدفهم تفسير التحالف ضد الهتلرية ، وإقامة
كتلة انجليزية - امريكية - المانية ضد الاتحاد السوفياتى . وقام صمويل
هور السفير البريطانى فى مدريد ، وانطونى ايدن وزير خارجية بريطانيا
بمفاوضة النازيين عن طريق الوسطاء الأسبانيين .

وكانت المحادثات التى دارت فى سويسره فى شهر فبراير من عام
١٩٤٣ ، أبرز هذه المحاولات التى جرت لعقد صفقة سرية مع ألمانيا . فقد
اجتمع اللين دالاس ، باذن من الحكومة الامريكية بالمبعوث الهتلري الأمير
هوهينلوهى . وعرض دالاس أثناء الاجتماع وجهة نظر أمريكا الرسمية
فى الحرب والسلام ، وقال : ان الولايات المتحدة تريد بقاء ألمانيا « كعامل
للعفاظ على النظام والاستقرار » . وأكد دالاس أن حكومته لا تفكر مطلقا
بتقسيم ألمانيا أو انتزاع النمسا منها ، وقال : انها تؤيد اعطاء الصناعة
الالمانية التى تمثل قلعة الحرب والعدوان ، دورا بارزا فى أوروبا . (٢) .

ووضع دالاس خطة لاعادة فرض « الحجر الصحى » على الاتحاد
السوفياتى ، وأن يضم هذا الحجر بولنده ورومانيا والمجر ، مضيفا ان

(١) دبليو . دبليو . روستو . « الولايات المتحدة فى الحلبة العالمية » - رسالة فى .

التاريخ الحديث « نيويورك ١٩٦٠ - القسم الرابع - ص ١٤١ .

(٢) راجع كتاب « مزيفو التاريخ - حداثات بولز مع مستر بول » - موسكو ١٩٥١ .

ص ١٠٢ .

بولندية يجب ان تتوسع باتجاه الشرق أى على حساب الاتحاد السوفياتى .
وقد أبلغ الامير هوهينلوهمى أن الولايات المتحدة تعتزم اقامة اتحاد فيدرالى
دانوبى لبلاد جنوب شرقى أوروبا . (١)

وكانت محادثات دالاس - هوهينلوهمى ، محاولة صريحة واضحة
من جانب الولايات المتحدة التى عملت بالتعاون مع الحكومة البريطانية
لتقصى احتمالات عقد صلح منفرد مع هتلر . وهكذا منلت هذه المحادثات
تنكرا خطيرا لالتزامات الحلفاء . ومع ذلك فقد حالت التناقضات الامبريالية
الحادة بين هاتين الجماعتين دون عقد صفقة انجلو - أمريكية مع ألمانيا
الهتلرية . ولا شك فى أن ارتفاع المكانة الدولية للاتحاد السوفياتى ،
والحب العميق الذى حظى به الشعب السوفياتى لدى الجماهير فى جميع
أرجاء العالم ، كانا من أهم أسباب الفشل فى هذه المحادثات .

وأعادت المخابرات الامريكية اتصالاتها بكبار رجال الصناعة
والمصارف فى ألمانيا الذين كانت لهم اتصالات وثيقة بالاحتكارات الامريكية
وكانت هذه الجماعة التى يتزعمها هجلمار شاخت ، تضع خططها لاحداث
انقلاب فى ألمانيا ، « واستبدال هتلر بديكتاتور » فاشى جديد . وكانت
هذه الجماعة تريد من الفوهرر الجديد ، أن يعقد صلحا « كريما » مع
الولايات المتحدة وبريطانيا وأن يرسل جميع مالى ألمانيا من قوات مسلحة
الى الجبهة الألمانية - السوفياتية ، واتصل كالتينبرونر بدالاس عن طريق
هوتل ، الموظف فى الجستابو الذى كان دائم الزيارة لسويسرا . وقد نبت
فى محاكمات نورمبرج أن الاتصالات بين كالتينبرونر ودالاس عن طريق
هوتل ، تكررت بصورة متزايدة بعد شهر مايو من عام ١٩٤٣ .

وشنت الحكومة البولندية المهاجرة التى كانت على علم بمشروع
« الحجر الضخى » ضد الاتحاد السوفياتى ، حملة شعواء فى مطلع عام
١٩٤٣ ، طالبت فيها الاتحاد السوفياتى بارضاء المطامع التوسعية
للرأسماليين والإقطاعيين البولنديين . ونجاوزت هذه الحكومة حدودها
عندما طلبت مطالبها هذه الى الاتحاد السوفياتى .

ولم يكن فى وسع الاتحاد السوفياتى فى ظل مثل هذه الظروف أن
يحتفظ بعلاقاته مع الحكومة البولندية المهاجرة فى لندن . وراح فى
مذكرة بعث بها فى الخامس والعشرين من أبريل من عام ١٩٤٣ ، يؤكد أن
هذه الحكومة اتخذت موقفا عدائيا من الاتحاد السوفياتى ، وتنكرت

(١) نفس المصدر .

لعلاقاتها التحالفية معه • واستنتجت الحكومة السوفياتية من الدلائل المتوافرة لديها ، أن الحكومة البولندية المهاجرة ، كانت على اتصال بالنازيين ، وترتكب استفزازات عدائية ضخمة تجاه الاتحاد السوفياتي • وهكذا تم قطع العلاقات الدبلوماسية مع الحكومة البولندية في لندن •

وكانت الحكومة السوفياتية قد أبلغت كلا من رئيس جمهورية الولايات المتحدة ورئيس وزراء بريطانيا ، أن موقف الحكومة البولندية المهاجرة من الاتحاد السوفياتي ، أصبح شاذاً ويؤدي الى مخالفات لقواعد العلاقات بين الحلفاء • وكانت الحقائق التي أوردتها الحكومة السوفياتية من الوضوح وقوة الاقناع بحيث لم تجرؤ الحكومتان : البريطانية والامريكية على مناقشتها • واعترف تشرشل في رسالة شخصية بعث بها الى رئيس الحكومة السوفياتية بأن الحكومة البولندية « توجه اتهامات ذات طابع مهين الى الحكومة السوفياتية ، مما يجعلها متشابهة مع الدعاية النازية المعادية » (١) وبالرغم من هذا ، فقد حاولت الحكومتان البريطانية والامريكية ، حمل الحكومة السوفياتية على المحافظة على علاقاتها مع حكومة لندن البولندية • وقوت الخطوة السوفياتية بقطع علاقاتها مع الحكومة المهاجرة من وسائل الحلف المناهض للفاشية يضاف الى هذا أن هذه الخطوة وضعت الأساس الصلب للصدقة الوطيدة بين الشعبين السوفياتي والبولندي •

وألّف البولنديون المقيمون في الاتحاد السوفياتي ، اتحاداً للوطنيين البولنديين • ونظم هذا الاتحاد وحدة مسلحة أسموها فرقة « كرسكيوزكو الوطنية » التي بدأت أعمالها ضد النازيين في لينينو في منطقة سمولينسك في الثاني عشر من أكتوبر من ١٩٤٣ • وهذا هو التاريخ الذي يحتفل فيه البولنديون في هذه الايام ، كيوم الجيش البولندي •

وساعد العون الودي الذي قدمه الاتحاد السوفياتي ، الوطنيين البولنديين في بولنده على تقوية النضال ضد الغزاة النازيين وعلائهم • وشهد الواحد والثلاثون من ديسمبر من عام ١٩٤٣ ، اقامة الجهاز الفني يشرف على أعمال الوطنيين في وارشو والمسمى « كراسوفا رادا ناردوفا ».

(١) المراسلات •• المجلد الاول - ص ١٢٤ - ١٢٥ •

خلق النصر السوفياتى فى الفولجا أزمة حادة لا فى المانيا وحدها . بل وفى الكتلة الفاشية فى مجموعها . فقد أحبط الجيش السوفياتى الخطة التى كانت مرسومة للتعاون بين القوات الألمانية والجيش اليابانى . وكان من المقرر أن تهاجم اليابان الشرق الاقصى السوفياتى وسيبيريا بعد احتلال الالمان لفولجوجراد . وكان من المقرر أن يلتقى الجيشان : الالمانى واليابانى فى مكان ما فى سيبريا ، وآخر فى الشرق الاوسط . ولكن الامبرياليين اليابانيين تخلوا الان عن هذه الخطة ولم يعودوا يتعلقون بأى أمل فى انتصار ألمانيا .

ولما كانت اليابان قد حشدت خيرة قواتها ونصف مدفيعيتها وثلثى دباباتها على الحدود السوفياتية ، فقد اضطرت الى اتخاذ موقف الدفاع فى مسرح المحيط الهادى ، متخلفة عن زمام المبادرة الاستراتيجية الى أعدائها . وأدى نصر الفولجا أيضا الى تغيير صورة الوضع العسكرى والاستراتيجى فى المحيط الهادى من زاوية ثانية . فقد أدى الى هبة مجموعات أخرى من الشعوب لمقاومة الغزاة اليابانيين .

ولكن حكومات الولايات المتحدة وبريطانيا وتشيان كاي شيك لم تبادر أيضا الى استغلال الوضع المواتى الذى خلقتة الانتصارات السوفياتية . ولم تقم بأية عملية هجومية ضد اليابان فى عام ١٩٤٣ .

لكن هذا الوضع كان مختلفا بالنسبة الى جيش التحرير الشعبى الصينى . فقد بدأ هذا الجيش فى عام ١٩٤٣ . مدفوعا بالانتصارات السوفياتية ، هجوما واسع النطاق . وقد أكد المؤرخون اليابانيون أعمال البطولة التى أظهرها الجيشان الثامن والرابع ووحدات الوطنيين . وأخذ جيش التحرير يزداد بسرعة هائلة . فقد أصبح الجيشان الثامن والرابع يعدان فى النصف الثانى من عام ١٩٤٣ ، أكثر من نصف مليون جندى ، بينما تجاوز عدد أفراد وحدات الوطنيين المليونين من الرجال . وعادت الحياة الى طبيعتها فى شتاء عام ١٩٤٢ - ١٩٤٣ ، فى المناطق المحررة من الأقسام الجنوبية والوسطى والشرقية من مقاطعة هوبية .

وكانت الولايات المتحدة وبريطانيا قد عقدتا العزم على اضعاف حركة التحرير فى الصين ، ولذا راحتا تتخليا فى يناير من عام ١٩٤٣ ، عن حقوقهما الاقليمية فى الصين الى حكومة تشيان كاي شيك ، والامل يحدوهما بأن تؤدى هذه الخطوة الى تعزيز مكانة هذه الحكومة وشعبيتها .

وأدت الحسائر الفادحة التي حلت بجيوش أتباع هتلر إبان الهجوم السوفيياتي ، الى استثارة النضال ضد الفاشية في هذه البلاد ، وازداد الوضع خطورة في إيطاليا بوجه خاص . ويقول باتاجليا : ان الصمود السوفيياتي ، « ساعد العمال الايطاليين على ادراك المهمات المعينة الملقاة على عاتق الطبقة العاملة الإيطالية ، وعلى تقدير الدور الموجه الذي يجب أن تلعبه هذه الطبقة نحو الأمة بأسرها » (١) وازداد نفوذ الطبقة العاملة في إيطاليا ، يوما بعد آخر ، وراح موسوليني يبعث في التاسع من مارس من عام ١٩٤٣ ، برسالة الى هتلر ، يحثه فيها على عقد الصلح مع الاتحاد السوفيياتي (٢) . ووجه الفاتيكان الى هتلر نداء مماثلا . وذكر موسوليني في الخامس والعشرين من مارس من عام ١٩٤٣ . أن من المستحيل ابادة الاتحاد السوفيياتي ، « حتى ولو دخلت اليابان الحرب » (٣) .

وتجاهل هتلر نصيحة موسوليني . ولكن حتى لو تمكنت إيطاليا من الانسحاب من الحرب في تلك الآونة ، فان الحركة الشعبية ضد الديكتاتورية الفاشية ما كانت لتخبو أو تتوقف . فقد تقرر مصير نظام موسوليني بعد معركة الفولجا .

ولحق الفرع بالحكام الفاشيين في رومانيا أيضا . وحاول انطونيسكو وقف شحن القنابل المدفعية . وراح في رسالة شخصية وجهها الى هتلر يقول : « قامت رومانيا في عام ١٩٤٢ ، بأكبر اسهام من جانبها بالنسبة الى الدول الاوربية الأخرى بدفعها ستا وعشرين من خيرة فرقها العسكرية الى الحرب . ولقد خسرنا ثمانى عشرة فرقة منها على نهر الدون وعلى مفربة من ستالينجراد إبان الهجوم السوفيياتي الذي لم يكن في وسعنا صده ، وخسرت الفرق الثمانى الأخرى في الاشتباكات التي وقعت على نهر كوبان في سنة واحدة ، معدات حربية تكفى لتسليح فرقتين كاملتين . وبلغت خسائرنا أكثر من ربع مليون جندي بينهم الجرحى ، بينما خسرنا معدات أربع وعشرين فرقة الى الأبد » .

وكان لهذا التذمر من جانب الديكتاتور الروماني هدف آخر . فقد كان انطونيسكو يريد من هتلر أن يسلمه التنازلات التي كان قد وعده

١) باتاجليا - نفس المصدر - ص ٦٢ .

٢) يوميات شيانو . ص ٥٥٠ - ٥٥٨ .

٣) « الرسائل السرية المتبادلة بين هتلر وموسوليني ١٩٤٠ - ١٩٤٣ » اعداد دوبافوا -

باريس ١٩٤٦ . ص ١٨٥ .

بها على حساب المجر التي يحكمها هورتى . ولكن هتلر كان قد أغدق وعوده على الفاشيين المجرين أيضا ، ولم يكن فى وسعه أن يفى بوعوده . لا لرومانيا ولا للمجر . وظل انطونيسكو يبعث بفرق جديدة الى الجبهة .

وتدهور الوضع السياسى فى المجر أيضا . وقامت الحكومة المجرية بسحب ما تبقى من الجيش المجرى الثانى الذى حطمته القوات السوفياتية . وحلته . وكانت النعمة تعم البلاد من جراء اشتراك المجر فى الحرب .

وقام سخط مماثل فى فنلنده ، ولكن الفاشيين الفنلدين كانوا لا يزالون على ثقة من طاقات ألمانيا العسكرية . ولم يدرك هؤلاء المغزى العميق وراء معركة الفولجا ، بل ظلوا يعلقون آمالهم على انتصار الألمان .

ويمكن القول بوجه عام ، ان نصر انفولجا ، أحزن جميع أولئك الذين كانوا يتطلعون الى اجهاد الاتحاد السوفياتى ، ودفع بقوة جديدة لأولئك الذين كانوا يتطلعون الى الحرية والاستقلال .

- ٥ -

وضرب الوطنيون السوفيات من الانصار أمثلة رائعة لجميع الشعوب . فى نضالها ضد الغزاة الألمان . ومثلت حركة الانصار السوفياتية قوة ضخمة .

وتقع المرحلة الاولى من مراحل عمل حركة الانصار السوفياتية فى الفترة الواقعة بين بداية الحرب ونهاية خريف عام ١٩٤٢ . وقد شملت هذه المرحلة تأليف وحدات الانصار ، واكتشاف أحسن سبيل النضال وأكثرها فاعلية ، وتقرير البنيان التنظيمى للحركة .

واتسع نطاق وحدات الانصار ومجموعاتها مع مضى الزمن ، وأقامت ارتباطا دائما مع قيادة الجيش السوفياتى . وتم انشاء هيئة أركان حرب مركزية للأنصار فى مقر القيادة العامة للجيش السوفياتى فى الثلاثين من مايو من عام ١٩٤٢ ، وعندما حل شهر يوليو من نفس العام ، استكملت بهيئة أركان مماثلة للأنصار الأوكرانيين .

وأقيمت قيادات محلية للأنصار فى البلاد المحتلة . وأقامت وحدات الانصار العاملة فى منطقة غابات بريانسك هيئة أركان مشتركة فى صيف عام ١٩٤٢ كما أقامت وحدات الانصار فى منطقة مينسك هيئة مماثلة فى

خريف عام ١٩٤٢ • وقامت هذه الهيئات بتنسيق أعمال الانصار وتطوير حركتهم ، كما عززت تعاونهم مع الجيش السوفياتي •

وألهمت وحدات الأنصار الاراضى من تحت أقدام الغزاة ، وكانت تدمر ما لدى العدو من قوات بشرية ومواد حربية • ولقد قتل الأنصار فى مينسك وحدها أكثر من ١٦٠٠ من العسكريين والمدنيين النازيين ، وبينهم ويلهلم كوبيه ، السفاح الأكبر ونائب الحاكم العام فى روسيا البيضاء • وذكرت هيئة الاركان العامة الالمانية أن الانصار السوفيات فجروا ٩٦٠ قنبلة فى منطقة جيتومير فى يوم واحد (١) • وحررت تشكيلات الأنصار مساحات واسعة من الارض من العدو ، وأقامت ادارات محلية فيها • وتمت اقامة ادارة من هذا الطراز فى صيف عام ١٩٤٢ فى منطقة ضمت نحواً من أربعمئة قرية وبلدة فى الأقاليم الشمالية الغربية • وكانت هناك اثنتان وسبعون وحدة من الأنصار وثمانون مجموعة ناشطة فى غابات بريانسك • ولم يحل خريف عام ١٩٤٢ حتى كانت ادارات الانصار قد ظهرت فى اقليم ليننجراد وسمولينسك • وفى غابات بوليزى ، ومنطقة بريست ، واحراج ناليبوك ، وعلى مقربة من شيبتبوفكا وغيرها •

وقامت وحدات الأنصار بعمليات ناجحة فى تدمير السكك الحديدية، مما أثار الاضطراب فى مواصلات الألمان ونقلهم للمعدات الحربية الى الجبهة • وحاربت تشكيلات الأنصار بالتعاون الوثيق مع القوات السوفياتية النظامية • وعندما كان فيلق الفرسان بقيادة الجنرال بيلوف يغير فى نهاية شهر يناير من عام ١٩٤٢ على منطقة فيازما ، انضمت وحدات الأنصار فى منطقة موسكو الى الهجوم ، واستولت على دورجوبوش ، بهجوم خاطف ، وأعانت وحدات العصابات القوات النظامية طيلة أيام الهجوم السوفياتى على مقربة من موسكو ، عونا جما ، باغاراتها المتواصلة على مؤخرة العدو ، وبجمعها المعلومات لها • وتميزت عمليات الأنصار أثناء معركة القولجا بالنشاط والحيوية •

وتميزت تشكيلات العصابات بالقدرة الفائقة على الحركة • وقام الانصار فى روسيا البيضاء فى المرحلة الاولى من الحرب بعدة غارات على مؤخرة العدو • وزحفت وحدات لينكوف فى شهرى مايو ويونيو من عام ١٩٤٢ ، من منطقة ليبيل الى بوليزى ، وضمت الى صفوفها قوات جديدة لتؤلف حركة الانصار فى روسيا البيضاء •

(١) جورليتز - الحرب الثانية - الجزء الثانى ص ١٢١ •

واضطرت القيادة الألمانية لمواجهة حركات العصابات فى خريف عام ١٩٤٢ . الى استخدام ١٤٤ فوجا من رجال الشرطة و ٢٧ كتيبة ، وعشر فرق من رجال الحرس النازى ، وفيلقين من الحرس الوطنى و ٢٠ فرقة مشاة ألمانية ومن الدول التابعة لألمانيا و ٧٢ تشكيلا من التشكيلات الخاصة . وهكذا اضطرت القيادة الألمانية الى سحب نحو من ستين فرقة من خطوط الجبهة لمواجهة أعمال الأنصار .

وبدأت المرحلة الثانية فى حركة الأنصار مع بدء الهجوم السوفيائى المقابل فى منطقة الفولجا وانتهت فى ربيع عام ١٩٤٤ . وقد تحول الأنصار الى العمليات الهجومية الضخمة بالتعاون الوبق مع الهجوم العام الذى يشنه الجيش السوفيائى .

واضطربت القيادة الألمانية اضطرابا شديدا من عمليات العصابات وكانت قد أصدرت فى الخامس والعشرين من يوليو من عام ١٩٤١ ، أى بعد نحو من شهر من اندلاع نيران الحرب بين ألمانيا والاتحاد السوفيائى ، أمرا خاصا يعالج موضوع عمليات الأنصار السوفيات . وعادت فى الخامس والعشرين من أكتوبر من نفس العام ، فأصدرت أمرا توجيهيا آخر عن كيفية مكافحة وحدات العصابات . وتزايد القلق عند النازيين من جراء توسع حركات الأنصار واشتداد عودها . وأصدرت القيادة الهتلرية العامة فى السادس من سبتمبر من عام ١٩٤٢ ، أمرا ، أقر بأن «العصابات فى الشرق تحولت الى خطر لا يحتمل فى غضون الأشهر القليلة الماضية ، وأصبحت تهدد خطوط النموين فى الجبهة تهديدا خطيرا » . (١) وعادت بعد أيام فأصدرت تعليماتها عن طريقة محاربة العصابات فى الشرق .

وتتضمن المذكرات التى كتبها جنرالات هتلر السابقون ، أدلة واضحة على ما عاناه النازيون من شقاء من حركات الأنصار . ويروى جودريان : أن «حرب العصابات تحولت الى خطر حقيقى يؤثر تأثيرا عظيما على معنويات الجنود فى الجبهات الامامية » (٢) وذكر فيرنريشت ، صاحب النظريات المذهبية فى الامبريالية الألمانية أنه « كلما طال أمد بقاء الجنود الالمان فى تلك البلاد ، ازداد عناؤهم من الجحيم الذى يواجهونه » (٣)

(١) س . اى . ديكسون و اد هلبرون « حرب العصابات الشيوعية » - لندن ١٩٥٤ . ص ٥٥ .

(٢) ميزان القوى فى الحرب الثانية . ص ٩٣ .

(٣) نفس المصدر - ص ٤٥ .

وانتقل النضال التحررى فى البلاد المحتلة الى مرحلة جديدة .
وظهرت جيوش عصابات فعلية ، تابعة من وحدات الانصار المتفرقة . وتم
تشكيل جبهات وطنية متحدة فى البلاد المحتلة . وقامت الاحزاب الشيوعية
بتعبئة الجماهير فى النضال الفعال ضد الغزاة .

وقام العمال الفرنسيون بتخريب عمليات الانتاج فى المصانع النى.
تعمل فى تلبية طلبات الالمان الحربية . وتحولت غابات وجبال المناطق
الجنوبية فى فرنسا ولا سيما فى مقاطعة ساقوى العليا الى قلعة للانصار .
وقام المناضلون الفرنسيون بتدمير محطات الارسال والقوى الكهربائية .
وسجلت المدة الواقعة بين عامى ١٩٤١ و ١٩٤٤ نحو ١٥٠٠ هجمة
قام بها الانصار حطموا فيها ١٦٠٠ خط من خطوط القوة الكهربائية
والحقوا العطب فى ١٢٠٠ خط آخر . وتعطلت محطات نقل للطاقة الكهربائية
تتولى ان تزويد منطقة باريس بالكهرباء من محطات التوليد المائية فى جبال
الألب لأكثر من ٣٢٠ يوما . وهاجم الانصار فى عام ١٩٤٣ ، المركز
الصناعى الهام فى « لى كرىزو » وعطلوا واحدا وثلاثين مصنعا ومشغلا فى
حوض برييه عن العمل لمدة أسبوع (٣) وقام الوطنيون فى جرينوبل فى
شهرى نوفمبر وديسمبر من عام ١٩٤٣ ، بنسف مستودعات المدافع
والسكنات العسكرية النازية فى المنطقة .

ولم تحل نهاية عام ١٩٤٣ حتى كان هناك نحو من مائتى ألف من
المناضلين والانصار فى فرنسا . وتم انشاء مجلس وطنى للمقاومة بمبادرة
من الشيوعيين فى ٢٧ مايو من عام ١٩٤٣ ، ليتولى تنسيق عمليات المقاومة
الوطنية فى فرنسا كلها . وكان المجلس يضم ٣٣ ممثلا لجميع الأحزاب
السياسية والمنظمات التى اشتركت فى حركة المقاومة .

وظهرت أولى وحدات الانصار فى ايطاليا فى عام ١٩٤٣ . وكانت
هذه الوحدات تعتمد فى قواعدها على مقاطعات بيرمونت ولومبارديا
واميليا . وقام العامل الصناعى ماريو فانينين فى خريف عام ١٩٤٣ ،
بتأليف أول فوج من أفواج جاريبالدى فى ايرىولى ، وقد ضم خمسمائة
مقاتل . وكانت حركة الانصار آنذاك قد اجتاحت ايطاليا كلها ، وأصبحت
قوية بوجه خاص فى شمال البلاد .

وحققت حركة الانصار فى تشييكوسلوفاكيا أيضا السرعة فى عملياتها . ولم تحل بداية عام ١٩٤٣ حتى كانت هناك وحدة كبيرة من الانصار أسميت باسم شاباييف أحد أبطال الحرب الأهلية فى روسيا السوفياتية ، وقد بادرت الى العمل ضد الألمان فى سلوفاكيا الشرقية .

وتم تشكيل جيش للتحرر الوطنى فى بلغاريا فى عام ١٩٤٣ ، وراح يهاجم قواعد الألمان الحربية وخطوط تموينهم .

وقام الوطنيون الألبان فى المؤتمر الذى عقده فى دورازوفى السادس عشر من سبتمبر من عام ١٩٤٢ ، بالبحث فى توحيد جميع وحدات الانصار فى ألبانيا ، وتم تشكيل مجلس عام وقيادة عامة لتوجيه النضال المسلح . وأصدرت القيادة العامة فى السابع والعشرين من يوليو من عام ١٩٤٣ ، أمرا بدمج جميع قوات الانصار فى جيش تحرير شعبى . وسرعان ما أصبح هذا الجيش يفرض الحصار على ١٧٠ ألفا من الجنود الفاشيين . وانتقل عدد كبير من الجنود الإيطاليين الى جيش تحرير ألبانيا الشعبى ، وألفوا فوج انطونيو جرامسكى المناضل .

ولم يحل خريف عام ١٩٤٣ ، حتى كانت حركة الانصار قد اتسعت فشملت جميع أرجاء يوجوسلافيا . وكان على الانصار واجب مزدوج وهو أن يحاربوا الألمان وقوات التشيتنيك التى يقودها ميخائيلو فيتش وزير دفاع الحكومة اليوجوسلافية المهجرة فى لندن ، والمتمتع بتأييد بريطانيا وأمريكا فى وقت واحد .

وأصدر مكتب الاستعلامات فى وزارة الخارجية السوفياتية فى الرابع عشر من ديسمبر من عام ١٩٤٣ ، بيانا خاصا ذكر فيه أن «نشاطات قوات التشيتنيك بقيادة الجنرال ميخائيلوفيتش ، قد أصبحت مؤذية بدلا من أن تكون نافعة لقضية نضال الشعب اليوجوسلافى ضد الغزاة الألمان . ولذا فهى لاتستطيع الا أن تلقى موقفا غير موات لها من الاتحاد السوفياتى » (١) .

وكان الجنرالات الألمان والقادة الفاشيون يفزعون أشد الفزع من حركات الانصار ، ويصرخون الى عنان السماء صائحين بأن « حرب الانصار تتناقض مع قواعد القانون الدولى » (٢) ولكن صاحب هذا

(١) السياسة الخارجية السوفياتية - المجلد الاول . ص ٢٥٤ .

(٢) توازن القوى فى الحرب العالمية الثانية ص ١٠١ .

القول ، وهو الجنرال لوتر ريندوليك ، يعترف بما حققته حرب الانصار من أهمية ضخمة في سير الحرب العالمية الثانية فهو يقول : « لم تكن لحروب الانصار أية أهمية في الحروب السابقة تضاهي ما كان لها في الحرب العالمية الأخيرة . فقد باتت في نطاقها ومجالاتها تمثل شيئا جديدا للغاية في تاريخ الحروب . وأصبحت عن طريق أثرها الضخم على جنود الجبهة الأمامية ومشاكل التموين المختلفة ، وعلى المؤخرة وادارة المناطق المحتلة تمثل جزءا في الحرب الشاملة ، وأصبح مظهرها ، وعنقها المتزايد باستمرار من سنة الى سنة في روسيا وبولندة والبلقان وفرنسا وإيطاليا ، يؤثران على طبيعة الحرب العالمية الثانية في مجموعها (١) .

وأقام النطاق الواسع لحركة الانصار الدليل على الحقيقة الواقعة وهي أن الحرب العالمية الثانية ، تحولت بصورة متدرجة الى طبيعة الحرب الشعبية ضد المعتدين الفاشيين .

وتولت الأحزاب الشيوعية في جميع البلاد المحتلة توجيه حركات النضال ضد الفاشية . ولم يكن هذا من قبيل المصادفة . فقد اظهرت تطورات الحرب أن في وسع الشعوب أن تحقق تطلعاتها الوطنية وضمان حريتها واستقلالها .

وكانت معركة الفولجا ، أعظم معركة دارت على الجبهة الألمانية السوفياتية . وقد توجت بنصر ضخم تحقق على الصفوة المختارة من القوات الألمانية المسلحة . ولم يكن النصر مجرد فوز ضخم وعظيم ، وإنما شل أيضا نقطة تحول حاسمة في سير الحرب العالمية الثانية كلها .

واستخلص الجيش السوفياتي المبادرة الاستراتيجية من ألمانيا ، واضطرت القوات الهتلرية الى التحول من الهجوم الى الدفاع . لكن هدف الدفاع لم يمثل لألمانيا على أية حال ، الا بداية الهزيمة .

(١) توازن القوى في الحرب العالمية الثانية ص ١٢٥ .



الصراع على أفريقيا الشمالية

- ١ -

مثلت الحرب فى شمال افريقيا بين القوات البريطانية وبين الفيلق الافريقى الالمانى بقيادة ايروين رومل ، حركة المنشار جيئة وذهابا بين نوفمبر من عام ١٩٤٠ وسبتمبر من عام ١٩٤١ . ولكن اهتمام القيادة الالمانية بهذه الجبهة أخذ يضعف يوما بعد آخر ، مع مرور الحرب . وبدأت الجبهة الليبية فى البداية مهمة لالمانيا ، لأنها كانت راغبة فى الاستيلاء على قناة السويس ، وقطع الطريق الرئيسى للمواصلات بين بريطانيا ومستعمراتها . وكانت الحكومة البريطانية بدورها ، لا تألو جهدا ، فى الابقاء على شريان حياتها سليما ، ولذا ، احتلت الجبهة الليبية مكانا بارزا فى خططها الاستراتيجية .

وتغير الوضع بعد هزيمة الالمان أمام موسكو . فقد استهلكت الجبهة الالمانية - الروسية منذ ذلك التاريخ ، جميع القوات الالمانية ، ودفعت هتلر الى توجيه اهتمامه اليها ، متحولا عن الجبهات الأخرى . ويعترف فولر بأن هتلر وأركان حربه ، كانوا ينظرون الى الحرب فى ليبيا كمسرح جانبي ولا أهمية له ، حتى أنهم لم يجدوا أنفسهم مضطرين الى تحويل قوات كبيرة اليها ، قد تكون نافعة فى روسيا (١) ويؤكد تيبلسكيرش أيضا أكثر من مرة : « أن القوات المسلحة الالمانية كانت أكثر من مشدودة الى روسيا » (٢) .

(١) فولر - نفس المصدر - ص ١٥٥ .

(٢) تيبلسكيرش - نفس المصدر ص ٢٢٥ .

وقام تشرشل وروزفلت فى ديسمبر من عام ١٩٤١ ، وفى شهر يونيو من عام ١٩٤٢ ، فى الاجتماعين اللذين عقدهما ، فى واشنطن ، بالبحث فى صورة العمليات الحربية فى مختلف الجبهات . ونشبت خلافات حادة بين الرجلين . فقد أصرت الحكومة البريطانية على وجهة نظرها فى غزو جنوب شرقى أوروبا ، عن طريق اشراك تركيا فى العملية . وكان تشرشل مدافعا ذرب اللسان عما أسماه «بالاستراتيجية البلقانية» . وراح يكرر الحجج التى كان لويد جورج قد سردها ابان الحرب العالمية الأولى والتى وصف فيها البلقان « بأنها الباب الخلفى لأوروبا » . وبأنها « البطن الناعم للقارة » الذى يؤدى انفتاح بابه الى تحقيق نصر سريع .

ولا شك فى أن الامبرياليين البريطانيين لم يكونوا يفكرون على الاطلاق فى الاسراع بتحقيق نهاية الحرب ، وانما كان هدفهم الأساسى من استراتيجيتهم البلقانية فرض السيطرة البريطانية على جنوب شرق أوروبا ، وفرض النظام الاستعمارى على شعوبها ، وتجديد «الحجر الصحى» على الاتحاد السوفياتى ليكون سلاحا فى يد السياسة البريطانية الخارجية . وكانت للاستراتيجية البلقانية بعد الانتصارات الضخمة التى حققها الجيش السوفياتى مهمة أخرى ، وهى منع الهجوم السوفياتى عبر القارة الأوروبية ، عن طريق احتلال جنوب أوروبا الشرقى ، وتوجيه القوات البريطانية والأمريكية بالتالى نحو الشمال .

وكانت للامبرياليين الأمريكين خططهم الخاصة بالنسبة الى جنوب أوروبا الشرقى . وكانوا فى مثل هذه الظروف يعتبرون غزو افريقيا الشمالية ، هدفهم الرئيسى فى الوقت الراهن . وكانت خططهم تهدف الى احراز موطئ قدم هناك ، والاستيلاء على ثروات افريقيا الشمالية ، ثم المطالبة بحقول الزيت فى الشرق الأوسط .

وكتبت صحيفة أمريكية تقول : « هبطت سمعة بريطانيا لدى شعوب الشرق الأدنى بصورة لم يسبق لها مثيل فى القرن الماضى كله . ولم يعد فى وسع الولايات المتحدة أن تسمح ببقاء السيطرة على شئون هذا الشرق فى أيدى البريطانيين . . . وعلينا ألا ننسى أن الشرق الأدنى هو خير جسر للوصول الى أوروبا ، فإذا ضاع ذلك الجسر ، فلا بد من استعادته ، حتى ولو أدى ذلك الى ضياع أرواح مئات الألوف من الأمريكين . ولعل من حسن الطالع أن الشرق الأدنى لم يضع بعد . وعلى الولايات المتحدة أن تجعل منه قلعة حصينة عن طريق تركيز قوات عسكرية هائلة فيه ، وأن تعزز الدفاع عن تلك القلعة بكل ما تحت تصرفها من

وسائل سياسية واقتصادية • ومن الضروري ألا تضيق هذه الفرصة العظيمة عن طريق الإهمال أو الخطأ ، (١) •

وكانت الدوائر الأمريكية الحاكمة ، تسعى الى فرض سيطرتها على المواقع الاقتصادية والسياسية المهمة لدى منافسيها ، سواء أكانوا من حلفائها أم من أعدائها • وكان هذا هو السبب الذى دعا القادة السياسيين الأمريكيين الى اقتراح الهجوم على افريقيا الشمالية ، التى كانوا منذ عهد طويل يطمعون فى مواردنا الاقتصادية • وكان الأمريكيون يتطلعون بعد احتلال افريقيا الشمالية الى غزو ايطاليا والنمسا والبلقان • وكانت واشنطن ، رغبة منها فى الحفاظ على مصالح الاحتكارات الأمريكية • تفرض دورا قياديا لها فى تخطيط العمليات الحربية الانجليزية - الأمريكية • وهكذا ظهرت التناقضات الامبريالية بين بريطانيا والولايات المتحدة ، وبين الاخيرة وبين فرنسا فى قضايا السياسة الحربية •

وكان روزفلت يعلق أهمية عظمى على افريقيا الشمالية ، لأن « هذه المنطقة كلها كانت تمثل مصلحة حيوية للولايات المتحدة » (٢) وكان هذا هو السبب فى قيام الطائرات البريطانية بتصوير الأراضى الافريقية الشمالية من الجو منذ عام ١٩٤٠ - ١٩٤١ •

وكانت وزارة الحرب الأمريكية تعارض فى البداية مشروع غزو افريقيا اذ « أن هذا الغزو لم يكن ليمثل الا اسهاما مباشرا فى هزيمة النازيين » (٣) ولكن الاحتكارات الامريكية ما لبثت أن أقنعت وزارة الحرب بقبول خطتها •

ولم تظهر الحكومة الأمريكية حقيقة نياتها كاملة بالنسبة الى النزول فى افريقيا لحلفائها البريطانيين ، وان كانت قد أعلمتهم بعزمها عليه قبل وقوعه • ولم يكن فى وسع الحكومة البريطانية الا أن تقبل بالأطماع التوسعية للامبريالية الأمريكية التى حاولت اشباعها على حساب فرنسا • ورغبت الحكومة الأمريكية فى التعامل مع السياسة الفرنسية الذين يقبلون التخلي عن مركز الزعامة فى افريقيا الشمالية الى الاحتكارات الأمريكية • وذكر ديجول فى مذكراته ، أن الحكومة الأمريكية كانت مستعدة للتفاوض مع أى انسان يقبل فتح أبواب افريقيا الشمالية للقوات.

(١) مجلة « آسيا » • عدد ابريل ١٩٤٢ • ص ٢١٥ •

(٢) ويليام لانجر « اللعبة الأمريكية فى نفيس » - باريس ١٩٤٨ • ص ٢٩٩ •

(٣) ماتلوف وسنيل - نفس المصدر ص ١٠٤ •

للأمريكية • وعثرت أمريكا على أمثال هؤلاء الساسة ، وقد تمثلوا في الجنرال ويغان والاميرال دارلان • ووافق هذان الرجلان على مساعدة الولايات المتحدة ، شريطة أن تحزم أمرها ، وأن تعمل بقوة لتضمن النجاح •

ولما كانت العصاة الفيشية قد رأت أحلام هتلر تتحطم على ضخرة المقاومة السوفياتية ، فقد تطلعت بشيء من الלהفة الواضحة الى عقد صفقة مع الولايات المتحدة • وكتب الأميرال ليهي سفير أمريكا في فيشي في رسالة بعث بها الى واشنطن عن محادثات مع دارلان ، أن المتاعب اللا متوقعة النى واجهها الألمان في روسيا ، جعلت الفرنسيين وبينهم دارلان وغيره من المتعاونين مع الألمان يميلون الى قبول وجهة النظر الأمريكية • وأضاف أن موقف هؤلاء النهائي يعتمد على نتيجة الحملة في روسيا (١) •

وكان دارلان يمثل عنصرا بارزا في حكومة بيتان في فيشي ، وكان يشغل منذ ربيع عام ١٩٤١ ، مناصب رئيس الوزراء ، ووزير الدفاع ، ووزير الطيران ، ووزير البحرية ، ووزير الخارجية ، ووزير الاستعلامات • وكان يعمل بكل ما أوتي من جهد لدعم العهد الفاشي في فرنسا ، مع التودد الى الحكومة الأمريكية ، مما حال بين هذه الحكومة وبين اقامة علاقات لها مع لجنة التحرير الوطنى الفرنسية •

وبينما كانت الاستعدادات قائمة على قدم وساق للنزول في افريقيا. قررت الحكومة البريطانية أن تشن هجوما في تلك المنطقة ، تعوض به خساراتها ، قبل وصول الأمريكين • وكان الوضع الاستراتيجى موافيا لهذا الهجوم ، وذلك لأن معركة الفولجا ، لم تكن قد امتصت قوات نازية ضخمة أضعفت ما لدى الألمان من قوات احتياطية فحسب ، وانما كانت قد أرغمت هتلر ، على تعرية الجبهة الافريقية ، ونقل القوات منها الى المسرح السوفياتى - الألمانى • وعندما حل خريف عام ١٩٤٢ ، كان الجيش البريطانى الثامن يضم سبع فرق من المشاة وثلاث فرق مدرعة ، وسبع كتائب دبابات ويواجه أربع فرق ألمانية واحدى عشرة فرقة ايطالية • كانت قد خاضت معارك كثيرة ونقص تعدادها عن الحد المقرر •

وتحولت القوات البريطانية في الثالث والعشرين من أكتوبر من عام ١٩٤٢ الى الهجوم المباغت فى قطاع العلمين • وتراجعت القوات

(١) لانجر - نفس المصدر ص ٢٠٠ •

الألمانية والايطالية على طول الجبهة • وتقدمت القوات البريطانية فى غضون أسبوعين من القتال العنيف مسافة ٨٥٠ كيلومترا ، ووصلت فى العشرين من نوفمبر الى بنغازى • وكان الألمان قد باتوا فى وضع يائس ، عندما بدأت القوات الانجلو - أمريكية فى النزول فى مؤخرة الجبهة فى المغرب والجزائر •

- ٢ -

بدأت عملية « المشعل » وهو الاسم الرمضى للانزال البريطانى الأمريكى فى افريقيا الشمالية فى الثامن من نوفمبر من عام ١٩٤٢ • وتم تنفيذها عن طريق ثلاث مجموعات قادها كلها الجنرال دوايت ايزنهاور • فقد أبحرت الجماعة الأولى وهى من الأمريكين من الولايات المتحدة ونزلت فى المغرب • أما المجموعتان الأخريان فقد ضمتا القوات البريطانية والأمريكية القادمة من انجلترا ، وقد نزلت الأولى منهما فى قطاع وهران، بينما نزلت الثانية على مقربة من الجزائر • وقد حملت القوة كلها خمسمائة سفينة نقل ، تحرسها ٣٥٠ قطعة بحرية •

وكانت أسبانية فرانكو قد عرفت مسبقا بالمخطط الانجليزى - الأمريكى للنزول فى افريقيا ، فأبلغت المانيا بما نوى الى معلوماتها • ولكن هتلر لم يستطع أن يعمل شيئا لمنع الانزال ، لأن يديه كانتا مغلولتين الى عنقه ، ولأنه كان منهما فى معركة الفولجا •

وكانت مقاومة القوات الفرنسية المسلحة فى افريقيا الشمالية رمزية • وعقد الأميرال جان دارلان القائد الأعلى للقوات الفيشية فى افريقيا الشمالية اتفاق وقف اطلاق النار مع الجنرال ايزنهاور ، فسمح للقوات الانجليزية والأمريكية بالتوغل داخل البلاد من الساحل واحتلال الجزائر والمغرب وأجزاء من تونس أما بقية المنطقة فقد ظلت فى أيدي الألمان •

وبالرغم من أن النزول فى افريقيا ، كان ذا هدف محدد ، ولم يؤثر بصورة ملحوظة على سير الحرب ، الا أن خسارة افريقيا الشمالية مثلت ضربة مؤلة لألمانيا التى كانت تستغل حتى تلك اللحظة مواردها الأولية والغذائية • يضاف الى هذا أن عددا من القطع البحرية الفرنسية التى كانت مرابطة فى موانئ افريقيا انضم الى الحلفاء • ومع ذلك فقد ظل شطر مهم من الأسطول الفرنسى فى ميناء طولون الواقع فى جنوب فرنسا •

ولكن هذه التطورات دفعت هتلر الى التأكد من أنه لم يعد ثمة مجال للابقاء على المنطقة غير المحتلة في فرنسا .

واجتازت القوات الالمانية فى ١٢ من نوفمبر من عام ١٩٤٢ ، الحدود الفاصلة بين المنطقتين : المحتلة وغير المحتلة ، وكان هدفها الاستيلاء على السفن الحربية فى طولون . ودخلت القوات الايطالية فى غضون ذلك نيس وسافوى وكورسيكا .

واحتل الألمان طولون ، وسارع رسول بيتان ، الأميرال ابريال ، الى المدينة ، يحمل أوامر الى رجال البحرية الفرنسية بتسليم سفنهم الحربية الى الألمان . ولكنه أخفق فى مهمته ، فقد رفض البحارة الفرنسيون اطاعتها ، وراحوا بعد أن عجزوا عن دفعها الى البحر ، يعطلونها عن العمل . وضم الأسطول الفرنسى الذى تعطل فى طولون ، ثلاثا من البوارج ، وحاملة طائرات ، وأربعة طرادات ثقيلة وثلاثة طرادات خفيفة ، و ٢٥ مدمرة و ٢٦ غواصة ، وبعض القطع البحرية الأخرى .

وحذا فلاندان وزير خارجية بيتان وبيشو وبيروتون ، وكانا قد شغلا منصب وزارة الداخلية فى حكومة فيشى ، وغيرهم من المتطرفين فى الرجعية ، حذو دارلان ، بعد نزول القوات الانجلو - أمريكية فى شمال افريقيا ، فانضموا الى الولايات المتحدة وبريطانيا . ووكل اليهم دارلان بعض المناصب الرسمية فى الادارة المدنية التى أقامها فى شمال افريقيا وأسماها بالمفوضية العليا . وقد تولى بيروتون منصب الحاكم العام فى الجزائر .

وتمت هذه التعيينات بموافقة الحكومة الامريكية . وأعلن الرئيس روزفلت فى مؤتمر صحفى عقده فى الثامن عشر من نوفمبر عام ١٩٤٢ ، أنه يؤيد تأييدا كاملا جميع الاتفاقات التى عقدها ايزنهاور فى افريقيا الشمالية . وكانت الاحتكارات الأمريكية رغبة فى اخضاع فرنسا ، والحصول على مواطنى قدم لها فى مستعمراتها على استعدادا للتعامل مع المتعاونين السابقين مع ألمانيا . وراح دارلان بدعم من الولايات المتحدة . يعلن نفسه رئيساً للدولة الفرنسية . وقائدا عاما لقواتها المسلحة وديكتاتورا سياسيا لها .

ولم تتعرض السلطات الانجليزية - الفرنسية للتشريعات الفاشية التى نفذتها حكومة فيشى فى شمال افريقيا . واقرت عمليات اضطهاد القوى الوطنية وكتم أنفاسها . وظل نحو من سبعة وعشرين نائبا من

النواب الشيوعيين فى البرلمان الفرنسى ، رهن الاعتقال فى سجن « ميزون كاريه » فى الجزائر ، حيث كانوا قد أودعوا فى السابق بأمر من بيتان . وكتب فلوريموند بونتى أحد هؤلاء النواب فى يومياته يقول : « مضى شهران على نزول القوات الانجليزية - الأمريكية ولم يطلق سراح أى من المسجونين السياسيين . وقد أودعنا السجن لأن السلطات كانت تعرف أننا اذا ما أطلق سراحنا ، سنطالب بمعاقة الحونة ، ونناضل من أجل تحرير فرنسا والجزائر وطنيا واجتماعيا ، ومن أجل اقامة نظم ديمقراطية حقا » (١) .

ووجه المسجونون السبعة والعشرون رسالة الى ايزنهاور يعربون فيها عن دهشتهم من بقائهم فى السجن ، ولكنهم لم يتلقوا ردا على رسالتهم . وكتب فلوريموند بونتى يقول : « ولقد آثرت السلطات الأمريكية التعامل مع الأصيلين فى ميولهم الفيشية ، والذين كانوا من شركات هتلر وموسولينى ، لأنهم يمثلون الرجعية ، ويطيعون أوامر كبار رجال المال والاعمال » (٢) ولم يطلق سراح هؤلاء المعتقلين الا فى الخامس من فبراير من عام ١٩٤٣ ، أى بعد ثلاثة أشهر من النزول الانجليزى - الأمريكى فى شمال افريقيا .

وأثار الوضع فى شمال افريقيا موجة كبيرة من الغضب العام . وحسر التأييد الأمريكى للرجعيين الفرنسيين والمتعاونين الفاشيين النقاب عن الأهداف الحقيقية للامبرياليين الأمريكيين . واشتد سخط التقدميين فى العالم كله على السلوك الأمريكى . وراحت الصحف الديمقراطية تشير الى أن السياسة الأمريكية فى افريقيا الشمالية تتناقض مع الأهداف التحررية للحرب ضد الفاشية .

وكان من الواضح أن للحكومة الأمريكية أهدافها الأخرى من دعم الرجعيين الفاشيين الفرنسيين فى شمال افريقيا . وكانت هذه السياسة تسير وفق مخطط مدروس أدى الى أغصاب الفرنسيين وإلى تهوى السياسة الأمريكية فى رأى العالم كله . وهنا قررت الحكومة الأمريكية الاستغناء عن خدمات دارلان . وتم اغتيال دارلان فى ديسمبر من عام ١٩٤٢ ، ليخلفه رجعى فرنسى آخر هو الجنرال هنرى جيرو .

واجتمع وفدان بريطانى وأمريكى « برئاسة » تشرشل وروزفلت على

(١) فلوريموند بونتى - نفس المصدر ص ٤٠٧

(٢) فلوريموند بونتى - نفس المصدر ص ٤٠٧

بعد خمسة أميال من الدار البيضاء فى الفترة الواقعة بين الرابع عشر من يناير والرابع والعشرين منه من عام ١٩٤٣ . وذكر البلاغ الرسمى الذى صدر عن هذا المؤتمر ، أن القصد منه كان « الحصول على أعظم المكاسب من التحول المواتى جدا فى سير الاحداث فى نهاية عام ١٩٤٢ (١) . ولكن ، وهنا تمثل المفارقة العجيبة ، تقرر نتيجة هذا المؤتمر تأجيل فتح الجبهة الثانية فى أوروبا من عام ١٩٤٣ الى عام ١٩٤٤ . وخطط الانجليز والأمريكان لغزو صقليا كبديل عن الجبهة الثانية ، فى صيف عام ١٩٤٣ ، وذلك فى عملية تافهة نسبيا . وذكر الصحفى الأمريكى رالف انجرسول أن مؤتمر الدار البيضاء ، عمل بعزيمة ، ثم تمخض الجبل ، فولد فأر صقليا » (٢) .

وقرر المؤتمر بالنسبة الى العمليات الحربية ضد ألمانيا ، أن تقتصر على الغارات الجوية وحدها .

وكانت المعلومات التى نقلتها الحكومتان البريطانية والأمريكية الى الحكومة السوفياتية عن مؤتمر الدار البيضاء ، ناقصة للغاية . فقد ذكرت الرسالة التى وجهها روزفلت وتشرشل إليها أن « هدفنا الذى تحكم فى محادثاتنا أن نزع ضد ألمانيا وإيطاليا بأكبر عدد من قواتنا فى البر والبحر والجو ، مما نستطيع دفعه الى الميدان » (٣) .

وأدركت الحكومة السوفياتية ماعناه مؤتمر الدار البيضاء . فقد تبينت أن الجبهة الثانية قد تأجلت للمرة الثانية ، وأن العمليات الانجليزية - الأمريكية ضد الألمان فى تونس قد أوقفت دون أى سبب معقول . وقد أراح هذا التوقف الألمان ، ومكنهم من ارسال ٢٧ فرقة اضافية أخرى بينها خمس فرق مدرعة الى الجبهة الألمانية السوفياتية .

وناقش مؤتمر الدار البيضاء أيضا موضوع الحرب فى المحيط الهادى ولكنه لم يتخذ أى قرار يهدف الى تشديد الحرب ضد اليابان . وقبل تشيان كاي شيك الأمر الواقع : وأراد المؤتمر أن يحصلوا على وعد محدد من الاتحاد السوفياتى بالانضمام الى الحرب ضد اليابان ، بعد خروج ألمانيا من الحرب (٤) .

(١) وائى عن السياسة الخارجية الأمريكية المجلد الخامس - مؤسسة السلام العالمى - بوسطن ١٩٤٤ ص ٢٥٣ .

(٢) رالف انجرسول - نفس المصدر ص ٥٨ .

(٣) مراسلات الحكومة السوفياتية المجلد الاول ص ٨٨ .

(٤) تشرشل - الحرب العالمية الثانية - المجلد الرابع ص ٦١٢ .

وشهد المؤتمر خلافا جديدا بين بريطانيا والولايات المتحدة حول سير الأعمال العسكرية ولا سيما على المسرح الأوربي . وانتهى الحلاف الى حل وسط ، اذ اتفق الفريقان على اقتسام مناطق النفوذ . وعهد الى بريطانيا بأن تتحمل المسئولية السياسية والعسكرية عن البلقان والشرق الأوسط ، والى الولايات المتحدة بأن تتحمل المسئولية عن شمال افريقيا والشرق الأقصى . ووافق الممثل الأمريكي على اعداد خطة لغزو جنوب شرق أوروبا تلبية لرغبات تشرشل .

وطار تشرشل من الدار البيضاء الى عدن حيث اجتمع في الثلاثين والواحد والثلاثين من يناير من عام ١٩٤٣ بالرئيس التركي عصمت اينونو وأركان حرب حكومته . ويقول البلاغ الرسمي الذي صدر بعد الاجتماع: ان « السياسة الأتراك استعرضوا سياسة تركيا في السنوات العصيبة القليلة الأخيرة ، وان رئيس وزراء بريطانيا أكد لهم أن حكومة جلالتهم كانت ترقب هذه السياسة بكثير من العطف والتفهم » (١) ومن الملاحظ هنا أن تشرشل لم ينورع عن الاعلان عن تضامنه مع سياسة حكاهم تركيا السابقة والمشايعة لهتلر .

وبذل تشرشل في محاولاته مع السياسة الأتراك قصارى جهده ، للاحتفاظ بالأوضاع المواتية في تركيا لتمكين رؤوس الأموال البريطانية من مكافحة التغلغل الاقتصادي الأمريكي ، ومن الحفاظ على الأسواق التركية لمصلحة بريطانيا . وكانت الوزارة البريطانية جد متلهفة على تعزيز موقف الشركات البريطانية في الشرقين الأدنى والأوسط ، وذلك لأن الشركات الأمريكية المنافسة لها ، كانت تسعى الى توطيد أقدامها في المنطقة . وبحث تشرشل مع السياسة الأتراك أيضا موضوع اشتراك تركيا في الاستراتيجية البلقانية البريطانية ، ووعددهم بتزويد تركيا بكميات ضخمة من السلاح .

وكانت ألمانيا تخسر في غضون ذلك المعركة تلو الأخرى ، ولذا فقد كان الرجعيون الأتراك على استعداد لتغيير اتجاه سياستهم ، والافادة من السلطات الحاكمة في بريطانيا والولايات المتحدة ، وان لم يكونوا قد باتوا بعد على استعداد تام لقطع علاقاتهم كلية مع هتلر .

ومثلت فرنسا في خلاف آخر في مؤتمر الدار البيضاء ، عصب الصراع بين الولايات المتحدة وبريطانيا . وكان البريطانيون قد أقاموا علاقات

(١) برافدا - عدد ٢ فبراير ١٩٤٣

وطيدة مع ديجول ، وقد غضبوا من تعيين الجنرال جيرو مقيما عاما في شمال افريقيا . وأخيرا وصلت الدولتان الى حل وسط ، وهو أن يشترك ديجول وجيرو في دور القيادة في الحكومة الفرنسية المهاجرة على قدم المساواة .

ولكن هذا القرار انطوى على استمرار الالتهاب ، اذ كانت هناك منافسة حادة بين فريقى الصفقة الانجلو - أمريكية ، وهما ديجول وجيرو . وتم أخيرا تأليف لجنة فرنسية للتحرير الوطنى فى الثامن من يونيو من عام ١٩٤٣ ، على أن يكون لها رئيسا وهما ديجول وجيرو ، ويكون مع كل منهما فيها ستة من أعوانه . وواصلت الحكومة الأمريكية دعمها للجنرال جيرو ، اذ دعتة فى شهر يوليو من عام ١٩٤٣ لزيارة الولايات المتحدة الأمريكية ، وتعمدت تجاهل ديجول . وتوقف اعتراف الولايات المتحدة وبريطانيا بلجنة التحرير الوطنى الفرنسية . وقرر الاتحاد السوفياتى فى الوقت نفسه ، احتراماً منه للكيان الدولى الفرنسى ، الاعتراف باللجنة . وعندما سمع تشرشل بذلك ، راح يبعث برسالة خاصة فى الثالث والعشرين من يوليو من عام ١٩٤٣ الى الحكومة السوفياتية . ولكن هذه الرسالة كانت مفتقرة الى الحجج السليمة لدعم موقف رئيس وزراء بريطانيا تجاه اللجنة الفرنسية .

وأعلنت الحكومة السوفياتية فى الثالث والعشرين من أغسطس من عام ١٩٤٣ ، أنها قررت « الاعتراف باللجنة الفرنسية للتحرير الوطنى كالمثلة للمصالح الدولية للجمهورية الفرنسية » (١) ، وأنها قررت تبادل التمثيل السياسى معها .

وبالرغم من اعتراف الولايات المتحدة وبريطانيا باللجنة بصورة رسمية ، فقد واصلتا تجاهلها ، ولم تردا على الاقتراحات التى تقدمت بها فى شهر سبتمبر من عام ١٩٤٣ حول شروط التعاون بينها وبين القيادتين الأمريكية والبريطانية ، بعد اعادة النزول فى فرنسا . وبالرغم من وجود هذه الهيئة المثلة لفرنسا ، فقد قامت الولايات المتحدة بإنشاء ادارة عسكرية خاصة هى الحكومة العسكرية الحليفة للاراضى المحتلة ، لتشمل مصالحيتها فرنسا وغيرها من البلاد التى ستدخلها القوات الانجليزية والأمريكية . وكان على هذه الحكومة العسكرية أن تؤمن الزعامة لأمريكا مع اشراك بريطانيا فى المناطق الأوربية التى تنتظر التحرر من الاحتلال الفاشى . وأصدر الرئيس الأمريكى فى شهر ابريل تعليماته التى تقضى

(١) السياسة الخارجية السوفياتية . . « المجلد الاول - ص ٢٣٤ .

بأن تكون السلطة العليا في فرنسا في يدى القائد العام أى الجنرال
دوايت ايزنهاور (١) .

ولما كانت الولايات المتحدة قد عقدت عزمها على فرض سيطرتها
وتثبيتها في فرنسا، بدلا من أية سلطة فرنسية أخرى قد تنبرى لمنافستها
على الحكم ، فقد فقدت الآن اهتمامها بالجنرال جيرو . يضاف الى هذا أن
الرأى العام الفرنسى لم يكن ميالا الى جيرو . واستقال هذا فى التاسع
من نوفمبر من عام ١٩٤٣ ، وظل ديجول وحده رئيسا للجنة الفرنسية
للتحرير الوطنى .

وبحث مؤتمر الدار البيضاء أيضا فى الهدف النهائى للحرب مع
ألمانيا . وقرر المؤتمر مواصلة الحرب حتى الاستسلام بدون قيد أو شرط
من الدول الفاشية . وقد عكس هذا القرار ، نفوذ الاتحاد السوفياتى
الذى كان قد حدد مهمة الدول المتحاربة بالحاق الهزيمة النهائية بألمانيا
الهتلرية ، واستسلامها المطلق .

وقد قوبل هذا القرار بتفجر موجة عارمة من السخط والحنق عند
القطاع الرجعى المتطرف من الدوائر البريطانية والأمريكية الحاكمة ، الذى
كان لايزال يأمل فى عقد صلح توفيقى ، منفرد مع الدول الفاشية . ولقد
حمل المؤرخ العسكرى البريطانى ليدل هارت على تعبير « الاستسلام بلا
قيد أو شرط » فى عام ١٩٤٤ ، وقال : انه يرى من الأفضل الحفاظ على
نظام هتلر ، والابقاء على الفوهرر نفسه رئيسا للدولة الألمانية . وقال
ليدل هارت : « هناك احتمال شرير فى أن تؤتمر الاطاحة بهتلر الى تحوله
الى أسطورة تكون أكثر خطرا على الحضارة من أسطورة نابليون » (٢) وقد
أقره على وجهة نظره هذه المؤرخ البريطانى فولر الذى قال : ان عبارات
« الاستسلام بلا قيد أو شرط » ، ستظل « معلقة كنذير شؤم فى أعناق
الانجليز والأمريكان » (٣) . وهاجم المؤرخ الأمريكى تشارلز تينسيل ،
روزفلت بعنف لانه استخدم هذا التعبير . وأضاف هذا المؤرخ ، ان على
الاتحاد السوفياتى أن يظل فى منأى وأن ندع ألمانيا والاتحاد السوفياتى
يحطم الواحد منهما الآخر (٤) . وقال ليدل هارت : « ان السبب فى

(١) مذكرات ديجول - الوحدة ١٩٤٢ - ١٩٤٤ . ص ٢١٢ .

(٢) ليدل هارت « لم لا نتعلم من التاريخ » لندن - اللين وأنوى - ١٩٤٤ . ص ٥٣ .

(٣) فولر - نفس المصدر - ص ٢٥٨ .

(٤) تشارلز تينسيل فى كتابه « الباب الخلفى للحرب » سياسة روزفلت الخارجية -

١٩٣٥ - ١٩٤١ « شيكاغو » ١٩٥٢ .

احتفاظ بريطانيا بسلامتها وازدهارها ، مثل هذا الوقت الطويل ، يعود الى الحقيقة الواقعة ، وهي أنها كانت تنهى حروبها دائما بالاتفاق ، بدلا من استنزاف قواها وراء تحقيق النصر النهائي ، كما كان منافسوها المتعاقبون في القارة يعملون دائما » (١) .

وأعاد الجيش البريطاني الثامن في العشرين من مارس من عام ١٩٤٣ ، الهجوم ثانية من مواقعه التي انتشر فيها على الحدود الليبية - التونسية . وقامت قوات ايزنهاور - بالهجوم على تونس من الغرب . ووجدت القوات الألمانية ، والايطالية نفسها معرضة للهجوم من الناحيتين فانسحبت الى شمال تونس . وتراجعت في مستهل شهر مايو الى رأس بونة في الطرف الشمالي الشرقي من تونس . حيث سلمت سلاحها في الثاني عشر من الشهر نفسه . وهكذا انتهت الحرب في شمال افريقيا .

- ٣ -

ألهب النصر الذي تحقق في افريقيا الشمالية أطماع الاحتكاريين الأمريكيين في السيطرة على العالم . وشن كبار الصحفيين البورجوازيين الذين كانوا شديدي التحسس والتجاوب مع رغبات ملوك المال ، حملة صحفية مستمرة . وطلع وولتر ليبمان المعلق الأمريكي المعروف في عام ١٩٤٣ بمشروع لتأليف « أسرة الأطلسي » ، كأداة متوقعة للسيطرة الأمريكية على العالم الرأسمالي كله . وعاد فكرر هذا الاقتراح بعد بضعة أشهر ووصف الولايات المتحدة بأنها « قلب الحضارة الغربية » (٢) . وكان الاحتكاريون الأمريكيون قد عقدوا العزم على السيطرة على تلك البلاد الرأسمالية التي دمرتها الحرب .

ولكن أطماع هؤلاء الاحتكاريين لم تقف عند هذا الحد ، فقد أبدوا اهتماما بالغاً بالمستعمرات البريطانية والفرنسية ، ولا سيما الموجودة منها في الشرق الأوسط . وكتبت مجلة « فورتشون » الأمريكية في شهر سبتمبر من عام ١٩٤٤ ، تقول : « لقد بنينا الطرق والموانئ والمطارات في الشرق الأوسط . ولا يمكن القذف بما صنعناه ، كدبابات مسبوخة ، أو كمدافع بازوكا تالفة ، لأنه أصبح يؤلف جزءا من جغرافية العالم ، وقد صنعناه بأيدينا ، كقناة بناما مثلا . وقد أصبح ما بنيناه

(١) ليدل هارث - نفس المصدر - ص ٥٠ .

(٢) وولتر ليبمان « أهداف أمريكا في الحرب » ١٩٤٥ - ص ٢٠٨ .

أيضا يؤلف حلقة حيوية فى المواصلات العالمية التى أقمنها ، والتى تحملنا من أجلها شطرا كبيرا من ديننا الوطنى ٠٠٠ وقد باتت لنا مخزونات كبيرة من الزيت فى الشرق الأوسط أيضا ، (١) -

وفى وسع المرء أن يلاحظ الموازنة التى رسمتها المجلة بين الشرق الأوسط ومنطقة قناة بناما ، حيث تمارس الاحتكارات سيطرة كاملة -

ولم يجر الصراع على شمال افريقيا والشرق الأوسط ، ضمن الصورة المجردة لآطار الحرب بين بريطانيا والولايات المتحدة من ناحية ، وألمانيا وإيطاليا من الناحية الأخرى ، وإنما كان صراعا بين القوى الإمبريالية فى الولايات المتحدة وزميلتها فى بريطانيا ، وبين الأولى وبين القوى الإمبريالية الفرنسية - يضاف الى هذا أنه كان صراعا من الإمبريالية ، مع التطلعات الوطنية للشعوب الشرقية - وواصلت الدوائر الحاكمة البريطانية والأمريكية الاحتفاظ بشعوب آسيا وافريقيا على هامش الحرب - وعارضت فى اشتراك البلاد العربية فيها -

وكانت هذه الدوائر الحاكمة بعيدة كل البعد عن التفكير فى تحرير الشعوب - وكان هذا الموقف يمثل زبدة سياستها الحربية فى البلاد الشرقية -

وكانت الولايات المتحدة وبريطانيا تحاربان هتلر ، لأنهما كانتا قد حزمتا أمرهما على احباط خططه للسيطرة على العالم ، وعلى انفاذ خططهما الخاصة بهذه السيطرة - ولم يكن استعمالهما المتكرر لشعارات التحرر ومكافحة الفاشية الا للتأثير على الرأى العام العالمى - فقد واصلتا بالرغم من هذه الشعارات العمل على منع الجماهير من رفع راية التحرر فى الحرب ضد الدول الفاشية - وظل الإمبرياليون البريطانيون والأمريكيون يركزون جهودهم فى الحرب التى اشتركت فيها عشرات الملايين من الناس على متابعة أهدافهم الأنانية الضيقة -

ولكن عندما راح الجنرال جورج بانون قائد الجيش الأمريكى الثالث يتسرع ليعلن أن « قدرنا يقضى علينا بحكم العالم » امتعضت الحكومة الأمريكية ووزارة حربها من هذه الصراحة المطلقة التى أثارت تعليقات معادية فى طول العالم وعرضه -

(١) فورشون - عدد سبتمبر ١٩٤٤ - ص ١١٣ -

(٢) عمر يرادى - نفس المصدر ص ٢٠٣ -

واتضح تلهف الامبريالية الأمريكية على السيطرة الأمريكية ، من الخطط التي وضعتها للمستقبل . وتبين وولتر ليبمان ما ينطوى عليه هذا التلهف من مغاز منذ عام ١٩٤٣ ، وراح يحذر بأنه قد يشعل « نيران حرب تفوق كل سابقتها في فظاعتها » (١) ، وبينما كانت الحرب الثانية لا تزال في أوجها ، كانت الحكومة الأمريكية تقيم صناعات حربية تفوق حاجاتها الى حد كبير ، وتنفق أموالا ضخمة على انشاء شبكة من القواعد الحربية التي ستظل بعد انتهاء الحرب ، لتنفذ عن طريقها خططها العدوانية للعهد الذي يلي الحرب .

وحددت الأهداف الامبريالية للطبقات الحاكمة في بريطانيا والولايات المتحدة ، سياسة هاتين الدولتين تجاه ألمانيا . وكتب البرت كار ، مساعد ترومان الخاص في يومياته في عام ١٩٤٣ ، يقول : « لم يخف كبار الموظفين في لندن وواشنطن ، في أحاديثهم الخاصة ، توقعهم ظهور المشاكل مع روسيا بعد انتهاء الحرب . وكانت هذه الجماعة تعتبر اصرار روزفلت على « الاستسلام بلا قيد أو شرط » من جانب ألمانيا خطيئة لا تغتفر . وكان من الواضح ، أنها تؤثر ألا تحطم قوة ألمانيا العسكرية ، طالما ، أنها كانت تتوقع توجيهها من جديد باتجاه الشرق » (٢) .

وأقامت الحكومتان : الأمريكية والبريطانية سعيًا منهما وراء سياساتهما بعد الحرب ، عددا من الاتصالات مع معظم الجماعات الرجعية في أوروبا ، لضمان عونها ومساعدتها . وأقامتا شبكة من العملاء السريين في جنوب شرق أوروبا ، من أمثال فيرنس ناجي في المجر ولولشيفو نيقولا بيتكوف في بلغاريا ، كما أقامتا علاقات وثيقة مع سالازار ديكتاتور البرتغال الفاشي . وكان هذا بعد أن خاب أمله في انتصار هتلر ، قد غير اتجاهه ، وراح يمنح القواعد البحرية والجوية في جزر الأزور لبريطانيا والولايات المتحدة في شهر اكتوبر من عام ١٩٤٣ .

وكان الديكتاتور الاسباني فرانكو لا يزال يأمل في انتصار المانيا ، ويقدم لتحقيق هذا النصر ، كل ما في وسعه من مساعدات . وبالرغم من أنه لم يكن يمثل قوة كبيرة كحليف عسكري ، الا أنه كان نافعا لألمانيا اقتصاديا وسياسيا . ولم يقتصر دور أسبانيا الاقتصادي في الحرب على

(١) وولتر ليبمان - نفس المصدر ص ١٣٢ .

(٢) كارل مارزاني في كتابه « في وسعنا أن نكون أصدقاء - جنود الحرب الباردة » نيويورك ١٩٥٢ . ص ٢٢٤ .

مواردها الخاصة ، اذ كانت تعيد تصدير كميات كبيرة من مختلف السلع التي تحصل عليها من الولايات المتحدة وبريطانيا لأنهما أبقياها خارج نطاق الحصار الى ألمانيا . وكانت هذه المواد تصل الى موانئ أسبانيا دون أية مضايقات ، فيعاد شحنها على الفور الى ألمانيا . وقدم بنك التصدير والاستيراد الأمريكى الى فرانكو قرضا قيمته ١٣٧٥٠٠٠٠ دولار ، كما قدمت اليه البنوك البريطانية قرضا بمليون جنيه استرليني .

وكان فرانكو قد تعهد بموجب اتفاق عقده مع السفير الألماني فى مدريد بمساعدة ألمانيا فى حربها ، وأن يعمل على توسيع حدة التناقضات بين بريطانيا والاتحاد السوفياتى من ناحية ، وبين بريطانيا والولايات المتحدة من الناحية الاخرى (١) .

وحت فرانكو فى خطاب أذاعه فى الثانى عشر من مايو من عام ١٩٤٣ ، بريطانيا والولايات المتحدة على قطع علاقاتهما مع الاتحاد السوفياتى ، والوصول الى تفاهم مع ألمانيا ، عارضا وساطته لتحقيق هذا التفاهم . وراح جورדانا ، وزير خارجية أسبانيا ، يتقدم باقتراح مماثل . وكان فرانكو ووزيره يواصلان التحدث الى صمويل هور سفير بريطانيا فى مدريد ، عن ضرورة تخلى بريطانيا عن تحالفها مع الاتحاد السوفياتى ، والانضمام الى ألمانيا . ولم يكن السفير البريطانى يصددهما ، بل كان يعرب عن استعداده لمواصلة المحادثات .

ولم بكتف جوردانا بالأحاديث الشفوية ، وانما راح يعرض اقتراحاته خطيا فى مذكرة سرية قدمها الى هور . وتقول هذه المذكرة : « ان ألمانيا هى القوة الوحيدة الموجودة فى أواسط أوروبا والقادرة على تحقيق العمل العالمى فى حصر الشيوعية وتدميرها ، وان على أوروبا أن تتضامن لمواجهة هذا الخطر ، وأن تتناسى خلافاتها بحيث تستطيع مواجهة المشكلة العصبية المستعصية المعلقة فوق رأس أوروبا (٢) .

وشهدت لندن محادثات من هذا الطراز . فقد أبلغ الدوق الباسفير أسبانيا فى العاصمة البريطانية ، ايدن وزير الخارجية ، بأن من الخطأ كل الخطأ فى سياسة بريطانيا أن تتناول الاتحاد السوفياتى بالاطراء . ورد ايدن بأنه يشارك السفير فى آرائه . وان كانت ضرورات الحرب تفرض عليه أحيانا « أن يطرى حليفه فى الشرق » (٣) .

(١) وثائق الحكومة السوفياتية - المجلد الثالث ص ١٤٦

(٢) هور فى كتابه « سفير فى مهمة خاصة » كولنز - لندن ١٩٤٦ ص ١٩١ .

(٣) وثائق الحكومة السوفياتية - المجلد الثالث ص ١٥٥

وتحسر الوسائل التي بعث بها السفير الألماني من مدريد النفاذ عن مواقف لندن الودية من الاقتراحات الأسبانية . وقد كتب في أحد هذه التقارير يقول : « هناك عدد من المسئولين في بريطانيا ، وبينهم أحد أعضاء الوزارة ، يؤيدون فكرة التوسط لعقد الصلح ، وإقامة جبهة أوربية مشتركة ضد البلشفية » (١) .

وأتمت القوات الانجلو - أمريكية المحتشدة في الجزر البريطانية منذ صيف عام ١٩٤٣ ، استعداداتها لغزو أوروبا الغربية وإقامة جبهة ثانية . وكتب ضابط بريطاني يقول : « وكنا في نهاية شهر يوليو من عام ١٩٤٣ ، نحس بكثير من التفاؤل . عن استعدادنا لليوم الموعود . . . وكنت وأنا أقرب المعسكرات وهي تشاد ، ومسندودعات الأسلحة والتموينات وهي تتضاعف ، أحس بأن لا شيء يستطيع تحطيم مشروعنا . فقد كانت استعداداتنا واقعية وصحيحة ، وقائمة على أسس سليمة ومدروسة ، وتتم بشكل ينطوي على الحب » (٢) . ولا شك في أن هذا الضابط كان على صواب ، فقد كان صغار الضباط في قوات الحلفاء يتطلعون بلهفة الى فتح الجبهة الثانية . وكانت الخطط لانزال قوات الحلفاء في الشواطئ الشمالية من أوروبا ، ولتحقيق النصر السريع على ألمانيا الهتلرية ، تستفز طاقات الجماهير ، وتنال تأييدها الكامل .

ولكن بالرغم من هذا الاعداد الكامل والمتأني ، وبالرغم من نضجه استراتيجيا ، فقد تأجل الانزال من جديد . وصدرت الأوامر الى القوات بالشروع في بعض التمرينات التكتيكية . ولم تعمل القيادة الانجلو - أمريكية على اخفاء هذا الأمر بتأجيل غزو أوروبا . وكتب ملاحظ عسكري يقول : « ويمكن القول باختصار ان المخابرات الألمانية تمكنت من معرفة هذا الامر بمنتهى السهولة » (٣) . وهكذا بات في وسع القيادة العليا الألمانية أن تنقل الى الجبهة السوفياتية عددا من فرقها المستعدة للقتال من أوروبا الغربية .

ولم يمثل التأجيل المتعمد للجبهة الثانية ، خلق متاعب جديدة لجيش السوفياتي فعسب ، وانما مثل أعباء جديدة فرضت على الشعب البريطاني أيضا . ولكن قادة الجناح اليميني في الحركة النقابية البريطانية سرعان ما اتبعوا عين السياسة التي انتهجها الدوائر الحاكمة في بريطانيا .

(١) نفس المصدر ص ١٦٢ .

(٢) دالحاليتس - نفس المصدر ص ٧١ .

(٣) نفس المصدر ص ٧٧ .

ورفض الوفد البريطاني الى الدورة الثالثة للجنة النقاية الانجلو - سوفياتية التي عقدت في موسكو في صيف عام ١٩٤٣ ، بزعامة سيترين مسودة الاعلان الذي أعده الوفد السوفياتي والذي يحث على ضرورة فتح الجبهة الثانية في وقت قريب .

ولحقت الدهشة بالقيادة العليا الالمانية من جراء قرار الحكومتين البريطانية والأمريكية تأجيل غزو أوروبا في عام ١٩٤٣ . وذكر المارشال رونشتادت في نهاية الحرب : « ولقد دهشت بالغ الدهشة لانكم لم تحاولوا غزو أوروبا في عام ١٩٤١ ، عندما كانت جيوشنا تتوغل في روسيا . وعدت فتوقعت الغزو في عام ١٩٤٣ ، بعد أن قمنا باحتلال فرنسا كلها . وخيل الى أنكم ستتهبلون هذه الفرصة التي تمتلت في نشر القوات الالمانية في الغرب على مساحات جديدة واسعة » (١) .

ورفضت الحكومتان البريطانية والأمريكية ، بالإضافة الى هذا التراجع عن تعهداتها المتكررة بفتح الجبهة الثانية في أوروبا في عام ١٩٤٣ ، تنظيم أية شحنات جديدة من التموينات الى الاتحاد السوفياتي عبر الطريق الشمالي . وتأجلت هذه الشحنات حتى الحريف ، وذلك بموجب رسالة بعث بها تشرشل الى موسكو في الثلاثين من مارس من عام ١٩٤٣ . وكان المبرر الرسمي لهذا التأجيل ، « الدولتين الغربيتين بحاجة منذ هذه اللحظة الى كل سفينة حراسة لدعم العمليات الهجومية في حوض البحر الأبيض المتوسط » (٢) ، لكن الحقيقة الواقعة هي أن الشطر الأكبر من السفن البريطانية والأمريكية كان عاطلا عن العمل ، بعد تأجيل فتح الجبهة الثانية .

ورد رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي على رسالة تشرشل بقوله : « اننى أعتبر هذه الخطوة اللامتوقعة ، كارثة تحل بشحن المواد الأولية الاستراتيجية والذخائر الى الاتحاد السوفياتي من بريطانيا والولايات المتحدة ، وذلك لان طريق المحيط الهادى ، يفتقر الى البواخر التجارية والسلامة ، كما أن الطريق الجنوبي يفتقر الى وسائل التفريغ ، مما يعنى أن هذين الطريقين لا يستطيعان التعويض عن وقف الشحن عبر الطريق الشمالى . ولا حاجة بى الى القول ، بأن هذا الظرف الجديد ، لا بد أن يؤثر على موقف القوات السوفياتية » (٣) .

(١) ليدل هارت في كتابه « الجانب الثانى من التل » - لندن ١٩٤٨ ص ٢٣٧ - ٢٣٨ .

(٢) مراسلات الحكومة السوفياتية - المجلد الاول . ص ١١١ .

(٣) نفس المصدر - ص ١١٢ .

ونزلت القوات الانجليزية - الأمريكية فى جزيرة صقلية فى العاشر من يوليو من عام ١٩٤٣ • وقد وقع الغزو بعد شهرين من الموعد المقرر له ، وكان التبرير لذلك من جديد ، الافتقار المزعوم للسفن (١) • وكانت هناك فرقتان ألمانيتان وأربع فرق ايطالية فى جزيرة صقلية ، وان كانت ثلاث من الأخيرة قد نقص تعدادها عن الأعداد المقررة للفرق • يضاف الى هذا أن الجزيرة كانت تضم ست فرق من حرس السواحل الايطاليين وكانوا فى حالة سيئة من التجهيز بالمعدات •

وكانت حملة صقلية التى قدر لها أن تطول تسعين يوما ، تعتبر ، بمثابة تكفير عن التأجيل الجديد فى فتح الجبهة الثانية فى أوروبا • ولكن الجنود الايطاليين لم يقاوموا على الإطلاق ، كما أن الألمان لم يقاوموا أيضا بعد وقفتهم الاولى • وانتهت الحملة على الجزيرة فى ٣٨ يوما ، أى فى الثامن عشر من أغسطس • وقد أقام نجاحها الدليل على أن التأجيل البريطانى - الأمريكى لغزو أوروبا كان مفتقرا الى كل مبرر ، إذ أن المانيا الفاشية لم تكن تملك فى ذلك الوقت القوة الكافية لمقاومة أى نزول انجليزى - أمريكى جدى فى فرنسا •

(١) هارى بوتشر فى كتابه « ثلاث سنوات مع أيزنهاور » - سيمون وشوستر - نيويورك
١٩٤٦ • ص ٣٥١ •

معركة انتفاخ كورسك

- ١ -

انتهى هجوم الشتاء الذى شنه الجيش السوفياتى فى عام ١٩٤٢ - ١٩٤٣ فى الواحد والثلاثين من مارس من عام ١٩٤٣ . وقد اضطر الجيش الفاشى الالمانى الى التراجع الى خط يصل ميتسينسك ومالوار كانجيلسك وسيفيسك ، ورياليسك وسومى وبيلجورود وشمال الدونيتز . وألعت الجبهة فى كورسيك وحولها ، انتفاخا كبيرا باتجاه الغرب . وتمكنت القوات السوفياتية من الاحتفاظ بالنتوء ، مدعومة بقوات احتياطية ضخمة فى مؤخرتها . ومثل انتفاخ كورسك ، فرصة ممتازة للفريقين لشن هجوم استراتيجى كبير .

وكان من المحتمل أن يؤدى الهجوم الذى يشنه العدو الى تغيير ميزان القوى بشكل ضخم لمصلحه الاتحاد السوفياتى ، اذ بالنظر الى الحصون السوفياتية المنيعه ، كان لابد من أن يمنى العدو المهاجم بخسائر أكبر من تلك التى تمنى بها القوات السوفياتية . وهكذا كان فى وسع الجيش السوفياتى أن ينتظر ، بينما لم يكن فى وسع الألمان أن ينتظروا ، لأن النازيين كانوا يدركون أن عامل الزمن ليس فى مصلحتهم على الاطلاق .

وكان على القيادة الألمانية أن تأخذ فى حسابها أيضا تدهور المعنويات فى مؤخرتها ، بل وحتى فى الجيش العامل نفسه ، وهو أسوأ ما فى الأمر . وكانت الحكومة الألمانية فى أشد حالات الضيق أيضا . ولقد كتب جوبلز مقالا فى مجلة « داس راىخ » فى الرابع والعشرين من مارس من عام ١٩٤٣ بعنوان « شفق الحرب » يقول : « تمثل الحرب بالنسبة لألمانيا

شفقا معتما ٠٠٠ فالمصيرية التي حلت بنا عمل من أعمال القدر ، وقد أخطأنا في تقديرنا لطاقت الاتحاد السوفياتى الحربية » .

وبينما كانت ألمانيا الهتلرية تعد اعدة لهجومها الجديد ، راحت تطلق شعارا جديدا هو « قلعة أوروبا » لتعنى به أنها سنحافظ على جميع المناطق التي لم يتمكن الاتحاد السوفياتى بعد من تحريرها . ولذا فقد حملت خطة الصيف الألمانية اسم « عملية القلعة » . وتضمنت هذه الخطة عملية تطويق مزدوجة ، بحيث تندفع قوات ضخمة من الفرق المدرعة من أوريل وبييلجورود ، لتحيط بالقوات السوفياتية فى كورسك وتبيدها .

وأرسلت قوة ضخمة بقيادة المارينسال فون كلوجه الى منطقة العمليات . وكان على احدى عشرة فرقة للمشاة وسبع فرق مدرعة وفرقتين آليتين أن تضرب باتجاه كورسك من أوريل ، وعلى ثمانى عشرة فرقة منها سبع فرق مشاة وعشر فرق مدرعة وفرقة آلية ، أن تتقدم من بيلجورود . وكانت هناك على جبهة أوريل - كورسك ، فرقة ألمانية لكل ٢٧ من الكيلومترات ، ومن ٤٠ الى ٥٠ دبابة وسبعين الى ثمانين مدفعا لكل كيلومتر على امتداد الجبهة . أما فى جبهة بيلجورود - كورسك فكانت هناك فرقة لكل ٥٥ من الكيلومترات و ٤٢ دبابة و ٥٠ مدفعا لكل كيلومتر من الجبهة . وكان الألمان يعتزمون استخدام أحدث أسلحتهم وبينها دبابات « النمر » و « الفهد » ومدافع فرديناند الذاتية التوجيه وطائرات مسرر شमित رقم ١٩٠ .

ونمت الاعدادات للهجوم الألمانى الذى أصبح منوقعا فى كل يوم . ومع ذلك فقد ظلت الحكومتان اليريطانية وا مريكية تزعمان أن الألمان لن يهاجموا .

وبعث رئيس وزراء بريطانيا فى التاسع عشر من يونيو من عام ١٩٤٣ برسالة الى الحكومة السوفياتية يقول فيها : « هناك ما يدعونا الى الاعتقاد بأن الهزيمة السريعة واللامتوقعة التي منيت بها قوات المحور فى شمال افريقيا ، قد أربكت الخطط الألمانية الاستراتيجية ، اذ أصبح الخطر الناتج والمهدد لأوروبا الجنوبية عاملا مهما يحمل هتلر على التردد فى تنفيذ خطته للمشروع فى هجوم واسع النطاق على روسيا فى هذا الصيف وتأجيله ، (١) » .

(١) رسائل الحكومة السوفياتية - المجلد الاول - ص ١٣٤ .

وعاد تشرشل فى السابع والعشرين من يونيو يكتب الى الحكومة
السوفياتية قائلا : « لن تتعرضوا الى هجوم ثقيل فى هذا الصيف » (١) .

ولو أن القيادة العليا السوفياتية صدقت هذه الأقوال ، لحقق الهجوم
الألماني نجاحا كبيرا .

ولكن هذه القيادة كانت تعرف تماما ما الذى يريد هتler ، ولذا
فقد أقامت تحصينات منيعة وعميقة ، وجاءت بقوات احتياطية استراتيجية
كبيرة . وبلغ عمق الخطوط الدفاعية السوفياتية فى بعض المراكز المهمة
أكثر من مائة كيلومتر . وأعدت القيادة العليا خطة للدفاع عن انتفاخ
كورسك . وكان على القوات فى الجبهة الوسطى وجبهة فورونيج أن توقف
الهجوم الألماني وأن تعتصر قوته . وآنداك تحل المرحلة الثانية وتبادر
القوات فى جبهات الغرب وبريانسك والوسط وفورونيج والسهوب الى
شن هجوم مقابل .

وبدأ الهجوم الألماني على نتوء كورسك فى الساعة الخامسة والنصف
من صباح الخامس من يوليو من عام ١٩٤٣ . واستهدفت الضربة الألمانية
الرئيسية مراكز التجمعات الأساسية للقوات السوفياتية . وسرعان
مانسب قتال عنيف . وأخذ الهجوم يشتد ببطء ، ويؤدى الى انزال خسائر
بالنازيين . وصمدت القوات السوفياتية بنشاط وفاعلية ، دافعة بالقوات
الاحتياطية بصورة جريئة وبالدبابات لتوجيه ضربات مضادة على الثغرات
التي يفتحها العدو فى خطوطها . وكانت هذه هى المرة الاولى التى
تستخدم فيها القوات السوفياتية جيوشا من الدبابات ووحدات من المدفعية
المضادة للدبابات .

وكان الاصطدام عند قرية بروخوروفكا ، أشد ما وقع فى معركة
كورسك . فقد دفع كل من الفريقين اليه بأكثر من ١٥٠٠ دبابة . وخسر
الألمان فى اليوم الأول ٣٥٠ دبابة وأكثر من عشرة آلاف ضابط وجندى .
وأسقط كوجيداب الطيار السوفياتى الباسل ، عددا من الطائرات
الألمانية . وكان هناك عدد من الطيارين السوفيات الآخرين لا يقلون عنه
شجاعة ، فقد أسقط الطيار جوردفيتش تسع طائرات معادية فى معركة
واحدة . وكان الطيار المحارب ماريسييف ، الذى كان قد فقد قدميه فى
ربيع عام ١٩٤٢ ، قد عاد الآن الى القوة الجوية ليقا تل ببسالة ، وقد تمكن

(١) رسائل الحكومة السافيانية - المجلد الاول . ص ١٤١ .

من اسقاط ثلاث طائرات ألمانية فى المعارك الجوية الأولى فوق انتفاخ كورسك . وحارب سرب « نورماندى » الفرنسى الى جانب الطيارين السوفيات ، وأسقط طياروه ٢٢ طائرة ألمانية فى شهرى يوليو وأغسطس من عام ١٩٤٣ .

وتمكن الألمان بعد هجوم استمر أسبوعا من التقدم مسافة تتردد بين ستة كيلومترات وثمانية فى اتجاه اوريل - كورسك وبين ٣٠ و ٣٥ كيلومتر فى اتجاه بيلجورود - كورسك . وأحبطت الخطة الألمانية . وكتب تيبلسكيرش يقول : « تحطم الهدف الذى توخته ألمانيا من هجومها فى غضون بضعة أيام ، ولم يكن فى الامكان التعويض على الخسائر التى منيت بها » (١) وأضاف تيبلسكيرش يقول : « وانتقل زمام المبادرة هذه المرة من أيدي الألمان وفى ظروف شاقة الى العدو » (٢) .

وبعد أن تمكنت القوات السوفياتية من صد هجوم العدو ، راحت تشن هجومها العام فى الثانى عشر من يوليو من عام ١٩٤٣ . وتم تطهير أوريل وبيلجورود من العدو فى الخامس من أغسطس ، ولم يحل منتصف التسهر ، حتى كانت القوات النازيه نلها فى منطقة أوريل قد أبيت . وقام الجيش السوفياتى بتحرير حاركوف فى الثالث والعشرين من أغسطس ، وعلق ليدل هارت على ذلك بقوله : « وكانت النتيجة سُل حرية العمل عند الألمان مع التقليل بصورة مستمرة من ميزان قواتهم الاحتياطية . ولا شك فى أن هذا الوضع مثل صورة استراتيجية من صور « الشلل المتدرج الزاحف » (٣) .

وتطور الهجوم السوفياتى المضاد عند كورسك بصورة متدرجة الى هجوم عام على طول الجبهة . وأدت العملية التى تمت بنجاح فى شهرى أغسطس وسبتمبر عند سمولينسك الى ابعاد خطوط الجبهة مسافة أخرى الى الغرب من موسكو . وتمكنت قوات الجبهتين ، الجنوبية والجنوبية الغربية من سحق قوة ألمانية ضخمة فى الجنوب ومن تحرير حوض الدونيتس فى غضون ستة أيام .

واضطر الألمان فى أوكرانيا الى الانسحاب عبر نهر الدنييبر . ومثل

(١) تيبلسكيرش - نفس المصدر ص ٣٢٩

(٢) نفس المصدر ص ٣٥٩

(٣) ليدل هارت فى كتابه « الاستراتيجية - الطريقة اللامباشرة » - نيويورك ١٩٥٤ . ص ٢٩٦

النهر العريض والعميق، عقبة كأداء فى طريق انسحابهم • وأعدت القيادة الألمانية الضفة الغربية من النهر كخط دفاعى تعويقي ، وأقامت مجموعة من الحصون القوية عليه • ولكن الجيش السوفياتى تمكن من عبور النهر فى عدة نقاط ، وفاجأ القيادة الألمانية تمام المفاجأة • وتم تحرير كييف عاصمة أوكرانيا السوفياتية فى السادس من نوفمبر من عام ١٩٤٣ • وتمكنت القوة السوفياتية الرئيسية المتقدمة الى الجنوب من بوليزيى الى البحر الاسود من اقامة عدد من رموس الجسور على الضفة الغربية لنهر الدنييبر ، وأخذت تستعد للقيام بعمليات هجومية جديدة •

وأقامت معركة كورسك ، التى أملت القيادة الألمانية عن طريقها فى استعادة المبادرة الاستراتيجية الدليل على الفشل الكامل للاستراتيجية الهجومية النازية ، ومثلت كارثة جديدة حلت بالجيش الفاشية الألمانية • واعترف جودريان بأن المعركة كانت « هزيمة حاسمة ، تحول فيها زمام المبادرة الى العدو حتى النهاية » (١) •

ولم يكن الانهيار مقصورا فى صيف عام ١٩٤٣ على الاستراتيجية الألمانية بل تعداها الى « قلعة هتلر » الدفاعية نفسها • وتمكنت القوات السوفياتية من فتح ثغرة عميقة فى هذه القلعة • وفشلت المحاولات الألمانية فى الانتقال الى دفاع استراتيجى ثابت على طول الجبهة الألمانية - السوفياتية بقصد كسب الوقت والوصول بالمفاوضات السرية الدائرة مع الولايات المتحدة وبريطانيا الى نتيجة موفقة ، وذلك لأن الألمان عجزوا عن وقف الهجوم الألمانى •

وقد أكمل هجوم الصيف لعام ١٩٤٣ تحول التيار الذى بدأته معركة الفولجا • فقد انهارت الخطوط الدفاعية التى أقامها الألمان على الدنييبر وميوس ومولوكنايا • وتمكن الجيش السوفياتى من التقدم وهو يقاتل ، أكثر من خمسمائة كيلومتر فى القطاع الأوسط من الجبهة وأكثر من ١٣٠٠ كيلومتر فى الجنوب • واقتربت ألمانيا الفاشية من يوم مصيرها الحتمى •

وكانت للاتحاد السوفياتى تنظيماته الحربية الفعالة والمستمرة فى النمو السريع ، مما أظهر من جديد مزايا النظام الاشتراكى • وكانت المؤخرة السوفياتية تعمل بدقة الساعة ، فى تزويد الهجوم السوفياتى المتسارع بكل ما يحتاج اليه من موارد •

(١) جودريان - نفس المصدر ص ٢٨٣ •

وكان زحف الجيوش السوفياتية النظامية مصحوبا بهجوم للأنصار
فى مؤخرة العدو .

ووجهت قوات الأنصار ضربات جبارة الى خطوط مواصلات العدو،
وكانت تستنزف من العدو قوته البشرية وعتاده ، وتحقق غارات مذهلة
تشنها عبر البلاد التى يحتلها العدو .

وأنزل الأنصار ابان معركة كورسك فى شهر أغسطس من عام
١٩٤٣ الدمار بمواصلات العدو الحديدية . وتمكن الأنصار فى لينينجراد
وروسيا البيضاء وأوكرانيا فى الرابع من أغسطس من نسف ٣٦ ألف متر
من خطوط السكك الحديدية . وهبطت نسبة حركة السير على خطى
كوفيل - روفنو وكوفيل - خولم ، بنحو من ٧٠ الى ثمانين فى المائة .
وبلغ مجموع ما نسفه الأنصار فى شهر أغسطس من عام ١٩٤٣ فى كافة
أنحاء البلاد ، نحو من ٨٠٠ الى ١٢٠٠ متر من السكك الحديدية . وبعث قائد
أحد فيالق الحرس الألمانى بتقرير فى الواحد والثلاثين من أغسطس من
عام ١٩٤٣ الى رؤسائه يقول : « قام الأنصار بعملية لم يسبق لها مثيل
لمنع التموينات الألمانية من الوصول الى الجبهة عن طريق هجمات مفاجئة
ومدروسة على السكك الحديدية . ووقع نحو من ٦٧٨٤ انفجارا فى الليلتين
الأوليين من شهر أغسطس ، على طول القطاع الذى يحرسه فيلقنا .
وارتفع عدد انفجارات السكك الحديدية فى منتصف شهر أغسطس الى
خمسة عشر ألفا » (١) . وتمكن الأنصار فى روسيا البيضاء فى شهرى
أغسطس وسبتمبر من عام ١٩٤٣ ، من تخفيض حركة السير فى المنطقة
المحتلة من روسيا البيضاء بنسبة ٤٠ فى المائة ، مما مثل عونا كبيرا
للقوات السوفياتية الزاحفة .

وقتل أنصار روسيا البيضاء نحو من ٢٨٢ ألفا من ضباط العدو
ورجاله منذ بداية الحرب حتى الأول من ديسمبر من عام ١٩٤٣ ، ونسفوا
٥٧٥٨ من « قطارات » العدو ، و ٣٥٠٠ جسر من جسور الطرق والسكك
الحديدية ودمروا ٢٥٥ طائرة و ٨١٢ دبابة . وقتل أنصار لينينجراد نحو
من ٤٤٨٧٦ من ضباط العدو وجنوده منذ بداية الحرب حتى الأول من
ابريل من عام ١٩٤٣ .

وتشير التقارير التى لم تكمل بعد ، الى أن أنصار أوكرانيا قتلوا
أكثر من ١٧٥ ألفا من رجال العدو ، وحطموا ٢٣٣١ من « قطاراته » و ٦٤

(١) وثائق الحكومة السوفياتية - ص ٢١

طائرة و ٥٢٧ دبابة وسيارة مدرعة منذ بداية الحرب حتى الخامس عشر من فبراير من عام ١٩٤٤ .

وسرعت وحدات كبيرة من الأنصار بعد خريف عام ١٩٤٢ في شن غارات كبيرة على مؤخرة العدو . وتمكن بعض الأنصار بقيادة كوفباك وسابوروف من مغادرة غابات بريانسك وعبور بعض المناطق في أوكرانيا، الى أن قاموا منطفة جديدة لعمل الأنصار في ليزيى عبر نهر بريبيات . وقام هؤلاء بقيادة كوفباك ليلة الرابع من ديسمبر من عام ١٩٤٢ ، بعملية نسفوا فيها جميع الجسور الخمسة فى مركز التقاء السكك الحديدية فى سارنا . وتمكنت نفس المجموعة من تحطيم أسطول نهري ألماني على نهر بريبيات على مقربة من قرية اريفيشى فى شهر ابريل من عام ١٩٤٣ .

وقامت وحدات الانصار بقيادة ناوموف وفيودوروف وميلنيك وغيرهم بغارات على العدو . وتمكنت هذه الوحدات من مغادرة غابات بريانسك على الشاطئ الشرقى لنهر الدنيبير ، الى المناطق الواقعة فى غربه داخل أوكرانيا حيث أقامت مراكز جديدة لها .

وانطلقت وحدات كوفباك فى صيف عام ١٩٤٣ الى جبال الكربات، وتمكنت فى الفترة الواقعة بين التاسع عشر من يوليو والرابع والعشرين منه من نسف ٤١ من آبار الزيت و ١٣ من مستودعاته وثلاثة من مصانع نكريه ، ومصنع لانتاج الغاز الصناعى . وسرعان ما لحقت بها وحدات أخرى بقيادة سابوروف وأولكسنيكوسسيتوف . واندفع انصار مولدافيا بقيادة اندرييف وشكرايياخ، باتجاه بسارابيا ، وبقيادة ميلنيك وبوينيى باتجاه فينيتسا ، وبقيادة كابوستا باتجاه جروندو . ووصلت مجموعة ميلنيك الى فينيتسا ، حيث كان هتلر يقيم مقر قيادته فى تلك الآونة .

وكان هناك نحو من ٣٦٠ ألفا من الأنصار ومعهم أكثر من نصف مليون من الاحتياطيين يعملون فى المناطق التى يحتلها النازيون فى خريف عام ١٩٤٣ . وحالت غارات الأنصار على خطوط مواصلات العدو ، دون تنقل القوات الفاشية فى صيف عام ١٩٤٣ وخريفه ، مما مثل دورا مساعدا ضخما للهجوم الذى شنته القيادة السوفياتية فى الجبهتين : الغربية والوسطى وجبهة فورونيج . وقامت وحدات الأنصار أثناء المعارك الضخمة التى دارت للسيطرة على نهر الدنيبير فى خريف عام ١٩٤٣ ، بالاستيلاء على رأس جسر كبير على الضفة الغربية للنهر ، كما أعدت ٢٥

معبرا على أنهار ديسنا والدنييبر وبريبات للقوات السوفياتية الزاحفة .
وقطعت وحدات كوفباك نحو من عشرة آلاف كيلومتر ، وهي
تقاتل ، في ٢٦ شهرا في مؤخرة العدو وأغارت على ثمانى عشرة منطقة .
وتمكنت في هذه المدة من قتل ثمانية عشر ألفا من رجال العدو ، ومن
نسف ٦٢ قطارا للجنود و ٢٥٦ جسرا و ٩٦ مستودعا وحقلين للبترو
ونحو خمسين ألف طن من الزيت ، ومائتى كيلومتر من أسلاك الهاتف
والبرق ، وخمسين مكتبا للمواصلات وخمسمائة سيارة وعشرين دبابة
وسيارة مدرعة .

واضطرت القيادة النازية الى ارسال النجذات الى الجبهة الشرقية من
أوربا الغربية . وأتاح نقل قوات الاحتلال الألماني من فرنسا فرصة رائعة
لفتح الجبهة الثانية في أوربا ، ولكن قادة الولايات المتحدة وبريطانيا ظلوا
على تسويهم ومماطلتهم .

وبينت الحكومة السوفياتية فى الرسائل التى بعثت بها الى الحكومتين
الأمريكية والبريطانية ، أن هاتين الحكومتين قد تراجعتا عن عهودهما .
وبعت رئيس وزراء الاتحاد السوفياتى فى الجادى عشر من يونيو من عام
١٩٤٣ برسالة الى الرئيس الأمريكى تحدث فيها عن التأجيل الجديد فى
فتح الجبهة الثانية وقال : « يسبب قراركم هذا مضايقات خارقة للعادة
للإتحاد السوفياتى ، الذى ما انفك عن استنزاف جميع موارده فى عضون
العامين الماضيين ، اللذين اشتبك ابانهما مع القوات الرئيسية لألمانيا
وأتباعها ، مما يجعل الجيش السوفياتى الذى يقاتل لا دفاعا عن بلاده
فحسب بل وعن حلفائه أيضا ، يؤدى المهمة وحده ، ودون معونة تقريبا ؛
ضد عدو مازال فى منتهى القوة » (١) . وسلمت الحكومة السوفياتية
صورة أخرى من هذه الرسالة الى رئيس وزراء بريطانيا .

ورد تشرشل نيابة عن الحكومتين ، فحاول الادعاء بأن فتح الجبهة
الثانية سيمثل فاجعة للولايات المتحدة وبريطانيا ، اذ أن قواتهما المسلحة
سنمنى بهزيمة محققة . وراح يقول : « ولست بقادر على أن أرى كيف
« يمكن » لهزيمة نذبح فيها بريطانيا أن تمثل عوناً للجيش
السوفياتية » (٢) .

(١) مراسلات الحكومة السوفياتية المجلد الثانى ص ٧٠

(٢) نفس المصدر - المجلد الاول ص ١٣٣

وعاد رئيس وزراء الاتحاد السوفياتى فبين فى رسالة بعث بها الى رئيس وزراء بريطانيا فى الرابع والعشرين من يونيو من عام ١٩٤٣ أن الحكومتين : البريطانية والامريكية كانتا تعرفان عندما تقدمتا بتعهداتهما بفتح الجبهة الثانية ، حقيقة المتاعب التى ستواجهانها فى تنظيم الحملة واعدادها . ولما كانت الظروف لفتح الجبهة الثانية قد تحسنت بالنسبة الى ما كانت عليه عندما صدرت التعهدات ، بفضل الانتصارات التى حققها الجيش السوفياتى ، فان « اشارتكم الى هزيمة بريطانيا ومذبحتها ، لا مبرر لها » . وأنهى الرئيس السوفياتى رسالته على النحو التالى : « وأجد لزاما على أن أبلغكم هنا ، أن الموضوع لا يتعلق بخيبة أمل الحكومة السوفياتية فحسب ، بل وبالحفاظ على ثقتها فى حلفائها ، وهى ثقة تتعرض الآن لكثير من الاهتزاز . وعلينا ألا ننسى أن القضية تتعلق بانقاذ الملايين من الأرواح فى المناطق المحتلة من أوروبا الغربية وروسيا وبالتقليل من التضحيات البالغة لتي تمنى بها الجيوش السوفياتية ، التى تبدو ازاءها تضحيات الجيوش الانجليزية وا مريكية تافهة للغاية .

ولم تحاول الولايات المتحدة وبريطانيا أيضا الافادة من الوضع المواتى لشن هجوم فى المحيط الهادى . وظل جيش الكومنتانج بقيادة كايشيك أيضا على سلبيته فى محاربة اليابان . وعندما شنت ألمانيا الهتلرية هجومها الصيفى فى كورسك ؛ راح جيش الكومنتانج يشن فى السابع من يوليو من عام ١٩٤٣ هجوما مماثلا ؛ ولكنه لم يستهدف به ضرب العسكريين اليابانيين ، وانما ضرب الجيوش الشيوعية فى مناطق الصين المحررة . واستأنف كايشيك فى الوقت نفسه مفاوضاته السرية مع اليابان حول موضوع الاستسلام . وراح عدد كبير من رجال جيش الكومنتانج وجنرالاته ، ينضمون الى اليابانيين . وأخذ خطر استسلام الكومنتانج لليابان يزداد يوما بعد آخر . ولكن جيش تحرير الشعب الصينى تمكن من صد هجوم كايشيك على المناطق المحررة ، وواصل عملياته الهجومية ضد اليابانيين .

وأخذت الجيوش الفاشية وهى تندحر بسرعة أمام زحف الجيوش السوفياتية تقترف جرائم رهيبة ، معبرة بذلك عن غيظها . وعمت موجة من السخط على هذه الجرائم ، أرجاء العالم كله . ومع ذلك فقد ظل حكام الولايات المتحدة وبريطانيا يدافعون عن النازيين ، وذلك لأنهم أرادوا الأبقاء على الباب مفتوحا لمفاوضة الهتلريين . وعندما راح عدد من الجنود البريطانيين الذين جرحوا وأسروا ابان الهجوم النازى على فرنسا ، والذين تم اطلاق

سراحهم عن طريق التبادل « بواسطة » الصليب الأحمر الدولي في عام ١٩٤٣ ، يروون القصص الرهيبة التي جرت في أوروبا المحتلة ، استاءت الدوائر البريطانية الحاكمة من أقوالهم . رحوكم الجندي البريطاني بولى ، لأنه كشف عن حقيقة واقعة ، وهى أن الألمان أعدموا بأمر أحد الضباط ٩٩ جنديا بريطانيا من الأسرى .

ونفى الاحتكاريون الامريكيون علمهم بوجود فظائع نازية . وقد لا يعجب المرء من ذلك اذا عرف أن معدات غرف الغاز التي كان النازيون يستخدمونها في « مصانع الموت » ، كانت من انتاج الشركات الألمانية كشركة سايمنز ، ذات الارتباطات الوثيقة بالاحتكارات الأمريكية والتي تشترك معها في اقتسام الارباح . وكانت « الباصات » المزودة بغرف الغاز ، تصدر عن المصانع الألمانية التي تملكها مؤسستا فورد وجنرال موتورز الامريكيان . ولم يغلق مصرف التسويات الدولية (انترناشيونال سيتلميننس) الذى جعل أصحابه الأمريكيون مقره في مدينة بال السويسرية لتقديم القروض الى ألمانيا بموجب مشروع يونج ، أبوابه طيلة الحرب ، وكان يشتري الذهب من بنك الرايخ الألماني ، وبينه الذهب الذى يستخلصه النازيون من أسنان ضحايا معسكرات الموت . وكان توماس ماكيتريك ، المالى الأمريكى ، مديرا عاما لهذا المصرف .

وتسلمت الاحتكارات الأمريكية والبريطانية أرباحا هائلة ، من الصناعات الألمانية ومن الصناعات فى البلاد التابعة لألمانيا . وبلغت أرباح بنك « رومبىو - أمريكانا » الرومانى فى عام ١٩٤٣ ، نحو ٧٢٦ مليون لى ، ذهبت الى جيوب المساهمين الأمريكيين . كما بلغت أرباح مؤسسة « استرا - رومانا » البريطانية العاملة فى رومانيا نحو ٨٤٠ مليون لى فى نفس العام .

- ٢ -

وأرغمت الانتصارات السوفياتية المذهلة ، تشرشل وروزفلت على الاجتماع فى موعد سابق لما كانا قد قررا من قبل . وعقد هذا الاجتماع فى مدينة كوبيك الكندية بين الحادى عشر والرابع والعشرين من أغسطس من عام ١٩٤٣ . وكان هذا الاجتماع كسابقيه مقتصرًا على الدولتين ، اذ لم تدع الاتحاد السوفيانى للاشتراك فيه . وهكذا كان لابد من أن تنشر الصحافة السوفياتية آراء بلادها فى السير المقبل للحرب . وبين بلاغ

أصدره مكتب الاستعلامات السوفياتى بمناسبة الذكرى السنوية الثانية لنشوب الحرب ، أن الولايات المتحدة وبريطانيا مازالتا تماطلان فى فتح الجبهة الثانية . وأكد البلاغ « أن فتح الجبهة الثانية فى أوروبا فى هذا العام سيعجل بنهاية الحرب ، ويقلل الى حد كبير من الخسائر فى الأرواح فى الجبهة المعادية للهتلرية » (١) .

ونشرت صحيفة البرافدا قبيل افتتاح مؤتمر كويبك مقالا تحت عنوان « الجبهة الثانية » ذكرت فيه أن الحكومتين : البريطانية والأمريكية واصلتا نقض تعهداتهما بفتح الجبهة الثانية . وقالت : ان التأجيل كان ناتجا عن بعض الجماعات ذات النفوذ والتأثير بالرغم من قلة عددها ، بينما كان الشعبان البريطانى والامريكى مشحونين بالتصميم على مواصلة النضال ضد الفاشية الى أقصى الحدود . ومضت الصحيفة تقول : « ولكن هناك جماعات قليلة العدد ، لا ترغب على الإطلاق ، فى أن تنتهى الحرب فى وقت قصير . ولكن يجب ألا يعتد فى مثل هذه القضايا السياسية الكبرى ، بأراء صانعى الأسلحة ، وتجار الحروب الذين يؤثرون مصالحهم الأنانية الخاصة على مصالح الجماهير وعلى مصالح البلاد المحتلة التى تن تحت أقدام هتلر » (٢) .

وعاد مؤتمر كويبك الى البحث فى موضوع الجبهة الثانية . وكانت الدوائر الحاكمة فى بريطانيا والولايات المتحدة متخوفة من الانتصارات التى حققتها الأسلحة السوفياتية . وكانت تخشى أن يؤدى تأخرها عن اللحاق « بالباس » الى القضاء على النظام النازى فى أوروبا المحتلة . وكان الاحتكاريون مذعورين من تزايد الحركات الشعبية فى أوروبا الغربية ، ولذا فقد كان شغلهم الشاغل وضع الخطط لفرض نفوذهم على عالم ما بعد الحرب .

وكان هذا هو الحافز للوفد الأمريكى فى كويبك على الميل الى الاسراع فى فتح الجبهة الثانية على الساحل الشمالى لفرنسا . وكان الامبرياليون الامريكىون متلهفين على فرض النفوذ الأمريكى فى أوروبا الغربية واضعاف مراكز بريطانيا فيها . وظل تشرشل على أى حال ينادى بغزو البلقان . وراح يعلن أن هدفه منع « السوفيات من الاندفاع الى المنطقة ، وهو اندفاع

(١) البرافدا عدد ٢٢ يونيو ١٩٤٣

(٢) البرافدا عدد ٦ أغسطس ١٩٤٣

يضر بمصالح بريطانيا ، وبالتالي بمصالح الولايات المتحدة » (١) .
وكانت خطة تشرشل تشير الى مطامع بريطانيا فى السيطرة على
أوروبا . والابقاء على منافستها لأمريكا بعيدة عن النصف الغربى من القارة .
ورد الناطق الأمريكى فى غضون ذلك بأن الجيش السوفياتى سيستنزف
قواه بسرعة ويترك الميدان مفتوحا سواء فى غرب أوروبا أم فى جنوبها
الشرقى للقوات الانجلو - أمريكية .

لكن دعاة التأجيل مالبتوا أن فازوا ثانية فقد قرر مؤتمر كويبك ،
تأجيل الجبهة الثانية حتى عام ١٩٤٤ ، وأوصى « باستبدالها بحملة على
إيطاليا » .

وتبادل الممثلون الأمريكيون والبريطانيون أيضا الرأى فى كويبك ،
فى مستقبل ألمانيا ، وقد أبلغ أنطونى ايدن ، زميله الأمريكى كوردل هل ،
أن حكومته لا تؤيد فكرة فرض التجزئة على ألمانيا « لصعوبة تحقيق ذلك
قبل كل شئ » وأضاف أنها قد تفضل « فصل المقاطعات الألمانية » عن
بعضها « اذا تم ذلك طوعا لا فرضا » (٢) . وبينت المناقشات أن بريطانيا
كانت « قد أولت تفكيرها لموضوع فصل المقاطعات الألمانية » عن بعضها «
اذا تحقق ذلك بشكل طبيعى » (٣) .

وكانت الحكومة الأمريكية ميالة أيضا الى تجزئة ألمانيا : فقد بين
كوردل هل : أنه « قد لا يكون من المستحيل إعادة تنظيم ألمانيا اقتصاديا ،
بحيث ينمو فيها نظام اللامركزية لمصلحتها ، وبصورة لا واعية » (٤) وقدمت
الحكومة الأمريكية مشروعا لتجزئة ألمانيا أطلق عليه اسم مشروع
مورجنتاو . ومع ذلك فلم يتخذ أى - قرار فى هذا الصدد ، وتقرر تأجيل
المناقشات فيه .

وعالج المؤتمر الذى اشترك فيه تشيان كاي شيك موضوع العمليات
العسكرية فى المحيط الهادى . وبالرغم من عدم اتخاذ قرارات جديدة ،
فقد نصح كاي شيك بأن يحتفظ بقواه ومعداته لمواجهة حرب أهلية . وطلب
جيش الكومنتانج المزيد من الأسلحة . وصدرت الأوامر الى الجنرال

(١) مذكرات كوردل هل . ص ١٢٣٢

(٢) نفس المصدر ص ١٢٣٣

(٣) نفس المصدر ص ١٢٣٤

(٤) نفس المصدر ص ١٢٣٣

ستيلويل بتدريب فرق جديدة للكومنتانج ، واعدادها ، وبتنظيم هجوم ضد اليابان في شمال بورما .

وقامت قوات تشيان كاي شيك بعمليات الهجوم في بورما ، عن طريق قوات حملت في الجو فوق الجبال ، لتهبط الى مسرح العمليات . ولم تكن القيادة البريطانية التي تملك قوات كبسيرة في الهند ، راغبة في اقسام قواتها في بورما المجاورة ، وذلك لأنها كانت قد حزمت أمرها على الاحتفاظ بجيش متأهب للقتال ، لمحاربة حركات المقاومة في المستعمرات التي كانت تعرف هي أنها مصممة على الخلاص من النير الاستعماري . ولاشك في أن محاولات بريطانيا للاحتفاظ بقواتها الاحتياطية حتى نهاية الحرب كانت مشفوعة برغبتها في الاحتفاظ بامبراطوريتها الاستعمارية ، التي تضم أكثر من أربعة عشر مليونا من الأميال المربعة وخمسمائة وخمسين مليونا من الأنفس .

وعارضت الحكومة البريطانية مشروع الهجوم في بورما ، خشية تسرب النفوذ الأمريكي وروس الاموال الامريكية اليها . واقترح تشرشل التخلي عن الهجوم والتركيز على بعض المناطق الأخرى في المحيط الهادى . واضطرت الولايات المتحدة الى اجراء بعض التنازلات ، فقد عين الأميرال البريطاني اللورد مونتباتن قائدا أعلى لقوات الحلفاء في جنوب شرق آسيا والهند والصين . وكان ستيلويل لايزال مسئولاً عن تموينات الصين بموجب قانون الاعارة والتأجير ، ولذا فقد ظل رئيسا لهيئة أركان حرب كاي شيك ، وقائدا للقوات في بورما . واحتفظ كذلك بالاشراف على الطريق الجوى بين الهند والصين .

وأدى الهجوم السوفياتي الظافر الى صياغة الوضع الدولى في شكل جديد . فقد وصلت القيادات الفاشية العليا من سياسية وعسكرية الى شفير الهاوية ، وأخذت تتطلع يائسة للبحث عن الخلاص . وراحت هذه القيادات ترفع من جديد شعار « التعبئة الشاملة » ، وتضاعف الجهود لتحقيق تفسخ في الحلف المناوىء للفاشية . وراحت تنشده الاتصال بالعناصر المؤيدة لهتلر في بريطانيا والولايات المتحدة ، وتأمل يائسة في عقد صلح منفرد مع الدولتين الغربيتين .

وعقد كبار رجال الصناعة الالمان ، وكبار رجال الدولة مؤتمرا في مدينة ستراسبورج في فندق « روتس هاوس » في خريف عام ١٩٤٣ ، أعدوا فيه برنامجا للحفاظ على طاقات ألمانيا الصناعية الحربية ، وعلى كبار

خبرائها العسكريين فى حالة الاستسلام . وقد بنى البرنامج على أساس الافتراض بأن الاختكارات الأمريكية والبريطانية ستسهل تنفيذه . ولم يكن مشروع هملر الا جزءا من هذا البرنامج ، فقد أعد فى العاشر من سبتمبر من عام ١٩٤٣ فى قلعة « بوككر » القريبة من « كوتباس » ، والواقعة على بعد ثمانين كيلومتر من برلين ، حيث تشاور هملر مع المارشالات رونشتادت ومانشتاين ، وبراوختش وفون كلوجيه ، وكلايست . وكان القصد من المشروع الحفاظ على سلامة الصفوة الفاشية وأركان حرب هتلر . وقد تصور اقامة منظمات شبه قانونية ، تعمل بعد الحرب الى أن تكون الحكومتان : البريطانية والأمريكية قد وقعتا حلفا مباشرا مع العسكريين الألمان . وكان هملر والقادة العسكريون الألمان يتصورون فترة مابعد الحرب ، كفترة استراحة قصيرة بين الحربين العالميتين : الثانية والثالثة .

- ٣ -

وانسعت حركة المقاومة فى البلاد التى يحتلها الفاشيون فى آسيا وإفريقيا بسرعة طيلة عام ١٩٤٣ . وكانت الأحزاب الشيوعية تعمل على وحدة صفوف الجماهير من أجل النضال طلبا للحرية والاستقلال الوطنى . وكان الاتحاد السوفياتى ينصر حركات التحرر عند الشعوب التى استعبدها هتلر .

وتعرضت القوى الألمانية الفاشية على هذا النحو لهجمات عنيفة فى مؤخرتها . ونشبت أزمة حادة داخل الكتلة الفاشية بسبب الانتصارات التى حققتها الأسلحة السوفياتية . فقد ترك هجوم الصيف السوفياتى فى عام ١٩٤٣ آثارا عميقة وقوية على الوضع فى إيطاليا ، اذ تم تدمير عشر فرق إيطالية منتقاة تدميرا تاما فى الجبهة السوفياتية ، ولم يعد منها نحو من مائتى ألف ضابط وجندى . وكانت إيطاليا قد خسرت جميع مستعمراتها ، ومنى أسطولها فى البحر الأبيض المتوسط بهزائم مذلة .

ونظم الحزب الشيوعى الإيطالى حركة قوية معادية للفاشية ، وسرعان ماظهرت جبهة وطنية واسعة يتزعمها الشيوعيون . ورفض الحزب الديمقراطى المسيحى الانضمام الى الجبهة الشعبية المضادة للفاشية ، واتخذ موقفا عدائيا ، منها ، شاركه فيها الفاتيكان ، وطلب السابا من شعب إيطاليا الاذعان للفاشين ، وحمل حملة عنيفة على الشيوعيين ، كما ناشد

شعوب البلاد المحتلة الأخرى أن تظل بعيدة عن حركات المقاومة .

واجتمع هتلر وموسوليني في مدينة فيرونا في التاسع عشر من يوليو من عام ١٩٤٣ . وطلب موسوليني من زميله امداده بالجنود والسلاح ليحافظ على مركزه في بلاده . ولكن هتلر كان عاجزا عن تلبية طلبه بسبب اتساع الهجوم السوفياتي . واقترح عليه مشروعا كان يناقض مصالح ايطاليا القومية ، اذ حثه على التخلي عن جنوب ايطاليا ووسطها وتركيز جميع قوات ايطاليا المسلحة في بافيا ، لاقامة خط دفاعي صلب هناك في حالة تعرض البلاد للغزو الانجليزى - الامريكى .

وكانت الرجعية الدولية تعمل في غضون ذلك بشكل محموم ، في اعداد خطة لانقاذ الديكتاتورية الفاشية في ايطاليا . وقد اشترك في اعداد هذه الخطة حكام أمريكا وبريطانيا ، والفاشيكان ، والاحتكاريون الايطاليون . وجاء الى ايطاليا في شهر فبراير من عام ١٩٤٣ ، الكردينال فرانسيس سبيلمان ، قادما من نيويورك بحجة زيارة الفاتيكان . وكانت مهمته أن يمثل دور الوسيط . وكانت الخطة تهدف الى انسحاب موسوليني من الصورة للحفاظ على الديكتاتورية الفاشية ويقول أحد المؤرخين : « وكان الفاتيكان والحلفاء الغربيون يشتركون في الخوف من تغلب القوات النورية في ايطاليا . وهكذا تم الوصول الى اتفاق بين الفريقين يقضى بالابقاء على الهيكل العام للعهد ، بالرغم من الاطاحة بموسوليني ، مع اجراء بعض التعديلات اللازمة » (١) . وتضمنت هذه الخطة أن يصدر ملك ايطاليا الأمر الى موسوليني بالاستقالة ، وأمر آخر باعتقاله .

ونقل موسوليني في الرابع والعشرين من يوليو من عام ١٩٤٣ ، الى المجلس القومى الاعلى للحزب الفاشى تفاصيل ما دار بينه وبين هتلر في اجتماعهما الأخير . وأصر الدوتشى على وجوب الرضى بما طلبه هتلر . ورد المجلس على ذلك بقرار بضرورة استقالة موسوليني ، حصل على أغلبية الأصوات . وتم اعتقال الديكتاتور الفاشى في اليوم التالى . وراح تشرشل يسجل في يومياته بعض الاطراء لموسوليني ، الذى ظل على اتصال به مدة سنوات طويلة (٢) .

ومثلت الاطاحة بموسوليني تطورا في منتهى الأهمية . ووصف .

(١) افرو مانهاتان في كتابه « الكنيسة الكاثوليكية ضد القرن العشرين » لندن ١٩٤٧ ص ١٣٥ .

(٢) تشرشل - الحرب العالمية الثانية - المجلد الخامس ص ٥١ .

لويجي لونجو زعيم الحزب الشيوعي الايطالى ، هذا التطور ، بأنه جاء نتيجة للاضرابات الكبرى التى قام بها الشيوعيون فى معظم صناعات إيطاليا الرئيسية فى ربيع عام ١٩٤٣ . وهكذا ظهرت الطبقة الايطالية العاملة فى مقدمة الصورة كقوة سياسية قوية .

واختير المارشال بادوليو ، وهو فاشى ايطالى آخر ، رئيسا جديدا لوزراء إيطاليا . وأصدر فور تعيينه الأمر التالى : « يجب القضاء على كل حركة بمنتهى القسوة وهى فى مهدها . علينا أن نتخلى عن الأساليب المنسوخة ، فى فرض الحصار ، واصدار الانذارات والتخديرات ، ومحاولات الاقناع . فعلى الجنود أن يشتبكوا بجميع أسلحتهم مع مخالفى النظام ، وأن يطلقوا النيران دون انذار ، وألا يترددوا فى استعمال قذائف المدافع ، وقاذفات الألغام ، تماما كما لو كانوا يحاربون عدوا . وعلى الجنود ألا يطلقوا بأى حال من الأحوال نيرانهم فى الهواء ، اذ عليهم أن يسددوا النيران على الأهداف ، واذا ما ارتكبت فى بعض الأماكن أعمال فردية ضد القوات المسلحة ، يجب اعدام مرتكبيها فورا » (١) .

وحاول الاحتكاريون الايطاليون ، ايها الناس بأن هذا التطور خروج على الفاشية . وكانوا يأملون بذلك فى كسب الشعبية والحيلولة دون مزيد من التظاهرات الجماهيرية . ولكن الاصلاحات التى تظاهر بادوليو بالقيام بها لم تخدع أحدا . ولقد ذكرت صحيفتا الديلى تلجراف والمورنينج بوست البريطانيتان على سبيل المثال أن « وراء الصورة الضخمة التى تظاهرت بها سياسات بادوليو عن طريق تعديل التشريعات الفاشية واصدار قانون انتخابى جديد ، تبرز سياسة جديدة ، وهى الارتقاء فى أحضان النازية » (٢) .

واستؤنفت المفاوضات التى كان هتلر قد بدأها مع موسوليني فى السادس من شهر أغسطس فى بلدة تريفيزو القريبة من البندقية . وقد مثل ايطاليا فى هذه المحادثات الجنرال جواريجليا ، وزير خارجية بادوليو ، والجنرال امبروزيو ، رئيس هيئة أركان حرب الجيش الايطالى ، كما مثل ألمانيا فيها كل من ريبنتروب وكايتل . ولكن ألمانيا كانت عاجزة الآن كما كانت عاجزة من قبل ، عن تقديم المساعدات التى طلبها بادوليو الآن ، والتى كانت صورة لما طلبه موسوليني فى السابق .

(١) روبرتو باتاجليا - نفس المصور السابق ص ٨٥ .

(٢) الديلى تلجراف والمورنينج بوست فى عدد الثانى من أغسطس ١٩٤٣ .

وحاول بادوليو سحق الحركة الشعبية ومواصلة الحرب ، ولكن
الآزمة التي تعرض لها الحزب الفاشي الايطالى ، وتزايد النضال الشعبى من
أجل التحرر مدفوعا بالانتصارات السوفياتية العظيمة ، أرغما حكومة
بادوليو على قطع علاقاتها مع ألمانيا .

وبدأت المفاوضات العسكرية السرية فى مدريد فى الخامس عشر من
أغسطس من عام ١٩٤٣ ، بين الجنرال كاستيلانو ، ممثل إيطاليا وبين
المفاوضين : الانجليز والأمريكان . واستؤنفت المفاوضات فى لشبونة حيث
تم الوصول الى اتفاق للهدنة ، تم التوقيع عليه فى الثالث من سبتمبر ،
من مندوبى إيطاليا ومن ممثلى ايزنهاور الذين كانوا ينوبون عن
الامم المتحدة .

ولم تكن الهدنة الإيطالية التي أعلنت فى الثامن من سبتمبر الا مجرد
اجراء شكلى خالص ، ولم تتضمن الهدنة أى نص يشترط ازالة الفاشية
من إيطاليا ، وكل ما ترتب عليها من نتائج . ولم يشترط اتفاقها أية
تعويضات جزئية تدفعها إيطاليا مقابل الخسائر التي كانت قد أنزلتها
اعتداءاتها بضحاياها . وكل ما نص عليه الاتفاق ، أن تتوقف العمليات
الحربية فورا ، وأن تسلم كورسيكا والأراضي الإيطالية كلها الى الحلفاء
لاستخدامها قواعد للعمليات العسكرية أو لأية أغراض أخرى ، وأن يطلق
سراح جميع الاسرى والمعتقلين من أبناء الامم المتحدة ، وأن ينزع سلاح
الاسطول الإيطالى والقوة الجوية ، وأن يسمح للحلفاء باستخدام المطارات
والموانئ الإيطالية .

وبدأت القسوات الانجليزية والأمريكية فى الثالث من سبتمبر فى
النزول فى جنوب إيطاليا ، ولم تلق أية مقاومة . ويقول ليدل هارت : ان
النزول عند موضع « القدم » فى إيطاليا ، قد سبق بقصف مدفعى هائل
وضخم ، لم تكن له أية ضرورة . أذ « أن الفرقة الألمانية الوحيدة فى
المنطقة كانت قد سحبت باتجاه الشمال منذ عدة أيام سابقة » (١) .

ووقف الشيوعيون فى شمال إيطاليا الذى يضم معظم صناعات
البلاد ، على رأس حركة متزايدة للأنصار . وكانت الحكومتان : البريطانية
والأمريكية تعتقدان أن قيامهما باخماد حركة الأنصار بقواتهما ، يترك
آثارا دولية ضارة ، ويثير السخط حتى فى بريطانيا والولايات المتحدة .
ولذا فقد قررتا أن تتركاه لهتلر تولى هذا الأمر .

(١) ليدل هارت - نفس المصدر . ص ٣٠٣

وأدت الاجراءات البطيئة التي اتخذتها القوات الانجليزية والأمريكية ، فى إيطاليا ، الى اعطاء النازيين فرصة غزو إيطاليا الشمالية والوسطى . وأصدرت القيادة الانجليزية - الأمريكية أمرا الى الانصار الإيطاليين بوقف المقاومة وتسليم أسلحتهم الى النازيين ، والعودة الى بيوتهم « الى أن يتحسن الجو » . ولكن الوطنيين الإيطاليين صمدوا فى الميدان . ويقول روبرتو باتاجليا فى تاريخه لحركة المقاومة الإيطالية : ان أسرى الحرب من رجال الجيش السوفياتى من الجنود المجهولين الذين أعطوا اشارة العصيان وماتوا فى المعركة التى دارت على مقربة من سانتا ماريا كابوافيتير ، وكذلك الرجال المعروفين اليوم ، انضموا الى حركة الأنصار دون تردد . وتولى رائد سوفياتى قيادة وحدة سوفياتية فى لواء باولو براشيني فى مقاطعة كوينيو . « وهو يذكر اسم شخص من الأنصار يدعى فيدار ، ويصفه بأنه كان من « أشجع المناضلين فى حركة الأنصار فى ليجوريا » (١) .

وكان فيدار بويتان قد نال الميدالية الذهبية من الحكومة الإيطالية لشجاعته ، وهى أرفع وسام فى البلاد . وقد ثبت فى عام ١٩٦٢ أن اسم هذا الرجل الكامل هو فيودور أندريا نوفيتش بوليتايف . وكان قبل الحرب يعمل حدادا فى مزرعة تعاونية فى مقاطعة سكوبينو السوفياتية فى منطقة ريزان . وقد منح فيودور بوليتايف لقب « بطل الاتحاد السوفياتى » .

ولم يعمل الحلفاء على منع ألمانيا من اطلاق سراح موسوليني الذى سارع الى انشاء حكومته العميلة التى أسماها « جمهورية سالو » فى المنطقة التى يحتلها الالمان فى إيطاليا ، والتى استمدت اسمها من بلدة سالو الإيطالية التى أصبحت عاصمتها .

ويقول باتا جليا . . . « ولم تكن جمهورية سالو نتيجة تطورات إيطالية داخلية . ولذا لا يمكن مقارنتها بالحكم الفاشى السابق . فقد ولدت هذه الحكومة فى ألمانيا ولم تكن أكثر من حكومة أخرى من الحكومات «الدمى» التى أقامها النازيون فى أوروبا » (٢) .

وأعلنت حكومة بادوليو فى الثالث عشر من اكتوبر من عام ١٩٤٣ الحرب على ألمانيا . وأصدر الاتحاد السوفياتى والولايات المتحدة وبريطانيا فى اليوم نفسه اعلانا رسميا اعترفوا فيه بإيطاليا دولة محاربة الى جانبهم .

١٥ (١) روبرتو باناحليا - نفس المصدر ص ٣٢٥

١٥ (٢) نفس المصدر ص ١٥٠

وكان خط الجبهة الآن يجتاز شبه الجزيرة الإيطالية الى الجنوب من نابولي . وظلت العمليات الانجليزية - الأمريكية تسير ببطء ملحوظ . ويفول تقرير رسمى : ان الحملة منلت تقدما بطيئا ومؤلما فى أرض وعرة قاسية . ومع ذلك فقد كانت القوات الانجليزية - الأمريكية الكبيرة والحسنة التدريب لا تواجه الا عشر فرق ألمانية .

وكتب الجنرال النازى كيسيلرنج الذى كان يتولى قيادة القوات الألمانية فى إيطاليا فيما بعد يقول : « كانت الانتصارات الفعلية التى حققها الحلفاء بالرغم من الأوضاع المواتية لهم ، طفيفة الى حد يثير الدهشة » (١) .

وبالرغم من احتلال السلطات البريطانية والأمريكية للأقسام الجنوبية من إيطاليا ، فانها لم تقم بأى عمل لالغاء القوانين الفاشية فيها . وقد تولت الادارة الانجلو - أمريكية العسكرية السلطة فى البلاد ، ولجأت الى الافادة من خدمات الفاشيين الإيطاليين . وحسرت السياسة الانجليزية - الأمريكية فى جنوب إيطاليا النقيب عن أن الامبرياليين البريطانيين والأمريكان كانوا يريدون فرض اداراتهم على الشعوب الأوروبية ، ودوس حقوق هذه الشعوب القومية وسيادتها . وكان من الواضح بالنسبة الى الاجراءات التى انبعت فى إيطاليا ، أنهم كانوا يميلون الى الديكتاتورية الفاشية . ويفول باتاجليا فى كتابه : ان تشرشل كان يريد إيطاليا « هادئة » ، أى أن تكون عاجزة عن العمل . وكان فى حاجة الى هذه الورقة الرابحة فى لعبته الدولية الهادفة الى استخدام إيطاليا كنقطة ونوب على البلقان . (٢)

ولكن استسلام إيطاليا مثل تطورا دوليا فى منتهى الأهمية . فقد أخرجت الانتصارات السوفياتية إيطاليا من الكتلة الفاشية ، وحطمت المحور الفاشى . وكان استسلام إيطاليا متلا لا بد أن تحذو حذوه الدول الأخرى من حليفات ألمانيا ، اذ أنها كانت البداية فى انهيار الكتلة كلها .

وأدى الأثر الدولى الذى خلفته الانتصارات السوفياتية أيضا ، الى قيام ثورة ناجحة فى كورسيكا . وبدأت الثورة فى النام من سبتمبر من عام ١٩٤٣ ، بقيادة الجبهة الوطنية الكورسيكية . وتولى قيادة الثوار فى الجزيرة فرانسوا فيتورى الشيوعى والعضو السابق فى اللواء الدولى

(١) موازنه القوى فى الحرب . ص ٧٧

(٢) باتاجليا - نفس المصدر - ص ٢٣٩

الرابع عشر فى أسبانيا • وانتهى القتال العنيف الذى استمر نحو من شهر ، الى هزيمة مخزية لحقت بقوة ضخمة للعدو كانت تعد (١١٥) ألف ضابط وجندى • ومن الطريف أن نذكر أن عدد سكان كورسيكا كلها ، بما فيهم الأطفال ، لم يكن ليربو على ثلثمائة ألف • ويتبين من هذا أن القوات الفاشية الحسنة المعدات فى كورسيكا كانت معادلة فى عددها للقوات الألمانية والايطالية التى ظلت القوات البريطانية والأمريكية تقاتلها سبعة شهور فى افريقيا الشمالية •

وأقيم مجلس لتولى الحكم فى كورسيكا ، كما أنشئت حكومات بلدية بقيادة الشيوعيين فى مناطق الجزيرة • وهكذا كانت كورسيكا أول مقاطعة فرنسية يتم تحريرها من الاحتلال

مؤتمر طهران

- ١ -

أدت انتصارات الأسلحة السوفياتية في عام ١٩٤٣ الى اقتراب نهاية الحرب بصورة ملحوظة . وكان على السياسة الخارجية السوفياتية أن تركز على المهام التي تواجهها ، وفي مقدمتها أعداد الترتيبات الديمقراطية لعالم ما بعد الحرب . وعلنت الحكومة السوفياتية المبادئ الأساسية لهذه الترتيبات على النحو التالي :

١ - تحرير شعوب أوروبا من الغزاة الفاشيين ، ومساعدتهم في إعادة بناء دولهم القومية ، وهي الدول التي كان المستعبدون النازيون قد جزءوها .

٢ - منح الشعوب المحررة في أوروبا حقوقها كاملة ، وحريتها في تقرير أنظمة الحكم التي تريدها .

٣ - اتخاذ الاجراءات الكفيلة بانزال العقوبة بجميع المجرمين الفاشيين المسؤولين عن الحرب وعن الآلام التي تحملتها الشعوب ، والاقتصاص منهم على جميع الجرائم التي اقترفوها ، مهما كانت البلاد التي سيحاولون اللجوء اليها بعد الحرب .

٤ - اقامة نظام في أوروبا ، يستبعد كلية احتمال قيام المانيا بأى عدوان جديد .

٥ - اقامة تعاون اقتصادى وسياسى وثقافى دائم بين شعوب

أوروبا ، يستند الى الثقة والعون المتبادلين ، لتمكينها كلها من إعادة بناء اقتصاداتها وحضاراتها التي دمرها الألمان .

وسارت الحكومة السوفياتية على سياسة تعمل على تحقيق هذه المبادئ العادلة ، ووضع الترتيبات الديمقراطية لعالم ما بعد الحرب . وكانت الطبقات الحاكمة في بريطانيا والولايات المتحدة قد أخذت تحسر النقاب شيئاً فشيئاً عن خططها الامبريالية . وقد ضايقتهما حركات التحرر الوطني فشرعت في توسيع هجماتها على الوطنيين في البلاد التي تحتلها ألمانيا .

وواصلت هذه الطبقات تأجيل فتح الجبهة الثانية في أوروبا في نفس الوقت الذي لم تنقطع فيه عن دسائسها في البلقان . وكان الامبرياليون الأمريكيون يعملون ليل نهار على تحقيق سيطرتهم على العالم . واستمرت عمليات تطوير أسلحة الجرائم والأسلحة النووية في الولايات المتحدة في منتهى السرية . ودرس الممثلون الأمريكيون والبريطانيون في مؤتمر كوبيك احتمال استخدام الاسلحة الذرية . وأنفقت الحكومة الأمريكية الكثير من موازنتها ، على اقامة القواعد البحرية الأمريكية في جميع أرجاء العالم . وتوسيع قواها البحرية والجوية لتحقيق « مشاريعها » في السيطرة على العالم .

وحافظت الاحتكارات الأمريكية طيلة الحرب على علاقاتها الوثيقة بالاحتكارات الألمانية . وتضمنت قائمة الشركات الأمريكية التي ساعدت ألمانيا النازية أثناء الحرب ٢٣٩ شركة من أقوى الاحتكارات الأمريكية (١) .

وعقدت الحكومتان : الأمريكية والبريطانية في شهر سبتمبر من عام ١٩٤٣ اتفاقاً سرياً حول شروط الاستسلام التي ستفرض على الحكومة الفاشية في المجر ، وقد وضعتا نصب عيونهما ، انقضاء العهد الرجعي والحفاظ عليه ليعمل في خدمة الدولتين الغربيتين . وكان من المتفق عليه أن ينفذ هذا الاتفاق بعد نزول القوات الانجليزية - الأمريكية في البلقان (٢) .

(١) هوارد واطسون امبروستر « صلح الخيانة - الصبغات الألمانية والخداع الأمريكي »

نويويورك - بشهيرست بريس ١٩٤٧

(٢) راجع كتاب جي . اف . مونجمورى عن « المحرر ، الدولة الناعسة برعم أنفها »

نويويورك ١٩٤٧

وعقد تشرشل في خريف عام ١٩٤٣ سلسلة من المؤتمرات . مع ايرنست بيغن الزعيم العمالي البريطاني وجان سمطس ، رئيس وزراء اتحاد جنوب افريقيا في تلك الايام . وكانت المباحثات تدور في هذه المؤتمرات حول اقامة كتلة غربية مناهضة للاتحاد السوفياتي . وراح سمطس في الخامس والعشرين من نوفمبر من ذلك العام يدافع عن مثل هذه الكتلة في جلسة سرية عقدها البرلمان البريطاني . وكانت المفاوضات التي تدور سرا تشمل حكومات بلجيكا وهولنده ولكسمبورج وفرنسا المهاجرة الى لندن .

وكانت المؤتمرات التي تعقد لهذه الغاية منفصلة في طبيعتها ، فقد كان المؤتمرون حريصين على سرية مخططاتهم المعادية للديمقراطية والاتحاد السوفياتي ، وكانت تصور أمام الرأي العام ، كاجراءات تمهيدية لابد منها لفتح الجبهة الثانية . وكتبت صحيفة التايمز اللندنية بعد مؤتمر كويبك نقول : « تقع أهمية قرارات كويبك ، في مغازيها ، وهي أن في الامكان مواصلة الضغط العالمي على ضوء استراتيجية تهدف أولا الى صرع هتلر ، مع الاحتفاظ بالقوة الكافية لشن « مشاريع » جديدة في الشرق الاقصى » (١) .

وقد نشأ صراع عنيف بين قادة الولايات المتحدة وبريطانيا حول مبادئ الاستراتيجية . وكتب ابنزهاور في يومياته : « أجد نفسي منهكا في النضال من أجل ضمان تبني مفهوم مشترك للأهداف الاستراتيجية من جميع المعنيين . فكل انسان مغرق في الاهتمام بالقضايا الصغيرة الخاصة التي تهمه » (٢) .

وكتب رالف انجرسول يقول : « يبدو أن هناك حديثا مستمرا لا ينقطع عن العقبات ، دون أن يكون ثمة حديث عن طريق تنفيذ الأمور . وكان استفزاز « قصورها الذاتي » أشبه بذلك الانسان الذي يضرب بقبضته كيسا منتفخا من السماد الرطب ، اذ أن الكيس يندفع الى الداخل تحت وطأة القبضة ، ثم يهتز بلطف ، ولكن عندما تخرج القبضة ، يعود الكيس الى شكله ، الممتلئ الاول ، وكأنه لم يمس . وكل ما في الامر ان الانسان يحس بأن الغبار قد لحق به » (٣) .

(١) عدد صحيفة التايمز في ٢٧ أغسطس ١٩٤٣ .

(٢) ماتلوف وستبل . نفس المصدر ص ١٥٦ .

(٣) رالف انجرسول - نفس المصدر ص ١٢ .

وكانت سياسة تأجيل الجبهة الثانية تثير السخط عند الناس وكانت الجماهير تتحدث أيضا وبصورة واسعة عن هذه الطريقة الفردية في عقد المؤتمرات التي يستبعد الاتحاد السوفياتي منها . وقد قابلت الجماهير في بريطانيا والولايات المتحدة قرارات مؤتمر كوبيك بكثير من التحفظ الملحوظ . وكان الكثيرون يقولون : « ان هذه المؤتمرات ستظل دون جدوى طالما ان مقعد الاتحاد السوفياتي فيها شاغر » .

وكان من المستهجن أن يظل أعضاء التحالف الانجليزى - السوفياتي - الأمريكى ضد الفاشية ، دون أى بحث مشترك لمشاكل الحرب سنوات طويلة . وكان اللوم في ذلك يوجه الى الولايات المتحدة وبريطانيا وحدهما . فقد أعلنت الحكومة السوفياتية استعدادها للبحث في القضايا المتعلقة بالحرب واتخذت الخطوات العملية الفعلية لتحقيق ذلك .

وكانت الحكومتان : البريطانية والأمريكية رغبة منهما في خلق الانطباع بأنهما لا تعارضان في المباحثات المشتركة ، تصدران اقتراحات متكررة بين الفينة والفينة لعقد مؤتمر ثلاثى . ولكنهما لم تكونا جادتين في أى من هذه الاقتراحات .

فقد اقترح الرئيس الأمريكى على سبيل المثال في السادس عشر من ديسمبر من عام ١٩٤١ . عقد مؤتمر في شونكينج يضم ممثلى الصين والاتحاد السوفياتي وبريطانيا وهولنده ، والولايات المتحدة في موعد لا يبعدو السابع عشر من الشهر نفسه ، وأن تنقل النتائج الى الحكومات المعنية قبل العشرين من ديسمبر . وردت الحكومة السوفياتية أن من المتعذر عقد مثل هذا المؤتمر في مثل هذه المهلة القصيرة . وطلبت الحكومة السوفياتية بعض المعلومات عن الهدف من المؤتمر (١) . ولكن الحكومة السوفياتية لم تتلق ردا على هذه الرسالة .

وعادت الحكومتان : البريطانية والأمريكية فاقترحتا في وقت لاحق عقد مؤتمر ثلاثى لرؤساء حكومات بريطانيا والولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، بالرغم من أن الفائدة كانت ستكون أكبر لو أن القضايا العملية قد بحثت بين الوزراء المعنيين والخبراء العسكريين في الدول الثلاث . واقترحت عدة أماكن لعقد المؤتمر ، لم يكن فى وسع الاتحاد السوفياتي قبولها نظرا لبعدها ، وبينها فيربانكس في الاسكا ، والقاهرة

والخرطوم وأسمره في الارتيريا ، وبغداد وأنقرة . واعترف ونستون تشرشل في رسالة بعث بها الى رئيس وزراء الاتحاد السوفياتى في التاسع عشر من يونيو من عام ١٩٤٣ ، بأن الحكومة السوفياتية كانت على حق في رفضها مثل هذه الدعوات . وراح بعد ذلك يقترح ميناء سكايافلو ، البحرى في شمال اسكوتلندة (١) .

ولكن الانتصارات العسكرية التى حققها الاتحاد السوفياتى أرغمت الحكومتين : البريطانية والأمريكية على بحث المشاكل الدولية اأرئيسية بالاشتراك مع الاتحاد السوفياتى . وأصبحت موسكو في النصف الثانى من عام ١٩٤٣ مكان المؤتمرات التى عقدها ممثلو الاتحاد السوفياتى وبريطانيا والولايات المتحدة ، والتى أقامت الدليل الملموس على أن في الامكان تحقيق التعاون الدولى في قضايا الحرب واعادة البناء بعدها ، بين البلاد ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة .

وركز مؤتمر وزراء خارجية الدول الثلاث الذى عقد في موسكو بين التاسع عشر والثلاثين من اكتوبر من عام ١٩٤٣ اهتمامه في موضوع التعاون العسكرى بين الدول العظمى الثلاث . وأصر الاتحاد السوفياتى على ضرورة الاسراع في تحقيق النصر على ألمانيا الهتلرية والدول التابعة لها . ولم يكن في وسع الناطقين : الأمريكى والبريطانى أن يقدم أية حجج سليمة للاعتراض على الاقتراحات السوفياتية . وذكر البلاغ الذى صدر بعد المؤتمر أن الحكومات الثلاث أقرت أن هدفها الاول الاسراع في انتهاء الحرب .

ولا شك في أن القرار الذى اتخذ بتحقيق التنسيق العسكرى بين الدول الثلاث قد عزز التعاون الدولى ، وسهل الطريق أمام الجهود الدبلوماسية السوفياتية للاسراع في فتح الجبهة الثانية في أوروبا . وقد التزمت الدول المشتركة في المؤتمر ، بالتعاون على الصعيد الدولى بعد انتهاء الحرب . وذكر البلاغ الذى صدر ، أن من الضرورى بالنسبة للدول المعنية ، « وتمشيا مع مصالحها القومية ، ولمصلحة جميع الشعوب المحبة للسلام ، أن يستمر التعاون الوثيق الراهن في تسيير الحرب ، في الفترة التى تلى انتهاء العمليات العسكرية ، اذ أن هذا التعاون هو الوسيلة الوحيدة للحفاظ على السلام ، ولتحقيق الرفاه السياسى والاقتصادى والاجتماعى لشعوب هذه الدول » (٢) .

(١) نفس المصدر - المجلد الاول - ص ١٣٤ - ١٣٥ .

(٢) السياسة الخارجية السوفياتية - المجلد الاول - ص ٢٤٠ .

وتم التوقيع في لندن في التاسع عشر من أكتوبر من عام ١٩٤٣ ،
على اتفاق ثالث لتمويل الاتحاد السوفياتي . وقد بينت الحكومة السوفياتية
في المفاوضات التي دارت أن عمليات الشحن للاتحاد السوفياتي تناقصت
بدلا من أن تتزايد في عام ١٩٤٣ ، وهو أمر جد مستغرب ، بالنسبة الى
وقوع الهجوم السوفياتي العظيم في هذا العام . ونص الاتفاق الجديد على
مزيد من التمويلات للاتحاد السوفياتي .

وعالج مؤتمر وزراء خارجية الدول الثلاث في موسكو بكير من
الاطالة ، مشاكل أوروبا الشرقية . وطلب أنطوني ايدن تنفيذا لتعليمات
ونستون تشرشل ، موافقة الحكومتين السوفياتية والأمريكية على قيام
بريطانيا بمساعدة تركيا بغزو الأجزاء الجنوبية الشرقية من أوروبا . ورد
المندوب السوفياتي بأن الخطة البريطانية ليست نابعة عن الاعتبارات
العسكرية ، وانما تهدف الى غايات نتعارض كل التعارض مع رعبات
النسوع ومصالحها . وأصر الممثل السوفياتي على ضرورة فتح الجبهة
الثانية في أوروبا .

وأصر وزيرا خارجية بريطانيا والولايات المتحدة على الحكومة
السوفياتية أن تستأنف علاقاتها الدبلوماسية مع الحكومة البولندية المهاجرة
المعادية ولم يكن دافع الوزيرين الى هذا الاصرار ، الرغبة في تحسين
العلاقات البولندية - السوفياتية ، وانما كانا يريدان أن تتولى الحكومة
المهاجرة في لندن ، الحكم في بولنده المحررة بعد انتهاء الحرب . ورفض
الجانب السوفياتي الاستجابة لهذا الطلب .

وتقدم الوفدان : البريطاني والأمريكي باقتراح لاقامة اتحاد
كونفيدرالى لدول الدانوب . وذلك بالرغم من الخلافات الخطيرة القائمة بين
حكومتيهما حول هذا الموضوع بالذات . وكان هذا الاتحاد الدانوبي الذي
وضعت الاحتكارات الأمريكية والفاتيكان مشروعه ، يقضى بتوحيد بلاد
جنوب شرق أوروبا بزعامة النمسا ، أى بعودة الامبراطورية النمساوية
المجرية القديمة الى الوجود بصورة مصطنعة .

وكان حكام الولايات المتحدة منذ عام ١٩٤٢ ، يعملون بالتعاون
مع الفاتيكان على وضع المخططات لاعادة ملكية أسرة هابسبورج الى الوجود ،
واقامة دولة كاثوليكية في قلب أوروبا . وكان المشروع يقضى بأن تضم
هذه الدولة . النمسا والمجر وبافاريا وتشيكوسلوفاكيا ويوجوسلافيا
وغيرها وكان المقصود من اقامتها أن تكون أداة للسياسة الامبريالية
الأمريكية في أوروبا . ويقول مؤرخ بريطاني : ان الرئيس روزفلت كان

يعتقد دائما بأن حل الملكية النمساوية - المجرية كان من أسوأ الأخطاء التي ارتكبت بعد الحرب العالمية الأولى . وقد وضع مخطط الاتحاد الكونفيدرالى للدانوبى ليوحد منطقة الدانوب، ولم يكن همه الأساسى إعادة آل هابسبورج الى الحكم وان « كان لا يعارض فى عودتهم ، اذا كانوا يذلون له مهمة اقامة الاتحاد الذى يريده » (١) .

ومن الحق أن يقال : ان الحكومة الأمريكية لم تكن تعارض أطماع آل هابسبورج فى العودة الى الحكم ، وانما كانت تشجعهم بمختلف السبل والوسائل . ففي عام ١٩٤٠ استقبل الرئيس روزفلت أوتو هابسبورج، المطالب بعرش النمسا والمجر فى البيت الأبيض . وكانت وزارة الحربية الأمريكية تتصل بأوتو بصورة رسمية ، ونصحته فى نوفمبر من عام ١٩٤٢ بتأليف لواء نمسوى للعمل فى جنوب شرق أوروبا . ولكن الفكرة لم تتحقق على الاطلاق ، ومع ذلك فقد استمرت الاتصالات مع أمراء أسرة هابسبورج ومع الملكيين من النمساويين والمجريين . وكان الفاتيكانيان شديد الحماسة لعودة آل هابسبورج الى الملك . وقد بحث الكردينال فرانسيس سييلمان هذا الموضوع مطولا مع البابا بيوس الثانى عشر ، تنفيذاً للتعليمات التى تلقاها من حكومته أثناء اقامته فى رومه فى شهر فبراير من عام ١٩٤٣ .

ولكن الحكومة الأمريكية كانت تفكر فى مشروع آخر بالنسبة الى النمسا ، وهو الابقاء عليها جزءا من ألمانيا . وقد حسر الدين دالاس النقاب عن هذا المشروع فى حديث له مع الأمير هوهينلوهمى . ومع ذلك فقد كان المشروعان يهدفان الى غاية نهائية واحدة ، وهى اقامة قوة فى أوروبا يمكن استخدامها فى النهاية لتحقيق مزيد من التوسع لمصلحة الاحتكاريين الأمريكين . وكانت إعادة الدولة النمساوية - المجرية تعتبر أداة تستخدم ضد الاتحاد السوفياتى ، وحصنا للامبريالية يوجه لمحاربة الديمقراطية فى أوروبا ، ومركزا لنشر الكنلكة فى أوروبا الوسطى والجنوبية الشرقية .

وبينت الحكومة السوفياتية أن اختيار أنظمة الحكم السياسية ، قضية تتعلق بشعوب البلاد المعنية نفسها . وهى وحدها القادرة على تقريرها ، وأن أى قرار ، يتخذ بدون رأيها ، لا يمكن قبوله . وأضافت الحكومة السوفياتية أن من الخطر والاجحاف اقامة « اتحادات » مصطنعة

(١) جى . اف . مونتجوميرى - نفس المصدر ص ٢١٥

عن طريق التدخل الأجنبي والضغط الخارجى • واقترح الاتحاد السوفياتى
اصدار اعلان عن استقلال النمسا ، وتبنى المؤتمر هذا الاقتراح •

وقد أعرب الاعلان عن رغبة الحكومات الثلاث فى « اعادة بناء النمسا
المستقلة الحرة ، التى يجد فيها الشعب النمساوى نفسه ، وشعوب الدول
المجاورة التى تواجه نفس المشاكل ، الأمن السياسى والاقتصادى الذى
يعتبر الأساس الوحيد لدوام السلام » (١) •

وقد وضع هذا الاعلان أساس اعادة النمسا الى الوجود ، وألغى
ضمها الى ألمانيا الذى كانت الدولتان الامبريالتان قد اعترفتا به قبل
الحرب ، وقد صمد الاتحاد السوفياتى كل الصمود ، تمسكا منه بالمبادئ
التي تضمنها هذا الاعلان ، دفاعا عن حقوق النمسا الوطنية بعد انتهاء
الحرب ، ضد الخطط الانجلو - أمريكية والألمانية الغربية لتحقيق ضمها
من جديد الى ألمانيا •

وقال الاعلان: « وعلى النمسا أن تتذكر أن عليها مسئولية لا تستطيع
الخلاص منها ، عن اشتراكها فى الحرب الى جانب ألمانيا الهتلرية ، وعندما
يتم وضع التسوية النهائية ، سيؤخذ بعين الاعتبار ، مدى اسهامها فى
تحرير نفسها » (٢) •

وتقدم الوفد الأمريكى الى مؤتمر موسكو باقتراحات عن المشكلة
الاستعمارية • وكان حكام أمريكا جد متلهفين على الظهور بمظهر المدافع
عن شعوب المستعمرات ، وذلك لنسف السلطة التى يفرضها الامبرياليون
البريطانيون والفرنسيون على الشعوب الشرقية، ولقرض الصورة الجديدة
من سيطرتهم الاستعمارية على هذه الشعوب • واقترحت الولايات المتحدة
اصدار قرار يعد جميع الشعوب بالاستقلال • وقد لقي هذا الاقتراح
التأييد من جانب الوفد السوفياتى ، اذ أنه رأى أن فى وسع الشعوب أن
تفيد من هذا الاقتراح ، لمصلحة تحريرها من جميع صور الحكم الاجنبى •
ولكن الوفد البريطانى عارض فى بحث المشكلة الاستعمارية ، وتقرر
اغلاق البحث فى الموضوع •

وبحث وزراء الخارجية الثلاثة فى طرق ضمان الأمن الجماعى بعد
الحرب ووسائله ، وأثاروا موضوع انشاء منظمة دولية تتولى الحفاظ على

(١) السياسة الخارجية السوفياتية - المجلد الاول - ص ٢٤٣

(٢) السياسة الخارجية السوفياتية - المجلد الاول ص ٢٤٣ •

للسلام . وأظهرت الحكومة الأمريكية اهتماما بالغا بالفكرة . وكان الكونجرس الأمريكي قد أقر قبل شهر من انعقاد المؤتمر ، مشروع قرار فولبرايت ، الذى نادى بخلق جهاز دولى صالح ، ذى صلاحيات كافية لضمان وجود سلام عادل ودائم بين دول العالم ، وبإسهام الولايات المتحدة فى هذا الجهاز عن طريق اجراءاتها الدستورية (٢) . وكانت الولايات المتحدة تأمل فى أن تلعب الدور الأول فى هذا الجهاز المقترح . ولكن الحكومة البريطانية لم تكن راغبة فى أن تتخلى بأية حال من الأحوال للولايات المتحدة عن المركز الذى كانت تحتله فى عصبة الأمم . وكان تشرشل قد كتب الى ايدن فى مذكرة بعث بها اليه قبل عقد مؤتمر موسكو بأن عليه أن يتمسك بقوة بنظام عصبة الأمم السابقة « (١) » .

وأقر مؤتمر موسكو اعلانا وقعته الدول الثلاث عن موضوع الامن الجماعى . وبين الاعلان الحاجة الماسة الى « اقامة منظمة دولية عامة فى أقرب تاريخ ممكن للحفاظ على سلام العالم وأمنه ، وأن تقوم على مبدأ المساواة السيادية لجميع الدول المحبة للسلام » (٣) .

وكانت لهذا الاعلان أهمية ضخمة . فهو لم يعترف بالحاجة الى اقامة منظمة للأمم المتحدة فحسب ، وانما حدد أيضا المبادئ الأساسية للتعاون الدولى بين الدول المستقلة الراغبة فى الحفاظ على سلام العالم وأمنه .

وذكر البند السادس من الاعلان أن على الحكومة المعنية بعد انتهاء العمليات الحربية ألا تستخدم قواتها المسلحة فى أراضى الدول الأخرى الا لتحقيق الأهداف التى نص عليها هذا الاعلان وبعد اجراء المشاورات المشتركة (٤) .

ولكن الولايات المتحدة وبريطانيا تنكرتا تنكرا ضخما لهذا الاعلان . عن طريق اقامة قواعد عسكرية ونشر قواتهما فى الخارج ، للتدخل فى الشؤون الداخلية للبلاد الأخرى . ولعل أبلغ تنكر لهذا الاعلان تمثل فى العدوان الأمريكى على شعب كوريا المحب للسلام ، وهو العدوان الذى اشتركت فيه بريطانيا ، الدولة الثانية الموقعة على الاعلان .

وأوضح الاستسلام الإيطالى أن الفاشية الألمانية قد خسرت الحرب ،

(١) سجلات الكونجرس . المجلد ٨٩ القسم السادس - ١٩٤٣ . ص ٧٧٠٦ .

(٢) تشرشل - الحرب العالمية الثانية - المجلد الخامس . ص ٢٥١ .

(٣) السياسة الخارجية السوفياتية - المجلد الاول - ص ٢٤٢ .

(٤) نفس المصدر .

وأن « النظام الجديد » الذى أقامته أصبح على شفير الانهيار . ولكن السياسة المناهضة للديمقراطية التى انبعتها بريطانيا والولايات المتحدة فى المناطق الإيطالية التى تم تحريرها من الألمان كانت مؤذية أشد الأذى للتحالف المناوئ للفاشية . فخذ حسرت هذه السياسة النقاب عن أن الدولتين تميلان الى اتباع سياسات مستقلة واقتרכת الحكومة السوفياتية للحيلولة دون هذه السياسات المستقلة ، ولضمان التنسيق ، اقامة هيئة ثلاثية مناسبة . وقرر مؤتمر موسكو اقامة مجلس استشارى أوربى يكون مقره لندن للبحث فى المشاكل الأوروبية ، ولاعداد التوصيات المشتركة وتم انشاء مجلس استشارى لاطاليا ضم الاتحاد السوفياتى والولايات المتحدة وبريطانيا ولجنة التحرر الوطنى الفرنسية ، ثم ضمت اليه اليونان ويوجوسلافيا .

وتبنى المؤتمر اعلانا عن ايطاليا . وقد تضمن هذا الاعلان بعض عناصر التوفيق أو الحلول « الوسط » وان مثل على أى حال نصرا للقوى الديمقراطية . فقد حدد الاعلان مجموعة من الاجراءات اللازمة لتحويل ايطاليا الى الديمقراطية ، وازالة جميع الآثار المتبقية فيها من انفاشية .

ويتحدث بتاجليا عن الاعلان فيقول : « كانت الوثيقة فى منتهى الأهمية . لأنها أوضحت أكثر القضايا دقة وتعقيدا حول مستقبل ايطاليا فقد اعترفت أولا ، اعترافا صادقا بالكفاح الذى يخوضه أكثر قطاع فاعلية من الشعب الايطالى ضد الفاشية لتحقيق السلام . . ورفضت الفكرة القائلة بأن الشعب الايطالى كان مطوعا للفاشية ، وكان قد رحب بمغامرات العهد الفاشى ، طيلة الوقت الذى كانت فيه هذه المغامرات تحقق نجاحا . ونفت الوثيقة ، الفكرة الغربية الأخرى التى تقول بأن الأفراد الواعين سياسيا والمتنورين هم الذين قاوموا الفاشية وحدهم . ولقد تحدثت على النقيض من ذلك ، وبكثير من الصحة والصدق عن المقاومة التى أبدتها ويديها قطاع كبير من السكان . وكان من المفهوم أن هذا القول يعنى الطبقة العامة ، وان كانت الكياسة الدبلوماسية قد تطلبت الحذر فى عدم التصريح . ولا شك فى أن هذا الاعتراف ، قد قرر حق هذا القطاع الأكثر فاعلية من الشعب فى أن يكون ممثلا فى الحكم ، وأن يكون له رأيه فى قيادة نضال البلاد فى الحاضر والمستقبل أيضا (١) .

وتم إلغاء حكومة الحلفاء العسكرية فى البلاد المحتلة ، فى ايطاليا .

(١) بتاجليا - نفس المصدر ص ١٦٢

كما اعتبر سابقة ساعدت الشعب الفرنسى فى تجنب نفس المعاملة بعد نزول القوات الانجليزية - الأمريكية فى فرنسا . وتم فى الحادى عشر من فبراير من عام ١٩٤٤ ، اقامة حكومة ايطالية فى جنوب البلاد .

واتخذ المؤتمر قرارا بإصدار اعلان عن مسئولية الیهتلرین عن الفظائع التى ارتكبوها . وكان ذلك بإصرار من الاتحاد السوفياتى . وقد أكد الاعلان أن مجرمى الحرب سيعاقبون من الدول التى ارتكبت الجرائم فى حقها ، كما سيحاكم كبار هؤلاء المجرمين بصورة مشتركة أمام الدول المتحالفة . وحذر الاعلان « من » أن مجرمى الحرب لن ينجوا من القصاص ، اذ أن الدول المتحالفة الثلاث « ستتتبعهم الى أقصى أطراف الدنيا ، وستسلمهم الى متهميهم حتى يأخذ العدل مجراه » (١) .

ومثل هذا القرار ضربة شديدة لا لمجرمى الحرب الألمان وحدهم بل ولحماتهم من الذين كانوا يؤيدونهم .

ولا شك فى أن مؤتمر وزراء الخارجية فى موسكو ، كان معلما أساسيا من معالم الطريق فى تاريخ الحلف المناوىء للفاشية . فقد بين أن التعاون الدولى ممكن ونافع معا . وسهلت قراراته طريق نضال التقدميين لتحقيق الاجراءات الديمقراطية لعالم ما بعد الحرب . ولا شك فى أنها قوت أيضا من التحالف الانجليزى - السوفياتى الأمريكى ، ووجهت ضربة قاصمة لاعدائه . وكتبت صحيفة « البرافدا » تقول : « أدى المؤتمر رسالته فى خلق التضامن بين الحلفاء لمصلحة جميع الشعوب المحبة للحرية » (٢) .

- ٢ -

مهد مؤتمر موسكو الطريق لعقد المؤتمر الأول من سلسلة مؤتمرات ثلاثة للقمة ، تقرر عقده فى طهران . ولا شك فى أن الانتصارات العظيمة التى حققتها الأسلحة السوفياتية هى التى جعلت عقد مؤتمر طهران أمرا ممكنا ، وذلك بالإضافة الى ما حققته السياسة الخارجية السوفياتية من نجاح فى تنمية التعاون الدولى ، والى رغبات الجماهير الملحة فى كل من الولايات المتحدة وبريطانيا .

(١) السياسة الخارجية السوفياتية - المجلد الاول - ص ١٦٢

(٢) البرافدا - عدد ٢ نوفمبر ١٩٤٣

وكان تشرشل وروزفلت ووفدهما المفاوضان قد عقدوا وهم في الطريق الى طهران مؤتمرا منفردا في القاهرة بين الثانى والعشرين والسادس والعشرين من نوفمبر من عام ١٩٤٣ . وحاولت بريطانيا والولايات المتحدة في هذا المؤتمر الجديد المنفرد ، حل التناقضات بينهما لاتخاذ موقف موحد في موضوع الجبهة الثانية عند بحثه في طهران . ولكن هذه المحاولة منيت بالفشل . فقت ظلت الولايات المتحدة تنظر نظرة الامتعاض الى استراتيجية تشرشل البلقانية ، وظلت تخشى أن يفوتها القطار « فى أوروبا الغربية » (. وذكر الرئيس روزفلت لولده أن الوقت قد حان لمهاجمة « أوروبا من الغرب » ثم أضاف : « واذا استمر الوضع على سبيله الحال فى روسيا ، فقد لا يصبح للجبهة الثانية فى أوروبا بعد الربيع القادم أية ضرورة » (١) .

وجاء تشيان كاي شيك الى القاهرة للبحث فى مشاكل الشرق الأقصى ، ووعدته الولايات المتحدة بمزيد من الأسلحة والقروض .

وكان من الواضح أن اهتمام الحكومتين البريطانية والامريكية كان منصرفا الى حمل كاي شيك على غزو المناطق المحررة فى الصين ، أكثر من انصرافه الى دفعه لمحاربة الغزاة اليابانيين . وكانت الحكومتان جد راغبتين فى معرفة نوايا الديكتاتور الصينى وخططه . وفى تعزيز تصميمه على تجميع القوة الكافية لخوض حرب أهلية فى الصين .

وظهرت تناقضات جديدة بين الولايات المتحدة وبريطانيا حول موضوع العمليات فى مسرح المحيط الهادى . وكان الفرع قد استبدت بالحكومة البريطانية من جراء الغزوات التى أخذت الامبريالية الامريكية تشنها فى جنوب شرق آسيا . ولم يكن البريطانيون راضين عن زحف القوات الأمريكية عبر بورما الشمالية . وكان تشرشل يطالب بعمليات نزول من البحر ، وكل ما يتمناه هو أن يقوم الأسطول الأمريكى باستعادة الممتلكات البريطانية فى جنوب شرق آسيا ، لبريطانيا . وراح مونتباتن القائد الأعلى فى المنطقة يلحف فى حديث له مع الرئيس روزفلت ، على ضرورة زيادة المساعدات الأمريكية فى موضوع التمويل للقوات المسلحة البريطانية .

ولكن بريطانيا اضطرت فى النهاية الى قبول المخطط الأمريكى

(١) ايلوت روزفلت - نفس المصدر . ص ١٥٦

للعمليات فى بورما الشمالية ، وان كان قبولها هذا سيضعف من نفوذ أمريكا فى الممتلكات البريطانية فى جنوب شرق آسيا .

وصدر فى القاهرة فى الاول من ديسمبر من عام ١٩٤٣ ، اعلان مشترك عن الولايات المتحدة وبريطانيا والصين . وأكد الاعلان رأى الدول الثلاث فى حرمان اليابان من جميع الجزر التى استولت عليها أو احتلتها فى المحيط الهادى منذ نشوب الحرب العالمية الاولى فى عام ١٩١٤ ، وجميع المناطق التى انتزعتها من الصين ، كمنشوريا وتايوان وجزر بينجو ، لاعادتها الى جمهورية الصين . وقررت الدول الثلاث أيضا ، طرد اليابان من جميع الممتلكات الاخرى التى احتلتها عن طريق القوة . وهكذا ركز اعلان القاهرة على انتزاع جميع الممتلكات التى كانت اليابان قد استولت عليها فى الحرب العالمية الاولى كجزر ماريانا ومارشال وكارولين ، التى أصبحت الولايات المتحدة تتشهاها الآن ، والاعتراف بمنشوريا وتايوان وجزر بينجو كأجزاء من الصين . وأكد الاعلان أيضا أن كوريا ستصبح فى الوقت المناسب بلدا ومستقلا . وأكدت الدول الثلاث التزامها بمواصلة العمليات الحربية الواسعة النطاق الى أن يتم استسلام اليابان المطلق بلا قيد أو شرط . ولكن هذا التأكيد فى الاعلان لم يعكس حقيقة الوضع الفعلى فى مسرح المحيط الهادى اذ أن العمليات الامريكية والبريطانية والصينية فى المنطقة كانت حتى ذلك التاريخ متواضعة فى نطاقها .

وقد صاغ اعلان القاهرة أهداف الحرب ضد اليابان فى صورة تحمل طابع العدل ، لتخفى حقيقة أهداف حكام بريطانيا والولايات المتحدة ، ولا سيما حكام الاخيرة الذين كانوا يخططون لتثبيت أقدام ديكتاتورية تشيان كاي شيك المكروهة فى الصين . وكان ما تنشده الاحتكارات الامريكية حقا استغلال الاراضى التى تحرر من اليابانيين كمناطق استثمار لها ، وكقواعد حربية فى المحيط الهادى . وقد يكون من المعقول ، ان هذه الاحتكارات لم تستطع صياغة هذه الخطط التوسعية فى كثير من العبارات ضمن اطار الحرب المعادية للفاشية ، اذ أن طبيعة هذا الاطار تفرزت الى حد كبير نتيجة اشتراك الاتحاد السوفياتى فى الحرب .

وعقد مؤتمر رؤساء الحكومات الثلاث فى طهران فى المدة التى انصرمت بين الثامن والعشرين من نوفمبر والاول من ديسمبر من عام ١٩٤٣ . وأوليت القضايا العسكرية المكانة الاولى فى هذا المؤتمر . فقد أعلن الوفد البريطانى خطته لغزو جنوب شرق أوروبا بالاشتراك مع تركيا .

ورد الوفد السوفياتى بأن الخطة البريطانية بعيدة كل البعد عن هدف
هزم ألمانيا بالسرعة الممكنة ، اذ أنها تتطلع الى أهداف أخرى .

وأكد الوفد السوفياتى أن نزول الانجليز والامريكان فى البلقان
لا معنى له من الناحية العسكرية اذ أنه لن يجعل فى سقوط ألمانيا . وكل
ما سيحدث اقامة جبهة مستمرة تشبه تلك القائمة فى ايطاليا فى تلك
اللحظة ، طالما أن الاجواء العامة وطبيعة الارض ، ووجود الأنهار ، والافتقار
الى الطرق الصالحة ستجعل من العسير على القوة الهابطة أن تتغلب على
المقاومة الألمانية .

وأصر تشرشل على أن الطريق من البلقان هو أسهل الطرق . وراح
يشير الى «خريطة» أوروبا ويقول : ان من الحمق أن يضرب الانسان رأسه
فى قم التماسيح فى بريست ، بينما يستطيع أن يوجه ضربه الى بطن
التمساح الناعم فى البلقان(١) . ولقد ظهرت صورة كاريكاتورية فى
الصحافة الامريكية كانت خير رد على أقوال تشرشل ، فقد رسمت جندياً
من جنود الحلفاء يقف أمام مقبرة ، وقد ظهرت فى الصورة جبال الألب
وقمم سلسلة جبال البلقان . وكتب الرسام تحت الصورة العبارة التالية ،
« لا شك فى أن الشخص الذى أسمى هذه المنطقة باليطن الناعم ، يحتاج
الى من يفحص له عقله(٢) » .

وكانت الحجج السوفياتية التى استخدمت لتنفيذ نظرية فتح الجبهة
الثانية فى جنوب شرق أوروبا ، منطقية كل المنطق . ونم رفض المشروع
البريطانى لغزو البلقان ، واتخذ مؤتمر طهران قراراً بضرورة فتح الجبهة
الثانية فى أوروبا قبل اليوم الاول من مايو من عام ١٩٤٤ . وبين عمر
برادلى فى ملاحظاته أن آراء الوفد السوفياتى هى التى حولت الاتجاه الى
هذا القرار ثم قال ٠٠٠ « وهكذا تم اتخاذ القرار النهائى ، وأصبحت عملية
«أوفرلورد» بعد سنتين من المناقشات والتملص ومحاولات التحويل الى
جهات أخرى ، والاضطراب ، النواة التى لا تتغير لامتراتيجية الحلفاء فى
الحرب الاوربية (٣) » .

ووعد الاتحاد السوفياتى بمساعدة عملية أوفرلورد بهجوم كبير
يشنه من الشرق ، ويحول دون نقل قوات ألمانية كبيرة من الشرق الى

(١) ام . كلارك فى كتابه « مخاطرة محسوبة » - لندن ١٩٥٦ - ص ٥١

(٢) اى . ويدماير ٠٠ فى « تقارير ويدماير » - نيويورك ١٩٥٨ - ص ٢٢٨

(٣) برادلى - نفس المصدر ص ٢٠١ -

الغرب ، واتفق الممثلون العسكريون للدول الثلاث على مواصلة الاتصالات الوثيقة بالنسبة الى العمليات المقبلة في أوروبا .

واقترح الرئيس الامريكى فى مستهل مؤتمر طهران مناقشة موضوع اسهام الاتحاد السوفياتى فى الحرب ضد اليابان بعد استسلام ألمانيا . ولكن اقتراحات الرئيس ذكرت العمليات الهجومية الامريكية فى جزر كوريل ، وهى الجزر التى كانت الاحتكارات الامريكية ترسم الخطط منذ أمد بعيد للاستيلاء عليها .

ورفضت الحكومة السوفياتية قبول أطماع الولايات المتحدة فى جزر كوريل ، وتعهدت بدخول الحرب ضد اليابان بعد ستة أشهر من انتهاء الحرب فى أوروبا . وقد رحب تشرشل فى مذكراته بهذا الوعد السوفياتى (١) .

ومثل رفض مؤتمر طهران لمشروع غزو البلقان نكسة للامبريالية البريطانية ، وأصبح الاتفاق المعقود بين بريطانيا والولايات المتحدة من ناحية وبين حكومة المجر الفاشية خاليا من كل معنى . ويقول أحد المؤرخين : « أسقط المشروع المقترح لغزو البلقان من جانب الحلفاء فى مؤتمر طهران من الحساب تلبية لطلب ستالين ، وهكذا لم يبق هناك جيش انجلو - أمريكى قريب لقبول الاستسلام بلا قيد أو شرط من الجيش المجرى ، أو لتنمية التعاون العسكرى مع هذا الجيش » (٢)

وقدمت الحكومتان : الامريكية والبريطانية ، وان اختلفت ذوافعهما النهائية ، مخططات لتجزئة ألمانيا ، والغاء وجود الدولة الالمانية الموحدة . وكانتا تتصوران أن الأجزاء المفسخة لالمانيا ستسقط تحت سيطرتهمما بسهولة كبيرة . وكان هذا يؤمن لاحتكاراتهما أن تملأ جيوبها ، وأن تواصل مخططاتها العدوانية .

وقدم الرئيس روزفلت مخططا لاقامة خمس دول ألمانية مستقلة ، وهى (١) بروسيا بعد تصغير حجمها و (٢) هانوفر والشمال الغربى و (٣) سكسونيا ومنطقة لايبزيغ و (٤) هيسى - دارمستادت وهيس كاسيل والمنطقة الواقعة الى جنوب الراين و (٥) بافاريا وبادن وورتمبرج ،

(١) تشرشل - نفس المصدر - المجلد الخامس - ص ٢٦٣ .

(٢) جى . ان . موننجوميرى - نفس المصدر ص ١٦٣ .

على أن تظل قناة كييل وهمبورج وحوضا الروهر والساار تحت سيطرة
الامم المتحدة (١) ، أى تحت السيطرة الامريكية .

وكان القصد من المخطط الامريكى تمكين الاحتكارات الامريكية التى
اتسع ثراؤها فى الحرب من التخلص بسهولة من منافسيها فى المستقبل .

واقترح البريطانيون تقسيم ألمانيا الى ثلاثة أقسام وهى بروسيا ،
وجنوب ألمانيا (وتضم بافاريا ووتمبورج والبلاتينات وسكسونيا وبادن)
وحوض الروهر . وقال تشرشل : ان فى امكان بروسيا أن تظل دولة
قومية ، بينما يمكن « لجنوب » ألمانيا أن يصبح جزءا فى اتحاد كونفيدرالى
لحوض الدانوب . أما بالنسبة الى الروهر ، فكان يأمل فى تمكن بريطانيا
من تأمين سيطرتها عليه ، لتستطيع عن طريق قدراته الصناعية، الاستيلاء
على مواقع مشرفة تسيطر منها على القارة الاوربية (٢) .

ورفض الاتحاد السوفياتى « مشاريع » التجزئة ، وأدى دوره ،
كمدافع عن الحقوق القومية للشعب الالمانى .

وجرى بحث تمهيدى فى مؤتمر طهران عن الحدود المقبلة والمقترحة
لبولندة . وطالبت الحكومة السوفياتية بوضع ترتيبات عادلة تستند الى
التجارب التاريخية ، وتتفق مع التوزيع الجغرافى لسكان بولندة . وأكد
الاتحاد السوفياتى أن الضرورة تقضى بأن تكون حدود بولندة عاملا فى
خلق الاستقرار والامن لا فى خلق الصراع والحرب ، وساند الوفد
السوفياتى المصالح المشروعة للشعب البولندى ، وأكد ضرورة استعادة
بولندة لأراضيها فى الغرب ، واقترح أن تكون حدودها الغربية على نهري
الاوردر والنييسى .

وبين الاعلان الرسمى الذى صدر عن مؤتمر الدول الثلاث فى طهران
أن حكومات الاتحاد السوفياتى والولايات المتحدة وبريطانيا تقدر تمام
التقدير مسئولياتها الضخمة عن « خلق السلام الذى يحظى بثقة الجمهرة
الغالبية لشعوب العالم ، ويستبعد خطر الحرب وأهوالها لعدة أجيال
قادمة (٣) » .

وتبنى المؤتمر أيضا اصدار اعلان عن ايران . وقد اعترف الاعلان

(١) شيروود - نفس المصدر ص ٧٩٧ .

(٢) تشرشل - نفس المصدر - المجلد الخامس . ص ٤٠١ .

(٣) السياسة الخارجية السوفياتية - المجلد الاول ص ٢٤٨ .

بمساعداً إيران للحلف المعادى للفاشية ، ولا سيما في نقل الشحنات القادمة من وراء البحار الى الاتحاد السوفياتي . واتفقت الدول الثلاث على أن تقدم المعونة الاقتصادية لإيران إبان الحرب وبعدها ، كما أعلنت رغبتها في الحفاظ على استقلالها وسيادتها ، وأراضيها الإقليمية .

ومثل مؤتمر طهران حدثاً دولياً ضخماً . فقد مثل المرة الأولى التي يجتمع فيها أقطاب الدول العظمى الثلاث ، وأظهر أن الحلول المشتركة للمشاكل الدولية المهمة ، فعالة كل الفاعلية .

وعاد تشرشل وروزفلت وهما في طريق العودة الى بلديهما من طهران الى الاجتماع ثانية في القاهرة . وبحث القطبان في نتائج مؤتمر طهران ، ثم توصلا الى نتيجة واحدة ، وهي أنهما في موضوع الجبهة الثانية سيعملان طبقاً للوضع الراهن ، لا طبقاً للالتزامات التي أعلنها في طهران . وعقد في القاهرة ، بناء على اقتراح من تشرشل الذي لم يكن قد تخلى بعد عن فكرته في « الاستراتيجية البلقانية » مؤتمر ثلاثي ضمه وضم روزفلت وعصمت اين اونو رئيس جمهورية تركيا . وقد بحث المجتمعون موضوع اشراك تركيا في غزو جنوب شرق أوروبا . ووعدت الولايات المتحدة الطامعة في توسيع نفوذها الاحتكاري في تركيا ، الحكومة التركية بمعونات عسكرية سخية .

وأظهر مؤتمر موسكو وطهران تزايد النفوذ السوفياتي والمكانة السوفياتية . وفاز الاتحاد السوفياتي عن طريق سعيه المتواصل لأداء رسالته التحررية العظمى بدعم جميع الأمم المحبة للحرية .

وجسدت معاهدة الصداقة والمساعدة المتبادلة والتعاون بعد الحرب ، السوفياتية - التشيكوسلوفاكية ، التي عقدت في موسكو في الثاني عشر من ديسمبر من عام ١٩٤٣ تطلعات الشعوب المناضلة في سبيل حريتها واستقلالها .

وحاولت الحكومة البريطانية وضع العراقيل في طريق توقيع الرئيس التشيكوسلوفاكي بنيش للمعاهدة « بخلق العقبات أمام زيارته لموسكو (١) » ولكن جهودها ذهبت أدراج الرياح .

وتعهد الاتحاد السوفياتي وتشيكوسلوفاكيا ، بتبادل المساعدات

(١) ار . اش . بروس لوكهارت . . في كتابه « جاء يوم الحساب » لندن ١٩٤٧ .

العسكرية وغيرها ، وبالدعم المتبادل على اختلاف صورة في الحرب ضد ألمانيا وحلفائها في أوروبا ، كما تعهدا ، بعدم الدخول في أية مفاوضات أو توقيع أى صلح مع هتلر أو مع أية حكومة مماثلة ، وألا تفاوض الواحدة منهما على عقد هدنة أو صلح مع ألمانيا أو حليقاتها في أوروبا بدون موافقة الدولة الموقعة الاخرى .

ونصت المادة الثالثة من المعاهدة على مايلي :

« تتعهد الدولتان الموقعتان على هذه المعاهدة ، تأكيداً منهما لسياسانهما السلمية قبل الحرب ، وللمساعدات المتبادلة بينهما التي عبرت عنها المعاهدة المعقودة بينهما في براج في السادس عشر من مايو من عام ١٩٣٥ ، بأنه في حالة تورط احدهما في الفترة التي تلي نهاية الحرب ، في عمليات حربية مع ألمانيا بسبب عودتها الى سياستها في «المجال المفتوح» . أو مع أية دول أخرى قد تتحد مع ألمانيا مباشرة أو بصورة أخرى في مثل هذه الحرب ، بأن تقسوم الدولة المتعاقدة السامية الاخرى ، بتقديم كل المساعدات العسكرية وغير العسكرية فوراً الى الدولة التي تورطت في العمليات الحربية، وأن تضع كل أشكال العون تحت تصرفها(١) »

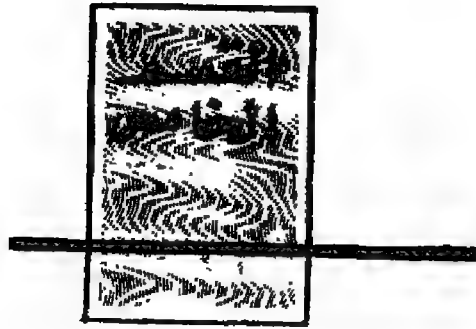
وقد تصورت المعاهدة تحديد العلاقات الاقتصادية على أوسع نطاق ممكن وضمن المساعدات الاقتصادية المشتركة والممكنة بعد الحرب .

وكانت لهذه المعاهدة التي حددت مدتها بعشرين عاماً أهمية تاريخية كبرى بالنسبة الى شعب تشيكوسلوفاكيا والى وجوده القومي المستقل ، ونضاله من أجل الاشنراكية . فقد أمنت المعاهدة الحماية الموثوقة لحقوق تشيكوسلوفاكيا القومية ولحياة شعبها وعمله . وصاغت المعاهدة بشكل رسمي الصداقة الوطيدة القائمة بين شعبي الاتحاد السوفياتي وتشيكوسلوفاكيا ، والتي تعززت بالدماء المشتركة التي سفكها معا في الدفاع ضد الغزاة الفاشيين الالمان . وأقامت المعاهدة التي استهدفت تأمين الامن والسلام في أوروبا ، حاجزاً منيعاً أمام العدوان الالمبرالي باتجاه الشرق . وقد استقبلها الشعب السوفياتي بالرضى البالغ ، كما أثارته الحماسة الوطنية في جميع أرجاء تشيكوسلوفاكيا .

(١) السياسة الخارجية السوفياتية - المجلد الاول - ص ٥١

وحول الانتصار السوفياتى على نهر الفولجا تيار الحرب، كما قررت
العمليات الهجومية السوفياتية فى صيف عام ١٩٤٣ نتيجتها الحتمية .
واستولى الاتحاد السوفياتى على زمام المبادرة الاستراتيجية من ألمانيا ،
لمصلحة الحلف المناوىء للفاشية .

وشرع الجيش السوفيانى فى أداء مهمته فى تحرير وطنه من الغزاة
الفاشين ، وفى تمهيد الطريق لتحقيق النصر ، نيابة عن المصالح الحبوية
للشعب السوفيانى ، ولجميع الشعوب المحبة للحرية فى العالم .



الانتصارات العظيمة

لصجوم عام ١٩٤٤

- ١ -

مثل عام ١٩٤٤ فى التاريخ سنة الانتصارات السوفياتية الحاسمة .
فقد حطم الهجوم السوفياتى جهاز الحرب الألمانى ، وجعله يفقد
صورته الأصلية . واضطرت الدول التابعة لألمانيا الى الخروج من
المعركة ، كما تم تحرير الارض السوفياتية كلها من الغزاة ،
وانتقلت الحرب الى أرض العدو نفسها .

وركزت السياسة الخارجية السوفياتية فى هذه المرحلة الجديدة من
الحرب على تحقيق الظروف الدولية المواتية لاستكمال هزيمة ألمانيا
الهيترية النهائية ، وتحرير الشعوب من الفاشية . وأدت جهودها هذه الى
تثبيت أقدام الحلف المعادى للفاشية . وأدت الدبلوماسية السوفياتية
مصحوبة بالبطولة التى أبدتها الجيش السوفياتى فى خوض الحرب ، الى
تمو جديد فى المكانة السوفياتية الدولية .

وعندما هل عام ١٩٤٤ ، كانت الجبهة الالمانية - السوفياتية قد
أصبحت تمتد من نهر سفير الى بحيرة ايلمين ، فغرب فيليكيى لوكى ،
فشرق فيتابسك ، فغرب جوميل عبر جيتومير ، فشيركاس فزابروجيه حتى
البحر الاسود على مقربة من مدينة خرصون . وكان القسم الاكبر من قوة
ألمانيا المقاتلة ويضم ٢٥٧ فرقة منها ٢٠٧ فرق ألمانية وخمسون فرقة
مجرية ورومانية وفنلندية ، لا يزال محتشدا فى الجبهة الالمانية -
السوفياتية .

وكان الهدف الاستراتيجي الرئيسي لعام ١٩٤٤ تطهير الارض السوفياتية من الغزاة الالمان الفاشيين ، ومساعدة شعوب أوروبا الشرقية ضد محتليها .

ولما كانت القيادة السوفياتية العليا تعرف أن القوات الاحتياطية المتوافرة لدى القيادة الالمانية قليلة ، وأنها تواجه صعوبات بالغة في الحفاظ على سلامة مواصلاتها مع الجبهة ، فقد أعدت خطة للقيام بسلسلة من الهجمات المتتابة في مختلف القطاعات .

وشن الجيش السوفياتي في شهرى يناير وفبراير هجوما ضخما في جبهتي لينينجراد ونوفجورود . وكان الهدف انقاذ لينينجراد من الحصار ومن التعرض للقصف المدفعي ، وتحطيم قوى العدو الاستراتيجية على الجناح الشمالى للجبهة الالمانية - السوفياتية ، وتسهيل شن العمليات الهجومية في النقاط الاخرى من الجبهة . وواجهت القوات السوفياتية في جبهات لينينجراد وفولخوف والبلطيق الثانية مجموعة الجيوش الالمانية في الشمال ومجموعة الجيش في برزخ كاريليا . وكانت خطوط العدو الدفاعية التي تعبر المناطق الحرجية والمستنقعات ، موزعة توزيعا حسنا في عمقها ، ومحصنة تحصينا قويا .

وبدأ الهجوم في الرابع عشر من يناير من عام ١٩٤٤ . وتمكن الجيش السوفياتي من اختراق حصون العدو المنيعه والتقدم الى داخل الخطوط الدفاعية . وتمكنت قوات جبهة لينينجراد من الاحاطة بقوة العدو في قطاعها وتدميرها . وهزمت قوات جبهة فولخوف العدو في منطقة نوفجورود ، ولم يحل الواحد والعشرون من يناير حتى كان الهجوم السوفياتي في ذروة حدته ، على طول الجبهة من خليج كابورسكى حتى نوفوسوكولنيكى .

وتم رفع الحصار عن لينينجراد ، وتطهير جبهتها من العدو . وبادرت القوات السوفياتية الى تحرير ايستونيا السوفياتية .

وسار الهجوم جنبا الى جنب مع « نشاطات » الانصار وبالتعاون معها . وتمكنت وحدات الانصار العاملة في مؤخرة العدو من شل حركات الالمان على الطرق الحديدية ، ونسفت ثلثمائة جسر و ١٣٣ قطارا من قطارات ، الجنود .

وقامت قوات الجبهات الاوكرانية الاربع بين نهاية يناير ومارس من عام ١٩٤٤ بسلسلة من العمليات المشتركة في أوكرانيا الى الغرب من

نهر الدنييبر ضد قوات ضخمة للعدو تضم ٩٦ فرقة بينها أكثر من سبعين
فى المائة من فرق العدو المدرعة ونحو من خمسين فى المائة من فرقة الآلية
فى الجبهة السوفياتية كلها .

ووقعت هناك أولا ثلاث عمليات كبيرة ، أولاها فى خرسون -
شيفشينكو ، والثانية فى روفنو - لوتسك ، والثالثة فى نيكوبول -
كريفوى روج .

فى العملية الاولى تمكنت قوات الجبهتين: الاولى والثانية الاوكرانية
من تطوير تسع فرق للمشاة وفرقة مدرعة ولواء آلى ، وقوة كبيرة من
وحدات المدفعية وسلاح المهندسين ، وتدميرها . وتقهقر العدو عن نهر
الدنييبر فى القطاعات الوسطى . وانهارت الخطة الالمانية لاستعادة موقف
الدفاع على النهر المذكور .

وتمكنت قوات الجبهة الاوكرانية الاولى من تحطيم مجموعة للعدو فى
منطقة روفنو - لوتسك ، وطوقت مجموعة جيوش الجنوب . أما العملية
الثالثة التى قامت بها وحدات الجبهتين : الثالثة والرابعة فى اوكرانيا
والنى شنت فى أواخر شهر يناير من عام ١٩٤٤ ، فقد أزالته من الوجود ،
رأس جسر للعدو على الضفة اليسرى لنهر الدنييبر الى الجنوب من
نيكوبول .

وضمت المرحلة الثانية من هذا الهجوم المشترك عمليات وقعت فى
بروسكورفو - شيرنوفتسكى ، وأومان وبيريجنيجوفاتو - سينجيريوف
وتمثلت العملية الاولى فى قيام قوة هجومية من وحدات الجبهة
الاوكرانية الاولى ، بالاندفاع من شيبيتوفكا الى شيرنوفتسكى . وقامت
وحدات الجبهة الاوكرانية الثانية فى الوقت نفسه بهجوم من جفينيجورودكا
على موجيليف - بودولسكى ومن ثم على شيرنوفتسكى . وسرعان ما وصل
الجيش السوفياتى الى سفوح جبال الكربات ، وقطع الجبهة الالمانية الى
شطرين ، وتم حصار قوة للعدو تضم أكثر من خمس عشرة فرقة فى
المنطقة الى الشمال من كامينيتسك - بودولسكى . لكن هذه القوة لم تبد
عن آخرها . ووصلت القوات السوفياتية بعد هزمها للعدو عند سفوح
الكربات الى حدود تشيكوسلوفاكيا ورومانيا على جبهة يزيد طولها على
« المائتى كيلومتر » .

وحطمت عملية أومان التى قامت بها وحدات الجبهة الاوكرانية

التأنيء المفاومة الالمانية فى اتجاه أومان - ياسى . ونفهرت بقايا القوات المعادية عبر نهر الدنييبر الى سفوح الكريات . ووصلت وحدات الجبهة الاوكرانية النانية الى نهر بروت على الحدود السوفياتية - الرومانية ، ثم عبرت النهر ، ونقلت المعركة الى الارض الرومانية . أما فى عملية بيرجنيجوفانو - سينجيريوف ، فقد نمكنت قوات الجبهة الاوكرانية الثالثة من تحطيم النازيين عند المجرى الأدنى لنهر انجوليتز ، ووصلت الى ضفة الجزء الجنوبى من نهر بوج ، بعد أن أرغمت العدو على التفهقر الى ما وراء النهر .

وكانت وحدات الانصار قد نقلت قواعدھا عبر نهر الدنييبر قبل أمد طويل من هذه العمليات ، وعززت مجموعات الانصار المحلية فى المناطق الجديدة ، ونمكنت من تقديم عون فعال الى الجيش السوفياتى الزاحف . ولا شك فى أن وحدات الانصار بتعاونھا فى عملياتھا مع القوات النظامية وجهت ضربات شديدة الى مؤخرة العدو .

وسار الهجوم السوفياتى وراء الدنييبر على نطاق واسع ، اذ بلغ اتساع جبهته أكثر من ١٤٠٠ كيلو متر وعمقھا أكثر من خمسمائة كيلومتر . وبلغت خسائر العدو نحواً من ٦٦ فرقة ، وتم تحرير أوكرانيا كلها تقريباً .

وأصدرت الحكومة السوفياتية عندما وصل الجيش السوفياتى الى حدود رومانيا ودخل أراضيھا بياناً رسمياً فى الثانى من ابريل من عام ١٩٤٤ ، يؤكد أن القوات السوفياتية ستواصل مطاردة العدو الى أن يتم هزمه واستسلامه . وأكد البيان أن الحكومة السوفياتية لا تسعى وراء الاستيلاء على أى جزء من الارض الرومانية ، أو وراء تغيير النظام الاجتماعى فى رومانيا . وبين البيان أيضاً ، أن الضرورات العسكرية هى التى فرضت دخول القوات السوفياتية الى رومانيا ، وذلك بسبب استمرار قوات العدو فى مقاومتھا (١) . وذكر البيان كذلك أن الجيش السوفياتى سيؤدى رسالته التاريخية حتى النهاية ، وسيواصل التقدم باتجاه الغرب الى أن يتم هزم ألمانيا الهتلرية والدول التابعة لها .

ومثل دخول القوات السوفياتية أراضي الدول الاجنبية ، حدثاً دولياً ماماً ، فقد عنى التقدم شبراً واحداً باتجاه الغرب ، تحرير هذه الشعوب

(١) السياسة الخارجية السوفياتية - المجلد الثانى ص ٦٦

من الفاشية ، وفتح الطريق أمامها لتحقيق تطورها الديمقراطي الحر والمستقل .

وكانت هذه هي المرة الأولى التي تلقى فيها الجماهير في الخارج ، الشعب السوفياتي وجها لوجه ، وبدأت النقطة تتولد فيه . ورأى العاملون في البلاد الأجنبية مباشرة السياسة التقدمية التي يسير عليها الشعب السوفياتي والجهود التي يبذلها لتحرير الشعوب من ربقة الفاشية . وضاعفت الجماهير بقيادة طبقتها العاملة وطلعتها من الأحزاب العمالية والشيوعية من نضالها للإطاحة بأنظمة الحكم الفاشية واستعادة استقلالها ، وضمان التحولات الديمقراطية الجذرية في بلادها ، ومن جهودها لإقامة التحالف الوثيق والصداقة مع الاتحاد السوفياتي . وظهرت بوادر الثورات الشعبية الديمقراطية في البلاد التي تحتلها ألمانيا في شرق أوروبا وجنوبها الشرقي .

وتمكن الجيش السوفياتي بالتعاون مع أسطول البحر الأسود ، والعمارة البحرية في بحر آزوف في المدة الواقعة بين مارس وأوائل مايو من عام ١٩٤٤ ، من تحرير شبه جزيرة القرم وميناء أوديسا . وهكذا انتهى هجوم الربيع السوفياتي لعام ١٩٤٤ .

وحرر الجيش السوفياتي في هذا الهجوم أكثر من ثلاثة أرباع المناطق السوفياتية التي كان يحتلها الألمان ، ووصل إلى الحدود السوفياتية على جبهة تزيد على أربع مائة كيلومتر . وكان على القوات السوفياتية الآن أن تتم هزمها للعدو ، وأن تحرر شعوب أوروبا من العبودية النازية .

وبدأ هجوم الصيف السوفياتي في كاريليا ، وتمكنت قوات جبهتي لينينجراد وكاريليا في شهرى يونيو ويوليو من عام ١٩٤٤ من تحطيم قوات فنلنده الحليفة لهتلر في فيبورج وسفير - بيتروزا فودسك ، ووصلت إلى الحدود الفنلندية لتطاردهم فلول العدو داخل فنلنده نفسها .

ومثلت عملية روسيا البيضاء التي قامت بها جبهة البلطيق الأولى ، وجبهات روسيا البيضاء الثلاث . أكبر العمليات الهجومية في تاريخ الحرب الوطنية الكبرى .

وتمكنت قوات الجبهات الأربع التي شرعت في هجومها ليلة ٢٣ - ٢٤ يونيو من اختراق خطوط العدو الدفاعية بعملية مشتركة في ستة قطاعات مختلفة ، وطوقت القوات النازية في منطقتي فيتابسك وبوبرويسك ودمرتها . ولم يحل اليوم الثالث من يوليو حتى كان الطوق قد فرض.

على ثلاثين فرقة ألمانية الى الشرق من مينسك . وبينما انشغل جزء من القوات السوفياتية بعملية تطهير القوات النازية المحاصرة ، فى عملية انتهت فى منتصف يوليو ، واصلت قوات أخرى تقدمها فى أعقاب العدو المهزم ، مجبرة اياه على التقهقر الى ما وراء الحدود الغربية للاتحاد السوفياتى .

وحطمت عملية روسيا البيضاء مجموعة جيوش الوسط الألمانية التى فقدت أكثر من ثلاثين فرقة فى عمليات بطولية مختلفة ، وتم تطهير روسيا البيضاء السوفياتية ومعظم أرجاء لينوانيا السوفياتية من العدو . وعبرت القوات السوفياتية نهر النيمين ووصلت الى الحدود الألمانية . ودار هذا الهجوم على جبهة امتدت نحواً من ١٣٠٠ كيلو متر وفى عمق يتردد بين خمسمائة وخمسين وستمائة كيلو متر .

وكانت عملية لوبلين - بريست التى قامت بها وحدات جبهة روسيا البيضاء الاولى بين الثامن عشر من يوليو والتاسع والعشرين من أغسطس من عام ١٩٤٤ جزءاً من هجوم روسيا البيضاء الكبير . وقد وجهت الضربة الرئيسية فى مكان ما الى الغرب من كوفيل . باتجاه لوبلين وبراجا ، والأخيرة صاحبة لوارسو وتقع على الشاطئ الشرقى لنهر الفيستولا ، بعد عبور بريست من شمالها وجنوبها . ووصلت القوات السوفياتية من وحدات جبهة روسيا البيضاء الأولى فى الواحد والعشرين من يوليو الى الحدود البولندية . وكانت تشكيلات الجبهة الأوكرانية الأولى وجبهة روسيا البيضاء الثانية قد وصلت فى الوقت نفسه الى هذه الحدود . وعبرت فصائل من جبهة روسيا البيضاء الأولى هذه الحدود وحررت مدينة شيلم البولندية فى الثانى والعشرين من يوليو ، ثم حررت مدينة لوبلين فى الرابع والعشرين منه .

وكان التنسيق فى العمل بين الجيش السوفياتى والأنصار كبير الفاعلية فى عمليات روسيا البيضاء . واشترك جيش ضخم من أنصار الروس البيض فى المعارك التى أدت الى تحرير روسيا البيضاء من النازيين . وقام الأنصار قبل ثلاثة أيام من البدء بالعملية ، وفى صباح العشرين من يونيو الباكر بنسف أكثر من أربعين ألف متر من السكك الحديدية ، فعطلوا مواصلات العدو فى المؤخرة بعض الوقت ، مما أدى الى إثارة الاضطراب فى صفوفه . وعجز الألمان عن تجميع القوات الاحتياطية وارسالها الى الأماكن التى تكون فى حاجة ماسة اليها . وسيطر الأنصار على مناطق بكاملها ، وراحوا يوجهون القوات السوفياتية

للوصول الى مؤخرة القوات النازية المتقهقرة ، عبر طرق يسيطر عليها
الأنصار أنفسهم .

ونقل جنرالات هتلر وضباطه من الذين وقعوا في الاسر ابان
عمليات روسيا البيضاء ، تحت الحراسة الى موسكو ومنها الى المؤخرة
البعيدة . وكتب جان ريشارد بلوشى ، الكاتب التقدمى الفرنسى المشهور ،
عندما شهدهم يسرون فى شوارع موسكو يقول : « ها أنا .. قد رأيتهم -
رأيت ٦٠٠ و ٥٧ من الرجال ، هم بقايا مجموعة جيوش الوسط الألمانية ،
وقد وقعوا فى الأسر فى فيتابسك وبوبرويسك ومينسك .. وقد طربت
لهذا المنظر ، بعد أن كنت قد رأيت الالمان يدخلون مدننا ، ويثبتون
أقدامهم فيها ... »

« أجل شهدت الجريمة هناك فى فرنسا ، وها أنا .. أشهد القصاص
الآن .. أجل أيها الأصدقاء .. كان منظر الأسرى الالمان الذين وقعوا فى
المعارك الأخيرة ، يسرون بالألوف عبر شوارع موسكو ، مشجعا ،
ومنعشا للعزائم .. وكان هذا الرتل الذى يمر بنا فى صمت رهيب ،
يمثل فى الواقع ، صورة حية لاحدى تبدلات القدر العظيمة فى التاريخ .

« ولكن تحول التيار لم يكن وليد الحظ ، وانما كان وليد الحيوية
الهائلة ، والصلابة العظيمة ، وبعد النظر الرائع ، والعزيمة التى لا مثيل
لها عند أبناء روسيا » (١) .

وجرت العملية السوفياتية التالية فى أوكرانيا الغربية ، وأطلق
عليها اسم عملية لواو - ساندومير . فقد بدأت هذه العملية فى شهر
يوليو وانتهت فى شهر أغسطس من عام ١٩٤٤ ، وتمكنت قوات الجبهة
الاوكرانية الاولى فيها من سحق مجموعة الجيوش الالمانية فى شمال
أوكرانيا وحررت لواو وستانيسلاف وبيريميشيل .

ومثل الجنود السوفيات أدورا معجزة فى البطولة ابان هذا الهجوم .
وهناك قصص كثيرة عن هذه البطولات بينها هذه القصة .. كانت الدبابة
« تى ٣٤ » جارديا من لواء الدبابات الثالث والستين ، هى الدبابة الاولى
التي وصلت الى قلب مدينة لواو . وراح عاملها اللاسلكى مارشينكو ،

(١) تعليقات فى اذاعة موسكو بين عامى ١٩٤١ - ١٩٤٤ بعنوان « من فرنسا الخيانة الى
فرنسا الثورة » - جان ريشارد بلوشى - باريس ١٩٤٩ . ص ٤٣٠ ، ٤٣٢ ،
٤٣٣ .

يتجاهل نيران العدو الشديدة ، ويرفع الراية الحمراء على قاعة البلدية .
وظلت الدبابات تشتبك مع العدو داخل المدينة ستة أيام ، قتل رجالها
ابانها مائة من جنود العدو وضباطه ، ودمروا ست دبابات ألمانية . وقتل
قائد الدبابة ، ومارشينكو . عاملها اللاسلكي ، وأصيب بقية رجالها
بجراح ثخينة . وقد احتفظ بالدبابة تخليدا لبطولة رجالها على منصة في
قلب مدينة لواو .

وتمكنت القوات السوفياتية في المرحلة الأخيرة من العملية من عبور
نهر الفيستولا ، واقامة رأس جسر على الضفة الغربية للنهر على مقربة
من ساندومير .

ووصل هجوم الصيف السوفياتي لعام ١٩٤٤ ، بالمانبا الى شقير
الكارثة ويشهد فولر بأن « وضع ألمانيا غدا في أواسط شهر أغسطس
يأسا كل اليأس » (١) فقد ارتفع علم التحرير في سماء أوروبا .

ورحب الشعب البولندي بالقوات السوفياتية بحماسة زائدة ، وكان
يقدم اليهم كل عون ممكن ، وكل وسيلة ترفيهية . وبدأت ثورة
ديمقراطية معادية للاقطاع والامبريالية في بولنده ، في جو من الفرح
الوطني الطاغى . وهكذا أخذت الديمقراطية الشعبية تظهر في البلاد
تنفيذا لارادة الشعب .

وتألمت في الثالث والعشرين من يوليو من عام ١٩٤٤ في مدينة
سليم التي حررها الجيش السوفياتي ، لجنة بولندية للتحرير الوطني ،
لتكون أداة الديمقراطية الشعبية الجديدة . وذكرت اللجنة في المرسوم
الأول الذي أصدرته : « قامت قوات التحرير الوطني ، عشية المعركة
الحاسمة التي سيتم فيها طرد الغزاة الألمان من بولندا بتأليف لجنة بولندية
للتحرر الوطني ، لتتولى السلطة التنفيذية المؤقتة ، ولتمثل القيادة
للسب في نضاله من أجل التحرر ، ولتضمن استقلاله ، واعادة بناء
الدولة البولندية » (٢) .

وأصدرت اللجنة أيضا بيانا حددت فيه برنامج نضال الشعب
البولندي لتحقيق التحرر النهائي من النير الألماني واقامة حكم ديمقراطي
شعبي .

(١) فولر - الحرب العالمية الثانية - ص ٣١١

(٢) عدد البرافدا في ٢٦ يوليو ١٩٤٤

وأعلنت وزارة الخارجية السوفياتية في السادس والعشرين من يوليو من عام ١٩٤٤ أن الجيش السوفياتي دخل الأراضي البولندية بالاشتراك مع الجيش البولندي ، ليبدأ معا عملية تحرير الشعب الشقيق الذي عانى كثيرا من الاحتلال الألماني . وأكد البيان أن القوات السوفياتية مصممة على سحق الجيوش الألمانية المعادية ، وعلى مساعدة الشعب البولندي في تحرره من نير الغزاة الألمان ، وفي إعادة بولندا المستقلة والديمقراطية والقوية الى الوجود » (١) .

وأعلنت الحكومة السوفياتية أنها تعتبر العمليات العسكرية التي يقوم بها الجيش السوفياتي في أراضي بولندا ، عمليات تدور في أراضي دولة حليفة ومستقلة وصديقة ، ولذا فهي لا تنوى إقامة أية أجهزة إدارية لها في بولندا ، لأن مثل هذه الأجهزة ، أمر يخص الشعب البولندي نفسه .

وكان البيان السوفياتي تعبيرا عن صداقة الشعب السوفياتي لشعب بولندا . فقد كانت الحكومة السوفياتية مخلصه في تلهفها على مساعدة الشعب البولندي ، في إقامة دولة مستقلة وديمقراطية قوية . وكان البيان السوفياتي بمثابة اعتراف بالحقوق الشرعية للجنة البولندية للنحرر الوطني ودعم لها ، وهي اللجنة التي قررت الحكومة السوفياتية أن تعقد معها اتفاقا ينظم العلاقات بين القيادة السوفياتية والإدارة البولندية ، على غرار الاتفاق الذي عقد مع تشيكوسلوفاكيا في ألمان من مايو في عام ١٩٤٤ .

وزادت الحكومتان الأمريكية والبريطانية من تأييدهما لحكومة ستانيسلاف ميكولايشيك المهاجرة في لندن ، إذ منحتها الولايات المتحدة قرضا بعشرة ملايين دولار ، لتمكينها من مواصلة حربها للقوى الديمقراطية البولندية ، بينما تجاهلت هاتان الحكومتان الطلب الذي تقدم به جيش الشعب البولندي للحصول على السلاح منهما (٢) .

ولم تكن الحكومة المهاجرة لتأبه كثيرا بالتطلعات الوطنية للشعب البولندي . فقد رفضت البرنامج الذي وضعتة اللجنة البولندية للتحرر الوطني ، وعارضت مطالبة بولندا بأراضيها في الغرب .

(١) السياسة الخارجية السوفياتية - المجلد الثاني . ص ٩٣

(٢) رالف باركر في كتابه « مؤامرة على السلام » - موسكو ١٩٤٩ . ص ١٠٦

وكانت الحكومتان : البريطانية والأمريكية جد مشغولتين بمشاكل بولنـدة الاقليمية • قد كانتا تتوقعان للحكومة المهاجرة استعادة السيطرة على بولنـدة ولذا فقد رغبت في توسيع حدودها • وكانتا على استعداد للسماح لها بالاستيلاء على بروسيا الشرقية • ولفتت الحكومة السوفياتية نظر الحكومتين البريطانية والأمريكية الى الحقيقة الواقعة وهي أن الجزء الشمالى الشرقى من بروسيا ، بما فيه مدينة كوينجسبرج ، يجب أن يضم الى الاتحاد السوفياتى • واعترف تشرشل بأن للروس حقا تاريخيا يستند الى مبررات قوية فى هذه الأراضى الألمانية (١) •

ولكن الحكومتين البريطانية والأمريكية ظلتا تدعمان ادعاءات الحكومة البولندية المهاجرة فى أراضى أوكرانيا وروسيا البيضاء • ولم تتردد هاتان الحكومتان فى تهديد الاتحاد السوفياتى ، وحاولتا اتهامه بأنه يمثل دور العدو لبولنـدة ، منكرتين الطبيعة التحررية الضخمة للجهـد الحربى السوفياتى ضد العدوان الألمانى • وأعلنت الحكومة السوفياتية فى ردها أن « التهديدات كأسلوب ، لا مكان لها فى العلاقات بين الحلفاء ، بل هى مؤذية كل الأذى ، اذ أنها قد تؤدى الى نتائج عكسية ، كما أن أسلوب التخويف والتشهير اذا استمر لن يكون نافعا للتعاون بينهم (٢) •

واستمر الهجوم السوفياتى أيضا الحركة التحررية للشعب الألبانى ففى الخامس والعشرين من مايو من عام ١٩٤٤ ، انعقد أول مؤتمر وطنى البانى معاد للفاشية ، فى بلدة بيرميت الألبانية الصغيرة فى الجنوب • واختار المؤتمر مجلسا عاما يتولى قيادة النضال التحررى ، كما تبنى قرارات تتعلق بالقضايا الهامة المتصلة بمستقبل البلاد • وتوسع النضال الشعبى ضد قوات الاحتلال الألمانية فى البانيا • وأرادت الحكومة البريطانية كبح جماح هذه الحركة التحررية ، فبعثت بعملائها الى البلاد ، وقد زودتهم بالتعليمات لتنظيم القوى الرجعية فيها للقيام بعمليات مسلحة ضد الوطنيين الألبان •

وأدت الحركة التحررية فى البلقان الى خلق الارتباك فى مؤخرة الألمان • ووضعت القيادة الألمانية التى أصابها الذعر ، الخطط لمهاجمة مراكز الانصار فى يوجوسلافيا • وأنزل المارشال رومل القهات من المظليين فى الخامس والعشرين من مايو من عام ١٩٤٤ ، فى بلدة درافار ،

(١) مراسلات الحكومة السوفياتية - المجلد الاول ص ٣٠٢

(٢) نفس المصدر - ص ٢١٢ ، ٢١٣

التي كانت القيادة العليا لقوات الأنصار في يوجوسلافيا ، تقيم في كهف يقع في ضواحيها . ولكن هذه القوات شوهدت قبل فوات الأوان ، وتمكنت قيادة الأنصار من الانتقال من الكهف . وتولت طائرة سوفياتية نقل رجال هذه القيادة من مطار كوبريس الى جزيرة فيس في البحر الادرياتي .

وكانت الدوائر البريطانية الحاكمة في هذه الآونة قد دفعت حركة الشتيك الرجعية التي يقودها ميخائيلوفيتش الى العمل ، وحمل ضابط بريطاني أوامر الى ميخائيلوفيتش بان تقوم قواته بسحق حركة التحرير الشعبية ، اذ أن هذا كان يمثل خطوة لا بد منها لفتح أبواب البلاد أمام الجنود البريطانيين في الوقت المناسب (١) . وأبلغ العقيد البريطاني بيلي ، ميخائيلوفيتش أن من الضروري القضاء على جميع الشيوعيين الا اذا أيدوا المخطط البريطاني المقترح لنزول القوات البريطانية في دالماتيا . وأصدر العقيد الأمريكي ماكديويل ، تعليمات مماثلة ، وقال لميخائيلوفيتش « انك تعيش في حاضر عصيب ، ولكن مستقبلك سيكون مشرقا . فقد خسرت ألمانيا الحرب ولا يهمننا ما كان لك من علاقات مع الألمان . وكل ما عليك هو أن تحتفظ بمنصبك ومركزك . وقد جئت لمساعدتك » (٢) .

وسارت حكومة تشيكوسلوفاكيا المهاجرة بقيادة بنيش على خط مماثل في معاداة الشعب . فقد فاضت في فبراير من عام ١٩٤٤ الحكومة البريطانية حول دخول القوات البريطانية الى تشيكوسلوفاكيا . وكان القصد من هذه المفاوضات منع الشعب التشيكوسلوفاكي من استعادة دولته القومية المستقلة .

- ٢ -

أخذت الأزمة داخل المعسكر الفاشي تزداد حدة يوما بعد آخر ، مع اطباق القوات السوفياتية على ألمانيا . وكان معظم الألمان قد أخذوا يتبينون أنهم خسروا الحرب . وشن النازيون حربا ارهابية على مؤخرتهم . وعمت موجات القتل بالجملة أرجاء البلاد . ونقلت مجلة فاشية سرية كانت تصدر ليطلع عليها كبار موظفي ألمانيا الهتلرية وحدهم ، بكثير من الفزع ، أنباء اتساع الحركة العمالية المعادية للفاشية .

(١) برافدا عدد ١٤ يونيو ١٩٤٦

(٢) نفس المصدر عدد ١٦ يونيو ١٩٤٦

وذكرت هذه المجلة أن الاعتقالات بين المجموعات السرية المعادية للفاشية في عام ١٩٤٤ ، كانت على النحو التالي : (١)

| | |
|--------|-------|
| يناير | ٤٢٥٨٠ |
| فبراير | ٤٥٠٤٤ |
| مارس | ٤٦٣٠٢ |
| ابريل | ٥٢٩٣٩ |
| مايو | ٥٦٨٣٠ |
| يونيو | ٦٦٩٩١ |

وكان ايرنست ثيلمان ، زعيم الحزب الشيوعي الألماني ، قد قضى أكثر من أحد عشر عاما في غياهب مختلف السجون الفاشية ، يعاني شتى ضروب التعذيب . وكان الشيوعيون الالمان يعرفون عن ثيلمان صلابته ، وإيمانه الذي لا يتغير بالطبقة العاملة وبالنصر السوفياتي . وكان الزعماء الفاشيون يخشون ثيلمان ، بالرغم من وجوده وراء القضبان. ونقلوه في السابع عشر من أغسطس من عام ١٩٤٤ الى معسكر بوخنفلد ، حيث اغتالوه .

وكانت القوة البشرية في ألمانيا قد استنفدت تقريبا ، وكانت « التعبئة الشاملة » قد أضعفت المؤخرة ، بينما فشلت في تعزيز الجبهة . وكان الكثيرون من المجندين يرفضون القتال . فقد فر من « المائتي ألف » من الالزاسيين الذين تم تجنيدهم نحو من ٦٢ ألفا ، وأرسل ٣٥ ألفا آخرون الى الموت أو الاعتقال (٢) .

وأصبحت الدول التابعة لألمانيا ميالة الى الانسحاب من الحرب . وكان بعضها يتطلع الى وسيلة للهروب منها . وكانت فنلندة أولى هذه الدول .

ففي منتصف شهر فبراير من عام ١٩٤٤ ، قام ياسيكيفي ، الزعيم الفنلندي البارز ، وأحد دعاة العلاقات الودية مع الاتحاد السوفياتي بزيارة غير رسمية لكولوننتاي سفير الاتحاد السوفياتي في ستوكهولم . وأبلغ السفير الزعيم الفنلندي نيابة عن حكومته أن « الحكومة السوفياتية لا تجد ما يبرر لها الشعور بالثقة بالحكومة الفنلندية الراهنة ، ولكن اذا لم تكن هناك أية احتمالات اخرى لدى الفنلنديين، فان الحكومة السوفياتية

(١) مجلة « الوصع » - يوليو - أغسطس - سبتمبر ١٩٤٤

(٢) المحلة التاريخية للحرب العالمية الثانية - أكتوبر ١٩٥٥ - ص ٤٠

توافق حرصا على السلام ، على التفاوض مع الحكومة الفنلندية الراهنة ، فى موضوع وقف العمليات الحربية » (١) ، وطلبت الحكومة السوفياتية من فنلندا أن تقطع علاقاتها بألمانيا وأن تحتجز ما لديها من قوات وسفن ألمانية ، وأعربت عن استعدادها لمساعدة فنلندا فى تحقيق ذلك . وطلبت الحكومة السوفياتية أيضا ، إعادة المعاهدة السوفياتية - الفنلندية لعام ١٩٤٠ الى الوجود ، وانسحاب القوات الفنلندية الى الحدود التى نصت عليها تلك المعاهدة .

وهكذا أتاحت لفنلندا فرصة واقعية للخروج من الحرب ، واعلان قطيعتها مع ألمانيا الهتلرية . ولكن الطبقة الفنلندية الحاكمة واصلت اتباع سياستها المزدوجة . فقد أعلنت الحكومة الفنلندية فى السابع عشر من مارس من عام ١٩٤٤ أنها لا تستطيع قبول الشروط السوفياتية « لأنها ليست واثقة تمام الثقة من تفسير هذه الشروط ومن أهميتها » (٢) وردت الحكومة السوفياتية بأنها تسمح لوفد فنلندى بالمجيء الى موسكو للحصول على التفسير المطلوب .

ووصل الى موسكو فى السادس والعشرين من مارس من عام ١٩٤٤ وفد فنلندى « برئاسة » باسيكيفى ، حيث تسلم شروط الاتحاد السوفياتى لاحلال السلام . وأضافت الحكومة السوفياتية الى الشروط التى كان السفير كونتاى قد عرضها ، شروطا أخرى منها أن تدفع فنلندا الى الاتحاد السوفياتى تعويضات عن الخسائر التى ألحقها عملياتها العسكرية واحتلالها للأراضى السوفياتية ، بالاتحاد السوفياتى فى شكل سلع على مدى خمس سنوات . وطلب الاتحاد السوفياتى أيضا استعادة ميناء بتسامو ومنطقتها ، اذ كان قد تخلى عنها طواعية لفنلندا فى عام ١٩٢٠ . ووعد الاتحاد السوفياتى مقابل ذلك بالتنازل عن حقوقه فى اجارة هانكو ومنطقتها .

ونشب صراع حاد فى فنلندا بعد عودة الوفد الى هيلسنكى . فقد أصر الشعب على وجوب وقف اطلاق النار فورا ، بينما رفضت ذلك الحكومة الفنلندية المرتبطة بالنازيين .

ورفضت الحكومة الفنلندية فى التاسع عشر من ابريل من عام ١٩٤٤ شروط الهدنة السوفياتية . وردت الحكومة السوفياتية على هذا الرفض

(١) السياسة الخارجة السوفاسية ٠٠ المجلد الثانى - ص ٥٦

(٢) نفس المصدر ص ٦٩

بمذكرة جاء فيها : « لم تعد فنلندة اليوم مستقلة سياسيا » ، فقد أضاعت هذا الاستقلال منذ اللحظة الأولى التي قبلت فيها القوات الألمانية في أراضيها . والشئ المهم الآن هو أن تستعيد فنلندة استقلالها الضائع عن طريق طرد القوات الألمانية من أراضيها ، ووقف العمليات الحربية مع الاتحاد السوفياتي » (١) .

وسافر ريبنتروب وزير خارجية هتلر على جناح السرعة الى هيلسنكي في الثامن والعشرين من يونيو من عام ١٩٤٤ ، ليحول دون استسلام فنلندة . وحصل الوزير الألماني على تأكيدات من الرئيس الفنلندي ريتي ، بأن تظل فنلندة الى جانب ألمانيا وألا تعقد هدنة منفردة مع الاتحاد السوفياتي . وأشار ريتي في رسالته ، على أى حال ، الى أن وفاء فنلندة بهذا الالتزام يعتمد على مدى ما تقدمه ألمانيا من « مساعدات ممكنة الى القوات الفنلندية المسلحة ، لصد الهجوم السوفياتي على بلادها » (٢) .

ووجه هتلر في مستهل شهر مارس من عام ١٩٤٤ طلبا الى هوزتي الوصي على عرش المجر ، وهو من أكثر أتباع ألمانيا اخلاصا ، بأن يعلن التعبئة العامة في بلاده ، وأن يرسل الى الجبهة السوفياتية والى يوجوسلافيا قوات مجرية كبيرة . وأصر ايضا على ارسال شحنات كبيرة من المواد الأولية والغذائية الى ألمانيا . ولكن لم يكن في وسع الحكومة المجرية أن تتجاهل بعد الآن الوضع الداخلي في البلاد . ولذا فلم تجرؤ على تلبية طلبات الألمان . وردت ألمانيا على ذلك بارسال «قطارات» جديدة ملأى بالجنود الى المجر ، وفرضت على البلاد حكومة جديدة ، أكثر استخذاً لارادتها .

وتقدمت رومانيا في شهر ابريل من عام ١٩٤٤ ، بطلب الى الحكومة السوفياتية ، تسألها فيه عن شروط الهدنة . وتضمن الرد السوفياتي الذي أرسل في الثاني عشر من ابريل ، الشروط التالية : قطع العلاقات مع ألمانيا . ووقف العمليات العسكرية المشتركة معها ، مع توجيه القوات الرومانية للعمل مع القوات السوفياتية ضد الألمان بقصد استعادة استقلال رومانيا ، واعادة الحدود السوفياتية الرومانية الى ما كانت عليه بموجب معاهدة عام ١٩٤٠ ، والتعويض «على» مالق بالاتحاد السوفياتي من جراء العمليات الحربية والاحتلال الروماني ، واعادة اسرى الحرب والمعتقلين ،

(١) السياسة الخارجية السوفياتية - المجلد الثاني ص ٧١

(٢) صحيفة هيلسنكي سانومات عدد ١٤ ديسمبر ١٩٤٥

ومرور القوات السوفياتية بحرية عبر الاراضى الرومانية طبقا لمتطلبات
الضرورات العسكرية . ووافقت الحكومة السوفياتية على الغاء اتفاق فيينا
لعام ١٩٤٠ الذى نقل شمال ترانسلفانيا من رومانيا الى المجر ، وعلى أن
تعود هذه المنطقة الى رومانيا (١) .

ورفضت حكومة انطونيسكو هذه الشروط . ولكن الكتلة الفاشية
كانت قد اهتزت من قواعدها . ولم يكن فى وسع الاساليب التسوية
التي اتبعتها الدول التابعة لمانيا لتأجيل عقد الهدنة ، أن تغير شيئا فى
الوضع .

- ٣ -

استندت الانتصارات العسكرية والسياسية التي حققها الاتحاد
السوفياتي والتي كانت لها آثار دولية ضخمة قررت نتيجة الحرب ، على
العمل البطولى للشعب السوفياتي . وكان لدى الجيش السوفياتي فى
عام ١٩٤٤ ، من العتاد والمدافع والمدرعات والطائرات ، مايفوق ما لدى
العدو منها . وكان السلاح السوفياتي متفوقا فى الكيف أيضا على
أسلحة جيوش المحور ، كما كان مجهزا فى مؤخرته بكميات كافية من
المواد التي يحتاج اليها .

وأصدرت الحكومة السوفياتية فى شهر أغسطس من عام ١٩٤٣ ،
قرارا يقضى باجراءات فورية لاعادة بناء المناطق التي يتم تحريرها من
الاحتلال الألمانى . وتم وضع مشروعات واسعة لاستعادة الوضع الاقتصادى
فى الأقاليم الحديثة التحرر .

ووصل الجيش السوفياتي الى حدود ألمانيا . وكانت مؤخرة الألمان
فى البلقان قد بدأت فى الانهيار والتفسخ تحت وطأة الهجمات المشتركة
التي تقوم بها الأسلحة السوفياتية وحركات المقاومة . وكان من العسير
على القوات الألمانية المسلحة الاحتفاظ بهذه الجبهة . وراحت القيادة الألمانية
تدفع الى الشرق بكل ما تبقى لديها من قوات صالحة فى أوروبا الغربية .
واكتسبت حركات التحرر فى البلاد المحتلة غذا جديدا وسريعا . وأقامت
الأوضاع العسكرية والدولية الدليل الواضح على أن الاتحاد السوفياتي
قادر تمام القدرة على اتمام هزيمة ألمانيا الفاشية بمفرده ، وعلى تحرير
شعوب أوروبا من الحكم الهتلري .

(١) السياسة الخارجية السوفياتية - المجلد الثانى - ص ١٠٥

وقوصت الانتصارات السوفياتية الحاسمة على ألمانيا الهتلرية أيضا،
المراكز السياسية والاستراتيجية التي احتلها الامبرياليون اليابانيون .
وكانت الحكومة اليابانية فى شهرى ابريل ومايو من عام ١٩٤١ قد تعهدت
خطيا ، بتسوية موضوع انتهاء امتيازات الزيت والفحم الممنوحة لليابان
فى موعد أقصاه شهر نوفمبر من عام ١٩٤١ . ولكنها اغتنمت فرصة
هجوم هتلر على الاتحاد السوفياتى فى ذلك العام للتهرب من التزامها
هذا . وعادت الحكومة السوفياتية فى عام ١٩٤٤ ، فأثارت الموضوع من
جديد ، وطالبت بنقل ملكية الامتيازات اليابانية فى الجزيرة الى الاتحاد
السوفياتى ، وبمنع الرعايا اليابانيين وغيرهم من الأجانب من صيد
الأسماك فى المياه السوفياتية . وكانت الحكومة اليابانية هذه المرة أكثر
ليوننة ومرونة ، اذ قبلت المطالب السوفياتية ، وتم التوقيع فى الثلاثين
من مارس من عام ١٩٤٤ فى موسكو على بروتوكول مناسب ، يضمن
تحقيق ما طلبه الاتحاد السوفياتى .

نزول الحلفاء في فرنسا

- ١ -

لم تفتح الجبهة النانية في أوروبا لا في عام ١٩٤١ ، ولا في عام ١٩٤٢ . ولم تفتح الجبهة أيضا في عام ١٩٤٣ ، عندما كان التيار قد تحول ، وخسرت ألمانيا ما كان لها من مزايا في ميدان القتال ، ولم تنزل القوات البريطانية والأمريكية في شمال فرنسا ، إلا بعد أن أصبحت نتيجة الحرب واضحة كل الوضوح ، وذلك في السادس من يونيو من عام ١٩٤٤ .

ومل الابطاء المتعمد في فتح الجبهة الثانية الجريمة الكبرى التي ارتكبتها الرجعيون البريطانيون والأمريكان ضد الشعوب التي تحارب الفاشيين ، بما فيها شعب بريطانيا والولايات المتحدة أيضا . فقد كلف الابطاء في فتحها هذه الشعوب خسارات ضخمة في الأرواح .

واعتبرت الدوائر الأمريكية الحاكمة نزول القوات في أوروبا كمرحلة في معركتها من أجل السيطرة على العالم . وكان هذا هو السبب الذي دعا تشرشل أيضا الى محاولة تأجيل فتح الجبهة في عام ١٩٤٤ ، حرصا منه على مصالح الاحتكارات البريطانية ، ولعل هذا هو السبب الذي دفعه الى الاصرار على الهجوم في إيطاليا . فقد بدأت الحملة الإيطالية في شهر يناير ثم سارت في ببطء شديد ، وأخيرا ، وفي الخامس من يونيو دخلت القوات البريطانية والأمريكية مدينة رومة .

وكان الوضع الدولي قد بين في غضون ذلك ، الحاجة الماسة الى فتح جبهة ثانية ، اذ أن أي ابطاء فيها قد يؤدي الى تدمير المخططات الامبريالية

البريطانية والأمريكية . وكانت حركة التحرر التي يقودها الشيوعيون في فرنسا قد بدأت في التفجر نتيجة الأثر الذي خلفته الانتصارات السوفياتية « الداوية » . وكان الوطنيون الفرنسيون يرون الفرق ١ لمائية وهي تمضي الى الشرق حيث لا عودة لها منه .

ووجه موريس توريز في الثامن عشر من مايو من عام ١٩٤٤ ، نداء في الاذاعة ، دعا فيه الشعب الى القيام بثورة عامة مسلحة . وكان النضال التحرري الذي يخوضه الفرنسيون قد بدأ في التحول بصورة متدرجة الى ثورة شاملة على سلطات الاحتلال الألماني . واستبد الفزع بالقوى الرجعية في طول العالم وعرضه .

وكانت الدوائر الحاكمة في بريطانيا والولايات المتحدة عند اصدارها الأمر بالنزول في شمال فرنسا ، قد حزمت أمرها على تحقيق مخططاتها الامبريالية بالنسبة الى ألمانيا . فهي لا تريد رؤية النازية وقد سحقت بصورة نهائية . وكان هدفها أن تنقذ القوى الرجعية في أوروبا من الابداء الشاملة . وكانت تريد أيضا أن تحول دون تحول دول أوروبا الغربية الى الديمقراطية الصحيحة ، وأن تغلق الطريق أمام زحف الجيش السوفياتي باتجاه الغرب . وكان الامبرياليون البريطانيون والأمريكيون يتسابقون كالفرسان لاحتلال المراكز المناسبة في أوروبا للجولة الثانية من صراعهم على السيطرة العالمية .

وشرح الجنرال عمر برادلي الذي كان يتولى قيادة قوة أمريكية كبيرة الهدف من غزو نورمانديا بقوله : وكان لابد لنا لتجنب الفوضى في القارة الأوروبية ، من تجميع مثل هذه القوات الضخمة وعبور القناة بها ، ثم التحرك الى ألمانيا لنزع أسلحة قواتها ، وفرض السيطرة على البلاد (١) .

وعندما بدأ الانزال ، أصدر ايزنهاور أوامره الى الفرنسيين بوقف كل مقاومة مسلحة ضد المحتلين الألمان . وأصدر الجنرال الفرنسي كونيغ أمرا مماثلا نيابة عن اللجنة الوطنية الفرنسية . وتقول برقية بعث بها الى ممثلي اللجنة في فرنسا : « لما كان من المستحيل تزويدكم بالسلاح والعتاد في الوقت الحاضر ، فعليكم أن تقللوا الى أدنى حد ممكن من « نشاطات » العصابات » (٢)

(١) عمر برادلي - نفس المصدر ص ١٩٩

(٢) ريموند ماسيبه « الاعدادات للثورة ومعركة باريس » - باريس ١٩٤٥ - ص ١٨

وكان هذا القول يعنى بعبارة أخرى ، أن يوقف الوطنيون الفرنسيون ثورتهم المسلحة ، وأن يطيعوا أوامر السلطات الألمانية . وكان هذا الأمر خيانة قاسية للشعب الفرنسي وحربا سرية على البلاد .

ولم يكن لألمانيا فى أوروبا الغربية أكثر من ستين فرقة منها تسع فرق من المشاة وفرقة مدرعة واحدة بقيادة الماريشال رومل فى نورمانديا أى على مقربة من مسرح الغزو . يضاف الى هذا أن الفرق الألمانية فى أوروبا الغربية لم تكن كاملة فى أعدادها اذ تجاوزت نسبة النقص الثلاثين فى المائة ، كما كان معظم رجالها من الذين تجاوزوا سننى الشباب . وكانوا يفتقرون الى الكثير من المعدات ولم تكن لديهم أكثر من ثلثمائة طائرة حربية . ولكن السلاح الجوى سرعان ما تضاعف .

وخصصت الولايات المتحدة وبريطانيا اللتان لم تكونا قد خاضتا بعد غمار حرب واسعة النطاق ، قوة ضخمة لمواجهة الغزو ، وتقرر أن يبدأ الغزو بست وثلاثين فرقة ، وأن تلحق بها عشر فرق أخرى تنزل فى جنوب فرنسا ، كما تقرر الاحتفاظ بأربعين فرقة مستعدة لتمثل دور الاحتياطى . وكانت لدى ايزنهاور ٥٠٤٩ طائرة مقاتلة و ١٤٦٧ قاذفة ثقيلة و ١٦٤٥ قاذفة متوسطة وخفيفة و ٢٣١٦ طائرة للنقل و ٢٥٩١ من الطائرات بلا محركات . وخصص لعملية العبور أسطول يضم ٦٤٨٣ سفينة حربية وسفينة نقل بينها البريطانية والأمريكية والكندية والهولندية والنرويجية والبولندية والفرنسية واليونانية ، وبينها ست بوارج وخمسة وعشرون طرادا .

وكان من المقرر أن يبدأ النزول فى مصب نهر السين بين شربورج والهافر ، على جبهة طولها سبعون ميلا ، تبدأ عند بلدة كوينفيل وتنتهى عند مصب الأورن . وكان على القوات الامريكية ان تعمل فى القطاع الغربى من الساحل وان تعمل القوات البريطانية فى القطاع الشرقى (١) . وقد اختيرت هذه المنطقة لأنها تخلو من الموانئ الكبيرة ، وهو أمر يؤمن عنصر المباغتة فى العملية . وكانت الطائرات البريطانية والامريكية قد انقطعت عن التحليق فوق المنطقة منذ مدة ، كما فرض ستار من الصمت على الأجهزة الاذاعية . وتحرك الأسطول للقيام بالعملية من عدة موانئ بعيدة للغاية ، بعد أن كانت أجهزة الرдар الألمانية قد حطمت من الجو . ولم يكن لمقر قيادة العملية أى اتصال بالعالم

(١) التقرير نصف السنوى « لرئاسة » هيئة أركان حرب الجيش الامريكى فى ٦ يونيو -

١٩٤٤ و ١٨ مايو ١٩٤٥

الخارجى طيلة الشهرين اللذين سبقا الغزو ، كما نقل جميع المدنيين من المناطق البريطانية التى كان يجرى فيها حشد القوات البرية التى ستستخدم فى الهجوم .

وبدأ الهجوم فى الساعة الواحدة والنصف من صباح السادس من يونيو تحت جناح الظلام . ولم تكن هناك إلا فرقتان ألمانيتان من الجيش السابع فى المناطق القريبة من مكان الغزو . وقد هبطت أول ما هبطت ثلاث فرق من المظليين المحمولين بالطائرات وسرعان ما لحقت بها خمس فرق أخرى فى السادسة والنصف .

وذكر الأميرال رامزى الذى قاد أسطول الحلفاء « أن عبور القناة تم دون معارضة وبشكل مذهل » . ولم يبق الألمان فى اليوم الأول من الهجوم بأكثر من خمسين غارة جوية صغيرة . وافترضت القيادة الألمانية نظرا للتفوق العدى الهائل للقوات الانجلو أمريكية ، أن هذه القوات لن تحصر عملياتها فى رأس الجسر ، بل ستبادر بالهجوم باتجاه باريس . وكتب تيبلسكيرش فيما بعد يقول : « وكانت القيادة الألمانية تتوقع نزولا أكبر الى الشمال من نهر السين ، واعتبرت أن كل ما حدث ليس الا استهلالا ومحاولة لصرف الأنظار » (١) .

وبالرغم من كل هذا ، فقد تأخرت عملية الانزال عن الموعد المحدد لها ، فلم تبدأ عملية توسيع رأس الجسر الا فى نهاية اليوم السابع من النزول ، بدلا من اليوم الثانى الذى كان مقررا من قبل ، وذلك بعد أن استطاع الانجليز والأمريكيون أخيرا توحيد مناطق النزول الخمس وتشكيل جبهة طولها ثمانون كيلومتر ويتردد عمقها بين العشرة والثمانية عشر كيلو مترا .

وقدم الوطنيون الفرنسيون الذين تحدوا أوامر ايزنهاور وكونيج ، مساعدات فعالة للنزول الانجلو - أمريكى فى شمال فرنسا . وتمكن المناضلون الفرنسيون الذين يقودهم الشيوعيون من تحرير اثنتين وأربعين بلدة ومئات القرى على مقربة من رأس الجسر الانجلو - أمريكى فى نورمانديا . وساعد هذا العمل قوات الحلفاء على تثبيت منطقة عملياتها وتوسيعها . واعترف ايزنهاور وهو مرغم بأن الأنصار « أفادوا الحملة فائدة كبيرة . وكان نشاطهم واضحا وملحوظا بوجه خاص فى بريتانى ، ولكننا كنا نلقى المعونة منهم فى كل جزء من أجزاء الجبهة ، وفى مختلف الصور والسبل . ولولا هذه المساعدة العظيمة التى لقيناها منهم ،

(١) سبلسكيرش - نفس المصدر ص ٤١٩ .

لاستغرق تحرير فرنسا ، وهزم العدو في أوروبا الغربية ، أمدا أطول بكثير ، ولادت العملية الى خسائر كبيرة في أرواح رجالنا » (١) .

وبالرغم من الأوضاع الموانية، فقد ظل التقدم الانجليزى - الأمريكى بطيئا للغاية ، اذ لم يزد على أكثر من أربعة كيلومترات فى اليوم الواحد . ويبدو أن مخططى السياسات الأمريكية والبريطانية كانوا مترددين فى شن هجوم واسع النطاق ، مخافة أن يؤدى ذلك الى اضعاف المقاومة الألمانية الفاشية للزحف السوفياتى . ويمكن التسوف الانجلو - أمريكى، القيادة الألمانية من نقل قواتها بحرية من الجبهة الغربية الى الجبهة السوفياتية .

ولعل هذا السبب ، بالاضافة الى عامل آخر ، وهو رغبة الانجليز والأمريكان فى الابقاء على ممتلكاتهم فى ألمانيا ، هو الذى جعل غارات الحلفاء لا توجه الى ضرب الصناعات الألمانية بل الى ضرب سكان المدن الألمانية .

وكان انتاج ألمانيا الحربى فى عام ١٩٤٤ يزد عن انتاجها فى عام ١٩٤٢ بنسبة ١٨٠ فى المائة . وبين الجدول التالى المستقى من وثائق الحكومة الألمانية تطور هذا الانتاج من سنة الى أخرى :

| ١٩٤٠ | ١٩٤١ | ١٩٤٢ | ١٩٤٣ | ١٩٤٤ | |
|------|------|------|------|------|------------------------|
| ١٣٥٢ | ١٣٥٩ | ١٣٧٠ | ٢٢٤٤ | ٢٥٨٦ | بنادق عادية بالألوف |
| ١٧١ | ٣٢٥ | ٣١٧ | ٤٣٥ | ٧٨٧ | الأسلحة الأونوماتيكية |
| | | | | | للمشاة بالألوف |
| ٤ | ٤ | ١٠ | ٢٣ | ٣١ | قاذفات الألغام بالألوف |
| ٥ | ٧ | ١٢ | ٢٧ | ٤١ | مدافع أكثر من ٧٥ ملم |
| | | | | | بالألوف |
| ٣٧ | ٨٣ | ١٤٠ | ٣٦٩ | ٦٢٢ | دبابات وسيارات مدرعة |
| | | | | | بالألوف الأطنان |
| ١٠ | ١١ | ١٥ | ٢٥ | ٣٨ | طائرات حربية بالألوف |
| ٨٦٥ | ٥٤٠ | ١٢٧٠ | ٢٥٥٨ | ٣٣٥٠ | ذخائر بالألوف الأطنان |

وكانت الدعايات البريطانية والأمريكية قد بالغت فى الحديث عن

(١) دوايت ايزنهاور فى كتابه « حرب صليبية فى أوروبا » - نيويورك ١٩٤٨ . ص

تأثير الغارات الجوية الاستراتيجية للحلفاء على ألمانيا . لكن هذا القصف لم يكن في الواقع مهما بالنسبة الى نتيجة الحرب . فقد أصابت آثار هذه الهجمات الجوية ، كما يقول فولر ، السكان المدنيين ليس الا (١) . وظلت الصناعات الحربية الألمانية ، سليمة لم تمس ، وهي تضاعف انتاجها ، حتى في عام ١٩٤٤ . وقد تم هذا بالرغم من أن الولايات المتحدة وبريطانيا أسقطتا قنابل على ألمانيا والبلاد المحتلة في الأشهر الستة الأولى من عام ١٩٤٤ ، يزيد عددها على كل ما أسقطته في المدة التي سبقت ذلك من الحرب (٢) .

وروى سبير وزير التسليح الألماني أثناء محاكمات نورمبرج ، أن هتلر نفسه كان « مندهشا » من هذه الأساليب التي اتبعتها بريطانيا والولايات المتحدة في غاراتها الجوية على ألمانيا .

وبالرغم من كل ما قيل ويقال ، فقد كان للغارات الجوية على ألمانيا نفع عسكري ، اذ أجبر ألمانيا على تحويل شطر كبير من قوتها البشرية الى أعمال الدفاع المدني . ويكفي أن يقال ، ان عدد العاملين في المدافع المضادة للطائرات في ألمانيا كان ٤٣٩ ألفا من الرجال في عام ١٩٤٢ ثم ارتفع الى ستمائة ألف في عام ١٩٤٣ ، والى تسعمائة ألف في عام ١٩٤٤ . واستخدمت ألمانيا لتتأثر لنفسها من هذه الغارات ، الصواريخ الموجهة لضرب بريطانيا من الجو . وبدأ هذا القصف في الثالث عشر من يونيو من عام ١٩٤٤ ، وأطلق الألمان في الثمانين يوما التالية نحو من ثمانين ألف صاروخ موجه ، أصاب ٢٩ في المائة منها أهدافها ، وأسقط ٤٦ في المائة منها ، وخرج ٢٥ في المائة منها عن وجهة السير المقررة .

- ٢ -

وبينما كانت الحكومتان : البريطانية والأمريكية تبديان هذا التقاعس في مسارح الحرب ، كانتا تواصلان تخطيط الدسائس والمؤامرات المعادية للاتحاد السوفياتي . وتقومان بأعمال غادرة لتحويل الصراع

(١) فولر « الحرب العالمية الثانية » ص ٢٢٨ . ويمضى فولر فيقول : « وكان المبرر لهذه المذابح المفزعة الرهبة التي يخجل منها ابتلا زعيم البرابرة ، المتطلبات العسكرية » .

(٢) « تأثير القصف الاستراتيجي على الاقتصاد الحربي الألماني » - ٣١ أكتوبر ١٩٤٥ - ص ٤ .

السياسى فى البلاد الرأسمالية فى أوربا ضد الحركات الديمقراطية .

وكانت المخابرات الأمريكية فى أوربا التى يتولى قيادتها من سويسرا ، اللين دالاس ، كبير الجواسيس الأمريكان ، تمهد السبيل ، لمؤامرة ضخمة ، هدفها الأخير ، حماية ألمانيا الهتلرية من الهزيمة الكاملة ، وسد الطريق فى اتجاه الغرب بالقوات الفاشية أمام زحف الجيش السوفياتى . ولقد وصفت صحيفة « اينهايت » ، وهى المجلة النظرية لحزب الوحدة الاشتراكية فى ألمانيا هدف هذه المؤامرة على النحو التالى : « لم يكن هدف المؤامرة » ، الرغبة فى الإطاحة بالديكتاتورية الفاشية ، وإقامة سلطة ديمقراطية مكانها ، ولا الرغبة فى التخلي عن سياسة القرصنة الإمبريالية والاستعاضة عنها بسياسة سلمية ، وإنما كان الدافع لها ، الرغبة فى الإبقاء على النظام الإمبريالى العسكرى (١) .

وكان المتآمرون على استعداد للتضحية بهتلر . وكانوا يهدفون الى إزاحته من الطريق مع الحفاظ على سياسته وعلى النظام الفاشى . ولم يكن من المتوقع أن يحدث سوى تبدل واحد فى السياسة الألمانية ، وهو التحول من الحرب ضد الولايات المتحدة وبريطانيا الى الصلح معها . فعندما تتم الإطاحة بهتلر ، تجرى محاولة للإسراع فى عقد هدنة ، دون إرسال مبعوث ألمانى الى مقر قيادة ايزنهاور للتفاوض على الاستسلام . وتكون الولايات المتحدة وبريطانيا قد اتخذتا أهبتهما من قبل لنقل قواتهما بطريق الجو الى ألمانيا ، لمساعدة الحكومة الجديدة المؤلفة من الرجعيين الصادقين ، والعسكريين فى الاحتفاظ بالسلطة ضد أية أعمال قد يقوم بها الشعب الألمانى أو القوى الجماهيرية ، وفى حشد القوات فى الشرق لمواصلة الحرب ضد الاتحاد السوفياتى (٢) .

ويبين اللين دالاس فى تقريره الى واشنطن ، أن المؤامرة ستزيل الخطر الذى يهدد الأراضى الألمانية فى الشرق ، ويحفظ أكبر قدر من البلاد من الاحتلال السوفياتى « (٣) . وذكر الماريشال رومل الذى كان أحد المتآمرين ، أن من الخير لألمانيا أن تنهى الحرب وتتحول الى ممتلكات بريطانية مستقلة على أن تزال من الوجود بعد نضال يائس لا أمل فيه. (٤)

(١) مجلة اينهايت . العدد ١٢ - ١٩٤٧ . ص ١١٧٣ .

(٢) جى . ويلرنبى فى كتابه « نعمة السلطان » الجيش الألمانى فى ميدان السياسة ١٩١٨ - ١٩٤٥ « - لندن ١٩٥٤

(٣) اللين-ويلش دالاس « الحركة السرية فى ألمانيا » - نيويورك ١٩٤٧ ص ١٣٩ .

(٤) مجلة « تاجيسبيجيل » - ٢٤ فبراير ١٩٤٦ .

ورسم المتآمرون خططهم لاستمرار المقاومة العنيدة ضد الجيش السوفياتي ، وذكر دالاس أن « جوهر الحطة كان يمثل في أن يفتح الجنرالات الألمان المعادون للنازية الطريق أمام القوات البريطانية والأمريكية لاحتلال ألمانيا بينما يصمد الجيش الألماني أمام الروس في الجبهة الشرقية » (١) .

وذكر دالاس في برقية رمزية بعث بها الى واشنطن في الثالث عشر من يوليو ، أن القوات الألمانية ستقوم بانسحاب منظم في الغرب في حالة نجاح المؤامرة ، بينما ترسل أحسن الفرق الألمانية الى الجبهة الشرقية (٢)

ولم تكن هذه هي المؤامرة الأولى من نوعها في ألمانيا . ولكنها اختلفت عن سابقتها في أن الاعداد لها كان دقيقا وكاملا . وقد أبلغت لندن وواشنطن مسبقا ، كما يقول دالاس ، « بكل ما كان المتآمرون يعتزمون عمله » (٣) وكان هjalmar شاخت الاقتصادي الألماني المعروف وعدد من كبار رجال الصناعة والمال الألمان من ابرز أعضاء هذه المؤامرة . وقام شاخت بريارة سويسرا ، حيث أجرى مفاوضات مع دالاس ومع غيره من رجال المصارف الأمريكيين حول مستقبل الديكتاتورية الفاشية في ألمانيا . ووعد شاخت أصحاب الملايين الأمريكيين بشطر من الاقتصاد الألماني يشمل صناعات الروهر ، كمكافأة لهم على مساعدتهم . وكانت هذه المفاوضات في الواقع تكملة للمحادثات التي جرت بين شاخت وبين جون فوستر دالاس في عام ١٩٢٤ ، عند البحث في مشروع داوسي .

وكان هانز جيزيفيوس ، وهو من كبار ضباط المخابرات الألمانية ، بين قادة المتآمرين . وقد ضمت قائمتهم أيضا كارل جوير ديلر رجل الصناعة الألماني وصاحب الارتباطات الوثيقة بالدوائر البريطانية .

وكانت مجموعة كبيرة من الجنرالات الألمان قد اشتركت في المؤامرة . وتضم قائمتهم الماريشال ايروين فون ويتزليبين ، والجنرال اليكساندر فولكنهاوزن ، والماريشال لودفيك بيك والجنرال ايريك هويبنر ، والجنرال سييب ديتريش وغيرهم . وانضم الى المؤامرة أيضا عدد من أفراد الجناح اليميني السابق في الحزب الاشتراكي الديمقراطي من أمثال ويلهلم

(١) اللي دالاس - نفس المصدر - ص ١٣٩

(٢) نفس المصدر ص ١٤٠

(٣) نفس المصدر ص ١٧٢ - ١٧٣

نويشنر . وضمت قائمة المتآمرين كذلك عددا من الدبلوماسيين لألمان من أفراد « المدرسة القديمة » من أمثال الكونت فيرنفون ديرشولنبرج السفير السابق في الاتحاد السوفياتي ، واولريخ فون هاسيل ، السفير السابق في رومه وصهر الأميرال الفريد فون تيربيتتر ، وجوتفريد بسمارك حفيد أوتو بسمارك ، والكونت هيلموت فون مولتكه ، السفير السابق في وارشو ومدريد ، وغيرهم .

وأقام المتآمرون مقر قيادة لهم في برلين ، وتوزعوا المناصب في الحكومة المقبلة . وقد تقرر أن يعهد لويترليبين « برئاسة الجمهورية ، و « برئاسة » الحكومة (المسنارية) ، بناء على طلب بريطانيا لجويردler ، وبنياية المستشارية . للويشنر ، وبوزارة الخارجية لهاسيل ، وبوزارة الحربية لبك ، و « برئاسة » أركان الحرب لهويشنر .

وكان قد اوضح في صيف عام ١٩٤٤ أن الاتحاد السوفياتي قادر وحده . ودون مساعدة من الخارج على تحطيم ألمانيا الهنلرية . وتوضح لنا هذه الحقيقة سبب نزول الانجليز والامريكيين في نورمانديا ، كما توضع الأمر الذي أصدره اللين دالاس الى المتآمرين ، للسير في عمليتهم الانقلابية (١) . وتلقى عملاء دالاس تعليماته ، وكتب جيزيفيوس الى بك يقول : « ان الزمن ليس في صالحنا ، فعلينا أن نعمل » . وتحدد اليوم العشرون من يوليو من عام ١٩٤٤ ، للقيام بالانقلاب . ووصل جيزيفيوس في ذلك اليوم الى برلين يحمل أوامر دالاس الأخيرة (٢) .

وقام ضابط ألماني برتبة عقيد اسمه كلاوس فون شتوفينبرج بمحاولة قتل هتلر في العشرين من يوليو من عام ١٩٤٤ . فقد وضع محفظة تضم قنبلة مؤقتة على بعد بضع ياردات من المقعد الذي كان يجلس عليه هتلر ، في قاعة المؤتمرات في مقر قيادته . وانفجرت القنبلة ، في نفس اللحظة التي كان فيها الجنرال هورزينجر يقدم تقريره عن الوضع الحربي قائلا : « ان كارثة ستقع اذا لم تتخذ اجراءات عاجلة » (٣) وقتل بعض الحاضرين ، وجرح عدد آخر ، ولكن هتلر نجا بأعجوبة ، بعد أن أصيب ببعض الخدوش والحروق . وسرعان ما انقض على المتآمرين ينكل بهم . فشلت المؤامرة ، ولكن فشلها لا يرجع الى الاخفاق في قتل هتلر .

(١) كتاب فاسان فون شلابرندورف . « كادوا بفلون هتلر » ، مكلان - نيويورك

١٩٤٧ . ص ٣٠ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) ال . سايدر - في كتابه « الحرب » - نيويورك ١٩٦٠ ص ٣٧٦ .

وانما يعود الى أسباب أعمق من ذلك بكثير . فلفد كان المتآمرون أولا ، غرباء ومعادين روحيا للشعب الألماني . ولم يكونوا يتمتعون بأى دعم جماهيرى ، ولم يكن فى وسعهم الاعتماد على مساعدة أى انسان . وكان هذا السبب وحده كافيا لاختفاق المؤامرة . يضاف الى هذا أنه كان من العسير تماما تنفيذ المؤامرة فى وقت كان فيه الجيش السوفياتى يواصل تقدمه فى ألمانيا . فقد جرت محاولة اغتيال هتلر ، فى الوقت الذى كان فيه مقر قيادته لا يزال فى راستنبرج فى بروسيا الشرقية . وسرعان ما نقل مقر القيادة ، نظرا لزحف القوات السوفياتية ، وتقرر أخيرا إقامة المقر فى برلين فى دار المستشارية الامبراطورية التى تضم عددا من الملاجئ المنيعة ضد الغارات الجوية . واعتبر مقر القيادة العامة ، والحكومة الألمانية من أسرار الدولة العظمى .

ولكن حكام الولايات المتحدة وبريطانيا لم يتخلوا عن تحركاتهم وراء الكواليس بعد اخفاق المؤامرة الفاشلة . ويقول جون جيلفيرت وينانت ، سفير الولايات المتحدة فى لندن : ان رأى الغالب لدى الدوائر البريطانية الرسمية كان الاحتفاظ بألمانيا كسد ودولة عازلة فى وجه روسيا ، اذ اعتقدت هذه الدوائر أن الشيوعية أكثر شرا من بعث ألمانيا « (١) .

وكانت الحكومة البريطانية لا تزال مصممة على تنفيذ استراتيجيتها البلقانية « . ومضى تشرشل فى شهر أغسطس من عام ١٩٤٤ الى إيطاليا ليعد العدة لغزو جنوب شرق أوروبا ، وقد بحث مع البابا بيوس الثانى عشر ، موضوع انقاذ الملكية فى إيطاليا ، والحيلولة دون تحول إيطاليا الى الديمقراطية ، ودور الكنيسة الكاثوليكية فى تحقيق الخطط الامبريالية فى جنوب شرق أوروبا .

ويقول تشرشل فى مذكراته : انه كانت هناك مواضيع مشتركة كثيرة تصلح للحديث بينه وبين البابا . ويضيف تشرشل : « أن الموضوع الأساسى الذى برز فى هذه المحادثات ، هو نفس الموضوع الذى كان قد جرى الحديث فيه مع سلفه قبل ثمانية عشر عاما ، وهو خطر الشيوعية . ولقد كنت دائم « الكره » لها ، ولو قدر لى أن أقابل قداسة البابا مرة أخرى ، لما ترددت لحظة واحدة فى العودة الى نفس الموضوع « (٢) .

وعقد تشرشل بعد مقابلته للبابا سلسلة من الاجتماعات السرية فى

« (١) نيوتايمز - موسكو - العدد ١٩ - ١٩٤٧ . ص ٢٦ .

« (٢) تشرشل - مذكراته - المجلد السادس . ص ١٠٣ .

رومه مع ممثلى الجماعات الرجعية فى شرق أوربا وجنوبها الشرقى . وكان فى مقدمة هؤلاء ممثلو حكومة هورتى فى المجر ، وأمراء أسرة هابسبورج فى النمسا ، وجماعات الجنرال اندرس البولندى المعادية للاتحاد السوفياتى ، والملكيون البلغار ، والملكيون الرومانيون والتشيتنيك اليوجوسلاف ، والفاشيون الملكيون فى اليونان والرجعيون فى ألبانيا (١) . وطلب الى جميع هؤلاء الممثلين أن يهيئوا الجو لغزو بريطانيا لبلادهم .

واهتمت الحكومة البولندية المهاجرة فرصة هذه المشروعات الرجعية اللاشعبية ، واقرحت على الحكومتين : البريطانية والأمريكية أن تتخذ « اجراءات سياسية فى بولنده لاعلان الثورة فى وارشو » (٢) . وتم بحث مسودة هذا المخطط فى اجتماع تم بين ميكولايشيك وتشرشل . ولم يكن القصد من هذه الثورة مضايقة الغزاة الألمان وانما كانت جزءا من لعبة سياسية قصد منها أن تظهر حكومة بولنده المهاجرة فى لندن بأنها ذات نفوذ فى بلادها . وكانت هذه الثورة مشروعا متهورا يهدف الى معارضة الحكم الشعبى فى بولنده ، ومقاومة الجيش السوفياتى . ودفع الرجعيون البولنديون ساسة لندن وواشنطن الى القيام باجراءات متعجلة ، ولكنهم لم يحققوا فى النهاية الا ما يكاد يشبه مذبةحة متعمدة للوطنيين البولنديين وتدمير المدينة وارشو . ولا شك فى أنهم كانوا يعرفون أن لدى النازيين قوات مدرعة كبيرة فى المنطقة .

فقد عهد الى تاديوس بور - كومورويسكى ، قريب ايريك فون ديم باخ - زيلويسكى ، القائد فى الحرس النازى ونائب ممثل هتلر فى وارشو ، بقيادة الثورة التى أعدتها الحكومة المهاجرة .

وكان الرجعيون البولنديون ، فى دفعهم لهذه الثورة المحتومة الفشل ، يحاولون التظاهر بأنهم المدافعون عن التحرر الوطنى ، وكانوا يأملون فى تولى الدور القيادى فى النضال الشعبى من أجل التحرر ، ليقوموا فى النهاية بخيائته . وكان كل ما يريدونه فرض سيطرة الحكومة المهاجرة على وارشو ، ولو لبضعة أيام .

وبدأت ثورة وارشو فى الاول من أغسطس من عام ١٩٤٤ ، عندما كان الجيش السوفياتى لا يزال بعيدا عن العاصمة . وكان على هذا الجيش

(١) لويس اداميك فى كتابه « عشاء فى البيت الابيض » هاربر - نيويورك ١٩٤٦ - ص ١٦٢

(٢) كودول هل - مذكراته - المجلد الثانى - ص ١٣١٦ .

أن يقطع نهر الفيسستولا ، قبل الوصول إليها ، حيث كان الألمان قد حشدوا قوة كبيرة وسلاسل متعاقبة من الحصون، وتمكن الجيش السوفياتي من إقامة رأس جسر على الضفة الغربية الى الجنوب من ساندومير . ولم تصل القوات السوفياتية الى نهر الفيسستولا أمام مدينة وارشو الا في الرابع عشر من سبتمبر عندما حررت براجا ، ضاحية وارشو على الضفة الشرقية من النهر ، ولكن النازيين كانوا قد نسفوا الجسور التي تصل بين براجا والعاصمة البولندية .

وبدأت فصائل جيش كراجوفا التي ننلقى أوامرها من الحكومة المهاجرة المكروهة على الصعيد الشعبى هذه الثورة . ولكن الوحدات كانت تتألف من وطنيين تحرقهم الرغبة فى النار من قوات الاحتلال الألمانى . ولم يكن هؤلاء الوطنيون يعرفون الكثير عن المخططات السياسية لقادتهم . واشتركت فصائل من جيش « لودوفا » الذى يفوده الشيوعيون فى الثورة .

واعتبر أعضاء لجنة التحرير الوطنى فى بولنده ، اندير كانوا فى وارشو فى تلك الآونة ينولون ادارة « النشاطات » السرية ، وكذلك قادة وحدات الأنصار التابعة لجيش لودوفا ، أن هذه الثورة ليست فى أوانها ، ووصفوا منظمتها بأنهم أناس يتجاهلون المصالح الحقيقية للأمة البولندية . ومع ذلك فقد عملوا كل ما فى وسعهم لمساعدة الثورة وابق جيشا لودوفا وكراجوفا على العمل المشترك وأقاما مفر قيادة للدفاع عن وارشو .

وعندما انفجرت الثورة طلب ميكولايشك من قادة جيش كراجوفا، أن يضمنوا تولى أعضاء الحكومة المهاجرة والمكروهة من التسعب ، معظم المناصب فى الحكومة البولندية المتوقعة ، وأن تعود هذه الحكومة الى العمل بدستور بلسوديسكى الفاشى ، ولكن مطالبه رفضت .

ولم تحاول الحكومتان : البريطانية والأمريكية اخفاء دورهما فى تنظيم ثورة وارشو السابقة لأوانها . وقد رد رئيس وزراء الاتحاد السوفياتى على رسالة من تشرشل بقوله : « ستظهر الحقيقة ان عاجلا وان آجلا ، لتحسر النقاب عن تلك الزمرة من المجرمين الطامعين فى السلطان الذين قاموا بمغامرة وارشو . فقد عرضت هذه العناصر التي استغلت سلامة طوية سكان وارشو ، هؤلاء السكان العزل تقريبا لمدافع الألمان ودباباتهم وطائراتهم . وكانت النتيجة خلق وضع أصبح فيه كل يوم

نمر ، لا يستخدم فى تحرير وارشو وانما لمنفعة الهتلريين الذين يتولون
ابادة السكان المدنيين » (١) .

ولقد تحقق النجاح للثورة فى أيامها الأولى . ويقول تيبلسكيرش :
« كان النجاح فى البداية مثيرا للذهول . وتم عزل معظم الدوائر
العسكرية والمدنية الألمانية فى هذه المدينة عن العالم الخارجى . وقام
الثائرون باحتلال محطات السكك الحديدية ، وهم يحملون قاذفات الألغام ،
والمدافع المضادة للطائرات من عيار ٢٠ ملمتر ، والأسلحة المضادة
للدبابات . وتم اغلاق الطرق الرئيسية فى المدينة . ولم تبق فى أيدي
الألمان الا الجسور الممتدة فوق نهر الفيستولا » (٢) .

وأظهر سكان وارشو منتهى الاخلاص لقضية الحرية ، بعد أن حملوا
على الاعتقاد بأن الثورة قد تمت بالاتفاق مع القيادة السوفياتية . ولكن
لم يكن ثمة تكافؤ فى القوى . ولم تستطع الحكومتان : البريطانية
والأمريكية أن تقدما أى عون الى الثورة . وكان كل ما قاله تشرشل عن
هذه المساعدات أن « طائرتين حليفتين ظهرتتا فى سماء وارشو ليلة الرابع
من أغسطس ، وبعد ثلاث أو أربع ليال » (٣) . وقد أسقطت الطائرتان
الأسلحة التى سقط معظمها فى أماكن يسيطر عليها الألمان . وقامت
الحكومة السوفياتية فى غضون ذلك ، بانزال الأسلحة والعتاد بالمظلات
فى المناطق التى يسيطر عليها الثائرون .

وبعث النازيون بقوة كبيرة لتدمير المدينة وسكانها . وكانوا
يسوقون الاطفال البولنديين أمام دباباتهم ليحموها بهم أو يتقدمون وراء
درع حى من السيدات البولنديات اللاتى لا حول لهن ولا طول . وأخذت
وحدات التدمير الألمانية تنسف بيتا اثر بيت ، ومجموعة من « العمارات »
اثر مجموعة .

ولم تقم الحكومة البولندية المهاجرة بأى اجراء لمساعدة الثورة ،
وكل ما فعلته أنها بعثت بمذكرة الى الحكومة الأمريكية تناشدها فيها انقاذ
النظام الاقطاعى والبورجوازي فى بولنده . وقال كوردل هل وزير
الخارجية الأمريكية وهو يقدم المذكرة الى رئيسه روزفلت : انه يؤيدها
كل التأييد (٤)

(١) مراسلات الحكومة السوفياتية - المجلد الاول . ص ٢٥٥

(٢) تيبلسكيرش - نفس المصدر - ص ٤٧ .

(٣) تشرشل - مذكراته - المجلد السادس - ص ١١٦ .

(٤) كوردل هل - نفس المصدر - المجلد الثانى . ص ١٣١٧ .

وخفف التقدم السوفياتى الى نهر الفيستولا شيئاً من حدة الوضع . وعبرت وحدات الجيش البولندى ليلة السادس عشر من سبتمبر النهر الى الضفة الغربية ، تحت ستار من المدفعية والطائرات السوفياتية ، ووصلت الى وارشو . ولكن هذه الوحدات لم تتمكن من توسيع رأس الجسر الضيق الذى اقامته ، ومن الاتصال بالتأثرين . ومنعت قيادة جيش كراجوفا هؤلاء التأثرين من الاتصال بالوحدات القادمة . واضطرت الوحدات الى التخلي عن رأس الجسر فى الثالث والعشرين من سبتمبر ، وهو نفس اليوم الذى أصدرت فيه الحكومة المهاجرة أوامرها الى التأثرين بالقاء سلاحهم ، والتسليم للألمان . وقد نفذ بعض التأثرين الأمر فكان مصيرهم الإبادة التامة .

ودفع الشعب البولندى ثمن هذه الثورة غاليا ، فقد تجاوزت الخسائر فى الأرواح « الربع مليون » ، وكان فى الامكان أن يرتفع هذا الرقم لو أن القيادة السوفياتية لم توسع مساعداتها التى كان فى استطاعتها تقديمها الى التأثرين ، والى سكان وارشو من المدنيين . وقام الجيشان : السوفياتى والبولندى بمساعدة كثيرين من المدنيين البولنديين على الفرار من المدينة المحاصرة والمحترقة ، وعبور نهر الفيستولا الى ضفته الشرقية .

وهكذا اشتركت الجيوش البريطانية والأمريكية أخيراً بالرغم من جميع الدسائس الرجعية فى المعركة الرئيسية ضد ألمانيا الفاشية . ولا شك فى أن فتح الجبهة الثانية فى أوروبا ساعد على الاسراع فى إنهاء الحرب ضد ألمانيا التى كانت قواتها الرئيسية قد تحطمت على الجبهة الألمانية - السوفياتية . وكان الجنود البريطانيون والأمريكيون متلهفين على محاربة المعتدين النازيين ، ولذا فقد اتسمت هجماتهم بالشجاعة . وساعد عمال بريطانيا والولايات المتحدة قواتهما بالاكثار من الانتاج . وهكذا تعزز الحلف بين شعوب الاتحاد السوفياتى والولايات المتحدة وبريطانيا فى الصراع المشترك ضد الفاشية بالدم الذى سالت فى ميادين القتال .

الجيش السوفياتي بحر أوروبا

- ١ -

قررت القوات السوفياتية التي وُجِدَت الضربات الساحقة إلى الغزاة النازيين ، مستقبل الكثير من الأمم . واطل فجر التحرير من الشرق . وتحققت في عام ١٩٤٤ الرسالة التحريرية العظمى التي أخذها الاتحاد السوفياتي وقواته المسلحة على عاتقهما . وقام الجيش السوفياتي في شهرى أغسطس وسبتمبر بتحرير مولدافيا السوفياتية ، وأرغم رومانيا وبلغاريا على الانسحاب من الكتلة الفاشية في سلسلة من العمليات الهجومية التي شنّها على الجناح الجنوبي للقوات الألمانية . وغير الزحف السوفياتي الصورة السياسية والعسكرية في بلاد جنوب شرق أوروبا .

فلقد أصبحت عمليات النزول البريطانية والأمريكية في البلقان على ضوء هذه الظروف غير ضرورية على الصعيد الاستراتيجي ، وضارة على الصعيد السياسي .

وكانت عملية ياسي - كيشينيف السوفياتية التي قلبت الموازين عند الطرف الجنوبي من الجبهة السوفياتية الألمانية ، أهم تطور عسكري وقع في هذه الآونة . فقد واجهت القوات الألمانية الدمار هناك على أيدي وحدات الجبهات الأوكرانية الثانية والثالثة والرابعة ، واسطول البحر الأسود واسطول نهر الدانوب . وكان الهدف إبادة مجموعة ضخمة للعدو في منطقة كيشينيف ، وإزالة مؤخرة هتلر البلقانية من الوجود ، وتحرير شعوب جنوب شرق أوروبا .

واشتبكت القوات السوفياتية مع مجموعة جيوش جنوب أوكرانيا

النازية المؤلفة من جيشين ألمانيين وجيشين رومانيين والتي تضم نحواً من خمسين فرقة كانت في أسوأ حالاتها المعنوية .

وارتكزت الخطة على توجيه ضربتين قويتين متزامنتين ، هدفهما حصر القوة الألمانية الرئيسية وتحطيمها . وسار الهجوم الذي بدأ في العشرين من أغسطس من عام ١٩٤٤ في اتجاهين . فقد قامت وحدات الجبهة الأوكرانية الثانية بالاندفاع الى فوسكاني بينما قامت وحدات الجبهة الأوكرانية الثالثة في الهجوم على « غلطة اسماعيل » . والتقى الهجومان الى الجنوب الغربي من كيشينيف ، مما أدى الى تطويق قوة معادية ضخمة في منطقة كيشينيف . وتمت عمليات تطهير الجيب المحاصر في التاسع والعشرين من أغسطس ، وانتهت بذلك المرحلة الأولى من العملية الاستراتيجية .

وقام الجيش السوفياتي في المرحلة الثانية بتحرير رومانيا وبلغاريا . ويقول تيلسكيرش عن الهجوم السوفياتي في رومانيا : « تحولت الجبهة الى حالة من الفوضى .. واندفعت القوات المعادية على القوات الألمانية . وكأنها أمواج المحيط » (١) .

وقامت وحدات مسلحة من الوطنيين الرومانيين في الثالث والعشرين من أغسطس من عام ١٩٤٤ ، باعتقال انطونيسكو الديكتاتور الفاشي وأعضاء حكومته وقيادته العسكرية كما اعتقلت الضباط الألمان والإيطاليين في رومانيا .

وأراد الملك ميشيل أن ينقذ عرشه الرجعي ، وكان قد اتصل بالحكومتين : البريطانية والأمريكية ، فراح يعلن انسحاب رومانيا من الحرب . وعهد الى الجنرال الرجعي قسطنطين ساناتيسكو بتأليف الحكومة الجديدة ، وقد عهد هذا بعدد من المناصب المهمة في الوزارة الى عدد من الساسة البورجوازيين البارزين من أمثال مانيو وبراتيانو . وراح الحزبان البورجوازيان الملكي الوطني ، والأحرار الوطني اللذان يتزعمهما هذان الوزيران ، يظهران ميلاً واضحاً الى الولايات المتحدة وبريطانيا ، ويقاومان بعناد وأصرار تحول رومانيا الى الديمقراطية . وهكذا أرادت البورجوازية الرومانية الرجعية التعلق بأهداف السلطان عن طريق ارتكاب خيانة وطنية جديدة .

وأعلنت الحكومة السوفياتية في الخامس والعشرين من أغسطس

(١) تيلسكيرش - نفس المصدر . ص ٤٨٤

من عام ١٩٤٤ ، أنها لا تنوى الحصول على أى جزء من الأرض الرومانية أو تغيير نظامها الاجتماعى ، أو الانتقاص من استقلالها . وأضاف البيان السوفياتى : « وتعتبر الحكومة السوفياتية على النقيض من ذلك أن من الضرورى ، إعادة الاستقلال الى رومانيا بالتعاون مع الرومانيين ، عن طريق تحريرها من النير الالماني الفاشى » .

ومضى البيان السوفياتى يقول : « ولا شك فى أن المساعدة التى تقدمها القوات الرومانية الى قوات الجيش الأحمر فى تصفية القوات الالمانية هى الوسيلة الوحيدة المؤدية الى الاسراع فى وقف العمليات العسكرية فى أراضى رومانيا » (١) .

وأعلنت رومانيا فى السادس والعشرين من أغسطس بصورة رسمية . أنها قبلت شروط الهدنة التى عرضتها الحكومة السوفياتية فى الربيع . وقام النازيون بقصف بوخارست من الجو كما حاولوا الاستيلاء عليها . ولكن قوات الجبهة الأوكرانية الثانية توغلت فى رومانيا واستولت على بلويستى قاعدة صناعة الزيت فى رومانيا فى الثلاثين من أغسطس . ثم احتلت بوخارست فى اليوم التالى . واستمر الهجوم عبر ترانسلفانيا ، لتخرج القوات السوفياتية الى مؤخرة القوات الالمانية والمجرية التى كانت تدافع عن ممرات جبال الكربات . وكانت وحدات الجبهة الأوكرانية الثالثة . قد تقدمت فى غضون ذلك مع نهر الدانوب باتجاه الجنوب عبر رومانيا الى دبروجه والحدود البلغارية .

وأعلنت رومانيا الحرب على ألمانيا وعلى المجر ، ودفعت الى الميدان بائنتى عشرة فرقة اشتركت فى العمليات تحت امرة القيادة السوفياتية ضد ألمانيا والمجر .

وتم التوقيع فى موسكو فى الثانى عشر من سبتمبر من عام ١٩٤٤ على اتفاق هدنة مع رومانيا . وقد وقع هذا الاتفاق ، مالىنوفسكى ، مارشال الاتحاد السوفياتى نيابة عن الأمم المتحدة ، وبتخويل من الاتحاد السوفياتى والولايات المتحدة وبريطانيا .

واقام هذا الاتفاق الدليل على كرم الاتحاد السوفياتى وتسامحه . فقد انحصرت طلبات الاتحاد السوفياتى من رومانيا المهزومة فى بعض الاسس اللازمة لتحقيق الانتصار النهائى على الكتلة الفاشسية ، ولاستكمال الرسالة السوفياتية فى تحرير أوروبا . وتضمن الاتفاق أن

(١) السياسة الخارجية السوفياتية - المجلد الثانى ص ١٠٣

في وسع رومانيا التي أوقفت عملياتها العسكرية ضد الاتحاد السوفياتي في الساعة الرابعة من صباح الرابع والعشرين من أغسطس والتي انسحبت من الحرب ضد الأمم المتحدة ، أن تشارك الآن في الحرب ضد ألمانيا والمجر ، تحت إمرة القيادة السوفياتية العليا ، بقصد استعادة استقلالها وسيادتها . وتمت تسوية مشاكل الحدود بين الاتحاد السوفياتي ورومانيا ، على أساس الاتفاق السوفياتي - الروماني الموقع في الثامن والعشرين من يونيو من عام ١٩٤٠ . ونصت الهدنة على إعادة شمال ترانسلفانيا التي كان هتلر قد « أعطاها » إلى المجر ، إلى رومانيا .

وتعهدت رومانيا بأن تسلم إلى القيادة السوفياتية العليا كفائمه حرب جميع المواد الحربية التي كانت ملكا لألمانيا والدول التابعة لها على الأرض الرومانية . وتحددت التعويضات التي « توجب » على رومانيا دفعها إلى الاتحاد السوفياتي مقابل جزء مما أنزلته قواتها من خسائر بالاتحاد السوفياتي أثناء احتلالها لأراضيه ، بثلاثمائة مليون دولار ، تدفع على شكل سلع في غضون ست سنوات . وتعهدت رومانيا أيضا بأن تعيد إلى الاتحاد السوفياتي جميع الأشياء الثمينة والمواد التي كانت قد نهبتها القوات الرومانية من الأراضي السوفياتية إبان الحرب ، والتي تعود ملكيتها إما إلى الدولة السوفياتية أو إلى المنظمات والمشروعات والمؤسسات العامة والتعاونية ، أو إلى الأفراد . وتعهدت الحكومة الرومانية أيضا بالتعاون مع القيادة السوفياتية في اعتقال مجرمي الحرب ، وحل المنظمات الفاشية . ومنع عودتها إلى الظهور في المستقبل . ونص الاتفاق على إقامة لجنة إشراف من الحلفاء ، تتولى مراقبة تنفيذ شروط الهدنة وتنظيمها (١) .

وطلبت الحكومة الفنلندية في الخامس والعشرين من أغسطس من عام ١٩٤٤ ، وعن طريق ممثلها الدبلوماسي في السويد ، بدء مفاوضات الهدنة مع الاتحاد السوفياتي . وعادت الحكومة السوفياتية في التاسع والعشرين من أغسطس ، فكررت شروطها التي كانت قد أعلنت عنها في وقت سابق من هذا العام .

لكن موقف فنلنده لم يتبلور إلا بعد الهجوم السوفياتي في منطقة البلطيق الذي بدأ في شهر أغسطس من عام ١٩٤٤ . وقد أدى هذا

(١) السياسة الخارجية السوفياتية - المجلد الثاني ص ١٢٤ - ١٢٥

الهجوم في نهاية أغسطس وبداية سبتمبر إلى تفهقر مجموعة جيوش الشمال النازية ، ولجؤها إلى مراكز دفاعية جديدة على الشاطئ الجنوبي لخليج فنلنده ، والشواطئ الغربية لبحرتي شودسكويبي وفورتسجارفى ، وانهار جوجا وميميل ولييلوبى ، وفى أقصى الجنوب عند فنيئا ودوبيسا حتى النيمين .

وقد دفعت هذه الانتصارات السوفياتية ، الحكومة الفنلندية إلى العمل . وراحت تعلن فى صباح الرابع من سبتمبر قبولها الشروط السوفياتية ، للهدنة ووقف إطلاق النار .

وتم التوقيع فى موسكو فى التاسع عشر من سبتمبر من عام ١٩٤٤ ، على اتفاق للهدنة ، وقد وقعه الجنرال جدانوف نيابة عن الأمم المتحدة وبتحويل من حكومتى بريطانيا والاتحاد السوفياتى .

وسحبت فنلنده قواتها ، إلى الحدود السوفياتية - الفنلندية السابقة ، أى إلى خطوط عام ١٩٤٠ ، وقامت بنزع السلاح من القوات الألمانية المسلحة فى أراضيها ، وسلمت أفرادها إلى القيادة السوفياتية كأسرى حرب . وأصبحت معاهدة الصلح التى عقدت بين الاتحاد السوفياتى وفنلنده فى الثانى عشر من مارس من عام ١٩٤٠ سحارية المفعول من جديد .

وتعهدت فنلنده بأن تعيد إلى الاتحاد السوفياتى منطقة بتسامو ، التى كان الاتحاد السوفياتى قد تخلى عنها طوعا لفنلنده بموجب معاهدتى الرابع عشر من أكتوبر من عام ١٩٢٠ والثانى عشر من مارس من عام ١٩٤٠ . وتخلّى الاتحاد السوفياتى عن حقوقه فى استئجار شبه جزيرة هانكو ، وتعهدت فنلنده بتأجير أراضى ومياه بوركالا - أود ، إلى الاتحاد السوفياتى ليستخدما كقاعدة بحرية . وحددت التعويضات التى ستدفعها فنلنده إلى الاتحاد السوفياتى بثلاثمائة مليون دولار ، تدفع فى شكل سلع فى مدة ست سنوات (١) . وكانت الشروط الأخرى مماثلة للشروط التى تضمنها اتفاق الهدنة مع رومانيا .

ومثل اتفاق الهدنة مع فنلنده من جديد تسامح الاتحاد السوفياتى ، واحترامه لحقوق البلاد والشعوب الأخرى القومية وسيادتها . ومع ذلك فقد حاولت الحكومة الفنلندية العدول عن تنفيذ بعض شروط

(١) السياسة الخارجية السوفياتية - المجلد الثانى ص ١٢٩ - ١٣٠ .

الهدنة . فقد حاولت الإبقاء على بعض التنظيمات الفاشية . وكبح التطلعات الديمقراطية للجماهير ، كما أظهرت ميلها الواضح الى تبني الدعايات المعادية للاتحاد السوفياتي . ولكن الطبقة العاملة الفنلندية والجماعات التقدمية في البلاد هاجمت هذا الخط الرجعي ، وراح باسيكيفي : يعلن في السادس من ديسمبر من عام ١٩٤٤ ، بلسان الجماهير الغالبة من الشعب الفنلندي رأيه فيقول : « علينا أن نزيل الشكوك ، وأن ننمى الصداقة مع الاتحاد السوفياتي . وأنا على يقين من أن مصلحة شعب فنلندا ، ألا توجه سياسة بلادنا الخارجية ضد الاتحاد السوفياتي في المستقبل . ويجب أن تسود بيننا وبينه علاقات السلام والوثام وحسن الجوار ، وأن يكون هذا الشعار الأول لنشاطنا السياسي بالنسبة الى الاتحاد السوفياتي » (١) .

وشن الجيش السوفياتي في سبتمبر من عام ١٩٤٤ ، هجوما جديدا في منطقة البلطيق ، وتمكن في غضون أسبوعين من تحطيم خطوط العدو الدفاعية على جبهة تمتد أربعمائة كيلو متر ، ومن تحرير إيستونيا السوفياتية ، ودفع العدو الى مسافة تتردد بين خمسة وعشرين وستين كيلو متر من ريجا . وعاد الجيش السوفياتي فحرر في المرحلة الثانية القسم الأكبر من لاتفيا السوفياتية ، بما فيها مدينة ريجا ، وأجبر ما تبقى من خمس وثلاثين فرقة من مجموعة جيوش الشمال على التراجع نحو البحر بين توكومز ولييباجا .

وكان الشعب البلغاري الذي لا يزال يئن تحت نير الحكم النازي، يواجه في هذه الآونة تهديدا جديدا بالسيطرة الأجنبية .

ففي الرابع والعشرين من يوليو من عام ١٩٤٤ ، قدمت الولايات المتحدة ، مسودة شروط استسلام بلغاريا الى المجلس الاستشاري الاوربي ، واقترحت فيها أن تقوم القوات الانجليزية - الأمريكية باحتلال بلغاريا ، وأن يظل الاتحاد السوفياتي بعيدا عن الصورة .

وتألفت في بلغاريا في الثاني من سبتمبر من عام ١٩٤٤ ، وزارة جديدة « برئاسة » مورافييف . ومضى ديمتري جيشيف وستويشو موشانوف ، وهما وزيران في الوزارة الجديدة الى القاهرة حيث وضعت الخطط لاحتلال انجليزى - أمريكى ، وتركى - يوناني لبلغاريا . وتقرر أن يبدأ غزو بلغاريا في أواسط سبتمبر من عام ١٩٤٤ ، لاقامة حكم

(١) برافدا - عدد ديسمبر ١٩٥٦ .

احتلالى يتولى سحق الحركة المقاومة للفاشية . وبينما كان هذان الوزيران يتفاوضان فى القاهرة ، كان وزير آخر هو ديمتروف جيمينو يفاوض فى استمبول . ووصلت الى بلغاريا فى مستهل شهر سبتمبر بعثة عسكرية بريطانية سرية وتفاوض رئيس البعثة فى بلدة بلوفديف مع ممثلين للحكومة البلغارية ، وأبلغهم أنه بالنسبة الى سرعة الزحف السوفياتى الى الحدود البلغارية ، فقد توصلت الحكومة البريطانية الى تفاهم مع الاتراك الذين سيبادرون الى دخول بلغاريا فوراً .

ولم تكن الحكومة البلغارية تطمح فى القدرة على الصمود فى وجه الضغط الشعبى دون مساعدة خارجية ، ولذا فقد واصلت الاحتفاظ بعلاقاتها الوثيقة مع النازيين . وقد كشفت الحكومة السوفياتية فى سلسلة من المذكرات الدبلوماسية ، السياسة اللاوطنية التى تتبعها الحكومة البلغارية ، والدور الذى لعبته فى العدوان النازى . وبينت هذه المذكرات أن ماكان يصدر عن حكام بلغاريا من تأكيد الحياد بين وقت وآخر كان تضليلاً وكذباً . وأكدت الحكومة السوفياتية أن سياسة بلغاريا كانت تنطوى على العون المباشر لألمانيا ، وأن هذا العون وصل الى حد التعاون الفعلى فى الحرب مع ألمانيا . وأكدت المذكرة السوفياتية التى صدرت فى الخامس من سبتمبر من عام ١٩٤٤ أن « الموضوع لم يعد يقتصر على أن بلغاريا فى حالة حرب مع الاتحاد السوفياتى ، بل أن الاتحاد السوفياتى نفسه أصبح منذ اليوم فى حالة حرب مع بلغاريا » (١) .

واجتاز الجيش السوفياتى فى الثامن من سبتمبر من عام ١٩٤٤ ، الحدود البلغارية ، من رومانيا على جبهة واسعة . ورحب الشعب البلغارى الذى كان الجيش السوفياتى قد حقق له استقلاله فى حربه مع تركيا فى عام ١٨٧٧ - ١٨٧٨ بالقوات السوفياتية ، على أنها جيش التحرير ، وقدم اليها كل صورة من صور العون يستطيعها . ولم تؤد الحرب السوفياتية - البلغارية الى مقتل أى جندي من الجيش . وذكر جورجى ديميتروف فى إحدى خطبه أن « دخول القوات السوفياتية الى الارض البلغارية ساعد الشعب البلغارى على الاطاحة بالديكتاتورية الفاشية فى بلادنا ، وضمن لشعبنا مستقبله ، ولدولتنا حريتها واستقلالها » (٢) وكتبت صحيفة « الجبهة الشعبية » اليومية فى عددها الصادر فى الثانى عشر من سبتمبر

(١) السياسة الخارجية السوفياتية المجلد الثانى ص ١١٩

(٢) السياسة الخارجية السوفياتية المجلد الثانى ص ١١٩

أن « طريق الجيش الأحمر في دخوله الى قلب البلاد وعاصمتها كان مفروشا بالزهور والرياحين » .

وأنقذ دخول القوات السوفياتية بلغاريا من عملية التدخل الانجليزى - الأمريكى - التركى ، ومن الوفوع تحت سيطرة احتكارات وول ستريت الامريكية وحى السيتى البريطانية . ومن المصير المحزن الذى سرعان ما واجه شعب اليونان . وكتب فاسيل كولاروف يقول : « حال الجيش السوفياتى الباسل دون تحول بلغاريا الى فريسة تنتهبها المطامع الامبريالية المتنافسة . ولو لم يدخل الجيش السوفياتى لعانت بلغاريا مصيراً أسوأ من مصير اليونان » (١)

وكانت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى البلغارى تعد منذ شهر يونيو من عام ١٩٤١ العدة لثوره مسلحة على المحتلين الألمان وعلى عملائهم من البلغاريين . ومثلت الجبهة الداخلية التى نظمها أنشيوغيون قوة قوية معادية للفاشية وشاملة البلاد كلها . وأنزل الأنصار البلغار . حساثر فادحة بالعدو وبسلاحه وعتاده ، وقد اعتمدوا فى ذلك على ما كانت الطائرات السوفياتية تسقطه لهم من أسلحة وذخائر . ولم يحل مطلع عام ١٩٤٤ حتى كان هناك نحو من ٦٣ وحدة من وحدات الأنصار الكبيرة فى بلغاريا . وأوضحت الاحصاءات الالمانية الرسمية أن ٦٨٧ اشتباكا قد وقع مع الأنصار فى شهر يونيو من عام ١٩٤٤ وحده . وقال ديميتروف ان سنوات النضال التى قضاها الشعب البلغارى فى حربه ضد الغزاة ، ستظل « منقوشة الى الأبد بأحرف من ذهب فى تاريخ حزبنا وشعبنا ، الذى يستطيع أن يفخر عن حق بعشرات الألوف من الأنصار الابطال . ومن الذين كانوا يساعدونهم ، بعد تنظيمهم فى وحدات تولت أعمال الكفاح المسلح ضد المحتلين الالمان والفاشينيين البلغار » (٢) .

وبدأت اللجنة القومية للجبهة الداخلية فى الساعات المبكرة من صباح التاسع من سبتمبر من عام ١٩٤٤ ، هجومها النهائى . وتمكنت القوى المشتركة المؤلفة من الشعب ومن الأنصار ومن القطاع التقدمى فى القوات المسلحة من الاطاحة بالديكتاتورية الفاشية . وأزالت نفوذ العملاء الألمان وعهدت بادارة البلاد الى حكومة تمثل الجبهة الداخلية . ومثل الحزب الشيوعى البلغارى ولجنته المركزية العمود الفقرى للشورة المسلحة التى فتحت صفحة جديدة فى تاريخ بلغاريا .

(١) صحفه زابوسيسكو ديلو عدد ٢ ابريل ١٩٤٨

(٢) برافدا - عدد ٩ سبتمبر ١٩٥٤

وتم الامتزاج بين التقدم الظاهر للجيش السوفياتى وبين الثورة الشعبية المناهضة للفاشية . واستغلت الجماهير البلغارية الأوضاع المواتية وتولت اتمام ثورة الشعب الديمقراطية . ومهد انتصارها الطريق أمام تطورات ثورية أخرى فى بناء الاشتراكية .

وأوقفت القوات السوفياتية فى التاسع من سبتمبر من عام ١٩٤٤ ، العمليات الحربية فى بلغاريا . وأعلنت حكومة بلغاريا الديمقراطية الشعبية الحرب على ألمانيا والمجر . وعبأت بلغاريا جيشا قوامه نصف مليون رجل لمحاربة الالمان الغزاة . وظل هذا الجيش يقاتل زهاء ثمانية أشهر فى يوجوسلافيا والمجر والنمسا الى أن وصل الى سفوح جبال الألب النمساوية وأطرت القيادة السوفياتية العليا اطراء بالغا سلوك ضباط الجيش البلغارى وجنوده . فقد ساعد هذا الجيش فى تطهير جنوب أوروبا الشرقى من النازيين وأسهم اسهاما ملحوظا فى الهزيمة النهائية التى لحقت بألمانيا الهتلرية .

ورفضت الحكومتان: البريطانية والأمريكية الاعتراف بحقوق بلغاريا الشرعية كدولة شريكة فى الحرب . وتحدث تشرشل فى مجلس العموم فى الثامن والعشرين من سبتمبر من عام ١٩٤٤ ، فقال : قد ترغب بلغاريا فى أن تعامل كدولة شريكة فى الحرب . ولكن عليها ، بالنسبة الى قبول بريطانيا بهذا الوضع ، أن تدلل على حقها فيما تطلبه بتصرفاتها عبر مدة طويلة ، وبصورة لالبس فيها ولا ابهام » (١) .

وتميزت محادثات الهدنة التى بدأت بعد تحرير بلغاريا ، بكثير من الاصطدامات الحادة بين ممثلى الاتحاد السوفياتى من ناحية وممثلى بريطانيا والولايات المتحدة من الناحية الأخرى . فقد تضايق حكام بريطانيا والولايات المتحدة من فشل مخططاتهم فى بلغاريا ، ومالوا الى التشدد مع بلغاريا ، وفرض شروط قاسية عليها مع الاصرار على الحصول على تعويضات كبيرة منها . وقامت القاذفات الامريكية بين الثامن والعاشر من سبتمبر بقصف الأحياء المأهولة بالسكان فى صوفيا .

ووقف الاتحاد السوفياتى موقفا صامدا فى الدفاع عن حقوق بلغاريا ومصالحها ، محبطا المخططات الأمريكية والبريطانية . لكن معارضة الغرب ، حالت على أى حال دون الوصول الى أى اتفاق بشأن التعويضات

(١) عدد التايمز فى ٢٩ سبتمبر ١٩٤٤

واكتفى اتفاق الهدنة بالنص على غرامات سيقدر قدرها في وقت لاحق (١) وكان الشعب البلغاري في قبوله لهذا التعهد على ثقة من أن الاتحاد السوفياتي لن يسمح للامبرياليين بأن يثقلوا كاهل بلغاريا بتعويضات ضخمة . وباستثناء هذا النص ، فقد كان اتفاق الهدنة المعقود مع بلغاريا مماثلا في بنوده للاتفاق المعقود مع رومانيا .

ووقع المارشال تولبوخين اتفاق الهدنة البلغارية في الثامن والعشرين من أكتوبر من عام ١٩٤٤ في مدينة موسكو ، نيابة عن الأمم المتحدة وبتحويل من حكومات الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وبريطانيا .

ونفذت حكومة بلغاريا الشعبية الديمقراطية شروط الاتفاق بكل صدق واخلاص . ولكن الحكومتين البريطانية والأمريكية ظلتا تعاملان بلغاريا الجديدة ، بكثير من عدم الرضا أسوة بمعاملتهما لجميع الديمقراطيات الشعبية . ولقد حاولتا التدخل في شئون بلغاريا الداخلية وفرض شروطهما على الانتخابات العامة . ولكن الحكومة البلغارية بدعم من الاتحاد السوفياتي تمكنت من الصمود ومن حماية سيادة البلاد واستقلالها .

- ٢ -

لم يكد الجيش السوفياتي يحرر رومانيا وبلغاريا ، حتى كان قد أعد العدة للقيام بهجوم استراتيجي جديد واسع النطاق ، هدفه تحطيم الجناح الجنوبي للجيش الألماني الفاشي ، وتحرير أوكرانيا ما وراء الكربات ، ومساعدة شعبي تشيكوسلوفاكيا ويوجوسلافيا وقطع المواصلات الألمانية الى ألبانيا واليونان ، وإخراج المجر ، آخر دولة حليفة لألمانيا من ميدان العمل .

واتجه الهجوم الى الجنوب الغربي ، تقوم به قوات الجبهات الأوكرانية الثانية والثالثة والرابعة التي اشتبكت مع مجموعة جيوش هينريكي التي تضم عشرين فرقة ألمانية ومجموعة جيوش الجنوب التي تضم ستا وثلاثين فرقة ومجموعة جيوش الجنوب الشرقي التي تضم أكثر من ست وعشرين فرقة .

(١) السياسة الخارجية السوفياتية - المجلد الثاني - ص ١٧٢

وتمكنت قوات الجبهتين الاوكرانيتين الثانية والرابعة في المرحلة الاولى من الهجوم التي دامت بين الثامن والعشرين من سبتمبر والثامن والعشرين من اكتوبر من عام ١٩٤٤ ، من تحرير جبال الالب الترانسلفانية ، ومنطقة ترانسلفانيا . وأدت هذه الخطوة الى التقليل من طول الجبهة الى حد كبير . واحتلت قوات الجبهة الاوكرانية الثانية مدينة دبيريشين واندفعت باتجاه بودابست . وأظهرت القوات الرومانية ، ولا سيما من فرقة متطوعي تيودور فلاديميريسكو التي شكلت في أراضى الاتحاد السوفياتي في عام ١٩٤٣ ، شجاعة فائقة في معركة دبيريشين .

وتقدمت قوات الجبهة الاوكرانية الثالثة من حدود يوجوسلافيا التي كان أهلها ينتظرون ساعة التحرير بفارغ الصبر . وبالرغم من شدة حركة الانصار في البلاد ، الا أن الشعب اليوجوسلافي لم يكن قد تمكن بعد من طرد المحتلين الالمان . فكانت معظم المدن وأكثر من ثلاثة أرباع البلاد لا تزال تحت نير السيطرة النازية .

وطلبت القيادة العليا السوفياتية من السلطات اليوجوسلافية أن تسمح لها بدخول البلاد بصورة مؤقتة لتتولى سحق القوات الالمانية والمجرية . وقد قبلت لجنة التحرير الوطني اليوجوسلافي وقيادة جيش التحرير هذا الطلب فورا .

وعبرت قوات الجبهة الاوكرانية الثالثة نهر الدانوب على مقربة من بلدة تورنو - سيفيرين ، وراحت تندفع عبر جبال الصرب الشرقية ، لتصل في التاسع من اكتوبر من عام ١٩٤٤ الى وادي مورافا . وبدأت القوات السوفياتية في الرابع عشر من اكتوبر هجومها على بلجراد ، وتم حصار قوة ألمانية كبيرة كانت تتراجع بسرعة من جنوب يوجوسلافيا الشرقي الى بلجراد ، في الجنوب الغربي من المدينة . ولم يحل اليوم التاسع عشر من اكتوبر حتى كانت هذه القوة قد أبيدت عن بكرة أبيها . وقامت القوات السوفياتية في اليوم التالي ، بالتعاون الوثيق مع الانصار اليوجوسلاف ، بسحق العدو في بلجراد ، وتحرير العاصمة من الغزاة . وكانت القوات البلغارية في غضون ذلك قد حررت مدينة نيش . وأدى التحالف الأخوي بين الجيش السوفياتي وبين جيش التحرير الشعبي اليوجوسلافي والجيش البلغاري الى مساعدة شعوب يوجوسلافيا في الخلاص من النير الفاشي .

وكان نضال الشعوب المسلح ضد الغزاة الالمان الفاشيين ينسج يوما بعد آخر . وكان النازيون أضعف من أن يصمدوا للجماهير في البلاد الاوربية التي ألهبها الجهد الحربى السوفياتى .

واتسعت حركة التحرر فى تشيكوسلوفاكيا بسرعة البرق . وكانت ألمانيا الفاشية قد بعنت فى مستهل الحرب ، بالسلوفاكيين الذين جندتهم عن طريق القوة الى الجبهة الالمانية - الفاشية . ولم يكن السلوفاكيون راغبين فى محاربة الاتحاد السوفياتى ، مما أرغم القيادة الالمانية على سحبهم من الجبهة فى شهر أغسطس من عام ١٩٤١ . ولكن الخسائر الهائلة التى منى بها الالمان فى معركة البولجا ، عادت فأرغمت القيادة النازية على ارسال السلوفاكيين الى الجبهة من جديد .

وكان الضباط والجنود السلوفاكيون يعبرون خطوط القتال لينضموا الى الجيش السوفياتى والانصار السوفيات . وعبرت فرقة المشاة السلوفاكية الاولى هذه الخطوط بكاملها عند ميلتيول فى النلاين من اكتوبر من عام ١٩٤٣ . حاملة معها جميع أسلحتها . وشكل الجنود السلوفاك ، فى أوكرانيا وروسيا البيضاء ، جماعات من الانصار ، حاربت جنبا الى جنب مع الانصار السوفيات . وانضم أكثر من خمسمائة جندى سابق من الجيش السلوفاكى الى الانصار فى روسيا البيضاء . كما انضم ثمانمائة منهم الى الانصار فى أوكرانيا و ١٥٠ الى الانصار فى القرم . وقد اعترف الشعب السوفياتى بالشجاعة الفائقة التى أبدتها وحدة من الانصار السلوفاك ، بقيادة النقيب جان ناليبكا .

فقد انضمت وحدة جان ناليبكا الى تشكيل الانصار الذى يقوده سابوروف فى الثامن عشر من مايو من عام ١٩٤٣ . وقامت وحدات سابوروف فى السادس عشر من نوفمبر من عام ١٩٤٣ بمهاجمة بلدة أوفروش ، لتسهيل مهمة الجيش السوفياتى فى زحفه على كوروستين وأوفروش ، وحاربت وحدة جان ناليبكا ببسالة ، وأدت الواجب الذى عهد اليها القيام به بمنتهى الكفاءة . وقد قتل ناليبكا نفسه فى المعركة، ومنح وسام بطل الاتحاد السوفياتى فى حفل مهيب . ومنح أيضا وسام الاسد الانضى الذى يعتبر أرفع وسام فى تشيكوسلوفاكيا ، كما وزعت أوسمة أخرى على عدد من الانصار التشيكيين .

وشق الانصار السلوفاك طريقهم عبر المؤخرة الالمانية الى وطنهم، حيث كانت جماعات أخرى من الانصار تألفت هناك قد بدأت بالعمل .

ولم نحل نهاية شهر أغسطس من عام ١٩٤٤ ، حتى كانت هناك أكثر من ٤٠ من تشكيلات الانصار في سلوفاكيا . ولعب الرجال السوفييات الذين اوفدوا الى سلوفاكيا من الاتحاد السوفياتي ، والذين فروا من معسكرات الاعتقال الالمانية دورا بارزا في حركة الانصار السلوفاك . وأسقطت الطائرات السوفياتية في النامن من أغسطس من عام ١٩٤٤ على الاراضى السلوفاكية النقيب يوجوروف ومعه ٢٢ رجلا من الانصار . وسرعان ما أصبح لواء يوجوروف يضم أكثر من خمسة آلاف رجل ، يمتون الى ٢٢ قومية ، اذ كان منهم السلوفاك والتشيكيون والروس والاوكرانيون والروس البيض والمجريون وغيرهم . ووصلت الى سلوفاكيا قادمة من مينسك ، وحدة الانصار التى يقودها بطل الاتحاد السوفياتي المقدم كارازيف - ستيفانوف ، بعد أن شقت طريقها عبر بولنده ، وألقت هذه الوحدة نواة ما أصبح بدعى فيما بعد بلواء أنصار « نيترا » .

وحاولت الجماعات المهاجرة فى لندن اضعاف نضال الشعب السلوفاكى ضد النازيين . وانضم عملاء الحكومة السلوفاكية المهاجرة بقيادة المقدم جوليان الى المجلس العسكرى لحركة الانصار السلوفاك . وكتب جوليان فى تقاريره الى لندن أن عمليات العصابات ضد الالمان « تسبب لنا ضيقا شديدا » وطلب من الحكومة المهاجرة اصدار أمر بمنع عمليات الانصار .

وفامت قوات هتلر فى التاسع والعشرين من أغسطس من عام ١٩٤٤ ، بغزو سلوفاكيا فى حملة تأديبية ضد الانصار . ورد الوطنيون السلوفاك ، باعلان ثورة عامة فى البلاد . وقد سهلت هذه الثورة على الجيش السوفياتي زحفه عبر جبال الكربات . وانتشرت الثورة فى اليوم التالى فعمت أرجاء سلوفاكيا الوسطى وبعض أجزاء سلوفاكيا الشرقية ، ابتداء من حدود الدولة الى الجنوب من مالايا تاترا ، وجبال تاترا العالية وبلدة ليفيس فى الشمال ، ومن نهري نيترا وريشانكا فى الغرب حتى سبيشكا نوفافر فى الشرق . وأقام الشوار مقر قيادتهم فى بانسكا بيستركا .

وكانت الثورة النتيجة الطبيعية والنهائية لكفاح التحرر الوطنى الذى أعلنه الشعب السلوفاكى ، والذى بدأ منذ اتفاق مونيخ . وهكذا ألقى السلوفاك بدلوهم مع دلاء القوى الديمقراطية التقدمية التى تقاثل الفاشية فى ظل القادة السوفياتية .

ومثل الانصار لباب الثورة ونواتها وقادوها ، وضربوا أمثلة بارزة على شجاعتهم . وكانت جماعات الأنصار تتألف في الغالب من العمال وفقراء الفلاحين .

وقدم الاتحاد السوفياتي للشائرين السلوفاك كل مايسطيعه من عون . وكانت الطائرات السوفياتية تحمل لهم الأسلحة والذخائر والمعدات الطبية ، وتنقل الجرحى والمرضى والنساء والاطفال . وتولت هذه الطائرات نقل لواء من المظليين التشيكوسلوفاكيين كان قد تألف في الاراضى السوفياتية لمساعدتهم .

وسرعان ما أعدت الحكومة السوفياتية حملة عسكرية لمساعدة الثوار السلوفاكيين . ففي النامن من سبتمبر من عام ١٩٤٤ ، هاجمت قوات الجبهة الأوكرانية الأولى ، وقوات الفيلق التشيكوسلوفاكي ، التحصينات الألمانية الى الشمال من بلدة كروزنو البولندية . ووصلت هذه القوات فى السادس من أكتوبر الى الحدود التشيكوسلوفاكية عند ممر دو كلا ، ورفعت عليها العلم التشيكوسلوفاكي . وتحتفل تشيكوسلوفاكيا بهذا اليوم من كل عام حتى الآن كعيد جيشها الوطنى .

واجتازت الحملة جبال الكريات ودخلت أراضى سلوفاكيا ، وحال دخولها دون المذابح التى كانت ألمانيا النازية قد أعدتها لسفك دماء السلوفاك والأنصار فى الجبال . وواصل الوطنيون النشكيون والسلوفاك مساعدة الجيش السوفياتى .

وتمثل الثورة الشعبية فصلا لا ينسى فى تاريخ الشعب السلوفاكي . فقد عملت الكثير لحشد شعب تشيكوسلوفاكيا فى الكفاح ضد الفاشية ، وساعدت كثيرا على اقامة الحكم الديمقراطى الشعبى فى البلاد . وكانت عملية دو كلا جزءا من رسالة التحرير التى حملها الاتحاد السوفيانى على عاتقه فى الحرب ضد هتلر ، كما كانت عرضا للصدقة بين الشعبين التشيكوسلوفاكي والسوفياتى . ويقول كليمنت جوتوولد : ان الشعار الشعبى « الى الأبد مع الاتحاد السوفياتى » ولد فى دو كلا .

وأنزلت الثورة الاضطراب فى المخططات النازية ، اذ قضت على منطقة مهمة تقع فى مؤخرة القوات الألمانية ، وأجبرت القيادة النازية على الاحتفاظ بثمانى فرق ألمانية مختارة فى البلاد ، وأنزلت بالنازيين اصابات بلغت ٥٥٨٠٠ من الجنود والضباط . وحطمت الثورة للنازيين الكثير من المدرعات والسيارات الحربية .

وأظهرت الثورة للشعب التشيكوسلوفاكى ، أن له صديقا مخلصا يمكن الاعتماد عليه وهو الاتحاد السوفياتى . وكانت الحكومة المهاجرة فى لندن فى غضون ذلك قد حسرت النفاق عن حقيقة اتجاهاتها ، وأظهرت عداؤها لمصالح البلاد ، ومضت الى حشد الاحتجاج على عملية الجيش السوفياتى فى جبال الكربات .

وبدأت المرحلة الثانية من الهجوم السوفياتى على الجناح الجنوبى من الجبهة فى التاسع والعشرين من أكتوبر من عام ١٩٤٤ ، ودامت حتى الثالث عشر من فبراير من عام ١٩٤٥ .

ففى التاسع والعشرين من أكتوبر بدأت قوات الجبهة الأوكرانية الثانية هجومها على بودابست ، ووصلت فى الثامن من نوفمبر الى الخطوط الدفاعية الخارجية للمدينة . وأدت المعارك اللاحقة الى عزل سطر كبير من قوات العدو عن العاصمة المجرية وتطويقها فى منحى نهر الدانوب وإبادتها فى الثلاثين من ديسمبر وتم فى السادس والعشرين من ديسمبر تطويق قوات العدو فى بودابست التى تعد ١٨٠ ألف رجل تطويقا كاملا . وتحطمت محاولات الألمان المتكررة لرفع الحصار عن العاصمة . وحاولت حامية بودابست فى الثانى عشر من فبراير من عام ١٩٤٥ ، وهى تلفظ أنفاسها الأخيرة ؛ الخروج من الطوق ؛ فتمكنت بعض وحداتها من الوصول الى منطقة الغابات الواقعة الى الشمال الغربى من المدينة ، ولكنها سرعان ما وقعت فى الفخ هناك ودمرت عن بكرة أبيها .

وانعقدت الجمعية الوطنية المؤقتة المجرية فى بلدة دبيرستين فى الواحد والعشرين من ديسمبر من عام ١٩٤٤ ، حيث أقامت حكومة وطنية مؤقتة . ولبت هذه الحكومة رغبات الشعب المجرى فانسحبت من الحرب . وهكذا فقدت ألمانيا الدولة الأخيرة التابعة لها . وأعلنت المجر فى الثامن والعشرين من ديسمبر من عام ١٩٤٤ الحرب على ألمانيا وانضمت الى الحلف المعادى للفاشية . وهكذا أنقذ الجيش السوفياتى الذى حطم القوات الألمانية فى المجر ، الشعب المجرى من الكارثة ، وأعاد له استقلاله وسيادته .

وبالرغم من الجهد الهائل الذى كان الاتحاد السوفياتى يبذله فى القيام بهذه الهجمات العظيمة ، فانه لم يأل جهدا عن تقديم المساعدات الكبيرة والملاحظة للبلاد المحررة لاعادة بناء اقتصادها ، وعودتها الى الأوضاع الحياتية العادية . فقد أرسل الاتحاد السوفياتى فى شهرى أغسطس

وسبتمبر من عام ١٩٤٤ ، الأدوية والمواد الغذائية والسلع الضرورية .
وبينها عشرة آلاف طن من الدقيق الى الأجزاء المحررة من بولندة ، على شكل
هدية ، ودون مقابل . وتم في شهر أكتوبر من عام ١٩٤٤ ، عقد أولى
المعاهدات التجارية بين الاتحاد السوفياتى وبولندة ، وقد تعهد الاتحاد
السوفياتى بموجبها بتزويد الصناعة البولندية بالخامات والوقود
الضروريين لها .

وقدم الاتحاد السوفياتى مساعدات مماثلة لكل من بلغاريا
ورومانيا .

وبعد الاتحاد السوفياتى أيضا بامواد الغذائية الى يوجوسلافيا .
وارفع مستوى الحياة فى تلك البلاد فى غضون سنة واحدة من تحريرها
ارتفاعا ملحوظا بفضل المساعدات السوفياتية . وقام الاتحاد السوفياتى
بإنشاء جسر كبير للسكك الحديدية على نهر الدانوب على مقربة من مدينة
بلجراد ، كما أقام جسرا آخر على نهر مورافا على مقربة من جاجودينا .
وبعض المنشآت الأخرى . وأفادت المجر المحررة أيضا فوائد كبيرة من
المساعدات السوفياتية الشاملة فى عام ١٩٤٥ .

وتم التوقيع فى موسكو فى العشرين من يناير من عام ١٩٤٥ .
على اتفاق الهدنة مع المجر . وقد وقعه فوروشيلوف نيابة عن الأمم
المتحدة . ولم يختلف هذا الاتفاق فى بنوده كثيرا عن الاتفاقات السابقة
التي عقدت مع الدول الأخرى . ونصت المادة الثانية عشرة على أن
تدفع المجر تعويضات قدرها ثلثمائة مليون دولار عن الخسائر التي
أنزلتها بالاتحاد السوفياتى وتشيكوسلوفاكيا ويوجوسلافيا ، وأن تدفع
هذه التعويضات على شكل سلع فى غضون ست سنوات . وكانت حصة
الاتحاد السوفياتى من هذا المبلغ مائتى مليون دولار .

وأدى التقدم الظافر للجيش السوفياتى فى عام ١٩٤٤ الى تفسخ
الكتلة النازية . وهكذا ظلت ألمانيا النازية وحيدة ، مما أدى بصورة
طبيعية الى الإسراع فى تحقيق النهاية الظافرة للحرب فى أوروبا .

وكانت جيوش الدول التابعة قد مالت بميزان القوى الى جانب
المعتدين الفاشيين فى البداية . كما كانت موارد هذه الدول الاقتصادية
عونا ضخما لألمانيا الهتلرية .

وبدا الإنتاج الحربى الألمانى فى التقلص فى النصف الأخير من عام
١٩٤٤ . وفقدت الصناعة الألمانية بين شهر مايو من عام ١٩٤٤ وشهر
يناير من عام ١٩٤٥ نحواً من خمسة عشر فى المائة من مصانعها المنتجة .

وأصبح سبع عمال ألمانيا الصناعيين مقيمين في المناطق التي تحتلها القوات السوفياتية كبروسيا الشرقية ودانزيج وبروسيا الغربية وبوزنان (١) .

ويظهر الجدول التالي الهبوط المخيف في إنتاج ألمانيا الصناعي (٢) .

الإنتاج

| بألف ملايين بالنسبة المئوية إلى إنتاج | الماركات | يناير - فبراير ١٩٤٢ | ١٩٤٤ |
|---------------------------------------|----------|---------------------|------|
| ٣٢٢ | ٢٩٩ | يوليو | |
| ٢٩٧ | ٢٧٦ | أغسطس | |
| ٣٠١ | ٢٨٠ | سبتمبر | |
| ٢٧٣ | ٢٥٤ | أكتوبر | |
| ٢٦٨ | ٢٤٩ | نوفمبر | |
| ٢٦٣ | ٢٤٥ | ديسمبر | |
| | | ١٩٤٥ | |
| ٢٢٧ | ٢١١ | يناير | |
| ١٧٥ | ١٦٢ | فبراير | |
| ١٤٥ | ١٣٤ | مارس | |

ومع ذلك فقد ظل الإنتاج الحربى الألمانى فى شهر مارس من عام ١٩٤٥ يزيد بنسبة ٥٠ فى المائة عما كان عليه فى مطلع عام ١٩٤٢ . وكانت ألمانيا بالرغم من خسائرها الرهيبة لاتزال تحتفظ بقوات مسلحة قوية . وكان لابد من بذل مجهود ضخم وشامل ، لسحق هتلر سحقاً كاملاً ، ولاتمام تحرير الشعوب الأوروبية .

وكان الشعب السوفياتى وجيشه يعدان العدة لتوجيه الضربة العاضية .

(١) الصناعة الألمانية فى الحرب ١٩٣٩ - ١٩٤٥ ص ٩١

(٢) الصناعة الألمانية فى الحرب ١٩٣٩ - ١٩٤٥ ص ٩١ .

كان تحرير أوروبا الغربية من النير الهتلري نتيجة مباشرة للانتصارات السوفياتية . فلقد كتب جان كائالا يقول : « يعرف كل فرنسى شريف أنه مدين بتحريره للجيش الأحمر » (١) فقد اندمجت الحرب الوطنية العظمى التى خاضها الاتحاد السوفياتى مع كفاح الشعوب الاوربية من أجل الحرية والاستقلال الوطنى .

ولا شك فى أن الجيش السوفياتى الذى كان يشغل القوات الهتلرية الرئيسية ، والوطنيين الفرنسيين ، قد ساعدا القوات الانجلو - أمريكية على التقدم فى فرنسا .

وكان الوطنيون الفرنسيون يهاجمون الحاميات الالمانية على طول طريق الزحف الانجليزى - الأمريكى ، ويمهدون سبيل هذا الزحف . ومع ذلك فقد ظلت الجيوش الامريكية والبريطانية سواء منها ما هبط فى نورمانديا أو فى جنوب فرنسا فى الخامس عشر من أغسطس ، لا تتقدم الا على الطرق الرئيسية . وهكذا نراها تترك الجزء الاكبر من الأرض الفرنسية دون أن تطهر الالمان منها . فلم تكن الجهات الحاكمة فى بريطانيا وأمريكا راغبة فى الاسراع فى تدمير القوات النازية على الأرض الفرنسية، بل انها على النقيض من ذلك . تريد الاحتفاظ بها لتستخدمها فى كبح الجماهير الفرنسية التى كانت « نشاطاتها » التحررية تزداد يوما بعد آخر . وجرى محادثات سرية بين الانجليز والامريكيين من ناحية وبين القيادات الهتلرية فى فرنسا لوضع الخطط المشتركة لمقاتلة الوطنيين الفرنسيين وتوقفت الجهات البريطانية والامريكية رغبة منها فى ارباك الحركة التحررية فى فرنسا ، عن اذاعة أى شئ عن الانتصارات السوفياتية ، وعن عمليات القوات الانجلو - أمريكية . وهكذا جرت المحاولة فى تلك اللحظات العصبية للحيلولة دون وصول المعلومات عن الوضع العسكرى الى قادة حركة المقاومة السرية والى شعب فرنسا .

وأغارت الطائرات البريطانية والامريكية على مناطق الطبقة العاملة فى المدن الفرنسية . وقد آلمت هذه الغارات - التى لم تكن الضرورات العسكرية تفرضها - الشعب الفرنسى أشد الالام . وكانت الطائرات الامريكية تغير أيضا على الموانى ومصانع الطائرات الفرنسية وغيرها من

(١) جان كائالا فى كتابه « انهم بكرهون السلام » - موسكو ١٩٥١ . ص ٨٥ .

مراكز الصناعة ، لضعافها ، ولاخراج فرنسا من ميدان منافسة الصناعة الأمريكية . وقصفت الطائرات الأمريكية في خريف عام ١٩٤٤ أحياء العمال في مدينة مارسيليا في الوقت الذي كانت فيه قوات الانصار تقترب منها .

واستوحى الوطنيون الفرنسيون العبرة من كفاح الاتحاد السوفياتي البطولي ، فحزموا أمرهم على أن يتولوا تحرير أنفسهم بأنفسهم . وبالرغم من افتقارهم الى السلاح واللباس والغذاء . فقد أنزلوا الرعب بقوات الاحتلال ، وحرروا مدنا كبيرة بل ومقاطعات بأسرها . وكتب موريس توريز يقول : « ولقد شهدنا ثورة ضخمة تمتد من بريتاني الى جبال الألب ، ومن جبال البيرينيز الى جبال جورا . وهكذا تحررت محافظات بكاملها . فلقد كانت الثورة ثورة شعب بأسره . وكان الشيوعيون في طليعة النضال » (١)

واشترك أكثر من نصف مليون في المعارك لتحرير البلاد ، في الوحدات المنظمة التي أطلق عليها اسم « قوات الوطن » الفرنسية . واشترك الملايين من الوطنيين بالإضافة الى ذلك في الثورة الوطنية وفي المجهود التحريري . ولم يكن هناك مثيل من قبل لهذه الثورة الوطنية الضخمة في تاريخ فرنسا .

واشتد فزع الامبرياليين الامريكان والبريطانيين والجماعات الفرنسية المهاجرة من تزايد نفوذ الشيوعيين . واتحدت الرجعية الدولية ضد الوطنيين الفرنسيين المناضلين ، وظهر اتحادها في الطريقة التي اتبعتها في معاملة ثورة باريس .

ففي الرابع عشر من أغسطس ، بدأ عمال باريس اضراباتهم الضخمة لشل حركة قوات الاحتلال الالمانية . ووزعت في باريس في الثامن عشر من أغسطس منشورات تحمل نداء وقعه موريس توريز وجاك دوكلو ومارسيل كاشان وغيرهم من القادة الشيوعيين . ودعا النداء الى شنها ثورة عارمة في العاصمة . وبدأ ثوار باريس في اليوم التالي بشن هجوم عام على النازيين ، بقيادة رول - تانجوى ، الذي اختارته لجنة تحرير باريس قائدا للثورة . وكان هذا الرجل عاملا شيوعيا قضى فترات طويلة من التدريب ابان الحرب الاسبانية ضد الفاشية . واشترك معه عدد من

(١) موريس توريز « أبناء الشعب » ص ١٥٣ - ١٥٤

الاسرى السوفييات الذين كانوا قد فروا من معسكرات الاعتقال ، وقد حاربوا جنبا الى جنب مع العمال الفرنسيين وتمكن التائرون من تحرير « عمارة » السفارة السوفياتية ورفعوا العلم السوفياتي عليها ، كما حرروا المعتقلين السياسيين فى سجن فريزنيس .

وفرييتان ولافال وغيرهما من وزراء حكومة فيشى الى ألمانيا وكان ثوار باريس أكثر من ند لأفراد الحامية الألمانية مع أنهم كانوا يفوقونهم عددا وعدة . وهرع دانييل ماير الاشتراكى اليميني وجورج بيدو الكاثوليكي الرجعى الى مساعدة النازيين ، واقترحا للحيلولة دون الحاق الهزيمة الكاملة بالالمان ، أن يعقد الثوار هدنة مع الحامية الألمانية . وعندما رفض الوطنيون الفرنسيون الفكرة ، حشد ماير وبيدو مجموعة من الناس تنكروا فى لباس الشرطة ، وأمرؤهم ، بأن يلصقوا اعلانات على جدران « العمارات » فى باريس بأن الهدنة قد وقعت ، وأن يصيحوا فى الشوارع « اوقفوا اطلاق النار . لقد وقعت الهدنة » . وقد مكن هذا الاجراء العذر من الانسحاب من العاصمة (١) .

واسغل النازيون الى أقصى حدود الاستغلال هذه الميزة الى قام بها ماير وبيدو ، وراحوا يخلون ما تبقى من قواتهم من باريس فى الواحد والعشرين من أغسطس وحاولوا وهم ينسحبون تدمير العاصمة ، ولا سيما مصانعها وجسورها وتمثيلها . وكان الجنرال دبتريش فون جوليتز ، القائد الالماني فى باريس قد تلقى فى العاشر من أغسطس « أوامر من برلين بتدمير جميع مصانع العاصمة » (٢) ولكن الثوار الفرنسيين أحبطوا الحطة الألمانية وهى فى مهدها .

وعاد الالمان بعد أن تلقوا النجذات الى مهاجمة باريس من جديد . وكانت القوات الامريكية على بعد ثمانين كيلومترا من العاصمة فى تلك الآونة . وكان فى وسعها أن تصل الى نجدتها ، لو أن القيادة العليا الامريكية رغبت فى انجادها . ولكن الجنرال جورج باتون ، كان قد تلقى الأوامر بأن يتباطأ فى مسيرته . وقد اعترف فى مذكراته بأنه كان فى وسعه أن يستولى على باريس « لولا أن الأوامر صدرت اليه بتأجيل ذلك » (٣) ويتضح من هذا ان الجهات الحاكمة فى الولايات المتحدة

(١) فرانس دابورد فى ١٩ أغسطس ١٩٤٨

(٢) الفجارو عدد ٢١ يوليو ١٩٥١

(٣) حمرال جورج باتون فى كتابه « الحرب كما عرفها » بوسطن ١٩٤٧ . ص ١١٧

وبريطانيا كانت تريد اعطاء النازيين فرصة للعودة الى العاصمة ، وتسويه حساباتهم مع ثوارها . ولكن هؤلاء السوار صمدوا للنازيين .

وعندما رأت الحكومتان البريطانية والامريكية ان هجمات النازيين قد أخفقت فى استعادة باريس ، راحتا تفاوضان القيادة الالمانية ، على السماح لقواتهما بالمرور الى العاصمة . ومنل الجنرال فون جوليتز ، الالمان فى هذه المحادثات التى قام راؤول نوردلينج قنصل السويد العام فى باريس بدور الوسيط فيها . وراح يوفد شقيقه رالف نوردلينج الذى كان يستخدمه كضابط اتصال الى القيادة الامريكية فى الميدان . (١) وسمحت القوات الالمانية التى كانت تحيط بباريس لفرقة ليكليرك البوليسية بدخول العاصمة الفرنسية أولا . وكانت هذه الفرقة قد شكلت خصيصا لمقاومة القوات الديمقراطية الفرنسية ومحاربتها . ووصلت القوات البريطانية والامريكية فى أعقابها الى المدينة . وكانت الجيوش الالمانية تواصل طيلة تلك المدة محاصرة باريس تنفيذًا للخطة التى تم عليها التفاهم بين الالمان والانجليز والامريكان .

ونال الحزب الشيوعى نأييدا أكبر لدى الجماهير الفرنسية بنضاله الصادق الذى لا يكل ولا يمل . لتحقيق تحرير البلاد . ومنل موقفه البطولى فى الدفاع عن استقلال البلاد الدليل على وطنيته واخلاصه للشعب ، ولمبادئ الدولية العمالية . وكتب دييجول فى أحد أعداد مجلة « فرنسا الحرة » الصادر فى شهر سبتمبر من عام ١٩٤٤ أن « الحزب الشيوعى كان الوحيد بين الأحزاب القديمة الذى عزز مكانته لدى الجماهير واكتسب الأنصار والقوة من جديد » . فقد برز الحزب كقوة فعالة فى الدعاية والنضال والحرب الشعبية ولا سيما بعد عام ١٩٤١ .

وتألفت حكومة مؤقتة للجمهورية الفرنسية فى باريس بزعامه دييجول واعترف بها الاتحاد السوفياتى والولايات المتحدة وبريطانيا بصورة رسمية فى الثالث والعشرين من اكتوبر . ومع ذلك فقد اختلف موقف بريطانيا والولايات المتحدة من فرنسا الجديدة عن موقف الاتحاد السوفياتى . فقد أعلنت هاتان الحكومتان وبصراحة ، نظرا للخسائر البالغة التى منيت بها فرنسا فى الحرب ، أنهما لا تريدان عودة فرنسا كدولة عظمى من جديد .

أما السياسة السوفياتية ، فقد ارتكزت من الناحية الاخرى على الاحترام العميق لحقوق فرنسا القومية . وكان الاتحاد السوفياتى راغبا

(١) برادلى - نفس المصدر - ص ٣٨٨ - ٣٩٠ .

حقاً في مساعدة الشعب الفرنسي على أن يبعث فرنسا كدولة عظمى مستقلة وذات سيادة . وكان في تقديمه كل عون ومساعدة ودية لفرنسا يعتقد أن هناك مصالح مشتركة لبلاده وفرنسا ، تنبع من الحقيقة الواقعة وهي أن خطر العدوان الألماني كان موجها دائماً إليهما . وكان الاتحاد السوفياتي قد اعترف منذ عام ١٩٤٣ باللجنة الوطنية لتحرير فرنسا . وكان رئيس الحكومة السوفياتية قد بعث برسالة إلى رئيس وزراء بريطانيا يقول فيها : انني أريد تمثيل اللجنة الوطنية لتحرير فرنسا في وفد الحلفاء للتفاوض مع إيطاليا » (١) .

وكان اصرار الاتحاد السوفياتي هو الذي أدى الى توجيه الدعوة لفرنسا للاشتراك في محادثات دومبارتون أوكس التي أدت الى صياغة ميثاق الأمم المتحدة . وقد ضمن هذا الاشتراك لفرنسا مقعداً بين الدول العظمى الخمس التي تحتل مراكز دائمة في مجلس الأمن . وكان اصرار الاتحاد السوفياتي أيضاً هو الذي أدى في الحادي عشر من نوفمبر من عام ١٩٤٤ الى دعوة الحكومة الفرنسية المؤقتة للاشتراك في المجلس الاستشاري الأوربي كالدولة الدائمة الرابعة في عضويته . وقد عني اشراكها هذا ، أن تشترك في احتلال ألمانيا وفي مجلس الاشراف عليها .

وطالب الوطنيون الفرنسيون بتوثيق علاقات التحالف مع الاتحاد السوفياتي ، مدفوعين الى ذلك باعترافهم بجميل الاتحاد السوفياتي واحترامهم له . ولم يكن في وسع ديغول أن يتجاهل هذه المطالبة . فقد قال في الخامس والعشرين من يوليو من عام ١٩٤٤ « انني أرى أن الموقف الودي الذي تفقه الحكومة السوفياتية منا منذ أمد بعيد ، وهي التي ستلعب في أحلال السلام دوراً لا يقل عن أهمية دورها في الحرب ، يوحى لنا بالأمل في أن تقرر فرنسا وروسيا حالماً تتاح الفرصة ، نموذج التعاون الوثيق الذي يعتمد عليه كما اعتقد أمن أوروبا وتوازنها في المستقبل » (٢)

ووجهت الحكومة السوفياتية في شهر نوفمبر من عام ١٩٤٤ ، في إطار تأييدها الصادق لفرنسا ، الدعوة إليها لايقاد بعثة تتولى اجراء المفاوضات لعقد معاهدة صداقة ومعونة متبادلة بين الدولتين .

ووقعت الحكومة السوفياتية مع فرنسا في العاشر من ديسمبر من عام ١٩٤٤ ، معاهدة تحالف ومساعدة متبادلة ، انسجمت مع المصالح

(١) مراسلات الحكومة السوفياتية - المجلد الاول . ص ١٥٢

(٢) مدونات ديغول - الوحدة ١٤٩٢ - ١٩٤٤ . ص ٥٨٦

القومية المتشابهة للدولتين في مجالات سلامتهما ، ومنع تكرار العدوان الألماني . وتضمنت المعاهدة نصوصا تقضى بالمعونة المتبادلة والتحالف في الحرب ضد ألمانيا الهتلرية ، وأكدت أن أيًا من الفريقين المتعاهدين لن يفاوض الغزاة الألمان إلا بموافقة الفريق الآخر ، ونصت المعاهدة على توسيع العلاقات الصديقة بين الدولتين بعد الحرب . ووعد الفريقان بآلا ينضموا إلى أية أحلاف أو تحالفات موجهة ضد أي منهما ، وأن يعملوا معا على نزع سلاح ألمانيا . . وان تقدم الواحدة منهما للآخرى كل مساعدة حتى العسكرية منها في حالة وقوع عدوان ألماني جديد . ونصت المعاهدة على أن تظل سارية المفعول لمدة عشرين عاما . (١)

وعززت المعاهدة السوفياتية - الفرنسية احتمالات السلام والأمن في أوروبا . فقد انسجمت مع المصالح القومية الأساسية لبلاد الدولتين ، ولذا استقبلها الشعب الفرنسي بكثير من الحماسة . ومع ذلك ، لم تكن الجهات الحاكمة في فرنسا مخلصه في نواياها وفي رغباتها بالوفاء بشروطها ، فلم تكد الحرب تنتهي حتى أقامت فرنسا حلفا عسكريا مع ألمانيا الغربية، وسهلت لها إعادة الروح العسكرية والتأرية إلى صفوفها .

ففي عام ١٩٦٣ ، خطت الدوائر الحاكمة في فرنسا ، خطوة خطيرة بعقد اتفاق عسكري مع ألمانيا الغربية موجه ضد الاتحاد السوفياتي والبلاد الاستراكية الأخرى . وكان هذا الاتفاق هو الصيغة الشكلية للتحالف السياسي - العسكري بين الإمبرياليين في فرنسا وألمانيا الغربية ، مما خلق تهديدا خطيرا لسلام أوروبا ، ومناقضة عملية للمصالح القومية الحيوية للشعب الفرنسي .

وقامت في شهر سبتمبر من عام ١٩٤٤ ، ثورة عامة مسلحة في بلجيكا بقيادة الحزب الشيوعي . واشترك في هذه الثورة لواء من الأنصار أطلق عليه اسم « في سبيل الوطن » ، وقد ألهه أسرى الحرب السوفيات الذين فروا من المعسكرات النازية . وساعدت هذه الثورة في تحقيق تحرير بلجيكا . وقد صمد الأنصار في مواقعهم بعد معركة اليردين في مستهل عام ١٩٤٥ وبعدما حققه الألمان من اختراق خطوط الحلفاء الغربيين وأوقفوا الزحف النازي .

واشتدت حركة الانصار في إيطاليا في مستهل عام ١٩٤٤ بصورة

(١) السياسة الخارجية السوفياتية المجلد الثاني . ص ١٩٣ - ١٩٥ .

متدرجة • وكان الأنصار الايطاليون ينسفون عملياتهم مع الأنصار في البلاد المجاورة وعقدوا في شهر مايو من عام ١٩٤٤ اتفاقين مع الانصار الفرنسيين والسلوفينيين •

وانعقد المجلس الوطني البولندي في مدينة لوبلين في الواحد والثلاثين من ديسمبر من عام ١٩٤٤ • وأعلن بوليسلاف بيروت رئيس المجلس في خطابه الافتتاحي أن « بولنده ما كانت لتستطيع تحرير نفسها على الاطلاق من عبودية هتلر لولا المساعدة السوفياتية » • وأضاف أن بولنده التي شملها الدمار الرهيب ، قد تلقت المعونة من الاتحاد السوفياتي لاعادة بناء جيشها واستقلالها • (١) .

واستجاب المجلس الى الرسائل العديدة التي تلقاها من العمال والفلاحين والمتقنين ، لتحويل اللجنة البولندية للتحرير الوطني الى حكومة مؤقتة لبولنده • وحاول حكام الولايات المتحدة وبريطانيا التدخل للحيلولة دون ذلك ، ولكن الشعب البولندي احتفظ بهدوئه ، لأنه كان واثقا من حماية الاتحاد السوفياتي لاستقلاله ، ولحقه في حل مشاكله الداخلية على النحو الذي يريده •

ونمت الصداقة السوفياتية - البولندية • وكان الانحد السوفياتي أول دولة اعترفت بحكومة بولنده الوطنية المؤقتة ، وذلك في الرابع من يناير من عام ١٩٤٥ • كما أقام على الفور علاقات دبلوماسية معها •

وسن الجيش السوفياتي وأسطول الشمال في شهر أكتوبر من عام ١٩٤٤ هجوما في المحيط المتجمد الشمالي • وكان الهدف من هذا الهجوم تدمير قوات العدو المقيمة في خنادقها هناك وتحرير منطقة بتسامو • ونوغلت القوات السوفياتية في حصون العدو المنيع والعميقة • وتم تحطيم الالمان وتحرير منطقة بتسامو واجتازت القوات السوفياتية في الباني والعشرين من أكتوبر حدود النروج ، وبعد أن تمكنت من تحرير قطاع كبير في شمال البلاد ، راحت تقدم المعونات الاخوية الى النروجيين وفقدت ألمانيا عددا من الموانئ الصالحة ، واضطر أسطولها الى مغادرة مضائق بارينتس ، والقواعد البحرية النرويجية • وأتاح هذا الفرصة للوطنيين النروجيين • بعد أن طال انتظارهم لها ، لاستكمال تحرير بلادهم من الاحتلال الالماني في أواخر عام ١٩٤٤ ومستهل عام ١٩٤٥ •

(١) برافدا - أول يناير ١٩٤٥

وحسرت تطورات عام ١٩٤٤ النقلاب عن اختلاف الانجهاات بين الشعب السوفياتى ، من ناحية ، وبين الدوائر الحاكمة فى الولايات المتحدة وبريطانيا من الناحية الاخرى . فقد بذلت هاتان الدولتان قصارى جهودهما ، لفرض النظم الرجعية على البلاد الاوربية ، ولم تتورعا عن الافادة من خدمات النازيين لتحقيق بغيتهما . وكان الاتحاد السوفياتى فى غضون ذلك يحارب الجيش الفاشى الالمانى بكل ما لديه من قوة ، ويمهد الطريق لتحرير الشعوب من النير الفاشى .

وبينت كل خطوة خطاها الاتحاد السوفياتى فى طريق النصر على المانيا الفاشية الأهداف الحربية التحررية والعدالة التى تبناها ، واحترامه العميق لحقوق الدول الاخرى فى استقلالها وسيادتها . وكان الجيش السوفياتى يحس بمشاعر التضامن العميقة مع القوى الديمقراطية التقدمية وأقام طريق النصر الذى سار الاتحاد السوفياتى فيه ابان الحرب الدليل على مزايا الاشتراكية وتفوقها على الرأسمالية . وليس غريبا والحالة هذه أن تزداد مكانة الاتحاد السوفياتى لدى جميع الشعوب .

ومهد الاتحاد السوفياتى الطريق لتحقيق الانتصارات الشعبية فى بعض بلاد أوربا الشرقية والجنوبية الشرقية . وكان الجهد البطولى السوفياتى من أجل التحرير والاستقلال ومن أجل مكاسب الاشتراكية العظمى ، مثالا للشعوب الأخرى تسير على منواله .

- ٤ -

خلفت العمليات السوفياتية فى عام ١٩٤٤ ، الأوضاع الموايية لتحرير اليونان ، وكان الجيش السوفياتى فى شهر أكتوبر مشتبكا مع العدو فى يوجوسلافيا والمجر . وراحت القيادة الالمانية الفاشية توفد على جناح السرعة كل ما تستطيع تجميعه من بقايا قواتها فى جنوب شرق أوربا لوقف التيار الجارف فى المجر . واضطرت القوات الالمانية التى تحتل اليونان على ضوء هذه الأوضاع ، إلى التراجع بسرعة نحو الشمال . وكانت قوات جيش تحرير الشعب اليونانى (ايلاس) ، تنزل العذاب بالمنسحبين الالمان شبرا فشبرا . وكان هذا الجيش قويا الى حد ما ، وقد تمرس بالحرب ابان نضاله المستمر ضد النازيين .

وبدت الطريق ممهدة أمام التطور الديمقراطى الحر والمستقل للأمة اليونانية . وتم تحرير معظم أجزاء البلاد بما فيها عاصمتها أثينا . ولكن

الرجعيين البريطانيين والامريكيين ، لم يكونوا ميالين الى التسامح في قيام اليونان الديمقراطية . وخصصت الحكومة البريطانية في شهر أغسطس من عام ١٩٤٤ ، قوة بريطانية لتتدخل في اليونان ضد الشعب اليوناني (١) .

وكانت الحكومة البريطانية قد احتفظت طيلة الحرب بعلاقاتها الوثيقة مع الملكيين اليونانيين من ذوى الاتجاهات الفاشية سواء في خارج البلاد أو في داخلها . ولفت الملكيون اليونانيون انتباه البريطانيين الى أن جيش التحرير الشعبي (ايلاس) يشترك في معارك طاحنة مع الالمان في القسم الشمالى من البلاد ، بينما يفتقر قسمها الجنوبي الى وسائل الدفاع . وراح أحد هؤلاء ، وهو جورج باباندريو ، يبعث برسالة مسبقة الى تشرشل ، يدعو فيه بصورة مباشرة الى ارسال قوات بريطانية ، والتدخل في شئون اليونان الداخلية (٢) .

وهبطت القوات البريطانية في الساعات المبكرة من صباح اليوم الرابع من أكتوبر من عام ١٩٤٤ ، دون معارضة في جنوب اليونان . وتمكنت الحكومة البريطانية في غضون شهرين من تعزيز قواتها المسلحة في تلك البلاد ، وراحت تثير في الثالث من ديسمبر من نفس العام ، صراعا في أثينا ، لتشن حملة عسكرية ضخمة ضد الشعب اليوناني . وأمطر تشرشل الجنرال سكوبى قائده في اليونان بسلسلة من الأوامر ، يحثه فيها على اتخاذ الاجراءات الصارمة . وتضمن أحد هذه الاوامر مايلى : «لا تتردد على أى حال في التصرف وكأنك في بلاد محتلة، تواجه فيها ثورة محلية (٣) . وقال تشرشل في رسالة أخرى : « علينا أن نصمد وأن نسيطر على أثينا . وقد يكون مفيدا أن تنجح في تحقيق أهدافنا ، بدون أى سفك للدماء ، ولكن عليك أن تنجح ، ولو اضطررك الامر الى سفكها » (٤) .

واستعاد تشرشل في مكان آخر ، ذكرى برقية آرثر بلفور المشهورة

(١) تشرشل - مذكراته - المجلد السادس ص ٢٥٢

(٢) دى . شيفريه و اى ماران في كتابيهما « الديمقراطية أو العاسة في اليونان » - ١٩٤٦ - باريس . ص ٣٦

(٣) تشرشل نفس المصدر . المجلد السادس ص ٢٥٢

(٤) تشرشل - نفس المصدر

فى ثمانيات القرن الماضى الى السلطات البريطانية فى ايرلنده وقال :
« لا تترددوا فى اطلاق النار » (١) .

وأثار الاحتلال البريطانى لليونان موجة من السخط فى العالم
الديمقراطى كله . واشتد غضب الشعب البريطانى أيضا . ولكن
الاحزاب البريطانية الثلاثة أجمعت على دعم السياسة البريطانية
المخزية فى اليونان . وتحدث بيفن بصراحة ، مدافعا عن سياسة
تشرسل فى اليونان فى مؤتمر حزب العمال فى عام ١٩٤٤ ، وقال :
ليس « فى وسع الامبراطورية البريطانية أن تتخلى عن مواقعها فى البحر
الابيض المتوسط » (٢) .

وكانت الفئات البريطانية الحاكمة بتدخلها فى اليونان تسابق
الزمن لتتغلب على منافستها ، الولايات المتحدة الأمريكية . ولكن بالرغم
من التناقضات الامبريالية الواضحة ، فقد رحبت الحكومة الامريكية
بالتدخل البريطانى . وكانت تأمل فى أن تتمكن فى النهاية من اخراج
البريطانيين من اليونان والسيطرة على الوضع هناك .

وشنت القوات البريطانية المتدخلة حربا شريرة على الشعب
اليونانى مدة ثلاثة وثلاثين يوما ، مستخدمة أساليب لا تقل فى سوءها
عن أساليب النازيين . واشتملت هذه الاساليب على الاعتقالات
والاغتيالات بالجملة للعزل من الناس مع غارات وحشية على بعض
البلدان والقرى اليونانية ، وقصف عنيف من السفن الحربية .

وأجبرت السلطات البريطانية جماعات « ايام » المسلحة فى الثانى
عشر من فبراير من عام ١٩٤٥ ، على عقد اتفاق معها فى بلدة فاركيزا ،
ونص الاتفاق على حل جيش تحرير الشعب اليونانى وعلى توطيد أقدام
قوات الاحتلال البريطانية وأنصارها من الملكيين اليونانيين .

وحاول الامبرياليون البريطانيون والأمريكيون أن يفرضوا سيطرتهم
على ألبانيا أيضا . فقد أرغم الزحف السوفياتى فى جنوب أوروبا الشرقى ،
الألمان على الفرار من البلاد . وتمكن جيش تحرير الشعب الألبانى أثناء
مطاردته الألمان من تحرير البلاد كلها تقريبا . وراح الامبرياليون
البريطانيون والأمريكيون ، بدعم من عملائهم من الألبانيين يضربون

(١) مذكرات تشرشل - الجزء السادس - ص ٢٥٢

(٢) دى . شيفرييه و اى . ماران « الديمقراطية أو العاشية فى اليونان » ١٩٤٦ باريس

١٩٤٦ . ص ٥٨

الوطنيين الألبانيين في ظهورهم . وشرعت الوحدات الخاصة التي ألفها
الامبرياليون بمعونة عميلهم اباذكوبى ، وبقيادة الجنرال فيتزروى ماكلين ،
في حرب قناصة ضد الألبانيين .

وعندما تفجر الصراع ، بعث الماريشال اليكزاندر ، القائد العام
البريطاني في البحر الأبيض المتوسط ، بانذار الى حكومة البانيا المؤقتة ،
يطلب منها فيه أن يوقف جيش تحرير الشعب الألباني عملياته ضد
ابازكوبى . وعرضت الحكومة البريطانية عضلانا عندما حملت طائراتها
قوات كبيرة من المظليين الى البانيا ، وعندما أنزلت سفنها الحربية
قوات احتلت ميناء ساراندا الألباني .

ومع ذلك فقد صمد الوطنيون الألبان ، ورفضوا انذار اليكزاندر .
وشنوا عمليات واسعة النطاق على وحدات كوبي . وأصدرت الحكومة
المؤقتة بيانا طلبت فيه باصرار ، سحب القوات البريطانية من ساراندا .
وخشيت الحكومة البريطانية أن يتسع نطاق الصراع . فاستجابت
للطلب . وأكمل الشعب الألباني الباسل في التاسع والعشرين من نوفمبر
من عام ١٩٤٤ ، تحرير بلاده ، بمساعدة الانتصارات السوفياتية
الباهرة .

وتطلعت عيون حكام بريطانيا وأمريكا أيضا الى رومانيا . ودبروا
مؤامرة انقلاب فاشي في تلك البلاد بمعونة الملك ميخائيل . وحلت حكومة
الجنرال راديسكو في السادس من ديسمبر من عام ١٩٤٤ ، محل حكومة
الجنرال ساناتيسكو . وكان نيقولاى راديسكو من المتطرفين في رجعتهم .
وقد قضى سنوات طويلة في لندن ، يعمل ملحقا عسكريا لرومانيا في
العاصمة البريطانية . ولذا فقد كانت له علاقات وثيقة مع الحكومة
البريطانية التي أصرّت الآن على تعيينه رئيسا للحكومة .

وبادرت حكومة راديسكو الى مهاجمة القوى الديمقراطية في
رومانيا . وهوجمت مكاتب الصحف الشيوعية ، ودمرت محتوياتها .
كما ارتكبت أعمال ارهابية عدة ضد الشيوعيين والقادة العماليين
التقدميين . وقامت الوحدات الفاشية التي نظمها راديسكو بمهاجمة
الضباط والجنود السوفيات أيضا . وحشد راديسكو ، لتنفيذ انقلابه
الفاشي ، قوات عسكرية كبيرة ، تتولى قيادتها الضابط الفاشيون حول
العاصمة بوخارست .

وخيل الى البورجوازية الرجعية الرومانية التي كانت قد خانت
مصالح البلاد من قبل من أجل النازيين ، والتي أظهرت استعدادها

الآن لخيانتها من اجل الامبرياليين الانجليز والامريكان ، ان في وسعها سحق المقاومة الشعبية عن طريق القوة الوحشية . وشرع راديسكو بموافقة بريطانيا والولايات المتحدة ، في عملياته الثارية الدموية في شهر فبراير من عام ١٩٤٥ .

وظهرت سيارات الجيش ودباباته في شوارع بوخارست في الحادي عشر من فبراير . واستعد الرجعيون للشروع في عمليات القتل . وحاولت جماعة من « الكتائبين » الفاشيين في العشرين من فبراير الاستيلاء على مصنع ملاكسا في بوخارست . وردت جماعات العاملين في شتى أنحاء البلاد ، بالمطالبة باستقالة راديسكو . واجراء اصلاحات ديمقراطية . وعقدت الجبهة الديمقراطية الوطنية الرومانية التي تم تنظيمها بمبادرة من الحزب الشيوعي الروماني في شهر اكتوبر من عام ١٩٤٥ ، اجتماعات جماهيرية ضخمة في بوخارست وغيرها من المدن في الرابع والعشرين من فبراير من عام ١٩٤٥ . لتأكيد مطالب الجماهير من جديد .

وقاوم الشعب الأعمال الفاشية التي ارتكبتها حكومة راديسكو . واحسد مئات الألوف في الميدان الرئيسي في بوخارست في الرابع والعشرين من فبراير . وطالبوا باقامة حكم ديمقراطي . وردت حكومة راديسكو بوابل من الطلقات . صدرت عن نوافذ القصر الملكي ووزارة الداخلية .

ولكن الجيش السوفياتي كان يتولى بموجب شروط الهدنة ، حماية الحقوق الشرعية للشعب الروماني . واندرت القيادة العسكرية السوفياتية حكومة راديسكو . بأنها لن تسمح باستخدام العنف مع الشعب . واستبد الخوف براديسكو من نفمة الشعب . فراح يلجأ الى مبنى السفارة البريطانية في بوخارست . وقام الدبلوماسيون الأمريكيون بنقله بحرا الى الولايات المتحدة . ولم تجرؤ الحكومتان : البريطانية والأمريكية على التدخل السافر ضد رومانيا .

وعمت مظاهرات السخط أنحاء رومانيا ، عندما سمع الشعب باطلاق النار على المتظاهرين في بوخارست . وطالبت جماعات العاملين باقامة حكم للجبهة الوطنية الديمقراطية . وكانت هزيمة راديسكو حاسمة . وألف بيترو جروزا في السادس من مارس من عام ١٩٤٥ ، حكومة ديمقراطية شعبية . وانتصرت الثورة على الامبريالية . وأكدت

الحكومة الرومانية الجديدة في الخطاب الذي وجهته الى الاتحاد السوفياتي ، نصميمها الثابت ، على ازالة كل آثار الماضي البغيض ، والوفاء بالتزامات رومانيا تجاه حلفائها نصا وروحا ، والعمل على استمرار أصدق علاقات الود مع جارتها الشرقية الكبرى .

وهكذا حاول الامبرياليون البريطانيون والأمريكيون ، تطلعا منهم لتحقيق أهدافهم الأنانية الخاصة ، استغلال الوضع العسكري للسيطرة على أوربا الجنوبية الشرقية . ولكن الجيش السوفياتي حال دون ذلك بتحريره للبلاد البلقانية من النير الفاشي في الوقت المناسب ، وخلق الأجواء الصالحة لتمكين الشعوب من التعبير بحرية عن ارادتها . وهكذا أقيمت حكومات ديمقراطية أصيله في عدد من بلاد أوربا الوسطى والجنوبية الشرقية ، وقد فرضتها الشعوب اعتمادا منها على قوة الأوضاع الداخلية في بلادها .

مؤتمر القرم

- ١ -

مثلت الحرب العالمية الثانية منجما من الذهب للرأسماليين المحتكرين . . وكان المحتكرون الامريكان ، بوجه خاص ، يجنون أرباحا ضخمة منها . وسارت طلبات الحكومة للحصول على أسلحة ومعدات حربية جديدة ، جنبا الى جنب مع إقامة المصانع الجديدة . وأنفقت الحكومة الامريكية نحو ٢٢ ألف مليون دولار في بناء هذه المصانع . وكان الاحتكاريون يقدمون اليها مواد البناء بأسعار متضخمة هائلة . وكانت الحكومة بعد أن تتم البناء ، تؤجر المصانع الكاملة المعدات الى أصحاب المشروعات الفردية لمدة الحرب . وكان هؤلاء الاحتكاريون يدفعون ايجارات تافهة ، ويبيعون منتجاتهم بأثمان عالية . وعادت الحكومة الامريكية بعد انتهاء الحرب، قباعت هذه المصانع الجديدة الى نفس المحتكرين بأثمان زهيدة .

واستخدم الصناعيون البريطانيون والأمريكان ، الحرب كذريعة لتخفيض الأجور الفعلية ، والخفض من دخول « المزارعين » . وهكذا حققوا أعظم الارباح من استغلالهم المستمر للعمال في الداخل والخارج على حد سواء .

وعقدت الحكومتان : البريطانية والأمريكية في نهاية عام ١٩٤٤ ، سلسلة جديدة من المحادثات السرية مع الزعماء الفاشيين البريطانيين . وكان الكونت برنادوت ، الأمير الذي ينتمي الى الاسرة المالكة السويدية، هو الوسيط ، في المفاوضات التي دارت بين مقر قيادة أيزنهاور ، وبين هملر ، الزعيم القيادي النازي . وجرى البحث ابان هذه المفاوضات

في شروط وقف اطلاق النار بين الولايات المتحدة وبريطانيا من ناحية ، وبين ألمانيا من الناحية الأخرى ، بدافع إعطاء ألمانيا النازية الفرصة للتركيز بشكل كامل على مقاومة زحف الجيش السوفياتي .

وامرت الحكومتان : البريطانية والأمريكية بخلق فترة من الهدوء في الجبهة إبان هذه المفاوضات . وراحت قواتهما تحفر الخنادق على حدود ألمانيا الغربية في أواسط شهر ديسمبر . وسمح لضباط وجنود الجبهة من البريطانيين والأمريكان بأجازات قصيرة .

واهتبلت القيادة الفاشية الألمانية الفرصة لشن هجوم مضاد على القوات الانجليزية - الأمريكية . وكتب جودريان يقول فيما بعد : ان هتلر « أمل عن طريق هذا الهجوم ، في كسب الوقت ، وتحطيم أمل العدو في تحقيق نصر شامل ، وإقناعه بالتخلي عن مطالبته بالاستسلام اللامشروط ، ودفعه الى عقد صلح عن طريق الاتفاق » (١)

وتشاور كبار قادة الجيش الألماني في مقر قيادة هتلر في الحادي عشر والثاني عشر من ديسمبر ، وقرروا الشروع في هجوم في منطقة الاردن .

ويحاول كثيرون من الجنرالات الفاشيين السابقين ، رغبة منهم في التقرب اليوم الى حكام بريطانيا والولايات المتحدة ، رفع المسؤولية عن أنفسهم بالنسبة الى هجوم الاردن . وهم يغالون في ذلك الى الحد الذي يدفعهم الى القول بأن هتلر أصدر أمره بالهجوم بالرغم من معارضتهم الاجماعية له . ولكن الجنرال يودل يكذبهم اذ يقول : « لقد وافقت هتلر تمام الموافقة ، على أن مغامرة انتويرب تمثل عملية في منتهى الجراءة . ولكننا كنا في وضع يائس ، وكان السبيل الوحيد لتخفيفه ، هو أن نقوم بعمل يائس أيضا . فلم يكن في امكاننا عن طريق البقاء في موقف الدفاع، أن ننجو من المصير السيئ المعلق فوق رؤوسنا وقد تمكن عن طريق القتال بدلا من الانتظار ، من انقاذ شيء ما » (١) .

وتحولت الخطة العملية الألمانية الى تكرار عملية الاختراق التي كان هتلر قد حققها في الجبهة الغربية في شهر مايو من عام ١٩٤٠ . وهكذا تقرر من جديد الزحف بسرعة باتجاه الساحل . وقطع قوات

(١) جودريان - نفس المصدر ص ٣٤٤

(٢) ميلتون شومان « الهزيمة في الغرب » - لندن ١٩٤٧ ص ٢٣٦ .

الحملة البريطانية - الأمريكية وتدميرها . وكان الفرق الوحيد بين الخطتين ، هو أنه كان على القوات الألمانية . أن تقوم بانحناء صغير . وتقرر أن تجرى عملية الاختراق في الاردن بين موشاو وايسترناخ ، أى في نقطة تلاقى القوات البريطانية والأمريكية . وكان على الهجوم أن يتحول بعد ذلك باتجاه دينانت - نامور - لياج ، ومنها الى انتويرب التى كانت تمثل مركز التموين الرئيسى للحلفاء . وكان الألمان يأملون فى أن يتزودوا بالتموينات من اكوام المؤن المقدسة للحلفاء فى انتويرب . وخصص لهذه العملية ثلاثة جيوش يقودها فون رونشتادت وتضم عشر فرق مدرعة وأربع عشرة فرقة مشاة وآليه .

وبدأ الهجوم الألمانى المضاد فى السادس عشر من ديسمبر من عام ١٩٤٤ . وكان مفاجأة كاملة ومذهلة للقيادة الانجليزية - الأمريكية . ولم يكن ذلك ناتجا عن ضعف المخابرات الانجلو - أمريكية ، وانما تسأل عن ذلك الاعتبارات السياسية التى دفعت قيادة الحلفاء الى عدم تصديق قدرة الألمان على القيام بهجوم مضاد . ويوجه فولر فى كتابه اللوم الى القيادة الفاشية الألمانية لتهورها، ويقول : انها لم تعمل ما كان يجب عليها أن تعمل لمصلحتها . ويمضى بعد ذلك قائلا : « وكان خير السبل أمامها من الناحية السياسية أن تتخلى عن الجبهة الغربية كل التخلي ، وأن تركز كل شئ على الروس . وكان مثل هذا الاجراء سيضمن تسليم المانيا والنمسا كاملتين الى البريطانيين والأمريكان ، وتوجيه ضربة ساحقة الى هيبة الروس » (١) . ولا شك فى أن هذا الفرض الخادع من جانب حكام بريطانيا والولايات المتحدة ، كان السبب الرئيسى فى نجاح الهجوم الألمانى المضاد فى الاردن .

وكان لبريطانيا والولايات المتحدة ، التفوق العددي الهائل . وكانت لديهما ، تسعون فرقة منها ٢٤ فرقة مدرعة ، ولديهما ثلاثة أضعاف ما لدى الألمان من المشاة ، وأضعاف أضعاف ما لديهم من الدبابات والمدافع والطائرات . ومع ذلك فقد سار هجوم الألمان المضاد فى الأردن سيرا ناجحا ، وبدأت الاستراتيجية البريطانية - الأمريكية مهتزة ضعيفة . ولا شك فى أن سوء التقدير من جانب الحكومتين البريطانية والأمريكية على الصعيد السياسى ، كان المسئول عن هذا الفشل .

(١) فولر . نفس المصدر - ص ٣٢٤ .

وحققت القيادة الألمانية ما توخته من أهداف في الشطر الأول من خطتها . وتحققت عملية الاختراق بسهولة نسبية . وتراجعت القوات البريطانية والأمريكية بسرعة هائلة ، بعد أن فقدت القيادة السيطرة عليها ويقول عمر برادلى : أن أركان حرب ايزنهاور « أظهروا علائم . حللناها نحن في مجموعة جيشنا بأنها دليل على وجود حالة عصبية من النرد » (١) .

واستولى الألمان في اليوم الثانى على مدينتى مالميدى وفيلسالم . ودخلوا مدينة سبا . وتم اختراق الجبهة في نهاية الأسبوع الأول على مسافة مائة كيلو متر . وازداد عمق الثغرة الى مسافة ١١٠ كيلومترات . وعبرت طلائع الألمان في الثالث والعشرين من ديسمبر نهر الماس عند دبنانت ووصلت الى ضفة النهر الى الغرب من لبيج . وتخلت القوات الانجلو - أمريكية في تراجعها الذى سادته الفوضى عن كميات كبيرة من الأسلحة والعتاد والوقود .

وظهرت الخلافات بين الحكومتين البريطانية والأمريكية وبين قبادتيهما العسكريتين . وكانت هذه الخلافات لمصلحة الألمان أيضا ، فقد سمحت لهم بأن يحققوا تقدما ملحوظا وواضحا . وأصبحت مجموعة جيوش الشمال وهى بريطانية فى غالبيتها مقطوعة عن مجموعة جيوش الجنوب ، وهى أمريكية . وظهر الألمان وكأنهم يوشكون على تحقيق دنكر ك ثانية . وظهرت العمليات الألمانية وكأنها ستنزل الكارثة شطر كبير من قوات الحملة البريطانية - الأمريكية فى فرنسا .

وبدا أن القوات البريطانية والأمريكية عاجزة عن وقف الهجوم الألمانى فى الغرب ، بما لديهما من موارد . وراح تشرشل يناشد رئيس الحكومة السوفياتية ، انقاذ القوات الانجليزية - الأمريكية بهجوم جديد يشنه الجيش السوفياتى فى الشرق . وكان هذا الجيش قد أتم قبل فترة قصيرة هجومه الشتوى الكبير ، كما كان الطقس فى الجبهة غير موات . ومع ذلك فقد أبرقت الحكومة السوفياتية فى اليوم التالى أى فى السابع من يناير من عام ١٩٤٥ الى الحكومة البريطانية تقول : ان القيادة السوفياتية العليا ، قررت نظرا للوضع السيئ فى الجبهة الغربية أن تسرع فى استعداداتها ، وأن تثن عمليات هجومية واسعة النطاق ، مهما كان وضع الطقس قبل النصف الثانى من شهر يناير ،

(١) عمر برادلى - نفس المصدر ص ٤٧٥

أى قبل الموعد المقرر بمدة طويلة للغاية (١) . ومع ذلك فقد كان التردى السريع فى الوضع فى الجبهة الغربية مرغما للقياده السوفياتية على المزيد من الاسراع ، اذ أن الحلفاء كانوا فى حاجة الى معونة عاجلة . ولم يقع الهجوم فى النصف الثانى من يناير كما وعدت الحكومة السوفياتية من قبل ، وانما وقع قبل ذلك أى فى الثانى عشر من يناير على طول الجبهة الألمانية السوفياتية الممتدة من البلطيق حتى جبال الكربات .

وأحبطت الضربة السوفياتية التى جاءت فى حينها هجوم الألمان فى الغرب ، وأنقذت القوات البريطانية والأمريكية من الكارثة . واضطر هتلر ، لمواجهة الهجوم السوفياتى القوى الى التحول الى الدفاع فى الغرب ، وارسال النجذات السريعة الى الشرق (٢) . ولم تحل نهاية شهر يناير حتى كانت القيادة الألمانية قد سحبت قواتها فى الاردن الى مواقعها الأصلية . وان كانت القوات البريطانية والأمريكية لم تستطع استئناف بقدما البطىء باتجاه نهر الراين الا فى شهر فبراير .

وأظهر الهجوم السوفياتى الذى انقذ القوات البريطانية والأمريكية من ورطتها ، من جديد ، أن الاتحاد السوفياتى ينظر الى واجباته نحو حلفائه ، نظرة أكثر جدية من تلك التى يحملها حكام بريطانيا والولايات المتحدة . وأدى الاتحاد السوفياتى واجباته دون أثره أو أنانية ، وبإصرار وبصدق ، مقدما مساعدة ضخمة لحلفائه .

ومع ذلك يحاول المؤرخون البريطانيون والأمريكان بكثير من الجهد والعناء ، اخفاء اخلاص الاتحاد السوفياتى الكبير لواجباته تجاه حلفائه . فهم يتحدثون بكثير من الافاضة عن الهجوم الألمانى فى الاردن ولا يشيرون الا اشارات غامضة الى الهجوم السوفياتى فى الشرق ، والى الدور الذى لعبه فى انقاذ قوات الحملة البريطانية - الأمريكية من الكارثة . ولا يتردد مؤرخو ألمانيا الغربية فى الانضمام اليهم فى هذا التزييف المتعمد للتاريخ ، وأن كان عمر برادلى ، قد ضرب الرقم القياسى فى التزييف عندما عزا نجاح الهجوم السوفياتى فى شهرى يناير وفبراير من عام ١٩٤٥ الى ما أسماه « بالآثر الاستراتيجى » لصمود الحلفاء فى الاردن (٣) .

(١) مراسلات الحكومة السوفياتة - المجلد الاول . ص ٢٩٤ - ٢٩٥

(٢) جودريان - نفس المصدر . ص ٣٥٧

(٣) عمر برادلى - نفس المصدر . ص ٤٩٣ .

ولكن الحقائق تتحدث عن نفسها بنفسها . فقد كتبت صحيفة « داجينز نايهتر » السويدية على سبيل المثال فى الرابع والعشرين من يناير من عام ١٩٤٥ ، فى معرض المقارنة بين نطاق الهجوم السوفياتى والعمليات الأنجلو - أمريكية فى الغرب تقول : « يشبه الهجوم السوفياتى العملاق البرق فى سرعته ، وقد فاق كل ما عرفه التاريخ العسكرى من «هجمات» مماثلة . وتكاد هجمات الألمان الصاعقة فى بداية الحرب تكون تافهة اذا ما قورنت بالهجوم السوفياتى الذى اندفع بقوة لا مثيل لها على طول الجبهة » .

وأطرى قادة بريطانيا والولايات المتحدة ، الجيش السوفياتى والشعب السوفياتى على جهودهما الحربية العظيمة . وقد اعترف هؤلاء القادة بأن الجبهة الألمانية السوفياتية كانت حاسمة حتى بعد نزول قواتهم فى غرب أوروبا . وكتب تشرشل فى شهر فبراير من عام ١٩٤٥ يقول : « يحتفل الجيش الأحمر بعيدة السنوى السابع والعشرين . فى قلب الانتصارات التى تحققت وسط هتافات حلفائه وتقديرهم ، والتى قررت مصير الروح العسكرية الألمانية . وستعترف الأجيال القادمة بما عليها من دين الى الجيش الأحمر ، بدون تحفظ ، كما نعتزف نحن الذين عشنا لنرى هذه الانجازات العظيمة » (١) . وقد جاءت هذه الرسالة فى وقت واحد مع رسالة أخرى بعث بها الرئيس روزفلت يقول : « اكتسب الجيش الأحمر والشعب السوفياتى الإعجاب الدائم من شعب الولايات المتحدة » (٢) .

= ٢ =

قربت الانتصارات السوفياتية الباهرة على ألمانيا الفاشية . من نهاية الحرب . ومهدت المساعدة السوفياتية التى جاءت فى حينها للقوات البريطانية والأمريكية إبان معركة الإردن ، وتزايد حركات التحرر الوطنى فى البلاد الأوربية المحتلة ، الجو لعقد مؤتمر جديد لرؤساء الدول العظمى الثلاث فى جزيرة القرم ، بين الرابع والثانى عشر من شهر فبراير من عام ١٩٤٥ . ولا شك فى أن انعقاد المؤتمر على

(١) مراسلات الحكومة السوفياتية - نفس المصدر - المجلد الاول - ص ٣٠٥ - ٣٠٦

(٢) مراسلات الحكومة السوفياتية المجلد الثانى ص ٥٧ - ٥٨

الأراضى السوفياتية دليل كاف على تزايد مكانة الاتحاد السوفياتى ونفوذه الدولى .

وكان الموضوع الأول الذى ناقشه مؤتمر يالطا ، يتعلق بألمانيا الفاشية كدولة محاربة . ووضعت الخطط العسكرية المشتركة لتحقيق النصر النهائى . وكان المجلس الاستشارى الأوروبى قد وضع صورة اتفاق بين الاتحاد السوفياتى وبريطانيا والولايات المتحدة لتحديد مناطق الاحتلال فى ألمانيا ، ولإدارة منطقة برلين الكبرى ، وقد تم التوقيع عليه فى الثانى عشر من سبتمبر من عام ١٩٤٤ . وأقر مؤتمر القرم هذا الاتفاق محددا خطوط مناطق الاحتلال الثلاث فى ألمانيا ، كما وضعت فى البداية .

ودعيت فرنسا بعد ذلك ، بمبادرة من الاتحاد السوفياتى الى الاشتراك فى احتلال ألمانيا . وكان لابد من تحديد منطقة الاحتلال الفرنسى . واستغرقت المحادثات حول هذا الموضوع عدة أشهر ، أمكن بعدها الوصول الى اتفاق فى السادس والعشرين من يوليو من عام ١٩٤٥ . وهكذا حدد الشمال الغربى من ألمانيا للاحتلال الانجليزى والجنوب الغربى للاحتلال الأمريكى ، والغرب للاحتلال الفرنسى .

وقدمت الحكومتان : البريطانية والأمريكية خططهما لاقتسام ألمانيا وعكست هذه الخطط بوضوح أهدافهما الإمبريالية . وكانت المشروعات الأمريكية والبريطانية الضخمة تعتبر الاحتكارات الألمانية منافسة خطيرة لها ، ولذا فقد كانت راغبة فى تحطيم سلطان ألمانيا الاقتصادية ، وإخراج ألمانيا من الأسواق العالمية ، ونشر سلطان تلك المشروعات الأنجلو - أمريكية لتحل محل الألمان فيها . ووقع روزفلت وتشرشل بالأحرف الأولى فى اجتماع كويبك الذى عقده فى الخامس عشر من سبتمبر من عام ١٩٤٤ ، اتفاقا عرف باسم مشروع مورجنتاؤ، كان هدفه تقسيم ألمانيا ، وتصفية تصنيعها ، وتحويلها الى دولة زراعية . وتضمن الاتفاق النص على وقف الصناعات فى حوضى الروهر والساار عن العمل . وذكر مشروع مورجنتاؤ فى جزئه الخطير ان « هدفه تحويل ألمانيا الى بلد للزراعة والمراعى بصورة رئيسية » (١) . وذكر

(١) ويليام نيومان « صنع السلام ١٩٤١ - ١٩٤٥ دبلوماسية مؤتمرات أيام الحرب » - واشنتون ١٩٥٠ ص ٧٣

مورجنتاو ، أن « التعامع مع دولتين ألمانيتين أسهل من التعامل مع دولة ألمانية واحدة » (١) .

وكان من الحتمى أن يقاوم الشعب الألماني تقسيم بلاده . وكتب سممر ويلز وكيل وزارة الخارجية الأمريكية يقول : « أن الألمان . سيجدون الوسائل المرضية السريعة للالتفاف حول تقسيم بلادهم ، ويعلمون محاولة جديدة لتوحيدها ، عند ما تصبح الفرصة مواتية » (٢) . واقترحت صحيفة الايكو نوميسست فرض « فترة من العبودية التأديبية على الشعب الألماني ، تكون أوضاعها ، من الحدة على النحو الذى يرغب فيه كل انسان » (٣) . وذكرت صحيفة «نيوريبابليك» الأمريكية فى الوقت نفسه أن « السياسة البريطانية والأمريكية تهدف الى تحطيم النظام النازى والحزب النازى ، ولكنها لا تعمل مطلقا على اجراء أى تبدل فى التركيب الطبقي الالماني » (٤) .

وكان الاتحاد السوفياتى تواقا من ناحيته الى تطبيق الاجراءات الديمقراطية فى عالم ما بعد الحرب ، ولذا فقد صمد فى دفاعه عن مصالح الأمة الألمانية ووجودها القومى المستقل . وكانت المكانة الدولية للاتحاد السوفياتى قد نمت الى الحد الكافى لتحويل كفة الميزان لمصلحة وحدة ألمانيا وسيادتها كدولة . ولذا فقد ارتكزت قرارات مؤتمر القرم على الاعتراف بأن احتلال ألمانيا مؤقت ، ويجب الا يكون وسيلة لتفسيخ وحدتها . وقبلت الاقتراحات السوفياتية فى المؤتمر لضمان نزع السلاح من ألمانيا وتحولها الى الديمقراطية كأساس لسلام دائم . واتخذ المؤتمر قرارات تحدد الأهداف السياسية لاحتلال ألمانيا والإشراف عليها . وكانت هذه القرارات تمثل حلولا وسطى بالطبع ، الا انها عكست الاقتراحات السوفياتية الى حد كاف . فقد نصت على خلق أوضاع لا تمكن ألمانيا من استئناف العدوان ، وتوجه التطور الألمانى فى شكل دولة ديمقراطية محبة للسلام . وقرر مؤتمر القرم ، رغبة منه فى دعم وحدة ألمانيا أثناء فترة الاحتلال ، واتباء سياسات مشتركة فى ألمانيا ، واقامة مجلس مركزى للرقابة ، مقره فى برلين لتولى عملية التنسيق فى ادارة البلاد .

(١) هنرى مورجنتاو « ألمانيا هى مشكلتنا » - نيويورك ولندن ١٩٤٥ ص ١٥٥

(٢) سممر ويلز « وقت الفرار » - نيويورك ولندن ١٩٤٤ ص ٣٤٩

(٣) عدد الايكونوميسست فى ٣١ مارس ١٩٤٥

(٤) نوريبابليك عدد ١٠ يوليو ١٩٤٤

وكان من العدل فرض تعويضات عن الاضرار التى ألحقها الهجوم
الامانى الغادر بالاتحاد السوفياتى ، واحتلال القوات الالمانية لجزء من
أراضيه . ومع ذلك فقد عارض الاتحاد السوفياتى المحاولات الامبريالية
لاستعباد ألمانيا المهزومة اقتصاديا ، ولذا فقد كان حريصا عند تقدير
التعويضات على مصلحة الشعب الالمانى ، آخذا بعين الاعتبار أوضاع ألمانيا
نفسها . وكان راغبا فى قبول تعويض جزئى ، كما أشار فى مطالبه ،
على ما أصابه من أضرار .

وأصر الاتحاد السوفياتى ، فى عمله لمصلحة الشعوب الاوربية ،
على وجوب اصدار اعلان ثلاثى لأوروبا المحررة يؤكد حق شعوبها المحررة
من النير النازى ، فى تحطيم صور الفاشية فى بلادها ، وفى خلق النظم
الديمقراطية التى تخنارها ، وفى أن تكون لها الحرية المطلقة فى اختيار
نظم الحكم التى تود العيش فى ظلها (١) . ولا شك فى ان هذا الموقف مثل
عوننا عظيما للشعوب الاوربية فى نضالها من أجل الحرية والاستقلال .

وأثبتت التطورات اللاحقة أن الولايات المتحدة وبريطانيا ، وافقتا
على النص المتفق عليه للاعلان على مضض ، ولم تكونا تعترزمان مطلقا الوفاء
به . فقد كانت سياستهما متعارضة مع هذا الاعلان ، ومع كل الالتزامات
الآخرى التى تعهدتا بها ، والمتعلقة بحقوق الشعوب . فقد فرضتا فى
جميع البلاد التى احتلتها قواتهما ، كإيطاليا وفرنسا وبلجيكا وهولندا
ولكسمبورج واليونان ، نظام التدخل المسلح ، وحالتا عن طريق القوة
المسلحة دون تحقيق التطلعات الجماهيرية الى النظام الديمقراطى الشعبى .
وهكذا كان التدخل المسلح منهما هو الذى حال دون نصر القوى
الديمقراطية فى بلاد أوروبا الغربية .

ورفض الممثلون البريطانيون والامريكيون فى مؤتمر يالطه ، البحث
فى موضوع الوضع فى اليونان ، حيث كان التدخل الامبريالى سافرا
وعنيفا .

وحلت مشكلة يوجوسلافيا التى نوقشت فى المؤتمر ، حلا فى صالح
الشعب اليوجوسلافى . وقد نص القرار المتخذ بشأنها على اقامة حكومة
يوجوسلافية موحدة مؤقتة ، تضم قادة حركة التحرير الوطنى وبعض
المثليين من الجماعة المهاجرة فى لندن .

(١) وثائق الحكومة السوفياتة ١٩٤٧ - المجلد الثالث - ص ١٤٠ - ١٠٦

واستغرق بحث المشكلة البولندية وقتا طويلا ، فقد ناقش المؤتمر
مستقبل بولندا ، وتأليف الحكومة البولندية المقبلة .

ودافعت الحكومة السوفياتية دفاعا حارا عن الدولة البولندية القوية
 والمستقلة ، وأعربت عن ايمانها بأن بولندا ستعود دولة أقوى مما كانت
 عليه ، لا عن طريق اغتصاب أراضي أوكرانيا وروسيا البيضاء ، وليتوانيا ،
 بل عن طريق ضم الاراضى البولندية التقليدية فى الغرب اليها ، وهى
 الاراضى التى كانت ألمانيا قد اغتصبها .

وأيد الممثلون البريطانيون والامريكيون مطالب الاقطاعيين البولنديين
 فى استعادة أراضى أوكرانيا وروسيا البيضاء . وأصر روزفلت على وجوب
 ضم لواو والمناطق المجاورة لها الى بولندا . ولكن مؤتمر يالطة ، أقر فى
 النهاية أن تسير الحدود البولندية السوفياتية مع الطابع القومى ، وأن
 تكون محاذية لخط كيرزون مع بعض الانحرافات عنه لمصلحة بولندا فى
 بعض المناطق ، ولمسافات تتراوح بين « الخمسة والثمانية كيلومترات » .
 وظلت قضية حدود بولندا الغربية موضوع النقاش ، فقد بينت الولايات
 المتحدة وبريطانيا ، أنهما لا ترغبان فى أن تستعيد بولندا أراضيها
 التقليدية فى الغرب ، لان البولنديين سيعجزون عن تطويرها وتنميتها ،
 كما أن ألمانيا ستتضرر اقتصاديا الى حد كبير من انتزاعها منها .

واقصر مؤتمر القرم فى قراراته على القول بأن «من الواجب حصول
 بولندا على توسعات اقليمية كبيرة فى الشمال والغرب» على أن تتقرر هذه
 التوسعات فى الوقت المناسب .

ونشب صراع عنيف حول موضوع تأليف الحكومة البولندية .
 وحاولت بريطانيا وأمريكا فى البداية ، تجاهل وجود الحكومة البولندية
 الوطنية ، واعتبرت الحكومة البولندية المهاجرة ، كالهيئة الوحيدة الممثلة
 لبولندا . ولكنهما ما لبثتا أن تراجعتا أمام المعارضة السوفياتية العنيدة
 التى تهدف الى الحفاظ على مصالح الشعب البولندى الذى كان قد اختار
 طريق تطوره الديمقراطى ، وراحتا تقترحان اقامة حكومة مشتركة . ورضى
 الاتحاد السوفياتى بهذا الاقتراح من ناحية المبدأ كحل وسط ، وان رفض
 قبول الزمرة المهاجرة فى لندن كنواة لمثل هذه الحكومة المشتركة .

وفشلت الجهود المتواصلة التى بذلها الممثلون الامريكيون
 والبريطانيون ، لاقامة حكومة رجعية فى بولندا «برياسة» ستانسلاف
 ميكولايشك . واضطروا فى النهاية الى الاعتراف بالفشل الكلى الذريع

الذى منيت به الحكومة البولندية المهاجرة . ولذا لم يرد أى ذكر لهذه الحكومة فى البلاغ الذى صدر عن مؤتمر القرم . وتم الاعتراف بالحكومة الديمقراطية الشعبية البولندية المؤقتة كنواة لحكومة بولندية مقبلة ، مع النص على أن توسيعها سيؤدى الى ضم «عناصر قيادية ديمقراطية من داخل بولنده وخارجها» . وتقرر أن يطلق على هذه الحكومة الجديدة اسم «حكومة الوحدة الوطنية المؤقتة فى بولنده» . وتعهدت بريطانيا والولايات المتحدة بإقامة علاقات دبلوماسية معها .

ويبدو أن الدوائر الحاكمة فى بريطانيا والولايات المتحدة كانت تعنى « بالعناصر القيادية الديمقراطية » تلك الفئة الفاشية البولندية . ويبدو أنها تجاهلت حقيقة الوضع الفعلى فى بولنده والعلاقات الطبقيّة فيها ، وتصورت أن فى امكان الرجعيين استعادة السلطة المطلقة فى البلاد فى الوقت المناسب . أما الاتحاد السوفياتى ، فكان على ثقة من قوة الديمقراطية فى بولنده ، ومن أنها ستنتصر فى نضالها ضد العملاء الانجلو - أمريكيين ضمن اطار الحكومة . ولا شك فى ان التطورات اللاحقة أظهرت أن تقدير السوفيات للتوازن بين القوى الطبقيّة فى بولنده، ولنظرة الشعب البولندى للديمقراطية كان سليما كل السلامة .

ولكن تنفيذ قرار مؤتمر يالطه بإنشاء حكومة الوحدة الوطنية المؤقتة فى بولنده ، لم يكن سهلا كما تصور المؤتمرون ، فقد بذلت الحكومتان البريطانية والأمريكية كل ما فى وسعها لاحتباط التنفيذ . فقد تنكرتا لقرار يالطه ، وحاولتا حل الحكومة البولندية بدلا من إعادة تشكيلها ، وكانت محاولتهما تتركز فى اقامة حكومة رجعية جديدة .

وحاولت الحكومة السوفياتية بمنتهى الصدق والاخلاص ، تنفيذ قرارات المؤتمر الثلاثى مع حرصها البالغ والشديد على حماية المصالح القومية والمكاسب الديمقراطية للشعب البولندى . وحقق الموقف السوفياتى الصامد ما أراد . ونفذت قرارات يالطه حول موضوع بولنده بحذافيرها .

واستأنف المؤتمر النقاش فى موضوع اقامة منظمة دولية تضمن السلام والأمن لجميع الشعوب . وكان هذا الموضوع قد أثير لأول مرة فى مؤتمر وزراء خارجية الدول الكبرى الثلاث الذى عقد فى موسكو فى خريف عام ١٩٤٣ ، ثم استأنف البحث فيه فى اجتماعات دومبارتون - اوكس فى شهرى أغسطس وسبتمبر من عام ١٩٤٤ .

وأرادت الدوائر الحاكمة فى الولايات المتحدة ، وضع نظام لما بعد الحرب يضمن لها الاحتفاظ بالزعامة العالمية . وكانت فى الايام الاولى من الحرب قد اقترحت انشاء « قوة بوليسية دولية » . وكان روزفلت فى اجتماعه مع تشرشل فى شهر أغسطس من عام ١٩٤١ ، قد ذكر « أنه لا يؤيد خلق جمعية جديدة لعصبة الأمم ، الى أن يكون بعض الوقت قد انقضى على انتهاء الحرب ، شريطة أن تكون هناك فى هذه الفترة قوة بوليسية دولية تتألف من الولايات المتحدة وبريطانيا ، وأن تكون الفرصة قد أُنِحت لها للعمل » (١) . أما الحكومة البريطانية فكانت تريد من ناحيتها إعادة عصبة الأمم الى الوجود ، وقد أولت صحافتها هذه الرغبة اهتماما كبيرا فى تعليقاتها .

أما الاتحاد السوفياتى فقد اقترح اقامة منظمة دولية جديدة ، تختلف عن عصبة الأمم ، فى ألا تكون أداة للسياسات الامبريالية ، وانما هيئة فعالة تتولى الحفاظ على السلام . وتغلبت فكرة اقامة هذه المنظمة الجديدة فى مفاوضات دومبارتون اوكس ، وأثمرت هذه المفاوضات وضع صيغة ميناك للمنظمة المقترحة .

وأصر الاتحاد السوفياتى على أن يؤكد الميثاق مبدأ سيادة جميع أعضاء المنظمة وتساويها ، وأن يستبعد أى تدخل من جانب المنظمة فى الشؤون الداخلية للدول الاعضاء . وتحققت رغبة الاتحاد السوفياتى فى وجه معارضة قوية من الدول الامبريالية . وركزت مسودة الميثاق اهتمامها على الهدف الاول للمنظمة وهو الحفاظ على الامن والسلام . ووضعت أعباء هذه المهمة على عاتق مجلس الامن الدولى الذى يضم خمسة أعضاء دائمين هم الاتحاد السوفياتى والصين والولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ، وستة أعضاء غير دائمين ينتخبون لمدة سنتين من بين الاعضاء الآخرين فى المنظمة .

واقترح الاتحاد السوفياتى شرط الإجماع بين الدول الخمس الكبرى فى مجلس الامن ، اذ آن هذا الاشتراط ، يرغمها على البحث عن حلول مشتركة ، تقبل بها الدول الخمس الدائمة فى المجلس .

ولم يكن فى وسع الوفدين : الأمريكى والبريطانى أن يقدموا حججا قوية فى معارضتهما لاقتراح اجماع الدول الكبرى . وبدا وكأن الولايات

(١) تشارلز . اى . بيرد فى كتابه « الرئيس روزفلت وحلول الحرب . دراسة للظواهر والوقائع » جامعة ييل - ص ٤٧٣

المتحدة كانت رغبة في قبول هذا الشرط . وذكر الاتحاد الامريكى للامم المتحدة فى عام ١٩٤٥ ، أن قاعدة الاجماع كانت لازمة لتأمين موافقة مجلس الشيوخ الامريكى على ابرام ميثاق المنظمة الدولية (١) . وأعلنت الحكومة البريطانية رسميا أيضا أنها تؤيد مبدأ الاجماع (٢) . ولكن المحاولات ما لبثت أن اشتدت لتحديد استخدام هذا المبدأ فى نقطة جوهرية للغاية ، وهى ألا يطبق على الدولة الدائمة العضوية فى مجلس الامن اذا كانت طرفا فى النزاع المعروض على المناقشة ، ولو طبق هذا التحفظ ، لكان فى امكان الامبرياليين ، أن يقرروا اعتبار الاتحاد السوفياتى طرفا فى أى نزاع قد ينشأ ، ولكان فى وسعهم اتخاذ أية قرارات يشاءونها عن طريق مجلس الامن . وروى جيمس . بي روستون أحد مراسلى النيويورك تايمز فى هذا الصدد أنه « فى الوقت الذى كانت فيه عصبة الامم السابقة دائمة العجز عن الحصول على الاجماع لاتخاذ اجراء ضد ألمانيا أو اليابان ، تمكنت من الحصول على التأييد الكافى لاجراج روسيا السوفياتية من عضويتها أيام الحرب الفنلندية الاولى (٣) » . ولم يتوصل مؤتمر يالطه الى اتفاق حول موضوع الاجراء الاقتراعى فى مجلس الامن ، ولذا فقد ظل معلقا . ونوقش موضوع عدد الاصوات فى الجمعية العامة للمنظمة المقترحة ، وطلب المفاوضون الامريكيون أن يكون لدولتهم ثلاثة أصوات نظرا لوزنها الضخم فى الشئون الدولية . وتقرر بعد نقاش طويل أن يكون لكل دولة عضو فى الامم المتحدة صوت واحد .

وبالرغم من الخلافات فى وجهات النظر ، فقد كان مؤتمر دومبارتون أوكس متناهيا فى أهميته . فقد بين أن التعاون الدولى ميال الى تقوية الحلف المعادى للفاشية . وأخيرا وليس آخرا ، كان مؤتمر دومبارتون أوكس ، المجال العملى لممارسة مشروع المنظمة العالمية ، اذ تم فيه الوصول الى حلول مرضية لسلسلة من القضايا الهامة ، وقد حلت فى اطار روح من الوحدة والتعاون .

وراحت الصحافة البريطانية تندب مصير عصبة الامم وتوصى بالافادة الى أقصى حد من تجاربها . وحشت صحيفة التايمز اللندنية على ضرورة التفاوض مع زعماء عصبة الامم السابقة . وراحت تنشر رسالة بعث بها

(١) كتاب « نحن والشعب » للاتحاد الامريكى للامم المتحدة - نيويورك ١٩٤٥ ص ٣٦

(٢) كتاب « تعلق على ميثاق الامم المتحدة » - لندن ١٩٤٥ ص ١٦ - ١٧ .

(٣) صحيفة النيويورك تايمز فى ٢٩ سبتمبر ١٩٤٤ .

اليها اللورد ليتون الرئيس البريطاني للجنة العصبية التنفيذية . وقد ذكر اللورد في رسالته ، أن من الواجب عدم خلق منظمة جديدة ، والاكتفاء بإدخال بعض التعديلات على اسم العصبية وصورة تشكيلها ودستورها ، وأن يعمل على تحقيق ميثاقها بحيث يتلاءم مع الوضع الحالي . وأضاف اللورد أن من الواجب إعادة تنظيم العصبية لتلائم الشكل المقترح للمنظمة الجديدة ، ولكن حل العصبية كان أمرا حتميا .

ولم يثر موضوع عصبية الامم مرة أخرى في مؤتمر القرم . وتم الوصول الى اتفاق وسط في موضوع الاقتراح في مجلس الامن ، وهو الموضوع الذي ظل معلقا منذ مفاوضات دومبارتون أوكس ، حيث كان الممثلون الامريكيون والبريطانيون ، بالرغم من موافقتهم على مبدأ الاجماع ، يحاولون ادخال مجموعة من الاشتراطات عليه . وتقدم الرئيس روزفلت في مؤتمر القرم باقتراح جديد ، ضغط فيه هذه القيود الى الحد الأدنى الذي يمكن قبوله . وهكذا تمت الموافقة على اقتراح روزفلت ، وتبين من ذلك أن في وسع البلاد اذا توافر حسن النية ، كالشعوب أن تحل كافة القضايا والمشاكل القائمة بينها .

وارتكز عمل مجلس الامن على مبدأ اجماع الدول العظمى ، أي أن تحظى القرارات المتعلقة بالقضايا المهمة بموافقة الدول الخمس الأعضاء الدائمين ، على أن يكون اتخاذ القرارات الاجرائية بموافقة سبعة أعضاء من أحد عشر ، وأن تمتنع الدولة العضو من غير الدائمين عن التصويت اذا كانت طرفا في أي نزاع يعرض على مجلس الامن .

وتم الاتفاق في مؤتمر القرم على توجيه الدعوة لمؤتمر للأمم المتحدة في مدينة سان فرانسيسكو في الخامس والعشرين من ابريل من عام ١٩٤٥ ، لاستكمال اعداد ميثاق الامم المتحدة . ودعيت جمهورية أوكرانيا السوفياتية الاشتراكية وجمهورية روسيا البيضاء السوفياتية الاشتراكية الى سان فرانسيسكو للاشتراك في المنظمة الدولية المقترحة ، كعضوين كاملين بالنظر الى ضخامة عدد سكانهما ، وأهميتهما السياسية ، ولما قامتا به من دور في الجهد الحربي المشترك ضد المانيا الهتلرية .

وكان هناك قرار اتخذ في يالطة ، ولم ينشر علنا في حينه ، وهو تعهد الاتحاد السوفياتي بدخول الحرب ضد اليابان . وقد أبقى على هذا الاتفاق في طي الكتمان بعض الوقت ، لأسباب مفهومه ، ولم ينشر الا بعد سنة كاملة أي في الحادي عشر من فبراير من عام ١٩٤٦ . وقد نص القرار

على أن يشترك الاتحاد السوفياتى فى الحرب ضد اليابان ، بعد شهرين أو ثلاثة من استسلام ألمانيا ، ومن انتهاء الحرب فى أوربا ، شريطة الحفاظ على « الوضع القائم » لجمهورية مغوليا الشعبية ، واستعادة الحقوق السوفياتية فى جنوب سخالين وجزر كوريل ، واستئجار الاتحاد السوفياتى لميناء بورت آرثر ، واعطائه حقوق الاولوية فى ديرين ، وفى تشغيل سكة حديد شرق الصين ، وسكة حديد جنوب منشوريا بالاشتراك مع الصين .

ويشير هذا الاتفاق على شئون الشرق الاقصى الى أن بريطانيا والولايات المتحدة ، لم تكونا عند عقد مؤتمر يالطة ، واثقتين من قدرتهما على تحطيم اليابان الامبريالية وحدهما . وقد وافق الاتحاد السوفياتى على مساعدتهما فى تحطيم العدو الشرقى ، حرصا منه على مصالح الشعوب الشرقية والتعاون الدولى .

واعتبرت لندن وواشنطن الاتفاق مقبولا ، طالما أنهما كانتا مهتمتين بادخال الاتحاد السوفياتى الحرب ضد اليابان . وكتب سمنر ويلز يقول: « تعتبر استعادة الحكومة السوفياتية لجنوب سخالين وجزر كوريل ، أمرا حيويا لها ، ولضمان سلامة حدودها فى سيبريا(١) » . ولكن عندما تم تحطيم اليابان ، راح الرجعيون فى الولايات المتحدة وبريطانيا ، يشنون حملة شعواء على الاتفاق الذى تم الوصول اليه فى مؤتمر يالطة فى موضوع الشرق الاقصى .

وانتهى مؤتمر القرم باعلان صدر عن الدول الثلاث حمل اسم « الاتحاد فى السلم كما فى الحرب » . وقد أطرى الاعلان ما أبداه الاتحاد السوفياتى والولايات المتحدة وبريطانيا من تعاون دولى فى الحرب ، كما ظهر فى مؤتمر يالطة ، واستخلص من ذلك أن هناك التزاما مقدسا على هذه الحكومات بأن تحافظ على وحدتها بل وتقويتها ، هدفا وعملا ، فى أوقات السلم القادمة .

ولا شك فى أن المؤتمر وقراراته يحتلان مكانة بارزة فى صراع الامم المحبة للحرية من أجل الوصول بالحرب الى نهاية سريعة ، وإلى تحقيق تنظيمات دولية ديمقراطية لعالم ما بعد الحرب . وقد هيا المؤتمر للعالم

(١) سمنر ويلز فى كتابه « الى أين نسير ؟ » نيويورك ١٩٦٤ - ص ٢٩٩

برنامجا للشكل الذى سيتم فيه تنظيم السلام بعد انتهاء الحرب ، والذى سيقوم فى جوهره على أسس الاقتراحات التى قدمها الاتحاد السوفياتى .

وحطم مؤتمر القرم أيضا آمال ألمانيا الفاشية فى احتمال نشوب نزاع بين الدول الاعضاء فى حلف مقاومة الفاشية ، وأكد رأى الاتحاد السوفياتى فى أن فى وسع التحالف السوفياتى - الأمريكى - البريطانى أن يجتاز متاعب المرحلة الأخيرة من الحرب . وكان من حق العاملين فى الاتحاد السوفياتى وفى خارجه أن يعتبروا هذا المؤتمر ، معلما فى منتهى الأهمية من معالم الطريق المؤدية الى هزيمة الفاشيين الالمان هزيمة نهائية ، وإلى اقامة سلم ديمقراطى دائم .

ولكن رأى الجهات الحاكمة فى الولايات المتحدة وبريطانيا كان يختلف بالنسبة الى قرارات يالطة عن رأى الاتحاد السوفياتى . فقد اعترف تشرشل فيما بعد أنه كان ينشد الاتفاق مع الاتحاد السوفياتى ، لسبب واحد ليس الا ، وهو أن بريطانيا كانت لا تزال فى حاجة الى جهده الحربى ضد ألمانيا . وكتب تشرشل يقول : « ترى ما الذى كان سيحدث ، لو اننا وقعنا فى خلاف مع الاتحاد السوفياتى ، فى الوقت الذى كانت ألمانيا لا تزال تحتفظ فيه بمائتى أو ثلاثمائة فرقة فى جبهات القتال؟ » (١) وبالرغم من أن بريطانيا والولايات المتحدة كانتا ملزمتين بقبول القرارات المنفقة مع مصالح الشعوب ، الا أنهما كانتا لا تزالان تخفيان بعض المناورات فى أكمامهما .

وكانتا تعقدان أن الحرب ضد ألمانيا فى أوروبا وضد اليابان فى الشرق ، ستطول أمدا آخر ، يكفى اضعاف الاتحاد السوفياتى فى النهاية ، مما يتيح لهما الفرصة لاختضاع أوروبا وآسيا لأرادتهما ، خلافا لما قرره مؤتمر يالطة . وكان هذا ما قاله تشرشل فى خطاب طويل ألقاه فى بلدة فولتون الأمريكية فى ولاية ميسورى . . . فقد قال : « كان الاتفاق الذى عقدناه فى يالطة ، والذى كنت طرفا فيه ، موافيا كل الموافاة للاتحاد السوفياتى ، وسيظل كذلك طيلة صيف عام ١٩٤٥ وخريفه ، وطيلة « الثمانية عشر » شهرا التى ستستغرقها الحرب مع اليابان بعد انتهاء الحرب مع ألمانيا » (٢)

وكان الاتحاد السوفياتى الدولة الوحيدة من دول مؤتمر يالطة ،

(١) تشرشل - نفس المصدر - المجلد السادس - ص ٣٥٢

(٢) صحيفة النايمز عدد ٦ مارس ١٩٤٦

التي نفذت قراراته بمنتهى الدقة والاخلاص والوفاء . ولقد أصبح الجهد لتحقيق قرارات يالطة تحقيقا كاملا ، وأميننا بعد الحرب ، أحد المهمات الرئيسية التي أخذتها السياسة الخارجية السوفياتية على عاتقها .

ولم يكد مؤتمر القرم ينتهى ، حتى راحت القيادة البريطانية، تحديا منها لقراراته ، تؤلف قوة متحركة خاصة ، بأمر من تشرشل نفسه ، لتقوم بالزحف سريعا على ألمانيا الشرقية ، ولتدخل برلين من الاتجاه الشمالى الغربى قبل وصول القوات السوفياتية اليها . وقال تشرشل لأفراد بطانته : أن من الضرورى الوصول الى نهر الالب ، أو حتى برلين « قبل الدب » (١) وبذلت الحكومة البريطانية جهودا ضخمة للإبقاء على مخططاتها تجاه برلين طى الكتمان ، لا عن الاتحاد السوفياتى وحده ، بل وعن الولايات المتحدة أيضا . وأصدرت الحكومة الامريكية بدورها أوامرها الى ايزنهاور وبرادلى ، لارسال القوات الامريكية الى برلين ودريسدن من الجنوب الغربى . وكان هذا دليلا جديدا على وجود التناقضات بين الولايات المتحدة وبريطانيا .

- ٣ -

عقدت الولايات المتحدة الامريكية فى مستهل عام ١٩٤٥ ، مؤتمرا جديدا فى مدينة المكسيك لدول القارة الاعريكية . وقد افتتح المؤتمر فى الواحد والعشرين من فبراير وانتهى فى الثامن من مارس .

وأيد مؤتمر المكسيك قرارات مؤتمر وزراء الخارجية فى موسكو حول موضوع مجرمى الحرب ، كما أيد قرارات مؤتمر يالطة المتعلقة بإقامة منظمة دولية جديدة . لكن هذا المؤتمر ، قرر فى الوقت نفسه ، وبضغط من الولايات المتحدة ، أن تقف الدول الامريكية كلها فى صف واحد فى مؤتمر سان فرانسيسكو . وكانت هذه هى الخطوة الاولى التى خطاها حكام الولايات المتحدة فى اقامة «أغلبية» آلية لها فى الامم المتحدة ، مما مثل وضع العراقيل فى طريقها حتى قبل قيامها .

وفرضت الولايات المتحدة أيضا ضغطها لعقد ميثاق عسكرى مع الدول الامريكية الاخرى، وكان هذا الميثاق واحدا من المعاهدات العسكرية العدوانية التى عقدتها الولايات المتحدة قبل نهاية الحرب، وفى الفترة التى

(١) تشرشل - نفس المصدر - المجلد السادس . ص ٣٩١

تلت انتهاءها • وقد نص الميثاق تحت ستار «الدفاع المشترك» على اقامة هيئة أركان حرب مشتركة للدول الامريكية للمدة المتبقية من الحرب، ولتعمل بعد انتهائها ، لتضمن من جميع الدول الموقعة عليه ، أن تقدم الى الولايات المتحدة كل ما يتوافر لديها من موارد ومواد أولية استراتيجية ، وذلك للسير بصورة مشتركة في أية حرب قد تخوضها القارة الامريكية • ولا شك في أن هذا الميثاق وطد سيطرة الولايات المتحدة على أمريكا اللاتينية •

وكانت الاحتكارات الامريكية تعلق أهمية بالغة على الثروات الطبيعية في أمريكا اللاتينية • وقد تقدمت بمشروع كلايتون ، الذي تحقق عن طريق هذا الميثاق العسكري • ولم يمض عامان حتى كانت البورجوازية الوطنية في المكسيك ، تعكس الرأى التالى عن مشروع كلايتون في تقرير رسمى قدمته الى المؤتمر القومى الاول لتحويل الصناعات فى مدينة المكسيك فى ابريل من عام ١٩٤٧ • اذ قالت : « لايعنى مشروع كلايتون سوى مخطط لضمان السيطرة على العالم ، والقضاء على المنافسة والحرية • ولبس الدور الذى تمثله الولايات المتحدة فى هذا المخطط ، الا دور الدولة الام بينما يكون دور الدول الاخرى ، دور الدول التابعة لها • ولا شك فى أن الولايات المتحدة تدافع عن هذه الليبرالية الجديدة وحدها» (١)

وأرادت الولايات المتحدة تعزيز مركزها فى بلاد الشرق الاوسط ، فراحت تطبق قانون الاعارة والتأجير على الكثير منها ، اذ شملت العراق بنصوصه فى الاول من مايو من عام ١٩٤١ ، وايران فى الحادى عشر من مايو من السنة نفسها ، وتركيا فى السابع من نوفمبر ومصر فى الحادى عشر من نوفمبر والمملكة العربية السعودية فى السابع من ديسمبر من عام ١٩٤٢ ، والحبشة فى الثامن عشر من فبراير من عام ١٩٤٣ (٢). وكانت تركيا أكثر دولة أفادت من هذا القانون • ولم يكد ينتهى مؤتمر القرم ، حتى راحت تعلن الحرب على ألمانيا، لتضمن تعدادها كأحدى الدول المنتصرة، ولتشترك فى مؤتمر سان فرانسيسكو ، مع أنها كانت تساعد ألمانيا بحماسة واضحة فى وقت سابق من الحرب • وكان حكام تركيا يطمعون فى أن يضموا الى بلادهم بمعونة بريطانيا والولايات المتحدة مساحات

(١) ريشارد بيرنهاردت فى كتابه « العلاقات الاقتصادية بين دول القارة الامريكية -

مشاكلها وآمالها » - نيويورك ١٩٤٨ • ص ٥٤

(٢) الدليل الامريكى - واشنطن ١٩٤٥ •

واسعة من الاراضى فى جنوب شرق أوربا • لكن هذه المخططات لم تكن أكثر من مجرد قصور يبنونها فى الهواء •

- ٤ -

انعقد فى لندن فى نفس الوقت الذى كان فيه مؤتمر يالطة معقودا ، مؤتمر عالمى للحركة النقابية ، ودأمت اجتماعاته بين السادس والسابع عشر من شهر فبراير من عام ١٩٤٥ • وقد تمثلت فى المؤتمر الحركات النقابية على أوسع نطاق عالمى ، اذ ضم ممثلى النقابات السوفياتية ، والحركات النقابية فى المستعمرات والبلاد غير المستقلة • وكان هناك نحو ٢٠٤ أعضاء يمثلون نحو من ستين مليون عامل نقابى فى أكثر من خمسين بلدا • ورفض الاتحاد الأمريكى للعمل الاشتراك فى المؤتمر • وكان ويليام جرين رئيس الاتحاد الأمريكى ، والمرتبط بالاحتكارات الأمريكية يبحث على بعث الحركة الدولية النقابية فى أمستردام ، التى لم تكن تمثل الا قلة من العمال النقابيين المنظمين ، نظراً لرفض الحركة قبول النقابات السوفياتية ونقابات بلاد أمريكا اللاتينية والمستعمرات والبلاد غير المستقلة ، أعضاء فيها • وحث جرين أيضاً النقابات على الاشتراك ، خلافا لمصالح الطبقات العاملة ، فى الحملة الرجعية الصليبية ضد الشيوعيين •

وقد حال ممثلو المنظمة النقابية الأمريكية النانية ، والمسماة بمؤتمر المؤسسات الصناعية ، وممثلو مؤتمر الاتحادات العمالية البريطانية دون نجاح المؤتمر فى أعماله • وعارض وولتر سـيـتـرين الزعيم النقابى البريطانى الاقتراح بأن يقيم المؤتمر لجنة تنظيمية • وعارض كذلك جدول أعمال المؤتمر ، كما عارض فى اشتراك ممثلين فيه عن الحركات النقابية فى رومانيا وبلغاريا والمجر وبولندا • واقترح أن يكون للمؤتمر طابع استشارى محض ، وأن يمهد الجو للاندماج فى الحركة الدولية النقابية فى أمستردام •

ولكن الوفد البريطانى ، مالبث بعد مضى المؤتمر فى طريقه ، أن خرج على خطة سيره الاولى ، وانتهى المؤتمر نهاية ناجحة • ويرجع الفضل فى هذا النجاح الى جهود معظم الحركات النقابية ، ولا سيما النقابات السوفياتية ، فقد تمكن المؤتمر من وضع الاسس الراسخة للوحدة العمالية على الصعيد العالمى ، فى النضال من أجل السلام والديمقراطية • ورحب المؤتمر بقرارات يالطة ، وناشد حكومات الاتحاد السوفياتى

وبريطانيا والولايات المتحدة أن تسمح لمثل الحركة النقابية العالمية بالاشتراك فى مؤتمر سان فرانسيسكو . ولا شك فى ان هذا المؤتمر ، كان ذا أهمية تاريخية ، اذ وضع الاسس لمنظمة دولية قوية للعمال المنظمين ، أطلق عليها اسم الاتحاد الدولى للنقابات .

- ٥ -

وشهد ربيع عام ١٩٤٥ تبدا تاريخيا فى مصير تشيكوسلوفاكيا . وكان هذا التبدل نتيجة الانتصارات السوفياتية ، واستثارة الحوافز الثورية الضخمة عند الشعب التشيكوسلوفاكى ، تماما كما حدث فى البلاد الاخرى فى أوروبا الوسطى والجنوبية الشرقية . وحدثت ابان الاحتلال الألمانى الفاشى ، تبدلات واسعة للغاية فى التركيب السياسى للطبقة العاملة التشيكوسلوفاكية . فقد أدركت هذه الطبقة أن الرأسماليين والاقطاعيين ليسوا مجرد مستغلين لا يرحمون فحسب ، وانما هم خونة أيضا أسلموا بلادهم الى أيدي الالمان ورحمتهم ، وهكذا نارت جماهير الشعب التشيكوسلوفاكى بقيادة الشيوعيين ، فى نضال تحررى لا ضد الطغاة الالمان فحسب ، وانما ضد المتعاونين معهم أيضا من البورجوازيين التشيكوسلوفاكيين . وظهرت سلطة ثورية جديدة تمثلت فى اللجان الوطنية التى تألفت فى المدن والقرى التى حررها الجيش السوفياتى والانصار .

ووضع الحزب الشيوعى تنفيذا لارادة الشعب ، برنامجا لقيام حكم ديمقراطى شعبى . وكان هدف هذا البرنامج اقامة جبهة ديمقراطية معادية للفاشية ممثلة للشعب تمثيلا واسعا ، ودعى الدكتور بنيش للاشتراك فيها ، ولكن بنيش عارض هذه الاقتراحات اذ كان مخلصا لوجهات نظره الغربية ، وليوله الى الولايات المتحدة وبريطانيا ، وللمصالح الطبقة للبورجوازية النشيكوسلوفاكية . ولكنه تبين على أى حال ، أن الشعب لن يعهد اليه بأى منصب قيادى الا اذا قبل هذا البرنامج . ولذا فقد تظاهر بالقبول . وراح يقطع علاقاته مع زعماء الحكومة المهاجرة الآخرين فى لندن ، ويعود الى تشيكوسلوفاكيا المحررة . وكان هدفه من العودة ، أن يستعيد قيادته للبلاد ، وأن يعيد فى النهاية السلطة للاقطاعيين والرأسماليين ، وأن يخضع البلاد لارادة الامبرياليين الغربيين .

وتم التوقيع على برنامج الديمقراطية الشعبية فى بلدة كوجيس،

كما تم اعلانه فى الخامس من ابريل من عام ١٩٤٥ • وقد حدد البرنامج، طرق استكمال النضال الوطنى التحررى ووسائله ، كما حدد المبادئ الاساسية للديمقراطية الشعبية •

وتحدث البرنامج عن السياسة الخارجية، فطالب بمزيد من التطوير للصدقة السوفياتية - التشيكوسلوفاكية ، كأساس للوجود القومى التشيكوسلوفاكى ، وللاستقلال • ولما كان المؤتمر الاول للجان الشعب فى أوكرانيا الكرباتية قد قرر فى السادس والعشرين من نوفمبر من عام ١٩٤٤ ، تحقيق الحلم الطويل لشعبها فى الوحدة مع أوكرانيا السوفياتية، فقد ذكر البرنامج أن القضية « ستقرر طبقا لارادة الشعب فى أوكرانيا الكرباتية ، بعد التعبير عنها بصورة ديمقراطية ، وبروح من الصداقة التامة بين تشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفياتى»(١)

وتم التعبير عن المشاعر السوفياتية الصديقة تجاه شعب يوجوسلافيا الذى تم تحريره بمساعدة الاتحاد السوفياتى فى معاهدة صداقة وعون متبادل ، وتعاون فيما بعد الحرب تم التوقيع عليها بين الاتحاد السوفياتى ويوجوسلافيا فى الحادى عشر من ابريل من عام ١٩٤٥ • وتعهدت الدولتان الموقعتان على المعاهدة ، بمواصلة الجهود الحربية المشتركة ضد ألمانيا حتى النصر النهائى ، وبتقديم كل منهما المعونة الممكنة للأخرى فى حالة تعرضها لهجوم من ألمانيا أو من أية دولة أخرى قد تنضم اليها فى عمل من أعمال العدوان • ونصت المعاهدة على الاتصال السياسى والاقتصادى والثقافى الواسع بين الاتحاد السوفياتى ويوجوسلافيا • وقوبلت هذه المعاهدة بالترحاب فى كل من الاتحاد السوفياتى ويوجوسلافيا •

وتم التوقيع على معاهدة صداقة وعون متبادل وتعاون بعد الحرب بين الاتحاد السوفياتى وبولندا فى الواحد والعشرين من ابريل من عام ١٩٤٥ ، فى مدينة موسكو • ونصت المعاهدة على بذل الجهود السوفياتية- البولندية المشتركة ضد ألمانيا الهتلرية الى أن يتم تحقيق النصر النهائى ، وعلى التعاون الودى بين البلدين بعد الحرب • وتعهدت الدولتان بأن تعملأ فى انسجام واتفاق على منع العدوان من جانب ألمانيا أو جانب أية دولة حليفة لها • واذا اشتبكت أى من الدولتين فى عمليات حربية ضد ألمانيا أو ضد أية دولة حليفة لألمانيا ، فإن الفريق الآخر ، ملزم بأن يقدم للدولة

(١) برافدا - فى ١٠ ابريل ١٩٥٠

الثانية كل عون عسكري أو غيره فورا • ونصت المعاهدة على إقامة علاقات سياسية واقتصادية وثقافية واسعة بين الدولتين ، كما نصت على أنها ستظل سارية المفعول مدة عشرين عاما •

ومثلت المعاهدة السوفياتية - البولندية، تطورا جذريا في العلاقات السوفياتية - البولندية • وقيم تاريخ العلاقات بين الشعبين : الروسى والبولندى الدليل على أن ما كان يسود بينهما من شكوك وتباعد وعداء، كان نافعا دائما لمصالح أعدائهما ، وقد استغلت الامبريالية الألمانية دائما هذا العداء بينهما ، كما استغلت التوتر فى علاقاتهما • ولا شك فى أن الموقف العدائى الذى اتخذه حكام بولنده من الاتحاد السوفياتى كان من الاسباب الرئيسية التى أدت الى الكارثة التى حلت ببولنده فى شهر سبتمبر من عام ١٩٣٩ • وكان الافتقار الى تحالف سوفياتى - بولندى فعال قد سهل على ألمانيا هجومها الغادر على الاتحاد السوفياتى • وكان فى امكان المعاهدة السوفياتية البولندية أن تؤدى دور الحاجز ضد العدوان الامبريالى الالمانى باتجاه الشرق ، وتسهم فى ضمان الامن الاوروبى •

ولم يكتف الاتحاد السوفياتى بمساعدة بولنده على التحرر ، والحيلولة دون تعرض الشعب البولندى للتدخل الانجليزى - الأمريكى المسلح ، وانما تعهد بأن يقدم اليها عونا سياسيا ومعنويا واقتصاديا واسعا • وليست المعاهدة السوفياتية - البولندية الا الضمان لاستقلال الديمقراطية الشعبية البولندية الجديدة ، والضمان لقوتها وازدهارها •

عملية برلين واستسلام ألمانيا

- ١ -

عندما بدأ الهجوم السوفياتي الجديد في الثاني عشر من يناير من عام ١٩٤٥ ، لم تتبين الا قلة من أهل ألمانيا نفسها ، ومن أهل بريطانيا والولايات المتحدة أيضا ، المدى الكامل لوضع ألمانيا الهتلرية . فلقد كان جيشها لا يزال قويا من الناحية العددية ، وكان انتاجها الحربي لا يزال ضخما . ومع ذلك ، فلم تمض أربعة أشهر على هذا التاريخ ، حتى كانت ألمانيا قد قهرت .

ولا شك في أن الاتحاد السوفياتي هو الذي لعب الدور الحاسم في الهزيمة الساحقة التي منيت بها ألمانيا . فهو الذي احتمل أعباء القتال ، وهو الذي وجه ضرباته المضادة ، منزلا الهزيمة بالرايخ الفاشي .

واشتركت الجيوش البولندية والتشييكوسلوفاكية والبلغارية والرومانية في الهجوم السوفياتي الاخير الذي أدى الى نهاية الحرب ، وأسهمت اسهاما كبيرا في النصر الذي تحقق على الفاشية . ولا شك في أن الوطنيين البولنديين والتشييكوسلوفاك والبلغار والرومانيين الذين حاربوا جنبا الى جنب مع الوحدات السوفياتية ضد العدو المشترك ، قد أظهروا شجاعة فائقة وبسالة وبراعة في القتال . وكانت البلاغات الحربية التي تصدرها القيادة العليا السوفياتية لا تنفك عن الحديث عن هذه البسالة .

وكانت الهزائم الاولى التي منى بها الالمان في الجبهة السوفياتية مع

النكسات المؤلمة الجديدة ، قد أضعفت المعنويات فى الجبهة الالمانية وفى مؤخرتها وهكذا فقد دحر الهجوم السوفياتى ، النازيين الى الوراء .

واتخذت القيادة العليا الالمانية قرارا قاسيا ، باحالة المنطقة الشرقية من البلاد الى اراض خربة . وكتب وولتر جورليتز ، المؤرخ الالمانى الغربى للحرب يقول : « كان لا بد من تحويل كل منطقة تتخلى عنها القوات الالمانية الى ارض خربة ، وكان لا بد من تدمير جميع المصانع والمواد الغذائية ، والجسور ، والسكك الحديدية والسدود ، وأعمدة البرق ، ومحطات اللاسلكى والمناجم فيها . وأصدر الماريشال كايتل ونائب هتلر . الهربورمان ، أوامر صارمة بوجوب الدفاع عن كل مدينة حتى النفس الاخير . وكانت المحاكم العسكرية تعقد جلساتها فى الميدان لمحاكمة القادة العسكريين الذين يعصون هذه الأوامر . وكان القتلة يحصدون الارواح حصدا ، اذ كانوا يقتلون كل من يرفعون الرايات البيض طلبا للتسليم أمام العدو الزاحف . وكان الجنود الذين يتخلون عن وحداتهم يشنقون علنا فى الشوارع . وهكذا راح ملاك الموت يطوف فى البلاد متنكرا فى صور شتى » (١) .

ولم يكد الهجوم السوفياتى يبدأ ، حتى راحت المقاومة فى الجبهة الغربية تضعف الى حد كبير . أما فى الجبهة الشرقية ، فقد أصبحت هذه المقاومة يائسة . وكانت أحلام التسليم للرأسمالية الغربية تداعب خيالات الامبرياليين الألمان ، بينما كانوا قد عقدوا العزم على محاربة الاشتراكية الشرقية حتى النفس الاخير . واجتازت القوات الانجليزية والأمريكية فى أواخر شهر فبراير من عام ١٩٤٥ ، خطوط التحصينات الألمانية المسماة بخط سيجفريد بمنتهى السهولة .

وقطعت هذه القوات نهر الراين الذى يؤلف حاجزا طبيعيا بمنتهى السهولة أيضا ، اذ أن القوات الألمانية المتقهرة لم تقم بنسف الجسور على النهر .

وخولت القيادة الألمانية الجنرال وولف فى مطلع شهر مارس من عام ١٩٤٥ حق التفاوض مع الممثلين البريطانيين والأمريكيين فى سويسرا . وأصرّت الحكومة السوفياتية على اشتراك القيادة السوفياتية فى هذه

(١) وولتر جورليتز « الحرب الثانية » - المجلد الثانى ص ٥٤٣ - ٥٤٤

المفاوضات • ولكن رئيسى الحكومتين البريطانية والأمريكية رفضا هذا الطلب المشروع • وآثرا أن يقوموا بمفاوضات مستقلة مع الألمان ، خارقين بذلك تعهداتهما لحليفهما الاتحاد السوفياتى •

ودارت المحادثات فى مدينة بيرن السويسرية وقد أحيطت بستر كئيف من السرية ، واستمرت زهاء أسبوعين • وتشير الحقائق المتعلقة بهذه المفاوضات الى انها انتهت الى اتفاق مع الألمان يقضى بأن يفتح المارشال كيسلرنج قائد الجبهة الغربية ، جبهته أمام القوات الانجليزية - الأمريكية ليسمح لها بالزحف شرقا ، وأن تتعهد بريطانيا والولايات المتحدة ، مقابل ذلك بنخفيف شروط الهدنة التى ستعرض على ألمانيا « (١) •

وعندما بين ستالين فى رسالة بعث بها الى الرئيس روزفلت ، أن المفاوضات تهدف الى هذه الغاية ، رد روزفلت بنفى قاطع • لكن الواقع يشير الى أن الألمان لم يحاربوا بعد هذا التاريخ فى الغرب الا حربا رمزية • وكانت القوات القليلة الباقية فى الجبهة الغربية تتخلى عن مواقعها دون مقاومة تذكر ، وتستسلم بالجملة • بينما ظل العدو يقاوم فى الجبهة الشرقية بضراوة •

ومن الصحيح أن يقال تبعا لذلك أن ستالين قد قدر الوضع نقديرا صحيحا ، فقد كتب الى روزفلت يقول : « وكل ما هو حادث الآن أن الألمان توقفوا عن القتال فى الغرب ضد بريطانيا وأمريكا ، بينما هم يواصلون الحرب فى الشرق ضد حليفهما الاتحاد السوفياتى » (٢) •

وأخذ الانتاج الحربى فى ألمانيا يضعف نتيجة توغل القوات السوفيتية فى الأراضى الألمانية ، ويزعم المؤرخون الأمريكيون والبريطانيون، أن ألمانيا هزمت نتيجة ما أنزلته الطائرات البريطانية والأمريكية من اضطراب فى الصناعة الألمانية • لكن الواقع أن ضعف الانتاج الحربى الألمانى لم يكن هو الذى ساعد الجيش السوفياتى على تحقيق انتصاراته ، وانما كانت هذه الانتصارات هى التى أضعفت انتاج ألمانيا الحربى •

(١) مراسلات الحكومة الألمانية - المجلد الثانى • ص ٢٠٦

(٢) نفس المصدر

وهناك عوامل عدة أسهمت فى عملية الاضعاف هذه • فقد خسرت ألمانيا ما كانت تقيده من الأراضى المحتلة ، كما خسرت جميع الدول التابعة لها • يضاف الى هذا أنها خسرت عدداً من المقاطعات الألمانية ، وقد قامت القيادة الألمانية بنقل عدد من المصانع من الأقاليم الشرقية ، أما ما تبقى منها فقد دمرته قبل انسحابها • وأخذت قوة العمالة تضعف فى ألمانيا ، كما انتشرت عمليات التخريب التى يقوم بها العمال الأجانب وعدد كبير من العمال الألمان ، وأحسست ألمانيا بالنقص فى المواد الأولية ، اذ أنها خسرت جميع مصادر تموينها بها • ولحق الاضطراب بالاقتصاد الألمانى بوجه عام نتيجة انتشار العمليات الحربية ووصولها الى ألمانيا نفسها •

ولكن العمال فى المؤخرة السوفياتية ، كانوا قبل أمد طويل من بداية التدهور فى الاقتصاد الألمانى ، قد حققوا نصراً ضخماً على ألمانيا الفاشية • فلقد أخذت عمليات التصنيع السوفياتية تسير بخطوات سريعة وبلغت الاستثمارات فى الصناعة بين عامى ١٩٤٢ و ١٩٤٤ نحواً من ٧٩ ألف مليون روبل • وتم بناء نحو من ٢٢٥٠ مصنعاً جديداً فى الأقاليم الشرقية فى الاتحاد السوفياتى فى هذه الفترة • وبدأ العمل فى أكثر من مائة ألف آلة جديدة ، و ٢٤ فرناً لصهر الصلب و ١٢٨ فرنًا لصهر الحديد (١) وبدأت المصانع الضخمة التى أنشئت فى الشرق انتاجها فى مطلع عام ١٩٤٤ ، وكانت كلها مزودة بأحدث المعدات المصنوعة محلياً • وبلغت نسبة ارتفاع مجمل الانتاج فى الأقاليم الشرقية من البلاد ١٨٠ فى المائة فى عام ١٩٤٤ ، عما كانت عليه فى عام ١٩٤٠ (٢) ، بينما زاد مجموع الانتاج الحربى فى البلاد كلها بنسبة ٥٦٠ فى المائة • وأنتجت مناطق الأورال وحدها من الألومنيوم ، أكثر مما كانت تنتجه صناعة الألومنيوم فى البلاد كلها قبل الحرب • وتم انشاء فرن ضخمة لصهر الصلب فى شهر ديسمبر من عام ١٩٤٣ فى مصانع ماجنتو جورسك للصلب • وبدأ العمل فى فرن ثان فى عام ١٩٤٤ ، وكان هذان الفرنان أكبر من أية أفران مماثلة فى أوروبا كلها •

وبدأ العمل فى عام ١٩٤٤ فى فرن ضخمة آخر للصلب فى بيسيمر فى الأورال ، وفى فرن للحديد فى مصانع اوزبكستان ، وفى مصنع لانتاج الجرافات فى الطائى • ويتضمن جدول التطور الصناعى فى عام ١٩٤٤

(١) وثائق الحكومة السوفياتية عن الحرب ص ٤٦

(٢) وثائق الحكومة السوفياتية عن الحرب - ص ١٧٤

أيضا إنشاء أفران جديدة للصلب والحديد والفحم الحجري في شيليا بينسك ونوفور تاجيلسك وكراجاندا ، وإنشاء مصانع للسيارات في الأورال ، ومصانع للطائرات والدبابات في سيبيريا ، ومصانع للمواد « الكيماوية » ، ومصانع للتوربينات ومحطات توليد الطاقة الحرارية . وتم أيضا تشغيل نحو مائتي منجم جديد في مناطق الفحم بالإضافة الى مئات المشروعات المهمة الأخرى .

وبدأت البلاد أيضا منذ الواحد والعشرين من أغسطس من عام ١٩٤٣ ، وقرار من اللجنة المركزية للحزب ومجلس الوزراء ، بإعادة بناء الاقتصاد في البلاد التي تم تحريرها من نير النازيين . وبدأ العمل في شهر ديسمبر من ذلك العام في فرنين للصلب في مصانع بينانكيفو للصلب . وعادت الى العمل في عام ١٩٤٤ ، توربينات محطة زوييف لتوليد الكهرباء في حوض الدونيتس ، ومؤسسات الطاقة الكهربائية في باكسان ومحطة كراز نوجورسك ، ومصانع الحديد والصلب في فولجوجراد ، وأفران الصلب والفحم في مصانع الدونيتس ، ومصانع المواد « الكيماوية » في روتشينكوفو ، ومصانع الحديد في مارايوبول ، وأفران الصلب في قسطنطينوفكا ، والمصانع الميكانيكية في نوفو كراما ماتورسك . وعادت محطة لينين لتوليد الطاقة الكهربائية في فولخوفو الى العمل ، كما عادت أحواض الفحم في موسكو الى سابق عهدها . وتمت إعادة أكثر من ستة آلاف مصنع الى العمل في المناطق المحررة بين عامي ١٩٤٢ و ١٩٤٤ (١) ، كما زادت العناية بوسائل النقل وطرقه ، والزراعة في هذه المناطق .

وهكذا تبين العالم كله ، ما يتمتع به الاقتصاد الاشتراكي من مزايا التفوق على الاقتصاد الرأسمالي . ولا شك في أن نجاح الاقتصاد السوفياتي في إعادة اصلاح ما خربته الحرب ، يظهر بوضوح عند مقارنة النتائج ، بما وقع في البلاد الرأسمالية في أوروبا الغربية . ولا شك في أن اقتصاد أوروبا الغربية قد تأثر الى حد كبير ، ولحقت به أضرار بالغة من نتائج السياسة العشوائية التي اتبعتها القيادة السياسية والعسكرية في بريطانيا والولايات المتحدة . فقد ضاعفت هذه السياسات من شقاء الشعوب . وكانت المشروعات البريطانية والأمريكية الكبرى ، تعرقل عمليات إعادة بناء أوروبا الغربية ، لأنها لم تكن تتوقع نفعاً منها .

(١) وثائق الحكومة السوفياتية - ص ٤٦

حطم الجهود السوفياتي لعام ١٩٤٤، جبهة العدو بين بارنتيز والبحر الأسود ، وعندما بدأت الاعدادات الجديدة على الحدود السوفياتية الألمانية ، كانت هذه الاعدادات تهدف الى تحقيق القفزة النهائية التي ستؤدي الى نهاية الحرب .

وبدأ الهجوم السوفياتي الأخير بالاستراك مع القوات البولندية والتشييكوسلوفاكية والبلغارية والرومانية في الثاني عشر من يناير من عام ١٩٤٥ . وتمثل هذا الهجوم في سلسلة من العمليات المترابطة ذات النطاق والاطر الاستراتيجية البالغ . وقد قامت بالعملية الأولى بين الفستولا والأودر ، قوات جبهة روسيا البيضاء الأولى ، والجبهة الأوكرانية الأولى ، والجناح الأيمن للجبهة الأوكرانية الرابعة . وكان هدف العملية تحطيم مجموعة (أ) من الجيوش الألمانية التي تضم ستا وثلاثين فرقة ، وتحرير بولندا وجزء من تشيكوسلوفاكيا ، والوصول الى نهر الأودر والمشارف البعيدة لبرلين .

وتمكنت قوات الجبهة الأوكرانية الأولى من تخطي الخطوط الدفاعية الرئيسية للعدو في اليوم الأول من الهجوم . وانضمت اليها في الرابع عشر من يناير قوات جبهة روسيا البيضاء الأولى ، ولم يحل اليوم السابع عشر من الشهر ، حتى تم اختراق خطوط العدو الدفاعية على جبهة طولها خمسمائة كيلو متر . وتمت اباداة القسم الرئيسي من مجموعة (أ) الألمانية ، وأصبحت الطريق مفتوحة أمام اندفاع سوفياتي سريع باتجاه الغرب . وتم تحرير وارشبو عاصمة بولندا في نفس اليوم ، بينما تعاونت قوات الجبهة الأوكرانية الرابعة مع قوات الجبهة الأولى في الكربات الغربية .

وواصلت القوات السوفياتية في المرحلة الثانية من العملية ، أي بين الثامن عشر من يناير والثالث من فبراير ، مطاردة العدو المتراجع بسرعة ، ووصلت الى نهر الاودر على جبهة عريضة . ولم يتوقف الهجوم السوفياتي عند هذا الحد . وانما استولت الوحدات السوفياتية على عدد من رؤوس الجسور على الضفة الغربية من النهر ، وظهرت الأرض البولندية كلها من العدو . وتم في الوقت نفسه تحرير قسم كبير من تشيكوسلوفاكيا . وانتقلت الحرب بذلك الى الأرض الألمانية نفسها .

واستولت القوات السوفياتية على معسكر الاعتقال النازي «أوزوييسم»

وظهرت للعيان لأول مرة الكثير من الحقائق البشعة التي تعتمد النازيون اخفائها وعثر الجنود السوفييات في مستودعات المعسكر على سبعة آلاف كيلو جرام من الشعر المقصوص من رؤوس (١٤٠) ألفا من النسوة اللاتي تم اعدامهن، وعلى صناديق من العظام البشرية المسحوقة ، و « بالات » من الملابس والأحذية ، وكميات كبيرة من الأسنان الذهبية والنظارات والحاجات الأخرى التي انتزعت من ضحايا المعسكر بعد قتلهم .

وقتل النازيون في موتهاوزن الجنرال كاربيشيف في شهر فبراير من عام ١٩٤٥ ، بعد أن حملوه الى العراق في الثلج ، وأخذوا يصبون عليه الماء الى أن تحول الى عمود من الجليد .

وتحدى المسجونون والأسرى في هذا المعسكر ، المعاملة اللا انسانية التي أصابتهم من وحوش النازية . وهناك أمثلة لا عد لها ولا حصر ، منها أن الوطنيين السوفييات في بينيموند ، تمكنوا بقيادة الطيار السوفيياتي ديفيانيف ، من الاستيلاء على قاذفة قنابل ألمانية ، طاروا بها عبر الخطوط لينضموا الى القوات السوفيياتية .

واشتبكت قوات الجبهتين الثالثة والثانية في روسيا البيضاء مع العدو في عملية في بروسيا الشرقية . كانت لها صلتها بعملية الفستولا – والأودر ، وخاضت المعارك ضد مجموعة جيوش الوسط الألمانية التي كانت تضم ٣٨ فرقة .

وبدأت قوات جبهة روسيا البيضاء الثالثة هجومها في الثالث عشر من يناير من عام ١٩٤٥ ، ولم تحل نهاية الشهر حتى كانت تطوق مدينة كونجسبرج . وكانت قوات الجبهة الثانية التي بدأت هجومها في الرابع عشر من يناير ، قد تقدمت باتجاه الشمال الغربي ، ووصلت في نهاية الشهر الى مارينبرج . وهكذا وقعت مجموعة جيوش الوسط في الفخ في بروسيا الشرقية ، ونمت إبادتها في سلسلة من المعارك العنيفة .

واستولت القوات السوفيياتية في التاسع من ابريل على مدينة كونجسبرج ، كما استولت في الخامس والعشرين منه على قلعة بيلا النازية المنيعة ، بعد أن أتمت تطهير شبه الجزيرة الواقعة الى الشمال من كونجسبرج ، والاستيلاء على بروسيا الشرقية كلها . وهكذا أصبح الطريق الشمالي الغربي الى برلين مفتوحا .

وقامت قوات الجبهتين : الأولى والثانية في روسيا البيضاء في

العاشر من فبراير من عام ١٩٤٥ ، بهجوم جديد أطلق عليه اسم عملية بوميرانيا الشرقية ، على الجناح الشمالى للجبهة الألمانية - السوفياتية واشترك فى هذا الهجوم ، الجيش البولندى الأول ، وأبلى بلاء حسنا . وكان الهدف منه حماية الجناح الأيمن للقوات السوفياتية الزاحفة على برلين بعد تحطيم جيوش الفيستولا ، التى حشدتها الألمان للدفاع عن بوميرانيا الشرقية .

وكان تقدم القوات السوفياتية سريعا للغاية فى المراحل الأولى . ولكن العدو ما لبث أن دفع الى هذه الجبهة بعد بدء العمليات فيها بامدادات جديدة ، لتصبح قواته فيها مؤلفة من اثنتين وأربعين فرقة . وتركزت هذه القوات فى خط دفاعى منيع يمتد بين الفستولا والأودر وفى منطقة جدينيا - دانزيج الحصينة .

ووصلت القوات السوفياتية بعد معارك طاحنة الى بحر البلطيق ، فاستولت على بلدة كوزالين ، وشطرت مجموعة جيوش الفستولا الى شطرين ، مكملت اطباقهما على مشارف مدينة كولبيرج . وتطورت عمليات التطهير الى معركة ضارية . ووصل الجيش السوفياتى فى الثالث عشر من مارس الى خليج ستيتين ، وهاجم بلدة اولتدام ، واستولى عليها فى العشرين منه . وتم احتلال كولدبرج أيضا ، وان ظلت معركة دانزيج وجدينيا مستعرة مدة أسبوعين آخرين . وقدم اسطول البلطيق السوفياتى للقوات الزاحفة مساعدات كبيرة ، وأغرق للعدو ١٥١ من سفن النقل و ٩٨ سفينة حربية وعددا من السفن المساعدة .

وحاولت القيادة النازية وقف الهجوم السوفياتى ، فبادرت الى شن هجوم مضاد . وتلقت الحكومة السوفياتية فى العشرين من فبراير من عام ١٩٤٥ ، معلومات من الجنرال جورج مارشال تقول : ان المخابرات الأمريكية علمت أن الألمان ينوون القيام بهجومين فى قطاعين على الجبهة الألمانية - السوفياتية وأولهما على تورون فى جبهة بوميرانيا والثانى على لودز فى مورافسكا اوسترافا . وأضافت الرسالة أن الجيش الألمانى المدرع السادس من رجال الحرس النازى ، قد خصص لعملية لودز .

لكن هذه المعلومات ، لم تكن مطابقة لما وقع فعلا . وكتب الجنرال أنتونيف ، رئيس هيئة أركان حرب الجيش السوفياتى بهذا الصدد الى الجنرال دين ، رئيس البعثة العسكرية الأمريكية فى الاتحاد السوفياتى فى الثلاثين من مارس من عام ١٩٤٥ يقول : « يبدو لى أن هناك مصادر

معنية أرادت بهذه المعلومات تضليل القيادة الأنجلو - أمريليه ، ومقر القيادة السوفياتية ، لتحويل أنظار القيادة السوفياتية العليا عن المنطقة التي كان الألمان يحشدون فيها قواتهم ، للقيام بعملياتهم الهجومية الكبرى على الجبهة الشرقية » . (١)

ووقع الهجوم الألمانى المضاد فى منطقة بحيرة بالاتون ، ضد قوات الجبهة الأوكرانية الثالثة . وكان هدف القيادة الألمانية اشغال القوات السوفياتية الزاحفة على برلين ، وتحويلها الى المنطقة الجديدة ، والاحتفاظ بما تبقى لدى ألمانيا من منابع البترول فى المجر . وكان الألمان يؤملون أيضا أن يؤدى هجومهم الى وقف اندفاع القوات السوفياتية فى الجنوب ، والى ارغامها على التوقف لاعادة تجميع صفوفها . وكان الهجوم المضاد ضخما فى نطاقه واشتركت فيه وحدات الجيش المدرع السادس من الحرس النازى التى نقلت من الجبهة الغربية .

وبدأت المعركة الكبرى فى السادس من مارس عام ١٩٤٥ ، ودامت عشرة أيام ، فشلت ابانها الهجمات الألمانية العنيفة فى اختراق الخطوط الدفاعية السوفياتية والبلغارية عند بحيرة بالاتون . وتمكنت القوات السوفياتية فى السادس عشر من مارس من الشروع فى عملية فيينا . وكان هدفها ، تحطيم مجموعة جيوش الجنوب ، وتحرير المجر ، والجزء الأكبر من النمسا بما فيه العاصمة فيينا ، وتطهير تشيكوسلوفاكيا .

واشتركت فى عملية فيينا قوات الجبهة الأوكرانية الثانية بقيادة الماريشال روديون مالينوفسكى ، وقوات الجبهة الأوكرانية الثالثة بقيادة الماريشال فيودور تولبوخين ، وأسطول الدانوب السوفياتى . وحقت القوات السوفياتية تقدما ملحوظا بالرغم من مقاومة العدو العنيفة، ووصلت فى الخامس من ابريل الى مداخل فيينا . وأطبقت الحلقة الفولاذية فى السابع من الشهر على العاصمة النمساوية ، وتم تحريرها فى الثالث عشر منه . وهكذا حطمت القوات السوفياتية المخططات النازية لشن حرب عصابات واعاقة فى الجنوب . وتم تطهير المجر والقسم الشرقى من النمسا بكاملها من العدو .

وأعلنت الحكومة السوفياتية فى التاسع من ابريل من عام ١٩٤٥

(١) مراسلات الحكومة السوفياتية - المجلد الثانى - ص ٢١١

أنها لا تعتزم أن تستولى على أى جزء من الأرض النمساوية . أو أن تغير النظام الاجتماعى فى البلاد ، وأنها ستقوم بمساعدة سكان البلاد على إلغاء الاحتلال الفاشى ، وإعادة النظام الديمقراطى الى النمسا . واستقبل شعب النمسا ، هذا البيان بمنتهى الرضى والتقدير .

وقامت قوات الجبهة الأوكرانية الأولى ، بقيادة المارشال ايفان كونييف بين الخامس عشر من مارس والواحد والثلاثين منه بعملياتها فى سيليزيا العليا ضد مجموعة جيوش الوسط التى كانت تضم ثلاثا وأربعين فرقة . وكان هدفها تدمير هذه المجموعة والوصول الى سفوح جبال السوديت . وتمت إبادة العدو الى الجنوب من أوبيلين بعد مناورة تطويقية بارعة . ووصلت القوات السوفياتية الى السفوح المذكورة . وأصبحت عملية برلين التى تعتبر أكبر العمليات الاستراتيجية فى الحرب البانية ، هى العملية التالية فى المخطط السوفياتى .

وكانت نقاط البداية تقع على نهر الأودر الذى يبعد ستين كيلو متر عن العاصمة الألمانية . وقد حشد العدو فى هذه الجبهة قوات ضخمة وقوية . وكانت المنطقة الواقعة بين الأودر وبرلين تؤلف جزءا من منطقة العاصمة الحصينة ، التى تضم خطوطا دفاعية قوية وعميقة .

وقامت بالهجوم الاستراتيجى على برلين قوات جبهتى روسيا البيضاء : الأولى والثانية وقوات الجبهة الأوكرانية الأولى على جبهة يزيد طولها على « الأربعمئة كيلو متر » . وكانت القوة السوفياتية الضاربة قد بلغت الذروة فى قوتها . واستخدم الجيش السوفياتى ٤١٦٠٠ مدفع وقاذف للألغام وأكثر من ٦٣٠٠ دبابة ، و ٨٤٠٠ طائرة حربية ، وعددا من أدوات الحرب الأخرى ، لحرق خطوط العدو الدفاعية فى المعركة .

وبدأت العملية فى السادس عشر من أبريل من عام ١٩٤٥ . ولم ينته اليوم الأول من الهجوم حتى كان الخط الدفاعى الرئيسى للعدو قد اخترق . ونشبت المعركة دفاعا عن الخط الثانى . وتمكنت قوات جبهة روسيا البيضاء الأولى ، فى الأيام الأربعة الأولى من الهجوم من التقدم مسافة ثلاثين كيلو متراً على جبهة يبلغ طولها سبعين كيلو متراً . وتمكنت قوات الجبهة الأوكرانية الأولى التى شرعت فى الهجوم فى نفس اليوم من اختراق خطوط العدو الدفاعية فى غضون ثلاثة أيام من القتال ، وشرعت فى عملية التفاف من ناحية الجنوب . وهكذا تم احباط المخطط

النازى للاحتفاظ بخط الأودر والنيسى الى أن تصل القوات الأمريكية والبريطانية الى برلين .

وكان التكاسل السابق من جانب القيادتين : الأمريكية والبريطانية قد اختفى الآن ، لتحل محله سرعة فائقة فى الزحف . وكان القادة العسكريون الألمان ، رغبة منهم فى مساعدة الزحف الانجليزى - الأمريكى ، على الاسراع باتجاه برلين ، قد أضعفوا القطاع الأوسط من الجبهة الغربية ، وبعثوا بالقوات التى استبعدوها منه الى الجبهة الألمانية - السوفياتية . ولم يحتفظ الألمان على طول الجبهة الغربية التى يزيد طولها على النمائئة كيلو متر ، والممتدة من بحر الشمال الى الحدود السويسرية ، بأكثر من ٣٥ فرقة غير كاملة ، ولا تصلح لخوض القتال . وكانت الحكومتان : البريطانية والأمريكية لا تنفكان عن حث قادتهما العسكريين على دخول المناطق المخصصة لاحتلال القوات السوفياتية . وكتب تشرشل فى الواحد والثلاثين من مارس من عام ١٩٤٥ الى روزفلت يقول : « يبدو من المؤكد أن جيوش الجنوب السوفياتية ستقتحم فيينا وتحتل النمسا . ولو أننا تعمدا أن ندع لهم احتلال برلين ، حتى ولو كانت فى متناول أيدينا ، فإن احتلالها واحتلال فيينا ، سيقويان من اعتقاد الروس الواضح ، بأنهم قاموا بكل شئ فى تحقيق النصر ولو أن مقاومة العدو لنا قد ضعفت كما نتوقع ، وكما يجب أن يتحقق ، فانا لا أرى ما يحول دون عبورنا لنهر الألب والزحف الى أبعد مسافة ممكنة باتجاه الشرق . ولا شك فى أن لمثل هذا العمل أهمية سياسية كبرى » (١) .

ولا شك فى أن هذه الرسالة تلقى ضوءا على حقيقة ما كان يهدف إليه حكام بريطانيا والولايات المتحدة فى المرحلة الختامية من الحرب . فقد كان هدفهم ، التقليل من اسهام الاتحاد السوفياتى فى تحقيق النصر ، ومن مكانة الاتحاد السوفياتى وسمعته على الصعيد الدولى .

وتلقت الدوائر الحاكمة فى الولايات المتحدة ، برقية تشرشل بكثير من التفهم . فقد أصر تشرشل على وجوب الاسراع فى الزحف على برلين . وراح يقول لايزنهاور فى الثانى من ابريل . . «أرى من المهم كل

» (١) تشرشل - مذكراته - المجلد السادس - ص ٤٠٥

الأهمية ، أن نلتقى مع الروس فى أبعد نقطة ممكنة فى اتجاه الشرق» (١) وعاد فى الخامس من ابريل فتحدث الى روزفلت فى نفس الموضوع (٢) .

وتوفى الرئيس الأمريكى فى النانى عشر من ابريل ، وخلفه فى « الرئاسة » ، نائبه هارى ترومان . وتحدث الرئيس الجديد فى اجتماع خاص عقده فى النانى والعشرين من ابريل مع كبار رجال الدولة عن العلاقات السوفياتية الأمريكية . ودون الأميرال ليهي ، مستشار روزفلت ومن بعده ترومان فى يومياته يقول : « ٠٠٠ وقد أجمع الذين دعاهم ترومان الى الاجتماع ، على أن الوقت قد حان لاتخاذ موقف حازم من جانب الولايات المتحدة مع الاتحاد السوفياتى » (٣) .

ويعتقد المؤرخ الأمريكى فليمينج ، أن قرارات هذا الاجتماع كانت عاملا مهما فى شن أمريكا الحرب الباردة على الاتحاد السوفياتى . وهو يقول : « ان المؤتمر قضى على السنوات الطويلة من الجهود الكبيرة التى بذلها روزفلت وكوردل هل ، لاقامة أساس للتفاهم مع القادة السوفيات ، يمكن « له » أن يستمر ابان وضع السلام » (٤) .

وأفرطت الحكومة الأمريكية وأجهزة مخابراتها فى محاولة الافادة من خدمات أجهزة الجاسوسية الألمانية . وأوقدت أكثر من مائة مجموعة من العملاء الأمريكين الى ألمانيا ، لتستولى على وثائق وزارة الخارجية الألمانية ، وجهاز المخابرات الألمانية ، وادارة الجستابو ، ولتضع يدها على كل ما فيها من ملفات ، وقوائم بأعضاء الحزب النازى ، والعلامات التجارية السرية للاحتكاكات الألمانية . وأوقدت مجموعة خاصة من العملاء ، يطلق عليها اسم «السوس» ، لتقوم بالاستيلاء على جميع الأوراق الألمانية الخاصة بالاسلحة النووية ، وعلى المختبرات الخاصة بها ، ولتضع يدها على جميع العلماء والخبراء الفنيين وغيرهم (٥) .

وكانت القيادة الفاشية تعرف تمام المعرفة الخطوط التى يضعها القادة الأمريكيون والبريطانيون . وكان هؤلاء القادة مصممين على مساعدتها . وكان النازيون يعتقدون أنه فى حالة احتلال القوات

(١) تشرشل نفس المصدر - الجزء السادس . ص ٤٠٩

(٢) تشرشل نفس المصدر - الجزء السادس . ص ٤١٠

(٣) ويليام ليهي فى كتابه « كنت هناك » - نفس المصدر ص ٣٥١

(٤) دى . اف . فليمينج ٠٠ فى كتابه « الحرب الباردة وجنودها ١٩١٧ - ١٩٦٠ » لندن ١٩٦١ . ص ٢٦٨

(٥) هولدم سميث « السوس » - نيويورك ١٩٤٧ .

البريطانية والأمريكية لبرلين ، فان قيادتها لن تعاقبهم على الجرائم المريعة التي ارتكبوها . وكانوا يأملون في أن يؤدي دخول الروس الى برلين من ناحية ودخول الأمريكان والانجليز اليها من الناحية الأخرى ، في وقت واحد ، الى وقوع الاصطدام بينهم ، والى نشوب الحرب العالمية الثالثة . ويعترف ويرنريشست مؤرخ الحرب ، أن الجنود الألمان كانوا متأثرين بالأمل الذي ظل يراودهم حتى اللحظة الأخيرة في « حماية ألمانيا ، وبالتالي حماية أوروبا . وكان هذا الواجب يدعوهم الى المضي في المقاومة ، بالرغم من ادراكهم الكامل للحقيقة الواقعة ، وهي أنهم قد خسروا هذه الحروب » (١) .

وكان هتلر يعتزم « مواصلة الصمود الى أن يقع الحلاف المتوقع في صفوف أعدائه » (٢) . وكان هتلر يواصل التحدث في ملاجئ دار المستشارية ، حيث رابط القادة العاشيون الى رفاقه : « بأن الحرب قد تنشب على أي حال بين البلاشفة والانجلو سكسون في أية لحظة ، بل وفي أي يوم » (٣) .

وأرادت القيادة العليا الألمانية أن تحقق للانجليز والأمريكان خططهم ، فراحت توقف مقاومتها في الغرب ، وتفتح أبواب الجبهة فيه أمام القوات الانجلو - أمريكية . وتم سحب الجيش الثاني عشر الذي يقوده الجنرال وينك من الجبهة الأمريكية ، وأرسل على جناح السرعة الى الشرق ، لمحاربة القوات السوفياتية . وتعهد جوبلز أن ينشر الأمر الذي صدر بنقل هذا الجيش في الصحف ، وأن تذيعه الاذاعات الألمانية . وقال جوبلز في بيانه : ان « القوات الالمانية على نهر الألب ، أدارت ظهورها الى الأمريكيين » (٤) .

وكانت القوات البريطانية والامريكية تقترب بسرعة من برلين دون أن تلقى أية مقاومة . ووصلت وحدات الجيشين الأمريكيين : الأول والتاسع ، الى نهر الألب في الواحد والعشرين من أبريل ، أي في نفس اليوم الذي باتت فيه القوات السوفياتية تحارب في شوارع برلين . وأرادت القيادة الامريكية أن تواصل تقدمها ، ولكنها خافت من الحالة النفسية التي بدت على جنودها وضباطها .

(١) ومررستب في كتابه « سجد الحرب النانة » ص ٤٤

(٢) سلسكيرس - نفس المصدر ص ٥٦٦

(٣) برافدا - عدد ٣١ ديسمبر ١٩٤٧

(٤) سلسكيرس - نفس المصدر ص ٥٧٣

واندفعت قوات جبهة روسيا البيضاء الأولى الى برلين فى الواحد والعشرين من أبريل من الشمال والشمال الشرقى ، كما شقت طريقها لتفتح ثغرة فى الخطوط الدفاعية للمدينة من ناحية الشرق . واجتازت بعض القوات برلين من ناحية الشمال ، منجهة الى بوتسدام ونهر الألب . وزحفت قوات الجبهة الأوكرانية الاولى على برلين فى غضون ذلك من ناحيتى الجنوب والجنوب الغربى . ووصلت هذه القوات فى العشرين من أبريل الى الخط الدائرى الاول من خطوط الدفاع . وسرعان ما وقع هجوم عنيف يهدف الى تطويق قوة ألمانية كانت تحارب فى الجنوب الغربى من برلين ، والى التحرك باتجاه الغرب الى نهر الألب . وكان على جيش الجبهة الأوكرانية الاولى بالإضافة الى ذلك أن يصد هجوما شنه الجيش الألماني الثانى عشر الذى كان يحاول فتح الطريق أمام القوات الأمريكية .

وأتمت القوات السوفياتية فى الخامس والعشرين من أبريل تطويق العدو فى برلين . وتم تطويق ثلاث عشرة فرقة للعدو الى الجنوب الشرقى من العاصمة الألمانية . وعبرت طلائع الجبهة الأوكرانية الاولى فى نفس اليوم نهر الألب عند تورجاو ، حيث تم اللقاء بين القوات السوفياتية والأمريكية . وجرى الاتصال بعد بضعة أيام بين القوات السوفياتية والبريطانية على نهر الألب عند شفيرين وروستوك ، وهكذا جزئت القوات الألمانية المسلحة الى عدة أجزاء منفصلة ، عن بعضها . واضطرت القيادتان : الأمريكية والبريطانية الى وقف تقدمهما باتجاه برلين .

ولقد نفذت الخطة التى وضعتها القيادة السوفياتية العليا لتطويق قوات العدو فى برلين تنفيذا رائعا . وكان التقدم السوفياتى التساق الى العاصمة الألمانية منسجما مع الفرارات التى اتخذها مؤتمر القرم ، كما قلب خطط القيادة الفاشية الألمانية رأسا على عقب . وهكذا مثل تطويق برلين ، أمرا فى منتهى الأهمية لاعلى الصعيد العسكرى وحده ، بل وعلى الصعيد الدولى أيضا ، فقد أحبط المخططات المعادية للشعوب التى كان القادة البريطانيون والأمريكيون قد رسموها .

وكانت الحكومتان : البريطانية والأمريكية تجريان فى غضون ذلك مباحثات سرية مع القادة النازيين عبر طرق شتى . وكانت إحدى هذه الطرق ، المهمة التى عهد بها الى برنادوت عندما قام بزيارة مقر قيادة ايزنهاور فى فرساي فى الثانى من نوفمبر من عام ١٩٤٤ . ومضى برنادوت بعد أن تلقى التعليمات الواضحة من ايزنهاور الى برلين حيث قابل ريبنتروب وكالتنبرونر وغيرهما فى السادس عشر من فبراير من عام

١٩٤٥ • وتحدث برنادوت فى التاسع عشر من فبراير الى هملىر • ودام الحديث بينهما ساعتين ونصف الساعة • وراح هملىر يستغل المشاعر المعادية للسوفييات لدى القيادات البريطانية والامريكية ويعزف على نغمة الحاجة الى الدفاع عن أوروبا التى لابد من سقوطها فى أيدي البلاشفة « اذا انهارت الجبهة الشرقية » • وعاد برنادوت الى الاجتماع بهملىر فى النانى من أبريل وراح يستحثه على ضرورة السرعة فى التخلص من هتلر •

واجتمع برنادوت وهملىر للمرة الأخيرة فى الساعات المبكرة من صباح الرابع والعشرين من ابريل من عام ١٩٤٥ فى مدينة لوبيك • وكان ثمة ضوء خافت ينبعث من شمعتين صغيرتين فى مكان الاجتماع ، اذ كان الظلام قد خيم على العهد الفاشى • وقال هملىر لبرنادوت : أن « من المحتمل أن يكون هتلر قد مات • واذا لم يكن قد مات فعلا ، فان موته متوقع فى الايام القليلة القادمة • وأنا أعترف بأن ألمانيا قد قهرت • وفى وسعى فى مثل هذه الظروف أن أعتبر نفسى مطلق الحرية • وأنا على استعداد للحفاظ على أكثر ما يمكن من ألمانيا بعيدا عن متناول الغزو الروسى ، وأن آمر بالتسليم فى الجبهة الغربية لأعطى قوات الدولتين الغربيتين الفرصة للتقدم شرقا بأقصى سرعة ممكنة ، ولكننى أرفض التسليم فى الجبهة الشرقية رفضا باتا • » (١) وقدم برنادوت اقتراحات هملىر الى حكومتى الولايات المتحدة وبريطانيا عن طريق الحكومة السويدية •

وتشاور ترومان ومارشال وليهى وغيرهم من قادة الولايات المتحدة السياسيين والعسكريين مع تشرشل عن طريق الهاتف فى الخامس والعشرين من أبريل بصدد اقتراحات هملىر • (٢) ولكن هملىر كان رجلا كريها الى الحد الذى لا يمكن عقد أية صفقة معه • وراحت الحكومتان البريطانية والامريكية تبلغان الحكومة السوفياتية فى نفس اليوم ، اقتراحانه • واعترفنا بان « رفض هملىر اصدار الامر بالتسليم فى الجبهة الشرقية يعنى فعلا القيام بآخر محاولة لبذر الخلاف بين الحليفتين الغربيتين وروسيا » (٣) •

ورد رئيس الحكومة السوفياتية قائلا • • « أعتبر أن ردكم على

(١) برنادوت فى كتابه « النهاية » - لوزان ١٩٤٥ • ص ١٠٣

(٢) ليهى فى كتابه « كنت هناك » • ص ٣٥٤

(٣) مراسلات الحكومة السوفياتية - المجلد الاول - ص ٣٣٤

هملر . بالمطالبة بالاستسلام دون قيد أو شرط فى جميع الجبهات بما فيها الجبهة السوفياتية هو الرد الصحيح » (١) .

وأذاعت وكالة رويتر للأنباء فى الثامن والعشرين من أبريل من عام ١٩٤٥ بيانا رسميا عن اقتراحات هملر (٢) . وعندما سمع هتلر بسلوك مساعده الذى كان يثق فيه ، استشاط غضبا ، وأمر بطرد هملر من الحزب النازى .

وأبرق هرمان جورنج فى الثالث والعشرين من أبريل ، وكان فى جنوب ألمانيا آنذاك ، عن طريق الراديو الى هتلر ، يبلغه اعتزامه ، اعلان نفسه رئيسا للدولة الألمانية ، طالما أن حكومة هتلر فى برلين المحاصرة لم تعد قادرة على ممارسة الحكم بصورة صحيحة . وحذا جورنج حذو هملر ، فعمل على الاتصال بايزنهاور ، والوصول معه الى اتفاق حول وقف اطلاق النار فى الغرب . وأصدر أمره الى كارل كولر رئيس هيئة أركان حرب السلاح الجوى بأن يضع نص بلاغ حازم يعتزم توجيهه الى الشعب الألمانى والقوات المسلحة وروى كولر ، أن جورنج ، قال له : « على الروس أن يظنوا بعد قراءة هذا البلاغ ، أننا سنواصل القتال ضد الشرق والغرب على السواء ، ولكن يجب أن يفهم الأمريكان والانجليز ، أننا لا نعتزم مواصلة القتال فى الغرب ، وأننا نريد الاستمرار فى الحرب ضد السوفيات . ويجب أن يفهم جنودنا أن الحرب ستستمر ، وان وقعوا تحت الانطباع بأنها باتت وشيكة على الانتهاء ، وبصورة أكثر موثاقه لنا ، مما كانت عليه فى أى وقت مضى » (٣) .

وعندما نقلت نوايا جورنج الى هتلر ، أمر بطرده من الحزب النازى ، كما أصدر أمرا باعتقاله ، واعتقال كولر ، وآخرين معه .

وكان القتال الشاق العنيف لا يزال دائرا فى برلين فى غضون ذلك . وأحالت قوة ألمانية تقدر بمائتى ألف جندى ، ومعهم نحو من ثلاثة آلاف مدفع وقاذف للألغام ، ومائتان وخمسون دبابة ، وقعت كلها فى فخ برلين ، العاصمة الى منطقة محصنة . وكان هتلر يتولى القيادة الفعلية ، وان كان الجنرال ويدلينج ، قائد المدفعية ، هو القائد الرسمى ، وفرض النازيون حكما ارهابيا على الجنود وعلى سكان برلين لحملهم على

(١) مراسلات الحكومة السوفياتة - المجلد الاول . ص ٣٣٥

(٢) عدد التايمز اللندنية فى الثانى من مايو ١٩٤٥

(٣) كارل كولر فى كتابه « اللحظات الاخيرة » ماهايم - ١٩٤٩ . ص ٣٩ - ٤٠

مقاومة القوات السوفياتية حتى اللحظة الأخيرة • وارتفعت في الرابع والعشرين من أبريل الاعلانات في كل مكان من برلين ، تحمل أوامر هتلر ، باعتبار كل من يعمل على اضعاف المقاومة ، أو يسكت عمن يحاولون اضعافها ، خائفا ، يقتل أن يشنق فورا • وذكرت الاعلانات أن نفس المصير ينتظر أيضا ، كل من يزعم أن عمليات اضعاف المقاومة تجرى بأمر من حاكم برلين ووزير الرايخ جوبلز أو من الفوهرر نفسه •

وكان العالم يتابع أنباء معركة برلين بأنفاس لاهتة متقطعة وكتبت صحيفة النيويورك تايمز تقول • • « لقد عاد اللهب الذي أشعلته برلين ، الى المدينة التي أشعلنه ليحرقها ، وها ان الحريق الذي انتشر في أكثر من ألفي ميل من أراضى أوروبا ، لم ينتقل منها الى العالم كله ، يجتاح الآن العاصمة التي أوقدته • وها ان البقية الباقية من تلك الجيوش المتعطسة ، التي خرجت من برلين ، لتدوس بأقدامها بلاداعدة ، تعمل فيها القتل والنهب والسلب ، تدفن الآن تحت أنقاض تلك العاصمة التي قضى عليها بالدمار » (١) •

ووصل القتال في السابع والعشرين من أبريل الى قلب العاصمة الألمانية • وتم حصر العدو في منطقة ضيقة من الارض لا يزيد طولها الممتد من الشرق الى الغرب على « الخمسة عشر كيلو متراً » ، ولا يربو عرضها الممتد من الشمال الى الجنوب على « الخمسة كيلومترات » • وأمر هتلر باغراق شبكة المواصلات تحت الارض في برلين بالماء ، دون أن يكثر بالالوف من النسوة والاطفال والجرحى من الجنود والضباط ، الذين آووا الى أنفاق هذه الشبكة • وفي الثامن والعشرين من أبريل كانت القوات السوفياتية قد احتلت بوتسدام ، وجزأت المدينة الى ثلاثة جيوب منفصلة تفتقر الى القيادة الموحدة •

وهاجمت القوات السوفياتية بعد ظهر الثلاثين من أبريل ، مبنى الرايخستاج (البرلمان) واستولت عليه • ورفع جنديان سوفياتيان هما ييجوروف وكانتاريا ، علم النصر فوق المبنى ، وأدرك هتلر آنذاك أن مصيره بات محتوما ، وأن الساعة قد حانت ليدفع ثمن جميع الجرائم الرهيبة التي ارتكبها • وسمعت طلقة في المقر الذي كان فيه تحت الارض في الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر ذلك اليوم • ووجد المرافقون العسكريون الذين هرعوا الى المكان بعد سماع الطلقة ، الفوهرر ، وقد

(١) عدد النيويورك تايمز في ٢٣ ابريل من عام ١٩٤٥

-فارق الحياة ، وحمل الضباط بأمر من بورمان جثة هتلر الى حديقة دار-
المستشارية ، حيث صب سائفه ومرافقه الخاص ، الجازولين عليها ،
وأشعلوا فيها النيران . وكتب تشرشل يقول : « ووضعت محرقة جثمان
هتلر ، ودوى المدافع الروسية الذى تزايد هديره بين ساعة وأخرى ، نهاية
مكفهرة للرايح النالت » (١) . وقتل جوبلز زوجته وأطفاله ، ثم
انتحر .

ورحبت لندن وواشنطن بالجبن الذى انهى به هتلر حياته ، ليخلص
من العفوية على الجرائم التى ارتكبها ، فقد كانت العاصمتان الغربيتان ،
تخسنيان ما ستفضحه محاكمة هتلر من أسرار . وكتب تشرشل بمنتهى
الصراحة يقول : « وكان السبيل الذى اتبعه هتلر ، أكثر ارضاء لنا من
السبيل الآخر الذى كنا نخشاه . . . ولست أسك فى أنه كان سيلقى نفس
المصير الذى لقيه مجرمو الحرب فى نورمبرج » (٢) .

وكانت المحادثات السرية التى أجراها الانجليز والامريكيون مع
هملر وغيره من قادة الفاشية الالمانية قد قررت مسبقا من سيكون خليفة
هتلر . ووقع الاختيار على الاميرال الاكبر دونيتز الذى تولى قيادة الأسطول
النازى بعد الاميرال ريدير . وخيل للكثيرين ان دونيتز هو خير من يصلح
فى تلك الظروف لانقاذ ما تبقى من العهد الفاشى . وتلقى مقر قيادة
دونيتز فى مدينة بلون فى مقاطعة شلزويج - هو لشتاين ، برقية من
المستشارية فى الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والثلاثين من بعد
ظهر الثلاثين من أبريل ، وقد وقع عليها بورمان ، جاء فيها مايلى : « يعينك
الفوهرر أيها الاميرال الاكبر ، خليفة له ، بدلا من ماريشال الرايخ
السابق جورنج . وسيصلك الأمر الخطى ، الذى مضى فى طريقه اليك .
وعليك أن تتخذ على الفور ، الاجراءات الكفيلة بمواجهة الوضع » (٣) .
وهكذا تم خلق مظهر الشرعية ، للحكومة الفاشية الجديدة ، عن طريق
تحويلها السلطة باسم هتلر ، الذى كان فى تلك الآونة فى عداد الاموات .
ولم يكن دونيتز قد عرف شيئا بعد عن موت هتلر فأرق يقول : « مازلت
على ولائى الذى لا يتزعزع لك يا زعيمى . وسأعمل كل ما فى وسعى ،
لرفع ما تحس به من ضيق ، ونجدتك فى برلين . أما اذا شاء القدر أن

(١) تشرشل - نفس المصدر . المجلد السادس - ص ٤٦٤

(٢) نفس المصدر المجلد السادس ص ٤٦٥

(٣) اش . آر . تريغور ريبورت فى كتابه « أيام هتلر الاخيرة » - نيويورك ١٩٤٧ .

يرغمنى على تولى زعامة الرايخ الالمانى خلفا لك . فساواصل هذه الحرب الى نهاية تتناسب مع الكفاح البطولى الفريد الذى خاضه الشعب الالمانى » (١) .

ووصلت الى بلون فى الساعة العاشرة والدقيقة الثالثة والخمسين من صباح الأول من مايو ، برقية أخرى من بورمان عن طريق الراديو ، تقول : « أصبحت وصية الفوهرر نافذة المفعول » . وأعلنت اذاعات شلزويج - هولشتاين أن هتلر قد انتحر فى الأول من مايو من عام ١٩٤٥ ، بعد أن عين الأميرال دونيتز خليفة له . وأعلن دونيتز نفسه زعيما للرايخ الالمانى ، وقائدا أعلى للقوات الالمانية المسلحة . ثم راح يشكل حكومته من النازيين من أمثاله .

وحاولت الدوائر البريطانية والامريكية الحاكمة ، بكل ما أوتيت من قوة أن تجعل حكومة دونيتز ، مصدر السلطة فى ألمانيا كلها . واستقر دونيتز وبطانته فى بلدة فليينزبرج الصغيرة الواقعة على حدود الدانيمارك . وتوصل مع مونتهجوميرى ، القائد البريطانى الى اتفاق ، يقضى بعدم احتلال منطقة فليينزبرج ، وأن يعهد الى « يودل والفائد البريطانى فى المنطقة بوضع خطوط الحدود فيها » . وأعلن مرافق دونيتز السابق أن مقر الحكومة والقيادة العليا ، ظل سليما وفى مأمن من التعرض لأية عمليات . وسمح لجميع الضباط الألمان ورجال فوج الحرس بأن يحملوا السلاح . وظل الوضع على هذا النحو دور أى تغيير أمدا ما بعد التوقيع على الاستسلام بلا قيد أو شرط فى التاسع من مايو (٢) .

واجتمع فى فليينزبرج نحو من خمسمائة من كبار القادة النازيين من أمثال دونيتز ويودل وهملر . وضمت الحكومة الألمانية الجديدة ، شفيرين فون كروزيج ، وزير مالية هتلر السابق ، وزيرا للخارجية ، ويودل رئيسا لهيئة أركان الحرب ، وسبير وزيرا للاقتصاد وباك وزيرا للزراعة ، وسيلدت وزيرا للعمل . وستوكارت وزيرا للتعليم . وكلهم وزيرا للعدل . ولم يخجل أى من هؤلاء ، من الحقيقة الواقعة ، وهى أن المنطقة التى يمارسون سلطتهم فيها لا تعدو حدود منطقة فليينزبرج . وكانوا يأملون فى توسيعها بمعرفة بريطانيا والولايات المتحدة .

(١) يواكم شولتز فى كتابه « الابطام الثلاثون الاخيرة » - شنواتجارت ١٩٥١ - ص ٥٩

- ٦٠ -

(٢) وولتر لودى - توارث فى كتابه « حكم دونيتز » جوتنغن - ١٩٥٠ ص ٧٥

وكان القادة النازيون الذين التفوا حول دونيتز يأملون في أن تنقذهم الحماية البريطانية من العقوبة على الجرائم التى لا عد لها ولا حصر والتى ارتكبوها .

وبذل دونيتز فصارى جهده لمساومة بريطانيا والولايات المتحدة ، وللحصول منهما على الاذن بمواصلة العمليات الحربية ضد الاتحاد السوفياتى . وذكر في خطاب القاه في جماعة من الضباط : « علينا أن نسير الى جانب الدولتين الغربيتين وأن نتعاون معهما في المناطق المحتلة في الغرب ، اذ أن هذا التعاون يمثل لنا الأمل الوحيد في إمكان انقاذ بلادنا من الروس » (١) وحمل الخطاب الذى وجهه عن طريق الاذاعة الى الشعب الألمانى فى الأول من مايو من عام ١٩٤٩ ، نفس المعنى . وهكذا انسجمت سياسة دونيتز مع مخططات الامبرياليين البريطانيين والامريكيين .

وبدأت القوات الفاشية فى برلين نستسلم جماعة اثر أخرى ، عند حلول الظلام فى الأول من مايو . واستسلمت وزارة الدفاع فى برلين فى اليوم التالى . واستسلمت الجيوش النازية فى برلين كلها فى الساعة الثالثة من بعد الظهر الثانى من مايو . وهكذا أكمل الجيش السوفياتى اباداة القوات الألمانية المسلحة فى برلين ، وأصبح مسيطرا تمام السيطرة على العاصمة الألمانية كلها وهى قلب الامبريالية الألمانية، ومركز العدوان الألمانى . ولا شك فى أن احتلال برلين مثل نصرا بطوليا للجيش السوفياتى والشعب السوفياتى .

وعنى سقوط برلين نهاية الحرب التى بدأتها الامبريالية الألمانية. وكان سقوطها ، عقابا استحققه المعتدون النازيون ، وانذارا صارما لجميع أولئك الذين يحلمون بالسيطرة على العالم والذى يتعبدون فى هيكल الحرب العالمية الجديدة .

- ٣ -

فى الوقت الذى كان فيه الجيش السوفياتى يطبق فى شهر ابريل ومستهل مايو من عام ١٩٤٥ . على ما تبقى من القوات الألمانية المسلحة تمهيدا لتوجيه الضربة القاضية ، عمت موجة عارمة من الثورات

(١) عدد النايمر فى ١٧ أغسطس من عام ١٩٤٨

الشعبية المسلحة جميع أرجاء أوروبا ضد قوات الاحتلال الألمانية .
ففى الثانى عشر من شهر مارس من عام ١٩٤٥ ، وجه الحزب الشيوعى الايطالى نداء الى الشعب ناشده فيه القيام بالثورة المسلحة ضد الألمان وقال : « وهذه الثورة التى تمثل المعركة الحاسمة لابد أن تعبىء جميع الشعب حول الطبقة العاملة التى تمثل الطليعة الشريفة والشجاعة للأمة ، والتى تملؤها الثقة والبسالة والحيوية » (١) وأقرت اللجنة المركزية للحزب فى العاشر من ابريل من عام ١٩٤٥ ، الأمر التاريخى الموجه للثورة وقد نص على ما يلى : « لقد حان الوقت الآن لا لتشديد حرب الانصار ونوسيعها فقط بل وللشروع فى ثورة حقيقية » (٢) وشن الأنصار فى اليوم التالى هجوما عاما على الغزاة الألمان وأجبروا حامىة المانية قوية فى بورتوجوتارو على الاستسلام ، كما استولوا على كميات ضخمة من السلاح . وقطعوا فى الثالث عشر من ابريل ، خطوط المواصلات الرئيسية التى كانت القوات الفاشية تستخدمها فى انسحابها شمالا .

وصدرت الاشارة ببدء الثورة المسلحة فى صورة أعمال عسكرية وقعت فى ثلاثة من أهم مراكز تجمع الطبقة العاملة وهى جنوة وميلان وتورين . واضطر أكثر من ثلاثين ألف جندي ألماني الى الاستسلام فى حنوه وحدها .

وكانت هناك صورة مماثلة فى ميلان . فقد سحق عمال المدينة حامىة فاشية كبيرة . وحاول موسوليني الذى كان يقيم فى المنطقة ، عبور الحدود الى سويسرا متنكرا فى زى جندي ألماني ، ولكن الأنصار ألقوا القبض عليه فى السابع والعشرين من ابريل . وسط مجموعة من الفاشيين الهاربين . ونفذ حكم الاعدام فى موسوليني وعدد من زعماء الفاشية بقرار من فيلق مطوعى الحرية ، ولجنة ميلان للتحرر الوطنى . واستقبل الرجعيون فى كل مكان فى العالم ، أنباء اعدام موسوليني بكثير من الأسى . ولم يتمكن تشرشل من مقاومة حوافزه لاطراء الديكتاتور الفاشى الايطالى فى مذكراته ، وقال معزيا نفسه : « وعلى أى حال ، فقد نجا العالم من محاكمات لمجرمى الحرب الايطاليين كمحاكمات نورمبرج » (٣) وأعرب البابا بيوس الثانى عشر عن تعازيه لأسرة

(١) « ثلاثون سنة من نضال الحزب الشيوعى الايطالى » - ص ٢٠٠

(٢) روبرنو ناباجليا - نفس المصدر - ص ٥٤٢ - ٥٤٣

(٣) سترشل - نفس المصدر - المجلد السادس - ص ٤٦١ .

موسولينى ، وخصص لأفرادها معونات مالية . (١) وقامت حكومة
دى جاسبرى المشايعة للأمريكيين بتخصيص مرتب شهري لورثة
موسولينى .

ولقيت ثورة العمال الإيطاليين فى تورين مقاومة نازية عنيفة ،
ومع ذلك فقد تم تحرير المدينة نهائيا فى الثلاثين من ابريل .

وهكذا تم تحرير مدينة أتر أخرى فى شمال إيطاليا . وانقذ
الأنصار الإيطاليون المراكز الصناعية والمبانى ووسائل النقل من التدمير
على أيدي الألمان المنسحبين . وتسلمت لجنة التحرير الوطنى زمام
السلطة تنفيذا لارادة الشعب .

ولم يحل الثانى من مايو حتى كانت إيطاليا كلها قد تحررت .
وراحت البقية الباقية من القوات الألمانية تنشد الملجأ الأمين فى حماية
الجيوش البريطانية والأمريكية . وشهد الماريشال كيسلرينج ،
ان القيادة الألمانية كانت تجرى مفاوضات مع القيادة الانجلو - أمريكية
فى هذا الشأن منذ عام ١٩٤٤ ، وعن طريق الكنيسة الكاثوليكية
وسوسرا (٢) .

واشترك نحو من ٢٥٦ ألف إيطالى من الأنصار ضمتهم ١٠٩٠
لواء ، فى الحرب ضد الألمان . وأطلق على ٥٧٥ من هذه الألوية ، اسم
الوية جاريبالدى التى نظمها الشيوعيون وتولوا قيادتها . وكان نحو
من ٢١٠ آلاف من مجموع ٣٥٠ ألفا اشتركوا فى الكفاح التحررى
طيلة سنوات الحرب ، أعضاء فى الحزب الشيوعى . وكان عدد قتلاهم
فى النضال ٤٢٥٥٨ من مجموع ٧٠٩٣٠ خسرهم الأنصار الإيطاليون (٣)
ويقول لويجى لونجو : ان « حركة المقاومة الشعبية وحرب التحرير
الوطنى مدينتان الى حد كبير فى اتساع نطاقهما وعمقهما ونجاحهما ،
الى أعمال الحزب الشيوعى وسياسته . وإلى قواعد هذا الحزب
وجماهيره الشعبية » (٤) . وكسب الشيوعيون الإيطاليون حب الشعب
الإيطالى وبقته ، بما أبدوه من نضال صادق ضد الغزاة الألمان .

(١) المرافدا عدد ٢٩ سبتمبر ١٩٤٦

(٢) ميزان الحرب الثانية ص ٣٨

(٣) « من أجل سلام دائم وديمقراطية سعيه » عدد ٦ مايو ١٩٥٥

(٤) « ثلاثون سنة من نضال الحزب الشيوعى الإيطالى » - المجلد الثانى ١٩٥٤ . ص ١٧٣

وزاد نفوذ الأحزاب الشيوعية التي لعبت الدور البارز في حركات التحرر الديمقراطية ، في معظم بلاد أوروبا الغربية . ولكن تدخل الولايات المتحدة وبريطانيا هو الذي حال بين شعوب فرنسا وإيطاليا وبلجيكا وبين اعطاء هذه الأحزاب الدور القيادي الذي تستحقه في حكم هذه البلاد .

وينهى روبرتو باتاجليا مؤرخ حركة الطبقة العاملة الإيطالية كتابه الذي خصصه للحديث عن حركة المقاومة الإيطالية بالعبارة التالية : « مهما كانت النكسات التي يخبرها المستقبل لإيطاليا ، فليس ثمة من شك في أن طريق المستقبل ، يمر عبر حركة المقاومة ، إذ أن القوى الشعبية أقامت جذورها العميقة في البلاد . . . وليس في إمكان أية محاولة للسيطرة ، أجنبية كانت أم محلية ، أن تسرق في المستقبل من الشعب الإيطالي ، وطنه الذي أنقذه بالرغم من جميع المتاعب التي واجهها . » (١)

وهاجم عمال تريستا الحامية الألمانية في الثامن والعشرين من ابريل وأتموا تطهير المدينة في غضون يومين . وقدم لهم جيش تحرير الشعب اليوجوسلافي الذي كان يقترب من المدينة من جنوبها الشرقي مساعدة كبيرة . ولكن تريستا كانت تمثل مركزا استراتيجيا في منتهى الأهمية للامبرياليين الامريكان والبريطانيين ، ولذا فقد اندفعت اليها الدبابات البريطانية في الثاني من مايو . وأغارت الطائرات الامريكية على احياء العمال في المدينة . وأوصى تشرشل ، قائده الماربشال اليكزاندر ، رغبة منه في تشديد قبضته على المنطقة ، بأن « يحشد قوات كبيرة في المنطقة ، يعززها تفوق ضخم في الاسلحة الحديثة ، وعرض مستمر للعضلات عن طريق السلاح الجوي البريطاني » . (٢) وأراد تشرشل أيضا أن تكون هناك قوة بحرية كافية على مقربة من المنطقة . وأعاد اليكزاندر تطبيق قوانين موسولينى الفاشية في تريستا ، وأقام دكتاتورية عسكرية أنجلو - أمريكية - فيها .

وقامت ثورات عديدة في ألمانيا نفسها . ولعل من أبرزها ، تلك الثورة البطولية التي قام بها أسرى معتقل بوخنفيلد في الحادي

(١) روبرتو باتاجليا - نفس المصدر - ص ٥٧٥

(٢) تشرشل - نفس المصدر - المجلد السادس ص ٤٨٢ - ٤٨٣

عشر من أبريل . وتولى الأسرى الروس قيادة العملية التى انتهت
بنجاح كامل (١) .

- ٤ -

أجهدت القيادة البريطانية والأمريكية نفسها ، رغبة منها فى
متابعة مخططاتها المعادية للشعوب والاتحاد السوفياتى ، فى انقاذ أكثر
ما يمكن من التشكيلات الألمانية العسكرية الصالحة للحرب ، وتجنبها
خطر التدمير على ايدى الجيش السوفياتى وآوت هذه القيادة تلك
التشكيلات فى مناطق احتلالها فى ألمانيا ، هادفة من ذلك الى إعادة
تشكيل القوات الألمانية المسلحة فى النهاية .

وأسرعت القوات الألمانية التى كانت تحتشد الى الشمال الغربى
من برلين ، السير متراجعة الى مقاطعة شلروبج - هولستان .
وانطلقت قيادتها الى يرأسها المارشال بوش الى فليينزبورج . وظل
جيش ألمانى كبير يقوده المارشال شويرنر ، صامدا أمام الجيش
السوفياتى على الجناح الآخر من الجبهة السوفياتية - الألمانية . داخل
تشيكوسلوفاكيا ، وعلى مقربة منها . واستغل الألمان طبيعة الأرض
الجغرافية هناك لاقامة جبهة أمام الجيش السوفياتى . مع التفاوض
على الاستسلام فى الوقت نفسه مع مقر قيادة ايزنهاور . وأوفد
الجنرال فون ناتزمر رئيس هيئة أركان حرب مجموعة جيوش الوسط ،
لهذه الغاية الى فليينزبورج . ولاقت هذه الحركة هوى فى نفس الأميرال
دونيتز اذ انسجمت مع مخططاته وتعليماته . فقد ذكر فى الامر الذى
وجهه الى الجيش فى الأول من مايو مانعه : « تسلمت زمام القيادة
العليا لجميع وحدات القوات الألمانية المسلحة ، مستهدفا مواصلة
القتال ضد البلاشفة . . . وسيستحتم على أن أحارب البريطانيين
والأمريكيين ، اذا حاولوا منعى من مواصلة الحرب ضد البلاشفة » (٢) .

وقررت حكومة دونيتز فى الثانى من مايو ، الاسراع فى استسلام
القوات الألمانية للولايات المتحدة وبريطانيا ، ومواصلة العمليات
العسكرية ضد الجيش السوفياتى . وكان من المتوقع أن تتم عمليات
التسليم سرا ودون علم القيادة السوفياتية . (٣) ووصل مبعوثو

(١) وثائق الحكومة السوفياتية رقم ٤ لعام ١٩٩٧ . ص ٩٦

(٢) بواكم سولز - نفس المصدر - ص ٦٢ - ٦٣

(٣) لودى - نوزاب . نفس المصدر . ص ٥٧

المارشال فون بوش فى اليوم التالى الى مقر قيادة مونتهجومرى على مقربة من لونيبيرج الواقعة الى الجنوب من همبورج ، وكانوا « برئاسة » الأيرال هانز فون فرايدبورج . وعارض مونتهجوميرى فى بداية الأمر العمل سرا ، دون معرفة الجيش السوفياتى ، الذى كان من المتوقع أن يكون هو الذى يتولى عملية استسلام جيش بوش . ولكن مونتهجوميرى ، مالبث أن وافق ، وأعلن قبوله استسلام جميع الوحدات والتشكيلات العسكرية الألمانية التى تؤثر الوقوع فى أسر البريطانيين على التسليم للقوات السوفياتية . (١)

ونقل فرايدبورج نتيجة محادثاته مع مونتهجوميرى الى مؤتمر عقد فى فليينزبورج فى الرابع من مايو وشهده دونيتر وشفيرين فون كروزيج وكايتل ويودل وخول المجتمعون الأيرال بأن يوقع وبيعة التسليم ، ولذا عاد الى مقر قيادة مونتهجوميرى . حيث تم التوقيع على الوثيقة ، وأصبحت سارية المفعول بالنسبة الى تسليم قوات بوش فى الساعة الثامنة من صباح الخامس من شهر مايو . وأحس دونيتر بالارتياح ، فراح يصدر بموافقة بطانته أمرا جديدا الى القوات المسلحة الألمانية فى نفس اليوم ، يقول فيه : « اننا نضع سلاحنا فى شمال غرب ألمانيا والدنيمارك وهولنده . لأن الحرب ضد الدولتين الغربيتين فقدت كل مدلول لها . أما فى الشرق ، فستظل المعركة مستعرة على أى حال » (٢)

وصدرت الأوامر من فليينزبورج الى فرايدبورج ، بأن يمضى الى ريمز بعد محادثاته مع مونتهجوميرى ، وأن يتفاوض مع مقر قيادة ايزنهاور فى موضوع استسلام مجموعة الجيوش الألمانية فى الجنوب ، للجيش الأمريكى . وأراد دونيتر تمهيد الجو لهذه الصفقة الجديدة ، فأصدر أوامره بوقف حرب الغواصات ضد الدول الغربية فورا ، وبمنع الحركات الفاشية السرية من العمل ضد الولايات المتحدة وبريطانيا فى المناطق التى تحتلونها . (٣)

واسنقبل الجنرال بيدل سميث ، الوفد الألماني فرايدبورج فى مقر قيادة ايزنهاور . وراحت القيادة الأمريكية التى يمثلها الجنرال

(١) لودى - نورات - نفس المصدر ص ٦٢ - ٦٣

(٢) نفس المصدر ص ١٣٧

(٣) نفس المصدر ص ٦٦

باتون ، تضم فى ذلك اليوم تحت جناحها الاكاديمية العسكرية الألمانية-
بعد أن تم نقلها من برلين (١) .

ورفضت الحكومة الامريكية خوفا من لوم الرأى العام ، أن توقع.
على أى اتفاق مكتوب مع أية تشكيلات ألمانية متفرقة تطلب التسليم ،
وأصرت على أن يكون الاستسلام عاما ، ودون قيد أو شرط . وكان هذا
الموضوع محل مناقشات مستمرة فى البيت الابيض بين الرئيس ترومان
ومستشاريه . وتغلبت على المجنمين وجهة نظر تشرشل التى تقول : ان
استسلام ألمانيا بوجه عام الى القوات البريطانية والامريكية ، سيزيد من
مكانة الدولتين الغربيتين ، ويفل من مكانة الجيش السوفياتى (٢) .

وعارض دونيتز فكرة التسليم العام ، وأوفد الجنرال يودل ، الى
ريمز ، لمساعدة فرايد بورج . وسرعان ما نشبت مشادة عنيفة ، ولكن
دونيتز تبين أخيرا ، أن التوقيع على اتفاق للتسليم العام فى ريمز ،
سيحفظ الجيش الفاشى الالماني ، ويدعم بالتالى موقف حكومته . وتلقى
يودل فى الساعة الواحدة والنصف من صباح السابع من مايو تعليمات
دونيتز بالتوقيع على اتفاق التسليم وسرعان ما أصدرت حكومة دونيتز
أمرا عن طريق الاذاعة الى جميع قادة الجيش الالماني هذا نصه : « على
جميع القوات فى الجبهات المواجهة لاعدائنا فى الشرق أن تنسحب فورا
باتجاه الغرب . وعلى هذه القوات أن تشق طريقها بالقوة اذا نطلب الامر
محاربة السوفيات » (٢) .

وتم التوقيع فى ريمز على اتفاق التسليم ، ووقعه كل من بيدل
سميث ويودل . ونص الاتفاق على أن « حكومة دونيتز خولت الجنرال
يودل ، القائد العام للقوات الالمانية المسلحة ، تسليم جميع القسوات
الالمانية للقوات الامريكية والبريطانية ، والقوات السوفياتية من الناحية
الآخري وفى وقت واحد » . وكان القصد من اتفاق ريمز ، اصفاء صفة
الشرعية على حكومة دونيتز ، والابقاء على حكم العصابة الفاشية فى ألمانيا .
وكان القصد منه أيضا ، التقليل من أهمية الدور الذى منله الاتحاد
السوفياتى فى هزم المانيا . وحقق الاتفاق للحكومتين البريطانية
والامريكية أهدافهما المعادية للسوفيات . وتميز مستهل شهر مايو من
عام ١٩٤٥ ، باتجاهات متزايدة ضد السوفيات فى بريطانيا والولايات

(١) البوتايمز - موسكو - عدد ٢٩ لسنة ١٩٥٠

(٢) ليهى فى كتابه « كنت هناك » ص ٣٥٧

(٣) شولز - نفس المصدر - ص ٨٧

المتحدة • وظهرت هذه الاتجاهات بوضوح فيما كتبه تشرشل وعمله • فقد كتب في يومياته يقول : « لاشك في أن الخطر السوفيياتي ، حل في نظري محل العدو النازي » (١) وراح يبرق الى مونتجومري بأن يتم تجميع الاسلحة الالمانية وتخزينها بحيث يكون من السهل اعادة توزيعها على الجنود الالمان » (٢) وأبرق تشرشل الى ايزنهاور مشيرا الى الاسلحة الالمانية ، فقال : « انها قد تكون نافعة حتى في هذه اللحظة في فرنسا ولا سيما في ايطاليا » • (٣) ولعل ما يفهمه الانسان من هذا القول هو أن حكام بريطانيا والولايات المتحدة كانوا يخططون لاستخدام الاسلحة والقوات الالمانية ضد الحركات الشعبية في فرنسا وايطاليا •

ورفضت الحكومة السوفياتية الاعتراف بالصفقة التي تم النوقيع عليها في ريمز ، لا سيما وانها مثلت انحرافا ضخما عن مبدأ الاستسلام بلا قيد أو شرط الذي أقره مؤتمر الدار البيضاء • وأصرت الحكومة السوفياتية على وجوب التوقيع على اتفاق رسمي للاستسلام بلا قيد أو شرط ، في برلين المفهورة • واضطرت بريطانيا والولايات المتحدة بعد أن أحبط الانحداد السوفيياتي خطتهما الى الموافقة •

وتم النوقيع في برلين في الساعات المبكرة من صباح التاسع من مايو عام ١٩٤٥ ، على اتفاق الاستسلام بلا قيد أو شرط • واستهل الاتفاق بالعبارات التالية : « نحن الموقعين أدناه ، نوافق باسم القيادة العليا الالمانية على الاستسلام بلا قيد أو شرط ، بالنسبة الى جميع القوات المسلحة في البر والبحر والجو ، والى جميع القوات الموجودة الآن تحت امرة القيادة الالمانية الى القيادة العليا للجيش الاحمر ، والى قوات حملة الحلفاء المشتركة في الوقت نفسه » •

وكان هذا الاتفاق النهاية الرسمية للحرب في أوروبا • ولقد حقق الانحداد السوفيياتي نصرا تاريخيا على ألمانيا الهتلرية والدول التابعة لها وحرر الجيش السوفيياتي بسحقة للجيش الالمانى ، الامة الالمانية في النير الهتلري •

وكانت معاملة الاتحاد السوفيياتي للالمان ولا سيما من سكان برلين منسجمة مع رسالة التحرير التي أخذها على عاتقه • فقد وصل انسطاس ميكويان

(١) تشرشل نفس المصدر - المجلد السادس - ص ٤٩٥

(٢) الديلى هيرالد - عدد ٢٤ نوفمبر ١٩٥٤

(٣) تشرشل - نفس المصدر - المجلد السادس ص ٤٩٩

بأمر من الحكومة السوفياتية الى ألمانيا ، ليساعد أهلها ، بالمواد الغذائية وغيرها . وخصصت الحكومة السوفياتية ستة ملايين كيس من الدقيق والحنطة ، وكميات كبيرة من المواد الأخرى التى أخرجت من مستودعات الجيش لهذه الغاية . ولم تحل نهاية شهر مايو ، حتى كانت القيادة السوفياتية قد أصدرت بطاقات التموين لثلاثة ملايين من الناس الذين يعيشون فى برلين ، وزودتهم بالغذاء ، والمواد الطبية ، وأعادت الحياة فى المدينة الى أحوالها الطبيعية . ولم يحل أول شهر يونيو ، حتى كانت طرق المواصلات تحت الارض قد عادت الى العمل فى العاصمة ، كما استأنفت الحافلات الكهربائية أعمالها ، وتم اصلاح الجسور فى المدينة . وتم كذلك ، تزويد المدينة بالماء والغاز والكهرباء .

وكان السكان الالمان فى المناطق التى ظلت المنظمات الشيوعية السرية تعمل فيها ضد الدعايات الفاشية ، يرحبون بالقوات السوفياتية . وقد وقع هذا فى بلدة ايزليبين ، حيث كان السكان قد أخفوا علما كانوا قد تلقوه هدية من عمال منجم كريفوى روج . فعادوا الى اخراجه ، كما نصبوا تمثالا للينين تعبيرا عن ترحيبهم بالقوات السوفياتية .

ويقول شاهد عيان : « كانت هناك أمواج منلاحفة . من الاعلام الحمراء فى سوق البلدة . وكانت سلطة ديمقراطية جديدة تمثل جماعات العمال ، قد تولت شئون الحكم ، فى قاعة بلدية المدينة القديمة . وارتفع على دار البلدية علم عمال المناجم فى كريفوى روج . الذى كان المناضل أوتو برونزوفسكى ، قد حفظه وأخفاه عن الفاشيين بالرغم مما عاناه من تعذيبهم فى السجون . ووقف نمال لينين فى وسط ساحة المدينة ، وكان بعض الناس قد أخفوه طيلة العهد الفاشى والاحتلال الأمريكى . ولا شك فى أن وجود هذا التمثال دليل ظاهر وواضح ، على أن مشعل الدولية العمالية لم ينطفئ فى ألمانيا حتى فى أحلك ليالى الحكم الفاشى ، وأن الالمان لم ينكروا لشعارات ابرنست ثيلمان بل ظلوا أوفياء لها (١)

(١) نشرشل - نفس المصدر - المجلد السادس . ص ٤٤٢

استقبل مقر قيادة شويرنر نبأ التوقيع على الاستسلام فى برلين
بكثير من عدم التصديق والشك . وراح هذا يصدر بيانا لقى التأييد من
سياسة بريطانيا والولايات المتحدة اذ قال : « أذاعت محطات الاذاعة
المعادية ، أن الحكومة قد استسلمت بلا قيد أو شرط للاتحاد السوفياتى .
ولكن هذا النبأ لا يصدق على الاطلاق ، وانما مجرد دعاية معادية تهدف
الى تحطيم روح المقاومة لدى قواتنا . ولم توقف الحكومة الالمانية الحرب
الا ضد الدول الغربية » .

وقررت القيادتان العسكريتان : الامريكية والبريطانية ارسال
قواتهما الى تشيكوسلوفاكيا لاحتلال براغ ، وقبول استسلام شويرنر .
وكان تشرشل يلحف بوجه خاص على وجوب القيام بهذه الخطوة . وراح
يحث ترومان فى الثلاثين من ابريل على وجوب « الاستيلاء على براغ وعلى
أكبر جزء ممكن من غرب تشيكوسلوفاكيا » (١) وعاد فكرر الحافة فى
برقية بعث بها الى ايزنهاور فى السابع من مايو ، حاثا اياه على الزحف على
براغ (١) .

وتقدم الجيش الامريكى الثالث بقيادة الجنرال باتون فى مطلع
شهر مايو من عام ١٩٤٥ الى تشيكوسلوفاكيا ، وراح يحل اللجان
الوطنية فى المدن التى احتلها بما فيها مدينة بيلزين . وأقامت القيادة
الامريكية حكم احتلال بالتعاون مع التشيكوسلوفاكيين الذين كانوا قد
تعاونوا فى السابق مع الالمان . وقامت المدفعية الامريكية قبل احتلال
بيلزين بقصفها مما أدى الى انزال الدمار الكلى أو الجزئى ، بنلنى
مساكنها .

ووصل ضباط القيادة الامريكية فى السادس من مايو من عام ١٩٤٥
الى مصح فيلشوفكا حيث كان شويرنر قد أقام مقر قيادته ، وحصلوا على
موافقة شويرنر على اخماد الحركة الثورية فى تشيكوسلوفاكيا ، واطالة
مقاومته للجيش السوفياتى ، على أن يستسلم فى النهاية الى القيادة
الأمريكية (٢) .

وكان الوطنيون التشيكوسلوفاك ، جد متلهفين على تحرير عاصمتهم

(١) نفس المصدر - المجلد السادس - ص ٤٤٢ - ٤٤٣

(٢) ازفيسا عدد ١٦ يناير ١٩٥٣

وسد الطريق أمام الألمان المنسحجين ، فأعلنوا الثورة المسلحة على المحتلين الهتلريين فى الخامس من مايو من عام ١٩٤٥ • واشتبكت وحدات من الحرس الثورى ، وجماعات مناضلة من سكان براغ مع العدو ، وكان الشيوعيون فى الطليعة • وراحت قوات شويرنر تزحف على العاصمة التشيكية ، وعندما عجز الوطنيون فيها عن وقف زحف العدو ، راحوا يطلبون عن طريق الاذاعة ، المساعدة العاجلة •

وعندما بدأت القوات الألمانية الفاشية زحفها على براغ ، أوقفت القيادة الأمريكية تقدم قواتها باتجاه المدينة • وكان حكام أمريكا يريدون أن يقوم الهتلريون بآبادة الوطنيين فى براغ ، ليستطيعوا فرض اتفاقهم على القيادة الألمانية ، وقبول استسلامها فى العاصمة التشيكية •

ولكن الاتحاد السوفياتى سارع الى نجدة الوطنيين التشيك • وكانت مجموعة جيوش شويرنر التى تضم تسعمائة ألف جندى وضابط ، هى القوة الألمانية الفاشية الوحيدة القادرة فى مستهل شهر مايو من عام ١٩٤٥ ، على ابداء أية مقاومة • ولذا قررت القيادة السوفياتية العليا أن تشتبك معها قبل اكمال عملية برلين • وتنفيذا لهذا القرار ، فقد بعنت القيادة بقوات الجبهات الأوكرانية الأولى والثانية والرابعة للقيام بهجوم حاسم على جيش شويرنر • وكان الفيلق التشيكوسلوفاكى يؤلف جزءا من جيوش الجبهة الأوكرانية الرابعة • وحثت التطورات التى وقعت فى براغ الجيش السوفياتى على الاسراع فى العمل ، فبادر الى الهجوم فى السادس من مايو •

وتم اختراق خطوط الدفاع الألمانية فى السابع من مايو ، وتمكنت مدرعات الجبهة الأوكرانية الأولى من عبور جبال الحديد بسرعة خارقة ، والوصول الى براغ فى الساعة الرابعة من صباح اليوم التاسع من مايو •

وأحبط الهجوم السوفياتى السريع مخططات الألمان والأمريكيين • وواصلت القوات السوفياتية مطاردة العدو المنهزم باتجاه الغرب ، واتصلت بالقوات الأمريكية فى تشيكوسلوفاكيا فى العاشر والحادى عشر من شهر مايو • وأخذت قوات شويرنر تستسلم على طول الجبهة • وأسر الجيش السوفياتى أكثر من ثمانمائة ألف من الألمان فى عملية براغ • ولم تتمكن الجماعة صغيرة من جنود العدو من الهروب الى الغرب • واستسلم الماريشال شويرنر فى الثامن عشر من مايو الى الأمريكيين بعد أن فر الى مقر قيادتهم فى إحدى الطائرات •

وأنقذ الهجوم السوفييتي الخاطف مدينة براغ من الدمار ، واثريها من الموت الحتمي . وأكمل هذا الهجوم تحرير تشيكوسلوفاكيا ، وأحبط مخططات الاميراليين الأمريكيين الهادفة الى الاستيلاء على براغ واحتلال تشيكوسلوفاكيا . وهكذا أنهت العملية السوفياتية الرائعة ، وهزيمة مجموعة جيوش شويرنر ، الحرب في أوروبا .

وعادت الخلافات الجذرية بين سياسات الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الى الظهور من جديد . وكتب مؤرخان تشيكيان يقولان : « لم تفكر القيادة العسكرية الامريكية المنهمكة في دسائسها مع بقايا العسكريين النازيين ضد الاتحاد السوفييتي في تحرير مدينتنا من الاحتلال الهتلري كما لم تبد أى اهتمام بالموضوع . وكانت تريد على ضوء الاتفاق الذى عقدته مع القيادة الهتلرية . أن تتيح لشويرنر السفاح النازى في مورافيا . كل فرصة لمقاومة الجيش السوفييتي الذى كان يواصل تقدمه طيلة الوقت بعد معارك مرييرة . وأتاحت لشويرنر أيضا الفرصة لتطبيق سياسة « احراق الزرع والضرع » ، فى المناطق التى ينسحب منها ، واخماد الموجة النورية التى كانت قد اجتاحت البلاد كلها . وأفسحت المجال لفرانك ، ليفي بالوعد الذى قطعه الى الأمريكيين ، وهو أن ينفذ نيابة عنهم « الاعمال القذرة » ، وأن يقتل جميع المعتقلين من القادة الشيوعيين (١) .

وأدى الاتحاد السوفييتي رسالته التحررية ، وواجباته الدولية تجاه شعب تشيكوسلوفاكيا ، وغيره من الشعوب .

- ٦ -

تخطمت الفاشية الألمانية على الصعيد العسكري . وكان لابد لتخطيطها سياسيا ، من ازالة حكومة دونيتز التى خلفت الفاشية الألمانية . وكان دونيتز يلقي التأييد الكبير من جانب الانجليز والامريكان وقد انعكس هذا التأييد فى مواقف الغربيين فى مجلس اشراف الحلفاء الذى بدأ عمله فى فليينزبورج فى الثالث عشر من مايو . وكتب المؤرخ لودى - نورات المدافع القوى عن حكومة دونيتز : ان هذه الحكومة رحبت بقيام مجلس اشراف الحلفاء فى فليينزبورج « (٢)

(١) كى بارنوسك وكى سسلوك فى كتابهما « دور الاحلال الامريكى » - براغ - ١٩٥١

(٢) لودى نورات فى كتابه « نهاية حكم الرايخ » ص ٤٣٧

وسارع الأعضاء البريطانيون والأمريكيون في المجلس الى عقد صفقات جديدة مع دونيتز قبل وصول الاعضاء السوفيات . وقد اتفقوا معه على التعاون مع حكومته ، وأقروا تعيين يودل ، رئيسا لهيئة أركان حرب القيادة العليا الألمانية خلفا لكايكل . وكان يودل ، يحل القضايا التنظيمية المتعلقة بمنصبه، بالقوات الألمانية، مع القيادة الأنجلو - أمريكية - وأخيرا ، وليس آخرا ، قام الممثلون الانجليز والأمريكان في مجلس اشراف الحلفاء بزيارة رسمية لدونيتز الذي أكد لهم اخلاصه « لوجهه نظره الغربية » (١) . وحاول دونيتز أن يقنع زائريه . بأن الصراع المشترك مع الاتحاد السوفياتي ، أمر لابد منه . ويقول لودي - نورات : أن « قوله ترك انطبعا قويا في نفوس الممثلين الغربيين » (٢)

وراح تشرشل يعلن في السادس عشر من مايو ، وبصورة رسمية ، مناقضا التزاماته التي تعهد بها في اتفاقات يالطة ، أن « بريطانيا لا تعتزم تحمل أعباء ادارة ألمانيا » (٣) . وكان يعنى هذا السماح « لحكومة دونيتز بتولى الادارة في ألمانيا » . وأداعت وكالة رويتر للأنباء في نفس اليوم ، بيانا صدر عن مقر القيادة العليا للحلفاء يقول : ان « رجال حكومة دونيتز وغيرهم من الضباط الألمان ، لا يستخدمون الا في تقديم الغذاء والمعونة الطبية ، وعمليات نزع السلاح في القوات الألمانية تحت اشراف الحلفاء » (٤) ولم يكن هذا البيان الا محاولة جديدة لاضفاء صفة الشرعية على « نشاطات » حكومة دونيتز . ووصفت صحيفة الديلي هيرالد العمالية البريطانية سلوك بريطانيا والولايات المتحدة تجاه دونيتز « بالشرير » الذي يهدف الى خلق حكومة كويلزنجية خائنة في ألمانيا .

وتغير الوضع تغيرا كليا عندما وصل الأعضاء السوفيات في مجلس اشراف الحلفاء الى فلينزبورج في السابع عشر من مايو . وراح المندوب السوفياتي يعلن بكل اصرار - وجوب حل حكومة دونيتز . ولا شك في أن الموقف السوفياتي الصارم ، وثورة الرأي العام في الولايات المتحدة وبريطانيا وافتقار حكومة دونيتز الى أى تأييد شعبي في ألمانيا ، اذ كان الألمان يصفونها « بحكومة الشبح » قد قرر مصير هذه الحكومة . وتم في الثالث والعشرين من مايو من عام ١٩٤٥ ، حل حكومة دونيتز واعتقل

(١) لودي نورات في كتابه « حكم دونسز » ص ١٠٥ .

(٢) لودي ، ا.ب - « حكم دونيتز » ص ١٠٥ .

(٣) صحيفة اليايمز - ١٧ مايو ١٩٤٥ .

(٤) الديلي هيرالد - ١٧ مايو ١٩٤٥ .

اعضاؤها كمجرمى حرب • وتم اعتقال نحو من ثلثمائة ضابط وزعيم آخرين فى فلينزبورج ، بينهم هملر • وطلب هذا أناء اعتقاله ، مقابلة مونتهجوميرى ، قائلا : انه كان قد تفاهم مع القائد البريطانى على الاستعداد لحرب جديدة مع الاتحاد السوفياتى ، وانه تمكن من اعداد عدة فرق من الحرس النازى لهذه الغاية • وعندما أحس هملر أنه لن ينجو من العقاب على ما ارتكبه من جرائم بادر الى الانتحار بالسسم فى الرابع والعشرين من مايو •

ولم تكذ ألمانيا تستسلم ، حتى راحت الحكومتان : الأمريكية والبريطانية تحاولان تقسيم البلاد ، لتفعلا بألمانيا الغربية ما تريدان • وكان هدفها اقامة منطقة تأهب عسكري فى أوروبا • ولكن الاتحاد السوفياتى أصر على تنفيذ مقررات مؤتمر القرم وعلى ضرورة الوحدة الألمانية على أن تقوم الدول الاربع بادارتها بصورة مشتركة •

وكانت القوات الأمريكية والبريطانية قد دخلت ، والحرب لا تزال دائرة ، بعض الأقسام من ألمانيا التى كانت قرارات مؤتمر القرم قد نصت على أن تكون تحت الاحتلال السوفياتى • وطلبت الحكومة السوفياتية انسحاب هذه القوات من تلك المناطق • وكان تشرشل على استعداد لاثارة صراع واسع النطاق مع الاتحاد السوفياتى ، من أجل احتفاظ بريطانيا وأمريكا بالسيطرة على أكبر قسم ممكن من ألمانيا • وأبرق فى الرابع من مايو الى ايدن الذى كان يشهد مؤتمر سان فرانسيسكو يقول ان « الانسحاب المقترح من جانب الجيش الأمريكى يعنى انتشار السيطرة الروسية ، مسافة مائة وعشرين ميلا الى الأمام وعلى جبهة يتراوح طولها بين « الثلثمائة والأربعمئة ميل » • ولا شك فى أن مثل هذا الحادث لو وقع ، كان سيؤدى ، الى حالة مؤلمة لم يسبق لها منيل فى التاريخ » (١) وراح تشرشل يحث ايدن ومن يحملون مثل آرائه من أعضاء الحكومة الأمريكية على سرعة البيت فى هذه القضية • وراح يقول : « ان الوقت صالح الآن لفرض تسوية عامة • اذ أن الجيوش البريطانية والأمريكية وقواتها الجوية مازالت تمثل قوة مسلحة هائلة ، اذ لم تضعفها بعد عمليات التسريح ، ولا المتاعب الثقيلة التى ستواجهها فى الحرب مع اليابان » (٢) ولو قرأنا ما بين السطور فى هذه الأقوال ، لتبين لنا أن تشرشل

(١) نشرشل - نفس المصدر - المجلد السادس - ص ٤٣٨

(٢) نشرشل - نفس المصدر - المجلد السادس ص ٥٢٢

لم يكن ليخجل من الدعوة الى استخدام القوة المسلحة لتنفيذ مخططاته التي وضعها لأوربة بعد الحرب . هكذا نجد دعاة العدوان يطالبون بمحاربة الاتحاد السوفياتي الذي بذل الكثير لتحقيق النصر على ألمانيا .

ووقع ممثلو الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا في الخامس من يونيو من عام ١٩٤٥ اعلانا يقول : ان « هزيمة ألمانيا أدت الى تسلم حكومات اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية والمملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية والحكومة المؤقتة للجمهورية الفرنسية زمام السلطة العليا في البلاد » ، وأكد الاعلان أن الدول الكبرى « تسلمت زمام السلطة العليا في ألمانيا ، بالنسبة الى جميع الصلاحيات التي كانت تتولاها الحكومة الألمانية ، والقيادة العليا وأية حكومة أو سلطة من سلطات الولايات والبلديات والمجالس المحلية » . وقرر الاعلان نزع السلاح من جميع قوات ألمانيا المسلحة ، ووضع جميع الأسلحة والصناعات الحربية تحت اشراف الدول الأربع . ونص الاعلان على اطلاق سراح جميع أسرى الحرب والمدنيين من رعايا الأمم المتحدة في ألمانيا على الفور كما نص على وجوب اعتقال جميع كبار القادة النازيين وغيرهم من مجرمي الحرب ، فور ودون ابطاء . ونصت المادة الثانية عشرة من الاعلان على أن يضع ممثلو الحلفاء ، قوات لهم ، أو أجهزة مدنية ، في أي جزء من ألمانيا ، أو فيها كلها ، طبقا للقرار الذي ينخدونه .

وتم التوقيع على اتفاقين آخرين يتناول أولهما جهاز الاشراف على ألمانيا كما يتناول الثاني تحديد مناطق الاحتلال . ونص الاتفاق على أن « يقوم القادة العامون للقوات السوفياتية والبريطانية والأمريكية والفرنسية ، تنفيذاً لأوامر حكوماتهم ، وفي الفترة التي تقوم فيها ألمانيا بتنفيذ المتطلبات الأساسية للاستسلام بلا قيد أو شرط ، بممارسة السلطة العليا في ألمانيا ، كل في منطقة احتلال قوائه أو بصورة مشتركة في القضايا التي تخص ألمانيا كلها ، ويؤلف القادة الأربعة مجلس اشراف الحلفاء » . وبعمل هذا المجلس الذي تتخذ قراراته بالاجماع على ضمان التناسق في العمل بين القادة الأربعة في مناطق احتلالهم ، وعلى الوصول الى قرارات جماعية حول القضايا الرئيسية المتعلقة بألمانيا كلها . وعهد بادارة منطقة برلين الكبرى الى سلطة حاكمة للحلفاء ، تعمل تحت اشراف المجلس ، وتتألف من القادة المحليين الأربعة في المنطقة .

وحدد اتفاق مناطق الاحتلال ، الحدود بين منطقة الاحتلال السوفياتي وبين مناطق احتلال الدول الغربية التي لم يكن الصراع بينها على تخطيط

حدود كل منطقة قد انتهى بعد • وضمت منطقة الاحتلال السوفياتى مقاطعات ميكلينبرج وبراندنبرج ، وسكسونيا - انهولت ، وسكسونيا وثورينجيا • وكانت هناك أراض أخرى تقع ضمن منطقة الاحتلال السوفياتى قبل مؤتمر برلين ، ولكنها ما لبثت وبقرار من هذا المؤتمر ، وانسجاما مع العدل التاريخى ، أن نقلت الى أصحابها السلاف الشرعيين أى الى الاتحاد السوفياتى وبولندا •

ونص الاتفاق الذى وقع عليه فى برلين أيضا على انسحاب القوات الأنجلو - أمريكية دون ابطاء من بعض الأراضى النابعة لمنطقة الاحتلال السوفياتى كما نص أيضا على تجزئة برلين الى أربعة قطاعات ، تحتل كل دولة من الدول الأربع ، واحدا منها •

وانسحبت قوات الاحتلال البريطانية والامريكية فى مستهل شهر يوليو من المنطقة المخصصة لاحتلال القوات السوفياتية • وتسلمت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا فى الوقت نفسه الاشراف على مناطق احتلالها فى برلين • وعقد فى الثلاثين من يوليو من عام ١٩٤٥ ، أول اجتماع رسمى لمجلس اشراف الحلفاء فى برلين ، كما عقد فى الحادى عشر من يوليو ، وفى برلين أيضا أول اجتماع لسلطة الحلفاء الحاكمة فى منطقة برلين الكبرى •

وكان هناك خلاف مماثل على المشكلة النمساوية أيضا • وكان الامبرياليون الامريكان جد متلهفين على تحقيق حلمهم القديم فى اقامة دولة كاثوليكية كبرى فى الجنوب الشرقى من أوروبا ، تحت اشرافهم • وكان حكام بريطانيا يريدون بدورهم توحيد النمسا وجزء من جنوب ألمانيا مع دول الدانوب فى اتحاد فيدرالى •

ورفضت الحكومة السوفياتية بصرامة هذه المخططات البريطانية والامريكية التى كانت متعارضة مع المصالح القومية للشعب النمساوى وشعوب أوروبا الاخرى •

وأعلن الاتحاد السوفياتى والولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا فى التاسع من أغسطس من عام ١٩٤٥ ، نصوص الاتفاق حول مناطق الاحتلال وجهاز الاشراف فى النمسا • وقد اعترف هذا الاتفاق بحق الشعب النمساوى فى الوجود القومى المستقل ضمن دولته الخاصة الموحدة • وتم تقسيم النمسا الى مناطق احتلال • وضمت منطقة الاحتلال السوفياتى ، الأقسام الشمالية الشرقية من النمسا بما فيها

النمسا السفلى وقسم من النمسا العليا على الضفة اليسرى لنهر الدانوب وبيرجنلاند ، وقسمت قيينا نفسها الى أربع مناطق احتلال . وأقيم مجلس للحلفاء للاشراف على النمسا ، ومهمته معالجة كافة القضايا المتعلقة بالنمسا كلها .

وسارت العلاقات بين الاتحاد السوفياتى وبلاد أوروبا الشرقية فى طريق التطور الديمقراطى سيرا سريعا . ودارت المفاوضات السوفياتية التشيكوسلوفاكية فى موسكو فى النصف الثانى من شهر يونيو من عام ١٩٤٥ ، فى جو من الصداقة الخاصة والعودة الى العدل التاريخى بالنسبة الى الاجزاء الاوكرانية فيما وراء الكربات ، وهى الاجزاء التى أعرب أهلها بالاجماع عن رغبتهم فى الانضمام الى أوكرانيا السوفياتية . وانتهت هذه المفاوضات فى التاسع والعشرين من يونيو من عام ١٩٤٥ الى معاهدة سوفياتية - تشيكوسلوفاكية حول المنطقة الاوكرانية فيما وراء الكربات . ونصت هذه المعاهدة على أن تعود هذه المنطقة الى « وحدتها الطبيعية مع أوكرانيا كجزء من جمهورية أوكرانيا الاشتراكية - السوفياتية تحقيقا لرغبة أهلها فى العودة الى وطنهم العريق ، وعلى أساس الاتفاق الودى بين الجانبين المتعاقدين الساميين » .

وكان الاتحاد السوفياتى يعمل باصرار لمصلحة السلام الديمقراطى الدائم ، ولمصلحة وحدة ألمانيا واستقلالها القومى .

ونفذت سياسة الاحتلال السوفياتى ، عن طريق السلطات السوفياتية ، وبالاتصال الوثيق مع الشعب فى المناطق المحتلة ، وبتأييده الكامل . وكانت تعمل على تقوية روح الاستقلال الوطنى والديمقراطى ونشرها بين السكان . ودعمت سلطات الاحتلال السوفياتى جميع المشروعات الديمقراطية التى تقوم بها الجماهير . وساعدتها الى حد كبير فى تحقيق الاصلاحات الاجتماعية - الاقتصادية .

وهكذا مثل احتلال الاتحاد السوفياتى لبعض الاجزاء من ألمانيا والنمسا ، الرغبة الايثارية فى تقديم العون للشعب لتمكينه من تحقيق تطلعاته القومية والاجتماعية . وكان هذا العون المتفق تمام الاتفاق مع المصلحة العامة يهدف الى توطيد دعائم السلام والامن بين الامم .

مؤتمر سان فرانسيسكو وبوتسدام

- ١ -

اجتمع في الخامس والعشرين من ابريل من عام ١٩٤٥ .
وكانت رحي المعارك لاتزال دائرة على أشدها في المسرح الاوربي ،
ممثلو ٤٦ دولة في مدينة سان فرانسيسكو للبحث في تنظيم
أوضاع السلام ، بعد انتهاء الحرب .

وقرر الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الامريكسية
وبريطانيا والصين ، وهي الدول الاربع الاولى صاحبة الفكرة ، أن تتضمن
قائمة الدعوات جميع البلاد التي وقعت على اعلان الامم المتحدة في الاول من
يناير من عام ١٩٤٢ ، وكذلك تلك التي انضمت اليه فيما بعد .

وكان الاتحاد السوفياتي في موافقته على دعوة عدد كبير من البلاد
متأثرا برغبته في تطوير التعاون الدولي وتنميته . واعتقد أن المنظمة
الدولية الجديدة يجب ان تكون ممثلة للدول على أوسع نطاق ممكن ، وأن
تضم أكبر عدد ممكن منها باستثناء تلك التي تتحكم فيها الانظمة
الفاشية . وكانت لدى الحكام الغربيين ، ولا سيما حكام الولايات المتحدة
آراء أخرى . وكان ما ينشدونه ، أن يجعلوا من المنظمة ، أداة
مسخرة في يد السياسة الخارجية الامريكية ، تستطيع الولايات المتحدة
عن طريقها ، تحقيق أهدافها في السيطرة على العالم بصورة سهلة .

وكانت الولايات المتحدة رغبة منها في تحقيق هذا المخطط ، قد
تبنت كما سبق لنا « وقلنا » ، الدعوة الى مؤتمر في مدينة المكسيك في

وقت سابق من مستهل عام ١٩٤٥ . ولذا فقد جاءت مجموعة الوفود الأمريكية اللاتينية التي الفت نصف عدد أعضاء لفود فى مؤتمر سان فرانسيسكو ، تعمل بالاتصال الوثيق مع الوفد الأمريكى وطبقا لتعليماته . وتقدمت الحكومة الأمريكية بالاشتراك مع الحكومتين البريطانىة ، والفرنسية ، قبيل انعقاد المؤتمر ، بأساس جديد لتوجيه الدعوات ، اذ أعلنت أن ليس فى الامكان توجيه الدعوات الى الدول التى لم تقم علاقات دبلوماسية مع بريطانيا والولايات المتحدة .

وكان هذا الاقتراح ، عملا من أعمال التحيز ضد جمهورية مغوليا الشعبية ، والبايا وبولندة ، كما كان ظلما صارخا لا يطاق ، اذ كانت هذه الدول الثلاث قد عملت الكير للاسهام فى هزم العدو المشترك . فلقد قدمت بولندة التضحيات البالغة ، واشتركت فى الحرب ضد الفاشيين . واحتجت الحكومة البولندية المؤقتة على هذا الاقتراح . وقالت فى احتجاجها : ان « عقد مؤتمر سان فرانسيسكو دون اشراك بولندة ، سيمثل ظلما ينزل بالشعب البولندى ، واساءة بالغة له ولا مبرر لها ، اذ أن هذا الشعب لم يهدف الا الى تأمين استقلاله . وقد حمل رسالته السامية فى الدفاع عن سلام أوربا والحضارة العالمية ضد البربرية الفاشية والتطلعات الالمانية العدوانية » (١) .

وأثير موضوع دعوة بولندة فى الجلسة العامة التى عقدها المؤتمر . ووقف الوفد السوفياتى موقفا صلبا فى الدفاع عن حقوق بولندة الديمقراطية المشروعة . ولكن عند ما حان موعد التصويت ، قام جهاز الافتراع الذى هياؤه الوفد الأمريكى بمهمة ، وخذل الاقتراح السوفياتى ، بدعوة بولندة . وقرر المؤتمر على أى حال . وتحت تأثير الالحناف السوفياتى ، أن بولنده ستكون احدى الدول المؤسسة للأمم المتحدة ، وأن مكانها سيظل محفوظا فى وثائقها ، لتوقع عليه بولندة فيما بعد .

واعترفت الولايات المتحدة وبريطانيا بالحكومة البولندية فى مستهل شهر يونيو من عام ١٩٤٥ ، وذلك بعد اشتراك ممثلين عن القوى الرجعية فى الوزارة الجديدة اذ أصبح ميكولاجيك نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للزراعة .

ودرس مؤتمر سان فرانسيسكو الطلب الذى تقدم به المؤتمر العالمى

(١) برافدا عدد ٢٧ مارس ١٩٤٥

للنقابات ، لاشراك ممثلى النقابات فى منظمة الامم المتحدة وأيد الاتحاد السوفياتى هذا الاقتراح تأييدا حارا ، ولكن رفضته أغلبية «التصويت» بأمر من الولايات المتحدة وبريطانيا . وعندما قررت اللجنة الاقتصادية والاجتماعية دعوة ممثل عن الحركة النقابية الدولية لحضور جلساتها ، تمكن الوفدان البريطانى والامريكى من رفض هذا القرار فى الجلسة العامة .

ودعيت جمهوريتا أوكرانيا وروسيا البيضاء الاشتراكيتان السوفياتيتان الى مؤتمر سان فرنسيسكو كدولتين مؤسستين .

وعرض المندوبون السوفيات آراءهم فى الطريقة التى تمكن المنظمة الدولية الجديدة من تحمل مسئولياتها ، وكانوا لاينفكون عن تأييد رغبة الاتحاد السوفياتى الثابتة فى السلام .

وحذرت الحكومة السوفياتية الدول الاخرى من ان الامم المتحدة لن تحقق النجاح ، الا اذا قامت على أسس ديمقراطية ، تضمن المساواة بين جميع الدول الاعضاء فيها ، والتعاون الدولى ، والتطبيق الدولى الصادق لمبدأ اجماع الدول الكبرى . وطلب الاتحاد السوفياتى من المنظمة الدولية الجديدة أن تعمل بثبات واصرار من أجل السلام والامن الدولى ولمصلحة جماعات العاملين فى العالم كله ، وحذر من التساهل والتهاون فى النضال من أجل السلام .

واستغل الوفد الامريكى فكرة العالمية البورجوازية فى المطالبة بأن تصبح الامم المتحدة « برلمانا عالميا » يقضى على الاستقلال القومى لدولها الاعضاء وسيادتها . وكان القصد من هذا الاقتراح فى الواقع ، استخدام الامم المتحدة فى اخماد حركات التحرر الوطنى والحركات الثورية الديمقراطية ، ودوس حقوق الأمم المشروعة ، واقامة نظام للسيطرة على العالم .

وعارض الاتحاد السوفياتى هذا المخطط الرجعى للاحتكارات الأمريكية ، وقدم مشروعه الذى يجعل من الأمم المتحدة أداة للسلام والامن عن طريق التعاون الدولى الديمقراطى .

واقترح ادخال تعديلات جوهرية فى ميثاق الأمم المتحدة ، هدفها مضاعفة المكانة الدولية للمنظمة والحيلولة دون احتمال قيام المعتدين الامبرياليين باستخدامها لتحقيق أغراضهم . وكان المقصود من هذه

التعديلات أن تصبح الأمم المتحدة هيئة تدافع عن الديمقراطية وحقوق الأمم .
والحقوق الانسانية الأساسية . وكان الاتحاد السوفياتى فى تقديمه لهذه
التعديلات انما يعمل على حماية استقلال الشعوب والسلم والأمن
العالمين .

وكان النقاش فى جلسات مؤتمر سان فرانسيسكو يجتد فى حالات
كثيرة وتشترك فيه جميع الوفود التى ضمت اكثر من ٢٨٢ عضوا وأكثر
من ١٥٠٠ من المستشارين والخبراء والسكرتيرين . واجتذب المؤتمر
بالإضافة الى هذا العدد الكبير نحو ٣٥٠٠ من رجال الصحافة ومعلقى
الاذاعة والمصورين ، بالإضافة الى أعضاء سكرتارية المؤتمر ، وممثلى
مختلف المنظمات والجماعات القومية والسياسية فى العالم . وأفرط
الصحفيون البورجوازيون فى تشويه وقائع المؤتمر وتوقع فشله .

وقدم أكثر من ألف ومائتى تعديل وإضافة وتغيير الى مؤتمر سان
فرانسيسكو على ما سبق اتخاذه من قرارات فى مؤتمرى دومبارتون أوكس
ويالطا . وتركز الصراع فى الغالب حول ثلاث قضايا ، وهى : مبادئ
المنظمة الدولية الجديدة وأهدافها ، ودور مجلس الأمن والجمعية العامة .
ونظام الوصاية الدولى . ولا شك فى أن المناقشات التى دارت حول مجلس
الأمن والجمعية العامة ، كانت أكثرها عنفا .

وتقدم الوفد السوفياتى باقتراحين أساسيين حول مبادئ الأمم
المتحدة وأهدافها . وأول هذين الاقتراحين ، أن تركز العلاقات الودية
بين الدول على أساس « احترام مبدأ المساواة بين الدول وحفظها فى تقرير
مصيرها » . أما الاقتراح الثانى فكان فى « وجوب التعبير عن التعاون
الدولى » وفى تشجيع احترام حقوق الانسان ولاسيما فى العمل والتعليم .
وضمن الحريات الأساسية لجميع الناس على اختلاف اجناسهم وعناصرهم
ولغاتهم وأديانهم « (١) .

ونشب صراع عنيف فى المؤتمر . فقد عارضت بعض الوفود من
ذوات العلاقة بالولايات المتحدة مبدأ المساواة بين الأمم . وعارضت غالبية
الوفود البورجوازية ، وفى مقدمتها وفدا بريطانيا والولايات المتحدة فى
أن بنظم ميثاق الأمم المتحدة النص على حق الانسان فى العمل والتعليم .
ولكن المؤتمر أقر بالرغم من هذه المعارضة ، الاقتراح السوفياتى الأول ،
وأصبح مدرجا فى الفقرة الثانية من المادة الأولى للميثاق . وأقر المؤتمر

(١) وثائق الحكومة السوفياتة لعام ١٩٤٩ - ص ٩٠

الافتراح السوفياتى الثانى أيضا وأصبح مدرجا فى الفقرة الثالثة من المادة نفسها ، وان حذفت الاشارات الى حقوق الناس فى العمل والتعليم . واكتفت المادة باشارات غامضة الى « الحقوق الانسانية » والحريات الأساسية للجميع ، دون تمييز فى العنصر أو الجنس أو اللغة أو الدين »

ولما كانت أهداف مجلس الأمن واجراءات الاقتراح قد ضمنت فى الاتفاقات السوفياتية - الانجليزية - الأمريكية السابقة ، فقد اكتفى الوفد السوفياتى باقتراح تعديلين ليس الا . ونص التعديل الأول على وجوب تسوية النزاعات الدولية التى قد تؤدى الى الاخلال بالسلام ، بالأساليب السلمية « طبقا لمبادئ العدل والقانون الدولى » . ونص التعديل الثانى على تحريم الأعمال التعسفية التى تنفذها الاتفاقات أو الهيئات الاقليمية دون تخويل من مجلس الأمن ، باستثناء الاجراءات التى نصت عليها المعاهدات القائمة قبل اقرار الميثاق والهادفة الى مقاومة أى استئناف للسلوك العدوانى من الدول المعتدية فى الحرب الراهنة (١) .

وهدف التعديلات التى اقترحتها الولايات المتحدة الى اضعاف مجلس الأمن ، ونقوبة الجمعية العامة من الناحية الاخرى ، اذ كانت الحكومة الأمريكية تعتمد فيها على المزايا الكبرى التى يؤمنها لها « جهاز الاقتراح » الذى ضمنه الى جانبها . ولكن لما كانت الولايات المتحدة ملزمة بقرارات مؤتمر القرم ، فلم يكن فى وسعها أن تعارض نصوصا سبق لها أن أقرتها فى يالطا ، وهى النصوص التى تحدد دور مجلس الأمن وأهميته . وهكذا فقد أوعزت الى الوفود الأخرى التابعة لها بأن تقوم عنها بهذا الدور ، وراح وفد بيرو ، مدعوما من بعض الوفود الأخرى، يهاجم مبدأ اجماع الدول الكبرى فى مجلس الأمن .

وكان الوفدان الأمريكى والبريطانى على استعداد تام للخروج على القرارات التى اتخذها رؤساء الدول الكبرى الثلاث فى هذا الصدد فى مؤتمر القرم . ولكن الوفد السوفياتى تمكن من احباط المحاولة ، وأقر مؤتمر سان فرانسيسكو نفس التعبيرات التى سبق الاتفاق عليها بين الدول الثلاث ، حول تحديد أهداف مجلس الأمن واجراءات الاقتراح فيه . وأقر المؤتمر كذلك الاقتراحين السوفياتيين حول عمل مجلس الأمن ، بعد أن طرأ على الأول منهما فقط شىء من التعديل .

واستغرقت المناقشات التى دارت حول موضوع الوصاية الدولية :

(١) وثائق الحكومة السوفياتية - ص ١٥٣

أمدا طويلا . وقدمت عدة مشروعات عن هذا الموضوع من وفود الاتحاد السوفياتى والولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والصين وغيرها من الدول . وحدد المشروع السوفياتى الهدف الأساسى لوصاية الأمم المتحدة، بأنه اعداد الشعوب المحرومة من الحكم اللاتى ، عن طريق « اشراكها الفعلى ، للحكم الذاتى وتقرير المصير ، لتصل فى وقت قريب الى مركز السيادة المستقلة الكاملة » (١) .

وحددت الاقتراحات الامريكىة والبريطانية والفرنسية الوصاية من الناحية الاخرى ، بأنها السلطة المطلقة للدولة الوصية على أهل البلاد الخاضعة للوصاية . وكان هدفها بعبارة أخرى ، حماية النظام الاستعمارى القديم تحت لافتة «الوصاية الدولية» . وتصور المشروع الأمريكى أيضا ، اعادة توزيع المناطق الواقعة تحت الوصاية . وكان هذا التصور هادفا الى الاضعاف من مراكز بريطانيا وفرنسا الاستعمارية .

وعارضت الدول الاستعمارية الاقتراح السوفياتى كما كان متوقعا منها أن تعمل . ولكنها لم تنجح فى حمل المؤتمر على اقرار مشروعاتها وتم الوصول الى تسوية تمثلت فى الفقرة (ب) من المادة السادسة والسبعين من ميثاق الأمم المتحدة . وتقول هذه الفقرة : ان الأهداف الأساسية لنظام الوصاية هى حث التقدم السياسى والاقتصادى والاجتماعى والتعليمى لسكان البلاد الواقعة تحت الوصاية ، وتطويرها تطويرا متدرجا فى طريق الوصول الى الحكم الذاتى أو الاستقلال ، مما يتفق والظروف الخاصة بكل بلاد منها وبأهلها ، وتمكينهم من التعبير عن رغباتهم بحرية ، طبقا لما ينص عليه كل اتفاق من اتفاقات الوصاية .

وكانت الناحية الايجابية فى هذه التسوية أنها ذكرت الاستقلال ، كهدف أساسى للوصاية . ومع ذلك فقد أرفق بكثير من التحفظات .

وكانت نتائج مؤتمر سان فرانسيسكو فى مجموعها طيبة ، ويرجع الفضل الى الجهود السوفياتية فى أن مبادئ التعاون الدولى الديمقراطى أصبحت الأساس للأمم المتحدة . وانتهى المؤتمر فى السادس والعشرين من يونيو من عام ١٩٤٥ ، بعد أن أقر ميثاق الأمم المتحدة الذى ارتكز الى هذه المبادئ بالاجماع .

وأبرمت جميع الدول التى اشتركت فى مؤتمر سان فرانسيسكو ميثاق الأمم المتحدة قبل نهاية عام ١٩٤٥ .

« (١) وثائق الحكومة السوفياتية ص ١٥٣ .

دعا الاتحاد السوفياتى الى مبادئ التعاون الدولى الديمقراطى ، وسعى الى افرار الحلول المشتركة لمشاكل بعد الحرب ، ويرجع الفضل الى الاتحاد السوفياتى فى عقد اجتماع آخر فى بوتسدام لقادة الدول الكبرى بالرغم من المحاولات التى بذلتها بريطانيا والولايات المتحدة لتحطيم التعاون الدولى .

وكانت سياسة الولايات المتحدة الخارجية ، قد تحولت فى غضون ذلك الى المزيد من الاتجاهات الرجعية ، مما أثر بالطبع على العلاقات الدولية . وكانت نهاية الحرب قد باتت متوقعة ، ولذا فقد غدت الاحتكارات الأمريكية تواقا الى تحقيق أهدافها فى السيطرة العالمية ، وعبأت وراءها جميع القوى الميالة الى العدوان فى الولايات المتحدة . ومنل الاتحاد السوفياتى العقبة الكأداء التى كان عليها أن تصطرع معها ، اذ أنه خرج على النقيض من توقعات الامبرياليين الأمريكان والبريطانيين أكثر قوة من أى وقت مضى . وكان هذا هو السبب فى تركيز كراهية الرجعيين الامبرياليين على الانحد السوفياتى وعلى القوى الوطنية فى البلاد الاخرى ، وهكذا وجهت حكومة ترومان التى نفذت للاحتكارات رغباتها . سياساتها صد الانحد السوفياتى وضد حركات التحرر الوطنى والطبقات العاملة فى البلاد الأخرى .

وهدفن الحكومة الأمريكية من موافقتها على عقد مؤتمر بوتسدام ، الى توجيه هجوم جديد على المصالح السوفياتية ، ومصالح البلاد المحبة للحرية . وركز الامبرياليون الأمريكيون آمالهم فى السيطرة على العالم ، على القنبلة الذرية ، التى اعتبروها وسيلة للارهاب والابتزاز . وكان من المقرر أن تجرى تجربة القنبلة الذرية الاولى فى الخامس عشر من يوليو فى صحراء « الاموجوردو » الواقعة فى ولاية « نيو مكسيكو » ، ولذا فقد أصرت الحكومة الأمريكية على أن يعقد مؤتمر بوتسدام أولى جلساته فى ذلك التاريخ .

وذهل تشرشل ، من هذا الاصرار الأمريكى على هذا الموعد ، اذ أنه لم يكن على علم بالمخطط الأمريكى . وأعرب عن دهشته هذه فى رسالتين بعث بهما الى رئيسى الحكومتين : السوفياتية والامريكية فى الاول من يونيو أنهاها بقوله : « اقترحت الخامس عشر من يونيو لا من يوليو ، واذا كان هذا متعذراً فلم لا يكون الموعد الاول أو الثانى أو الثالث من

يوليو ؟ » (١) . ولكن عندما عرف تشرشل سبب اصرار الحكومة
الامريكية على ذلك التاريخ سارع الى موافقتها عليه .

ووصل نبأ تفجير القنبلة الذرية الى الوفد الامريكى في بوتسدام
في السادس عشر من يوليو من عام ١٩٤٥ ، وقبيل افتتاح المؤتمر بساعات
قليلة . وبدأ أعضاء الوفد الأمريكى بما فيهم الرئيس ترومان وكبار
ساسة أمريكا منذ تلك اللحظة ، يشغلون أنفسهم فى المناقشة عن المزايا
التي سيحققها امتلاك الأسلحة الذرية لهم ، فى الصراع على السيطرة
العالمية . ويستذكر ترومان فى مذكراته ، أن بيرنز وزير خارجيته قال :
« قد يكون السلاح الجديد من القوة بحيث يكون فى وسعه أن يمحو مدنا
بكاملها من الوجود ، وأن يقتل من الناس أعدادا على نطاق لم يسبق له
منيل » .

وكتب ترومان يقول أيضا : « وأضاف بيرنز أنه يعتقد أن القنبلة
ستضعنا فى مركز يمكننا من املاء شروطنا فى نهاية الحرب » (٢) .
وكان ستيمسون وزير الحربية يشاطر بيرنز رأيه فقد ذكر أن القنبلة
الذرية « ستترك أثرا حاسما على علاقاتنا مع البلاد الأخرى » (٣) .

وكتب ستيمسون وهو فى بوتسدام ، بطلب من ترومان تقريرا
بعنوان : « انطباعات عن المشاكل الأساسية التي تواجهنا » . ولقد حث
ستيمسون فى « انطباعاته » هذه على استخدام القنبلة الذرية دون ابطاء
فى الاصطراع مع الاتحاد السوفياتى ، وفى التهيئة لحرب عالمية جديدة ،
وفى السير فى حملة من الابتزاز السياسى لم يسبق لها مثيل . وكان
شطر من تقرير ستيمسون موجهها بصورة خاصة ضد فكرة التعايش
السلمى للدول ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة .

وكتب ستيمسون يقول : « ومن الواضح أيضا ، أن ليس فى
الامكان توطيد أية علاقات دولية سليمة ودائمة ، بين نظامين قوميين
يختلفان » عن بعضهما « مثل هذا الاختلاف الجوهرى . ولعل كل
ما نستطيع أن نفعله مهما بذلنا من جهد . أن نفهم بعضنا البعض » (٤)

(١) مراسلات الحكومة السوفياتية - المجلد الاول - ص ٣٦٢

(٢) هارى ترومان - مذكراته - المجلد الاول - نيويورك - دابلداى ١٩٥٥ . ص ٨٧

(٣) نفس المصدر ص ٨٧

(٤) هنرى ستيمسون وماكجورج بوندى عن « الخدمة الفعلية فى السلم والحرب » نيويورك

١٩٤٥ ص ٦٣٩

واقترح ستيمسون استخدام السر الذرى فى « كسب التنازلات من القادة الروس بالنسبة الى دولتهم التى يعبدونها » (١) .

ولكن القادة العسكريين والسياسيين الأمريكين لم يكونوا على ثقة تامة من ان القادة السوفيات سيستخذون أمام حملة ابتزازهم الذرى . وأرادوا أولا استطلاع الأمر ، وقرروا السماح للرئيس ترومان بأن يبلغ ستالين ، اسنحواذ الولايات المتحدة على القنبلة الذرية ، ليرى أثر ابلاغه هذا النبأ عليه . وبادر ترومان الى تنفيذ المخطط فى مؤتمر بوتسدام ، ولكنه سرعان ما رأى أن ستالين تلقى النبأ بمنتهى البرود وعدم الاكثراث (٢) . وأضعف رد الفعل هذا معنويات الزعامة الامريكية . ولا شك فى أن برودة الزعيم السوفياتى نبعت من صلابة السياسة السوفياتية التى لا تتزعزع ، بالنسبة الى جميع المحاولات التى يقوم بها الامبرياليون لاملأ ارادتهم على الاتحاد السوفياتى ، ومن ثقته المطلقة بفدرات بلاده وشعبه .

ولما تبين القادة الأمريكيون عجزهم عن ارهاب الاتحاد السوفياتى وتخوفه ، راح أعضاء الوفد الأمريكى يناقشون احتمالات العدوان المباشر عليه . وبحث المندوبون البريطانيون والأمريكيون مختلف الخطط الرامية الى شن حرب عالمية فى أسرع وقت ممكن . وحدث فى أثناء هذه المناقشات ، أن اتفقت وجهات نظر الجنرال الأمريكى أرنولد صاحب نظرية الضربة الحاسمة من الجو ، وماريشال الجو البريطانى تشارلز بورتال . اذ ذكر أرنولد فى كتابه « رسالة كونية » مانصه : « واعتقدنا معا ، أن روسيا ستكون عدوتنا المقبلة ، ولذا فقد برز اتجاه فكرى مشترك فى أحاديثنا » . وتوصل القائدان العسكريان الى النتيجة القائلة بأن استخدام القوة الاستراتيجية الجوية بنجاح ، يتطلب « أن تكون هناك قواعد . موزعة حول العالم ، تمكننا من أن نصل الى الهدف الذى يتحتم علينا اصابته » .

وأحس أعضاء الوفدين : البريطانى والأمريكى ، بالأسى لمصير هتلر ، وبفشله فى حربه ضد الاتحاد السوفياتى . ومضى أفريل هاريمان الى حد القول بأن « الجريمة الكبرى » التى ارتكبها هتلر هى أن تصرفاته

(١) نفس المصدر ص ٦٤١ .

(٢) رالف . اى . لاب . فى كتابه « القوة الجديدة . قصة الذرة والشعب » نيويورك

١٩٥٣ . ص ٤٥

أدت الى « فتح أبواب أوروبا الشرقية للآسيويين » (١) . ووصلت الحالة في بوتسدام الى الحد الذى دفع بعض كبار المسئولين فى الحكومة الأمريكية الى « توزيع مذكرة سرية على أعضاء الوفدين : البريطانى والأمريكى تقول: ان الطريقة المتبعة فى المؤتمر خاطئة من أساسها ، اذ أن مصلحتنا الفعلية تمثل فى إعادة بناء ألمانيا بأسرع مايمكن لتكون سدا منيعا فى وجه الشيوعية » (٢) وكانت الفكرة التى تدعو اليها هذه المذكرة ، استخدام الروح العسكرية الألمانية ، وروح الثأر لدى الألمان كوسيلة لتنفيذ المخططات الأمريكية المعادية للاتحاد السوفياتى .

وكان الاحنكاريون الأمريكيون وحكومتهم معهم ، يعتقدون أن عرض الأسلحة الذرية ، سيدفع العالم الى الاذعان للسيطرة الامبريالية الأمريكية . ولعل هذا هو السبب الذى دفع الحكومة الأمريكية الى تقرير استخدام السلام الذرى ضد السكان اليابانيين المسالمين .

واختار الخبراء والمستشارون الأمريكيون تلبية لتعليمات الرئيس ترومان المدن اليابانية المكتظة بالسكان لتكون ضحية هذا السلاح . ووقع الاختيار على مدينتى هيروشيما وناجازاكي . وورد فى التقارير الرسمية لعملية القصف بالقنابل الذرية، أن الاختيار وقع على هاتين المدينتين لأنهما حاسدتان بالسكان « والنشاطات » الفعلية » (٣) .

وكتب الرئيس ترومان متبجحا فى يومياته يقول : « وكان على أن أتخذ القرار النهائى فى موضوع تحديد زمان ومكان استخدام القنبلة الذرية . . واتخذت القرار بالفعل . . وكان هذا أعظم حادث فى التاريخ » (٤) .

عقدت الجلسة الأولى لمؤتمر بوتسدام فى السابع عشر من يوليو من عام ١٩٤٥ واستمر انعقاده حتى الخامس والعشرين منه . اذ عقد تسع جلسات متوالية . وفى هذا التاريخ انفض المؤتمر لفترة راحة قصيرة بمناسبة الانتخابات العامة فى بريطانيا التى فاز فيها حزب العمال .

(١) وولتر ميلبس فى كتابه « يوميات فورييسول » مطبعة الفايبسج - نيويورك ١٩٥١ . ص ٧٩

(٢) جوسيلادونوا فى كتابه « كيمياويو الشيطان » - بوسطن - مطبعة بيكون ١٩٥٤ . ص ٣٦١

(٣) بى . ام . اس . بلاكيت « النتائج السياسية والعسكرية للطاقة الذرية » لندن ١٩٤٨ . ص ١٢٧

(٤) هارى ترومان « مذكراته - سنة الفرارات » - نيويورك ١٩٥٥ ص ٤١٩ و ٤٢٩ .

وعندما عاد المؤتمر الى الانعقاد فى الثامن والعشرين منه ، أصبح كليمنت اتلى ، رئيس وزراء بريطانيا الجديد هو الذى يتولى « رئاسة » الوفد البريطانى بدلا من تشرشل . ولكن هذا التبدل لم يحقق أى تغيير فى سياسة الوفد البريطانى ، ولا فى السياسة الخارجية البريطانية بوجه عام . وكتب روى جينكينز ، صديق اتلى الحميم ومؤرخ حياته يقول : « لم يكن هناك أقرب لتشرشل من زملائه ، أو أكثر ولاء له من قادة حزب العمال » (١) .

وبعد أن تم تشكيل الحكومة العمالية فى بريطانيا ، وصل اتلى الى بوتسدام رئيسا للوفد البريطانى فى المؤتمر الذى عقد أربع جلسات أخرى بين الثامن والعشرين من يوليو والثانى من أغسطس من عام ١٩٤٥ .

وهكذا دارت جلسات مؤتمر بوتسدام فى جو من الخلافات الحادة . ولم يظهر الممثلون البريطانيون والأمريكيون فى المؤتمر أية رغبة فى الاهتمام بالمصالح المشروعة للاتحاد السوفياتى والدول الديمقراطية .

ولعل هذا هو السبب الذى دعا الى بقاء عدد من القضايا معلقة دون حل . ومع ذلك فقد تم الاتفاق على عدد منها ، وذلك لأن المندوبين : البريطان والأمريكان كانوا يأملون عن طريق استخدام الاسلحة الذرية فى الوقت المناسب ، فى تجاهل قرارات بوتسدام . وكان حكام بريطانيا والولايات المتحدة لا يزالون يأملون أيضا فى أن تؤدى الحرب بين الاتحاد السوفياتى واليابان الى اضعاف الأول الى الحد الذى لا يغدو فيه من الصعوبة بمكان بعد ذلك ، اعادة النظر فى أبة قرارات سابقة .

وأقر مؤتمر بوتسدام تأليف مجلس لوزراء الخارجية ، وعهد اليه ، بوضع مسودات معاهدات الصلح مع الدول المهزومة . وكان هذا المجلس سيتألف من وزراء خارجية الدول التى وقعت اتفاقات الهدنة مع الدول العدو المعنية ، كلا عن حدة ، وكانت هناك حالة استثنائية واحدة ، وهى أن تعتبر فرنسا ، شريكة فى التوقيع على شروط الاستسلام التى فرضت على ايطاليا .

واحتلت المشكلة الألمانية بطبيعة الحال ، مكان الصدارة فى مؤتمر بوتسدام . وجاء الوفد الأمريكى الى المؤتمر يحمل مشروعا جديدا لتقسيم ألمانيا أعده ممثلو الاحتكارات والمصارف الألمانية . ونص المشروع على

(١) روى جينكينز فى كتابه « المستر اتلى - تاريخ مؤقت لحياه » لندن هاينمان ١٩٤٨ .
ص ٢٣٠

اقامة دولة فى جنوب ألمانيا تكون فيينا عاصمتها ، وتضم ثلاث مقاطعات ألمانية هى بافاريا ودرتمبورج وبادن ، بالإضافة الى النمسا والمجر ، كما نصر على اقامة دولة فى شمال ألمانيا تكون برلين عاصمتها ، ودولة ثالثة فى غرب ألمانيا وتضم حوض الروهر واليسار .

وكتب ويليام ليهى يقول : « وكان الرئيس يعتقد أن تقسيم ألمانيا الى عدة دول مستقلة ، سيكون مفيدا لمصلحة السلام والأمن فى المستقبل » . ومضى ليهى يقول : « وكان الرئيس يرى أن من الضرورى وضع حوض الراين مع حوض الروهر واليسار تحت اشراف دولي ، مع اعلان العزم على منحهما السيادة والاستقلال كدولتين مستقلتين فى وقت لاحق » (١) ولا شك فى أن هذه الاقتراحات الأمريكية حسرت النقاب بوضوح أكثر من أى وقت مضى عن حقيقة مخططات الحكومة الأمريكية . فقد كان من السهل على أمريكا أن تخضع الدويلات الألمانية فرادى الى سيطرتها ، اذ أنها تكون أراضى أكثر صلاحا ، لبذر بذور الرغبة فى التآمر والتطلع الى مغامرات مسلحة جديدة . وكان الهدف من السيطرة الدولية على حوض الروهر ، أن تتحول الى سيطرة أمريكية .

ولكن هذا المخطط الأمريكى لتقسيم ألمانيا وتجزئتها ، فشل بفضل الجهود السوفياتية . واتخذ مؤتمر بوتسدام تنفيذا لاقتراح سوفياتى قرارات للحفاظ على ألمانيا وتطورها كدولة ديمقراطية ومسألة واحدة . وعاد المؤتمر فأكد حق الشعب الألمانى فى الوجود القومى المستقل مع صياغة حياته من جديد على أسس من المبادئ الديمقراطية والسلمية .

وتم التوقيع فى بوتسدام على أسس من المبادئ السياسية والاقتصادية للتحكم فى ألمانيا فى فترة الاشراف الأولى . وتضمنت هذه المبادئ برامج واسعة لازالة الصبغة النازية عن ألمانيا وتحويلها الى النهج الديمقراطى بعد انتزاع الروح العسكرية منها ، وفرض الاشراف الصارم عليها . وحددت هذه البرامج أهداف الاحتلال بأنها نزع السلاح الكامل من ألمانيا ، وازالة الروح العسكرية منها ، واقناع شعبها بأنه قد منى بهزيمة عسكرية شاملة وكاملة ، والقضاء على الحزب الوطنى الاشتراكى النازى ، وجميع نظمه ومؤسساته ، ومنع الدعايات «والأنشطة» العسكرية والنازية ، وتمهيد الجو لاعادة بناء الحياة السياسية فى ألمانيا على أسس ديمقراطية ، ولضمان تعاون ألمانيا السلمى فى الحياة الدولية .

(١) ويليام ليهى فى كتابه « كس هناك » ص ٣٩٠ .

وركز الاتفاق تركيزا شديدا وأوليا على تطوير الصناعات والزراعات المدنية وتنميتها . وتقرر أيضا اغلاق المؤسسات الاحتكارية الألمانية . واتخذت الاجراءات لمعاملة ألمانيا كوحدة اقتصادية واحدة بالرغم من وجود مناطق الاحتلال الراهنة فيها . وأعد الاتفاق أيضا برنامج استيفاء التعويضات من ألمانيا .

وأقر المؤتمر وجوب اعتقال مجرمي الحرب ومحاكمتهم أمام محكمة دولية خاصة يتم تنظيمها لمحاكمة المجرمين الرئيسيين الألمان .

ونشب النزاع في المؤتمر من جديد حول حدود بولنده الغربية . ووصل الى بوتسدام وفد من الحكومة البولندية للاشتراك في المحادثات . وقدم بيروت وجومولكا المبررات التاريخية والاجتماعية والاقتصادية الشاملة والواسعة ، لمطالب بولنده المشروعة في الأراضي المتنازع عليها . وكان ميكولاجيك الذي شهد المؤتمر أيضا ، على ثقة من أن الشعب البولندي مهتم اهتماما بالغا بالمناطق الغربية ، ولذا فلم يكن في وسعه أن يعارض في نقل هذه الاراضى الى بولنده . ومع ذلك فلم يعلق ميكولاجيك بشيء عندما ذكره تشرشل بأن الحكومة البولندية المهاجرة في لندن لم تكن قد تقدمت بمطالب كهذه من قبل (١) .

وأعيدت العدالة الى مكانها الطبيعي في موضوع حدود بولنده الغربية . وتم ذلك بفضل اصرار الاتحاد السوفياتي على أن تكون الحدود بين ألمانيا وبولندا على طول نهري الأودر والنيسي . وتم نقل جزء من بروسيا الشرقية يقع على مقربة من بحر البلطيق ، ويضم كونجسبرج التي أصبح اسمها كالينينجراد الى أراضى الاتحاد السوفياتي . وانتقل القسم الباقي من بروسيا الشرقية وأراضى منطقة دانزيج الحرة السابقة الى بولنده . وأقر مؤتمر بوتسدام نقل السكان الألمان من بولنده وتشيكوسلوفاكيا والمجر الى وطنهم في ألمانيا .

وهكذا أعيدت الأراضي السلافية السابقة التي كان المحتلون الألمان قد استولوا عليها ، الى أصحابها الشرعيين .

ومثلت قرارات بوتسدام نصرا جديدا للمبادئ الديمقراطية ، للسلام الذي دعا الاتحاد السوفياتي الى تحقيقه بعد الحرب . وراح الاتحاد السوفياتي حفاظا على التزاماته الدولية ، ينفذ قرارات مؤتمر بوتسدام ، تنفيذا واعيا ، نصا وروحا .

(١) عدد اذنتا في ٢٥ نوفمبر ١٩٤٧ .

وسارت الولايات المتحدة وبريطانيا في غضون ذلك على سياسة مغايرة تماما . ولم تكن موافقتها على برنامج بوتسدام ، الا موافقة شكلية . وكانتا منذ البداية قد قررتا السير في نهج بعيد كل البعد عن كل ما أقر في مؤتمر بوتسدام .

وتم في السادس عشر من أغسطس من عام ١٩٤٥ . التوقيع على معاهدة ود وصداقة بين الاتحاد السوفياتي وبولندا ، قررت الحدود بين البلدين على ضوء قرارات مؤتمر القرم وبوتسدام . ونصت المعاهدة على أن نسير الحدود متمشية مع الخط المسمى بخط كيرزون ، مع شيء من التعديلات التي نردد بين خمسة وثمانية كيلو مترات في بعض المناطق لمصلحة بولندا . وتخلي الاتحاد السوفياتي أيضا عن المناطق الواقعة الى الجنوب من مدينة كريلوف الى بولندا ، مع تعديلات تبلغ ثلاثين كيلو مترا لمصلحتها ، وعن جزء من منطقة بيلوفيشسكايا بوششا ، مع انحرافات تصل حدود سبعة عشر كيلو متر لمصلحة بولندا . وتم وضع خط الحدود أيضا في منطقة بروسيا الشرقية السابقة .

وتم التوقيع على اتفاق بين الاتحاد السوفياتي وبولندا في موضوع التعويضات على الأضرار التي أنزلها الاحتلال الألماني . ونخلت الحكومة السوفياتية لمصلحة بولندا ، عن مطالبتها في الممتلكات والموجودات الألمانية في الأراضي البولندية بما فيها الأراضي الألمانية في الغرب التي تم نقلها الى بولندا . ووافق الاتحاد السوفياتي أيضا على السماح لبولندا بأن تأخذ ١٥ في المائة من التعويضات السوفياتية .

وكان الاتفاق السوفياتي - البولندي ، رمزا للصداقة النامية المتزايدة بين شعبي الاتحاد السوفياتي وبولندا .

استسلام اليابان ونهاية الحرب

- ١ -

بدأت الولايات المتحدة وبريطانيا عملياتهما الهجومية في المحيط الهادى فى عام ١٩٤٣ ، وخلقنا الانصارات السوفيانة على ألمانيا الهتلرية التى تعتبر العضو الرئيسى فى الكتلة الفاشية ، جوا مواتيا للدولتين . ولكن الحكومتين : البريطانية والأمريكية

لم تركزا جهودهما على القوة الرئيسية الضاربة لليابان . وانما اكتفنا بالعمل فى قطاعات ثانوية من الناحية الاستراتيجية ، أى ضد الحاميات اليابانية فى المستعمرات التى كان اليابانيون قد استولوا عليها من البريطانيين والأمريكيين والهولنديين . ولم يكن اخراج اليابانيين من هذه المستعمرات هو الهدف الوحيد ، وانما كان هدف هذه العمليات سحق حركات المقاومة الوطنية أيضا .

وكان أحد أهداف « عمليات القفز على الجزر » ، التى قام بها الانجليز والأمريكيون ، بنبيت أقدام الحكم الاستعماري فى المحيط الهادى . وكتب المؤرخ الأمريكى فريد ايلدريدج يقول : « تخوض بعض البلاد كبريطانيا والصين والولايات المتحدة الحروب ، للحفاظ على سيطرتها الاقتصادية والسياسية وامبراطورياتها » (١) .

(١) فريد ايلدريدج فى كتابه « النعمة فى نورما - القصة الصحيحة للجنترال اسلوبيل والماوريات الدوله فى الشرق الاقصى » - نيويورك ١٩٤٦ . ص ٣١٤ .

وكانت الخطة الأمريكية الرئيسية فى المحيط الهادى تهدف الى احتلال المواقع الاستراتيجية المهمة وتثبيتها ، وخلق القواعد التى يمكن الاعتماد عليها لمناهضة حركات التحرر الوطنى فى شرق آسيا وجنوبها الشرقى .

ونزلت القوات الأمريكية فى شهر نوفمبر من عام ١٩٤٣ فى جزر ماكين وتاراوا من مجموعة جزر جلبورت ، لتطهير الأراضى فى الجزء الأوسط من المحيط الهادى وعادت هذه القوات فاحتلت فى عام ١٩٤٤ ، قواعد مساندة فى جزر مارشال وماريانا وبالاو . ولم يقاوم اليابانيون مقاومة فعالة وعنيدة . وانتقلت الولايات المتحدة بعملياتها فى المرحلة الثانية الى جزر الفلبين . وكان أول ما قامت به القيادة العسكرية الأمريكية بعد نزولها فى الجزيرة اعتقال قادة حركة المقاومة الوطنية الذين كانوا قد نظموا حرب عصابات واسعة النطاق ضد اليابانيين وكانوا قد استنزفوا قوة اليابان على القتال ، مما سهل على الولايات المتحدة مهمة غزو الجزر .

ولم تخف الصحف الأمريكية ماكانت تعلقه حكومتها من أهمية على جزر الفلبين بالنسبة الى أطماع الاحتكارات الأمريكية ومخططاتها . وكتب وولتر ليبمان يقول : « تضم الدائرة التى تكون مانىلا مركزها . والتى يبلغ نصف قطرها نحواً من ألف وخمسمائة ميل ، المنطقة الصناعية فى اليابان . وجميع أرجاء كوريا ، وجميع الصين ، والهند الصينية الفرنسية وبورما البريطانية والملايو وجزر الهند الهولندية .. وهكذا تكون الولايات المتحدة قد وضعت نفسها فى المركز الجغرافى لامبراطوريات آسيا الشرقية ، وفى مفارق الطرق الاستراتيجية لحطوط مواصلات هذه الامبراطوريات » (١) .

وتدهور الوضع فى الصين فى عام ١٩٤٤ تدهورا خطيرا . ونجم هذا عن الحكم الكريه لشيان كاي شيك ، وعن الامتهان البالغ من جانب الكومنتانج لمصالح الشعب والبلاد . ووصف الجنرال الأمريكى ستيلويل الذى عين رئيسا لأركان حرب جيوش تشيان كاي شيك ، حكم الكومنتانج ، بأنه مزيج من « الفساد والاهمال والقوضى والبخل والضرائب والأقوال والأفعال والابتزاز والاستغلال والأسواق السوداء والاتجار مع العدو » (٢)

(١) وولتر ليبمان فى كتابه « سياسه الولايات المتحدة الخارجيه درع الجمهورية » نوسطن ١٩٤٣ . ص ٢٤ .

(٢) جوزيف ستيلويل فى كتابه « أوراق ستيلويل » من برناب واعداد تودور وايت . نيويورك - ويليام سلون ١٩٤٨ . ص ٣١٦ .

وتحدث ستيلويل عن تشيان كاي شيك نفسه الذى أسماه « حبة الفول السودانى » فقال : « تعرف حبة الفول السودانى وحدها ، كل ما يحدث حولها فوراً ، ولا شك فى أن البلاد من الاتساع بحيث تعجز عن السيطرة عليها بنفسه . ولا شك فى أن تشيان عنيد وجاهل ، ولا يعرف التسامح وحرون ، ومستبد برأيه ، وغير منطقي ، وغير معقول ، ولا يعرف الاعتراف بالجميل » (١) ولكن هذه الصفات هى التى ساعدت الاحتكارات الأمريكية على تحقيق أهدافها .

وأدت سياسات الكومنتانج الداخلية المرتكزة على عيوب النهب والفساد والرشاوى الى وفوع مجاعات رهيبية فى مقاطعات كوانتونج وهونان وشيكيانج فى عامى ١٩٤٢ و ١٩٤٣ . ولكن هذه المجاعات لم تحل بين سلطات الكومنتانج وبين المضى فى عملياتها فى المصادرة الجماعية لما يملكه الأهليون . وفوبلت هذه العمليات بمقاومة من الأهليين الجائعين ، تولت السلطات اخضاعها بقوة السلاح . وكانت قوات الكومنتانج - باطلاق النيران - دون انتقال الجياح من الناس الى المقاطعات المجاورة . وكان ضباط الكومنتانج يسرقون ما يملكه الجنود الذين يعانون سوء التغذية ورداءة الثياب ، وسوء العناية الصحية والاهمال .

وبالرغم من الروابط الوثيقة التى كانت تشد تشيان كاي شيك الى عجلة الاحتكاريين الأمريكيين ، الا أن وجهات نظره السياسية كانت تميل الى الكتلة الفاشية . ويقول ستيلويل : ان كاي شيك كان يؤثر « فوز ألمانيا فى الحرب على أن يرى روسيا القوية تقف على عتبات بابه » (٢) . ولم تكن قواته مهتمة بمحاربة اليابان ، اذ أن القيادة الأمريكية كانت قد نصحته بأن يوفر قواته لحوض الحرب الأهلية الحتمية . ويقول ايلدريدج : ان خطط الكومنتانج الاستراتيجية كانت تهدف الى « تعبئة أكثر مايمكن من القوى البشرية والمعدات الحربية المتيسرة لاستخدامها ضد الشيوعيين وغيرهم من القوى الخارجة على الكومنتانج ، بعد أن تكون الولايات المتحدة قد حققت فوزها فى المحيط الهادى » (٣) .

وقررت القيادة اليابانية الافادة الى أقصى حد ممكن من موقف تشيان كاي شيك ، لتشن هجوما ضخما فى الصين فى عام ١٩٤٤ . وكان الهدف من هذا الهجوم ، اقامة مؤخرة ضخمة لليابان فى الصين ، تشن منها

(١) نفس المصدر ص ٢١٥ .

(٢) نفس المصدر ص ١٢٥ .

(٣) فريد ايلدريدج . نفس المصدر . ص ١٤٥ .

حرباً طويلة مضيئة حتى ولو خسرت المناطق التي تحتلها في المحيط الهادئ . وشرع اليابانيون في هجومهم في صيف عام ١٩٤٤ في هونان وعلى طول سكة حديد كانتون - هانكاو ، وتمكنوا من الاستيلاء على مقاطعة هونان ، كما وسعوا المنطقة التي يسيطرون عليها في أواسط الصين .

وأقام اليابانيون جبهة واحدة متصلة من بكين عبر كويلين إلى كوانجشوان بعد أن استولوا على السكة الحديدية الرئيسية في الشمال الغربي . وهكذا تم عزل القسم الساحلي الذي يضم نحواً من مائة مليون من السكان عن القسم الداخلي في البلاد . وفقدت حكومة الكومنتانج سيطرتها على الكثير من مصادر المواد الأولية والغذائية وعلى معظم المناطق الصناعية ، ولم يبق لديها أكثر من مائة ميل من السكك الحديدية . وفقدت القوات الصينية أكثر من مليون رجل بين قتيل وجريح وأسير ، وإن كانت الحسارة الكبرى قد تمثلت في أولئك الذين ألقوا سلاحهم ، وفروا في حالة من الاضطراب والفوضى أمام اليابانيين أو أولئك الذين تم عزلهم في المناطق المحاصرة . وشهدت هذه الأيام عدداً من قادة الكومنتانج ، يغيرون أزياءهم وينضمون إلى صفوف اليابانيين .

ولكن بالرغم من هذه الانتصارات اليابانية العظيمة في الصين ، فإن الانتصارات السوفياتية الضخمة في أوروبا التي قربت هزيمة القوات الفاشية النهائية، حالت بين الكومنتانج وبين الاستسلام النهائي للعسكريين اليابانيين . ولا شك في أن معارضة الولايات المتحدة وبريطانيا لمثل هذا الاستسلام قد تركت أثراً كبيراً في تحول الصورة أيضاً .

واستغلت الامبريالية الأمريكية المناعب التي واجهتها حكومة الكومنتانج الصينية ، وقام هنري والاس نائب رئيس جمهورية أمريكا بزيارة الصين في صيف عام ١٩٤٤ ، كما وصلت إليها في خريف العام نفسه بعثة خاصة من الاحتكاريين الأمريكيين « برياسة » دونالد نيلسون رئيس مجلس الانتاج الحربى لدراسة الاقتصاد الصينى . وأدت هاتان الزيارتان الى مفاوضات مهمة بين الولايات المتحدة وبين الكومنتانج ، ليضمن الأمريكيون بعض المراكز المهمة في الاقتصاد الصينى . وتم الوصول في عام ١٩٤٤ الى سلسلة من الاتفاقات التي تعطى كبار رجال المال والاحتكار في الولايات المتحدة ، مطلق الحرية في استغلال الصين ، وتم التوقيع عليها في عام ١٩٤٥ .

وأفاد جيش تحرير الشعب الصينى من التحول المهم في طوابع الحرب ، الذى حققته الانتصارات السوفياتية الضخمة . وفى الوقت الذى

كانت قوات تشيان كاي شيك تترنح متراجعة تحت وطأة ضربات الهجوم الياباني ، مخلفة وراءها للعدو مناطق فى منتهى الأهمية ، كان جيش تحرير الشعب الصينى ، يواصل تقدمه بنجاح ، وان كان عليه أن يضطر مع قوات العدوان الصلبة المخنارة • وتمكن جيش التحرير الذى يقوده الحزب الشيوعى من تحرير نحو من ٢٤ مدينة وثلاثة عشر ألف بلدة وقرية كبيرة فى غضون عام ١٩٤٤ • وبلغت مساحة المناطق المحررة ٨٥٩ ألف كيلومتر مربع يسكنها نحو من ٩٥ مليونا من الناس •

وأدى نزاييد مكانة جيش التحرير بعد الانتصارات التى حققها فى الحرب ضد اليابان ، الى تغيير كاي شيك لحطته ومواقفه ضد الشيوعيين • وأوصت القيادة الأمريكية أيضا بوجود هذا التبدل • وكانت الغاية وراء هذا التبدل ، تحويل وطأة الحرب ضد اليابان الى حرب ضد جيش الشعب ، لاضعاف القوى الديمقراطية فى الصين •

وأوصى الحزب الشيوعى الصينى الذى أدرك سر المخططات الامبريالية فى المفاوضات التى جرت مع تشيان كاي شيك فى سياتن فى مطلع شهر مايو من عام ١٩٤٤ ، بأن يتوقف الكومنتانج عن اثاره « الصدامات » المسلحة مع جيش تحرير الشعب ، وأن يوافق على تشكيل حكومة ائتلافية ديمقراطية ، تقوم بحل كافة القضايا السياسية الملحة بشكل معقول وعادل •

واستقبل الشعب الصينى هذه الاقتراحات التى عرف بها ، بحماسة منقطعة النظر فى أرجاء الصين كلها ، ولكن حكومة الكومنتانج ، ظلت نهرب من بحث القضية ، وراحت تطالب بحل الحكومات الشعبية فى المناطق المحررة ، وبخفض عدد القوات العاملة فى جيش تحرير الشعب • وكان من الطبيعى أن يرفض الحزب الشيوعى الصينى هذه الاقتراحات كلها •

- ٢ -

لم تؤثر العملية الحربية التى وقعت فى بورما والفلبين على وضع اليابان العسكرى بصورة عامة الا تأثيرا طفيفا • فقد ظلت جيوشها البرية سليمة لم تمس • وقد يكون صحيحا أن الأسطول اليابانى قد أضعف اضعافا شديدا ، ولكن هذا الأسطول لم يكن يمثل عاملا حاسما فى نتيجة الحرب • وعندما وقعت حركات النزول الأمريكية فى الفيلبين فى خريف

عام ١٩٤٤ ، دارت أعظم معارك الحرب البحرية فى المياه القريبة من الجزر . وحاول الأسطول اليابانى مهاجمة القوات البحرية الأمريكية التى كانت تتولى عملية تغطية حركات النزول الأمريكية ، وأسفرت المعارك عن خسائر بالغة نزلت باليابانيين، فقد خسروا أربع بوارج، وثلاث حاملات للطائرات، وثلاث ناقلات خفيفة ، وناقلة حراسة واحدة ، وأربعة عشر طرادا واثنتين وثلاثين مدمرة ، واحدى عشرة غواصة . وبلغت خسائر الأمريكين ناقلة خفيفة وثلاث ناقلات حراسة وست مدمرات حراسة ، وسفينة نقل وسبع غواصات . ولكن هذه المعركة البحرية لم تكن حاسمة أيضا ، وان أعطت الولايات المتحدة ، الفرصة لاستكمال عملياتها فى الفلبين دون أية عقبات أو مضايقات من ناحية البحر قبل نهاية شهر ابريل من عام ١٩٤٥ . واهتبلت الحكومة البريطانية الفرصة المواتية ، وراحت تهاجم اليابانيين فى اندونيسيا ، معتمدة على مساعدة الولايات المتحدة . وكانت هذه العملية أيضا ، ذات طابع استعمارى واضح .

وأخذت الغارات الجوية الأمريكية على المدن اليابانية تتسع نطاقا فى خريف عام ١٩٤٤ ، ثم أصبحت غارات ضخمة وهائلة فى ربيع عام ١٩٤٥ . وتعرضت ست وستون مدينة يابانية لهذه الغارات التى بلغ ما سقط عليها من القنابل نحواً من مائة ألف طن . (١) ولكن هذه الغارات لم تختلف فى طبيعتها عن الغارات البريطانية والأمريكية على المدن الألمانية . فقد كانت الطائرات المغيرة ، تتجاهل الأهداف العسكرية وتصب حممها على الأحياء والمناطق المأهولة باليابانيين المساكين دون رحمة أو اشفاق . ويقول تقرير للحكومة اليابانية : ان هذه الغارات هدمت ٢٢٠٠٠ مسكن ، وأدت الى مقتل ٢٦٠ ألف شخص والى اصابة ٤١٢ ألفا بجراح .

ولم تقم الطائرات الأمريكية والبريطانية بأية غارات على الأهداف العسكرية والصناعية فى منشوريا الى أن اشترك الاتحاد السوفياتى فى الحرب . ولم تشرع هذه الطائرات فى قصف الأهداف المنشورية دون رحمة أو اشفاق الا بعد أن أعلن الاتحاد السوفياتى الحرب على اليابانيين ، وبعد أن زحف الجيش السوفياتى على منشوريا .

وكان النزول الأمريكى فى جزر أوكيناوا فى الخامس والعشرين من

(١) هالت ابند فى كتابه « ميثاق المحيط الهادى - مصيرنا فى آسا » نيويورك ١٩٤٣ ص ٥٠ .

ابريل من عام ١٩٤٥ ، آخر العمليات الحربية التى قامت بها القوات الأمريكية فى المحيط الهادى . وكانت الحامية اليابانية فى هذه الجزر ، تعد ثمانين ألفا من الجنود . وقامت القيادة الأمريكية بانزال ٨٦٦ ر ٤٥١ جنديا فى هذه الجزر ، حيث استمر القتال حتى الواحد والعشرين من يونيو من نفس العام . وتوقفت الحكومة الأمريكية بعد ذلك عن كل عمل عسكرى فى المحيط الهادى . فلم تكن الأوساط الحاكمة فى الولايات المتحدة ، راغبة فى ازالة مراكز العدوان والفاشية فى اليابان . وكان كل ما تهدف اليه هذه الاوساط . بالاشتراك مع الاوساط البريطانية ازالة خطر المنافسة اليابانية ، والسيطرة على الصين وبحار الجنوب وكانت هذه الاهداف هى التى رسمت الخطط الاستراتيجية فى مسرح المحيط الهادى .

ومثلت هزيمة ألمانيا واستسلامها ، ضربة قاصمة مدمرة للامبريالية اليابانية . وكانت خطة اليابان الحربية ترتكز الى افتراض انتصار الألمان فى أوربا . وكان ثمة ارتباط وثيق بين المعتدين الألمان واليابانيين فى خطط الفتح والغزو المشتركة ، وان ظلت ألمانيا تمثل القوة الرئيسية فى الكتلة الفاشية الألمانية-اليابانية . وهكذا اعتمد اليابانيون فى انتصاراتهم وهزائمهم ، على انتصارات ألمانيا وخسائرها .

وكانت هزيمة ألمانيا الهتلرية العامل الرئيسى فى هزيمة اليابان ، ومثل استسلام ألمانيا القدر الحتمى الذى نزل بخطط الامبرياليين اليابانيين العدوانية ، وان قررت الحكومة اليابانية مواصلة الحرب .

واستندت اليابان فى قرارها ، على « مضامين » السياسات الأمريكية واليابانية . فقد تصورت اليابان أن هذه السياسات تفسح المجال لها ، لاجراء كثير من المناورات ، وعقد الكثير من الصفقات . واعتقدت أن فى امكانها أن تواصل السير بالحرب أمدا طويلا ، تبحث ابانه عن السبل والوسائل لعقد صفقة ضد الاتحاد السوفياتى مع خصومه من الامبرياليين الغربيين .

ولم تكن القوات البرية اليابانية ، قد منيت الا بخسائر تافهة فى حملة المحيط الهادى . وكان جيش كوانتونج اليابانى فى منشوريا أقوى شطر من القوات اليابانية ، وكان سليما لم يمس وعلى استعداد للشروع فى العمل .

ولم يكن الاقتصاد اليابانى قد منى بخسائر فادحة فى الحرب ، اذ كان الانتاج الحربى فى اليابان نفسها لايزال مرتفعا للغاية . وكانت

الصناعات المنشورية التي تمثل قاعدة اقتصادية وعسكرية مهمة
للامبريالية اليابانية قد واصلت مضاعفة انتاجها . فقد ارتفع انتاج الفحم
فى منشوريا بنسبة مائة وخمسين فى المائة على ما كان عليه فى عام ١٩٣٥ ،
كما ارتفع انتاج الحديد بنسبة ٦٠٠ فى المائة . وتم انشاء مجموعة من
المصانع الحربية فى مدينة مكدن تضم أكثر من خمسين ألف عامل . وكانت
هناك مصانع حربية فى أنتونج ولياديانج وفوشون وغيرها من المدن .
وقام عدد كبير من رجال الصناعة اليابانية فى عامى ١٩٤٤ و ١٩٤٥ بنقل
مصانعهم من اليابان الى منشوريا ، رغبة منهم فى تجنب الغارات الجوية .
وأنشأت اليابان أيضا صناعات حربية فى كوريا التى نقلت اليها عددا من
مصانع اليابان نفسها .

وتوقعت الحكومتان : الأمريكية والبريطانية أن تطول الحرب مع
اليابان عدة شهور بل وسنوات أخرى ، بعد أن تبيننا أن مواردها لم
تنضب بعد .

ووضعت هيئة أركات الحرب الأمريكية خطة عسكرية تفضى بانزال
القوات الأمريكية فى جزيرة كيومو ، وهى أقصى جزر اليابان الى الجنوب
فى أواخر عام ١٩٤٥ وأن يتم النزول فى منطقة طوكيو - يوكوهاما فى
عام ١٩٤٦ . ولعل ما هو أهم من هذا أن الخطة تضمنت نحفظا بأن هذه
المواعيد قد نؤجل أيضا . وكان الرأى السائد فى وزارة الحرب الأمريكية
أن « اليابان لن تقهر قبل عام ١٩٤٧ أو عام ١٩٤٨ » (١) وصدر عن
مكتب الاسعلامات الحربى الأمريكى الاعتراف التالى : « اننا لم نقم بعد
بأكثر من مجرد خدوش بسيطة فى عملية تحطيم قوة اليابان على
المقاومة » .

وذكر هذا التقرير أن لدى اليابان جيشا يضم أربعة ملايين رجل ، وأن
هناك نحو من مليونين آخرين جاهزين للخدمة العسكرية ، وأن هناك
مليون ونصف المليون من الرجال ، يمكن تجنيدهم كذلك » (٢) .

ولم يكن تشرشل نفسه وانفا تمام الثقة من أن فى الامكان هزم
اليابان . فقد ذكر أن العمليات التى وضعت الولايات المتحدة وبريطانيا
خطتها ضد اليابان « تنطوي على جهد لم يسبق له مسيل من قبل فى
أوربا ، وأن ليس فى وسع أى انسان تقدير ما تتطلبه هذه العمليات من

(١) فريد ايلدريدج - نفس المصدر - ص ١٣٦ .

(٢) عدد السويورك نايمز فى ٢٨ سبتمبر ١٩٤٤ .

تضحيات فى أرواح الأمريكين والبريطانيين ومواردهم • وليس فى وسع أحد أن يعرف المدى الذى ستستمر فيه المقاومة اليابانية فى عدد من المناطق التى سبق لليابان احتلالها بل وفى اليابان نفسها أيضا « (١) •

وأعد حكام الولايات المتحدة تحت ستار الحرب ضد اليابان ، خطة شاملة لغزو الصين كلها ، هادفين منها الى احتلال البلاد واخضاعها لارادتهم سياسيا وعسكريا وتبين أن الخطر الذى يهدد شعب الصين كبير وبالغ • وراح ممثلو الولايات المتحدة ذوو المهمات الخاصة ، يمهدون الجو فى الصين لتحقيق هذا الهدف • فقد كان هناك الجنرال باتريك هيرلى ، سفير الولايات المتحدة فى الصين وممثل الرئيس الشخصى ، والجنرال ألبرت ويدماير قائد القوات الأمريكية فى الصين •

وكان الامبرياليون الأمريكيون على علم بأن جيش تحرير الشعب الصينى يؤلف عقبة كأداء ذات أبعاد كبيرة فى طريق سياساتهم الرامية الى فرض سيطرتهم على البلاد • وكانوا يطالبون تشيان كاي شيك باتخاذ اجراءات صارمة ضد مناطق الصين المحررة • وراح هذا تنفيذا لتعليماتهم بشن هجوما ضخما فى شهر يونيو من عام ١٩٤٥ على جيشى الشعب الصينى الرابع والثامن ، وعلى وحدات الانصار فى مقاطعات هنيان وهونان وشيكيانج وفوكين وكوانجتونج وغيرها • وراحت قوات الكومنتانج فى شهر يوليو من عام ١٩٤٥ ، بعد أن تزودت من جديد بالسلاح من الأمريكين نشرع فى عمليات كبيرة ضد المناطق المحررة فى شينسى وكانسو نينجسيا • ولم تكن هذه العمليات فى الواقع الا اخبارا واضحا للقوى فى أية حرب أهلية جديدة •

وتمكن جيش الشعب الصينى من صد هجمات الكومنتانج • ولكن كاي شيك لم يتعظ بما حدث ، فراح يعد العدة لهجوم جديد أكثر طموحا ضد المناطق المتحررة فى الصين ، عملا بنصيحة هيربى ، وبدعم مالى من الولايات المتحدة •

وعلى ضوء هذه الاحداث • فقد كان دخول الاتحاد السوفياتى المتوقع فى الحرب ضد اليابان حادثا دوليا ذا أهمية كبرى • وكانت الحكومتان : البريطانية والامريكية اللتان خططتا لاضعاف الاتحاد السوفياتى عن طريق اليابان ، ترقبان هذه التطورات بفزع ظاهر • وباب

(١) المناقشات البرلمانية - السلسلة الخامسة - المجلد ٤١٣ • ومجلس العموم - المجلد الاول لدورة ١٩٤٥ - ١٩٤٦ - لندن ١٩٤٥ • ص ٧٧ •

من المشكوك فيه بعد الانتصارات السوفياتية العظيمة في أوروبا ، أن يطول أمد الحرب ضد اليابان في الشرق الأقصى . ولهذا فقد بذلت الدوائر الحاكمة في بريطانيا والولايات المتحدة جهودها لتحويل الرأي العام العالمي عن اشتراك الاتحاد السوفياتي في الحرب ضد اليابان ، وللتقليل من أهمية العمليات السوفياتية وأثرها ، والاستهانة بدور السوفيات في هزيمة اليابان . وكتب توماس كى فاينليتر وزير الطيران الأمريكي في عدد الخامس من يوليو من عام ١٩٤٦ من مجلة «ساتردى ريفيو أوف ليتريچور» يقول : ان الهدف من القنبلة الذرية كان اخراج اليابان من الحرب قبل أن تشترك روسيا فيها ، أو قبل أن يتوافر لها الوقت لظهور اسهامها فيها .

ولعل هذا كان الدافع الى توقيت الحكومة الامريكية لنفجيراتهما النووية مع دخول الاتحاد السوفياتي في حرب المحيط الهادى . وكانت هناك تعليمات واضحة في هذا الصدد وجهت الى المؤسسات الامريكية العاملة في تطوير السلاح الذرى . وحدد اليوم العاشر من شهر أغسطس بقرىبا على أنه ساعة الصفر السرية ، وكان من المفروض على العاملين في النواحي التقنية في السلاح أن يستكملوا أعمالهم قبل هذا الموعد ، مهما كان الزمن ، ومهما كانت المخاطر ، والنفقات . (١) وتم استنزاف جميع المخزونات اللازمة من مواد التفجير في جميع المختبرات والمؤسسات ، أى من الاورانيوم في القنبلة الأولى التي أُلقيت على هيروشيما ومن البلوتونيوم في القنبلة الثانية التي أُلقيت على ناجازاكي . (٢)

ولم تكن هناك ضرورات عسكرية ملحة تفرض استخدام القنبلة الذرية . وكتب الاميرال ليهي يقول : « في رأيي أن استخدام هذا السلاح الوحشى الرهيب ضد هيروشيما وناجازاكي ، لم يؤد الى أى نفع مادي في حربنا مع اليابان » (٣) .

ولكن سياسة « التلويح بالعصى الكبيرة » وهى السياسة الامريكية القديمة ، كانت قد اختفت في هذه الآونة ، لتحل محلها سياسة «دبلوماسية الذرة» ، وهى السياسة التي توقعت الامبريالية الامريكية اخضاع العالم لمشيئاتها « بواسطتها » . وكانت الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة .

(١) راجع الوثائق اليابانه الرسميه - العدد ١٣ - ١٩٣٠ . ص ٣٢ .

(٢) رالف اى . لاب في كتابه « القوة الجديدة - قصة الذرة والناس » - نيويورك ١٩٥٣ ص ٤٧ - ٤٨ .

(٣) ويليام ليهي - نفس المصدر - ص ٤٤١ .

وقد أدركت أهمية الدور الذي يملئه الاتحاد السوفياتي كحام للسلام والديمقراطية واستقلال الشعوب ، قد عقدت عزمها على التقليل من أهميته ومن مواقفه الدولية . وكتب بى . ام . اس . بلاكيت عالم الطبيعة البريطاني يقول : « وفى وسعنا أن نستنتج أن القاء القنابل الذرية ، لم يكن آخر عمل عسكري من أعمال الحرب العالمية الذاتية ، وانما مثل أولى العمليات الرئيسية فى الحرب الدبلوماسية الباردة مع روسيا » . (١)

ولم تهدف الحكومة الامريكية ، انسجاما منها مع أساليبها المعهودة من استخدام القنابل الذرية الى تدمير الاهداف العسكرية ، اذ أنها قذفتها على المدنيين من الناس فى مدينتين يابانيتين كبيرتين ومأهولتين بالناس . وهكذا تم القاء القنبلة الذرية الاولى فى السادس من أغسطس على ملاجئ الأطفال اليابانيين فى هيروشيما ، وهى غاصة بأولئك الذين أجلوا عن طوكيو . ولم يكن هذا وليد « صدفة » عارضة ، أو خطأ فى الحساب ، اذ كان الهدف بالفعل تدمير الجسر المشيد من الأسمنت المسلح بين هذه الملاجئ . وهكذا أظهرت الدوائر الامريكية الحاكمة امتهاننا لمبادئ القانون الدولى المقررة والأولية واستخفافا بأعراف الحرب والقواعد الانسانية .

ومثل السخط المتفجر الذى سيطر على العالم بأسره بعد هذه القنبلة نكسة معنوية سياسية ضخمة للامبريالية الامريكية . وكتب هانسون بلدوين المعلق العسكري لصحيفة « نيويورك تايمز » يسجل هذه الحقيقة بقوله : « كلفنا استعمال القنبلة الذرية والحالة هذه - غالبا . وقد دمغنا أمام العالم بأننا من الوحوش » . (٢) وليس غريبا والحالة هذه اذا كان عدد من الذين اشتركوا فى اتخاذ القرار باستعمال القنبلة الذرية ضد المدن اليابانية ، قد حاول التنصل فيما بعد من المسئولية ، واستنكر الجريمة التى يعتبر مسئولا عنها الى حد ما . فقد كتب الاميرال ليهى على سبيل المثال يقول : « اننى أحس بأننا وقد كنا الأوائل فى استعمال القنبلة الذرية ، قد اتخذنا موقفا خلقيا يضعنا فى مصاف برابرة القرون الوسطى . . . ولا شك فى أن هذه الأدوات الحديثة والرهيبية فى الحرب اللا متحضرة تمثل طرازا جديدا من الوحشية لا يتفق مع المسيحية » (٣) .

(١) بى . ام . اس . بلاكيت . . . فى كتابه « السائح العسكري والساسه للطاقة النووية » . ص ١٢٧ .

(٢) هانسون بلدوين « الاحطاء الكبرى فى الحرب » - لندن ١٩٤٩ . ص ٩٩ .

(٣) ويليام ليهى . نفس المصدر - ص ٤٤١ .

ويؤكد المؤرخون اليابانيون أن (٢٤٧) ألف انسان قضاوا نحبهم فى هيروشيما وأن نحوا من مائتى ألف قتلوا أو أصيبوا فى ناجازاكي .

وهكذا راحت الحكومة الامريكية تلقى قنابلها الذرية على اليابان فى الوقت الذى استكمل فيه الجيش السوفياتى اعداداته لمهاجمة اليابان ، لتحميل هذا السلاح الجديد ، مهمة تحقيق النصر . لكن استخدام السلاح الذرى لم يترك فى الواقع أى أثر عسكرى .

وكتب تشرشل يقول : « وفد يكون من الخطأ القول بأن القنبلة الذرية هى التى قررت مصير اليابان » (١) . وكتب بلدوين أيضا يقول . « لم يتأثر سعب اليابان وقادتها بالقنبلة الذرية قدر تأثرنا نحن بها » (٢) وراحت الصحف والاذاعات الامريكية تردد هتافات الساسة الامريكين ، وتحاول القاء الذعر فى العالم ، وارهابه بالأسلحة الذرية وراح المنطرفون يطالبون باخضاع جميع الشعوب والبلاد لمسيئة الولايات المتحدة وارادتها . وأخذوا يرفعون شعار « الدولة العالمية » التى يتوخون فرض السيطرة الامريكية عن طريقها .

- ٣ -

واصلت الحكومة اليابانية وباصرار بالرغم من هزيمة ألمانيا ، وما نشأ عنها من تدهور فى موقف اليابان الدولى ، سياستها الاستفزازية المناوئة للاتحاد السوفياتى . وكانت اليابان لانزال تقدم طيلة أيام الحرب جميع أنواع المساعدات الممكنة لحليفها ألمانيا ، وبينها اجبار الاتحاد السوفياتى على الانشغال بشئون الشرق الأقصى نتيجة حشد القوات اليابانية على الحدود السوفياتية المنشورية . ولقد شكر رينبتروب اليابان على مساعدتها هذه ، وبين فى شكره أن روسيا كانت مضطرة على الأقل الى الابقاء على بعض قواتها فى شرق سيبيريا ، وقاية لنفسها من أى نزاع عسكرى مع اليابان . (٣)

وكانت العقبات التى تضعها اليابان فى طريق الملاحة السوفياتية ، تمنل بندا آخر من بنود العون الذى تقدمه الى ألمانيا . فقد أوقفت القوات

(١) تشرشل - نفس المصدر . المجلد السادس . ص ٥٥٩ .

(٢) هاسون بلدوين - نفس المصدر - ص ٩٢ .

(٣) عدد المرافدا فى ٢٠ فبراير ١٩٤٨ .

البحرية اليابانية بين عامي ١٩٤١ و ١٩٤٤ نحو من ١٧٨ سفينة سوفياتية تجارية ، بعد أن استعملت السلاح « ضد بعضها » . وواصلت اليابان تزويد ألمانيا بالمواد الأولية الاستراتيجية التي كانت تحملها الغواصات الى أوروبا ، وبينها بالطبع المطاط ، والصفائح والكيماويات والتونجستين .

وكانت الحكومة اليابانية طيلة أيام الحرب تستخدم موظفيها الدبلوماسيين في الاتحاد السوفياتي في أعمال التجسس وجمع المعلومات لها ولألمانيا ، وكان جهاز المخابرات الياباني يهتم بالغ الاهتمام بأوضاع القوات السوفياتية المسلحة والصناعة السوفياتية .

وهكذا بينما كان الجيش السوفياتي يواجه ساعاته العسيرة وبخوض معركة واحدة ضخمة مع ألمانيا الفاشية ، كانت السياسة الامبريالية اليابانية تنقض نقضا فاضحا شروط المعاهدة السوفياتية - اليابانية التي وقعت في الثالث عشر من أبريل من عام ١٩٤١ ، والتي نصت على التزام سياسة الحياد وكان هذا الموقف سببا في أن يعلن الاتحاد السوفياتي نقضه للمعاهدة في الخامس من أبريل من عام ١٩٤٥ .

وحاولت الحكومة اليابانية رغبة منها في كسب الوقت ، القيام بعملية دبلوماسية ماهرة للتفريق بين الحلفاء . ففي أواسط شهر يوليو من عام ١٩٤٥ ، اقترحت على الاتحاد السوفياتي أن يقوم بدور الوسيط بينها وبين الولايات المتحدة وبريطانيا ، ورفض الاتحاد السوفياتي هذا الاقتراح وأبلغ الحكومتين الأمريكية والبريطانية فحواه .

وناقش الوفدان البريطاني والأمريكي في مؤتمر بوتسدام موضوع اليابان . وكانت مكانة الاتحاد السوفياتي في تلك الآونة قد تضخمت الى حد كبير . وكانت الحركات الشعبية في أوروبا وآسيا قد تزايدت وحنّت خطاها . ولا شك في أن هذين العاملين أثرا على نص البلاغ الذي صدر عن المؤتمر بدعوة اليابان الى الاستسلام . ونشر هذا البلاغ الذي وقعته الولايات المتحدة وبريطانيا والصين في السادس والعشرين من يوليو من عام ١٩٤٥ ، ولم يكن في وسع الاتحاد السوفياتي أن يوقعه آنذاك ، لأنه لم يكن قد غدا بعد في حالة حرب مع اليابان .

وطلب البلاغ من اليابان أن تستسلم بلا قيد أو شرط على الفور . وأعلنت الحكومة اليابانية في اليوم الثاني أنها ستتجاهل البلاغ وتواصل الحرب حتى النهاية ، تمشيا منها مع سياستها المقررة .

وتضمن بلاغ بوتسدام أيضا المبادئ السياسية العامة التي ستفرض

على اليابان المهزومة ، وكانت على النحو التالى : « يجب أن يزول الى الأبد نفوذ أولئك الذين خدعوا شعب اليابان وضلّوه ودفعوه الى محاولة السيطرة على العالم ، وألا تبقى لهم أية سلطة » .

« يجب تنفيذ بنود بيان القاهرة » وأن تنحصر سيادة اليابان فى جزر هونشو وهوكايدو وكيوشو وشيكوكو ، والجزر الصغيرة الأخرى التى تقرر فيما بعد .

« يجب ايقاع العقوبة العادلة بجميع مجرمى الحرب » .

« يجب ازالة جميع العقبات التى تقف فى طريق بعث الاتجاهات الديمقراطية لدى شعب اليابان وتقويتها » ويجب أن تؤكد حرية القول والدين والفكر وكذلك احترام الحقوق الأساسية للانسان .

« سيسمح لليابان بالاحتفاظ بتلك الصناعات التى تقى اقتصادها من الانهيار ، والتى توفر السبل لها لدفع التعويضات المفروضة عليها ، على أن تنتزع منها تلك الصناعات التى تمكنها من اعادة تسليحها لحوض حرب جديدة » .

« سيسمح لأفراد القوات اليابانية المسلحة بعد نزع سلاحهم الكامل بالعودة الى بيوتهم » .

« ستنسحب قوات الحلفاء المحتلة من اليابان بعد تحقيق هذه الأهداف ، وبعد أن تقوم فى البلاد طبقا لمشئة الشعب اليابانى الذى « يعطى » الحرية الكاملة للتعبير عن ارادته ، حكومة مسئولة ، وذات اتجاهات سلمية كاملة وواضحة » (١) .

ولكن الحكومتين : الامريكية والبريطانية ، بالرغم من اصدارهما هذا البرنامج المتفق مع أهداف السلام الديمقراطى الذى ينادى به الاتحاد السوفياتى ، لم تكونا عازمتين حقا على تنفيذه . فلقد ذكر شيمسون وزير حربية الولايات المتحدة ، وهو يتحدث نيابة عن بعض الجماعات فى بلاده أن من الضرورى الحفاظ على « الملكية الدستورية فى اليابان مع بقاء أسرتها المالكة الراهنة » .

وقررت الولايات المتحدة أن تقوم باحتلال اليابان بمفردها . ولم

(١) التايمز عدد ٢٧ يوليو ١٩٤٥ .

يكن في الامكان حتى بعد اشتراك الاتحاد السوفياتى فى الحرب ضد اليابان ، الحصول على موافقة الولايات المتحدة على سياسة احتلال مشتركة لليابان . ومع ذلك فقد تم الوصول الى تفاهم يقضى بأن يكون استسلام اليابان اللامشروط فى كوريا تحت اشراف القيادتين : السوفياتية والامريكية . ونص هذا التفاهم على أن يكون خط عرض ٣٨ هو الحد المؤقت الفاصل بين منطقتى الاحتلال ، الأمريكية والسوفياتية ، بحيث تستقر القوات السوفياتية الى الشمال منه ، والقوات الامريكية الى جنوبه .

وسلم الاتحاد السوفياتى فى الثامن من أغسطس من عام ١٩٤٥ مذكرة الى الحكومة اليابانية جاء فيها : ان « اليابان أصبحت بعد استسلام ألمانيا الهتلرية وهزيمتها ، الدولة الكبرى الوحيدة التى ما زالت مصممة على الاستمرار فى الحرب » . وأضافت المذكرة السوفياتية أن الحكومة السوفياتية متلهفة على التعجيل باحلال السلام ، وانقاذ الشعوب من مزيد من التضحيات والمتاعب ، وتمكين الشعب اليابانى من تجنب الأخطار وعمليات التخريب التى حلت بألمانيا بعد رفضها الاستسلام اللامشروط ، وأعلنت الحكومة السوفياتية ، أنها تنفيذا منها لهذه الرغبة ، وتحقيقا لواجباتها تجاه حليفاتها ، ستصبح فى حالة حرب مع اليابان اعتبارا من التاسع من أغسطس من نفس العام . وهكذا نفذ الاتحاد السوفياتى الالتزام الذى أخذه على عاتقه فى مؤتمر القرم .

وكانت الأهداف التالية هى التى وجهت الاتحاد السوفياتى فى اعلانه الحرب على اليابان . . . « سحق المعتدين اليابانيين وازالة هذه القاعدة الحربية والعدوانية فى الشرق ، وتحرير شعوب آسيا من العبودية اليابانية وضمان مصالح الاتحاد السوفياتى فى الشرق الأقصى ، والحيلولة دون اطالة أمد الحرب فيه ، وتحقيق سلام عالمى قريب » . وكانت هذه الأهداف منسجمة مع مصالح الشعوب ، ولذا فقد قوبلت بالحماسة والتأييد على الصعيد العالمى .

وأعلنت حكومة الشعب المغولى فى العاشر من أغسطس الحرب على اليابان ، وتعاون جيشها مع الجيش السوفياتى . وشن جيش التحرير الشعبى فى الصين ، وقوات الانصار هناك فى الوقت نفسه هجوما عاما على الغزاة اليابانيين .

ولم يكن المراقبون العسكريون فى الولايات المتحدة وبريطانيا ليصدقوا أن فى وسع الجيش السوفياتى أن يحقق تقدما ملحوظا فى حربه

ضد اليابان • وكتب هانسون بلدوين فى صحيفة النيويورك تايمز يقول:
ان على القوات السوفياتية أن تتغلب على مشاكل المسافات البعيدة ، وعلى
عقبات كأداء ليس من السهولة تذليلها • وكتب الجنرال اش • جى •
مارتن ، المعلق العسكرى لصحيفتى الديلى تلجراف والمورنينج بوست فى
العاشر من أغسطس من عام ١٩٤٥ يقول : « قد تستغرق الحملة ستة أشهر
أو أكثر من ذلك • قبل أن يتمكن الروس من تحقيق نصر حاسم » • ولكن
سرعان ما ثبت خطأ هذه التقديرات كلها • فقد تمكن الجيش السوفياتى
من سحق جيش كوانتونج بضربة قاضية واحدة ، وأجبر اليابان على
الاستسلام •

وسارت العمليات الهجومية فى الشرق الاقصى تحت قيادة المارشال
فاسيليفسكى • وقامت بها قوات من جبهة ترانسبيكال بقيادة المارشال
مالينوفسكى وقوات الجبهة الشرقية الأولى بقيادة المارشال ميريتسكوف
وقوات الجبهة الشرقية الثانية بقيادة الجنرال بوركايف ، ووحدات من
الأسطول السوفياتى فى المحيط الهادى • وكان الهدف الرئيسى تحطيم
القوة الضاربة الرئيسية لليابان الامبريالية والمثلة فى جيش كوانتونج
المنتشر فى منشوريا وكوريا • وكان هذا الجيش يتألف من ثمانية جيوش
برية وجيش جوى يتألف من مجموعات ثلاث • وعهد الى قوات جبهة
ترانسبيكال بالقيام بالمهمة الرئيسية ، فراحت توجه الضربة الرئيسية
فى أقصر مسافة ممكنة وهى شانسونج - ومكدن ، وكان على هذه القوات
أن تعبر أراضى السهوب الصحراوية وسلسلة جبال حينكان الكبرى •
ولم تكن القيادة اليابانية تتوقع الهجوم من تلك الناحية ، اذ اعتمدت على
الجبال كمانع طبيعى قوى •

ووجهت قوات الجبهتين الشرقيتين : الأولى والثانية ضرباتها عند
جيرين وخاربيى ، هادفة الى فصل التشكيلات اليابانية « عن بعضها » ،
واغلاق طريق انسحاب جيش كوانتونج الى كوريا • وتمكنت هذه القوات
من تحقيق أهدافها بالتعاون مع أسطول المحيط الهادى •

وكانت القيادة اليابانية قد حاولت بعد استسلام ألمانيا تقدير الموعد
المحتمل لشرع الاتحاد السوفياتى فى عملياته فى الشرق الأقصى • وخيل
اليها أن ربيع عام ١٩٤٦ ، هو الموعد المحتمل لمثل هذا التطور • ولعل هذا
التقدير الخاطيء هو الذى جعل اليابانيين يفاجئون مفاجأة كاملة بالهجوم
السوفياتى الذى بدأ فى أغسطس من عام ١٩٤٥ •

وشرع الجيش السوفياتى فى هجومه فى صباح التاسع من أغسطس من عام ١٩٤٥ على طول الجبهة • وقام الأسطول السوفياتى فى المحيط الهادى ، بقطع خطوط تموين جيش كوانتونج البحرية • وراحت الطائرات البحرية السوفياتية تقصف القواعد البحرية اليابانية فى كوريا الشمالية •

وتمكنت قوات الجبهة الشرقية الاولى ، فى غضون الأيام الستة الأولى من القتال من اختراق خطوط الدفاع اليابانية ، وسحق مقاومة العدو على طول حدود منشوريا الشرقية • وتمكنت قبل الرابع عشر من أغسطس من التقدم مسافة ١٧٠ كيلو مترا داخل منشوريا ، ومن قطع اتصال جيش كوانتونج بكوريا • وكانت قوات الجبهة الشرقية الثانية فى الوقت نفسه قد اخترقت حصون اليابانيين الدائمة ، وعبرت سلسلة جبال خينكان الصغرى وتقدمت مسافة ١٢٠ كيلو مترا مقتربة من خاربين وتسينسيهار • أما قوات جبهة ترانسبيكال ، فقد تمكنت بالتعاون مع الجيش المغولى من عبور سلسلة جبال خينكان العظمى ، والتقدم فى الاتجاه الاستراتيجى الرئيسى • وظهرت القوات السوفياتية الآلية ، فى مؤخرة قوات جيش كوانتونج ، اذ تقدمت مسافة خمسمائة كيلو متر فى غضون ستة أيام • وهكذا تم تقطيع أوصال جيش كوانتونج ، وتجزئته فى قطاعات متفرقة ومعزولة •

وكان حكام اليابان فى اليوم الذى شرع فيه الجيش السوفياتى فى عملياته ضد اليابان ، قد جسوا نبض الحكومتين الامريكية والبريطانية ، لعقد صفقة ضد الاتحاد السوفياتى • ولم يحل مساء التاسع من أغسطس حتى كانت أنباء جبهات القتال فى منشوريا قد وصلت الى طوكيو وأصبح من الواضح أن جيش كوانتونج ، بالرغم من قوته لا يصلح ندا للجيش السوفياتى • وأعلنت الحكومة اليابانية فى الساعة الثالثة من صباح العاشر من أغسطس أنها على استعداد لقبول شروط الاعلان الصادر فى السادس والعشرين من يوليو شريطة ألا تمس هذه الشروط صلاحيات الامبراطور الحاكم المطلق لليابان •

ولم يكن البيان اليابانى الذى سلم الى الدول الأربع فى نفس اليوم أكثر من مناورة بارعة • وفى الوقت الذى أعلن فيه موافقة الحكومة اليابانية على شروط بلاغ مؤتمر بوتسدام ، كان يعنى فى الحقيقة والواقع رفضه للباب هذه الشروط ، وهى مبدأ الاستسلام اللامشروط ، وإزالة الحكم العسكرى الرجعى فى اليابان • وكانت الحكومة اليابانية تتوقع من الحكومتين : الامريكية والبريطانية الترحيب ببيانها • ومن الاتحاد

السوفيياتى رفضه . وكانت بهذا التوقع تحلم فى ايقاع الفرقة فى الحلف المناهض للفاشية .

وكانت الحكومتان : الامريكية والبريطانية على استعداد حقا لقبول اليابان . ولكن الموقف الصامد الذى اتخذه الاتحاد السوفيياتى باصراره على تنفيذ مبادئ بوتسدام كاملة ، أزال كل التعقيدات المتوقعة . وراحت حكومات الاتحاد السوفيياتى والولايات المتحدة وبريطانيا والصين تعلن نى الحادى عشر من أغسطس من عام ١٩٤٥ ، رفضها للعرض اليابانى . وتضمن الرفض الاصرار على الاستسلام اللامشروط من جانب اليابان ، وقبول جميع بنود اعلان بوتسدام ، ووقف المقاومة فورا ، وتسليم السلاح .

وتلقت اليابان الرد فى صباح الثالث عشر من أغسطس . وعقد مجلس الوزراء اليابانى جلسة لبحث هذا الرد استغرقت اليوم بطوله ، وصباح اليوم الذى تلاه . وكانت الأنباء قد وصلت الى طوكيو آنذاك عن الوضع اليائس لجيش كوانتونج ، فقررت الحكومة اليابانية اذاعة بلاغ عام من الامبراطور بالاستسلام المطلق . ولكن الأوامر صدرت الى جيش كوانتونج بمقاومة الجيش السوفيياتى حتى النهاية .

وأبلغت الحكومة اليابانية فى الرابع عشر من أغسطس ، الحكومة الأمريكية ، رغبتها فى قبول بلاغ بوتسدام . وهكذا نشدت ، شأنها فى ذلك شأن النازيين من قبل ، الوصول الى تفاهم مع الدوائر الحاكمة فى بريطانيا والولايات المتحدة ، لتمكينها من الصمود أمام الاتحاد السوفيياتى .

ورحبت الحكومة الأمريكية بقبول اليابان لبلاغ بوتسدام . ولم تمض خمسون دقيقة على وصول هذا البلاغ ، حتى كان الرئيس ترومان يدعو الى مؤتمر صحفى عقد فى البيت الابيض . وأعلن الرئيس الأمريكى أنه يعتبر هذا البيان اليابانى بمثابة استسلام لا مشروط من جانب اليابان ، وأنه أصدر تبعا لذلك أوامره الى قوات الحلفاء المسلحة بوقف اطلاق النار . وأعلن ترومان أيضا ، تعيين الجنرال ماك آرثر قائدا أعلى للحلفاء ، وخوله صلاحية قبول استسلام اليابان .

وأقام ماك آرثر فى اليوم التالى اتصالا لاسلكيا مرسلا ومستقبلا مع اليابان . ودعى وفد عسكري يابانى للمجيء الى مقر قيادة ماك آرثر فى مانىلا .

وأصدر القائد الأمريكى ، فى اليوم نفسه ، أمرا يقضى بوقف اطلاق النار . وسلمت القيادة الأمريكية أمر ماك آرثر الى القيادة السوفيياتية عن

طريق الجنرال دين ، رئيس البعثة العسكرية الامريكية في موسكو .
وكان ماك آرثر يأمل في أن يوقف الاتحاد السوفياتي عملياته العسكرية
ضد اليابان . ولكن هذه العملية الدبلوماسية الغامضة ، لم تحقق النتائج
المرجوة منها ، اذ واصل الجيش السوفياتي عملياته العسكرية .

وكان الهدف من محاوله اقناع الاتحاد السوفياتي بوقف هجومه ،
انفاذ جيش كوانتونج الياباني ، وان كانت هناك أهداف أخرى أبعد مدى
للحكومة الامريكية . ففي الثالث عشر من أغسطس تلقى الاميرال
نيميتز ، قائد القوات البحرية الأمريكية في المحيط الهادى « أمرا من
الرئيس ترومان ، باحتلال ميناء ديرين ، القريب من قاعدة بوررت آربر
اليابانية السابقة في جنوب منشوريا ، قبل وصول القوات الروسية
اليه » (١) . وهبطت قوات المظليين الأمريكيين في السادس عشر من
أغسطس ، في الشمال الغربى من مكدن . ولاشك في أن هذه الحركات
كلها ، أوضحت أن الحكومة الأمريكية كانت ترغب في الاستيلاء على
منشوريا .

واقترحت الحكومة السوفياتية في السادس عشر من أغسطس على
الحكومة الأمريكية ، أن تستسلم القوات اليابانية المسلحة في النصف
الشمالى من هوكايدو الى القوات السوفياتية . ولكن الحكومة الأمريكية
رفضت هذا الطلب المشروع ، وأظهرت من جديد ، تنكرها للمصالح
المشروعة للاتحاد السوفياتي واستخفافها بحقوقه .

وأعلن الرئيس ترومان في مؤتمر صحفى عقده في ذلك اليوم أن
اليابان لن تقسم كالمانيا الى مناطق احتلال ، وأن السلطات الأمريكية وحدها
ستكون المسؤولة عنها (٢) . وطلبت الحكومة الأمريكية في الوقت نفسه
من الاتحاد السوفياتي السماح لها باقامة قواعد جوية في جزر الكوريل .
وأعلن الرئيس ترومان أنه لا يعتبر هذه الجزر أراضى سوفياتية بل أراضى
يابانية . وكان هذا القول في حد ذاته ، محاولة مفضوحة لتعديل قرارات
مؤتمر يالطة التى نصت على إعادة جزر الكوريل الى الاتحاد السوفياتي ،
صاحبها الشرعى .

ورفض الاتحاد السوفياتي تلبية الطلب الأمريكى وأعلن أنه سيسمح

(١) فريدريك سيرمان في كتابه « المصادة الحربية - حاملات الطائرات الامريكة في حرب
المحيط الهادى » - ص ٣٧٦ .

(٢) عدد النيويورك تايمز في ١٧ أغسطس من عام ١٩٤٥ .

للطائرات التجارية الأمريكية فقط باستعمال أحد المطارات السوفياتية في إحدى جزر الكوريل ، شريطة سماح الولايات المتحدة للطائرات التجارية السوفياتية باستخدام أحد المطارات الأمريكية في إحدى جزر اليوشان .

وأخيرا وليس آخرا ، شرع تشيان كاي شيك في السادس عشر من أغسطس ، وبموافقة الولايات المتحدة في إجراء مفاوضات مع الجنرال أوكامور القائد الأعلى للقوات اليابانية في الصين . وقد تركزت هذه المفاوضات على اشتراك القوات اليابانية في العمليات المسلحة ضد جيش تحرير الشعب الصيني وضد القوى الديمقراطية الأخرى في الصين .

وكانت هذه الحركات الأمريكية كلها تؤلف حلقات في سلسلة واحدة . فقد هدف الامبرياليون الأمريكيون إلى احتلال الفراغ الذي أخلاه العسكريون اليابانيون ، وإلى توطيد دعائم سلطتهم في المحيط الهادئ . ووصفت فيرا ميشيلز دين ، مديرة قسم البحوث في الاتحاد الأمريكي للسياسة الخارجية الوضع الأمريكي في المحيط الهادئ بقولها : « حصلت الولايات المتحدة على مواقع استراتيجية في الشرق الأقصى ، تتيح لها إذا ارتبطت بما لنا من تفوق لا مثيل له في الموارد المالية والصناعية ، فرصة أكبر بكثير مما سبق لليابان الحصول عليها ، حتى في ذروة انتصاراتها العسكرية ، لتقرير مصير البر الآسيوي » (١) .

وكانت الامبريالية الأمريكية جد متلهفة أيضا لفرض سيطرتها على بلاد أوروبا ، والافادة إلى أقصى حد ممكن من المتاعب التي كانت تعاني «منها» في نهاية الحرب . ولم تتورع الحكومة الأمريكية ، رغبة منها في تحقيق هذه الغاية عن التمهّل ، لتعلن حتى قبل أن تضع الحرب أوزارها نهائيا ، أي في الواحد والعشرين من أغسطس من عام ١٩٤٥ ، وخلافا للاتفاقات الثنائية المعقودة والقائمة ، انهائها من جانب واحد ، لاتفاقات الاعارة والتأجير . وكان الهدف من هذه الخطوة ، انزال الضرر بالاتحاد السوفياتي وبريطانيا . وقد استثنى هذا الاعلان ، حكومة تشيان كاي شيك ، لأنه كان يعدّ العدة مع الولايات المتحدة الأمريكية لخوض غمار حرب أهلية جديدة في الصين .

وواصلت القوات السوفياتية في منشوريا عمليات التطهير للقضاء على ما تبقى من الجيش الياباني . وتعاونت قوات الجبهة الشرقية الأولى مع

(١) فيرا دين في كتابها « مستقبل أمريكا في المحيط الهادئ » - نيويورك ١٩٤٧ . ص ٢٣٢ .

جماعات من الجنود أنزلتهم قطعات الأسطول السوفياتى فى المحيط الهادى فى تحرير كوريا الشمالية . وتم الاستيلاء بسرعة على الفواعد البحرية اليابانية فى كوريا ، كما تم عزل القوة الرئيسية لجيش كوانتونج . ورحب السكان الكوريون ترحيبا حماسيا حارا بالقوات السوفياتية . وتمكنت قوات المناضلين الكوريين العاملة فى الأحراج الجبلية فى الشمال بقيادة كيم الى سونج من هزم القوات اليابانية المسلحة وتحرير كوريا الشمالية .

وراح اليابانيون فى السادس عشر من أغسطس يشنون هجوما مضادا عنيفا . وأرادت قيادة جيش كوانتونج أن تكسب الوقت ، فتقدمت الى القيادة السوفياتية فى الشرق الأقصى ، باقتراح لوقف إطلاق النار . ولم يذكر اليابانيون فى اقتراحهم شيئا عن الاستسلام . ورد المارشال فاسيليفسكى القائد الأعلى للقوات السوفياتية فى الشرق الأقصى بأن القوات السوفياتية ستوقف إطلاق النار عندما تصدر قيادة جيش كوانتونج أمرا الى قواتها بانهاء المقاومة ، وتشرع هذه القوات فى تسليم أسلحتها .

ولكن مثل هذا الأمر لم يصدر ، ومضى الهجوم السوفياتى فى طريقه . وراح الجيش السوفياتى ينفذ قرارات مؤتمر يالطة ، وينزل قواته فى الثامن عشر من أغسطس فى جزر الكوريل . ودخلت القوات السوفياتية فى العشرين منه مدن خاربين وجيرين وشانشونج ومكدن ، كما دخلت فى الثالث والعشرين من أغسطس ميناءى بورت آرثر وديرين . وشرعت القوات اليابانية فى منشوريا ، بعد أن أحست بسوء حالتها فى الاستسلام . ووافقت قيادة جيش كوانتونج على التسليم . ولكن بعض الوحدات ظلت تقاوم حتى النفس الأخير . وانقضى نحو من أسبوعين آخرين قبل أن يتم تحرير منشوريا وكوريا الشمالية وجنوب سخالين وجزر الكوريل تحريرا كاملا .

وأسر الجيش السوفياتى فى عمليات الشرق الأقصى نحو من ستمائة ألف جندى يابانى .

وأضعفت الهزيمة الساحقة التى منى بها جيش كوانتونج ، وضياح منشوريا وكوريا من قدرة اليابان على المقاومة ، واضطرتها الى الاستسلام . فقد تمكنت القوات السوفياتية المسلحة فى أقل من ثلاثين يوما من تحطيم صفوف القوة اليابانية المحاربة والمتمثلة فى جيش كوانتونج الرفيع التدريب .

وهكذا نفذت القوات المسلحة السوفياتية التزاماتها الدولية ، ووقعت
بدماء أفرادها ، عرى التحالف الأخوى الذى لا ينقسم بين الشعبين
السوفياتى واليابانى .

واعترف القادة العسكريون البريطانيون والأمريكان بوطأة العمليات
السوفياتية وآثارها . وذكر الميجور جنرال كلير شينولت لصحيفة
النيويورك تايمز أن « دخول روسيا فى الحرب ضد اليابان مل العامل
الحاسم فى الاسراع فى نهايتها ، وكان سيؤدى الى هذه النهاية السريعة
حتى ولو لم تلق القنبلة الذرية . . . فقد أكملت الضربة السوفياتية
السريعة حلقة الحصار حول اليابان وأجبرتها على الركوع على
ركبتيها » (١) .

ووصل الجنرال كوابى توراسيرو ، نائب رئيس هيئة أركان الحرب
اليابانية فى التاسع عشر من أغسطس الى مقر قيادة ماك آرثر . وقد
استقبله عقيد من رجال القائد الأمريكى ، وراح يصدر سلسلة من
التعليمات ، كان بعضها متعلقا باحتلال القوات الأمريكية المقبل لليابان .
ونص البعض الآخر من هذه التعليمات على الاحتفاظ بالكادرات العسكرية
اليابانية ، واستخدام القوات اليابانية فى محاربة حركات التحرر الوطنى
ولاسيما فى الصين . ونقل كوابى توراسيرو ، الى الامبراطور بعد عودته
من مانىلا ، تفاصيل مهمته التى قام بها . وراحت الحكومة اليابانية تنفذ
كل ما أمرت به ، اذ أن التعليمات كانت متفقة تمام الاتفاق مع رغباتها .
ونزلت القوات الأمريكية فى اليابان فى الثامن والعشرين من
أغسطس . وأمر ماك آرثر بمحاكمة الجنرالات اليابانيين هوما وساجيما
وساينو واعدامهم ، اذ كان هؤلاء قد هزموا قواته فى الفلبين ، ولكنه فرض
حمايته على الخبراء اليابانيين فى الشئون الروسية .

وتم على ظهر الطراد الأمريكى ميسورى ، وفى خليج طوكيو فى
الساعة العاشرة والنصف من صباح الثانى من سبتمبر من عام ١٩٤٥ من
وقت طوكيو ، التوقيع على اتفاق استسلام اليابان .

وهكذا انتهت الحرب ، وحققت الشعوب المحبة للحرية بقيادة الاتحاد
السوفياتى نصرا تاريخيا على قوى العدوان والفاشية .

(١) صحيفه السويورك تايمز عدد ١٥ أغسطس ١٩٤٥

اتضح قبيل نهاية الحرب ، وجود سياسات متعارضة تعارضا كاملا بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الامريكية .

فقد ارتكزت السياسة الأمريكية في اليابان على الرغبة الخالصة لدى الطبقات الأمريكية الحاكمة في استخدام تلك البلاد في حرب ضد الاتحاد السوفياتي . وآمنت الجماعات المفرطة في تطرفها في الولايات المتحدة ، أن وجود يابان محافظة يعتبر أحسن حليف لأمريكا في الصراع المقبل مع روسيا (١) . واختير ماك آرثر ليكون الرجل الذي عهد اليه بمهمة تحويل اليابان الى قاعدة عدوانية أمريكية موجهة ضد الاتحاد السوفياتي والبلاد الآسيوية . وكان هذا هو السبب الذي جعل سياسة الاحتلال في اليابان تهدف الى الحيلولة دون وقوع أى تحول جذري نحو الديمقراطية ، وتحويل اليابان الى دولة ديمقراطية مستقلة ومسألة . ويقول بيان صدر عن البيت الأبيض ان السياسة الأمريكية هدفت الى استخدام الشكل الراهن للحكم في اليابان في تحقيق أهداف تلك السياسة « (٢) » .

ونزلت القوات الأمريكية في كوريا الجنوبية في الثامن من سبتمبر من عام ١٩٤٥ . وكانت الاعتبارات الاستعمارية المجردة هي السبب في هذا النزول ، اذ أن الجيش الياباني في كوريا الجنوبية ، كان قد ألقى السلاح واستسلم منذ أمد بعيد .

ولقد سار الهجوم السوفياتي في منشوريا بالتعاون الوثيق مع جيش التحرير الشعبي الصيني . فقد شن هذا الجيش هجوما عاما في شمال الصين في الحادي عشر من أغسطس من عام ١٩٤٥ . وتمكن الجيش الثامن من تحرير الصين الشمالية بكاملها تقريبا . وتم تطويق الحاميات اليابانية في بكين وتيانتسين وتسينجتاو . وحرر الجيش الرابع في الوقت نفسه شطرا كبيرا من أواسط الصين ووصل الى ضواحي شانجهاى ونانكين . وهكذا تمكن جيش التحرير الشعبي الصيني من تحرير أكثر من مائة مدينة في شمال الصين وأواسطها .

وكان الاتحاد السوفياتي يدعم دائما النضال البطولي الذي خاضه شعب الصين . وتم في الرابع عشر من أغسطس من عام ١٩٤٥ التوقيع على معاهدة صداقة وتحالف بين الصين والاتحاد السوفياتي لمدة ثلاثين

(١) مارك جاين في كتابه « يوميات اليابان » - نيويورك ١٩٤٨ . ص ٤٢ .

(٢) النيويورك تايمز عدد ٢٣ سبتمبر ١٩٤٥ .

عاما . وتعهد الفريقان الموقعان على المعاهدة ، بتقديم المساعدات العسكرية وغير العسكرية المتبادلة أيام الحرب ، وبعدم الدخول في مفاوضات منفصلة مع اليابان ، وبالتنسيق العمل بينهما بعد الحرب لمنع وقوع أى عدوان جديد من جانب اليابان . وتعهد كل من الفريقين المتعاقدين بتقديم المساعدة اللازمة الى الفريق الآخر ، فى حالة اشتباكه فى عمليات عسكرية ناشئة عن أى هجوم يابانى .

ولكن حكومة تشيان كاي شيك لم تكن صادقة فى عزمها على الوفاء بالتزامات هذه المعاهدة . فقد راحت تتفاوض مع القيادة اليابانية فى الصين دون علم الاتحاد السوفيانى ، ووقعت معها اتفاقا يفضى بأن تواصل القوات اليابانية مقاومة جيش التحرير الشعبى الصينى الى أن تصل قوات الحكومة الصينية ، وأن تشن هجمات تستهدف إعادة الاستيلاء على المدن التى حررها جيش التحرير الشعبى فى الاسابيع الماضية . وكان هذا الترتيب عملا وضيعا من أعمال الخيانة ، اذ مثل صفقة واضحة وصريحة مع قوات الاحتلال اليابانية موجهة ضد شعب الصين . وألقى الجنرال ويدماير ، قائد القوات الامريكية فى مسرح الصين بكل ثقله فى دعم هذا الاتفاق ، اذ أمر القوات اليابانية بأن تحتفظ بأسلحتها حتى وصول القوات الامريكية وقوات جيش الحكومة الصينية . ويقول ايلدريدج : ان « الطائرات والسفن الامريكية شرعت تنفيذا لفرار صدر عن الحكومة الامريكية فى نقل جيوش الكومنتانج ، الى النقاط الاستراتيجية الهامة ، متظاهرة بالرغبة فى نزع أسلحة الجيش اليابانى ، وان كانت تهدف فى الواقع والحقيقة الى وضع هذه الجيوش فى مواقع تمكنها من مهاجمة الشيوعيين » (١) . وقد تم هذا كله قبل أن تضع الحرب أوزارها .

ويبدو أن الولايات المتحدة كانت تتعجل اشعال الحرب الأهلية فى الصين ضد المناطق المحررة . ولكن المخططات الأمريكية منيت بالفشل الذريع ، فقد دفعت هى الرياح ، ولم تحصد الا العاصفة التى أطاحت بالأمريكيين وأخرجتهم من الصين .

ويقول الأستاذ فليمينج وهو محقق تمام الحق : « ان الدليل قد قام من جديد ، كما حدث فى روسيا بعد عام ١٩١٨ ، على أن استخدام القوات الاجنبية لآخماد الثورة الشيوعية يثير الشعب كله ضد الغزاة ، ويدفعه الى تأييد الثورة . ولاشك فى أن موقف الجماعات المحافظة التى حاولنا

(١) فريد ايلدريدج - نفس المصدر - ص ٣١٠ .

فى كلتا الحالتين انقاذها ، قد ساء وتردى عن ذى قبل» (١) . حقا كان هذا الاستاذ مصيبا كل الاصابة فى رأيه .

واستفزت حرب التحرير التى خاضها الاتحاد السوفياتى ضد الامبريالية اليابانية حركات التحرر الوطنى فى جميع ربوع جنوب شرق آسيا ، وجزر المحيط الهادى . وهكذا ظهرت الجمهورية الأندونيسية تحقيقا لارادة الشعب فى السابع عشر من أغسطس من عام ١٩٤٥ ؛ كما تم تأسيس جمهورية فيننام الديمقراطية فى الثانى من سبتمبر من نفس العام . وبارت مئات الملايين من الناس المضطهدين فى كل مكان على القوى الاستعمارية التى تضطهدها .

وهكذا وصل الشعب السوفياتى البطل ؛ بالاشتراك مع شعوب التحالف المعادى للفاشية فى المرحلة النهائية من الحرب أى فى عام ١٩٤٤ - ١٩٤٥ ، بهذه الحرب ضد العدوان الفاشى الى نهاية منتصرة . وانتهت الحرب ضد الفاشيين بالاستسلام اللامشروط من كل من ألمانيا الهتلرية واليابان الامبريالية .

(١) دى . اف . فليمينج . نفس المصدر . ص ٥١٨٠ - ٥١٨٦ .

والخلاصة ..

- ١ -

أصيبت البشرية في الحربين العالميتين : الأولى بين عامي ١٩١٤ و ١٩١٨ ، والثانية بين عامي ١٩٣٩ و ١٩٤٥ ، بكوارث بالغة . فقد فقد الملايين من الناس ، أرواحهم ، كما دمرت ثروات مادية لا تعد ولا تحصى ، ولحق الخراب بممتلكات تتجاوز العد والحصر . وكانت الظروف التي تفجرت فيها هاتان الحربان مختلفة من الناحية التاريخية . فعندما نشبت الحرب العالمية الأولى ، كانت الرأسمالية هي وحدها ، المتحكمة في العالم . أما عند نشوب الحرب الثانية ؛ فقد كان هناك نظامان اجتماعيان ؛ هما النظام الرأسمالي ؛ والنظام الاشتراكي الذي يمثل الاتحاد السوفياتي . ومع ذلك كانت أسباب الحربين تكاد تكون متشابهة .

وينبع التنسابة من الحقيقة الواقعة على الغالب ، وهي أن الحربين : الأولى والثانية نشبتا ، الى حد كبير نتيجة دوافع شخصية . وقد ظهرت هذه العوامل الشخصية على الصعيد الاقتصادي من الرأسمالية الحديثة . فلم تكن الإرادة المطلقة لأفراد يقفون في قمة البلاد الرأسمالية كهتلر وموسوليني ، ودعاة مونيخ من البريطانيين والفرنسيين والأمريكيين هي وحدها التي سببت هاتين الحربين . فقد نبعت أعمالهم المستبدة والمطلقة من عقليتهم الامبريالية ، ومن أوضاع الرأسمالية الحديثة ، لاسيما ونحن نعرف أن الامبريالية تولد الحروب . لكن هاتين الحربين كانتا ثمرة الصراع

بين الدول الكبرى فى العالم الرأسمالى على الأسواق ومجالات الاستثمار ومصادر المواد الاولية وقوة العمالة والسيطرة على العالم .

وكان توزع القوى فى الصدام المسلح بين الدول ، ظاهرا قبل نشوب الحرب العالمية الأولى بوقت طويل . أما فى الحرب العالمية الثانية ، فقد كانت الخصائص الرئيسية مختلفة بعض الشيء . وكان هناك أولا الاتحاد السوفياتى ، أول دولة اشتراكية فى العالم . وكانت السياسة السلمية التى اتبعها الاتحاد السوفياتى حاجزا يقف أمام الحرب وأمام الاطماع العدوانية للامبرياليين . وكانت الحكومات الامبريالية تنشد الاتفاق فيما بينها ، وتوجيه حراب الحرب المتوقعة ضد الاتحاد السوفياتى للقضاء على الدولة الاشتراكية الوحيدة فى العالم ، ولسحق الطبقة العاملة وحركات التحرر الوطنى ، ولتثبيت مواقع الرأسمالية . وكانت هذه الحكومات هى التى قوت الفاشية الالمانية ودعمتها ، وأعطتها السلاح للعدوان ، ومهدت لها طريقه . ولم تكن الفاشية الالمانية الا القبضة الضاربة للرجعية العالمية ، وقد ربطت الامبريالية بها مشروعاتها الرئيسية .

ولكن بينما كان الامبرياليون فى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا يرمون الى توحيد العالم الرأسمالى ضد الاتحاد السوفياتى عن طريق اتفاق مع ألمانيا ، فان الامبرياليين الألمان كانوا ينشدون مثل هذه الوحدة عن طريق اخضاع البلاد الرأسمالية الأخرى لارادتهم . وكان هذا هو الشكل الذى طفت فيه التناقضات الامبريالية الى السطح ، وقسمت البلاد الرأسمالية الى مجموعات مختلفة .

وكانت الطبقات الحاكمة فى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا تهدف الى تسوية تناقضاتها مع الاتحاد السوفياتى على حساب ألمانيا ، وتناقضاتها مع ألمانيا على حساب الاتحاد السوفياتى . وراحت هذه الطبقات تدفع ألمانيا الى مهاجمة الاتحاد السوفياتى ، أملا منها فى أن تظل تمثل « الفريق الثالث » . ولكن الامبرياليين الألمان كانوا يريدون جنى ثمار الحرب لأنفسهم ، ويهدفون الى تقوية اقتصادهم وجهازهم الحربى على حساب بريطانيا وفرنسا ، وأن يتوجوا فرض السيطرة الألمانية على العالم ، عن طريق نصر يحققونه على الاتحاد السوفياتى . ولاشك فى أن هذا الاصطراع بين الخطط المتباينة ، والمرتبط بالصراع العالمى المتوقع ، هو الذى ألف مدلول النزاع السياسى الحاد الذى سبق نشوب الحرب العالمية الثانية .

ولكن بينما كانت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا من ناحية
وألمانيا وإيطاليا واليابان من الناحية الثانية منهمكة فى مشاجرات حول
التباينات المحتملة فى أية حرب عالمية نانية ، كان الاتحاد السوفياتى ومعه
جميع القوى التقدمية فى العالم يقف موقف التعارض من هذه التباينات
ومن الحرب العالمية بوجه عام .

وانتهت الازمة السياسية التى سبقت الحرب فى شهر سبتمبر من عام
١٩٣٩ ، بالهجوم الذى شنته ألمانيا على بولندة . وكانت لهذا الهجوم
أهداف بعيدة المدى . فقد كانت هزيمة بولندة ، تعنى حرمان بريطانيا
وفرنسا من حليفتهم الوحيدة فى أوروبا الشرقية ، وخلق منطقة تهيب
لهجوم نهائى على الاتحاد السوفياتى .

وأعلنت الحكومتان : البريطانية والفرنسية الحرب على ألمانيا فى
تلك الأوضاع ، لا بقصد انقاذ بولندة التى كانتا قد غسلتا أيديهما منها
منذ أمد طويل ، بل بقصد وقف التوسع الألمانى الموغل فى تطرفه ،
والحيلولة دون أى عدوان على الدول الغربية ، ولارغام هتلر على الكشف
عن أوراقه . وكانت تأملان فى أن تؤدى خطتهما الى اجباره على تغيير خططه
الحربية ، وتحويل اتجاه مدافعه الى الاتحاد السوفياتى . وكانت هذه هى
الطريقة الوحيدة التى أملت بريطانيا وفرنسا عن طريقها فى الحصول
على أجزى النتائج بأقل مايمكن فى الجهود .

ولعل هذا هو السبب الذى دعا الناس الى تسمية الحرب التى
شنتها بريطانيا وفرنسا على ألمانيا بالحرب الصورية . أى الحرب التى
لاقتال فيها ، والتى تهدف الى ازالة خطر قيام الألمان الفاشيين بحملة فى
غرب أوروبا عن طريق دفعها باتجاه الشرق . وكان هذا هو الهدف وراء
سياسة مونيخ التى اتبعتها بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ، اذ لم
تكن « الحرب الصورية » فى الواقع الا مجرد إبراز لسياسة مونيخ .

وكانت الدولتان الغربيتان تلعبان بالنار فى الواقع . فقد أدى سوء
تقديرهما الى الحاق الانهيار العسكرى والاستسلام المهين والوضيع بعدد
من البلاد الاوربية .

ولكن هذا الخط الرسمى الذى اتخذته الحكومات الرأسمالية فى
البلاد المنافسة لألمانيا واجه مقاومة شعبية متزايدة . واستغلت الجماهير
الفرص التى تتيحها الديمقراطية البورجوازية الى أقصى حدود الاستغلال

لتحويل الحرب ضد ألمانيا الى حرب ضد الفاشية • وسار الاتجاه الموضوعي.
للأحداث فى نفس هذا الخط أيضا •

وعندما حقق الامبرياليون الألمان -وبنجاح- الشطر الأول من مخططهم للسيطرة على ألمانيا ، ظنوا أنهم باتوا قادرين على تحقيق الشطر الثانى والهام من هذا المخطط ، بشن الحرب على الاتحاد السوفياتى • وكانوا على ثقة من أن البلاد الغربية بالرغم من وجود حالة الحرب الشكلية بينها وبينهم ، لن تقف فى منأى عن الحرب التى سيخوضونها ضد الاتحاد السوفياتى • ولعل هذا كان السبب الذى حدا بالحكومة الألمانية الى أن تصدر بيانا بعد شروع جيوشها فى الهجوم على الحدود السوفياتية الغربية ، يقول : ان هدفها من هذه الحرب « انقاذ العالم المتحضر من خطر البلشفية الرهيبة » (١) • وهكذا لبس الذئب لباس الحمل ، وتظاهر أعداء الحضارة بأنهم حماة •

وظن القادة الألمان جهلا منهم بالقوانين الوضعية التى تتحكم فى التطورات التاريخية بأن الاتحاد السوفياتى سيصبح معزولا عن بقية أرجاء العالم • لكن هذا التقدير كان خاطئا •

وانهار المخطط لشن « حرب صليبية » على الاتحاد السوفياتى ، كما ينهار البيت الذى يشيد من الورق • ومثلت التناقضات الامبريالية وكفاح الجماهير عوامل وضعية أدركها الاتحاد السوفياتى واستخدمها فى سياسته الخارجية ، مما خلق تحالفا ضخما ضد الفاشية أدى وجوده الى تمهيد الطريق لتحقيق النصر على ألمانيا •

وهكذا أصبحت الولايات المتحدة وبريطانيا خلافا للرغبات الشخصية عند حكامهما ، حليفتين للاتحاد السوفياتى ، وقد عقدتا معه العزم على تحطيم الهدف الذى كانتا قد توختاه من تسليح ألمانيا مدة سبعة عشر عاما ابتداء من وضع مشروع داوس • وهنالك مؤرخون أمريكيون وبريطانيون كثيرون مازالوا يستغربون نحقق هذا التطور • ولاشك فى أن بعض الرجعيين من أمثال الفاشيين الأمريكيين يبلغون ذروة السخف عندما يزعمون أن رئيسى الحكومتين البريطانية والامريكية (١) فى تلك الايام كانا من العطوفين سرا على الشيوعية •

وهكذا ثم يكن الاتحاد السوفياتى هو الذى بات معزولا فى حربه ضد ألمانيا وحليفاتها ، بل ان ألمانيا نفسها وحليفاتها ، هى التى باتت

(١) وثائق الحرب ٢٢ يونيو ١٩٤١ - برلين • ص ٥٠٧٩ •

معزولة • ويعترف هانز أدولف جاكوبسون المؤرخ الألماني الغربي للحرب ، بأن « فى وسع الانسان أن يقول بلا تردد أو خوف أو مبالغة ، ان الحرب ضد الاتحاد السوفياتى ، فنسلت على الصعيد السياسى حتى قبل أن تبدأ على الصعيد العسكرى » (١) •

وهناك كثيرون يفرون الآن بهذه الحقيقة ، مع أن كثيرين كانوا ينكرونها من قبل • ولكن المؤرخين الرجعيين مع اعترافهم بهذه الحقيقة ، ينقصون من قدرها ، اذ يصنعونها بأنها عارض تاريخى • وينحى بعضهم بالملامة على الصفات الشخصية للقيادة الرأسمالية ، بينما يوجه آخرون اللوم الى تهور ألمانيا ، أو الى هذا السبب أو ذاك • ولكنهم يعتقدون جميعا ، أن من الحوادث العارضة المجردة أن ألمانيا الهتلرية ، واجهت فى حربها مع الاتحاد السوفياتى ، وصعا دوليا غير موات لها • ويبذل قادة هتلر العسكريون السابقون ومساعدوهم من السياسيين جهودا ضخمة ، لاختراع الأسباب العارضة لهزيمة ألمانيا • ولعل الحجة الشائعة لديهم ، نوجيه كل اللوم الى معبودهم السابق ، أدولف هتلر •

ولكن تطور الوضع الدولى ابان خوص الاتحاد السوفياتى لحربه الوطنية العظمى ، لم يكن وليد « صدفة » عارضة • ولا يمكن تفسير هذا التطور تفسيراً صحيحاً ، باسناد الأخطاء الى ألمانيا ، أو الى الصفات الشخصية لأى انسان • فقد تحكمت قوانين التاريخ الحتمية فى هذا التطور ، وكان من المستحيل على أى انسان أن يتجنب أحكامها •

ويمثل القانون التاريخى الأساسى للعصر الراهن ، فى انطلاق ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى ، وفى تحول الانسانية من الرأسمالية الى الاشتراكية • ولم يكن هجوم ألمانيا على الاتحاد السوفياتى الا عملاً جنونياً من الأعمال اليائسة التى تقوم بها الرجعية الدولية المحبة للحرب • ومثل هذا العمل هجوما على الاشتراكية والتقدم الاجتماعى ، وبالتالى على الحضارة العالمية •

ولقد حرر الجهد الحربى البطولى الذى قام به الشعب السوفياتى والذى سحق القبضة المدرعة الحربية للرجعية الفاشية العالمية ، الشعوب من وباء الفاشية ، وأنقذ الحضارة الانسانية والروائع التى حققها الانسان ، وشكل واجبا دوليا على الطبقة العاملة وعلى الشعوب فى العالم كله •

- (١) اش • اى • جاكوبسون (١٩٣٩ - ١٩٤٥) الحرب الاخيرة فى التاريخ والوثائق دارمشتادت ١٩٦٠ • ص ٥٠٢ •

وهكذا التحمت مصالح الاتحاد السوفياتى فى حربه ضد ألمانيا مع مصالح جميع الشعوب بما فيها الشعب الألمانى نفسه .

ومنلت الاهداف الحربية السوفياتية عاملا ضخما فى اقامة التحالف المناوئ للفاشية . وكانت الأساس الذى بنى عليه هذا التحالف ونما وتطور . ولاشك فى أن الحرب الوطنية العظمى التى خاضها الاتحاد السوفياتى ، هى التى جعلت الحرب العالمية الثانية حربا عادلة ، ومناوئة للفاشية ، وحررية .

وكانت الطبيعة التحررية للحرب هى التى عبأت جميع القوى التقدمية فى الصراع ضد المعتدين الألمان ، والتى حفزت معنويات الجنود على محاربة الفاشية وعززت من قدراتهم ، وشجعت الحوافز لدى المناضلين من جنود الجيوش النظامية وأفراد وحدات الأنصار . وكانت هذه الطبيعة التحررية نفسها هى التى قوت حركات المقاومة القوية فى البلاد التى احتلتها النازية فى أوروبا وحطمت معنويات الألمان فى جيوشهم ومؤخرتهم .

وكان الاتحاد السوفياتى هو الذى رفع وأكد أهداف الحرب التحررية العادلة ضد ألمانيا وحلفائها . وكان هذا هو السبب الذى أدى الى النفاق الحلف المناوئ للفاشية حكومات وشعوبا وراء الاتحاد السوفياتى ، الذى تولى طليعته الفياضية . وكانت هذه النتيجة حتمية . وكانت الجهود التى بذلها الاتحاد السوفياتى لدعم هذا الحلف ونشره وجعله فعالا ، هادفة الى نصر الديمقراطية والاشتراكية على الفاشية والرجعية ، والى دعم حرية الشعوب واستقلالها ، والاسراع فى هزيمة البلاد الفاشية ، وتقصير أمد الحرب والتخفيف من متاعبها وأهوالها .

ولم يكن فى وسع أى بلاد أن تحافظ على استقلالها الوطنى ضد الغزاة الفاشيين الا اذا انضمت الى الحلف المناوئ للفاشية ، شكلا أو واقعا .

ولم يكن من المحتمل قط أن تترك الدولة الاشتراكية وحيدة لتواجه الغزو الفاشى المسلح . وحقا لم يكن الاتحاد السوفياتى وحيدا . فقد حمل نضال الشعوب ابان الحرب من أجل حريتها واستقلالها الوطنى ، الطابع القومى والدولى فى آن واحد ، اذ تلاحم مع الجهود التى بذلها الاتحاد السوفياتى ، وبذلتها جميع البلاد الاخرى المحبة للحرية . وكان الدعم الذى لقيه الاتحاد السوفياتى من الشعوب ، ولا سيما من الطبقة العاملة فى البلاد الرأسمالية ، صورة حية للدولية ، وهى فى مجال العمل ، بالنسبة الى

الدولة الاشتراكية التى تمثل حصن القوى الثورية فى جميع البلاد ،
وطليعة حركة النضال الوطنى والنورى الدولى وقلعته الحصينة •
وتركت الطبيعة العادلة للحرب ضد الفاشية أثرا ضخما على بريطانيا
والولايات المتحدة • فقد اشتعلت الحماسة لدى شعبيهما اللذين تعرض
استقلالهما القومى للخطر من عدوان الفاشية الألمانية ، والتفا حول أهداف
الحرب التحررية التى حمل الاتحاد السوفياتى بعزيمة واصرار لواءها
وشعاراتها • وكان الصراع ضد الفاشية الذى خاضه شعبا بريطانيا
والولايات المتحدة ، نضالا من أجل الحرية والديمقراطية ، داخل بلديهما
وخارجهما • ولم يكن ثمة خيار لدى واضعى السياسات فى بلاد
الدولتين ، سوى قبول الوضع كأمر واقع • وكان من المجنون والخطورة
الى حد كبير ، مقاومة ارادة هذين الشعبين • يضاف الى هذا أن
واضعى السياسات هؤلاء ، كانوا يرغبون أيضا فى هزيمة ألمانيا الفاشية
واليابان العسكرية •

وكانوا على أى حال يخفون نواياهم فى تثبيت أقدام سيطرتهم
الطبقية ، متسنرين وراء ستار الولاء للأهداف التحررية للحرب المناهضة
للفاشية • ومع ذلك فقد كان استغلالهم السياسى للطبيعة التحررية
للحرب ، علامة واضحة على وجود الأزمة العامة للرأسمالية • فلم يعد فى
وسع المدافعين عن الرأسمالية ، ذلك النظام الاجتماعى المحتضر ، أن
يجهروا بحقيقة نطلعاتهم وأهدافهم ، وباتوا مرغمين على اخفاء نواياهم ،
والعمل متنكرين فى زى المحررين •

وبالرغم من تحالف حكام الولايات المتحدة وبريطانيا مع الاتحاد
السوفياتى ، فقد ظلوا يتابعون أهدافهم الحربية الامبريالية الخاصة •
وكان ثمة جانب خفى فى جميع صفقاتهم ابان الحرب ، اذ أنهم كانوا
لابزالون يتطلعون الى اتفاق جديد مع المعتدين الفاشيين ، ولاسيما فى
المراحل الختامية من الحرب • وبالرغم من أنهم كانوا جد متلهفين على
تخطيط سلطان منافسيهم الامبرياليين فى ألمانيا واليابان وإيطاليا ، فانهم
كانوا يريدون من هذه البلاد أن تحتفظ بأنظمة الحكم الرجعية فيها •
وكانوا يتطلعون الى تقوية نظام الاستعباد الامبريالى ونشره ، والى اضعاف
الاتحاد السوفياتى ، أولا وآخر •

وكانت الحكومتان : البريطانية والامريكية تدركان تمام الادراك ، أن
بقاء بلديهما متوقف على قدرة الاتحاد السوفياتى على الصمود فى وجه
الهجوم الفاشى الرهيب • ومع ذلك فقد كانتا جد متعطشتين لرؤية الضعف
يحل بحليفهما الاتحاد السوفياتى •

وكان فى وسع التموينات البريطانية والامريكية والكندية ، أن نعين الاتحاد السوفياتى الى حد كبير . وكانت شعوب هذه البلاد الثلاث تعرف هذه الحقيقة تمام المعرفة . واستغلت الاحتكارات هذه المشاعر العامة الى أقصى حدود الاستغلال لمضاعفة انتاجها ، وزيادة رءوس أموالها ، واجزاء أرباحها . ولاشك فى أن التناقض الجذرى العميق بين الطبيعة التحررية للحرب التى مثلت ظاهرة موضوعية ، وبين أهداف الحرب الامبريالية للدول الرسمالية ، خلق اتجاهها معيناً لسياسات الولايات المتحدة وبريطانيا ، لا على الصعيد الخارجى فحسب ، بل وعلى الصعيد الداخلى أيضا .

وكانت المعونة الاقتصادية الغربية للاتحاد السوفياتى تافهة لا تكاد تذكر . وفى عام ١٩٤١ ، على سبيل المثال ، زودت الدولتان الغربيتان الاتحاد السوفياتى بسبعمئة وخمسين طائرة ليس الا ، منها خمس قاذفات للقنابل ، وبخمسائة دبابة ، وبعض المدافع الخفيفة المضادة للطائرات ، بينما كانت الاتفاقات المعقودة تنص على وجوب تزويده بألف ومائتى طائرة منها ثلثمائة قاذفة ، وبألف وخمسائة دبابة وبخمسين مدفعا مضادا للطائرات وذلك فى فترة ثلاثة شهور أى بين أكتوبر وديسمبر من ذلك العام (١) .

ويعترف ايفان سبيكتور المؤرخ الأمريكى بأن الجيش الاحمر اضطر حتى أواخر ربيع عام ١٩٤٣ الى « الاعتماد كلية على الموارد السوفياتية وحدها » (٢) . ولم تزد الشحنات التى سلمت الى الاتحاد السوفياتى فى أيام الحرب على أربعة فى المائة من الانتاج الحربى السوفياتى (٣) . وكانت الدولتان الغربيتان تمنعان المعلومات العلمية والتقنية المهمة عن الاتحاد السوفياتى وتوفرانها « للمؤسسات الأمريكية التى كانت قبل الحرب مرتبطة ارتباطا احتكاريا وثيقا مع الاحتكارات الألمانية » (٤) .

وهكذا كانت المساعدات التى قدمتها الحكومتان : البريطانية والأمريكية الى الاتحاد السوفياتى ، شحيحة ، وغير صادرة عن رغبة صادقة . وكانت هاتان الحكومتان على استعداد دائم للاضرار بمصالحه ، واضعافه ،

(١) وثائق الحكومة السوفياتية - المجلد الثانى ص ٣٦٥ - ٣٦٦ .

(٢) ايفان سبيكتور فى كتابه « مقدمة لتاريخ روسيا وحضارتها » - تورنتو - نيويورك - لندن ١٩٥٠ ص ٣٥٠ .

(٣) وثائق الحزب الشيوعى السوفياتى لعام ١٩٤٨ ص ٧٤ .

(٤) جيمس . اس . اللين فى كتابه « الاحتكارات العالمية والسلام - نيويورك ١٩٤٦ ص ١١١ .

واستنزاف دماء أبنائه ، واعطاء ألمانيا الفرصة لحشد قواتها فى الجبهة الشرقية • ولاشك فى أن هذه الميول كانت سببا رئيسيا فى تقاعس الحكومتين تقاعسا منظما عن الوفاء بالتزاماتهما لحليفهما ، وقد ظهر هذا التقاعس بصورة جلية وواضحة فى التسوية المتعمد فى فتح الجبهة الثانية فى أوروبا •

وذكر نيكيتا خروشوف : « وفى تلك اللحظة الحاسمة ، عندما تغير سير الحرب العالمية الثانية كله ، تغيرا جذريا وأساسيا ، واتخذت الأحداث شكلا آخر ، تبينت الدولتان الغربيتان ، أنهما لو سوفتا مدة أطول فى فتح الجبهة الثانية ، فإن الجيش السوفياتى لن يحتل برلين وحدها بل وباريس أيضا ، ولذا فقد سارعتا الى العمل • وهنا فتحت الدولتان الغربيتان الجبهة الثانية • وبدا وكأن حلفتينا على عجل من أمرهما لتحولا دون قيام شعوب أوروبا الغربية بسحق قوات الاحتلال ، بنفسها ، وبمساعدة من الجيش السوفياتى » (١) •

وليس تاريخ الحرب العالمية الثانية مجرد قصة من قصص البطولة والشجاعة والفداء ، ولا قصة من قصص الاحساس العميق بالواجب المدنى والعسكرى من الملايين من أبناء الشعوب ، ولا قصة الاخلاص الأمين والوعاى من الاتحاد السوفياتى للالتزامات القومية والدولية فحسب ، وانما هو أيضا وفى الوقت نفسه ، قصة الضعة ، والخيانة وعدم الوفاء والخديعة المتعمدة •

وليس من الغريب والحالة هذه أن يحاول « الفرقاء » المذنبون ماوسعهم من جهد اخفاء جرائمهم وذنوبهم • ومن هنا كان العديد من كتب « المذكرات » والتحقيقات التاريخية وغيرها من المنشورات التى صدرت بعد الحرب ، والتى هدفت قبل كل شىء الى اخفاء الحقيقة •

تري •• ما هذه الحقيقة ؟ وما هى على ضوء هذه الحقيقة نتائج تلك الحرب ؟ لقد أظهرت الحرب بصورة واضحة ، لا لبس فيها ولا ابهام أن فى وسع البلاد التى تسير على نظامين اجتماعيين متعارضين أن تتعاون وأن من واجبها أن تتعاون • وبينت الحرب أيضا استحالة عزل الاتحاد السوفياتى عن شعوب العالم ، وأكدت أن محاولة الوقوف أمام القوانين الموضوعية التى تتحكم فى سير التطور التاريخى فاشلة حتما •

(١) نيكيتا خروشوف فى كتابه « عالم بلا سلاح وعالم بلا حروب » موسكو ١٩٦١ • المجلد الأول ص ١٨٠ •

ولعل هذا يوضح لنا أسباب الهزيمة الساحقة التي لم نفلح بها بالامبريالية الألمانية وحدها فحسب ، بل وبالقوى الرجعية التي أوجت بها والتي ساعدت النازيين في أعمالهم العدوانية . ووجدت الولايات المتحدة وبريطانيا نفسيهما في وصع غريب بعد انتهاء الحرب . فقد كانتا من الدول المنتصرة بالنسبة الى حربهما مع هتلر ، ولكنهما كانتا خاسرتين بالنسبة الى أهداف الحرب الامبريالية التي تتبعها الدوائر الحاكمة فيهما ، وذلك لأن الحرب انتهت بهزيمة النظام الامبريالي الذي سبب الحرب .

واعترف الكثيرون من المؤرخين البورجوازيين بهذه الهزيمة . وكتب كارلنوتون جى . اش . هيز ، المؤرخ الامريكى يقول :

« كانت الحرب العالمية الثانية بين عامى ١٩٣٩ و ١٩٤٥ ، العامل الحاسم فى اضعاف الامبريالية الغربية .

وكانت هذه الحرب أصدق فى عالميتها من الحرب الأولى ، وكانت آثارها والحالة هذه أكثر اتساعا وشمولا » (١) .

وكانت هذه الحرب والحق يقال ، أكر عالمية من الحرب الأولى ، لا لأن بلادا أكثر وقوات أكبر عددا من تلك التى اشتركت فى الحرب الأولى قد اشتركت فى الحرب الثانية فحسب ، بل لأنها كانت أوسع نطاقا وعمقا فى العمليات الاجتماعية التى انطوت عليها ، والتى تركت بدورها أثرا أكثر حسما فى سيرها ونتيجتها . أجل . لقد كانت حربا أكثر عالمية من الحرب الأولى لأن الشعوب لعبت فيها دورا أكبر من ذاك الذى لعبته فى الحرب العالمية الأولى .

- ٢ -

كان مدى القتال فى الحرب العالمية الثانية أوسع بكثير منه فى الحرب العالمية الأولى . ولقد جرت معظم بلاد العالم الى هذه الحرب ، ومست العمليات المسلحة التى دارت فيها ثلاث قارات هى أوروبا وافريقيا وآسيا كما شملت حوض المحيط الهادى أيضا .

وعندما حلت نهاية الحرب ، لم تكن هناك أية بلاد محايدة تقريبا . ولم تكن هناك دول محايدة بصورة رسمية الا أفغانستان وأسبانيا

(١) كارلنوتون جى . اش . هيز فى كتابه « أوروبا المعاصرة منذ عام ١٨٧٠ » - نيويورك ١٩٥٨ . ص ٧٤٨ .

والبرتغال وسويسرا والسويد وايرلندا • ومع ذلك فقد كانت هناك دول منها كأسبانيا والبرتغال ، قامت بمساعدة ألمانيا الهتلرية طيلة أيام الحرب ، والى حد كبير جعلها تعتبر من الدول المحاربة •

ويشرح الجدول التالى المقارنة بين مدى الحربين : الأولى والثانية ، وهو جدول يرتكز الى الأرقام الرسمية • وتعنى أرقام هذا الجدول ، بالنسبة الى الدول المتحاربة تلك البلاد التى أعلنت الحرب فعلا ، كما تعنى قوة الجيوش ، الوحدات النظامية ليس الا ، ولا تشمل محاربي حركات المقاومة •

| الحرب العالمية الثانية | الحرب العالمية الأولى | |
|------------------------|-----------------------|---|
| ٧٢ | ٣٣ | الدول المشتركة فى الحرب |
| ١١٠ | ٧٤ | المجندون فى الجيوش بالملايين |
| نحو ٥٠ (١) | ١٠ | القتلى بالملايين |
| ٢٨ | ٢٠ | المنسوهون بعاهات دائمة |
| ٩٣٥ | ٢٠٨ | الانفاق الحربى المباشر بألوف ملايين الدولارات |

وكانت هناك أسباب عدة لاتساع نطاق القتال ومداه • فقد أثار الامبرياليون الألمان فى لهفتهم على السيطرة العالمية ، والفتح الاستعمارى مقاومة مئات الملايين من الناس • واتسعت العلاقات الاقتصادية والسياسية الدولية بما يرافقها من تناقضات اتساعا كبيرا • ولكن العامل الأكثر أهمية هو أن العمليات الحربية انتشرت الى مناطق أوسع وأكبر ، وتشمل عددا أضخم من البلاد ، سواء فى جبهاتها الأمامية أو مؤخراتها ، وذلك بظهور أسلحة الموت والحرب الرهيبة • ولا شك فى أن تطوير وسائل الإبادة الجديدة أدى الى زيادة الخسائر فى الأرواح والممتلكات وأدى الى صفة الشمول النى أصبحت تلازم الحرب •

واشترك مئات الملايين من الناس فى الحرب العالمية الثانية • فقد حارب فى القوات المسلحة نحو من مائة وعشرة ملايين من الجنود ، بالإضافة الى نحو من عشرة ملايين الى اثنى عشر مليوناً عملوا فى قوات المقاومة وحركات الأنصار فى أوروبا وآسيا • يضاف الى هذا أنه كان هناك نحو من أربعة الى خمسة رجال أو نساء يعملون فى المؤخرة لكل جندي واحد ،

(١) يشمل هذا الرقم ١٢ مليوناً من الناس قتلوا فى معسكرات الألمان الفاشيين •

ليؤمنوا انتاج مواد الحرب ، مما أوصل رقم الذين اشتركوا اشتراكا فعليا فى الحرب الى نحو من خمسمائة مليون انسان فى المؤخرة مع مائة أو مائة وعشرين مليونا فى جبهات القتال ، وبذلك بلغ الرقم ستمائة أو ستمائة وعشرين مليونا من الناس يعملون فى جبهات القتال أو فى المؤخرة .

وأسهم الناس الذين لم يعودوا ينفذون ارادة حكوماتهم تنفيذا سلبيا ، اسهاما أكبر فى الحرب العالمية الثانية من اسهامهم فى أية حرب سابقة . وكان الناس يتحدثون وينشطون فى كل مكان ومجال ، مما أثار بالغ الاهتمام . ولا شك فى أن ارادة الشعوب القوية هى التى حالت دون عقد الصفقة المقترحة بين الحكومتين البريطانية والأمريكية من ناحية وبين المعتدين الفاشيين من الناحية الأخرى . وأجبرت هذه الارادة الحكومتين المذكورتين على مواصلة الحرب ضد الفاشية حتى نهايتها . وانهارت المخططات التى أعدتها القوى الرجعية ضد الشعوب وضد الاتحاد السوفياتى . واستنارت ارادة الشعوب حركات المقاومة ، وخلقت الأوضاع المواتية للتحرر الوطنى والاجتماعى فى عدد من البلاد الآسيوية والاوربية . وهكذا تحكمت فى سير الاحداث قوانين موضوعية أقوى من رغبات واضعى السياسات من الامبرياليين ومن مخططاتهم .

ووقف الملايين من الناس فى خطوط القتال الأمامية وفى المؤخرات الى جانب حركات التحرر الوطنية والديمقراطية والاشتراكية فى صمودها ضد الهجوم العنيف الضخم الذى شنته قوى الرجعية العالمية . وهكذا كانت شعوب الولايات المتحدة وبريطانيا والصين والبلاد التى يحتلها العدو والوطنيون الصادقون فى ألمانيا وإيطاليا واليابان الذين حاربوا العهود الفاشية سرا ، حلفاء طبيعيين للاتحاد السوفياتى .

ولا «يمكن» لأى تقويم للحرب العالمية الثانية فى سيرها ونهايتها ، وفى نتائجها وعبرها ، أن يكون صحيحا ، اذا تجاهل الدور الذى لعبته الشعوب فيها . ولعل هذا هو السبب الذى يجعل قصة هذه الحرب التى تمثل أعظم الحروب فى التاريخ ، ليست مجرد قصة عمليات عسكرية ليس الا .

وليس تاريخ الحرب المناهضة للفاشية أولا وآخرها الا تاريخ تلك الأمم التى حاربت من أجل تحررها وحققته . انه تاريخ تلك الأمم التى أظهرت أكبر قدر من التصميم ، وثبات العزيمة والروح ، والبسالة

والبطولة فى المعركة ضد أولئك الذين يطمعون فى السيطرة على العالم • وتظهر عبر هذه الحرب ، ان الجماهير تلعب دورا أضخم وأكبر باستمرار فى صنع التاريخ ، وان النشاط السياسى المتصاعد والوعى أصبحا يمثلان قانونا لا ينقض لعصرنا • ولا ريب فى أن الفضل يعود الى الشعوب فى أن هزيمة الامبريالية ، وهزيمة العهود السياسية المتحللة لم تؤثر على السئون العسكرية فحسب ، بل وأنرت أيضا على الأوضاع الداخلية فى عدد من بلاد آسيا وأوربا •

وهناك مكانة كبرى فى تاريخ الحرب حركة المقاومة ، وحركة الأنصار السوفياتية • وكانت هاتان الحركتان من الحركات الشعبية والمعادية للفاشية فى أهدافها والدولية فى طبيعتها • ولم يكن الغزاة الفاشيون ينوقون ظهور حركات المقاومة ، ونمو قوتها ، ونظورها • ولقد هبت القوات الشعبية القوية فى البلاد التى حاول الفاشيون اقامة نظامهم الجديد فيها لتحطيم أسس هذا النظام • وشن المدافعون عن الحرية والديمقراطية والاستقلال الوطنى هجوما قويا عنيفا على الفاشية التى مثلت الوليدة الكريهة للامبريالية •

وبالرغم من اشتراك حركات المقاومة ونضال الأنصار فى الاتحاد السوفياتى فى عدد من الظواهر المشتركة وفى مقدمتها الهدف الواحد فى محاربة الفاشيين ، الا أنه هناك أيضا فروق بينهما بسبب التباينات فى البنيات السياسية - الاجتماعية • فلقد ملئت حركات المقاومة السكل الوحيد للنضال ضد الغزاة الأجانب فى أراضي البلاد المعنية ، بينما وحدت حركة الأنصار السوفيات عملياتها مع عمليات القوات المسلحة السوفياتية التى مثلت القوة الضاربة الرئيسية ضد العدو • وكانت الحكومات البورجوازية للبلاد المحتلة تقيم فى المنفى غالبا ، وكانت تقاوم كقاعدة رئيسية - تطور حركات المقاومة ونموها ، متخذة لنفسها سياسة الترقب والانتظار • أما حركة الأنصار السوفيات فكانت ترتبط ارتباطا وثيقا بالجهود الحربى العام الذى يوجهه الحزب ، وتشرف الحكومة على تنفيذه • وكانت حركات المقاومة توجه نضالها أيضا ضد القوى الرجعية التى أيدت النظم الرجعية ، وتقوض مواقعها اذ كانت هذه القوى تأمل فى اغتصاب السلطان بعد انتهاء الحرب • أما حركة الأنصار السوفياتية فكانت تساعد من ناحيتها على تثبيت أقدام السلطة السوفياتية ، وتعمل على نشر اتصالها بالجماهير •

وكانت حركة الأنصار السوفياتية من الناحية العضوية ، حركة

تمثل الشعب السوفياتي كله ، اذ أن هذا الشعب هو الذي خلقها ، ودفع بها الى حيز الوجود ، وأعانها بكل ما لديه من قوى وموارد .

وكان لحركات المقاومة وحركة الأنصار السوفياتية أيضا ، أثر عظيم على الصعيد الدولي ، اذ كانت تمثل التعبير القوي الحازم لاصرار الشعوب على سحق النظام الفاشي الجديد .

ولقد عبرت هذه الحركات كلها عن طبيعتها الدولية في روح التعاون الدولي والزمالة التي سادت علاقاتها « مع بعضها البعض » . ولقد مثلت وحدات الأنصار السوفياتية جميع القوميات في الاتحاد السوفياتي كما ضمت في صفوفها رجالا يمنون الى بلاد أخرى كبولندة وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا وفرنسا وإيطاليا وأسبانيا وألمانيا وغيرها . ولا شك في أن وحدة الزمالة هذه نفوت وتعززت الى الأبد ، بالدم المشترك الذي سفك في ميادين القتال ، ومضى الأنصار السوفيات مع تطورات الحرب وسيرها ، ينقلون عملياتهم الى البلاد الاوربية المجاورة للاتحاد السوفياتي . وكانوا يحاربون جنبا الى جنب مع الأنصار البولنديين والتشييك وغيرهم في البلاد الأخرى ويساعدونهم على تحرير أوطانهم من الغزاة . وفر عدد من الوطنيين السوفيات من معسكرات الاعتقال النازية وانضموا الى وحدات الأنصار في أوروبا الغربية . وسيدكر رفاقهم في السلاح دائما بسالتهم ، كما ستذكرها شعوب فرنسا وإيطاليا وبلجيكا والنرويج واليونان وغيرها . وكان محاربو الاتحاد السوفياتي ، رجالا ونساء ، يدركون تمام الادراك أنهم لا يحاربون في القوات المسلحة وفي حركة الأنصار . لانقاذ الاتحاد السوفياتي وحده من خطر الفاشية الرهيبة ، وانما لتحرير جميع الشعوب المهددة بالاستعباد النازي أيضا .

وحملت البسالة التي أظهرها المحاربون السوفيات الحرية الى الجنس البشري كله وكانت تعنى للبعض التحرر من الاحتلال النازي ، بينما تعنى للآخرين التحرر من غزو العدو ، ولجميع الشعوب في العالم ، تهيئة الجو الصالح للتحرر الوطني والاجتماعي .

وكان الجهد البطولي الذي أبداه الجنود والأنصار السوفيات ، مثلا ملهما لجميع جيوش الحلفاء ، ولجميع المناضلين في حركات المقاومة وحملت وحدات مناضلة كثيرة في فرنسا وإيطاليا وغيرها من البلاد اسماء عدد من المناضلين السوفيات .

ويحاول بعض مؤرخي حركات المقاومة اليوم ، « ايلاء » المكانة

الأولى لما تتميز به البورجوازية من مكابرة • وهم يشككون فى سلامة حركات الأنصار والمقاومة ، ويدعون أن جهودها لم تكن مجدية اذ أنها لم تكن أكثر من قوات اضافية ، بينما اعتمدت نتيجة الحرب على اجيوس ذات الملايين المتعددة • ولكننا نقول لهؤلاء ، لا ، وآلف لا ، اذ لايجوز مطلقا التقليل من قيمة هذه الحركات الوطنية والطبيعية • فلقد أسهمت هذه الحركات اسهاما كبيرا فى استتارة المشاعر الوطنية والوعى الدولى عند الملايين من أبناء الشعوب ، ودفعتهم الى المبادرة والنشاط ، كما أدت دورها العظيم فى تحقيق النصر على الفاشية •

وهناك الكثير من الصحة فى القول بأن أعمال الحرب الحاسمة قد تحققت فى الجبهة ولا سيما فى الجبهة الألمانية السوفياتية التى مثلت المسرح الرئيسى للحرب •

ولقد اضطرت قوتان على الجبهة السوفياتية الألمانية : قوة الفاشية ذات النظرية العنصرية المتوحشة والفلسفة المفترسة ، وقوة الاشتراكية بمبادئها المرنكة الى التحرر من العبودية والطغيان • وكانت الهتلرية قد سممت عقول ضباط الجيش الألمانى وجنوده • أما الجنود السوفيات ، فكانوا من الناحية الأخرى ، يعون وعيا عميقا رسالتهم التحررية ، وملهم الانسانية والدولية • وكانت نتيجة الصراع ذات أهمية ضخمة ومطلقة بالنسبة الى المستقبل • ولم تكن هذه النتيجة بالعارضة ، فقد ذكر خروشوف أن « قوة الاشتراكية الهائلة ظهرت واضحة فى عظمتها وضخامتها فى الحرب الوطنية العظمى » (١) وأظهر النصر السوفياتى على ألمانيا بصورة واضحة المزايا الهائلة للاشتراكية وتفوقها على النظام الرأسمالى كما بين أن الاشتراكية قوة تاريخية لا تقهر •

وأدهش رجال الجيش والاسطول السوفياتيين باخلاصهم العميق لمثلهم ، وولائهم لبلادهم العالم كله ببطولاتهم وشجاعتهم وتصميمهم •

وتشير الاحصاءات الرسمية التى صدرت فى الأول من يونيو من عام ١٩٤٦ الى أن أكثر من سبعة ملايين من الجنود والبحارة والضباط والجنرالات وأمراء البحر قد منحو أوسمة الاتحاد السوفياتى وميدالياته لبطولتهم • ومنح ١٠٩٤٢ محارباً لقب بطل الاتحاد السوفياتى • وهكذا

(١) برافدا عدد ٢٢ يونيو ١٩٦١ •

حقق جنود الاتحاد السوفياتى ثقة شعبهم وشعوب العالم بهم ، وأدوا رسالتهم التاريخية فى مجال التحرير بشرف وكرامة .

وحقق الشعب فى المؤخرة السوفياتية أعمالا لا تنسى من الاخلاص والبسالة . فبالرغم من سيطرة العدو على شطر كبير من أراضى الاتحاد السوفياتى ، حيث كانت الصناعة السوفياتية مركزة قبل الحرب ، فان الشعب السوفياتى نجح بعمله الصادق والكادح فى تزويد الجيش السوفياتى بأحدث أسلحة الحرب متفوقا بها على انتاج المصانع الحربية الألمانية . وحققت الاقتصاد الاشتراكى السوفياتى نصرا ضخما على الاقتصاد الالمانى ووضع بذلك أسس الانتصارات اللاحقة للأسلحة السوفياتية . ولا شك فى أن هذا بين بدوره ، وبصورة واضحة تفوق الاشتراكية .

وأظهرت الحرب قوة التحالف القائم بين الطبقة العاملة وبين الفلاحين فى الاتحاد السوفياتى ، وصمود هذا التحالف أمام جميع متاعب الحرب ومشقاتها . ولم يتخاذل العمال والفلاحون والمثقفون فى وجه المتاعب ، بل صمدوا لجميع المحن والتجارب ومشقات الحرب ، وحاربوا ببسالة فى ميادين القتال والانتاج .

ولا شك فى أن الحب الجم للبلاد والوطنية والوحدة السياسية والمذهبية والصداقة بين شعوب الاتحاد السوفياتى ، « والكراهة » الساعرة للغزاة الأجانب ، كلها عوامل أدت الى ظهور تلك القوة الهائلة التى تمكن بها الاتحاد السوفياتى من الصمود فى وجه الهجوم الفاشى . وأظهر الشعب السوفياتى عزيمة ووحدة لا مثيل لهما طيلة أيام الحرب . وانتصر النظام السياسى والاجتماعى السوفياتى بعد أن صمد لتجربة الحرب القائمة وأظهر حيوية غير عادية .

ولا شك فى أن القيادة السوفياتية كان لها فضل كبير فى حث الشعب على اظهار روحه وحيويته ، وإبراز بطولاته الضخمة فى ميدان القتال وفى المؤخرة .

ولم يتوان الاتحاد السوفياتى بعد نشوب الحرب عن اعلان أهدافه الحربية ، على النقيض من البلاد الأخرى . وهكذا كان الاتحاد السوفياتى أول بلاد قدمت برنامجا شاملا لأوضاع السلام بعد الحرب ، معلقة أبلغ الأهمية على المضامين الديمقراطية لأهدافها .

وكان الاتحاد السوفياتى فى الجهود التى بذلها لايجاد صورة ديمقراطية لعالم بعد الحرب ، يعتقد أن حلفاءه صادقون فى عزمهم على

تحرير شعوب أوروبا من الغزاة الفاشيين ، وعلى مساعدتها فى إعادة بناء دولها القومية التى فسخها العدو وأنزل بها الدمار ، وعلى إعطاء الشعوب المنحررة حقوقها الكاملة وحريتها فى اختيار نظمها السياسية ، وعلى ضمان معافاة جميع مجرمى الحرب الفاشيين ، وإقامة نظام عالمى ، يستبعد منه أى احتمال لتجدد العدوان من جانب ألمانيا واليابان ، وبناء تعاون اقتصادى وسياسى وثقافى بعيد المدى بين الأمم يفوم على الثقة والعون المتبادلين . ولقد صاغ الاتحاد السوفياتى برنامجا هذا فى نضال تضمنته سلسلة من الوثائق السوفياتية ، ومن خطب القادة السوفيات ، وقامت به جماهير الشعب السوفياتى بتوجيه من حكومتها ، وباحساس لاينسنى بالهدف وبمعنى الاخلاص له .

- ٣ -

ومنى الاتحاد السوفياتى بخسائر ضخمة فى الحرب . فقد فقدت ملايين كثيرة من رجال الاتحاد السوفياتى ونسائه وأرواحهم فى ميادين القتال ، وفى المناطق المحتلة ، وإبان القيام بأعمال السخرة لألمانيا . وقال خروشوف : « أنزل الهجوم الألمانى الغادر بالاقتصاد القومى للاتحاد السوفياتى . خسائر إذا ضمت الى مجموع الانفاق الحربى والى الخسائر المؤقتة التى نزلت بالدخل الذى تؤمنه الصناعة والزراعة فى المناطق المحتلة . بلغت فى مجموعها ٣٥٦٩.٠٠٠ مليون روبل . ولو أن هذه المبالغ الضخمة أنفقت على أعمال التطور السلمى ، أى على انشاء المصانع والسكك الحديدية ، ومحطات توليد الطاقة الكهربائية والاسكان وزيادة انتاج السلع الاستهلاكية ، لكان قد تحقق لنا منذ أمد بعيد ، عامل الوفرة فى السلع المادية » (١) .

ولم يكن فى وسع أى بلد رأسمالى ، مهما كان كبيرا أن يحتمل مثل هذه الخسائر الهائلة اذ لو نزلت به ، لفقد استقلاله ، ولسقط اما فى قبضة أعدائه من الرأسماليين أو حلفائه من الرأسماليين أيضا . ولكن هذا لم يحدث للاتحاد السوفياتى ، ولم يكن من المقدر له أن يحدث له مطنفا . فلم تكد الحرب تضع أوزارها ، حتى كان الشعب السوفياتى يخطو حثيا ويطور نظامه الاشتراكى ، ويمهد الطريق لمزيد من التقدم الناجح .

(١) نيكيتا خروشوف فى كتابه « أربعون سنة بعد ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى » - ١٩٥٧ ص ٢٢ - ٢٣ .

وعبأ الشعب السوفياتى بقيادة حزبه ، قواه الهائلة حقا لمواجهة التحديات التى تعرض لها ابان الجهود الجبارة لاعادة بناء ما أنزلته الحرب ببلاده ، ولتحقيق المزيد من التقدم الاقتصادى . وتمكن هذا الشعب من انجاز ما هدف اليه ، بفضل جهوده الخاصة ، ودون عون من أحد ، فى وقت قصير الى حد يثير الدهول . وتمكن فى غضون سنين فقط ، بعد انتهاء الحرب ، من العودة فى انتاجه الى مستويات ما قبل الحرب . وسرعان ما انتصبت المدن التى هدمتها الحرب ، وقامت فوق الانقاض ، وارتقت الحضارة الاشتراكية السوفياتية الى سماكات أعلى .

وحقق المؤتمر العشرون للحزب السوفياتى تبديلا تاريخيا خطيرا فى حياة الحزب والشعب السوفياتى ، وفى الحركة الاشتراكية الدولية . فقد أدان المؤتمر عبادة الفرد التى أنزلت الكثير من الأضرار بالاتحاد السوفياتى وأعاد المعايير اللينينية عن الحياة الحزبية ومبادئ لينين عن القيادة الحزبية والحكومية . وأمنت هذه التبدلات مجالات فسيحة لنشاطات الشعب وحوافزه ، كما رسمت الحلول الجريئة للمشاكل الداخلية والخارجية الملحة وأزالت التزمّت البالى فى العقائد ، وحفزت على المزيد من التطور الخلاق فى النظرية الماركسية – اللينينية ، فى اطار الاجواء التاريخية الجديدة التى نشأت عن الحرب وعن التطورات المبكرة التى تلتها .

ولم يحل عام ١٩٥٩ ، حتى كان الشعب السوفياتى بقيادة حزبه ، قد حقق تبدلات مذهلة فى جميع مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسوفياتية ، ووصل الى آفاق جديدة . وسجل المؤتمر الواحد والعشرون للحزب ، والذي انعقد فى مستهل عام ١٩٥٩ أن الاتحاد السوفياتى دخل مرحلة جديدة وبالغة الأهمية من مراحل التطور ، وهى مرحلة بناء المجتمع الجديد .

ويمثل الواجب الأول فى هذه المرحلة فى بناء الأسس المادية والتقنية وسيكون فى مكنة الاتحاد السوفياتى أن يتفوق فى معدل الانتاج بالنسبة الى الفرد الواحد من المجموع على معظم الدول الرأسمالية المتقدمة ، مما يمثل بداية مرحلة تاريخية جديدة فى المنافسة الاقتصادية بين الاتحاد السوفياتى والولايات المتحدة الامريكية . فها هو الفرق فى معدل الانتاج للفرد بين هاتين الدولتين ينكمش بسرعة هائلة ، وأخذت المجالات التى يعتبر الاتحاد السوفياتى متفوقا فيها على سائر بلاد العالم ، تزيد يوما بعد آخر .

ومثل المؤتمر الثانى والعشرون للحزب الذى عقد فى شهر أكتوبر من عام ١٩٦١ . عهد البناء للمرحلة الجديدة . وأقر المؤتمر برنامجا جديدا للحزب ، يعتبر البيان الشيوعى للعصور الحديثة (اشارة الى بيان كارل ماركس فى القرن التاسع عشر) وقد تضمن التقييم الفلسفى والاقتصادى والسياسى للبناء الجديد فى الاتحاد السوفياتى . ويعتبر هذا البرنامج ، أول صورة شاملة وجامعة للمجتمع الجديد الذى يتم بناؤه فى الاتحاد السوفياتى الآن ، وأول دليل على الطرق والوسائل التى يتم فيها بناء هذا المجتمع . ولا شك فى أن الفرضيات النظرية التى تضمنها البرنامج تجد تبريرها ودعمها فى الأهداف المحددة التى وضعها والتى تستند الى تجارب البناء الاشتراكى والى الجهد البطولى للشعب .

وهكذا نجد أن الاتحاد السوفياتى حقق فى الفترة القصيرة التى انصرمت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية نتائج مذهلة . ويرجع الفضل فى تحقيق هذه النتائج الى وطنية الشعب السوفياتى ، والى اخلاصه للامحود لقضية الحزب ، وقضية الاشتراكية . واستكمل هذا التطور الاقتصادى الذى وقع فى الاتحاد السوفياتى ، وما رافقه من توطيد دعائم الوحدة الداخلية فى البلاد ، بما حققه العلماء والمهندسون والعمال السوفيات من انتصارات فى مجالات العلم والتقنية ، لقلب ميزان القوى العالمية لمصلحة الاشتراكية . فلم تكد الحرب العالمية الثانية تضع أوزارها حتى كان الاتحاد السوفياتى يبرز غيره فى ميدان العلم والتقنية الحديثين ، ويحقق انتصارات ضخمة هيات له مكان القيادة فى بعض المجالات .

فالالاتحاد السوفياتى يحتل مكان التفوق فى ميدان الطبيعة (الفيزياء) النووية ، وفى بعض القطاعات الالكترونية الهامة ، وفى مجال الصواريخ وقد مكّنه هذا التفوق من احتلال مركز القيادة فى ريادة الفضاء الخارجى وكان رواد الفضاء السوفيات ، هم أول من غزوا هذا الفضاء .

وكان ظهور الاشتراكية خارج حدود الدولة الاشتراكية الوحيدة ، أهم تطور تاريخى ، وقع بعد أكتوبر من عام ١٩١٧ ، كما مثل العامل الأساسى فى تغيير ميزان القوى على المسرح العالمى .

وكانت القسارتان : الأوربية والآسيوية تجيشان بالثورات الاشتراكية منذ أمد بعيد . وجاءت الحرب العالمية الثانية فدفعت عجلة التاريخ بسرعة هائلة . فقد اصطدمت الحياتان القومية لجماعات الاقطاعيين وكبار البورجوازيين الذين أقبلوا طواعية وبحماسة على خدمة قوات

«احتلال من ألمانية فى أوربا ويابانية فى آسيا ، بتطلعات الشعوب . ولحق التفسخ والانهيـار ، بعدد من الأحزاب الرجعية والانهازمية . وحاربت حركات المقاومة ، الغزاة الأجانب ، كما حاربت الحقنة والمتعاونين . وبينما كانت الأحزاب « التاريخية » كما كانت أحزاب البورجوازيين والاقطاعيين القديمة ، تختفى من مسارح الأحداث ، وبينما لحق الهوان والذلة والعار بالسلطات والحكومات السابقة ، صمد الشيوعيون للمحنة ، وللنار والحديد وتولوا قيادة النضال من أجل التحرر الوطنى فى البلاد الاوربية والآسيوية المحتلة .

وتحولت نضالات التحرر الوطنى ضد الغزاة والمتعاونين ، بعد ان حملت فى كثير من البلاد شكل الصراع المسلح الى حروب ثورية مع مضى الزمن . فقد كانت هناك جماعات الاقطاعيين وكبار الرأسماليين التى تتعاون مع سلطات الاحتلال فى جانب ، وكانت جماهير الشعب المتحدة فى جبهات شعبية محكمة الصلات تقف فى الجانب الآخر . ولقد شهدت السنوات الأخيرة من الحرب ، والسنوات الأولى التى تلت نهايتها ، ثورات شعبية أصيلة فى عدد من البلاد الاوربية والآسيوية ، وسرعان ما تحولت هذه الثورات الى ثورات اشتراكية .

وكان هذا هو السبيل الذى اختطته شعوب ألبانيا وبلغاريا والصين وتشيكوسلوفاكيا والمجر وألمانيا الديمقراطية وفيتنام الديمقراطية ، وكوريا الشعبية الديمقراطية وبولنده ورومانيا ويوجوسلافيا ومغوليا الشعبية .

وأدى سير الثورات الاشتراكية ونجاحها ، الى ظهور عملية موضوعية ضمت البلاد الاشتراكية « الى بعضها البعض » . ويقول برنامج الحزب السوفياتى : « ان نظاما اشتراكيا دوليا قد برز الى حيز الوجود ، وان مجموعة اجتماعية واقتصادية وسياسية من الشعوب الحرة المستقلة ذات السيادة ، قد اتحدت ابان متابعتها للطريق الاشتراكى ، فى مصالحها وأهدافها ، وربطت بينها أواصر متينة العرى من التضامن الاشتراكى الدولى » (١) .

ولا شك فى أن تطور الاشتراكية الى نظام عالمى ، وتقدمها السريع ، يمثل الظاهرة المميزة الرئيسية للعصر الحديث . فقد نشأ وضع دولى جديد

(١) « الطريق الى الشيوعية - وثائق المؤتمر الثانى والعشرين للحزب السوفياتى » موسكو - ص ٤٦٤ .

يختلف كل الاختلاف عن الأوضاع الماضية اذ لم يعد النظام الرأسمالى العالمى ، يجد معارضة منمثلة فى دولة اشتراكية واحدة وانما فى مجموعة من البلاد الاشتراكية سائرة فى طريق القوة والنمو المستمر . وهكذا أصبح الصراع بين النظامين العالميين المتعارضين يؤلف المحور الرئيسى فى سياسات العالم واقتصادياته .

وها هو . . الميزان فى هذا الصراع بين النظامين العالميين ، يميل الى جانب الاشتراكية ، اذ أنها النظام الوحيد الذى يمهّد الطريق لتقدم الانسانية ، ويخلق الحلول للمشاكل الاجتماعية التى أقلقّت عقول الناس منذ العصور الموهلة فى القدم . ولن ينتظر العالم طويلا حتى يرى النظام الاشتراكي العالمى ، ينتج أكثر من نصف انتاج العالم الصناعى ، فيحقق بذلك التفوق المطلق فى الصناعة العالمية .

ويعتمد ميزان القوى الى حد كبير على معدلات التنمية الاقتصادية ، وعلى أوضاع العلم والثقافة ، وتدريب العاملين فى الاقتصاد وانتشار التخطيط الاقتصادى والافادة الصالحة من الموارد المتوافرة ، وطرائق التوزيع ، والعوامل السياسية والأخلاقية ، وعلى الأوضاع الدفاعية للبلاد أولا وأخيرا . وتظهر النتائج المتجمعة لكل هذه العوامل ، وما يقوم بينها من ترابط ، بصورة لا تقبل الشك أو الجدل أن النظام الاشتراكي العالمى منفوق فى قوته على المعسكر الامبريالى . وهكذا ظهر توازن جديد للقوى فى العالم ، تحتل فيه الاشتراكية مكان القيادة الواضحة .

وقد أصبح التبدل الجذرى فى علاقات القوى العالمية وميزانها ، من الواضح بحيث اضطر كبار القادة الغربيين الى الاعتراف به . وكان جون فوستر دالاس أول الساسة الأمريكين الذين أقروا بهذه الحقيقة عندما قال : « وقع هناك تبدل واضح للغاية فى ميزان القوى فى العالم ، وكان هذا التبدل فى مصلحة الشيوعية السوفياتية » (١) .

وذكر الرئيس الأمريكى الراحل جون كيندى ابان حملته الانتخابية فى عام ١٩٦٠ أن « القوة الشيوعية تنمو وما زالت تنمو بسرعة أكبر من نمو قوتنا وبمعدل نمو أوسع من معدل نمونا » (٢) .

وأدى هذا الى تغير هام وملحوظ فى دور كل من الاشتراكية والامبريالية فى العالم . فقد اختفى منذ أمد بعيد ، ذلك اليوم الذى كانت

(١) جون فوستر دالاس فى كتابه « حرب أم سلام » - نيويورك ١٩٥٧ - ص ١٦٣ .

(٢) النيويورك تايمز عدد ٢٧ أغسطس ١٩٦٠ .

فيه الامبريالية تتحكم فى العالم كما تهوى وتشاء ، وتحل كافة القضايا الدولية المهمة على الصورة التى تراها مناسبة ، والذى كانت تقرر فيه قضايا الحرب والسلام ، بصورة استبدادية لا خيار فيها .

وكان الامبرياليون دائما وما زالوا أشبه بالوحوش المفترسة . وما زالت شهوانهم « وكرهم » للتقدم الاجتماعى ، يحفزهم الى سفك الدماء كما وقع فعلا فى الحربين العالميتين . وهم يمثلون العدو القوى الماكر للاشتراكية ، وللطبقة العاملة ، وحركات التحرر الوطنى . وما زالوا قادرين على ارتكاب أفظع الجرائم وأكثرها شرا ضد الانسانية . ولنضرب على سبيل المثال أزمة البحر الكاريبى التى خلفها الامبرياليون الأمريكيون فى شهر اكتوبر من عام ١٩٦٢ . فقد جثم خطر الحرب الرهيب على العالم كله . وكانت السياسة السوفياتية التى جمعت بين المرونة والصلابة هى التى جنبت العالم أخطار الحرب النووية . وهكذا انتهت الأزمة بفضل العمل المصمم الذى قام به الاتحاد السوفياتى وشعب كوبا ، وبفضل مالىة هذا العمل من رعم المجموعة الاشتراكية كلها ، وأنصار السلام فى العالم . وبين حل هذه الأزمة ، أن الامبريالية لم تعد تملك الموارد السابقة التى كانت تمكنها من العمل كما تشاء ، وكما تدفعها حماقتها . فهناك فى أجوائنا العالمية الراهنة فرص واقعية ، نشأت عن تفوق الاشتراكية على الامبريالية ، لتجنب الحروب ، ولا شك فى أن العالم سيشهد فرصا مقبلة قريبة تمكنه من استبعاد الحروب العالمية من حياة المجتمع الانسانى .

ولقد سجل المؤتمر الثانى والعشرون للحزب السوفياتى أن النظام الاشتراكى العالمى أخذ يتحول الى عامل حاسم فى التطور العالمى . فلم تعد الامبريالية بأساليبها المفترسة هى القوة التى تصوغ مستقبل الجنس البشرى ، وانما التى تصوغه الآن هى الاشتراكية بما لها من مثل عن السلام والتقدم . وهناك فرص واقعية متوافرة الآن لارغام الامبرياليين على الاهتمام بالعلاقات الجديدة للقوى ، وبدور الاشتراكية فى العالم الحديث ، واجبارهم ، على التخلي عن سياستهم القديمة فى استخدام القوة ، واتباع سياسة العقل ، والابتعاد عن حالات الاملاء وفرض الشروط والعدوان ، والاقرار بضرورة التعايش السلمى . ولا شك فى أن المؤتمر الثانى والعشرين كان مصيبا كل الصواب فى قوله بأن آمالا مشرقة وبعيدة المدى قد ظهرت فى الأجواء المعاصرة ، لنشر التعايش السلمى بين البلاد ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة ، الى أن يتم حل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التى تقض على الانسانية مضاجعها حلا نهائيا .

وتبين سكان المستعمرات والبلاد التابعة ابان الحرب العالمية الثانية

نتيجة تجاربهم السياسية • أن الامبريالية عازمة عزما أكيدا ، لا على تنبئت أقدام طغيانها الاستعماري ونشر أنظمتها فحسب ، بل وعلى جنى أكبر الفوائد منه أيضا • وأدركت هذه الشعوب أن الطغاة الامبرياليين لم يعودوا ذلك الجانب الضخم من القوة الذي يتظاهرون به • فقد أظهرت الحرب ما لحق ببريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا من الدول الاستعمارية الرئيسية من هرم وضعف وعجز • وأنزلت الحرب هزيمة ساحقة أيضا بطلاب السيطرة الاستعمارية من الألمان ، كما أسقطت الاستعماريين الإيطاليين واليابانيين ، وأدت الى الكشف عن الطبيعة النهائية للامبريالية الأمريكية وعرتها على حقيقتها •

وكان على السياسات الاستعمارية للدول الامبريالية أن تصطرع ابان الحرب وبعدها مع السياسات التحررية للاتحاد السوفياتي • وهللت الشعوب للنصر السوفياتي على الغزاة الفاشيين واعتبرته عن حق وصدق تصرا لفكرة التحرر وسياساته • واستقبلت شعوب البلاد المضطهدة ، أهداف الحرب التحررية التي أعلنها الاتحاد السوفياتي ، كهربون على تحررها الوطني والاجتماعي ، وكدعم لتطلعاتها القومية وآمالها • وكانت هذه الأهداف التحررية هي التي حفزت الجماهير على الاشتراك في الصراع الحاسم ضد العدوان الفاشي •

وكان النضال البطولي الذي خاضه الوطنيون الصينيون ضد العدوان الياباني أثناء الحرب ، وصعد تشيان كاي شيك والتدخل الأمريكي بعد انتهائها ، نموذجا ، من حق شعوب المستعمرات والبلاد التابعة ، أن تحتذبه ، وتسير على منواله •

ولا شك في أن حركة التحرر والنضال الشعبي المسلح ضد الغزاة اليابانيين ، مهدا الطريق أمام حركات التحرر التي خاضتها الشعوب الآسيوية • وهكذا تعلمت شعوب كوريا وفيتنام وأندونيسيا وبورما والملايو والفلبين ، استخدام الأسلحة النارية وأساليب الكفاح المسلح المختلفة • وتمرست هذه الشعوب في نضالها المسلح على القتال ، وأتقنت فن مضايقة الطغاة وانزال الهزيمة بهم •

وهكذا تحقق الجو الجديد المواتي لحركات التحرر لشعوب آسيا وافريقيا • فلم يعد في وسع شعوب المستعمرات أو البلاد شبه المستعمرة ، أن تحيا ، كما كانت تحيا من قبل ، وأصبحت هذه الشعوب على استعداد لتقديم أغلى التضحيات لتحقيق تحسن جذري في أوضاعها الحياتية • وكان الاستعماريون أيضا قد فقدوا مخالبيهم ، ولم يعد في وسعهم أن

يستخدموا الأساليب القديمة السابقة في التحكم والسيطرة . فعندما انتشرت حركة الاستقلال الوطنى لتعم مئات الملايين من الناس ، لم تعد الأساليب المألوفة فى القهر قادرة على مواجهتها ، لا سيما وأن الشعوب نفسها أمسكت بالسلاح وباتت على استعداد لمقاومة القوة بالقوة .

وقاومت الامبريالية مقاومة يائسة وعنيدة ، محاولة الاحتفاظ بسيطرتها على نظامها الاستعماري بقوة النار والسيف . لكنها كانت أضعف من أن تستطيع الحيلولة دون التحول التاريخي فى مصر آسيا وافريقيا ، ومصر العالم المستعمر كله أيضا . وانهار النظام الاستعماري للرأسمالية ، وكان هذا الانهيار أحد التطورات التقدمية البارزة التى شهدناها عصرنا الراهن . ودارت سلسلة طويلة من المعارك الواسعة النطاق ، بين البلاد الصاعدة المناضلة فى سبيل استقلالها السياسى والاقتصادى وبين الدول الامبريالية التى قاتلت بكل ضراوة لوقف التيار المنصاعد . ولما كانت الامبريالية مصممة على الاحتفاظ بسيطرتها . فقد لجأت الى صور جديدة من السياسات الاستعمارية .

وانتشر النضال من أجل الحرية فى العالم المستعمر انتشار النار فى الهشيم . ولم تكد الحرب العالمية الثانية تضع أوزارها ، حتى انهار الحكم الاستعماري القديم المحاط بالأزمات الشاقة المجاهدة أمام نضال أكثر من خمسين بلدا ، يسكنها نحو من ١٥٠٠ مليون من الناس . وكان هذا النصر متعذرا لولا أن الاشتراكية كانت قد أصبحت قوة عالمية مرهوبة وقوية .

وأحدث انهيار النظام الاستعماري للرأسمالية تبدلات واسعة النطاق فى ميدان العلاقات الدولية . وراحت دول كثيرة تسير الآن فى معارج البعث القومى ، بعد أن ظلت القوى الاستعمارية قرونا طويلة ، تحول بينها وبين سلوك سبيل التقدم . وأصبحت شعوب ذلك الجزء من العالم الذى كان يبرز حتى عهد قريب تحت نير الاستعمار ، عاملا قويا . وجديدا فى السياسات الدولية الراهنة . وأصبحت شعوب المستعمرات وأشباه المستعمرات السابقة ، تخلق الآن حياة جديدة لها وتؤلف قوة ثورية تعمل على تقويض الامبريالية وتدعو الى العلاقات السلمية بين مختلف الدول .

وتسير معظم الدول المستقلة الفتية التى تخلصت من أوضاع الاستعمار وشبه الاستعمار ، على سياسات قومية خاصة بها تستند الى عدم الانحياز الى الكتل العسكرية المتعارضة . وبالرغم من حيادها على

هذا الصعيد ، فانها لا تعتبر فى مواقفها محايدة تجاه مشاكل الحرب والسلام ، اذ أنها تعارض باصرار العدوان الامبريالى والحرب ، وتعمل جاهدة على حماية السلام العالمى . وتتوافق سياستها فى هذا الصدد مع سياسات البلاد الاشتراكية .

ولا شك فى أن الحرب العالمية الأولى ونورة اكتوبر الاشتراكية. مثلتا جرس الخطر الذى أعلن قيام الازمة العامة التى تواجه الرأسمالية . ودخلت هذه الازمة ابان الحرب العالمية الثانية وبعد النصر الذى حققته الثورات الاشتراكية فى عدد من البلاد الآسيوية والاوربية ، مرحلتها الثانية ، لتظل فى الخمسينات مرحلة ثالثة وجديدة .

وتمثل أزمة الرأسمالية العالمية ، عملية شاملة واسعة النطاق. تتناول جميع نواحي الحياة فى المجتمع البورجوازى ، أى سياساته الاقتصادية ، وسياساته الداخلية والخارجية ، وبنياته المذهبية الايديولوجية . ولقد شهدت المرحلتان الثانية والثالثة من هذه الأزمة ، نوترات عنيفة ، كانت العوامل الرئيسية فيها ، وجود نظام عالمى اشتراكى ناجح ، وانهيار النظام الاستعمارى ، وخسارة الرأسمالية لسيطرتها على معظم أرجاء العالم ، وعجزها عن أن تؤمن للشعب نظرة عمل خلاقة وسلمية ، ونمو الروح العسكرية فى البلاد الامبريالية والمحاولات المسنمة لخلق حرب عالمية جديدة ، والافلاس الايديولوجى المفجع للطبقات الحاكمة فى البلاد الامبريالية . ولا شك فى أن الانتصارات التى حققتها الاشتراكية ، تحتل مكان الصدارة بين هذه العوامل ، اذ أظهرت بوضوح ، عجز الرأسمالية عن تحقيق المزيد من النمو السريع لقوى الانتاج وعن ضمان التحسين الجذرى لوضع الشعوب .

ولعل من المهم أن نلاحظ أن المرحلة الثالثة لأزمة الرأسمالية العامة . لم تنشأ فى ظروف حرب عالمية ، وانما فى جو يكاد يشبه الحرب ، أو جو من الصراع الاقتصاى والسياسى والمذهبى بين النظامين العالميين . ولقد منيت الرأسمالية فى هذا الصراع بنكسات موجعة كثيرة .

ويعتبر الصراع الاقتصاى الذى يمثل المسرح الاساسى الذى ندور عليه أحداث الصراع الطبقي أو الصراع بين الاشتراكية والرأسمالية على نطاق عالمى ، أمرا حاسما . أما على المسرح السياسى ، فقد تمكن الاتحاد السوفياتى وجميع قوى السلام المرة تلو المرة من احباط محاولات الامبريالية لخلق حرب عالمية جديدة . وتحقق الاشتراكية أيضا انتصارات

فى منتهى الاهمية على المسرح الايديولوجى ، وأخذت نترك أنرا بارزا وملحوظا على عقول الناس جميعا .

وأصبحت التناقضات المدمرة للرأسمالية أكثر حدة وعنفا . فلم يسبق للمجتمع الرأسمالى أن شهد مثل هذا الصراع العنيف بين قوى الانتاج وضمن اطار العلاقات الانتاجية . وبات عدم الاستقرار الصفة المميزة للاقتصاد الرأسمالى . واشتدت حدة مشكلة الأسواق ، وبلغت آفاقا كبيرة وضخمة . وأصبحت ايدولوجية الامبريالية محاصرة فى خضم من الأزمات الخطيرة واليائسة . ودخل النظام الاستعمارى فى هذه المرحلة الأخيرة من مراحل أزمة الرأسمالية العامة . مرتبة الانهيار النهائى والكامل .

وازداد عدم التكافؤ فى تطور البلاد الرأسمالية عما كان عليه من قبل ، وأصبح يمثل ظاهرة خطيرة من ظواهر أزمته العامة . وأصبحت معظم البلاد الرأسمالية تزيد انتاجها بسرعة تفوق سرعة الولايات المتحدة فى الانتاج . ونتج عن هذا التطور أن الانكماش المستمر لحق بنصيب الولايات المتحدة من الانتاج الصناعى فى العالم الرأسمالى . وغدت اليابان وإيطاليا وألمانيا الغربية من منافسات أمريكا وهى عين البلاد التى تزعمت الكتلة الفاشية أيام الحرب ، تطور انتاجها بسرعة تفوق سرعته ومعدلاته فى البلاد الرأسمالية الأخرى .

وحققت رأسمالية احتكار الدولة التى تتميز بالتدخل المباشر من جانب الدولة الرأسمالية فى الاقتصاد لمصلحة الأعمال الكبيرة ، مكاسب واحتلت مواقع جديدة وباتت الدولة اليورجوازية العصرية تطبق اجراءات تهدف الى تكييف الاقتصاد ، والسيطرة عليه ، بل انها باتت تحطو خطوات واسعة فى ضمان السيطرة على بعض فروعها . ويحس اشتراكيو الجناح اليميني بالزهو لهذه الاجراءات التى يصفونها بالاشتراكية فى طبيعتها . ولكنهم فى الواقع لا يفعلون أكثر من توسيع السلطان الاحتكارى على المجتمع ، ومضاعفة الأرباح الاحتكارية ، والعمل لا لاسعاد الشعب بل لاثراء طبقة المحتكرين . وأصبحت حفنة من أصحاب الملايين ومئات الملايين تفعل ما تهوى وتشاء بثروات العالم الرأسمالى .

وتجمع رأسمالية احتكار الدولة بين قوة الاحتكارات وقوة الدولة وتشكل جهازا واحدا يهدف الى إثراء المحتكرين واضطهاد حركات الطبقة العاملة ومكافحة نضال التحرر الوطنى ، وانفاذ النظام الرأسمالى وتهيئة

الجو للحرب العدوانية • وتطورت الدولة الرأسمالية فأصبحت تشبه لجنة تتولى ادارة الشئون العامة نيابة عن البورجوازية المحتكرة ، ويتعرض التقدميون فى معظم البلاد الرأسمالية الكبيرة الى الاضطهاد ، كما تكتب الحريات الديمقراطية البورجوازية بصورة متدرجة ، فى الوقت الذى تزداد فيه قوة المنظمات الفاشية •

- ٤ -

ضاعفت أزمة الرأسمالية العالمية من المزاج الحربى لدى العناصر الحاكمة فى البلاد الرأسمالية • فهذه العناصر تتطلع الى حرب عالمية جديدة تعيد للسيطرة الرأسمالية تحكمها فى العالم ، وتمكنها من القضاء على الاشتراكية • ويبدو أن هذه العناصر لم تح بل لا تريد أن تعى العبر التى صدرت عن الحرب العالمية الثانية وعن الحقبة التى تلتها •

وكانت بريطانيا والولايات المتحدة قد اعتقدتا أن الحرب العالمية الثانية لن تنتهى الى نصر تحققانه على الفاشية فحسب ، بل والى نصر للامبريالية الانجليزية - الأمريكية على جميع الشعوب وعلى فكرة الاستقلال الوطنى ، والاندفاع العالمى فى طريق الحرية والديمقراطية • وهكذا كانت هانان الدولتان تريدان أن تطبخوا لنفسيهما النصر الذى ترغبان فيه وأن تلتهماه •

وأدت المطامع فى فرض السيطرة الامبريالية على العالم ، الى شروع السياسة الأمريكيتين حتى قبل انتهاء الحرب العالمية الثانية بعدة أشهر فى نقويض أواصر التعاون الدولى مع الاتحاد السوفياتى • وكان الرئيس الأمريكى هارى ترومان ، هو الذى اختار هذا السبيل فور وصوله الى البيت الأبيض •

ولقد حدد الرئيس ترومان فى سلسلة من الرسائل وجهها الى الكونجرس الخطة فى تولى الزعامة العالمية ووضع العالم كله ، تحت سيطرة احنكارات الرأسمالية الأمريكية • وأوحت رسالته الى الكونجرس فى التاسع عشر من ديسمبر من عام ١٩٤٥ ، حول موضوع اعادة تنظيم القوات الأمريكية المسلحة ، بالخطة الموضوعية ، للاحتفاظ بصورة غير مألوفة بقوات ضخمة فى أوقات السلم ، لتحقيق سياسة الرأسمالية الأمريكية المالية • وبين ترومان أن « الزعامة العالمية » هى الهدف الأول لسياسة أمريكا الخارجية ، مخفيا حقيقة هذا البرنامج الذى لا مثيل له

فى الماضى فى اتساع أطماعه الامبريالية وفى جنون تطلعاته الى السلطان، وراء استعارات لفظية غوغائية تتحدث عن « الشعب الأمريكى » وعن « مسئولياته » وعن « رسالته وأعبائه » .

وقال ترومان : « لقد فرض النصر الذى حققناه على الشعب الأمريكى أعباء مستمرة من تحمل المسئولية عن الزعامة العالمية . وسيعتمد سلام العالم فى المستقبل الى حد كبير على قدرة الولايات المتحدة على اظهار تصميمها الحقيقى على مواصلة دورها القيادى بين الدول » (١) .

ولكن هذه الأقوال المتعجرفة المتغترسة التى سارعت الصحافة الرجعية الى ترديدها مئات المرات بعد الايغال فى المبالغة فيها ، أثارت ردود فعل صارمة وقاسية فى العالم الذى لم تكن لديه أية رغبة قط فى الاذعان لارادة رأس المال الاحتكارى الأمريكى . ولم يكن السير الحتمى للتاريخ متوافقا مع الطريق الذى اختارنه الولايات المتحدة لفرض سيطرتها ، وانما كان يستثير المزيد من تدهور المواقع الامبريالية واضعافها . وكانت القوانين الموضوعية التى تتحكم فى التطور التاريخى أقوى بكثير من رغبات المحتكرين الأمريكين . ولكن هؤلاء تعلقوا بأحلامهم وأوهامهم ، بالرغم من رؤية مخططاتهم تنهار فوق رؤوسهم ، وآثروا مضاعفة الاتجاه الاستفزازى المعادى لسياسة الاتحاد السوفياتى .

وراحت الحكومة الأمريكية وحلفاؤها القريبون منها ، يصوغون سياسة الحرب الباردة فى نفس اللحظة التى انتهت فيها الحرب العالمية . ومضت الولايات المتحدة تخوض سباق تسلح لم يسبق له منيل فى التاريخ من ناحية اتساع أبعاده . وأخذت تضغط على الدول لاجبارها على الدخول فى أحلاف عسكرية عدوانية ، وتقيم قواعدها الحربية فى مختلف أرجاء العالم . وما زالت ترفض حتى اليوم ازالة الانقراض التى خلفتها الحرب العالمية الثانية ، لان هذه الانقراض تحدم سياستها العدوانية الاستفزازية أحسن الخدمات . وها قد مضى نحو من عشرين عاما على انتهاء الحرب فى أوروبا ، ولم تعقد معاهدة الصلح مع ألمانيا ، كما لم تحل مشكلة الوضع فى برلين الغربية ، وهو وضع يمكن أن يعود الى حالته الطبيعية فى حالة عقد هذه المعاهدة .

وكانت هزيمة الفاشية ، وتحطيم الديكتاتورية الهتلرية قد مهدا

(١) سجلات الكونجرس فى ١٩ ديسمبر ١٩٤٥ . المجلد ٩١ - الجزء التاسع ص ١٢٣٩٨ -

السبيل لتحقيق التطور الديمقراطي في ألمانيا ، اذ ان الشعب الألماني كان عازما على محو تراث الفاشية ، واقتلاعها من جذورها ، وضمان انتقدم السلمى والديمقراطى فى بلاده .

ولكن الفرص لم تنهيا لاقامة مجتمع جديد ، الا فى الجزء الشرقى من ألمانيا . فقد سارت منذ انتهاء الحرب ، فى ذلك الجزء عملية القضاء على الفاشية والروح العسكرية قضاء تاما ، واقتلاعها من جذورها الاقتصادية والاجتماعية ، سيرا رائعا .

وتمثل جمهورية ألمانيا الديمقراطية ، القوى الديمقراطية والمؤمنة بالسلام فى الأمة الألمانية . وتبذل حكومة هذه الجمهورية قصارى جهودها ، لتعزيز السلام ، وحل المشاكل القومية للشعب الألماني . وتخفيف حدة التوتر الدولى . ولا ريب فى أن وجود جمهورية ألمانيا الديمقراطية يعتبر عاملا مهما من عوامل اقرار السلام العالمى والحفاظ على الأمن الدولى .

لكن هذا لا ينطبق على ألمانيا الغربية . فقد اصطدمت التطلعات الديمقراطية للجماهير فيها بالمقاومة العنيدة من جانب سلطات الاحتلال الأمريكية والبريطانية والفرنسية . ولم تكتف هذه السلطات بأن تفرض حمايتها ورعايتها على الامبريالية الألمانية المهزومة ، وانما راحت تعمل على بعث الرجعية السياسية المتطرفة ، والروح العسكرية ، والنزعات السوفيتية التى توقد روح الانتقام أوارها . وأدت هذه السياسة التى اتبعتها الدول الغربية الى تجزئة ألمانيا .

وتقع مسئولية تجزئة ألمانيا على أكتاف الحكومات الأمريكية والبريطانية والفرنسية . فلقد كانت هذه الحكومات هى التى مهدت السبيل فى مناطق احتلالها الى قيام دولة ألمانية انفصالية . ولم تظهر جمهورية ألمانيا الديمقراطية الى حيز الوجود ، الا بعد أن أصبحت جمهورية ألمانيا الاتحادية حقيقة قائمة . وهكذا ظهرت دولتان ألمانيتان منفصلتان . وراحت كل منهما تسير فى اتجاه يتعارض تعارضا جذريا مع اتجاه الأخرى .

وانضمت جمهورية ألمانيا الاتحادية التى ظهرت الى حيز الوجود كدولة عسكرية تتطلع الى الانتقام ، الى الأعضاء الآخرين فى حلف شمال الأطلسى ، رغبة منها فى متابعة السير لتحقيق أهدافها العدوانية . ولعل أسوأ ما فى الأمر أن قواتها المسلحة ، أصبحت ، وبصورة متدرجة ، القوة

الرئيسية فى جيوش حلف الأطلسى العدوانى ، وباتت قادرة على فرض ارادتها وسياساتها على تلك الكتلة . ونعمل حكومة ألمانيا الاتحادية على منع أية تسوية للقضايا الدولية العاجلة والملحة .

وهناك تشابه كبير بين سياسة إعادة تسليح ألمانيا الغربية . وسياسات مونينخ التى سبقت الحرب . وتقوم هذه السياسة على نفس الفرضية ، وهى أن إعادة تسليح ألمانيا الغربية التى تمثل جزءا من كتلة دول حلف الأطلسى ، تؤدى الى استخدامها فى اللحظة المطلوبة ، كأداة فى أيدي الولايات المتحدة وبريطانيا .

ويهدف العسكريون فى الولايات المتحدة الى استخدام القوات الجوية الاستراتيجية والصواريخ كوسيلة لايصال الأسلحة النووية الى أهدافها ، تحقيقا لغايات أمريكا العدوانية . ويضع المسئولون فى « البنتاجون » الأمريكى ، الخطط الوحشية للقيام بغارات مفاجئة على المدن الكبرى التى تضم الملايين من السكان . ولقد أعلن الرئيس السابق كنيدي فى مستهل عام ١٩٦٢ أن الولايات المتحدة قد تتولى فى بعض الظروف المعينة زمام المبادرة فى أى صراع نووى مع الاتحاد السوفياتى . وكان هذا الاعلان بمثابة اقرار بأن الجهات الحاكمة فى الولايات المتحدة ، تضع مخططاتها للقيام بهجوم نووى مباغت على البلاد المحبة للسلام . وتزداد خطورة هذه المخططات فى العصور الحديثة ، نتيجة تفوق الاتحاد السوفياتى فى حيازة الأسلحة النووية والصواريخ . ولا شك فى أن المجانين وحدهم ، هم الذين يحلمون فى أن يكون استعمال الأسلحة الحديثة من جانب واحد ليس الا . وقد يكون من الخير لهم ، لو أنهم تذكروا ما كان يقوله هتلر وجوبلز ، ويقسمون على صحة ما يقولونه ، من أن قنبلة واحدة لن تسقط على ألمانيا ابان الحرب . ولكن لم تكذب سنوات تمضى على هذا العول ، حتى كان عدج كبير من المدن والقرى فى ألمانيا قد تحول الى أنقاض . وعلينا ألا ننسى ، أن الأبعاد كانت لا تزال تؤلف فى تلك الأيام عقبة فى طريق العمليات العسكرية . أما اليوم ، فلم تعد البحار أو المحيطات أو الأبعاد مهما كانت كبيرة ، قادرة على أن تسمح للمعتدى بأن ينجو من القصاص .

وتوجه السياسات العدوانية التى تسير عليها الولايات المتحدة وأتباعها ، ضد البلاد الاشتراكية المتمسكة بالسلام . ولقد تجاوزت الامبريالية الأمريكية كل حد ، عندما راحت تعلن أن سياساتها العدوانية ضد البلاد الاشتراكية تهدف الى تحريرها . لكن مثل هذه الادعاءات

ليست بالشئ الجديد على الاطلاق . فلقد جرت عادة الامبرياليين منذ امد بعيد على التجروء المعيب على القول بأن حروب النهب التى تشنها لتحقيق مصالح احتكاراتها ، هى لتحرير هذا الشعب أو ذاك . وكانت هذه الادعاءات هى السبب فى « تحرير » الامبرياليين لشعوب كثيرة من استقلالها ، وتحويلها الى شعوب مستعبدة مستعمرة . وكانت هى السبب أيضا فى أن الولايات المتحدة ، قامت فى نهاية القرن التاسع عشر بتحرير جزر الهوايا والفلبين من استقلالها . ولقد شهدنا بين الفينة والفينة ، القوات الامبريالية « تحرر » شعوب بعض المستعمرات من حكم الامبرياليين فى البلاد الأخرى ، لتجعل من هذه الشعوب التى حررتها ، عبيدا لها . وكانت هذه هى الصورة التى حررت فيها اليابان ابان الحرب العالمية الثانية شعوب أندونيسيا وبورما وغيرهما من البلاد فى آسيا .

وكانت الجبهتان الامبرياليتان المتصارعتان فى الحرب العالمية الأولى ، تدعيان فى وقت واحد ، زيفا ونفاقا ، أنهما تقاتلان من أجل « التحرير » وكتب لينين يقول : « وتحاول الطبقة البورجوازية فى كل بلاد، دعم حربها الوطنية الخاصة باصدار اعلانات زائفة تحاول عن طريقها اقناع كل انسان بأنها تتطلع الى هزم أعدائها ، لا من أجل النهب والغزو والفتح ، وانما من أجل « تحرير » جميع الشعوب باستثناء شعبها » (١) .

وهناك عناصر جديدة أدخلها الامبرياليون الأمريكيون فى السياسات القديمة والبالية التى ألفها الفاتحون ، وفى مقدمتها أنهم يحاولون تبرير سياساتهم العدوانية بمبررات فيها الكثير من التدليس فى أيام السلم ، فى نفس الوقت الذى يشنون فيه حربهم الباردة على البلاد الاشتراكية . أما العنصر الثانى ، فهو أن الامبرياليين كانوا يعزفون فى الماضى على نغمة العزم على « تحرير » الأراضى التى يملكها أعداؤهم ، من الامبرياليين أيضا، بينما يستخدم الآن هذا الشعار الامبريالى البالى ضد البلاد الاشتراكية أيضا . وهكذا نجد الامبريالية العصرية متحرقة « لتحرير » البلاد الاشتراكية من اشتراكيته ومن استقلالها الوطنى ، ولفرض النير الأجنبى عليها . أجل . انها تتحرق لتحرير شعوب البلاد الاشتراكية من سيادتها القومية ، ومنجزاتها الاقتصادية ، وثقافتها القومية .

وهنا يحق لنا أن نتساءل . . ألم يكن هتلر نفسه يريد ما تريده

(١) مؤلفات لينين - الكتاب ٢١ . الصفحة ١٢ .

الامبريالية العصرية ؟ أو لم تكن الدعاية الفاشية الألمانية تعزف على نغمة
عزم ألمانيا على « تحرير » شعوب الاتحاد السوفياتي ؟

ولقد وعت شعوب الاتحاد السوفياتي «وعيا» موضوعيا ما يفهمه
الغزاة من تعبير « الحرية » . فقد ذاقت هذه الشعوب طعم هذه
« الحرية » على النحو الذي طبقه الجيش الألماني . فقد جسدت لها
هذه « الحرية » معسكرات الموت ، والاعدام بالجملة والنهب الضخم
والعنف ، وحطم التماثيل والآثار الثقافية ، وتدمير الثروة العامة .
وعلم الشعب السوفياتي بدوره المعتدين درسا موضوعيا عما « يمكن »
للمؤمنين حقا بالحرية والديمقراطية والاستقلال الوطني أن يفعلوه .
ولقد وعى الامبرياليون الألمان هذا الدرس الذي يجب على دعاة
الحرب عبر المحيط الأطلسي ألا ينسوه أو يضيعوه .

ولم يكتف الامبرياليون الأمريكيون بشن الحرب الباردة ليجعلوا
منها بداية سياستهم ونهايتها ، وانما راحوا يتمسكون بها في عناد واصرار
ويكرسون الكثير من الجهد لتبريرها .

واستخدموا منذ البداية التهم الكاذبة التي يوجهونها الى الاتحاد
السوفياتي وأهداف سياسته ، كالأساس الايديولوجي للحرب الباردة
التي يشنونها . ويدعى المعتدى الامبريالي دائما أنه الحمل الوديع الذي
يحاول الذئب الشرس المفترس ابتلاعه . لكن التجارب أثبتت أن هذه
الحملات الوديعية الزائفة ليست الا حيوانات مفترسة ، وأن ليس ثمة
ما يهددها ، وانما هي على النقيض من ذلك التي تهدد كل انسان .
ولا شك في أن من السذاجة بمكان كبير أن يصدق الانسان ذلك الادعاء
الغريب القائل بأن الحرب الباردة انما هي حرب دفاع عن النفس .

واشترك كتاب ألمانيا الغربية من الرجعيين في الحملة الرجعية العامة
لتبرير الحرب الباردة واظهار أسبابها الموجبة . وهم بعملهم هذا انما
يدافعون عن أمبريالية الاحتكارات الألمانية ، وكان لابد لهم والحالة هذه
من الاسهام بتقديم اقتراحاتهم الخاصة في هذا الصدد . ولما كانت حكومة
بون قد انضمت الى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا في سياساتها
العدوانية ، فانها لم تشأ أن تعامل من جانب أعدائها بالأمس ، كالحاصرة
التي تفتقر الى المساواة في الحقوق معهم . وكان مؤرخو ألمانيا الغربية ،
هم أول من قال : ان ألمانيا لم تكن الوحيدة التي خسرت الحرب العالمية .
وانما خسرها أيضا حلفاؤها وأصدقاؤها بعد الحرب أيضا . وهكذا حزم

الحرب العالمية الثانية - ٥٤٥

المؤرخون الألمان وهم ينفذون للاحتكارات ارادتها ، أمرهم ، على التهويل الى اقصى حد ممكن من الحقيقة القائلة بأن الطبقة الحاكمة فى الولايات المتحدة وبريطانيا فشلت فى تحقيق أهدافها الامبريالية فى الحرب الماضية .

وعلى هذا النحو بدأت الصحف والمجلات أولا ، ثم الكتب التى وضعها المؤرخون الغربيون الألمان والبريطانيون والأمريكيون والفرنسيون فى ترديد الأكذوبة القائلة بأن البلاشفة الروس « الملاعين » قد حرموا الولايات المتحدة وبريطانيا ثمار النصر بالرغم من أنهما قد انتصرتا فى الحرب . وهكذا وضعت الولايات المتحدة وبريطانيا الى جانب الخاسرين مع الاحتكارات الألمانية . ولا شك فى أن هذا التفسير المضلل لسير الأحداث ، والمتعارض مع الحقائق ، أصبح الأساس فى معظم التحقيقات والتحريرات التاريخية الغربية .

لكن الحقيقة تظل قائمة وهى أن الظروف الموضوعية ابان الحرب وبعدها ، حالت دون تمكين الجهات الحاكمة فى الولايات المتحدة من فرض سيطرتها على العالم . وأظهرت الوقائع أن مثل هذه الادعاءات تفتقر تمام الافتقار الى الصحة . فالمحاولات التى قام بها حكام الولايات المتحدة لاستخدام روح الانتقام والروح العسكرية عند الألمان الغربيين فى شن حرب عالمية جديدة والقيام بعدوان جديد ، تشبه الى حد كبير السياسة الغربية الحمقاء التى كانت متبعة قبل الحرب العالمية الثانية والتى ثبت فشلها المطلق فى النهاية . فلا شك فى أن بعث مركز خطر لشن الحروب فى قلب أوربا يمثل خطرا على الكثير من البلاد ، ولا سيما على فرنسا التى تعرضت أكثر من مرة للعدوان الألمانى وكانت ضحية له .

ولم تكتف الدوائر الحاكمة فى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا بالتحالف مع العسكريين الألمان من طلاب الثار والانتقام ، وانما تقوم أيضا بمساعدة الجمهورية الألمانية الاتحادية فى إعادة تسليحها ، وتعطف على الخطط التوسعية البعيدة المدى لتلك القوى التى كانت السبب فى نشوب حربين عالميتين ، والتى تقدم لها المعونات الآن لتصل الى مواقع القيادة والصدارة فى كتلة حلف شمال الاطلسى العدوانية . ولقد قرر المجلس الوزارى لدول هذا الحلف فى اجتماع عقد فى مدينة أوتاوه الكندية فى شهر مايو من عام ١٩٦٣ ، انشاء قوة صواريخ نووية تابعة للحلف ، يشترك فيها قادة الجيش الألمانى وضباطه . ولا شك فى أن مثل هذا القرار ، خطر كل الخطورة ، اذ بينت التجارب بمنتهى الوضوح أن

المعتدين الألمان لا يتوقفون عند حد فى استعزازاتهم لاستشارة الحرب فى أوروبا .

وها قد مضى على الحرب الباردة التى أنارتها الولايات المتحدة الأمريكية على البلاد الاشتراكية أكثر من ثمانية عشر عاما . ولكن ترى ما النتائج التى حققتها هذه الحرب ؟ انها لم تحقق أية مكاسب ملموسة للقوى الامبريالية ، وانما ألحقت بها ، على النقيض من ذلك ، المزيد من الخسائر فى مكانتها الدولية ، وضاعفت من مشاعر « الكره » لدى الجماهير للرأسمالية ، وأنزلت بالولايات المتحدة وحلفائها الكبر من النكسات الخطيرة . وكتب العالمان الاجتماعيان الأمريكيان ايدموند ستيلمان وويليام بفاف يقولان : « يلحق الفشل المستمر بسياساتنا ، بينما أصاب الانكماش نفوذنا فى العالم . وبات حلفاؤنا فى أوروبا يكبرون من الشك فى حكمتنا وارادتنا . وأخذت الدول الجديدة فى نصف الكرة الجنوى تقف موقفا متزايدا من اللامبالاة من ادعاءاتنا ، ان لم تبادرها بالزراية والامتهان ويعاملنا أعداؤنا بكثير من الاحتقار ، بينما نحس نحن بكثير من التبديد فى الجهد واضاعته » (١) .

ولعل هذا هو السبب الذى يدفع الكثيرين من بعيدى النظر من السياسة ورجال الصناعة وأرباب المصارف وعلماء الاجتماع والمؤرخين والمعلقين ، الذين يحسون بالقلق على مصير الرأسمالية الى الاصرار على وجوب تخلى الحكومة الأمريكية وحكومات الدول الامبريالية الأخرى عن سياسات الحرب الباردة . وكتب دى . اف . فليمينج بقول : « لما كانت أساليب الحرب الباردة تلحق الهزيمة بنفسها ، فلم يبق أمامنا الا البديل الشاق وهو أن نقبل التعايش السلمى التنافسى مع العالم الشيوعى ، وأن نضع سياسات تبنى على التسامح أولا ، وعلى الصداقة والتعاون مع جميع الشعوب لاحقا » (٢) .

ولكن مثل هذه الأقوال الحكيمة الرصينة كثيرا ما تضيع وسط الأقوال الصادرة عن دعاة الحرب الباردة الذين كثيرا ما يلجئون الى أساليب فظة وغير كريمة . ولقد ضرب أحدهم ، وهو المؤرخ البريطانى هيوسيتون

(١) ايدموند ستيلمان وويليام بفاف فى كتابهما « السياسات الجديدة - أمريكا ونهاية عام

ما بعد الحرب » - نيويورك ١٩٦١ . ص ١٢ .

(٢) دى . اف . فليمينج فى كتابه « الحرب الباردة وجذورها ١٩١٧ - ١٩٦٠ - لندن

١٩٦١ . ص ١٠٧٣ - ١٠٧٤ .

واطسون جميع الأرقام القياسية في هذا الصدد عندما قال : انه ليس ثمة فرق بين الحرب الباردة والتعايش السلمى . وهو يضع رأيه على هذا النحو . . « أصبح التفسير الشائع لتعبير « الحرب الباردة » الذى اخترعه الصحفيون الغربيون ليعنى الحرب الدائمة دون قنابل ، هو أن هذه الحرب تمثل قبل كل شئ سياسة غربية عدوانية بينما أصبح تعبير « التعايش السلمى » الذى اخترعه لينين قبل ذلك بسنوات طويلة ليعنى هذه الحرب الدائمة التى لا قنابل فيها بين « العالم الرأسمالى وروسيا السوفياتية ، يفسر على أنه يمثل سياسة سوفياتية ، سلامية أولا وأخيرا . لكن الحقيقة الواقعة تظل قائمة ، وهى أن « الحرب الباردة » و « التعايش السلمى » اسمان مختلفان لمسمى واحد » (١) .

وهكذا تمكن المؤرخ الرجعى من تجاهل الفروق الجوهرية بين سياسة العدوان الامبريالى وسياسة السلام . ويعرف معجم « ويبستر » الحرب الباردة بأنها « صراع حاد على المستويات الدبلوماسية والاقتصادية وغيرها بين الدول . يؤدى فى الغالب الى الحرب الفعلية » . حقا انه تعريف صادق وصحيح . فالحرب الباردة هى الطريق المؤدية الى الحرب العالمية . أما التعايش السلمى فى الناحية الأخرى فهو السبيل للحفاظ على السلام وتقويته وتدعيمه ، وهو الطريق الى استبعاد الحروب من حياة المجتمع الانسانى . وهناك سبيلان يفسح فيهما المجال لتطوير العلاقات الدولية الحديثة ، وهما الحرب النووية ، والتعايش السلمى .

ولعل هذا هو السبب المهم للغاية الذى أدى الى ظهور حركة السلام ونموها . فقد بدت هذه الحركة كرد فعل من الشعوب على السلوك العدوانى للدول الامبريالية . وهكذا عقد أول مؤتمر للسلام العالمى فى ابريل من عام ١٩٤٩ ، أى بعد انشاء حلف شمال الأطلسى الذى يمثل الأداة الأولى للعدوان الامبريالى الحديث .

وحركة السلام العالمية ، حركة ديمقراطية شاملة ، تضم أناسا يمتون الى مختلف المهن والجماعات الاجتماعية والمعتقدات . وقد جمعهم حافز واحد وهو الاخلاص للسلام ، والعمل على انقاذ الانسانية من كوارث الحرب النووية العالمية الرهيبة . وتمثل هذه الحركة اتجاه التطور الانسانى

(٢) هيو ستينون - واطسون فى كتابه « من لينين الى خروشوف - تاريخ الشيوعية العالمية »
نيويورك ١٩٦٠ ص ٣٨٢ .

الحديث • وهى تعرض ارادة قوية صلبة فى معارضة السياسات الامبريالية الداعية للعدوان والحرب •

ومثل المؤتمر العالمى لنزع السلاح الشامل والسلام ، والذى عقد فى موسكو فى شهر يوليو من عام ١٩٦٢ بدعوة من مجلس السلام العالمى ، حدثا من أبرز أحداث العصر • فلقد كان هذا المؤتمر ، أضخم ندوة دولية عقدت حتى اليوم ، اذ شهده أكثر من ألفى مندوب ومراقب وضيف يمثلون ١٢١ بلدا من بلاد العالم • وأعرب الخطباء فى هذا المؤتمر عن ايمانهم بأن فى الامكان ازالة خطر الحرب النووية الذى يهدد كل بلاد بل وكل أمة فى العالم • وأكد هؤلاء الخطباء أن الجنس البشرى ، بلغ من التطور الحد الذى يمكنه من حمل الرسالة فى تحقيق مرحلة الانتقال من عهد الحروب الى عهد السلام الدائم المخيم على الكرة الأرضية •

ولا شك فى أن مشكلة الحرب والسلام ، هى أهم مشكلة تواجه عصرنا الراهن ، اذ أنها قضية حياة أو موت بالنسبة الى مئات الملايين من الناس • والامبريالية تمثل المصدر الوحيد بل والأكثر خطورة للخطر الذى يهدد العالم بالحرب • وهى تعد العدة لاقتراف أبشع جريمة ضد الانسانية فى تاريخها الطويل ، وهى الحرب النووية العالمية • أما الاشتراكية فتعمل على النقيض من ذلك على احلال السلام العالمى ، لأنها تمثل أقوى المدافعين وأكثرهم أصرارا وصلابة عن السلام •

ويعبىء البرنامج الذى وضعه الحزب السوفيائى فى مؤتمره الثانى والعشرين قوى الشعب السوفيائى لبناء مجتمعه الجديد على أوسع نطاق • وهو برنامج يستند الى الجهد السلمى ، اذ أن السلام حىوى للاتحاد السوفيائى اذا كان راغبا فى بناء مجتمعه الجديد ، وفى تحقيق حلم الانسانية الطويل والعريق فى ايجاد النظام الاجتماعى الأمثل والأكمل • ولا شك فى أن السلام يغذ السير فى طريق تحقيق القوانين الوضعية والمزايا التى تتحكم فى التطور الاشتراكى • فهو يساعد الاشتراكية على الاسراع فى تحقيق الفوز على الرأسمالية فى سباق التنافس الاقتصادى •

ولا شك فى أن المهمة التاريخية للاشتراكية ، هى القضاء على الحروب ، واقامة سلام دائم فى الكرة الأرضية • وكان هذا هو العامل الذى دعا الحزب السوفيائى الى أن يضمن برنامجة الفقرة التالية : « يرى الحزب السوفيائى أن الهدف الأساسى « النشاطات » سياسيته الخارجية خلق الأوضاع السلمية اللازمة لبناء المجتمع الجديد فى

الاتحاد السوفياتى ، وتطوير النظام الاشتراكى العالمى وتنميته ، وانقاذ
الانسانية بالتعاون مع الشعوب الأخرى المحبة للسلام من خطر الإبادة
العالمية » .

وهكذا يتبين لنا البرنامج واضحاً كل الوضوح ، وهو يظهر بما
لا يقبل الشك أن المهمات العظيمة الملقاة على من يتولون بناء المجتمع
الجديد فى العشرين عاماً المقبلة ، تتطلب أن يخيم السلام على العالم . وهكذا
نرى أيضاً أن روح السلام سيطر على هذا البرنامج من أوله الى آخره .
وهو يظهر أيضاً أن هذا البناء والسلام ، أمران متصلان ولا انفصام
بينهما .

وهذا الاتصال قائم لأن عملية البناء تتطلب العمل ونطلب الجهود
الخالقة من مئات الملايين من الرجال العاملين . فالبناء لا يتم الا بالعمل
الانسانى ، وهو يظهر القوة الهائلة التى تستطيع الجهود الخالقة للجماهير
نحقيقها ، وقد استلهمت وحيها من مثل الانسانية الرفيعة . ولقد بينت
الاشتراكية تفوقها على الرأسمالية بالطرف السلمية ، وبالانصارات التى
حققتها فى مجالات البناء الاقتصادى ، وبطويرها لقوى الانتاج وتحسينها
للمستويات الحياتية والثقافية للشعوب . ولا شك فى أن سلاحها الرئيسى
والأكثر فاعلية ، هو العمل من أجل مجد الانسان .

ويقاوم الاتحاد السوفياتى وجميع البلاد المحبة للسلام الحرب
الباردة التى نُسنتها الامبريالية ، وهى تستخدم فى مفاومنها كل واقعتها
وتصميمها وعزيمتها . ولقد مكنت قوى العدوان والحرب فى
السنوات القليلة الأخيرة من اىصال السلام العالمى الى شفير الكارثة فى
كثير من المناسبات . واذا كانت الحرب العالمية الجديدة لم تقع ، فان الفضل
فى ذلك يعود الى الاتحاد السوفياتى والى النظام الاشتراكى العالمى والى
جميع قوى السلام التى أرغمت المعندين الامبرياليين أكثر من مرة على
التراجع عن شفير الحرب .

ويخوض الاتحاد السوفياتى صراعاً تاريخياً لتحقيق النصر للعقل
الانسانى على الجنون الامبريالى . وهو صراع شاق وعسير . ولكن حتمية
انتصار الاشتراكية فى هذه القضية السامية باسم الانسانية وسعادة
الشعوب مضمونة ومؤكدة . ويقول برنامج الحزب السوفياتى : « ولقد
واصل الاتحاد السوفياتى ماضى ، وسيواصل فى المستقبل أيضاً السير
على سياسته فى التعايش السلمى بين الدول ذات الأنظمة الاجتماعية
المختلفة » .

وتمثلت معاهدة موسكو لخطر التجارب النووية فى الجو وتحت الماء وفى الفضاء الخارجى التى عقدت فى شهر أغسطس من عام ١٩٦٣ .
نصرا لحماية السلام والمدافعين عنه . وكانت هذه المعاهدة خطوة مهمة فى الطريق السوى ، اذ كان فى وسعها أن تمهد الطريق الى خلق تفاهم طويل دائم . ولكن البلاد الاشتراكية فى عملها من أجل تحقيق السلام على الأرض ، لا تستطيع أن تتجاهل الحقيقة الواقعة وهى أن المعتدين الامبرياليين ما زالوا ماثلين فى العالم . ويتطلب الوضع الدولى خطوطا دفاعية على أرفع مستوى ، وكثيرا من الاستعداد للحرب واليقظة . فمن المحتمل أن تتمكن الدول الامبريالية فى مثل هذه الأوضاع العالمية الراهنة ، من أن تعبىء لتحقيق مخططاتها العدوانية ، كل القوى فى النظام الرأسمالى ، ولقد تحدث خروشوف فى المؤتمر الثانى والعشرين للحزب السوفيانى فقال : « اذا حاول الامبرياليون ركوب رؤوسهم ، وتجاوز كل حدود المنطق والعقل ، وغامروا بالهجوم على البلاد الاشتراكية ، ودفع البشرية الى هاوية حرب الابداء العالمية ، فان هذا العمل الأحمق ، سيكون آخر عمل لهم، اذ أن هذه الحرب ستشهد نهاية النظام الرأسمالى » .

وتظهر دروس التاريخ وعبره ، أن كلمات خروشوف هذه ، جد صائبة . فلقد كانت الامبريالية هى البادئة بشن الحربين العالميتين الماضيتين . وكانت نتائج هاتين الحربين وثمارهما ، مضادة لمصالح الامبريالية وموقفها . فقد أثمرت الحرب العالمية الأولى انتصار الثورة الاشتراكية العظمى فى روسيا . وانتصرت بعد الحرب العالمية الثانية الثورات الاشتراكية فى عدد من البلاد الأوربية والآسيوية ، وسار انحلال النظام الاستعمارى للرأسمالية بخطى سريعة نحو النهاية الحتمية . فمن الواضح والحالة هذه ، أن الامبريالية لو أقدمت على تحدى الانسانية من جديد ، ستواجه نهايتها الحتمية ، التى تعنى انهيار ذلك النظام الذى يثير الحروب العالمية .

هذه هى نتائج الحرب العالمية الثانية وآثارها وعبرها . وهى تظهر أن المخططات التى تضعها أية دولة امبريالية ، مهما بلغ شأن قوتها ، للسيطرة على العالم ، مخططات تفتقر الى الواقعية ، ولا جدوى منها ولا فائدة وهى تبين أيضاً أن الاشتراكية لا يمكن أن تقهر على الصعيد التاريخى ، كما توضح أن الجماهير فى عصرنا الراهن قد نضجت الى الحد الذى يمكنها من أداء مهمتها فى حل مشاكل التطور التاريخى والتقدم .

ولقد خرج الاتحاد السوفياتى منتصرا من تجربة الحرب القاسية
وها هو يتقدم الآن بخطى حثيثة فى طريق التقدم وبناء المجتمع الجديد .
ولم يسبق للاتحاد السوفياتى أن يبلغ ما بلغه الآن من قوة وعظمة ، كما
لم يسبق له أن توافر لديه ما يتوافر الآن من حيوية وطاقات خلاقة . ولا
شك فى أن تقدمه رائع ومذهل ، وليس فى وسع أية قوة على الأرض أن
توقف غذه وسيره .

الفهرس

| الموضوع | الصفحة |
|-------------------------------------|--------|
| تقدمة المغرب | ٥ |
| القسم الأول : | |
| مقدمات الحرب | ١١ |
| المعتدون وأنصارهم | ١٣ |
| صفقة مونيخ وذيولها | ٢٩ |
| القسم الثاني : | |
| الحرب الزائفة | ٤٩ |
| انهيار بولنده العسكرية | ٦١ |
| مأساة فرنسا | ٨٥ |
| بعد استسلام فرنسا | ١٠٥ |
| القسم الثالث : | |
| امتداد العدوان الفاشي | ١٣٥ |
| موازنة القوى | ١٣٧ |
| الهجوم النازي | ١٦٢ |
| معركة موسكو | ٢٠٧ |
| نشوب الحرب في المحيط الهادي | ٢٣١ |

القسم الرابع :

| | |
|-----|-------------------------------------|
| ٢٥٧ | انعكاس التيار |
| ١٢٩ | نصر الفولجا |
| ٢٩٧ | الصراع على أفريقيا الشمالية |
| ٢١٥ | معركة انتفاخ كورسك |
| ٣٣٥ | مؤتمر طهران |

القسم الخامس :

| | |
|-----|--------------------------------------|
| ٣٥٥ | الانتصارات العظيمة |
| ٣٥٧ | هجوم عام ١٩٤٤ |
| ٣٧٣ | نزول الحلفاء في فرنسا |
| ٣٨٧ | الجيش السوفياتي يحرر أوروبا |
| ٤١٧ | مؤتمر القرم |
| ٤٣٩ | عملية برلين واستسلام ألمانيا |
| ٤٧٥ | مؤتمر سان فرانسيسكو وبوتسدام |
| ٤٨٩ | استسلام اليابان ونهاية الحرب |
| ٥١٤ | والخلاصة |

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
بالمضامين

وزارة الثقافة
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر
دار الكاتب العربي للطباعة والنشر

بمكتبة الاسكندرية
ALEXANDRIA
Bibliotheca Alexandrina
0272292

